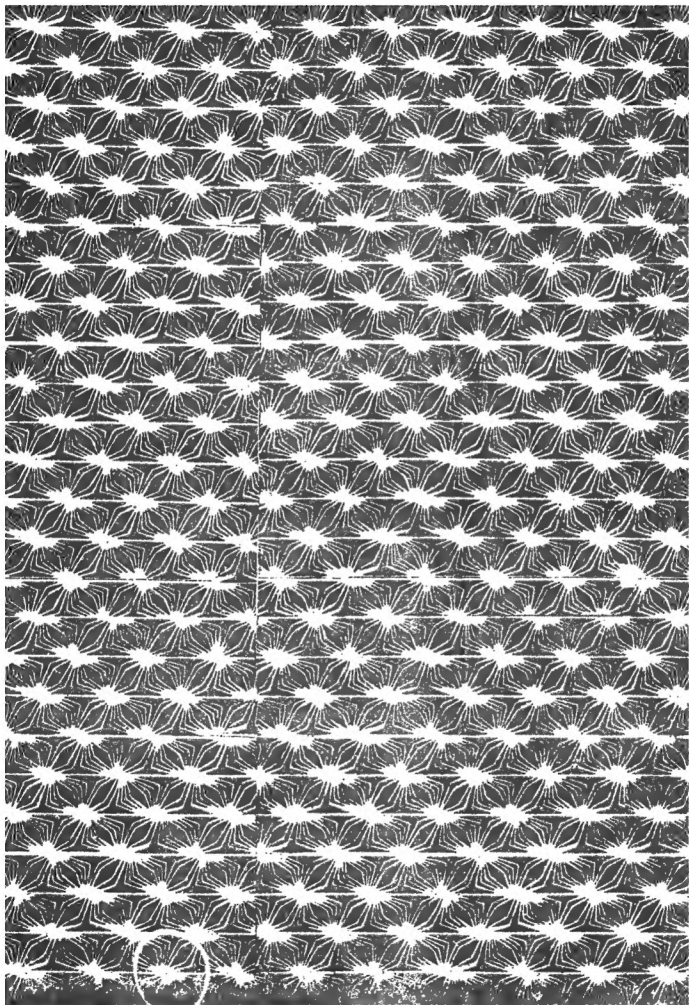
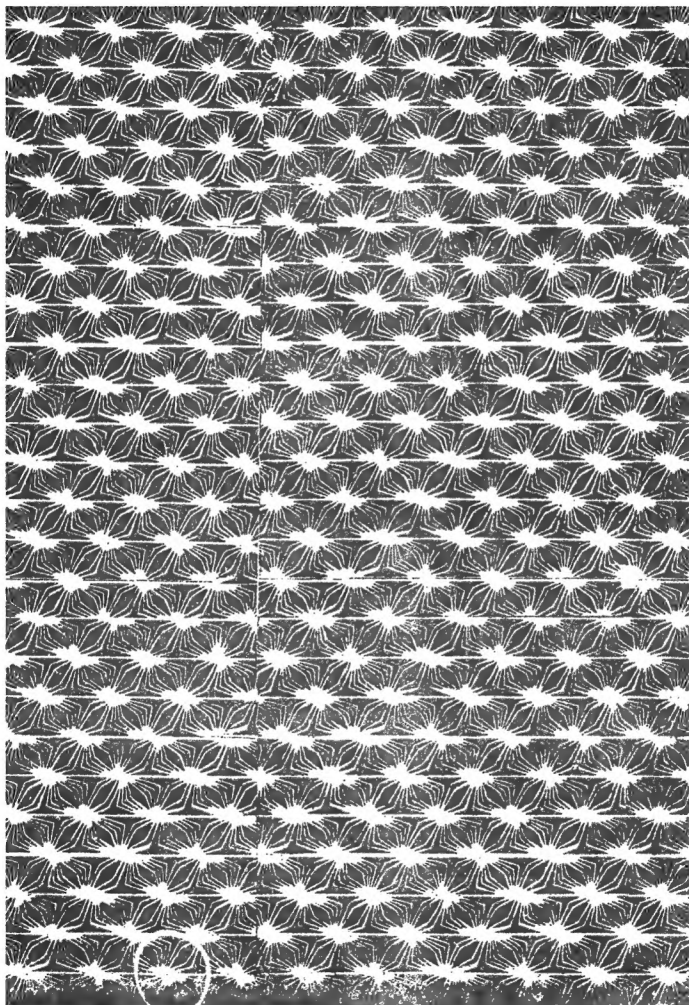


تَقْنِيَةُ الْكَشْفَانِ
لِلْإِمَامِ الزَّمْخَشَرِيِّ





الكتاب في حقنا بفضل النبي

وعيون الناوِل في وجه الناوِل

وهو تفسير القرآن الكريم : للإمام محمود بن عمر الزمخشري

المتوفى سنة ٥٢٨ هـ

وبذله كتابان جليلان : الأول : كتاب الاتصاف للإمام باصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري المالكي قاضي الاسكندرية المتوفى سنة ٦٨٣ هـ وقد بين فيه ما تضمنته الكشف من الاعتزال وناقشه في أعارب وأحسن الجدل مع حسن الإيجاز الثاني : حاشية جلية المقدار للعالم العلامة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عليان المرزوقي الشافعي من أكابر علماء الأزهر . وهي تضمن : التنبيه على ما بالكشف من الاعتزال وبيان عقائد أهل السنة فيها . وحل الألفاظ اللغوية الغريبة الاستعمال (تنبيه) قد جعلنا القرآن الكريم بأعلى الصفحة . وتحت تفسير الكشف وتحت كتاب الاتصاف . وفي أسفل الصفحة حاشية الأستاذ الشيخ محمد عليان . فليتب القارئ لذلك

الجزء الثالث

وقبلت هذه الطبعة على جملة نسخ طبعة أميرية ونسخة خطية بمعرفة لجنة من أفاضل العلماء

مطبع في المطبعة الكبري بأول شارع محمد علي

باصمها : مصطفى محمد

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٤ هـ

مطبع في المطبعة

باصمها : مصطفى محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء مكة

وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَفِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُبَدَّلٍ ۝ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَأَهْلَ قُلُوبِهِمْ وَاسْرُوا الْجَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

(سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذه اللام لا تخطو من أن تكون صلة لا تقرب أو تأكيد لإضافة الحساب إليهم كقولك أَرْفَ لشيء رجليهم الأصل أَرْفَ رجل الحى ثم أَرْفَ لشيء الرجل ثم أَرْفَ لشيء رجليهم ونحوه أو أورد سيويه في باب ما يقي فيه المستقر تأكيداً عليك زيد رعى عليك وفيك زيد راعبك وفيك ومنه قولهم لا تأمك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقرب ما يكون فيها من الحساب والواب العقاب وغير ذلك ونحوه واقرب الوعد الحق (فإن قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقرب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل "يستعجلونك بالعذاب وإن تخلف الله عنه وإن يوما عند ربك كالفضة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب إنما العبد هو الذى وجد وانقرض ولا يأتى فى الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل أنما خاتم النبيين الموعود معه فى آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت فى نسم الساعة وفى خطبة بعض المتقدمين ولست الدنيا حذاءه ولحق بالإصابة كصاية الإناة. وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت فى نفسها قابلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليفة بأن توصف بالصلة وقصر الذرع وعان ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه الدليل القائم وهو ما يتلو من صفات المشركين ه وصفهم بالثقل مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يفتكرون فى عاقبتهم ولا يظفنون لما ترجع إليه غافته أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا يمتد جزء بالحسن والمسيء وإذا قرعت لم المعاون بها عن سنة الثقل وظنوا لذلك بما يلقى عليهم من الآيات والنذر أمرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا ه وقرر إعراضهم عن تنبيهه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجتد لهم الذر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكثر على أسماعهم التنبيه والموعظة لهم لم يتظنون فساد يزيدهم استماع الآى والسور ومافى من فنون المواقظ والبصائر التى هى أحق الحق وأجدالجد الإلابة وتلها واستسخرارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عمير (حدث) بالرفع صفة على محل ه قوله (وهم يلبسون لأية قلوبهم)

(قوله بعثت في نسمة الساعة) في الصحاح نسمة الروح أولها حين تغفل بلين قبل أن تشتد ومنه الحديث بعثت في نسمة الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسمة أيضاً جمع نسمة وهي النفس

أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ . قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . بَلْ قَالُوا

حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر يمد خبر لقوله وهم واللاهية من لغته إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفتوا أصلاً فثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فإن قلت) التجوى وهي اسم من التناجى لا تكون إلا خفية فسامنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالقوا في إخفاها أو أجعلوها بحيث لا يظن أحد لتناجهم ولا يعلم أنهم متناجون ه ابدل (الذين ظلموا) من وأو وأسروا إشعاراً بأنهم الموصوفون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أوجاه على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على اللفظ أو هو مبتدأ خبره وأسروا التجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا التجوى فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلاً على ظلمهم بأنه ظلم (هل هذا إلا ابتسر مثلكم أفأتون السحروا أنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدلاً من التجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرأ اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا ملكاً وأن كل من أذى الرسالة من البشر وجاء بالهجرة هو ساحر ومعجزته سحر فذلك قالوا على سبيل الإنكار أو تحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتمايئون أنه سحر (فإن قلت) لم أسروا هذا الحديث والقوا في إخفاها (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثييط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشرخوا أعداءهم في شوراها ويتجادلوا في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطاع ومنه قول الناس استعنوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقاً فخير بآبائنا أسرونا (فإن قلت) هلا قيل يعلم السرقوله وأسروا التجوى (قلت) القول عام يشمل السر والمجره فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ه ثم بين ذلك بأنه السميع العلم لثباته فكيف تخفى عليه خافية (فإن قلت) فلم يكن هذا إلا أكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالأكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالأكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتناناً وتجميعاً

(القول في سورة الأنبياء)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قرله تعالى ه قال ربى يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العلم (قال إن قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع أن المتقدم وأسروا التجوى الخ) قال أحد وهذا من اتباع القرآن للرأى نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأى بنى صفات الكمال عن الله تعالى وما الذى دل عليه السميع العلم من نقي صفة السمع والعلم في تفسيرهما بذلك مع أنه لا يفهم في اللغة سميع إلا بسمع ولا علم إلا بعلم فلهما صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أولاً ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم قد سارع إلى إنكار السميع العلم وهو لا يشعر وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشف من غرائل البعد ليجنبنا الناظر وأنا الأدلة الكلامية فنقاتل في حاله فيأبى رده من أمثال هذه الزغات عتلف فزة يوردها عند كمال يتخيل في ظاهره إشعاراً بغرضه فوطفتنا معه حيث نأخذ أن تنازع في الظهور ثم قد ترقى إلى بيان ظهوره في عكس مراده أو نصوصه حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما وقد بلغت الإنصاف إلى تسليم الظهور له فذكر وجه التأويل الذى يرشد إليه دليل العقل ومزة يورد بذأمن هذا الرأى عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التصنف حتى لا يتخيل شيئا من كلامه من نصب وإصرار على باطل فتنه على ذلك أيضا وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

(قوله عمل المنصوبة في التثييط عنه) كأن فيه سقطا وفي الصحاح نصبت لفلان نصبا إذا عديته

أَضَعْتُ أَحْلَمَ بَلِّ أَفْتَرُهُ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَةٌ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ . مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ . ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ . لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَرُوا بُاسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَازِرُكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ

الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم معنا أنهم أسروا التجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم أسروهم فوضع القول موضع ذلك للبالغة وشم قصد وصف ذاته بأن إزالته الذي يعلم السرف السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يهزب عنه متفاد ذرة . وقرئ (قال ربي) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أضر بوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تحالط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاهر وهكذا الباطل للملج والمبطل متحير رجاء غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث . صحة التشبيه في قوله (كما أرسل الأولون) من حيث أنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات الأتري أنه لافرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أنهم يؤمنون) فيه أنهم أئى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم تكفروا أو عاقلوا فأهلكهم الله فلو أعطيتهم ما يقترحون لكانوا أنك وأنك . وأمرهم أن يستعملوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموا أن رسل الله المحسى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحلهم على أولئك لأنهم كانوا يشايبون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه رده رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسداً والمغنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوى جسد غير طامعين ووجد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوى ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام (فإن قلت) نعم قدرة إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فذا رد من قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) قلت) محتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كالنبيش ويموت كالموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويهلك إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسميين حياتهم المتطاولة وبقام الممتد خلوداً (صدقاهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقهم القتال وصدقني سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطالبون بها التاء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك (وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) وأردت هن غضب شديد ومنادية على سحق عظيم لأن القصم أقطع الكسر وهو الكسر الذي بين تلازم الأجزاء بخلاف القصم وأراد بالقريه أهلها ولذلك وصفها بالنظم وقال (قوما آخرين) لأن المغنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما

(قوله وهكذا الباطل للجلج والمبطل متحير) في الصالح الحق أيلج والباطل للجلج أى يرد من غير أن ينفذ
(قوله تطالبون بها التاء أو حسن الذكر) لعله وحسن المذكور بالواو

فِيهِ وَمَسْكَنَكُمْ لَكُمْ تَسْلُونَ . قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . قَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ . وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَآخِذَةً مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ . بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاقٌ وَلَكِنَّ الْوَيْلَ مِمَّا تَصِفُونَ . وَلَهُ

التياب وفي الحديث كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في توبيخ محولين وروى حضورين بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم مختصراً كسلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا ثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطيئة وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية . فلما علوا شدة عذابنا وبطشنا علم حسرتهم ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض يركض فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منزعين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عودهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم قبل لهم (لا تركضوا) والقول غلوف (فإن قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء . بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب البرية ويسميه ملائكته لينفهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به قوسهم (وأرجعوا إلى ما تزرعتم فيه) من العيش الزايف والحال الناعمة والإتراف بإظهار النعمة وهي التربة (لعلكم تأسلون) تهكم بهم وتوبيخ أي أرجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تأسلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو أرجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتفوا في مراتبكم حتى يسألكم عيذك وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمرهم وينهيهم ويقول لكم هم تأمررون وبماذا ترعون وكيف تأتي ونذر كمادة المنعمين الخمدين أو يسألكم الناس في أنديةكم المعاوين نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعارض ويستشرفون بتدابيركم ويستشرفون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطعام ويستشرفون بحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأيادكم إما لانهم كانوا أحمياء ينفقون أموالهم رثاء الناس وطلب الثناء أو كانوا غلابة قليل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم وتوبيخاً إلى توبيخ (تلك) إشارة إلى ما أولنا لانها دعوى كأنه قيل فإذالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فإن قلت) لم سميت دعوى (قلت) لأن الملول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى ياويل فهذا وقتك وتلك مفرغ أو منصوب أسماً أو خبراً وكذلك دعواهم . الحصيد : الزرع المحسود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استصالحهم واصطلاحهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنسوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين فلما دخل عليها جعل نصباً جعماً على المقولية (فإن قلت) كيف نصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضاً جعلته جامعاً للطينين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمائة الحصيد واختره . أي ومارسونا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلقات مشعونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوى الجبابة سقوفهم وفرشهم وسائر زعارفهم للهو واللعب وإنما سويتها للقوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح إشكار واعتبار واستدلال ونظر لمبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لاتمذ والمراق التي لاتحصى . ثم بين أن السبب في ترك اعتقاد اللهو واللعب وانتفاءه عن أفعالهم هو أن الحكمة صارقة عنه وإلا فأنما قادر على اتخاذها إن كنت فاعلاً لأن كل على شيء قدير . وقوله (لا تخذنا من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد

(قوله) ويمترون أخلاف معروفكم (في الصحاح الریح تمرى السحاب وتمتره أي تستدزه وفيه أيضا الخلف بالكسر حلة ضرع الناقة (قوله في استصالحهم واصطلاحهم) في الصحاح الاصطلام الاستصالح

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ هـ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ هـ أَمْ أَخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ يَنْشُرُونَ هـ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَقَسَدَتَا فَسَبَّحَ اللَّهُ

بلغة الجن وقيل المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لامن الإنس ردأ لولادة المسيح وعزير (بل) إضراب عن اتخاذ الله واللبس ونزبه من مذلهاته كأنه قال سبحانه أن اتخذ الله واللبس بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنا عن القبح أن نغلب الله بالجد وندهض الباطل بالحق واستعارة لذلك القذف والدمع تصويرا لإبطاله وإهداره ومخه لجمله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذفه على جرم رخو أجوف فدمعه ثم قال (ولكم الويل عما تصفون) به عما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلى لبنى تميم هـ والحق بالحجاز فأستريحاً وقرئ فيدمه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزولون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التثليل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه هـ (فإن قلت) الاستحسان مبالغة في الحسور فكان الأبلغ فيوصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسان بيان أن مالم فيه يوجب غاية الحسور وأضاه وأنهم أحق أن تلك العبادات الباطلة بأن يستحسروا فيما يفعلون هـ أى تسببهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يخله فترة بفرغ أو شغل آخر هـ هذه أم المنقطة الكاتبة بمعنى بل والمهزة قدأ ذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمذكر هو اتخذهم (أله من الأرض هم ينشرون) الموتى ولعمري أنت من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات (فإن قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لأهلهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم

هـ قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهم آلهة لاتخذناهم من لدنا (قال معناه سبحانه أن نتخذ لهم آلهة) قال أحدوله تحت قوله واستغنا عن القبح دفين من البدعة والضلالة ولكن من الكنوز التي يحصى عليها في نار جهنم وذلك أن القدرة بوجوبه على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يترجمونه حسنا بمقولهم ويقولون أن الحكمة تقتضى ذلك فلا يستغنى الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبح فإن الحكمة تقتضى الاستغناء عنه فإلى ذلك يلوح الرخسرى وماهى إلا زغة سبق إليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس في الإمكان أكل من هذا العالم لأنه لو كان في القدرة أكل منه وأحسن ثم لم يخلق الله تعالى لكان يخللنا في الجود أو يحجزنا ينافى القدرة حتى اتبهم في ذلك من لانسيمه من أهل الملة غنا الله عنه إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وأنه لا أن يخلق ما يترجمه القدرية حسنا أنه أن يفعل ما يترجمونه في الشاهد قبيحا وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق بقدر تمجد فليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يرد ذلك في ملكه شيئا ولوان أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أجز قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيئا اللهم ألعنا الحق واستعملناه عاد كلامه (قال وفق قوله تعالى بل قذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعمار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبيه من حسناته ولولا أن السببة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت إن الحسنة يذهبن السيئات والله أعلم هـ قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه إن قلت لم استعمل الاستحسان هنا في النفي الخ) قال أحد ويمثله أوجب عن قوله تعالى وماربك بظلام للميد فأنظره قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (قال إن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ

(قوله على جرم رخو أجوف فدمعه) في الصحاح نجه حتى بلغت الشجة الدماغ (قوله لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه) هذا عند المعزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل (قوله بوجوب غاية الحسور وأضاه) أى الكلال أفاده الصحاح (قوله هم ينشرون الموتى) الإشارة إلى إحياء بعد الموت أفاده الصحاح

كانوا مع إقرارهم به عز وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشاء الأول منسكين البت ويقولون من يحيى العظام وهى رميم وكان هندهم من قبل المحال الخارج من قدرة القادر كثنائى القديم فكيف يدعون للجناد الذى لا يوصف بالقدره رأساً (قلت) الأمر كذا كرت ولكنهم بانتعاشهم لما الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشاد لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشاد من جملة المقدورات وفيه باب من التكميم والتويخ والتجھيل وإشعار بأن ما استبقوه من الله لا يصح استبقاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله (من الأرض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبته إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التى تمدين الأرض لأننا لألهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التى قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنما مؤمنه لأنهم منها أن مرادها نبي الألهة الأرضية التى هى الأصنام لإثبات السماء مكاناً لله عز وجل ويجوز أن يراد ألهة من جنس الأرض لأنها إنما أنشأت تحت من بعض الحجاره أو تعمل من بعض جواهر الأرض (فإن قلت) لابد من نكتة في قوله لم (قلت) النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قبل أم اتخذوا ألهة لا يقدر على الإنشاد إلا هو وحدهم وقرأ الحسن بنشرون وهما لثان أنشأه الملقى ونفسها وصفت ألهة لا لا كما وصف بنشرون لول الألهة غير الله (فإن قلت) ما منكم من الرفع على البذل (قلت) لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبذل لا يستوعب إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلفت منكم أحد إلا امرأك وذلك لأن أعم العالم يصح فيه ولا يصح إعجابه والمضى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما ألهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لنفسدنا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله (فإن قلت) لموجب الأمران (قلت) لعلنا أن الرعية تصد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من الغالب والتاكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشجق كان والله أعز على من دم ناظري

أله الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الإنكار والله سبحانه وتعالى أعلم به عاد كلامه (قال محمود إن قلت لابد لقوله من فائدة وإلا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفيه النكتة نظر لأن آلات المحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صدق زيد فإن المبتدأ في الآية أخص شيء لأنه خير وأيضاً فلا ينبغي على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم وتخصيص الإنشاد بهم وفيه عن الله تعالى إذ هذا لا يناسب السياق فإنه قال عقبها لو كان فيما أله إلا الله لنفسدنا ومعناه لو كان فيما إله غير الله شريكاً لنفسدنا وكان مقتضى ما قال الزعشري أن يقال لو لم يكن فيما أله إلا الأصنام لنفسدنا وأتوا المثل على خلاف ذلك فلا رجه لما قال الزعشري وعندي أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الإيذان بأنهم لم يدعوا لها الإنشاد وأن قوله هم ينشرون استئناف إلزامهم وكأنه قال اتخذوا أله مع الله عز وجل فهم إذن يميون الموق ضرورة كونهم ألهة ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموق نظم في إبطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيما أله إلا الله لنفسدنا وأزيد هذا الترتيب وضوحاً فأقول إن دليل التمايز المتخوف من بحر هذه الآية المتنبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله إله آخر ورسموا قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإني أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال الثلاث يندرج فيها القدرة على إحياء الموق وإنشادهم وغير ذلك من الممكّنات أو لا يتصف بها واحدهما أو أحدهما دون الآخر ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدق الأقسام إبطالاً قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال وماعده فيبدي الرأى يبطل فأنظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفي البطلان فأوضح فساداً في أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وإنما ينظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون إلزامهم اتصاف صفات الألوهية لألهتهم حتى يتحزى أنهم اختاروا القسم الذى أبطله الله تعالى ووكل إبطال ماعده من الأقسام إلى ماركبه في عباده من العقول وكل خطب ببد بطلان هذا القسم جل وإعلاء الموق فتأمل هذا

رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَعْمَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ . أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ . وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ .

ولكن لا يجمع خللان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التماثل فليست كمن فيها تجاويل وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المستعدة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر . إذا كانت عادات الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من فعلتكم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تيمناً وإجلالاً مع جواز الخطأ والزلل وأواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الآرباب عالتهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعالهم مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفقود بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يستلون) أي هم يملكون مستبدون خطئون فما أخفهم بأن يقال لهم ففعلت في كل شيء فضله . كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استغناء لفهم واستعظاما لكرمهم أي وصفتهم الله تعالى بأن له شركاءه اتوا برهانكم على ذلك إنا من جهة العقل وإتقان جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتزجيه عن الانداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه مترعد عليه . أي (هذا) الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أية الذين معنى يعني آفته وذكر الذين من قبل يريد أمم الأنبياء عليهم السلام وقرئ (ذكر من معنى وذكر من قبل) بالتثنية ومن مفقود منصوب بالذكر كقوله أو إطلاعهم في يوم ذي مسغبة يتيها هو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون وقرئ من معنى ومن قبل على من الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والصرفية أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعندون وما أشبه ذلك فدخل عليه من كادخل على أخواته وقرئ ذكر معنى . ذكر قبل . كآه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن جهة هذا الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكاره وقرئ (الحق) بالرفع على توحيدين السبب والسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب بضاعلي هذا المعنى كما تقول هذا عبادة الحق لا الباطل (يوحى) ونوحى مشهور بأن هذه الآية مقصورة

الفصل بعين الإنصاف تجدهم أنفس الأنصاف وأهه المستعان قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يستلون ، (قال) لما بين تعالى أنه رب الآرباب وخالفهم ومالكهم ناسب هذا التنبؤ على ما يجب له تعالى على خلقه من الإجلال والإعظام فإن آحاد الملوك تمنع مهاجته أن يسأل عن فعله فضاظك بخالف الملوك وبرهم ثم إن آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد) سمعاً لما من لفظة ما أسوأ أديها مع الله تعالى أخى قوله دعوى الحكمة فإن الدواعي والصواب إن كانت تستعمل في حق المحدثين كقولك هو ما توفر دواعي الناس إليه أوصافهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح قلت وهذا من الطراز الأول ولو أنه في الذليل . فقد نسيت وما بالعهد من قدم . وبهذا يقتضي دليل التوحيد وإبطال الشرك من محكم أيها العنصري وقلبك رطب بقريره فلم تكسب وانتكست أقول أن أحداً شريك الله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسمى قبائح ففعلها عن قدرة الله تعالى وإرادته وما الفرق بين من يشركه ملكاً من الملائكة وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول إنه يفعل ويخلق لنفسه شاماً أول يشأنا إلى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً والقدرة أرتضوا لأنفسهم شريك لأن غيرهم أشرك بالملائكة وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات فمؤذ بمالك الملك من مسالك الملك قوله تعالى

(قوله ولكن لا يجمع خللان في شول) في الصحاح الشول التوق التي خفت لبنا وارتفع ضرعها (قوله ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح) هذا عند المذتلة أتعاد أهل السنة فهو الفاعل للتغير والشركاء بين في علم التوحيد

لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ . وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادْنَاهُ . وَهُمْ مَنْ خَشِيتُهُمْ مُشْفِقُونَ . وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ . أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا

لمسبقتها من آي التوحيد . زات في خزانة حيث قالوا الملائكة بنات الله . زه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم (مكرمون) مقرَّبون عند مفضلون على سائر العباد لمسلم عليهم من أحوال وصفات ليست لتعريفهم بذلك هو الذي غرض منهم من زعم أنهم أولادى تعاليت عن ذلك علواً كبيراً وقرئ مكرمون (ولا يسبقونه) بالضم من سابقته فسبته أسبقوه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام متاب الإضافة أى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسى فرسه . وكما أن قولهم تابع لقوله فمعلمهم أيضاً كذلك مبنى على أمره لا يعملون عملاً مالم يؤمروا به وجميع ما يأتون به يذرون مما تقدموا وأخروا بعين الله وهو مجازهم عليه فلا حاطمهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشعروا إلا لما رزقوا فاقوا أهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم أمع مع هذا كله من خشية الله (مشفقون) أى متوقفون من أماره ضعيفة كاتون على حذر ورقية لا يأمنون مكرهه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المراج ساقطاً كالخلس من خشية الله وهبدان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأتى عليه وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فأجاباً بالوعيد الشديد وأذعر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتبليغ مع إحاطة عليه بأنه لا يكون كما قال ولو أشرَكَ الحيط عنهم ما كانوا يعملون فمعد ذلك تقطيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد قرئ (الهر) بغير واو (رتقا) بفتح التاء وكلاهما معنى المقبول كالحاق والتقطض أى كاتما مرتوتين (فإن قلت) الرق صالح أن يقع موقع مرتوتين لأنه مصدر فبالال الرق (قلت) هو على تقريره موصوف أى كاتما شيئاً رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لافضاء بينهما أوكانت السموات متلاصقات وكذلك الأرضون لافرج بينهما فضتها الله وفرج بينهما وقيل فضتها بالطر والبوات بعدما كانت مصتورة إنما قيل كاتما دون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أى جاعتان فقل في المضمر نحو ما قبل في المظهر (فإن قلت) متى رواهما رتقا حتى جاء تحريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذى هو معجزة في نفسه مقام المرقى المشاهد والثاني أن تلاصق الأرض والسماء وتباينها كلاهما جازى في العقل فلا بد للثاني دون التلاصق من تخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يتخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى إلى واحد فالثاني خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقنا من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الإنسان من عجل وإن تعدى إلى اثنين فالثاني صيرنا كل شيء حتى يسبب من الماء لأبده منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما أنا من ددولا البدنى وقرئ حيا وهو المفعول الثاني

سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قال أحمد وهذا التفسير من جعل القرآن تبعا لرأى فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على متعده وليس غرضنا إلا بيان أنه حل الآية مالا تحتله وتناول منها مالا تعطيه لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لاعل بعضهم فدعوا

(قوله مفضلون على سائر العباد) هذا عند المعتزلة وبعض البشر أفضل منهم عند أهل السنة (قوله على حذر ورقية لا يأمنون) بالكسر أى انتظار أفاده الصراح (قوله كالخلس من خشية الله) بكسر فسكون أو بفتحين كساء رقيق يكون تحت البرذعة أو تحت الرجل أفاده الصراح (قوله إن كان ذلك على سبيل الفرض) لعله إذا كان (قوله ومن هذا) لعله ومن هنا (قوله عليه السلام ما أنا من دد) في الصراح الهدد الله والهدب

فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ تَحِيدَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ سَلًا لَّهُمْ يَسْكُونُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ

والظفر لنحوه أى كراهة (أن تَحِيدَهُمْ) وتضطرب أولئنا تَحِيدَهُمْ تخذف لا واللام وإعجازا حذف لالعدم الالتباس كما تزداد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم وهذا منذهب الكوفيين ه القبح الطريق الواسع (فإن قلت) في الفجاء معنى الوصف فما لما قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا جبالا (قلت) لم تقدم وهى صفة ولكن جعلت حالا كقوله ه لمرزة موحشا طلل قديم ه (فإن قلت) ما التفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم محفوظا بحفظه بالإسكاف بقدرته من أن يقع على الأرض ويتزلزل أو بالشبه عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أى عما وضع الله فيها من الأدقوالعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسارها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم تدبرها ونصبها هذه التصبواودهاوما أودعها بما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف عليه وقرئ عن آياتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أى هم متفعلون لما يرد عليهم من المياه من المنافع الدنيوية كالاستحمام بقمرها والاحتذاء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأعطارها وه من كونها آية بينة على الخالق (معروضون) (كل) التوحي في عوض من المضاف إليه أى كلهم (في فلان يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم ليلة جملها متكاترة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعا بالشمس والأقار والأفلاك والشمس واحد والقمر واحد وإعجازا للضمير والاعتماد على الوصف بفعلهم وهو السباحة (فإن قلت) الجملة ما عليها (قلت) عليها التعصب على الحال من الشمس والقمر (فإن قلت) كيف استبد بها دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهذا متبرجة ونحو ذلك إذا جئت بصفة تخص بها بعض ما تلحق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة وهبنا لسنن ويقوب نافلة أولا أعلن لما لاستغاثها (فإن قلت) لكل واحد من القمرين فلان على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلان (قلت) هذا كقولهم كسام الأمير حلة وقدم سيفا أى كل واحد

شاملة ودليله مطلق والله الموفق ه قوله تعالى وجعلنا في الأرض روى أن تَحِيدَهُمْ (قال معناه كراهة أن تَحِيدَهُمْ أو تكون لاحتقاة لأمن الإلباس) قال أحد وأولى من هذين الوجهين أن يكون من قولهم أعددت هذه الخفية أن تبيل الحائط فأدعاه قال سيويه ومعناه أن أدم الحائط إذا مال وإنما قدم ذكر الميل اهتماما بشأنه ولأنه أيضا هو السبب في الإعدام والإعدام سبب في إعداد الخفية فمامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى أن تفضل إحداها فذكر إحداها الأخرى كذلك ما نحن فيه يكون الأصل وجعلنا في الأرض روى أن تَحِيدَهُمْ لاجل أن تشبها إذا مادت بهم لجعل اليد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا في الأرض روى أن تَحِيدَهُمْ لاجل أن تشبها ثم حذف قوله فثبتنا لأن الإلباس إعجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الوجهنرى الآية عليه فإن مقتضى تأويله أن لا تحيد الأرض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكمن زلولة مادت لها الأرض وكادت تغلب عليها ساقطها وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت وهذا لا يوجب وقوع اليد كما أن قوله أن تفضل إحداها فذكر إحداها الأخرى لا يوجب وقوع الضلال والنسيان من إحداها لكنه ميد يستعقبه الثبوت وكذلك الواقع من الزلازل إعجازا كاللمعة

(قوله يقع على الأرض ويتزلزل) لعله أو يتزلزل (قوله والبر بالشمس والقمر) لعله كالشمس الخ كعبارة النسي

مَنْ قَبْلَكَ الْخُلُقَ أَقْبَنَ مَتَّ فَهُمْ الْخُلُقُونَ • كُلُّ نَفْسٍ ذَاتَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً وَإِنَّا تَرْجِعُونَ • وَإِذَا رَعَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَخَفُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي يَذْكُرُ الْعِتَمَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَفَرُونَ • خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون • وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ •

منهم أو كساحم وقدم هذين الجنتين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً لأن الغرض الدلالة على الجنس • كانوا يقدون أنه سيموت فيسمتون بموته فنى الله تعالى عنه الشبهة بهذا أى قضى الله أن لا يتخذ فى الدنيا بشراً فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيق هؤلاء وفى معناه قول القائل

قل للشامتين بنا أيقوا • سبق الشامتون كالتيقنا

أى اختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العالمين قبل وجودهم لأنه فى صورة الاختيار و (فتنة) مصدر مؤكد لتبليوكم من غير لفظه الذكر يكون بخلافه فإذا دلت الحال على أحدها أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فتم ومنه قوله تعالى سمعنا نبي يذكركم وقوله (أهذا الذى يذكركم) والمعنى أنهم عاكفون على ذكر آلتهم بهمهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوم أن يذكروها ذكر بخلاف ذلك وأما ذكر آلتهم بما يجب أن يذكروا به من الوحدة ففهم به كافرين لا يصدقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا هُزُؤاً منك فإنك عتق وهم مطعون وقيل معنى يذكروا الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلة وقولهم وما الرحمن أن نجد لها ثامراً وقيل يذكروا الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجنّة فى موضع الحال أى يتخذونك هُزُؤاً وهم على حال هى أصل الهُزُؤ والسخرية وهى الكفر بالله • كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملحة إلى العلم والإقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد تبهم عن الاستعجال وزجرهم بقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس يبعد منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبيعتكم وبجيتكم وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه أراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتألف فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح فى عينه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتبه الطعام وقيل خلقه الله تعالى فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل منيها وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه التضرع بالحزن والظلم أن المراد الجنس وقيل المجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل

ثم يثبتها الله تعالى • قوله تعالى هذا الذى يذكركم آلتكم (قال فيه الذكر يكون بخلافه فإذا دلت الحال على أحدها أطلق بقيد الترتيب فإن كان النوا كصديقاً فهم منه الخير وإن كان عدواً فهم منه الذم) قال أحد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيون الحق لما جاءكم ثم ابتداء فقال أسرع هذا وإنما لم يجعله معمولاً للقول وعكابه لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا إن هذا سحر مبین ولم يشكروا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وإنما أطلقوا على قولهم أهذا الذى يذكركم آلتكم ولم يقولوا هذا الذى يذكركم آلتكم بكل سواء لأنهم استغفلوا حكاية ما يقوله النبي من القدر فى آلتهم رعباً بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تفتح ولا تفسر وحاشاها من نقل ذمها مفصلاً فأومأوا إليه بالإشارة المذكورة كما يتقاضى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فى روى إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التمرىض فسيحان من أصلهم حتى تأدبوا مع الآوان وأساؤا الأدب على الرحمن

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا يُعْصِرُونَ ۖ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَنَاتُهُمْ فَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۖ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ۚ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّْا يُصْحَبُونَ ۚ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْقَلْبُونَ ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ۚ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْثَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ

بنيت بين الماء والمجل والله أعلم بصحته (فإن قلت) لم نهام عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله وكان الإنسان هجولا ليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كإرباب في الشوق وأمره أن ينهلها أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الإنسان جواب لو محذوف وحين مفعول به يعلم أى لو يعلمون الوقت الذي يستعملون عنه بقوله متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدم فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرًا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي مؤنه عندهم ويجوز أن يكون (يمل) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولو كانوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أى حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون أنهم كانوا على الباطل ويتقن عنهم هذا الجمل العظيم أى لا يكفونها بل تصوم فغلظهم قال المغلوب في الحاجة مهوت ومنه فبها الذي كفر أى غلب إبراهيم عليه السلام الكافر وقرأ الأعمش بأنهم فيهمهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فإن قلت) فلازم يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة (قلت) إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة أو إلى البتة وقبل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بفتح البتة فتح النين (ولام ينظرون) تذكير بإفطاره إياهم وإمهاله وتضييع وقت التذكر عليهم أى لا يعملون بعد طول الامهال ۚ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما فعلونه به يحق بهم كإحراق بالمستهزين بالأنبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أى من بأسه وهذا به (يلهم) معرضون عن ذكره لا ينظرونه يالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا زرقوا الكلاسة منه عرفوا من الكلال وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم من الكلال ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لعارضهم عن ذكر من يكلمهم ثم أحضر عن ذلك بما في أم من معنى بل وقال (ألم لهم آله تمنعهم) من العذاب تتجاوز متنا وحفظنا ۚ ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحب من الله بالصبر والتأيد كيف يمنع غيره وينصره ۚ ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاسة إنما هو منا لا من مانع يمنهم من أهلاكنا وما كلاتهم وآبائهم الماضين إلا تمتاعهم بالحياة الدنيا وإمها لا كما تمتنا غيرهم من الكفار وأهلناهم (حتى طال عليهم) الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمانينة حسبو أن لا يزالوا على ذلك لا ينليون ولا ينزع عنهم ثوب أمتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب (أفلا يرون أننا) نقص أرض الكفر ودار الحرب ونحف أطرافها بتسلط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردما دار إسلام (فإن قلت) أى قائدة في قوله (نأتى الأرض) (قلت) القائدة فيه تصوير ما كان الله يحريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسرايهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناضجة من أطرافها ۚ قرئ (ولا يسمع الصم) ولا تسمع الصم بالثاء والياء أى لا تسمع

وَنَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ • وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذَكَرَ الْلُتْفَيْنِ • الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ • وَهَذَا ذِكْرُ بَارِكِ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ • وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ • إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ • قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا

أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من أسمع (فإن قلت) الصم لا يسمعون دعاء المبرر كالأصم لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (إذا ما يندرون) (قلت) اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كاتبة للعهد لا للجلس والأصل ولا يسمعون إذ ما يندرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسددهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الإنذار (ولئن مستهم) من هذا الذي يندرون به أدنى شيء لأذعنوا وذلوا وأفروا بأنهم ظلوا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المسألة ثلث مبالغات لأن الفصح في معنى القلة والوزارة يقال ففتح الدابة وهو رخ يسير ونقحه بقطعة رضعه وبناء المرة • وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأما في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط واللام في (ليوم القيامة) مثلها في قولك جئتني ليل خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها ففرقتها • لست أعوام هذا العام سابع وقيل لأهل يوم القيامة أي لأجلهم (فإن قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما أرصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية ويوزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له فكتان ولسان ويرى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا ألهي من ذا الذي يقدر أن يلا كفته حسنات فقال داود إنى إذا رضيت عن عبيد ملأتها بثمره (فإن قلت) كيف توزن الأعمال وإنها هي أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر يضيئ مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة • وقرئ (مِثْقَالَ حَبَّةٍ) على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذريرة • وقرأ ابن عباس ويجاهد (أتينا بها) وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأنهم بالجزاء • وقرأ حميد أثبتنا بها من الثواب وفي حرف أبي جثنا بها وأنت ضمير المتكلم لضافته إلى الحجة كقولهم ذهب بعض أصابعه أي أثبتناها (الفرقان) وهو التوراة (و) أثبتنا به (ضياء) وذكر اللطيفين والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكر أروا أثبتناها بمافي من الشرائع والمواظظ ضياء وذكر أرو عن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفصح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يجتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف على (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاعتدال لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن آنتم منهم رشدا فادفوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد كالدم والدم بمعنى إصافته إليه أنه رشد مثله وأنه رشده شأن (من قبل) أي من قبل موسى وهرون عليهما السلام ومعنى عليه به أنه علم منه أحوالا بدعية وأسارا عجيبة وصفات قدر ضيها وأحدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم فلان

(قوله على التصام من آيات الإنذار) لعله عن (قوله وهو رخ يسير ونقحه بقطعة) في الصحاح رخه الفرس والبغل والحمار إذا ضرب به برجله (قوله ترسمت آيات لها ففرقتها) يروي توصمت

لَهَا عِبْدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعَالِيَائُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّامِعِينَ . قَالَ
يَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي ظَهَرْنَاهُ عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَكُمْ أَنْتُمْ
بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جَذْدًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مِنْ فَعَلْ هَذَا بَالِغَتَنَا إِنَّهُ

فكلامك هذا من الاحتماء على عاصم الارصاف بمنزل (إذ) إيمان يتعلق بآتيناً أو برشده أو بحفوف أى اذكر من
أوقات رشده هذا الوقت قوله (هاهنا التائيل) نجاهلهم وتناوب لبحر آلهتهم ويصغر شأنها مع عله بتعظيمهم
وإجلالهم لما لم ينزلوا كنفين مفعولا وأجراه مجرى مالا يمتدى كقولك فاعلون المكوف لما أوواقون لها (فإن قلت)
هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يمشكون على أصنامهم (قلت) لو قصد التعدية لعماء بصله التي هي على ما أنفع التقليد
والقول المتقبل بنير بهان وما أعظم كيد الشيطان للتقدين حين استدراجهم إلى أن يقلدوا آباءهم في عبادة التائيل وغفروا لها
جباهم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة
أن عبدة الأصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلاله لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض
الفعل بمنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا ينفى على
من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعاد أن يكون مام عليه ضلال
بقوا متعينين من تضليله إياهم وحسبوا أن مقاله إنما قاله على وجه المزاح والمداخلة لاعل طريق الجد فقالوا له هذا
الذى جنته أبوه حتى أم لب وهزل الضمير في (ظنهم) للسموات والأرض أولئائيل وكرهه للتائيل أدخل في
تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتضييعها كما تصح الدعوى بالشهادة كأنه قال
وأنا أبين ذلك وأرهن عليه كما تبين النواوى بالبينات لاني لست مثلك فأقول مالا أقدر على إثباته بالحجة كالم تقدر
على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل بآله وقرئ تولوا بمعنى تولوا ويقومها
قوله تولوا عنه مدبرين (فإن قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبذلة
مها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأنيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه
لصوبته وتعنزه ولعمري أن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصاً في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
وتهاكمه على نصرة دينه . ولكن إذا افقه سني عقد شيء تيسرا . روى أن أذرخرجه في يوم عيد لم يبدؤا ببيت الأصنام
فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاماً فخرجوا به معهم وقالوا إلى أن ترجع بركت الألهة على طعامنا فذهبوا وبقي
إبراهيم فظفر إلى الأصنام وكانت سبعين صنماً مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها فأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من
قومه وروى اسمه رجل واحد (جذانا) فطاعاً من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذدا جمع جذيد
وجذذا جمع جذة وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما سمعوه من إنكاره لدينهم
وسبه لآلهتهم فيسكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه من الكلي (إليه) إلى كبيرهم ومعنى هذا
لهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما هو لاد . مكسورة وما لك صحيحاً والفأس على
عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها وأقاله مع
عله أنهم لا يرجعون إليه استهزاؤهم واستهجالاً وأن قياس حال من يسجد له ويؤمله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل

(قوله إذا افقه سني عقد شيء تيسرا) في الصحاح سناه أى فتحه وسهله (قوله ويؤمله للعبادة أن يرجع إليه) لعله
ويؤمل بدون ضمير فتكون الأفعال الثلاثة مبنية للجهول ويكون الكلام في المعبود لاني العابد

لَمَنِ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا قَتَى يَذْكُرُهُمْ يَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَلَى آعَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاهُولَاءَ يَنْطِقُونَ . قَالَ

مشكل (فإن قلت) فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم وروسخ الإشرار في أعرافهم فأى فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً (قلت) إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم . هـ أى أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلة إذا لجأته على الآلة الحقيقية عديم بالتوقير والإعظام وإنا لأنهم رأوا إفراطاً في حطها وتماذياً في الاستهانة بها . (فإن قلت) ما حكم الفعليين بعد (سمعنا قاتى) وأرى فرق بينهما (قلت) مما صفتان لفتى لأن الأتول وهو (يذكرون) لا يمتنع لسمع لأنك لا تقول سمعت زيداً ونسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك (فإن قلت) (إبراهيم) ما هو (قلت) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى (على آعين الناس) في محل الحال بمعنى معاًيناً مشاهداتاً أى برأى منهم ومنظر (فإن قلت) فامعنى الاستعلاء في على (قلت) هو وارد على طريق المثل أى ثبت إثباته في الآعين ويتمكن فيها ثبات الركب على المركوب وتمكنه منه (لهم يشهدون) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الحجب بلغ غرود وأشرف قومه فأمرؤا بإحضاره هذا من معارض الكلام ولطائف هذا النوع لا ينفلج فيها إلا أذهان الراسخ من علماء المعاني والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلا أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجج وتبكيهم وهذا كالمقال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهر بمحسن الخط أنت كتبت هذا وصاحبك أتمى لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرشة قاسدة فقلت له بل كتبت أنت كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانيه عنك وإثباته الآتى أو الخمرش لأن إثباته والأمر داترينك للعاجز منك استهزائه وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر واشتد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأشد الفعل إليه لأنه هو الذى تسبب لاستهاته بها وحطه لها والفعل كما يستدل مباشرة يستدل بالحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال هم ماتركون أن يفعله كبرهم فإن من حق من يبد ويدعي إلها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها . وقرأ عبد بن السميع فعله كبرهم يعنى فعله أى فعل الفاعل كبرهم . فلبس القمهم الحبر وأخذ بمخاتقهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتوه حين قلم من فعل هذا بأهتاً لأنه لمن الظالمين . نسكت قلبه لجلت أسفله أعلاه وانكسر انقلب أى استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكره الصالحة ثم انكسروا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكايبة وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آله معبودة مضادة منهم أو انكسروا عن كونهم مجادلين لإبراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين قروا عنها القدرة على التلقى وأقبلوا على رؤسهم حقيقة لقرط إطارهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام فما أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ماسى فاعله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم فراه رضوان

(قوله ولا يقدر إلا على خرشة قاسدة) الموجود في الصحاح الخرش مثل الخدش والخراش سمته والخرشة خشبة يحط بها الخراز ولم يوجد فيه خرشة بزيادة الميم

اَفْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؕ
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ؕ قُلْنَا يَبْنَؤُا كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ؕ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِرِينَ ؕ وَجِئْنَاهُ بِوُطْأٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ؕ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ؕ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بَأْسَنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمُ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

ابن عبدالمعود (أف) صوت إذا صوّت به علم أنّ صاحبه متعجّر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم
وبعد وضوح الحق وزعوق الباطل تأفف بهم واللام لبيان التأفف به أى لكم ولأنّكم هذا التأفف ه أجماوا رأيهم لما
غلبوا بإهلاكه وهكذا المجل إذا قرعت شبهة بالحجة واقتضح لم يكن أحد انبض إليه من المخولم إلى له مسفرع إلى المناصبته
كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمرود وعن ابن عمر رضى
الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد ألا كراد وروى أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً كالخليفة بكونوا وجمعوا
شعراً أصناف الخشب الصلب حتى إن كانت المرأة تهرض فتقول إن عاقابي الله لأجمعن خطياً لإبراهيم عليه السلام
ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجوق من وجهها ثم وضوه في المنجنيق مفيداً منلولا فروما به فيها فتادها جبريل
عليه السلام (يا نار كوني برداً وسلاماً) ويحكى ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رى به
هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسئل ربك قال حسي من سؤالي عليه بخالي وعن ابن عباس رضى الله عنه
إنما نجما بقوله حسي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة ومعه مجلس له من الملائكة فقال إني
مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة
واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأظلمه ولذلك جاء لا يعذب بالنار إلا عاقلةاها ومن ثم قالوا (إن كنتم فاعلين)
أى إن كنتم ناصرين آلِهَتكم نصرأ مؤزراً فاختاروا له أهول المعاقبات وهى الإحراق بالنار ولا تظلم في نصرتها ولهذا
عظموا النار وتكفوا في تشهير امرأها وتخصيم شأنها ولم يألوا جهداً في ذلك جعلت النار لحطوا عنها فضل الله وإرادته كما مودأمر
بشيء فامتله والمعنى ذات برد وسلام فيولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد أبرد فيسلم منك إبراهيم أو أبرد برداً
غير ضار وعن ابن عباس رضى الله عنه لولم يقل ذلك لأهلكته ببردما (فإن قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله
عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحز والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير
ومعجز أن يدفع بقدرة عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها تكس ذلك كما يعمل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله
(على إبراهيم) وأرادوا أن يكيدوه ويكربوا به فأكادوا بالإمغولين متهورين غالبوه بالجلد فضيلة الله ولقنه باليكتوفزعا
إلى القوة والجبروت فصره وقواه ونجيا من العراق إلى الشام وبركاته الواسلة إلى المالمين إن أكثر الأنبياء عليهم السلام
بشوائف فانتشرت في المالمين شرائعهم وأنارهم الدين في وهى البركات الحقيقية وقيل ببارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والتمر
والخشب وطيب عيش الننى والتقى وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقبل له إلى أين قال إلى بلديلا في الجراب بدرم
وقيل ما من ماء عذب إلا ربيع أصله من تحت الصخرة التى بيت المقدس وروى أنه نزل بفسطين ولوط بالموت فكشفوا بينهما
مسيرة يوم وليلة ه النافلة ولدا لولم يقل سأل إسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلان غير سؤال (يهدون
بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتأقل
هنا وأول ذلك أن يهتدى بنفسه لأن الانتفاع بهاء أعمر النفوس إلى الاقتداء بالمهدى أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل

(قوله إذا عرفت شبهة بالحجة) لعله غرقت بالتين المعجمة

وَكَانُوا لَنَا عِبْدِينَ. وَلَوْ لَمْ نَأْتِ بِهُنَا حُكَّامًا وَعِلَمًا وَبُحْيَنَةً مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبْثَ لَأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوَاءً فَسَقِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجِئْنَاهُ وَاهِلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوَاءً فَغَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. وَدَاوُدَ وَصَلِيمِينَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَقَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكَتَلْنَاهُ كَهَمَّ شَبِيدَيْنِ فَفَهَّمْنَاهَا سَلِيمِينَ. وَكَلَّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يَسْبَحُنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَعَلِينَ. وَعَلَيْنَا صَنْعَةُ لُبِّ لَكُمْ لَتُحْصَنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ

الحجرات ثم فضلا الحجرات ثم فعل الحجرات. وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة (حكا) حكمة وهو ما يجب فعله أو صلايين الخصوم وقيل هو التوبة. والقريه صنوم أى فى أهل رحمتنا أو فى الجنة ومنه الحديث هذرحق ارحم بهامن أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين. هو نصر اللهى. وعلوه اتصروسمعت هذلىنا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم متصيرين منه. والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه. أى واذا كرمهاوإذا بدل منهاوالنفس الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه أرادهاوالمعاكين إليهاقرئ لحكماها. والضمير فى (فهمنها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فاهمنها حكم داود بالنم لصالحب الحرت فقال سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرقى بالفرقيين فعزم عليه ليحكم فقال أرى أن تدفع النعم إلى أهل الحرت يتفقون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرت إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كونه يوم أفسد ثم يتراد أن فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فإن قلت) أحكا بوحى أم باجتهاد (قلت) حكا جميعاً بالوحى إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليها السلام وقيل اجتهاداً جميعاً لاجتماع اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب (فإن قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أمّا وجه حكومة داود عليه السلام فلأن الضرر لما وقع بالنعم سلبت بجنائنها إلى الجنى عليه كما قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى العبد إذا جن على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافى رضى الله عنه بيعة فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة النعم كانت على قدر نقصان فى الحرت ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الاتضاع بالنعم لازماً ما فات من الاتضاع بالحرت من غير أن يزول ملك المال عن النعم وأوجب على صاحب النعم أن يعمل فى الحرت حتى يزول الضرر والتقصان مثاله ما قال أصحاب الشافى فيمن غضب عبداً فأبق من يده أنه يضمن القيمة فيتضع بها المخصوص منه بإزاء ما فوته الما صاب من منافع العبد فإذا ظهر تراد (فإن قلت) فلو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيه خطأنا بالليل أو بالهار إلا أن يكون مع البهية سائق أو قائد والشافى رضى الله عنه يوجب الضمان بالليل وفى قوله فهمنها سليمان دليل على أن الأصوب كان مع سليمان عليه السلام وفى قوله (وكلا آتيناه حكا وعلما) دليل على أنهما جميعاً كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استغاث أن قال قال كيف سخر من فقال يسبحن (والطير) إنا معطوف على الجبال أو مغفول معه (فإن قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لأن تسخيرها وتسييحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الإنجاز لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق روى أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهى تتجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فإن قلت) كيف تطلق الجبال وتسبح (قلت) بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رأها تسير بتفسير الله قلباً حملت على التسبيح وصف به (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عنكم وقيل وكنا نفعل بالآتياء مثل ذلك. اللبوس اللباس قاله البس لكل حالة لبوسها. والمراد

(قوله كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى) هذا عند المعتزلة بناء على أن كلام الله حادث فلا يقوم بذاته تعالى أمّا عند أهل السنة فكلامه تعالى قديم قائم بذاته ويسمعه موسى عليه السلام بكشف الحجاب عنه

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۚ وَلَسَلِمِينَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمِينَ ۚ وَمَنْ الشَّيْطَانُ مَنْ يُفَوِّصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۚ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۚ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ
رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۚ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۚ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا

الدرج قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود لجمعت الحقة والتحصين (لحصنكم) قرئ بالنون والياء
والياء وتخفيف الصاد وتشديدهما فالنون لله عز وجل والياء للصفة أو اللبوس على تأويل الدرج والياء لداود أول لبوس ۚ
قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فإن قلت) وصفت هذه
الرياح بالعصف تارة وبالغارة أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسها راحة طيبة كالنسيم فإذا مرت بكريسه
أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غنوها شهرورواسها شهر فكان جمعا بين الأمرين أن تكون رخا في نفسها وعاصفة
في عملها مع طاعتها لسلطان وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفا لغيرها على حكم إرادته وقد أحاط علنا بكل شيء فخرى الأشياء كلها على ما يقتضيه علنا وحكمتنا أي
بنفوسهم له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدن والقصور واختراع
الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم أن يزيفوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا
أو يوجد منهم فساد في الجملة فيأمر مستخرون فيه أي ناداه بأني مسني الضر وقرئ في بالكسر على إختار القول أو تضمن
التداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالنصب الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق
المتعينين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكي أن
عجوزا تعرضت لسلطان بن عبد الملك فقالت بأمر المؤمنين مشيت جردان بيتي على المعصى فقال لها ألفت في السؤال
لاجرم لأردنها ثوب وثوب اليهود ولا يتأيتا حبا كال أيوب عليه السلام روميا من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلام
وقد استناب الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف الهباتم وخمسة فدان
يتبعها خمسة عبد لكل عبد امرأة وولدون خيل فابتلاه الله بهابولده أنهم عليهم البيت فهل كانوا يذهب ماله وبالمرض
في بدنه ثمانى عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما
لودعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا استحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلاني مدة
رخا في فلما كشف الله عنه أحياء ولده ورزقه منهم ونوافل منهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستين وعشرين ابنا أي لرحمتنا
المابدين وأنا ذكركم بالإحسان لأنفسهم أو رحمة منا لا يوجب وتدكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابروا كما
أثيب في الدنيا والآخرة ۚ قيل في ذى الكفل هو إلياس وقيل ذكر ما وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذوا الحظ من

ۚ قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال إن قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك قلت
ماهى للاجتماع وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى
تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجاني منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين
فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكان في عظم خلقها كالثعبان في كل واحد من الريح والمصا على هذا التفسير

(قوله مشيت جردان بيتي على المعصى) في الصحاح الجرذ ضرب من الفأر والجمع جردان
(قوله وخمسة فدان يتبعها خمسة عبد) في الصحاح الفدان الفدان آتة الثورين للحرث

إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ظَنَّنَ أَنَّ لَّنْ قَدَرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ . وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ . وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فُرُجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف حمل الأنبياء في زمانه وضعف توأهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو إسمين إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف إليه برم بومه لظول ماذ كرم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأثمة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصار وينظر الإذن من الله في الهجرة عنهم فابتلى بطن الحوت . ومعنى مناضبه لقومه أنه أغضبه بمفارقة حوتهم حلول العقاب عليهم عندما قرأ أبو شرف منضبا . قرئ تقدر وتقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على البناء للفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن الباردة ففرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك قال وماهي بمعاوية قرأ هذه الآية وقال أويظن بي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله مثله بحال من ظن أن لن تقدر عليه في مراغته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم برده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بزيغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلك بطن الحوتين وظلمة البحر . أي بأنه (لا إله إلا أنت) أو بمعنى أي من التي صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو هذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما جاءه والله إلا إفراده على نفسه بالظلم (تنجي) وتنجي ونجي وذو النون لا تدغم في الجيم ومن تحمل لصحته بجملة فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسندته إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فتعسف بارد التعسف . سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يبدعه وحيدا بل وارثا ثم رد أمره إلى الله مستسليا فقال (وأنت خير الوارثين) أي لن لم ترزقني من يرثني فلا بالي فإنك خير وارث . إصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيرة الخلق الضمير للذكورين من الأنبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير ومساعدتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادة . وقرئ (رغبا ورهبا) بالإسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (عاشقين) قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد خشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الأعشى فقال أما إني سألت إبراهيم فقال ألا تدرى قلت أفندي قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق باب فليد الله منه خيرا لذلك ترى أنه إن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأ على رأسه (أحصنت فرجها) إحسانا كلياً من

معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله والمجدود على الحقيقة) في الصحاح الجد الحظ والبحث تقول جددت يا فلان أي صرت تاجدا فانت جديد حفظ ومجدود معظوظ (قوله فأضيف إليه برم بومه لظول ما) ستمهم وتبرم بهم فأداه الصحاح

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنًا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۚ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ۚ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَهْلِكُنْهَا أَتُهم لَا يَرْجِعُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۚ وَاقْتَرَبَ

الحلال والحرام جميعاً كما قالت ولم يمسنى بشر ولم أك نبياً (فإن قلت) فنع الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي أى أحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله (ففنغننا فيها من روحنا) ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم (قلت) معناه فنغننا الروح في عيسى فيها أى أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أى نفخت في المزار في بيته ويجوز أن يراد وضنا النفع في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفع في جيب درعها فوصل النفع إلى جوفها (فإن قلت) هلا قيل آتينا كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لأن حالها مجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير خلل الأمة الملة وهذه إشارة إلى إملة الإسلام أى أن ملنا الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تحرفون عنها بشار إليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) الملك الموحد (فاعبدون) ونسب الحسن أتمكم على البذل من هذه ورفع أمة خيراً وعنه رفضهما جميعاً خبرين لهذه أو نوى الثاني مبتدأ والمخاطب للناس كافة ۚ والاصل وقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى النية على طريقة الالتفات كأنه ينهى عليهم ما أفسدوه إلى آخره ويقبح عندهم فعلهم ويقول لم الأتزون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء وينقسمونه فطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تشبهاً لاختلافهم فيه وصيورتهم فرقاً وأحزاباً شتى ۚ ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ۚ الكفران مثل في حرمان التواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل الله شكور وقد نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلان كفر سبه (وإنما له كاتبون) أى نحن كاتبوا ذلك السى ومثبوتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبوتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه ۚ استعير الحرام للمتبع وجوده ومنه قوله عز وجل ۚ إِنَّ هَذَا حَزْمُهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ أَيْ مَنَعُهُمَا مِنْهُ وَأَيُّ أَنْ يَكُونَا لَهُمْ وَقُرْئُ حَزْمٌ وَحَزْمٌ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَحَزْمٌ وَحَزْمٌ وَمَعْنَى (أَهْلِكُنْهَا) عَزَمْنَا عَلَى إِهْلَاكِهَا أَوْ قَدَرْنَا إِهْلَاكَهَا وَمَعْنَى الرَّجُوعِ الرَّجُوعُ مِنَ الْكَفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِنَابَةِ وَبِجَازِ الْآيَةِ أَنَّ قَوْمًا عَزَمَ اللَّهُ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ غَيْرَ مُتَصَوِّرٍ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْبِذُوا إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ لِحَيْثُ يَرْجِعُونَ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ يَعْنى أَنَّهُمْ مُطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَرَوْنَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَعْتَدُونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ وَقُرْئُ لَهُمْ بِالْكَسْرِ وَحَقُّ هَذَا أَنْ يَتَمَّ الْكَلَامُ قَبْلَهُ فَلَا يَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ عَذُوفِ كُنْهُ قِيلَ وَحَرَامٌ عَلَى قُرْبَةٍ أَهْلِكُنْهَا ذَاكَ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالسَّيِّئِ الْمَشْكُورِ غَيْرِ الْمَشْكُورِ ثُمَّ عَلِلَّ قِيلَ لَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عَنِ الْكَفْرِ فَكَيْفَ لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ وَالْقِرَاءَةُ بِالْفَتْحِ يَصِحُّ حَمْلُهَا عَلَى هَذَا أَيْ لَأَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ

ۚ قوله تعالى ففنغننا فيه من روحنا (قال إن قلت فنع الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وحيث يكون معناه فأحييناه مريم وبشكل إذ ذاك قلت معناه ففنغننا الروح في عيسى في مريم أى أحييناه في جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل إذا أوحينا إلى أمتك ما يوحى أنت اقتضيه في التابوت فاقضيه في اليم فليقله اليم بالساحل أن تكون الضائر كلها راجعة إلى موسى أما الأول فلا إشكال فيه وأما التابوت إذا قذف في اليم وموسى فيه فقد خلف موسى في اليم وكذلك الثالث واختاره غيره عود الضميرين إلى الآخرين إلى التابوت لأنه فهم من قوله فاقضيه في اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف في اليم الزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم وفي هذه الآية مصداق لما اختاره فإن الله تعالى نزل فنع الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة فنع الروح في مريم فغير بما يفهم ظاهر هذا

الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَآئِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ۚ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءَ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ لَّهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعْصَدُونَ ۚ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا نُشِيتُ أَنْفُسَهُمْ خَالِدُونَ ۚ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمُ الْفِرْعَ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ فِي الْمَسْكِ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي

ولاصلة على الوجه الأول (فإن قلت) بم تلتقت (حتى) واقفة غاية له وأية الثلاث هي (قلت) هي متعلقة بحرام وهي فاه لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكي بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أهي إذا وما في جزئها حذف المضاف إلى (بأجوج وماجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فصح كما قيل أهلكناها وقرئ أجوج ومها قيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها بأجوج وماجوج (وم) راجع إلى الناس الموقوفين إلى الحشر وقيل هم بأجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحطب النثر من الأرض وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل حدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ (بنسلون) بضم السين ونسل وحصل أسرع و (إذا) هي المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقتطعون فإذا جاءت الفاء معها تماوتتا على وصل الجزاء بالشرط فيؤكد ولوقيل إذا هي شائعة أو هي شائعة كان سديداً (هي) ضمير مبهم توضحه الأوصاف وتضمره كما فسر الذين ظلوا وأسروا (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا (ماتعبدون من دون الله) يحتمل الأصنام وإيليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطوتهم في حكم عبادتهم ويصدق ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما جلس إليهم ففرض له النضرين الحرت فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألغمه ثم تلا عليهم إنكم وماتعبدون من دون الله الآية فأقبل عبداؤه بن الزبيرى فرأهم يتهايمون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد ابن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبداؤه أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبيرى أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتهك ورب الكعبة أليس اليهود عبادوا عزيراً والتصارى عبادوا المسيح وبنو مليح عبادوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبادوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بنى عزيراً والمسيح والملائكة عليهم السلام (فإن قلت) لم قروا بألهمهم (قلت) لأنهم لا يزالون لقاربتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم يسببهم والنظر إلى وجه الصدق باب من العذاب ولأنهم قد ذروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستشفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ماقدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم (فإن قلت) إذ أعيت بماتعبدون الأصنام فاعني (لهم فيها زفير) (قلت) إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جازان يقال لهم زفير وإن لم يكن الزفيرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس ۚ والحصب المحسوب به أى بحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وسأكتنا ۚ وعن ابن مسعود يحملون في ترويت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصهم الله كما يصمم (الحسنى) الحسنة المحضة في الحسن تأنيث الأحسن إنما السعادة وإما البشري بالثواب وإما التوفيق للطاعة يروى أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجزدهاء وهو يقول (لا يسمعون حسيبها) والحسيب

(قوله السد الحطب النثر من الأرض) في الصحاح النثر المكان المرتفع (قوله كما فسر الذين ظلوا وأسروا) له ضمير وأسروا أوله واو وأسروا (قوله وأصنامهم في قرن واحد) جبل يقرن به البعيران أفاده الصحاح

كُنْتُمْ تُوْعَدُونَ . يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟

الصوت بحسب هـ والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و(الفرع الأكبر) قيل النخلة الأخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتخرج من في السموات ومن في الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار عن الضحك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كيش أملح أى تستلقمهم (اللائكة) مهتئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذى وعدهم ربكم قد حلّ العامل فى (يوم تطوى) لا يحزنهم أو تفرغهم وقرئ تطوى السماء على البناء المفعول (والسجل) وزن التلّ والسجل بلفظ الدلو وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كيطوى الطومار للكتابة أى يكتب فيه أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم وقع على المكتوب ومن جمع فتمت المكتوبات أى لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذى يفسره (نعيد) والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كابدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء فى تناول القدرة لها على السواء (فإن قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كابدأه (قلت) أوله إجماعه عن العدم فكأ أوجده وألّا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فإن قلت) ما بال خلق منكراً (قلت) هو كقولك هو أول رجل جامد تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلاق لأن الخلق مصدر لا يجمع وجه آخر وهو أن يتعصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيد ومما وصولة أى نعيد مثل الذى بدأناه نعيد وأول خلق طرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصل الساقط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعداً) مصدر مؤكد لأن قوله نعيد عدة الإعادة (إنا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشئ رحمة الله عليه هـ زبور داود عليه السلام هـ والذكر التوراة وقيل اسم الجنس ما نزل على الأنبياء من الكتب والذكر كرم الكتاب يعنى اللوح أى ربهما المؤمنون بعد إجلاله الكفار كقوله تعالى أو أوثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قال موسى لقومه استمعوا لله وأصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنه هى أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة ربهما أمة محمد صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعود والوعيد المواعظ باللقوة البلاغ الكفاية وما يتلوه البنية أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لأنه جاء بما يستمدهم من أتبعوه ومن خالف ولم ينبع فأئما

هـ قوله تعالى كابدأنا أول خلق نعيد وعداً علينا إنا كنا فاعلين (قال فيه إن قلت ما أول الخلق حتى يعيده كابدأه قلت أول الخلق إجماعه عن العدم وكأ أوجده أولّا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت هذا الذى ذكره مهنا فى المعاد فعداه إلى الحق ورجع عاقله فى سورة مريم حيث فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة إلا آله كدبر صفاً اعترافه بالحق بفسيره قوله إنا كنا فاعلين بالقدرة على الفعل ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله نحو بما على أن الموعود به ليس إعادة الأجسام عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك ولكن إعادة الأجزاء على صورها مجتمعة مؤلفة على ما تقدم له فى سورة مريم إلا أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة أن الله ذكر ماضياً والإعادة وقوعها مستقبل فمعين عنده ثم حمل الفعل على القدرة فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لأن الأفعال المستقبلية التى علم الله وقوعها كالماضية فى التحقق فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضى فى مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والنقض الإيدان بتحقيق وقوعه والله أعلم

(قوله والسجل بوزن التلّ والسجل) التلّ التليظ الجافى وقال تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) والتلّ أيضاً الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين التلّ كذا فى الصحاح

فَإِنْ تَوَلَّوْا قُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ يَبْعِدُ مَا تُوْعَدُونَ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبُ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ ۚ وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فَتَنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۚ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۚ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۚ

أَنِّي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أَن يَجْعَلَ الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواسمهم بما شأها فيفلحوا ويقي ناس مفرطون عن السقي فيضيبوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفریقین ولكن الكسلان عنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للقهار من حيث أَن عقوبتهم آخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال ۚ إنما لقصر الحكم على شيء أولقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن (إنما يوحى إلى) مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيدو (إنما الحكم لله واحد) بمنزلة إنما زيد قائم وفائدة اجتماعها الدلالة على أَن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل أتم مسلوبون أَن الوحي الوارد على هذا السنن من وجب أَن تخلصوا التوحيد لله وأن تخلصوا الأنداد وفيه أَن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى أَن الذى يوحى إلى فتكون مأمومة ۚ آذن منقول من آذن إذا علم ولكنه كثر استعماله في الجرى مجرى الإنذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله ۚ وقول ابن حنبل ۚ آذنتنا بيننا أسماء ۚ والمعنى أَنى بعد توليك وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم يذرة فبذل لهم الهدى وشهر النبذ وأشاعه وآذنتهم جميعا بذلك (على سواه) أى مستوفين في الإعلام به لم يطوئه عن أحد منهم وكأشرف كلهم وقشر العصا عن لحائه (ما توعدون) من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت لأدري متى يكون ذلك لأن الله لم يعلني عليه ولم يطلني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاھرون به من كلام الطعانين في الإسلام و(ما تكتنمون) في صدوركم من الإحن والأحقاد للسلدين وهو يجازيكم عليه ۚ وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتع لكم (إلى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة ۚ قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و(رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم ورب احكم على أفعل التفضيل وربى احكم من الأحكام أمر باستعمال العذاب لقومه فعذبوا يدرى ۚ ومعنى (بالحق) لا تخافهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال أشد وطأنك على مضى ۚ قرئ (تصفون) بالناء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم ۚ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حسبه الله حسابا يسيرا وصالحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه في القرآن

(قوله ولكن الكسلان عن على نفسه) لعله عن بقاء معجزة قنن وفي الصحاح أخنى عليه الدهر أى أتى عليه وأهلكه (قوله وقد اجتمع المثالان في هذه الآية) لعله المثالان (قوله وقشر المصا عن لحائها) في الصحاح اللحاء ممدود قشر الشجر

سورة الحج مدنية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرْوُهَا تَدْفُلُ كُلُّ مَرْضَعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

(سورة الحج مكة)

غير ست آيات وهي هذان خصمان إلى قوله إلى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

ه الزلزة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها ه ولا تغلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الناعلة لما كانت هي التي تزلزل الأشياء على انجاز الحكي فتكون الزلزة مصدرا مضافا إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الطرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزة المذكورة في قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها واختلف في وقتها فمن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها ه أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة بصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحوها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى لباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفراع إلا أن يردوا به وروى أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق قراءهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرا أكثر باكي من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا بالسروج عن الدواب لم يضربوا الخيام وقت التزول لم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وبك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتدمل والضمير للزلزة ه وقرئ تدمل كل مرضعة على البناء للمفعول وتدمل كل مرضعة أي تدملها الزلزة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ه (فإن قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملققة ثديها الصبي والمرضع التي شأها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فتقبل مرضعة ليدل على أن ذلك المول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تدمل المرضعة من ولدها لتغير فطام وتضع الحامل مافي بطنها لتغير تمام ه قرئ (وترى) بالضم من أرينك قائما أو رؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأشبه على تأويل الجماعة ه وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جموع

(القول في سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزال الساعة شيء عظيم يوم ترونها تدمل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرارى وما هم بسكرارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحد الفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وكذلك هو في الآية

(سورة الحج)

(قوله وأن يضاعف زليل الأشياء) أي يكرر انحراف الأشياء وترجحها عن مواضعها وفي الصحاح تقول زلزلت يا فلان بالفتح زل زليلا إذا زل في طين أو متعلق

شَدِيدٌ • وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي آلِهَةٍ بَغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ • كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يَضِلُّهُ

وعطش في جوعان وعطشان وسكاري وبسكاري نحو كسالي وعجالي وعن الأعمش سكري وبسكاري بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكاري على التشبيه وماهم بسكاري على التحقيق ولكن ما رهمهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وودهم في نحو حال من يذهب السكر يطفله وتميذه وقيل وتراهم سكاري من الخوف وماهم بسكاري من الشراب (فإن قلت) لم قيل أولاً ترون ثم قيل ترى على الأفراد (قلت) لأن الرؤية أولاً علقت بالزلة لجعل الناس جميعاً راين لها وهي معلقة أخيراً يكون الناس على حال السكر فلا يذآن يجعل كل واحد منهم رانياً لسائرهم قبل زلت في النظر بن الحرت وكان جدلاً يقول الملائكة نبات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيها يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا بعض فيه بضرر فاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على الصفة فهو يخطف خبط عشواء غير طارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جملة ولياً له لم تضر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوة المتقين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقلمهم لطريق الحق حيث دوتوا الضلال تدويناً ولقنوه أشياءهم تلقيناً وكأهم ساطوه بلعومهم ودماهم وإيهام عني من قال :

ويارب مقفوا الخطاين قومه • طريق نجاة عندهم مستور • ولوقروا في اللوح ما خط فيه من • يا ذا عوجاج في طرفه عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضىته لملائكتك في سمواتك وأتيناك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين • • والكتبة عليه مثل أى كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه وزعم به لظهور ذلك في حاله • وقرئ أنه فأنه بالفتح والكسر فمن فتح فلا ن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه من كسر فعل حكاية المكتوب كاهو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كنت إن الله العليّ الحيد أو على أن كتب فيه معنى القول قول الحسن من البعث بالتحريك وظهيره الجلب والطردي والجلب والطردي كأنه قيل إن أرتبته في البعث فزيل ريبك أن تنظروا في بده خلقكم العلة قطعة الملم الجامعة والمضفة للهمة الصغيرة قدر ما مضى من الخلقه المسواة للمساء من التقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قوهم صخرة خلقه إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المصنغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقه أتملس

لقوله عما أرحمت فأخرج الصفة على الفعل والحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكاري وماهم بسكاري أثبت لم أولاً السكر المجازي ثم نفي عنهم السكر الحقيقي) قال أحمد والمداة يقولون إن من أدلة الجواز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فتفي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازي نفي الحقيقة أبلغ من نفي كذب البلاء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المهورد في شيء وإنما هو أمر لم يهدوا قلبه مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع إلى قوله وماهم بسكاري وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي كأنه قيل إذا لم يكونوا سكاري من الخمر وهو السكر المهورد فإذا هذا السكر القريب وما سبه فقال سبه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أنه قال هو الوقت الذي يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نفسى نفسى

(قوله من رأيتك قائماً أو رؤيتك قائماً) لعله أو رؤيت قائماً (قوله رؤساء أهل الأهواء) إن كان مراده أهل السنة كما هو عادة في الكتابة من التشيع عليهم فينفي مطالبته بالفرق بينهم وبين المعتزلة حتى استحقوا التشيع دونهم (قوله وكأهم ساطوه بلعومهم) خطوه (قوله عجزا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح) أى صاحوا (قوله هو كأنما كتب عليه هذا الكلام) لعله أى كأنما

وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَمِيرِ ۚ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَأَنَا خَلَقْتُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّفْلَةٍ
ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَاتٍ لِّكُمْ وَنَقَرُوا فِي الْأَرْحَامِ مَأْنَسًا ۖ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لْتَبْلُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَىٰ مِنْ بَرٍّ إِلَىٰ آرْذَلٍ ۚ الْعَمْرُ لِكَيْلَا يُعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا
وَرَبِّ الْأَرْضِ هَامِدَةً ۖ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ ۖ وَجَاءَ بِهَا نَارُ اللَّهِ ۖ وَرَبَّتْ
الْحَقُّ وَانْهَىٰ بَحْيِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ۖ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ فِي الْقُبُورِ ۖ

من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فينبغي ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصهم وإنما نقفناكم من حال إلى حال ومن خلقه إلى خلقه (لبيان لكم) بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر
على خلق البشر من تراب أولائم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينها
تباين طاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظما قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس
ورود الفعل غير معدى إلى المبين لإعلام بأن أفعاله هذه يبينها من قدرته وعمله مالا يكتنبه الذكر ولا يحيط به الوصف
وقرأ ابن أبي عمير لبيان لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ونخرجكم ويقر ونخرجكم بالنصب
والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقز (في الأرحام ما يشاء)
أن يقز من ذلك (إلى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سبعمائة أو أربع أو كاشاء وقدر ومالم
يشأ إقراره بجهه الأرحام أو أسقطه والنصب بالنصب لتلخيص معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدرج
لنرضين أحدكما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقز في الأرحام من نقز حتى يولوا وينشأ ويلفوا حد التكليف فأكلهم
ويبعد هذه القراءة قوله (ثم لنبينوا أشدكم) وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا
الأشد كال القوة والمقل والتمييز وهو من ألفاظ الجوع التي لم يستعمل لها واحد كالأسيدة والقنود والأباطيل وغير
ذلك وكأها شدة في غير شيء واحد فنبت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم
والخرف حتى يعود كهيئته الأولى أو أن طوفوته ضعيف البنية ضعيف العقل قليل الفهم بين أنه كافر على أن يرقه في
درجات الزيادة حتى يباينه حد التمام فهو قادر على أن يحيطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)
أي يصير نساء بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينسب أن ينسب ويذل عنه عليه حتى يسأل عنه من سألته يقول لك
من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألته عنه وقرأ أبو عمر والعمر يسكنون المم المم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة
ثانية على البحث وظهورها وكونها مشاهدة معانية كررها الله في كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ
ربأت أي ارتفعت ۖ السبع الحسن السار للناظر اليه ۖ أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع
ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن)
الله هو الحق) أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد

(قوله من ألفاظ الجوع التي لم يستعمل) الذي في الصحاح السد بالفتح واحد الأسد وهي العيوب (قوله لعلوا ولد
كالأسدة والقنود والأباطيل) مثل النسي والصم والبكم على غير قياس وكان قياسه سدود والقنود خدب الرجل وجمعه
قنود وأقناد والأباطيل ضد الحق والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطلا وفيه أيضا قوله تعالى (حتى يبلغ أشده)
أي قوته وهو واحد جاء على بنا الجمع مثل ذلك وهو الأمرب ولا نظير لها ويقال له جمع لا واحد له من لفظه مثل
أسال وأبابل وعباديد وملاكيد

وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۚ ثَانِي عَطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۚ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ الْعَبِيدِ ۚ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۚ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۚ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَعْمَةٍ لِبَئْسَ الْمَوْلَى وَلِبَئْسَ الْعَشِيرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد . عن ابن عباس أنه أبو جهل ابن هشام وقيل كركر كما كررت سائر الألفاظ . وقيل الأول في المتقدمين وهنا في المتقدمين . والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وتبي العطف عبارة عن الكبر والخيلاء . كخصير الخد وفي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه (ليضل) تلييل للجدالة قرئ بضم الياء وفتحها (فإن قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال (قلت) لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا لتركه أعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه يوم بدر من الضار والقتل والسبب فيما عني به من خزي الدنيا وهذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعملته في معاقبة الفجار وإثابة الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لاقى وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لاعلى سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من المسكر فإن أحس بطفر وغيمه فزواطمأن والإقترطار على وجهه ، قالوا نزلت في أعارب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صم بدنه وتجت قرسه مهرس ياولدت أمرأته غلاما سويا وكثير ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا أو طمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا أو انقلب ومن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشامم بالإسلام فأقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألقى فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت . المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يستخط الله جامع على نفسه محتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ غامر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف . استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعد في التيه ضالا فظالت وبعدت مسافة ضلاله (فإن قلت) الضرر والنفع متباينان عن الأسماء متباينان لما في الآيتين وهذا تناقض (قلت) إذا حصل المعنى ذهب هذا الوم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه بعيد حمادا لا يملك خيرا ولا نقما وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستفتح به حين يستفتح به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استنصاره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاهما لها (لمن ضره أقرب من نعمة لبئس المولى ولبئس العشير) أو كركر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا ينصره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره يكونه معبودا أقرب من نعمة يكونه شفعيا لبئس المولى وفي حرف عبدالله من ضره بغير لام ه المولى الناصر ، والعشير صاحب كقوله فبئس القرين ه هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلاف ذلك ويقطع فيه ويتيقنه أنه يظفر بظلمه فليستعصم وسمه وليستفرغ بجهوده في إزالة ما ينفظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه النقط كل مبلغ حتى مد جلا إلى سماء بيته فاختق فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي ينفظه

جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ • مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِطُّ • وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُنَبِّئُ
وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَتَوْا
إِنَّ اللَّهَ بِفَصْلٍ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

• وسمى الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاربه ومنه قيل للهر القطع • وسمى فعله كيداً لأنه وضعه موضع
الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب بحسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا
ماليس بذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بجبل إلى السماء المظلة وليصمد عليه فليقطع الوحى أن ينزل عليه وقيل كان
قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنفهم على المشركين يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرين من المشركين
يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت • وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تتال إلا
بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غايه الجزع وهو
الاحتناق فإن ذلك لا يلبث القسمة ولا يردّه مرزوقاً • أى ومثل ذلك الإزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) (لأن
الله يهدي) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيناً • الفصل مطلق يحتمل
الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جيباً فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل
الآداب خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئين مع النصارى لأنهم نوع منهم وقيل بفصل بينهم يقضى
بينهم أى بين المؤمنين والكافرين وأدخلت أن على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

إِنَّ الْخَلِيفَةَ أَنَّ اللَّهَ سَرِيه • سَرِيَالٌ مَلَكٌ بِهِ تَرْجَى الْحَوَاتِمِ

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدييره وتسخيرها له تشبيهاً لمطاوعتها بإدخال
أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذى كل خضوع دونه (فإن قلت) فما تضع بقوله (وكثير من
الناس) وما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على الملقى الذى فسره به لا يسجد به بعض الناس دون بعض
والثانى أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنسان والجن أولاً فاستند إلى كثير منهم آخرأ
منافضة (قلت) لأنظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجدأى
ويسجد كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذى هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن
اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر مخوف وهو مناب لأن
خبر مقابلة يدل عليه وهو قوله حق عليه المذاب ويجوز أن يحمل من الناس خبراً له أى من الناس الذين هم الناس
على الحقيقة وهم الصالحون والمفتون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالمذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم
بحق عليهم المذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم المذاب • وقرئ حق بالضم وقرئ حقاً أى حق عليهم
العذاب حقاً • ومن أماته الله بأن كتب عليه الشفاعة لماسبق في قلبه من كفره أو فسقه فصدق بها أن تجده له مكرماً

(قرله ومنه قيل للهر القطع) أى تابع النفس أماته الصحاح (قرله من كفره أو فسقه فصدق بها) مبنى على أن
الفاسق واسطة بين المؤمن والكافر وأنه يخلد في النار كالكافر وهو مذهب المعتزلة والحق عند أهل السنة أنه مؤمن وإن
دخل النار يخرج منها بالشفاعة أو بمجرد فضله تعالى

وَمَنْ يَنْ أَفْهَ قَالَ لَهُ مِنْ مُكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ . هَذَا خَصِيَانِ اخْتَصَمُوا فِي رِبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصَرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَغَلُّوا الصَّلَاحَتِ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْثُوا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً السَّكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ يَلْحَاقْ بِهِ ظَلْمٌ نُذِفَ مِنْ

وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه (فعل ما يشاء) من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين . الحميم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان خصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا ولوقيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى أهل الأديان الستة (فربهم) أى في دينه وصفاته وروى أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرت به ثم حسداً فهدوهم في ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى «إن الله يفصل بينهم يوم القيامة» وفي رواية من الكسائي خصمان بالكسرة وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر ثم ييرانا على مقادير جهنم فتشمل عليهم كاتقطع الثياب الملوثة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك التيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرايلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنه لوسقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يصر) يذاب عن الحسن بتشديد الهاء للبالغة أى إذا صب الحمم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أحشاهم وأمعادهم كما يذيب جلودهم هو أبلغ من قوله وسقوا ماء حيا قطع أمعادهم ، والمقامع : السياط . في الحديث : لو وضعت قمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أفلحوا . وقرأ الأعمش رذوا فيها والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سمين خريقاً (و) قيل لم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق النظيف من النار المنتشر العظيم الإهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال (ولوثوا) بالصب على ويؤتون لوثوا كقوله وحوراً عينا ولوثوا بقلب الهزمة الثانية وأروا ولوليا بقلبيها ولون ثم قلب الثانية ياء كأدل ولول كأدل فيمن جز ولولوا وليبا بقلبيها ياء عن ابن عباس وهما الله وأهمهم أن يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهما إلى طريق الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويعيش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والشفقة في جميع أزمته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أى الصدود منهم مستمداً (للناس) أى الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضرو باد وناقى وطارئ ومكى وآفاقى وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها وعند الشافعى لا يمتنع ذلك وقد حاور يحيى بن راهبه فاحتج بقوله الذين أخرجوا

(قوله من حليت المرأة فهي حال) الذى في الصحاح حليت المرأة أى صارت ذات حلى فهي حلية وحالية
(قوله بين حاضرو باد وناقى وطارئ) في الصحاح تأت بالبد تنوءاً فظنته والناقى من ذلك

عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْئٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ ۚ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۚ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

من ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكمها أو غير مالكمها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار السجمن من مالكمه
أو غير مالكمه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقرن على الرفع ووجه النصب أنه ثانی مفعول جملة أي جعلناه مستويا
(الما كفي في الباد) وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثانٍ الإلحاد المفعول عن قصد وأصله إلحاد الحافر وقوله (إلحاد بظلم)
حالان مترادفتان ومفعول برمتوك ليقول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن قصد ظالم (نذقه من عذاب
أليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما بهمه به ويقصده وقيل الإلحاد
في الحرم منع الناس عن عمرته وعن سعيه في جدير الاحتكار وعن عطاءه قول الرجل في المأبأة لا والله بل والله وعن عبد الله
ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يأبأ أهله عاتبهم في الحل فليل قليل له فقال
كنا نخشى أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله بل والله فقرأ يردفتح الباء من الورد ومعناه أن في فيه إلحاد ظالم
وعن الحسن ومن يرد إلحاده بظلم أراد إلحاداً فيه فأضافه على الاتساع في النظر ككر الليل ومعناه من ردد أن يلحد فيه ظالم
وخبر إن عذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم
وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنباً ۚ وإذا ركن حرجنا (إبراهيم مكان البيت)
مأبأة أي مرجعاً يرجع إليه للمأبأة والعبادة ورفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حراء فأعلم الله إبراهيم مكانه
بريح أرسلها يقال لما الحجوج كنتس محولة فبناء على أنه القديم ۚ وإن هي المنسرة (فإن قلت) كيف يكون النبي عن
الشرك والأمر بظهر البيت تفسيراً للتبوة (قلت) كانت التبوة مقصودة من أجل العبادة فكانه قيل تعبدنا لإبراهيم فلما له
(لا تشرك في شيء أو طهر بیتی) من الأصنام والأوثان والأقدار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالله أي التبية (وأذن في الناس)
ناديهم وقرأ ابن محيصن وأذن النداء بالحج أن يقول حجوا وعليكم بالحج وروى أنه صدقاً ما يقيس فقال يا أيها الناس حجوا
بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الودع (رجالاً) مشاة جمع
رجال كقائم وقيام وقرئ رجالاً بضم الراء مخفف الجيم ومثله ورجال كجبال عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال
مقطوعة على حال كأنه قال رجالاً وربكنا (يأتين) صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال
والركبان والعريق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بش بعيدة العمق والمحق نكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه
العبادة دينية ودينية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفضل بين العبادات قبل أن يحج
قلبا حجاً فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكفى عن الحر والذبح يذكر اسم الله لأن
أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا تحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الفرض الأصلي فيما يقرب به إلى أن يذكر
اسمه وقد حسن الكلام تحسبنا بينا أن جمع بين قوله لينذركوا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام
معلومات بسملة الأنعام لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة ۚ الأيام المعلومات أيام المشرعة أبي حنيفة وهو قول الحسن
وقادة وعند صاحبه أيام البحر البهيمية مهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن
والهزء ۚ الأمر بالأكلمها أمر بإباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسايتهم ويجوز أن يكون ندباً لما فيه من
مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استمال التواضع ومن نعمة استحباب الفقهاء أن يأكل الموسع من أخصيته مقدار الثلث وعن
ابن مسعود ما بهت يهدي وقال فيه إذ نحرته فكل وتصدق وأبعث منه إلى عتبة يعني في الحديث كلوا أو اذبحوا واتحروا

(قوله من الأصنام والأوثان والأقدار) في الصحاح الوزن الصنم (قوله بعيدة العمق والمحق) في الصحاح الحق قلب العمق
والإمحاق مثل الإعماق وهو ما بعد من أطراف الخافز (قوله كلوا أو اذبحوا واتحروا) الظاهر أن المراد أطباق الأجر بالصدقة

لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آيَاتٍ مُّغْلُوبَةٍ عَلَىٰ مَارِزِهِمْ مِّنْ هِمَّةٍ الْآنَ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّاسِ
الْقَوِي ۖ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ذَٰلِكَ وَمِنْ عِظَمِ حُرْمَةِ اللَّهِ فَهُوَ
خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْآنَ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

(البائس) الذي أصابه بؤس أى شدة و (الفقير) الذى أضاعه الإفساد قضاء الفت: قص الشارب والأغفار وتفت الإبط والاستعداد، والتفت الوسخ فلما رد قضاء إزالة الفت وقرئ وليوفوا بقصدية العالم (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى يندرونه من أعمال البر في حجهم (وليطوفوا) طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقبل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قيادة أئمة من الجبابرة كم من جبار سار إليه ليدمه فنهه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أئمة من الفرق وقيل بيت كريم من قوم عتاق الخيل والطير (فإن قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يتبع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وإنما غنص بابان الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناء وما قصد التسلط عليه بأربعة قمل بما فعل (ذلك) خبر مبتدأ يحذف أى الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكتاب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الحوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل حكمة وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فبأي تعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أى القاطن خير له ومعنى التعميم العلم بأنها واجبة المراقبة والحفظ والقيام بمرعاتها المأخوذ لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى (إلا ما ينال عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمغنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه لحفظها على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا كتحریم عبدة الأوثان البهية والسائمة وغير ذلك وأن نحلوا ما حرم الله كالحلالم أكل الموقوفة والميتة وغير ذلك ما لماسك على تعظيم حرمانه وأحد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفى الشرك عنه هو صدق القول أعظم الحرمات وأسفها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قرآن واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتباده في القبح والسجاسة وما ظلك بشيء من قبله عبادة الأوثان وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجنبونه فليكن أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك الفرة وبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل الله في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الأوثان) بيان للرجس وتمييزه كقولك عندى عثرون من الدرهم لأن الرجس منهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الإفك من كسفه إذا صرفه وقبل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من اقترانهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب البهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تليتهم ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك يجوز في هذا التشبيه أن يكون

• قوله تعالى ومن بشرک باقہ فکأنما خز من السماء فخططه الطیر أو تهوی به الريح في مکان محیق (قال) يجوز في

(قوله وأحمد من يعظمها) في الصحاح أحمدته وجدته محمودا موافقا مرضيا

حُفَاةً لَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَلَّفَهُ الطُّيَرُ أَوْ هَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۚ ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظَمُ شَعْرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۚ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختلطته الطير ففرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطالوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسما والذى ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التى توزع أفكاره بالطير المختلفة والشيطان الذى يطوح به في وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض الماهوى المتلفة ۚ وقرئ فاختلطه وبكسر الحاء وبكسر التاء مع كسرهما وهى قراءة الحسن وأصلها تختلطه ۚ وقرئ الرياح ۚ تعظم الشعائر وهى الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حساما ممانا غالية الأثمان ويترك المكاس في شراؤها فقد كانوا يتناولون في ثلاث ويكوهون المكاس فيهن الهدى والأخمية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أنه أهدى نجيعة طلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله

هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختلطته الطير فصورته مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطالوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسما والذى ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الأهواء التى توزع أفكاره بالطير المختلفة والشيطان الذى يطوح به في وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض الماهوى المتلفة (قال أحمد) أما هل تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالماهى من السماء إلى التنبه على أحد أمرين إما أن يكون الإشراك المراد رده فانه حينئذ كمن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده وإما أن يكون الإشراك أصليا فيكون قد عد تمكن المشرك من الإيمان ومن الدلو به ثم عدوله عنه اختارا بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى ووالذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات فندم خرجين من النور وما دخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا وفي تقريره تشبيه الأفكار المنوزعة للكفار بالطير المختلفة وفي تشبيه تطويع الشيطان بالماهى مع الريح في مكان صحيح نظر لأن الأمرين ذكرا في سياق تقسيم حال الكافر إلى قسمين فإذا جعل الأول مثلا لاختلاف الأهواء والأفكار والثاني مثلا لنزع الشيطان فقد جعلهما شيئا واحدا لأن توزيع الأفكار واختلاف الأهواء مضاف إلى نزغ الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذى يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك فتقول لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما الأول منهما المذبذب المتماذى على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن اختلطته الطير وتوزعته فلا يستولى طائر على مزعة منه إلا انتهت منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال لإلتائمه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لونه بالمنشأ لم يكع ولم يرجع لاسيل إلى تشكيكه ولا مطمح في نقله عما هو عليه فهو فرح بمتيج ضلاله فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى الد سافل فاستقر فيموظن تشبيهه بالاستقرار فى الوادى السحيق الذى هو أبعد الأبناء عن السما وصف ضلاله بالبعد قوله تعالى وأولئك في بعيد، ووضوا ضلالا بعيدا أى سمو على ضلالهم فيعبر جوعهم إلى الحق فهذا تحقيق التقسيم وإياه أعلم

(قوله ففرق مزعا في حواصلها) مفردة مزعة بالضم أى قطعة لحم كافى الصحاح والمطالوح المقاذف وطاح بطوح ويطيح هلك وسقط وطوحته الطوايح فذته القواذف كذا في الصحاح أيضا

عَلَيْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَسَكَاً لِّذِكْرِهِمْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ حَيْمَةٍ الْأَنْعَمِ فَلْيُنَبِّئْهُمُ
إِلَهُ وَحْدَ فَلْهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيسِي
الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالْبَدَنَ جَمَعْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَاطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ نَحْنُ نَهَا لَكُمْ لِمَلِكُمْ تَشْكُرُونَ ۝

صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيما جعل في آفة جبل في آفة برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن بمجلة بالقباطي فيصدق
بلحومها ويجلاها ويمتد أن طاعة الله في التقرب بها وإعدادها إلى بيته المظم أمر عظيم لابد أن يقام به ويسارع فيه
(فإنها من تقوى القلوب) أى فإن تعظيمها من أفعال قوى تقوى القلوب لحذفت هذه المضاعفات ولا يستقيم المعنى إلا
بتقديرها لأنه لابد من راجع من الجراء إلى من يرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكر التقوى التي إذا ثبتت
فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء (إلى أجل مسمى) إلى أن تحر وتصدق بلحومها ويؤكل منها (ثم)
الترخي في الوقت فاستمرت للترخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يعتد
الله بالمنافع الدينية قال سبحانه يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً في الفع
(عجلها إلى البيت) أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة المراد
نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما
شارفوه وانصل مسيركم بمجوده وقيل المراد بالشمات المناسك كلها وعجلها إلى البيت العتيق بإياه ۝ شرع الله لكل أمة
أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل الملة في ذلك أن يذكر اسمه تقديس أسماؤه على النساك ۝
وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النساك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أى أحلصوا
له الذكر خاصة وأجملوه لوجهه سالماً أى خالصاً لا تشوبه بإشراك الخبثون المتواضعون الخاشعون من الخشوع وهو
المطعم من الأرض وقيل هم الذين لا يظنون وإذا ظلوا لم ينتصروا وقرأ الحسن (والمقيس الصلاة) بالنصب على
تقدير التوب وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل (البدن) جمع بدنة سميت لمطعم بدنها وهى الإبل خاصة
ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة لجعل البقر في حكم
الإبل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنين عند أى حنيفة وأصحابه وإلا فالبدن هى الإبل وعليه تدل الآية وقرأ
الحسن والبدن بضمين كشر في جمع ثم قرأ ابن عباس في بفتح الضمير تشديد البدن على لفظ الوقوف وقرأ بالنصب والرفع كقوله
والقر قدر نام (من شماتة) أى من إعلام الشريعة التي شرعها الله إضافة إلى اسمه تعظيم لها (لكم خير) كقوله لكم فيها منافع
ومن شأن الحاج أن يمر على شيء فيه خير ومنافع يشهدها الله عن بعض السلف أنه لم يملك إلا لاسعة دنائير فاشتري بها بدنة فقيل له
في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخره وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهرها ركبو من احتاج إلى لبها
شرب وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك (صواف) قائمات قد
صفغن أيدين وأرجلهن وقرأ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف
سنبك لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرأ صوافى أى خوافى لوجه الله وعن عمرو بن عبد صوافنا بالتوب هو ضاً
من حرف الإطلاق عند الوقوف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها يسكن اليا وجوب الجانب وقوعها على

(قوله بمجلة بالقباطي) في الصحاح القبط أهل مصر والقطيلة ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر والجمع قباطي

(قوله وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب) لعله صواف بالسكون

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمًا وَمَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ
وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۚ أَذُنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ
ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۚ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ

الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط ووجب الشمس وجبة غربت والمضى فإذا وجبت جنوبها وسكنت ناسها حل لكم
الأكل منها والإطعام (القانع) السائل من قمت إليه وكنت إذا خضعت له وسألته قوما (والمعتر) المعترض بمنزلة
سؤال أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قمت قمأ وقاعة والمعتر المعترض بسؤال وقرأ
الحسن والمعترى وهزه وعراه واعتراه واعتزله بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فوقنع وقانع ۚ من
الله على عباده واستحمد إليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلوا يأخونها منقادة للأخذ طاعة فيقولونها
ويحبسونها صاعة قوائها ثم يطعنون في لبانها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر
منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة ۚ أى لن يصيب رضا الله اللوم المصدق بها ولا الدماء
المهركة بالحر والمراد أصحاب اللوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمعتزون بهم إلا بمرعاة النية والإخلاص
والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورد فإذا لم يرها ذلك
لم تنفع عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم وقرئ لن تال الله ولكن تاله باتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية
إذا نحرروا البدن فضحوا الله ماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فزلت ۚ كررت كبر
النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتولوا فاختصر الكلام
بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ۚ خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لم يكافأوا بالنصر رسلنا والذين
آمَنُوا وقال إنهم لم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل الملة في ذلك أنه لا يحب أصدقاءهم
وهم الحوثة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله وينمطونها ومن قرأ بدافع فغناه
يبلغ في الدفع عنهم كما يبلغ فيه يغالب فيه لأن فعل المغالب يحى أقوى وأبلغ ۚ أذن ويقاثلون قرنا على لفظ المعنى
للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لم فى القتال لحذف المأذون فيه دلالة يقاثلون عليه (بأنهم ظنوا) أى بسبب كونهم
مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال حتى ما جرفا نزلت
هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما منى عنه فينبى وسبى آية وقبل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين
فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم ۚ والأخبار بكونه قادرا على نصرهم مدة منه النصر واردة على سنن كلام
الجابرة وامر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه المدة أيضا (أن يقولوا) فى فعل الجز على الإبدال من حق أى
بغير موجب سوى التوحيد الذى يبنى أن يكون موجب الإقرار والتكفين لا موجب الإخراج والتسديد ومثله هل
تفصون منا إلا أن آمنّا بالله ۚ دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسلطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا
ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمتهم وعلى معتباتهم هدموها ولم يتركوا التصارى بيما ولا لربها بهم
صوامع ولا للبيوت صلوات ولا للسليبين مساجد أولئك المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى
أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا معتبات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسبى الكنيسة صلاة لأنه

(قوله وسكنت ناسها) فى الصحاح التسمية والنسيب الإيكال بين الناس والناسئ النائم والنسيب بقية الروح
وفيه أيضا الإيكال بين الناس السعى بينهم (قوله وينمطونها) أى يخفونها

أَنَّ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَدًى وَبَعْضٌ لِّبَعْضٍ ضَلَالٌ وَبِيعَ وَصَلَتْ وَمَسَّجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ ۝ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ
وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَحْبَبَ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ غَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَثِرُ مَغْطَلَةٌ وَفُصِّرَ مَشِيدُهُ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالبرانية صلواتا (من ينصره) أى ينصر دينه وأوليائه هو أخبار من الله عز وجل
بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم أن مكنتهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون
بأمر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاد يريد أن الله فدأتني عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا
وقالوا به دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكن وتخاذل الأمر مع السيرة المأدلة غيرهم من المهاجرين
لاحظ في ذلك للأصناف والطلقات وعن الحسن مائة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من
ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (والله عاقبة الأمور) أى مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما
وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليلا له لست بأوحدى في التكذيب
فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفأك بهم أسوة (فإن قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت)
لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب
كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فاسطك بنيره ۝ التكبير بمعنى الإنكار والتعظيم
حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعلمة خرابا ۝ كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم
فهو عرشه ۝ والحاوى الساقط من حوى النجم إذا سقط أو الحائل من حوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل
وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بجاويزة فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خربت سقوفها على الأرض
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو عالة مع بقاء عروشها وسلطانها وإنما أن يكون خبراً بعد
خبر كأنه قيل هي عالة وهي على عروشها أى قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت
في قرار المحيطان وبقيت المحيطان مائلة فهي مشرقة على السقوف الساقطة (فإن قلت) ما محل الجنتين من الإعراب أى
وهي ظالة فهي غاوية (قلت) الأولى على نصب على الحال والثانية لاعل لما لانها مطوقة على أهلكتها وهذا الفعل
ليس له محل قرأ الحسن مطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المطلة أنها عامرة فيها الماء ومعه آلات الاستقاء إلا أنها

ه قوله تعالى قد كذبت قلوبهم إلى قوله وكذب موسى فأملت للكافرين ثم أخذتهم (قال فإن قلت) لم قيل وكذب موسى
ولم قيل وقوم موسى بدون تكرار التكذيب قلت لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط أولان
آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكانت (قال وكذب موسى أيضا على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندي والله أعلم
أنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم يمتد إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن
تكرره لئلا يظن أنه فاعل تكذيبهم في فصل السبب بالسبب كما قال في آية ق بعد تدميد كل كذب الرسل وخفى وعده فربط العقاب

(قوله مع بقاء عروشها وسلاها) السلام الحجارة واحدها سلة بكسر اللام أعاده الصحاح (قوله وبقيت المحيطان مائلة)
أى متصبية قائمة أعاده الصحاح

الْأَرْضَ فَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ وَيَسْتَعْبِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ۚ
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَيْتَ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا إِلَى الْمَصِيرِ ۚ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ

عطلت أى تركت لا يستقي منها هلاك أهلها والشيد المخصص أو المرفوع البيان والمعنى كقربة أهلكتنا وكى بئر عطلتنا من
سقاتها وقصر مشيداً غليانه عن ساكنيه ترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمنى مع أوجه
روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف قر من آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت
وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حين حضر ما ماتت وفتحة بلدة عند البئر اسمها حاضروا بهاها قوم صالح وأقروا عليهم جلس
ابن جلاس وأقاموا بهازماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله وعطل
بئرم وخزب قصورهم يحمل أنهم لم يسافروا اختوا على السفر ليرى مصارع من أهلكتهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجلوا كأنهم لم يسافروا ولم يروا وقرئ (فيكون لهم قلوب)
بالباء أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (ظناً) الضمير ضمير الشأن والنقصة
يجى مذكراً ومؤثراً وفي قراءة ابن مسعود فإنه يجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسره (الابصار) وفي معنى ضمير راجع إليه
والمعنى أن ابصارهم صحيحة سالمة لا عي بها وإنما المعنى بقلوبهم أو لا يتدبى ابصار فكأنه ليس يعنى بالإضافة إلى عي
القلوب (فإن قلت) أى فائدة في ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعورف واعتقد أن المعنى على الحقيقة مكانة البصر وهو أن
تصاب الحنطة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استمارة ومثل فلان أريد أنبات ما هو خلاف المعتد من نسبة المعنى
إلى القلوب حقيقة وفيه عن الابصار احتاج هذا التصور إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليقترن أن مكان المعنى هو القلوب
لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه اللسانك الذى بين فكيك قهولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيت لسانه
وثبت لأن عمل المضاء هو ولا غير وكأنك قلت ما نيت المضاء عن السيف وأثبت لسانك فلتة ولا سهواً منى ولكن تعددت
به إياه بعينه تسمى أكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الأجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون
القوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليعينهم ولو بعد حين
وهو سبحانه حليم لا يجل ومن حله وقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوماً واحداً عنده كآلف سنة عندكم وقيل
معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول الألف سنة من سنينكم لأن أيام الشدة تستطال أو كأن
ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كآلف سنة من سن العذاب وقيل وإن يخلف الله وعده في النظر في الإهمال وقرئ تعدون بالثاء
والباء ثم قال وكى من أهل قربة كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والرجع إلى وإلى حكى
(فإن قلت) لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الأولى وقت بدلا عن قوله فكيف كان نكيره
وأنا هذه لحكمها حكم ما تهتمها من الجنتين المعطوفين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عنده كآلف سنة
سنة يقال سميت في أمر فلان إذا أصلحه أو أفسده بسميه وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب إنجاز الآخر
عن الحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سوا في معناها بالنفس من الطعن فيها حيث سموها سمراً وشعراً وأساطير

والويد وصلهما بالكذب بعد أن جدد ذكره واقفاً علمه قوله تعالى وإن يوماً عند ربك كآلف سنة تعنون (قال
فيه إنذار يحل الله تعالى وقاره واستقصاره الأمد الطويل حتى إن يوماً واحداً عنده كآلف سنة) قال أحد الوفاة القرون
بالخلف فيهم لثة السكون وطمأنينة الأعضاء عند المزعجات والآناة والتؤدة ونحو ذلك كما لا يطلق على الله تعالى الإبتزيف
وأما الوفاة في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فقد فسر بالمظنة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُجْرِمِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدٍ الْغَايَةِ آمِنٌ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

ومن يسيط الناس عنهما يقين أو مساقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتهم (فإن قلت) كان القياس أن يقال
إنما أنا لكم بشيرو نذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق إلى المشركين وبأبنا الناس نداهم وهم الذين قيل فيهم
أفلم يسيروا في الأرض ووصفوا بالاستعجال وإنما أقبح المؤمنون وتوابعهم ليغافروا (من رسول ولا نبى) دليل بين
على تقارير الرسول والتي وعن التي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء قال مائة ألف وأربعون ألفاً وعشرون ألفاً فكم الرسل
منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جماعة غيراً والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والتي غير
الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما أعرض عنه قومه مشاوقه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تبنى لفرط حنجره من إهراهم ولحرصه
وتهاكك على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستزالهم عن غيهم وهادهم فاستمر به
ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادى قومه وذلك التنى في نفسه فأخذ يقرؤه ها هنا بلغ قوله وحاشا الثالثة الأخرى
(التي الشيطان في أميته) التي تنهاها أى وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والنطق إلى أن قال تلك الفرائق
العلل وإن شفاعتهن لتعجز وروى الفارقة ولم يفتن له حتى أدركته العصمة فتنه عليه وقبل نه جبريل عليه السلام وأتكم
الشيطان بذلك فأعماه الناس فلما يجد في آخرها يمدده جميع من في النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك
عنة من الله وابتلاء زاد المناقون به شكوا وظلة والمؤمنون نوراً وإيقاناً والمخفى أن الرسل والأنبياء من قبل كانت مجرام
كذلك إذا آمنوا مثل ما تميت مكن الله الشيطان ليلقى في أمانهم مثل ما ألقى في أميتك إرادة امتحان من حولهم واقصبعانه
له أن يمتحن عباده بما شاء من صوف الخن وأنواع الفتن ليضعف ثواب الثابتين ويريد في عقاب المذبذبين وقبل تمى
قرأ وأفند :

تمى كتاب الله أول ليلة * تمى داود الزبور على رسل

وأمنته قراءته وقيل تلك الفرائق إشارة إلى الملائكة أى هم الشفعاء لا الأصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب
به ويطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها . والذين (في قلوبهم مرض) المناقون وبالشاكرون (والقاسية قلوبهم) المشركون
المكذبون (وإن الظالمين) يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم
بالظلم (أنه الحق من ربك) أى يعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة (وإن الله هادى الذين
آمَنوا إلى) أن يأثروا ما ينشأ به في الدين بالآيات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذى تقتضيه الأصول المحمكة
والقوانين الممهدة حتى لا تلتصقهم حيرة ولا تترتبهم شبه ولا تزل أقدامهم وقرئ هادى الذين آمنوا بالتونين . الضمير
في (مرية منه) للفرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم . اليوم القيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالقيم لأن أولاد
النساء يقتلون فيه فيصرون كأنهم عقم لم يلدن أولاداً المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالقيم
على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا يخفى به فالديع عقم إذ لم تنشئ مطراً ولم تلحق شجراً وقيل لامتله في عظم أمره لقتال الملائكة
عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقتضاته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة

أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ۚ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَيَاتِهِمْ ۚ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۚ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۚ لِيُدْخِلَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَانِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۚ ذَلِكَ
وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَمَفْعُودٌ ۚ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۚ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ الْبَاقِي الْكَبِيرُ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخَسَّبُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۚ

وكانه قيل حتى تأتهم الساعة أو تأتهم الساعة أو تأتهم الساعة أو تأتهم الساعة (فإن قلت) التورن في يومئذ عن أي
جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مرئهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في قرية منه حتى تأتهم
الساعة لما جمعهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل فضلائه
وإحساناً به والله علم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تخطيط المفرد منهم بفضلهم وكرمه روى أن طوائف
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يا بني الله هؤلاء الذين قتلوا قد علنا ما أعطاهم الله من الخير
ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إننا نمتاعك فأول الله هاتين الآيتين ۚ تسمية الابتداء بالجاء الملازمة لمن حيث
أنه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون الظنير على الظنير والتميز على التميز للابسة ۚ (فإن قلت) كيف طابق ذكر
الغفور والغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الإخلال بالعقاب والغفور عن الجاني على
طريق التنزيه لا التحريم ومنسوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن أثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه حين لم يؤثر
ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تغفوا أقرب للتقوى ولما صبر وغفر
إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لغفور غفور أي لا يلومه على ترك ما بهت عليه وهو ضامن لنصره في كونه الثانية من
إخلاله بالغفور وانتقامه من الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من
الغفور ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دلل بذكر الغفور والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالغفور
إلا القادر على ضده (ذلك) أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ۚ ومن آيات قدرته البالغة أنه (يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل) أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيها على أيدي عباد من الخير والشر
والبقي والإنصاف وأنه (سميع) لما يقولون (بصير) بما يفعلون (فإن قلت) مامعنى إيلاج أحد المولى في الآخر
(قلت) تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بضيوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطولوعها كما يضيء السرب
بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ۚ وقرئ (تدعون) بالياء والياء
وقرأ الجاني وإن ما يدعون بلفظ لبنى للفعول والواو راجعة إلى مالاته في معنى الآلهة أي ذلك الوصف يخلق الليل
والنهار والإحاطة بما يجري فيها وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت لهيته وإن كل ما يدعى لها دونه
باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً ۚ قرئ (مخضرة) أي ذات خضر على فاعلة بكلفة ومسببة
(فإن قلت) هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع (قلت) لنسكته فيهمى إعادة بقاء أثر المطر زماناً ما بعد زمان

(قوله كما يضيء السرب بالسراج) السرب بالفتح الطريق والسرب بالتحريك يبت في الأرض أفاده الصحاح
(قوله بسبب أنه الله الحق الثابت) لعله أن الله كبرياء النقي

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَاحُ
يَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَفِيقٌ رَحِيمٌ ۚ وَهُوَ
الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ثُمَّ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ۚ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۚ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ

كما قول أنتم على فلان عام كذا فأروح وأغدوشا كراهه ولولت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (فإن قلت) فإله
رفع ولم ينصب جوا بالاستفهام (قلت) لوصف لأعلى ما هو عكس الفرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب
إلى نفي الاخضرار مثاله أن قول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبتك فأنك تاف لشكره شك تفریطه
فيه وإن رفعت فأنك مثبت للشكر وهذا مما يجب أن يرغب له من اسم العلم في علم الإعراب وتوقيه أهله (لطيف)
وأصل علمه أوفضله إلى كل شيء (غيره) بمصالح الخلق ومنافعهم (ما في الأرض) من البهائم مذلة للركوب في البر ومن
المرأى جارية في البحر وغير ذلك من سائر المستغرات ۚ وقرئ (والفلك) بالرفع على الابتداء (أن تقع) كراهة أن
تقع (إلا) بمعنى (أجاءكم) بعد أن كنتم جادا تريا ونطفة وعطفة ومضنة (لكفور) لوجود لما أفاض عليه من
ضروب النعم ۚ هو نبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تنفك إلى قولهم ولا تمنكهم من أن ينازعوك أو هو
زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى
أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ما قمتم ولأننا نكون ما قتل الله
يعنون الميتة وقال الزجاج هو نبي له صلى الله عليه وسلم عن منازعهم كما قول لا يضاربك فلان أي لا تضاربه
وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين (في الأمر) في أمر الدين وقيل في أمر النساءك وقرئ فلا ينزعك
أي أثبت في دينك ثباتا لا يطعمون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم بما يبيح
حريمه ويهلب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدك عن آيات الله ولا تكون من المشركين فلا تكون ظهير للكافرين
وهيات أن ترتع حمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التبيح
والإلهاب وقال الزجاج هو من نازعته قهرته أنزع أي غلبته أي لا يظنك في المنازعة ۚ (فإن قلت) لم جاءت
لفظة هذه الآية مطبوعة بالواو وقد نزع عن هذه (قلت) لأن ذلك وقعت مع ما بدانيها ويناسبها من الآي الواردة
في أمر النساءك فطقت عل أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد من معناها فلم تجد مطعفا ۚ أي وإن أبوا للجاهم
إلا المجادلة بعد اجتihadك لأن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون
عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإلذار ولكن يرفق ولين (الله يحكم بينكم) خطاب من الله للمؤمنين
والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبي صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه

• قوله تعالى وإن جادلوك قل الله أعلم بما تعملون (قال في معناه أن الله عالم بالذات لا يتغير عليه تعلم معلوم) قال
أحمد وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميلة القرآن ما لا يحتمله فإن العلم في اللغة ذوالعلم الزائد المفضل على علم غيره
فكيف يفسر بما ينفي صفة العلم البتة هو أن الأدلة العقلية لا وجود لها والله الموفق للصواب

(قوله فإن قلت لم جاءت لفظة) هي قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا لذكروا اسم الله الخ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۚ
وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَبْتَغِ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذُكِّرُوا نَارُوعَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسُ الْمَصِيرُ ۚ يَأْسِهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ
فَأَسْمَعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا
لَا يَسْتَفْعِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ ۚ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۚ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

ما يميلون ومعلوم عند العلماء باق أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في الوح قبل حدوثه ۚ
والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه (يسير) لأن العالم الذات لا يتبدل عليه ولا يتبع تعلق بمعلوم (ويعبدون) عالم
يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجأهم إليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل
عقل (وما) للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد نصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) القطع من التجهم واليسور أو
الإنكار كالكرم بمعنى الإكرام ۚ وقرئ يعرف والمنكر ۚ والسوط الوب والباعش ۚ قرئ (النار) بالرفع على أنه
خير مبتدأ محذوف كأن قاتلا قال ما هو قاتل النار أي هو النار والنصب على الاختصاص وبالجز على البدل من شر
من ذلك من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكرامة والصبر بسبب ما تلى عليكم (وعدها الله)
استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبراً وأن يكون حالاً عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد ۚ
(فإن قلت) الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الزائفة الملتصقة بالاستحسان
والاستغراب مثلاً تفصيلاً لها بعض الأمثال المسيرة لكنها مستحسنة مستغربة عندهم ۚ قرئ (تدعون) بآاء والياء
ويدعون مبنياً للفعل (لن) أخت لافني المستقبل إلا أن لن تنفي نفياً مؤكداً وتأكيده هنا الدلالة على أن خلق
الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال حال أن يخلقوا (فإن قلت) ما محل (ولو اجتمعوا) (قلت) النصب على
الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لحلقه وتعارفهم عليه وهذا من المبلغ ما أنزله
الله في تجهيل قريش واستراك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خرمهم بجزائه حيث وصفوا بالآلهية التي تقتضي
الاعتدال على المقدرات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه
وأذله وأصغره وأحقه ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل
الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا ۚ وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية
بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حقت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو مجاد وهو غالب
وذاك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران وروثها بالسل ويفلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب
من الكوى فيأكله (ماقدروا الله حق قدره) أي ما عرفه حق معرفته حتى لا يسموه باسمه من هو منسلخ عن صفاته
بأسرها ولا يؤملوه للعبادة ولا يتخذوه شريكاً له إن الله قادر غالب فكيف يتخذ الماجر المغلوب شيئاً به ۚ هذا رد
لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ۚ ثم ذكر أنه تعالى درك
للدركات عالم بأحوال المكلفين ماضي منها وما غير لا تخفى عليه منهم خافية ۚ وإليه مرجع الأمور كلها والذي هو

(قوله القطيع من التجهم واليسور) كل منهما كروح الوجه أفاده الصحاح (قوله وتأكيده هنا الدلالة على أن خلق
الذباب منهم مستحيل) لعله للدلالة كعبارة التنقي (قوله إن الشيطان قد خرمهم بجزائمه) في الصحاح خزمت البعير
بالخرامة وهي حلقة من شمر تجعل في وتره أنه يشد فيها الروام

الْمَلَكُ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدِّعُوا رِبَكُمُوعًا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ
جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَعُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي
هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا
بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

هذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ۝ للذكر شأن ليس
لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين أولاً إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم إلى
العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والعمرة ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسبلوا يسجدون
بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) انفصلوا بركوعكم
وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله (وافعلوا الخير) صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أي افعلوا
هذا كله وأنتم راجعون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج يجتهدنا قال نعم إن لم تسجدنا فلا تقرأها وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
فضلت سورة الحج بسجدين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فرأى مجتدين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضي
الله عنهم لا يرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرأ السجود بالركوع فذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة
(وجاهدوا) أمر بالعمرة وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجوع من بعض
غزواته فقال رجعتا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله ۝ يقال هو حق عالم وجد
عالم أي عالم حقا وجدادونه (حق جهاده) (فإن قلت) ما وجه هذه الإضافة وكان الفياس حق الجهاد فيه أوفق جهادكم
فيه كما قال وجاهدوا في الله (قلت) الإضافة تكون بأدنى ملازمة واختصاص فلما كان الجهاد مخصا بالله من حيث أنه
مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الطرف كقوله ويوم شهادتنا سلبا وعامرا (اجتباكم)
اختاركم لدينكم نصرتهم (وما جعل عليكم في الدين من حرج) فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات
والديات والأروش ونحو قوله تعالى ويريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة المرحومة
الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة ۝ نسب الله بمضمونها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أي أختي بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحمد (فإن قلت) لم يكن
(إبراهيم) أباً للأمة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً للأمة لأن أمة الرسول في حكم أولاده
(هو) يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد للقول الأول قراة أبي بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أي من
قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (ليكون الرسول شهاداً عليكم)
أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم ۝ وإذ خصكم بهذه الكرامة والائرة فاعبدوه وثقوا به
ولا تفلتوا النصرة والولاية لإلامته فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى
من الأجر كحجة حجه و عمره اعتزها بعدد من حج واعتز فيها مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ

(سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قد) تيقنة لما سيثبت المتوقع ولما تنفي ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقفين مثل هذه البشارة وهي الإخبار بنبات الفلاح لم يخطر بباله على ثبات ما توقعوه ۝ الفلاح الظفر المراد وقيل البقاء في الخير (وأفلق) دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلقه أحاصره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلق على البناء للمفعول وعنه أفلقوا على أكلوني البراغيث وعلى الإيهام والتفسير عنه أفلق بضمة بغير واو اجتزأ بها عنها كقولها فلأنا الأمليا كان حولي ۝ (فإن قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الثرمية فقد اختلف فيعمل قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين موافقا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا الأبرار التي دون الفاسق الشقي ۝ الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو إلزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصل رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رأى بصره نحو مسجد وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كَفَّ الثوب والبس بجسده وثيابه والاتفات والتعطيل والتثاوب والتنميط وتغطية النعم والبدل والفرقة والتشيك والاختصار وقلب الحشا . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يبست بلحيته في الصلاة فقال ولو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن إلى الرجل يبست بالحشا هو يقول اللهم زوني الخور العين فقال بس الخاطب أنت تخطب وأنت تبت (فإن قلت) لم أخيفت الصلاة إليهم (قلت) لأن الصلاة دائرة بين المصل والمصل له فالمصل هو المنتفع بها وحده وهي عذته وذخيرته فهي صلاته وأنا المصل له ففني متعلا عن الحاجة إليه والافتناع بها ۝ اللغو ما لا ينفعك من قول أو فعل كالعبث والهزل وما توجب المروءة الغناء وإطراحه يعني أن بهم من الجلد ما يشغلهم عن الهزل ۝ لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم القمل والترك الشاقي على

(القول في سورة المؤمنون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قوله تعالى قد أفلق المؤمنون الآية) قال اختلف في الإيمان على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين موافقا قلبه لسانه فقد انصف بالإيمان والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا الأبرار التي دون الفاسق الشقي (قال أحد الأئمة) مذهب الأشعرية والثاني مذهب المعتزلة والمحمد الفاسق عديم لما مؤمن ولا كافر ولو لم يكن المعتزلة على هذا المعتقد تحريم الجعة هي الموحد الفاسق بناء على أنه لا يندرج في وعد المؤمنين لكان البحث معهم نظريا ولكن ربوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد قتل القاضي عنهم في رسالة الإيمان خطا طويلا فقتل عن قدامهم كهمرو بن عبيد وطبقته أن الإيمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فضلا وترك ما يقتل من أبي الهذيل الخلاف أن الإيمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضي لأهل السنة أن الإيمان لغة هو مجرد التصديق اخفا فوجب أن يكون كذلك شرعا علما بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فإنه لو كان نفيه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لأنه عما يبتنى عليه قاعدة الوعد والوعد ولم ينقل لأن النقل إما أحاد أو تواتر إلى آخر مادته

مُعْرُضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَدَعَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ .
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَلَقَدْ

الأنفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف . الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرج من المذكي من النصاب
إلى الفقير والمعنى فعل المذكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله لجعل المذكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من
مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللزكي فاعل التزكية
وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يتنع
الزكاة الفاعلة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من محبة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد
أشد لأمية ابن أبي الصلت المظنون الطعام في السنة لا زمة والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف مخوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة (على
أزواجهم) في موضع الحال أي الأولين على أزواجهم أو قوامين عليهم من قولك كان فلان على فلانة فأت عنها خلف
عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أي والياً عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة قرناً والمعنى
أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريحهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه
قيل يلاعنون إلا على أزواجهم أي يلاعنون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين
من قولك احفظه لي هناك فرسى على تضيئه معنى التقي كما ضمن قولهم فشدتك بالله إلا ضلعت معنى ما طلبت منك إلا أضلكت
(فإن قلت) هلا قيل من ملكك (قلت) لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناء . جعل المستقى
حداً أوجب الوقوف عنده ثم قال فن أحدث ابتداء وراء هذا الحد مع فسحة واتساعه وهو إباحة أربع من الحرات ومن
الإمام ما شئت (فأولئك هم) الكاملون في العنوان المتأهون فيه (فإن قلت) هل فيه دليل على تحريم الشبهة (قلت) لأن
المتكسحة نكاح المتعة من جهة الأزواج إذا صح النكاح . وقرئ لأمانتهم سمي الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه
أمانة وعهداً ومنه قوله تعالى إن الله يأمرك أن تؤتوا الأمانات إلى أهلها وقال ونفخنوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون
لالمعاني ويحتمل المؤمن عليه لا الأمانة في نفسها . والراعي القائم على الشيء يحفظ وإصلاح كراعي النعم وراعي الرعية
ويقال من راعى هذا الشيء أي متولاه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما اتسموا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة
الخلق والمخصوص فيأخذه من أمانات الناس وعهودهم . وقرئ (على صلاتهم) (فإن قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولاً
وآخر (قلت) حماد ذكر أن عطفان فليس بتكرير ، وصفاً أولاً بالخشوع في صلاتهم وآخر بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا
عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويكملوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تم به أوصافها وأيضاً قد وحث
أولاً ليقاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت آخراً لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر

• قوله تعالى . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المذكي الذي هو
التزكية . ويتبين هنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون إذ الذين المخرجة لم يفعلها المذكي ثم ضبط المصدر على الإطلاق
بأنه الذي يصدق عليه أنه فعل الفاعل فعل هذا تكون العين المخرجة مصدراً بالنسبة إلى الله تعالى وكذلك السموات
والأرض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال لجميع الحوادث إذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد)
ويقول السني فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له ولكن إذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل أن
يقال لمن القائم من القاعد أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه وجمعه محله كزيد وعمرو

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَّةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قَرَارٍ مُكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْفَةً خَلَقْنَا الْمَلَقَةَ مُضْمَةً خَلَقْنَا الْمُضْمَةَ عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِيتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ • وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ • وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ • فَأَنشَأْنَا لَكُمْ

والسنة المربة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعبدن والجنابة والاعتساف والكسوف والحسوف وصلاة الضحى والتجهد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من التوافل • أى (أولئك) الجامعون لهذه الأوصاف (هم الوارثون) الأحقاء بأن يسوموا وأنقادون من عذابهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) لجاه بغضاهم وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم • أنت الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر روى أن الله عز وجل "بنى جنة الفردوس لبن من ذهب ولبنه من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنه من مسك مذرى وغرس فيها من جيد النخيل وجيد الرمان • السلالة الخلاصة لأنها تسلم من بين الكسوف وفاعة بناء للفة كالفلاحة والقيامة وعن الحسن ما بين ظهراني الطين (فإن قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الأولان (فإن قلت) ما معنى (جعلنا) الإنسان (نظفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهرا للإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نظفة • القرار المستقر والمراد الرح وصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو مكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت • قرئ عظاما فكسونا عظاما وعظاما فكسونا عظاما وعظاما فكسونا عظاما ما يتألف من الأول ما بينة ما أبدا حاجت جملة حيوانا وكان جادا وناطقا وكان أيم ومسميا وكان أصم ويصيرا وكان أكم وأودع أوطه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواسع ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يراد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة (فبارك الله) فعلى أمره في قدرته وعظمته (أحسن الخالقين) أى أحسن المقتدرين تقديرا فترك ذكر المبدى لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضاه عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق قوله خلقا آخر قال فبارك الله أحسن الخالقين وروى أن عبدا لله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ فخلق بذلك قبل إلامته فقال له النبي ﷺ اكتب هكذا نزلت فقال عبدا لله إن كان محمد نبيا يوحى إليهما أنا نبي يوحى إلي فخلق بمكة كافرًا ثم أسلم يوم الفتح • قرأ ابن أبي حبة وابن محيصن لماتون والفرق بين الميت والمات أن الميت كالحى صفة ثابتة وأما المات فيدل على الحدوث تقول زيد مات الآن وماتت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدورك • جعل الإمامة التي هي إعدام الحياة والبعث التي هو إعادة ما فيه ويعيده دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع (فإن قلت) فإذا أحياء الأحياء الإنشاء وحياة البعث (قلت) ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت تلقى ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثالث ليس عندك وأيضا فالترض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء والإمامة والإعادة والمطوى ذكرها من جنس الإعادة • الطرائق السموات لأنه لا طورق بعضها فوق بعض كطريقة النمل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لا • تهارق الملائكة ومتقلبهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فها سيراها • أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناهم فوهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وإسكانها أن تقع فوهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقناهم فوهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلبون منه من المضرة ويصلون إلى النعمة

بِهَ جَنَّتْ مِّنْ حَبْلٍ وَاعْتَبَ لَكُمْ فِيهَا نَوَكَ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَخَرَجَتْ تُخْرُجُ مِّنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ
بِالدَّهْنِ وَصَيْغٌ لِلْأَكْلَيْنِ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ
غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ

أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأستكناء في الأرض) كقوله فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه
ثابتاً في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر
أرسلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجرأها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف
معايشهم ۝ وكما قدر على إزاله فهو قادر على رفعه وإزالته وقوله (على ذهابه) من أوقع التكرات وأحرما للفضل
والمنع على وجه من وجوه الذهاب بطريق من طرقه وفيه إنبان باقتدار المذهب وأنه لا يتأيا عليه شيء إذا أراد
وهو أبلغ في الإبعاد من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعل العباد أن يستعظموا النعمة
في الماء ويقدروها بالشكر الدائم ويخافوا غارها إذا لم تشكروا خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها
وأجمعها للنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطباً وبأسا
رطباً وعنباً ونمراً وزيباً والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعاً ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون
من قولهم يأكل فلان من حرقه بجزءها ومن ضيعة ينفلها ومن تجارة يقرح بها ينعون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل
رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتميشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت
مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة
اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كأمري القيس وكعبك فيمن أضاف
فن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والجمعة أو التانيث لأنها بقعة وفلاء لا يكون ألفه للتانيث كعبلاء
وحرباء ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي
موسى عليه السلام وقرأ الأعمش سينا على القصص (بالدهن) في موضع الحال أي تبت وفيها الدهن وقرئ تبت وفيه
وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى تبت وأنشد لرهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ۝ قطنا لهم حتى إذا أنبت البقل
والثاني أن مفعوله محذوف أي تبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تبت بضم التاء وفتح الباء وحكه حكم تبت وقرأ ابن
مسعود تخرج الدهن وصيغ الأكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي تشر بالدهن وعن بعضهم تبت بالدهن وقرأ
الأعمش وصبا وقرئ وصباغ ونحوهما ديبغ ودياغ والصيغ الخمس للاتحاد وقيل هي أول شجرة تبت بعد الطوفان ووصفها
الله تعالى بالبركة في قوله توفد من شجرة مباركة ۝ قرئ تسقيكم بناء مفتوحاً على تسقيكم الأنعام (ومنها تأكلون) أي تتعلق
بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بنا لا يؤكل لحمه من الحبل والبغال والخير وفيها منفعة زائدته وهي الأكل
الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن
لأنها سفائن البر قال ذو الرمة ۝ سفينة بر تحت خذي زمامها ۝ يريد صيدها (غيره) بالرفع على الحمل وبالجر على اللفظ
والجمله استئناف مجرى التعليل للأمر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم
ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصى وأجب عليكم ثم نذروا فتعبدوا غيره محاليس من استحقاق العبادة في شيء (أن

(قوله يريد صيدها) أي ناته المساء بصيدح

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّامِعِينَ بِهَذَا قِيَامِ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتِّرَبْصَا بِهِ حَتَّىٰ
حِينَ ۚ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ۚ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۚ وَوَحَيْنَا فَاذًا جَاءَ أَمْرُنَا ۚ وَفَارَّ
الطُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ وَأَمَلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۚ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ۚ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجْتَنِّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۚ

يفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الأرض (بهذا) إشارة إلى نوح
عليه السلام أو إلى ما كلهم به من الحق على عبادة الله أي ماسمعنا بهذا الكلام أو يمثل هذا الذي يدعى وهو بشر أنه رسول الله
وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة وبشروا قدرضوا للإلهية بحجر وقولهم ماسمعنا بهذا بدل على أنهم وآباؤهم كانوا في قرة
متطاولة أو تكذبوا في ذلك لانهما كهم في التوراة وتشرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما علم من غير تعيين منهم بين صدق
وكذب الاتزام كيف جنتهم وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا والجنفة الجنون أو الجن أي بهجن بخلونه (حتى حين)
أي احتملوه واصرروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فإن أفاق من جنونه ولا يقتلهوه ۚ في نصرته هلاكم فكانه قال
أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني بدلا ما كذبوني كاقول هذا بذلك أي بدل ذلك ومكانه والمضي أبدي من غم تكذيبهم
سولة الصرة عليهم أو انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (بأعيننا) يحفظنا وكلاهما كان معه من الله حفاظا يكلونه بميونهم ثلاثين مرض لهولا يفسد عليه فسد عمله ومنه قولهم
عليه من الله هين كآلة (ووحينا) أي تأمرك كيف تصنع وتعلمك روى أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جوجو
الطائر ۚ روى أنه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء يفر من التوراة فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبه
الماء من التوراة أخبرته أمرته أن فركب وقيل كان تور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار إلى نوح واختلف
في مكانه فمن الشعبي في مسجد الكوفة من بين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد
وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضى الله عنه التوراة وجه الأرض وعن قتادة
أشرف موضع في الأرض أي أعلاه وعن علي رضى الله عنه فار التوراة طلع القمر وقيل معناه أن دوران التوراة كان
عند تدوير القمر وقيل هو مثل كقولهم حي الوطيس والقول هو الأول ۚ يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه
قال ۚ حتى إذا سلكرم في قنائة (من كل زوجين) من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجبال والنوق
والحصن والرامك (الثنين) واحد من زوجين كالجبال والنقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل إلا ما ولد وببيض وفرئ
من كل بالتوراة أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان ۚ جى بهلى مع سبق الضار كاجى باللام مع سبق
النافع قال الله تعالى وإن الذين سبقتم مناهم الحسنى ۚ ولقد سبقتم لكتالعبادنا المرسلين ۚ ونحوه قوله تعالى وهما ما كسبت
وعليها ما اكتسبت، وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كففا لاعلى ولالى ۚ (فإن قلت) لمتناه عن السماء لم بالنجاة
(قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وإيجاب الحكمة أن يفرقوا لالاعلة لما عرف من المصلحة في إغراقهم والمفسدة
في استبقائهم وبمعدن أمل لهم الدهر المتطول فلم يزيدوا إلا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة ليق لئلا يجمعوا عبدة
للعبرين ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النبي عنه الأمر بالحد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله قطع دابر القوم الذين
ظلموا والحد لله رب العالمين ۚ ثم أمره أن يدعوهم بدعاء هو أم وأنتع له وهو طلب أن يزل في السفينة أوفى الأرض
عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء البناء عليه المطابق لمسلته وهو

(قوله حتى إذا سلكرم في قنائة) في الصحاح قنائة اسم عقة أي في طريق قنائة

وَقُلْ رَبِّ انْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۚ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۚ فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ الْآخِرَةُ وَأَوَّلُهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۚ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَحَسْرُونَ ۚ أَعْبَدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا رَايًا ۚ أَنْكُمْ تَخْرَجُونَ ۚ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوْعَدُونَ ۚ إِنَّ فِي الْآيَاتِ الدُّنْيَا لَمُوتٌ وَحَيَاةٌ

قوله (وأنت خير المنزّلين) (فإن قلت) هلا قيل قولوا لقوله فإذا استويت أنت ومن معك لآله في معنى فإذا استويت (قلت) لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأدبنة تلك الخاطبة لا يترك البها إلا ملامك أوني ۚ وقرئ منزلا بمعنى إزالا أو موضع إزال كقوله: ليذهبهم مديخل برضونه (إن) هي الخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها في المعنى وإن الشان والقصة (كنا لمتبلين) أي مصيبين قوم نوح بلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عابدا لتظهر من يستبر ويدكر كقوله تعالى: ولقد تركناها آية فهل من مدكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضى الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وبعث هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء (فإن قلت) حتى أرسل أن يمدى إلى أخواته التي هي وجه وأخذ وبعث فباله عدى في القرآن إلى تارة وبنى أخرى كقوله كذلك أرسلناك في آفة وما أرسلنا في قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أي في عاد وفي موضع آخر إلى عاد أحاهم هوداً (قلت) لم يعد يني كعادى بالويل يحمل صلة مثله ولكن الآفة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال كما قال رؤبة ۚ أرسلت فيها مصعباً ذا إصماف وقد جاء بمت على ذلك في قوله ولوشقاً لبعتنا في كل قرية نذيراً (أن) مفسرة لأرسلنا أي قتلناهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) (فإن قلت) ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير وار قال الملاء الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاة قالوا يا هود ما جئتنا بينة وهنا مع الواو فأى فرق بينهما (قلت) الذي بغير وار على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فمطف لما قالوه على ما قاله ومما أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (ببقاء الآخرة) بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حذا جوار مكة أي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه (إذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومهم أي تحسرون عقولكم وتفتنون في آرائكم هني (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف وخرجون خير عن الأول أو جعل إنكم مخرجون مبتدأ وإذا مته خيرا على معنى إخراجكم إذا مته ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كما به قيل إذا مته وقع إخراجكم ثم أرقت الجملة الشرطية خيرا عن إنكم وفي قراءة ابن مسعود أريدكم إذا مته ۚ قرئ (هيآت) بالفتح والكسر والضم كلها يتقون وبلاتون والسكون على لفظ الوقف (فإن قلت) ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرفع هيآت كما ارتفع قوله ۚ هيآت هيآت المقيوق أمه ۚ فانه اللام (قلت) قال الزجاج في تفسير البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيآت لبيان الهيآت به هذا ضمير لا يعلم ما ينعى به إلا بما يتلو من بيانه وأصله إن الحياة (إلا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها وبينها ومنه هي النفس تحل محل ما حلت وهي العرب تقول ما شامت والمعنى لإحياء إلا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۚ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ۚ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصِيبَنَّ نَدِمِينَ ۚ فَاخَذَتْهُمْ الصَّبْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ غَسًّا ۖ فَبُعِدَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ۚ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ۖ آخَرِينَ ۚ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ۚ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَاجَاءٌ أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَهُمْ آحَادِيثَ ۖ فَبُعِدَ الْقَوْمُ الْيَاقُوتُونَ ۚ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۚ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۚ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَدُونَ ۚ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

في معنى الحياة الدالة على الجنس ففنتها فوازنت لآلتي نفت ما بعدها نبي الجنس (نموت ونحيي) أي يموت بعض ويولد بعض يفترض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هود إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنباته وفيما يعدنا من العث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة للزمان كقديم وحديث في قولك مارأيت ما رأيت قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكد قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق إذا كان عادلا في قضايه شههم في دمارهم بالناموس وحيل السيل بما يلي واسود من الميدان والورق ومنه قوله تعالى لجملة غناه أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس ۚ من السيل والثناء فلكم منزل ۚ بعدا وسحما ودفرا ونحوها مصادر موضوعات مواضع أفعالا وهي من جملة المصادر التي قال سيوبه نصبت بأفعال لا يستعمل لإظهارها ومعنى بعدا بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشنا ورشنا (القوم الظالمين) يان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما تدعون (قرونا) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما بنى إسرائيل (أجلها) الوقت الذي حد هلاكها وكتب (تترى) فعل الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترى بالتثنية والثاء بدل من الالو كافي توج وتيقور أي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أهمهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لأن الإضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه جميعا (فأتبعنا) الأم وأل القرون (بعضهم بعضا) في الإهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمرها ويتعجب منها الأحاديث تكرر اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للأحاديث التي هي مثل الأمخوكة والألوبة والاعتجوبة وهي ما يتحدث به الناس ظاهرا وتعباهو المراد منها (فإن قلت) ما المراد بالسلطان المين (قلت) يجوز أن تراد المعصاة لأنها كانت أم آيات موسى وأولاهما وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابهاحية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحمر يعرضهما بها وكرتها حارسا وشعمة وشجرة خضراء شجرة ودلوا ورشاه جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطف عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز أن تراد الآيات أنفسها أي أم آيات وحجة بينة (عالمين) متكبرين لأن فرعون علا في الأرض، لا يريدون علوا في الأرض، أو متطاولين على الناس قاهرين بالغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا. بشرى سوا. لبشرين قاهرين من البشر. ومثل وغير بوصفهما الاتان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا مثلهم. ومن الأرض مثلهم. ويقال أيضا هما ملاهوم أمثاله: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما)

(قوله بعدا وسحما ودفرا ونحوها) في الصحاح دفرا الهاء تاء (قوله كافي توج وتيقور) متواترين التوج كئاس الوحش الذي يلج فيه قال سيوبه التاء مبدلة من الواو وهو فعل كذا في الصحاح وفيه أيضا التيقور والواو قالوا أصله ووقور قلبت الواو تاء أهو زنه فيقول

لعلهم يهتدون . وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين . يسألهما الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وإنا ههنا وحده وأنا ربكم فاقفون . فاقطعوا أصبعهم يمينهم ذرياً كل حزب بما لديهم فرحون . فقدم في عمرتهم حتى حين . أيحبون أنماتهم

يعني بني إسرائيل كأنهم يبدو تناخضوا وتذللوا لأنه كان يدعي الإلهية فادعى الناس العبادة وأن طاعتهم لعبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أى قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشراذمها وواعظوها كما قال على خوف من فرعون وملتهم يريد أن فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف ونعيم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير إلى فرعون وماله لأن التوراة إنما أوتيت بني إسرائيل بعد اغراق فرعون وماله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى (فإن قلت) لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لأن مريم ولدت من غير ميسر وعيسى روح من الله أتى إليها وقدمتكم في المهد وكان يحيى الموقى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأته) ثم حذف الأولى لدلالة الثانية عليها . الربوة والربوة في رايتهما الحركات وقرئ ربوة وربوة بالضم وربوة بالكسر وهى الأرض المرتفعة قبل هى إليها أرض بيت المقدس وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء ثنائية عشر ميلاً عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الرما هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر . والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وما يعنى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها . والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصله فوجه من جملة مفعولات أنه مدرك العين لظهوره من عاتقه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضرب به بركته ووجه من جملة فاعلات أنه نفاع بظهوره وجربه من الماعون وهو المنفعة . هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما وكيف والرسول إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمراً نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيقاً أن يؤخذ به ويعمل عليه . والمراد بالطيأت ماحل وطاب وقيل طيات الرزق حلال وصاف وقوام فالخلال الذى لا يهوى أهليه والصالح الذى لا ينسى أهليه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المأكول والقواكه ويشده له بجيئه على عقب قوله وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آوينهما وقلنا لما هذا أى أعليناهما أن الرسل كلهم خطبوا بهذا فكلاماً رزقنا كما وعلما صالحا اقتداء بالرسول . قرئ وإن بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة و (أمتكم) مرفوعة معها وقرئ (ذرياً) جمع ذبور أى كتباً مختلفة يعنى جعلوا دينهم أدياناً وذبوراً قطعاً استعيرت من ذر الفضة والحديد وذبوراً مخففة الباء كرسول في رسل أى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتطعين دينهم فرح بإطاله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الفكرة الماء الذى يفسر القامة

ه وقوله عز وجل . يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، (قال محمود هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما وكيف والرسول إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودى بذلك) قال أحمد هذه نصحة اعتزالية فإن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم أمرناه أولاً ولا يشترط في تحقق الأمر وجود المخاطب فلهذا قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت أولاً على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما في هذا الخطاب أو مجتمعين كما في زعمه والمعتزلة لما أبوت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم القدم حتى حملوا هذه الآية وأما على الجماز وخلاف الظاهر وما بال الموحى خص هذه الآية بأنها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الأوامر العامة في الآية على خلاف الظاهر

بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ . تَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ .
وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يَقُونُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ يَرْجِعُونَ . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَا يَسْبِقُونَ . وَلَا تُلْكَفُ نَفْسٌ إِلَّا بِمَا وَلَدَتْهَا
كَتَبَ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ لَا أَعْلَمُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ .

فَضَرَبْتُ مَثَلًا لَهُمْ مَعْمُورُونَ فِيهِ مِنْ جُلُومٍ وَعَمَائِهِمْ أَوْ شَبَّهُوا بِاللَّاعِبِينَ فِي غَمْرَةِ الْمَاءِ لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ قَالَ
كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لِبَعْضٍ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَمْرَتِهِمْ (حَقٌّ حِينَ) إِلَى أَنْ يَتَلَوَّا أَوْ يَمُوتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَنَهَى عَنْ الِاسْتِجَالِ بِمَذَاهِبِهِمُ وَالْجُزْءِ مِنْ تَأْخِيرِهِ وَقَرَأَ يَذْمُ وَيَسَارِعُ وَيَسْرِعُ بِأَيَّاهُ وَالْفَاعِلُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَجُوزُ فِي يَسَارِعٍ وَيَسْرِعُ أَنْ يَتَضَمَّنَ خَيْرَ الْمَذْهَبِ وَيَسَارِعُ مَبْنًى لِلْفِعْلِ وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْإِمْدَادَ
لَيْسَ إِلَّا اسْتِدْرَاجًا لَهُ إِلَى الْمَعَاصِي وَاسْتِجْرَارًا إِلَى زِيَادَةِ الْإِثْمِ وَهُمْ يَحْسِبُونَهُ مَسَارَعَةً لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ وَفِيهَا لَهُمْ فِيهِ نَفْعٌ
وَأَكْرَامٌ وَمَعَايِلَةٌ بِالثَّوَابِ قَبْلَ وَقْتِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ فِي جُزْءِ الْخَيْرَاتِ كَافِعِلٌ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (وَبَلْ) اسْتَدْرَكَ
لِقَوْلِهِ يُحْسِبُونَ بِمَعْنَى بَلْ هُمْ أَشْبَاهُ الْبَهَائِمِ لَا فَهْمَ لَهُمْ وَلَا شُعُورَ حَتَّى يَتَأَلَّوْا وَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَا اسْتِدْرَاجٍ أَمْ مَسَارَعَةٍ
فِي الْخَيْرِ (فَإِنْ قُلْتَ) أَيْنَ الرَّاجِعُ مِنْ خَيْرِ أَنْ إِلَى اسْمِهَا إِذَا لَمْ يَسْكُنْ فِيهِ خَيْرُهُ (قُلْتَ) هُوَ مَخْشُوفٌ تَقْدِيرُهُ نَسَارِعُ بِهِ
وَيَسَارِعُ بِهِ وَيَسَارِعُ اللَّهُ بِهِ كَقَوْلِهِ إِنَّ ذَلِكَ لَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ أَيْ إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ وَذَلِكَ لِاسْتِطْلَاقِ الْكَلَامِ مَعَ أَمْنِ الْإِلْبَاسِ
(يَقُولُونَ مَا آتَوْا) يَطْلُونَ مَا أُعْطُوا وَفِي قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاشَتْهُ يَأْتُونَ مَا تَوَاتَرُوا أَيْ يَفْعَلُونَ مَا فَعَلُوا وَعَنْهَا
أَنَّهُ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَرْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَخَافُ اللَّهُ قَالَ لَا يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي
يَصِلُ وَيَصُومُ وَيَصَدَّقُ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَخَافُ اللَّهَ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ (يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ رَادِيهِمْ يَرْغَبُونَ
فِي الطَّاعَاتِ أَشَدَّ رَغْبَةً فَيَاجِدُونَهَا وَالثَّانِي أَنَّهُمْ يَسْتَعِجِلُونَ فِي الدُّنْيَا لِلْمَنَافِعِ وَجُودِ الْإِكْرَامِ كَمَا قَالَ قَاتِمُ اللَّهِ تَوَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَحَسَنُ
ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَزَنَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ لِأَنَّهُمْ إِذَا سَوَّعَ بِهِ لَهُمْ قَدْ سَارَعُوا فِي نَيْلِهَا وَتَعَجَّلُوا
وَهَذَا لَوْجُهُ أَحْسَنُ طَبَاقِ الْإِلَاحَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِأَنَّهُ فِيهِ إِثْبَاتٌ مَا نَفَى عَنْ الْكُفَّارِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَرَأَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ (لَهَا سَابِقُونَ)
أَيْ قَاهِلُونَ السَّبْقَ لِأَجْلِهَا أَوْ سَابِقُونَ النَّاسَ لِأَجْلِهَا أَوْ لَهَا سَابِقُونَ أَيْ يَتَأَلَّوْا قَبْلَ الْآخِرَةِ حَيْثُ مَجَلَّتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ لَهَا سَابِقُونَ خَيْرًا بِمَذْهَبٍ وَمَعْنَى هُمْ لَهَا كَفَى قَوْلُهُ . أَنْتَ لَهَا أَحَدٌ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ . يَعْنِي أَنَّ هَذَا الَّذِي وَصَفَ
بِهِ الصَّالِحِينَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ حُدُودِ الْوَسْعِ وَالطَّاعَةِ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَفَّهُ هَيَادَهُ وَمَا عَمِلَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ فَخَيْرُ ضَائِعٍ عِنْدَهُ بَلْ هُوَ مُثَبَّتٌ
لَدَيْهِ فِي كِتَابٍ يَرِيدُ اللُّوحَ أَوْ حِفْظَةَ الْأَعْمَالِ نَاطِقٌ بِالْحَقِّ لَا يَقْرَأُونَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا هُوَ صَدَقَ وَعَدَلُ لَا زِيَادَةَ فِيهِ
وَلَا تَقْصَانٌ وَلَا يُظْلَمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَوْ أَرَادَ أَنْ لَا يَكْلِفُ إِلَّا الْوَسْعَ فَإِنْ لَبِغَ الْمَكْلَفُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صِفَةِ هَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ بَعْدَ أَنْ
يُسْتَفْرَغَ وَسَمِعَ وَيَبْدُلُ طَاقَتَهُ فَلَا عَلَيْهِ وَلَدُنَا كِتَابٌ فِيهِ عَمَلُ السَّابِقِ وَالْمُقْتَصِدُ وَالْإِنْفَاقُ أَحَدَانِ مِنْ حَقْلِ لَا يَخْطِئُ دُونَ رَجْعِهِ .
بَلْ قُلُوبُ الْكُفَرَةِ فِي غَفْلَةٍ غَامِرَةٍ لَهَا (مِنْ هَذَا) أَيْ مَعَالِيهِ هَؤُلَاءِ الْمَوْصُوفُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (وَلَمْ أَعْمَلْ) مُتَجَاوِزَةً مُتَغَنِّطَةً
لِذَلِكَ أَيْ لِمَا وَصَفَ بِالْمُؤْمِنُونَ (هُمْ) مُعْتَادُونَ وَبِهَازِئُونَ لَا يَفْطَمُونَ عَنْهَا حَتَّى يَأْخُذَهُمُ اللَّهُ بِالْمَذَابِ . وَحَقُّ هَذِهِ هِيَ الَّتِي
يَبْدَأُ بِهَا الْكَلَامَ وَالْكَلامُ بِالْجِلَّةِ الشَّرِيطَةِ وَالْمَذَابِ قَلَمُهُ يَوْمَ يَدْرَأُ الْجُوعَ حِينَ دُعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَانَكُمْ عَلَى مَضَرِّ وَاجِبِهَا عَلَيْهِمْ سَنِينَ كَسَى يَوْسُفَ قَانِئًا لَهَا قَهْ بِالْقَطْعِ حَتَّى أَكَلُوا الْجِلْفَ وَالْكَلاِبَ وَالْعَظَامَ
الْمَحْتَرَقَةَ وَالْقَذَى وَالْأَوْلَادَ . الْجُورَ الصَّرَاحَ بِاسْتِنَافَةِ قَالَ . جَارَ سَاعَاتِ النَّيَامِ لَرَبِّهِ . أَيْ يَقَالُ لَهُمْ حَيْثُ لَا تَجَارُوا

حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّعِيهِم بِالْعَذَابِ إِذِمْ يَجْتُرُونَ . لَا تَجْتُرُوا الْيَوْمَ أَنْكُمْ مَنَّا لَا تَنْصُرُونَ . قَدْ كَانَتْ عَلَيْكُمْ
تَمَلُّ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْصَانِكُمْ تَنْكُصُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعَرَآ تَهْجُرُونَ . أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ
جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ
جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرِهُونَ . وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ

فَإِنَّ الْجَوَارِ غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ (منا لا تنصرون) لا تقاتلون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومغونة قالوا الضمير في (به)
البيت المتين أول الحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإشهار شهرتهم بالاستكبار
باليث وأنه لم تكن لهم مغفرة إلا أنهم ولا تملأوا القلوب به ويجوز أن يرجع إلى آياتي إلا أنه ذكر لانهافي معنى كتابي ومعنى
استكبارهم بالقرآن تكذيبهم باستكباراً ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو يحدث لكم استماعه استكباراً وعزواً
فأنتم مستكبرون بسببه أو تملقوا إليه باسمراً أي تسرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجهلون حول البيت بالليل
يسرون وكانت عاتقهم سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرأ وشمرأ وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتهجرون والسامر
نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمرأ وسمارأ وتهجرون وتهجرون من أهر في منطلقه إذا الخش والهجر بالضم
الفضض ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه لعلوا
أنه الحق المين فيصدقوا به ومن جاء به بل (جاءهم ما لم يأت آباءهم) فذلك أنكروه واستبدعوه كقولهم: لتندبر قوما
ما نذر آباءهم فظفرون . أوليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل منازل بن قيلم من المكذبين أم جاءهم من الأمن
ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبته ورسله وأطاعوه وأبواهم لإسماعيل وأعقابهم من عدنان وقحطان وعن
التي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنها كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلماً ولا تسبوا الحرث بن
كعب ولا أسد بن خزيمه عمو لا تخيم من فأنهم كانوا على الإسلام وما شككتهم فيه من شيء فلا تفكروا أن تبغوا كان مسلماً وروى
في أن ضبة كان مسلماً وكان على شريعة سليمان بن داود (أهلهم يعرفوا) محمدأ ومحمد فسيحوا حوله في سطة هاشم وأمانته وصدقه
وشهامته وعقله والسامه بأنه خير قباين قریش والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفي برغائهم ناديا به
الجنة الجنون وكانوا يعلون أنه يرى منها وأنه أرجحهم عقلاً وأتقهم ذهنأ ولكنه جاءهم بما خالف شهورهم وأهواءهم
ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجهلوا له مردأ ولا مدفأ لأنه الحق الأبلج والصرط
المستقيم فأخذوا إلى البيت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر (فإن قلت) قوله (وأكثرهم)
فيه أن أقلمهم كانوا لا يعرفون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الإيمان به أفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا
صأ وترك دين آباءه لا كراهة للحق كما يحكي عن أبي طالب (فإن قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه

ه قوله تعالى بل جاءهم بالحقوا أكثرهم للحق كارهون (قال فإن قلت أكثرهم يعطى أن أقلمهم لا يكره الحق وكيف ذلك والك
كفره قلت فيهم من أن الإسلام خذرا من مخالفة آياته ومن أن يقال صأ كأي طالب لا كراهة للحق) قال أحد وأحسن من
هذا أن يكون الضمير في قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه العلاقة من الجنس بنى الكلام في قوله
وأكثرهم على الجنس بجملة كقولهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقولهم وما أكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والحق والحق صلى الله عليه وسلم جاء الناس كلهم وبعث إلى الكافة ويحتمل
أن يعمل الأكثر على الكل كما عمل القليل على النفي والله أعلم وأما قول الزمخشري إن من تمادى على الكفر وآثر

بَلْ آتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهم مُّعْرِضُونَ • أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا مِّنْ جَبَلٍ وَيَقُولُ خَيْرٌ مِّنْهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ • وَإِنَّكَ تَدْعُوهم إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُون • وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ

(قلت) يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أدخل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما وينفي إسلام أبي طالب • دل هذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أموادم لا تقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبق له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام لو اتبع أموادم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولا هلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إنما يتبع أموادم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان إلها ولكن شيطانا ولما قدر أن يسلك السموات والأرض (بذكرهم) أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي عظمهم أو وصيتهم ونظمهم أو بالذكر الذي كانوا يسمونه ويقولون لو أن عدنا ذكرنا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكرهم • قرئ خراجا مخرج وخرجا مخرج وخرجا مخرج وهو ما تفرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل المخرج ما تبرعت به والخراج مال الزمك أدائه والوجه أن المخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خراجا مخرج برك يعني أم تسألهم على هدايتك لم يقلنا من عطاه الحق فالكثير من عطاه الخاطئ خير • قد أرمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعلمهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله بخير سره وعلمه خلق بأن يجتني مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يرض له حتى يدهي بمثل هذه الدهوى العظيمة يا طلل ولم يصل ذلك سلبا إلى القبل من دنياهم واستعلاء أموالمهم بل دعهم إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز المسكون من أدواتهم وهو إغلاهم بالتدبر والتأمل واستنارهم بدين الآباء الفضلاء من غير برهان وتعلمهم بأنه جنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات التي توكرها عنهم للحق وإعراضهم عما فيه عظمهم من الذكر بحتمل أن هؤلاء وصفهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لنا يكون) أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما أسلم ثمانية من أنال الحق ولحق بالجماعة ومنع الميرة من أهل مكروا أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا الملهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم الست ترع من أنك بهت رحمة للمالين فقال لي فقال قلت لآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى

البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فردود فإن من أحب شيئا كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة والله أعلم ثم انجر الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتر إسلامه كما اشتر إسلام العباس وحمزة وأجدر لأنه أشهر وللقائل بإسلامه أن يستدبره من عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الإسلام يشتر بها كالمظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام هذا والظاهر أنه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وأنه بعد ذلك لقي شخصاً من نازي إلى رأسه من قدميه فإن قيل لا يرد من ذلك موته على الكفر لأن كثيراً من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك قلنا من أثبت إسلامه ادعى أن ذلك كان قبيل الاحتضار فالإسلام يجب ما قبله وتلك الدقيقة التي صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصي ما يوجب ذلك والله أعلم

(قوله لانه لم يرض له حتى يدعى) لانه لم يرض له حتى يدعى (قوله واستنارهم بدين الآباء الفضلاء) في الصحاح فلان مستنر بالشراب أي مولهج به لا يبالى ما قبل فيه (قوله حتى أكلوا الملهز) في الصحاح الملهز بالكسر طعام كانوا يتخفونه من الهم ووزر البعير في سبي الجماعة

وَكَفَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضَرِّ الْجُوعِ فِي طُعِينِهِمْ يَمْتَحُونَ . وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْغَدَابِ قَلَّا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو المزال والقسط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لا يرتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وهداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذبح عنهم هذا الإبلas وهذا الاتفاق بين يديه يسترحونه واستشهد على ذلك بأن أخذناهم أولاً بالسيف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم الغدab فألبسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعناقهم وأشدم شكيمه في التناد يستطفك أو عنحام بكل عنة من القتل والجوع فما روى فيهم لين مفادهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم خبتند يلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يلس المجرمون لا يفر عنهم وهم فيه مبلسون . والإبلas اليباس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فإن قلت) ما وزن استكان (قلت) استعمل من الكون أى انتقل من كون إلى كون كما قيل استحبال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون أفضل من السكون أشبهت فحة عينه كما جاء بمتزاح (فإن قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لأن المعنى عنحام فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا وتضرعوا حتى يفتح عليهم

ه قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يضرهون (قال استكان استعمل من الكون أى انتقل من كون إلى كون كما يقال استحبال إذا انتقل من حال إلى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجهه أفضل ثم أشبهت الفتحة قولت الألف كتولدها في قوله ه يناع من دفر غضوب جسة فإن هذا الإشباع ليس بفصح وهو من ضرورات الشعر فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه لكن تطهير الزخشرى له باستحبال وهم فإن استكان على تأويله أحد أقسام استعمل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واسترق الجبل وأما استحبال فثلاثه حال حول إذا انتقل من حال إلى حال وإذا كان الثلاث يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استعمل فيها أثر فليس استحبال من استعمل التحول ولكنه من استعمل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذ لم يرد السداسى فيه هل الثلاثى معنى واقه أعلم ثم نعود إلى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتباس إلى كون الخضوع والضرعة إلى الله تعالى ه ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لا تنهم إلا أحد الانتقاليين فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت بحلة محتملة للانتقاليين جميعاً ه والجواب أن أصلها كذلك على الإطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها واقه أعلم وكان جدى أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لى أنه لما دخل بغداد زمن الإمام التاصر رضى الله عنه أظهر من حلة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم مجلساً للنظر والفتوى وكان يذكر لى أن مما أبحر الكلام إليه حينئذ هذه الآية وأن أحدهم وكان يعرف بالأجل القنوى خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك إذا خضعت وهى لفظة هذلية فاستحسن منه ذلك ه قال أحمد وقد وقعت عليها بعد ذلك في غريب أبي عبيد المروى وهو أحسن محامل الآية وأصلها واقه أعلم وعلى هذا يكون من استعمل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعل وحال واستحال على ما مر وقد قال لى بعضهم يوماً لما لا تجمله على هذا التأويل من استعمل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصر من حسر وعصر فقلت لا يسعنى ذلك لأن المعنى بأياه وذلك أنها جاءت بالنى والمقصود منها تهمؤلاه بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يرجب نهاية الضرعة من أخذهم بالمداب فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة فأدت قصص المبالغة لأن نبي الأبلغ أدنى من نبي الأدنى وكانهم على ذلك ذقوا نبي الخضوع الكثير وأنهم ما بلغوا في الضرعة نهايتها وليس الواقع فأنهم ما استسوا بالضرعة ولا بلطفة منها فكيف تنى عنهم النهاية لما هو حصول البداية واقه أعلم

(قوله كما جاء بمتزاح) أى في قوله وأنت من القوائى حين ترى ه وهن ذم الرجال بمتزاح

وَمَا يَتَضَرَّعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْأَنَّهُمْ فِي ضَلٰلٍ سَُٔونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ . وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ . قَالُوا أَهَذَا مِثْلُ مَا كُنَّا نَرَىٰ أَوَّلَآءَنَا لَمَبْعُوثُونَ . لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاءُؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . مَا اخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثُوا عَلَىٰ بَعْضِ سُبْحٰنِ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ .

باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا إنما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافها أن يعملوا اسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفضله ثم نظروا ويستدلوا بقولهم ومن لم يعملها فيها خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فا أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أقدنهم من شيء إذ كانوا يمجدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك أى تشكرون شكر أقليل (وما) مزيدة لنا كيد بمعنى حقاً (ذراًكم) خلقكم وبشكم بالتاسل (والله) يجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله) اختلاف الليل والنهار أى هو مختص به هو متوليها ولا يقدر على تصرفها غيره وقرئ يقولون بالياء عن أى عمرواى قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم . الاساطير جمع اسطر جمع سطر قال رؤبة . إني واسطارسطون سطرأ .

وهي ما كتبه الأولون مما لاحتقيقه . وجمع اسطورة أوفق . أى أجيبون عما استملكتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين . وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تذكرون فتعلموا أن من ظن الأرض ومن فيها اختراعاً كان قادراً على إعادة الخلق وكان حقيقاً بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية . قرئ الأول باللام لاغير والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فاللام على المعنى لأن قولك من ربه ولكن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ . ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية (أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتمصوا رسله . أخرج فلا ناعلى فلا ن إذا أذنته من منعتة يعنى وهو يفت من يشاء من يشاء ولا يفت أحد منه أحد (تسحرون) تخدعون عن توحيد وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى . وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والقسم (بالحق) بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل (وإنهم لكاذبون) حيث يدعون له ولداً ومعه شريكاً (لذهب كل إليه بما خلق) لا نفرذ كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ورأيت ملك كل واحد منهم متميزاً من ملك الآخرين ولعل بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدنيا عالمهم متمايزة وهم متماثلون وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد يده ملكوت كل شيء . (فإن قلت) إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجواباً ولم

(قوله عما استملكتكم منه) لعله عنه (قوله وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية) يفيد أن القراءة المشهورة تذكرون بالتشديد

عَلَّمَ النَّبِيَّ وَالشَّهَادَةَ قَسَمًا عَمَّا يُشْرِكُونَ • قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِنِّي مَا يُوعَدُونَ • رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ • وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّزَيِّكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدْرُونَ • أَدْفَعْ بَالِيَّ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ •

يقدمه شرط ولأسؤال سائل (قلت) الشرط مخوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من
إله عليه وهو جواب لزومه الحاجة من المشركين (عما يصفون) من الأنداد والأولاد (عالم النبي) بالجرصة فهو بالرفع
خبر مبتدئ مخوف ما والنون مؤكدتان أي إن كان لابد من أن ترين ما نعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا يجعلني)
قريناهم ولا تذهب بعناهم من الحسن أخيره الله أن له في أمته تقمة ولم يضره في حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو
بهذا الدعاء (فإن قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعلهم معهم (قلت) يجوز
أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله لإظهار العبودية وتواضعه له وإخباته واستغفاره
صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي
الله عنهما وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه • وقرئ إما ترتهن بالهمز مكان ترين كما
قرئ فإما ترتهن وإنزوى الجحيم وهي ضعيفة وقوله ربمرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حدث على فضل تضرع وجوار كانوا
يشكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستجاملهم لذلك فقبل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعدنا تأملتم فما وجه هذا
الإفكار • هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم
ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء
سيئته وهذه قضية قوله بالي هي أحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك وعن
مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقى وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي مفسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة
عشوت عليها ما لم تؤد إلى ثم دين وإزراء بمروءة (عما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفات أربو صفهم لك
وسوء ذكركم والله أعلم بذلك وأقدر على جزائهم • الحمز للنقص والهمزات جمع المزة منه ومنه مهماز الرافض

قوله تعالى ادفع بالي هي أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه
قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان
وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئته وهذه قضية قوله بالي هي أحسن (قال أحد) ما ذكره تقريراً
للمفاضلة عبارة عن الاشتراك في أمر والنفي بغيره والاشتراك بين الحسنة والسيئة فإنهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق
المفاضلة • قلت المراد أن الحسنه من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيئات حتى المفاضلة بما هو أهم من كون
هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدتين كقولهم العمل أحل من الخل ينون أنه في الأصناف الحلوة
أميز من الخل في الأصناف الحامضة وليس لأن بينهما اشتراكاً خاصاً ومن هذا القليل ما يمكن أن أشعب الماجن أنه
قال نفأت أنا والأعشى في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استويتا بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية
أشعب بلغ الغاية على السفلة والأعشى بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونمود إلى الآية فنقول هي
تحتل وجهاً آخر من التفضيل أقرب متولوا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فإنها قد تدفع
بالصفح والإغضاء ويقتن في دفعها بذلك وقد يزداد الصفح الإكرام وقد تبلغ غاية بذل الاستطاعة فهذه الأنواع
من الدفع كلها قد يستعمل لكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة لاشتغالها على عدد من الحسنات فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة فبلى هذا يجري المفاضلة على حقيقتها من غير حاجة إلى تأويل والله أعلم فأنله فإنه حسن جداً

(قوله وقرئ إما ترتهن بالهمز) في نسخة أخرى إما ترتهن بالهمز كما قرئ الخ

وَقُلْ رَبِّ اعْزُدْ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الشَّيْطَانِ . وَاعْزُدْ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ . حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ

والمنى أَنَّ الشياطين يثبون الناس على المعاصي ويفروهم عليها كما تهمز الراضة السواب ثألها على المني ونحو المزمز
الأز في قوله تعالى تَزْجِمُ أَزْمَأْزِمُهُم بِظُلْمٍ أَلْمَأَزْمَ الْأُكْمِ المسكوك لنداءه بالتمتد من أن يحضروه أصلا
ويحوموا حولوه من ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القرآن عن عكرمة عند النزاع (حتى) يتلقى يصفون أي لا يزالون
على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاعلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد لإغضابهم مستعينة بالله على الشيطان
أن يسترله من الحلم ويفريه على الانتصار منهم أوعلى قوله وأنهم لكاذبون • خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله •
فإن شئت حرمت النساء سواء كن • وقوله • ألا فاحموني بالله محمد • إذا أيقن بالموت وأطلع على حقيقة الأمر أدركته
الحسرة على ما فظف فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرحمة وقال (لعل أعمل صالحا) في الإيمان الذي تركته
والمنى لعل آتي بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعل أبني على أس تريد أسس أسأ وأبني عليه وقيل
فما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عان المؤمن الملائكة قالوا ترجعك إلى الدنيا فيقول لدار المعلوم
والأحرار بل قدوما إلى الله وأنا الكافر فيقول رب أرجعوني (كلام) ردد عن طلب الرحمة وإنكاروا استبعاد • والمراد
بالكلمة العاطفة من الكلام المتعظم بعضها مع بعض وهي قوله لعل أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لاجالة لا يخطئها
ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط التند أوهو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ)
والضمير للجماعة أي أمامهم حائل بينهم وبين الرحمة إلى يوم البعث وليس المنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط
كل مساعلم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة • الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكرس والفتح عن أبي رزين
وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الأنساب بمحمل أَنَّ التقاطع يقع بينهم حيث يتفزون معاقين ومثابين
ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال فظفوا الأنساب وتطلو أنه لا يمتد بالأنساب لروال المتعاطف والتراحم
بين الأقارب إذ يفتر المزم من أخيه وأقربيه وصاحبه وبني • وعن ابن مسعود ولا يسامون بإدغام التانيق السنين (فإن قلت)
قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسلم سماجيا قوله وأقبل بعضهم على بعض يتسالمون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق
بينما (قلت) فيه جوابان أحدهما أَنَّ يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أحوال مختلفة يتسالمون
ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفرع والثاق أَنَّ التناكر يكون عند الفضة الأولى فإذا
كانت الثانية قالوا فتعارفوا وتسالموا عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحات التي لها

• قوله تعالى : فإذا قضيت في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، (قال إن قلت قد ناقض هذا قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحد يجب أن لا يسلك هذا المسلك في إيراد الآية من فوائد الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسؤال الأدب أن يقال قصر ضمي عن الجمع بين هاتين الآيتين فواجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن شيء من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة لأوجع ظهره بالقرعة . عا د ك ل ا م هـ
 إلى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القائمة) قال أحسن كثير أمّا بقوله العشرة في الفرق في إنكار الشفاعة فيشر ذل له لدعي القائلين بها إذا انتهى إلى مثل قوله : ولا تنفعها شفاعة . لا يعم فيه ولا خلاف لا شفاعة . ويتناقل يحتذ عن طريق الجمع بين مآثره نفي الشفاعة وبين مآثره ثبوتها عمل الأمر على اختلاف الأحوال في القامعة الله الموفق

(قوله أو على قوله وإنيهم لكاذبون) لعله عطف على اللحن فكأنه قال فما من حجة على قوله بصغور فقال هنا أو على قوله وإنيهم لكاذبون

يُصْعِقُونَ ۖ فَإِذَا تَفَخَّ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ قُلْتُ مَوْزِنُهُ فَالَيْكَ يَا مُفْلِحُونَ ۚ
وَمَنْ خَفَّتْ مَوْزِنُهُ قَالَ لَيْسَ لَكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلَدُونَ ۚ تَلْفَحُ وَجْهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۚ
أَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَكْنُتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ۚ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۚ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۚ قَالَ أَسْأَلُ فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ۚ فَاتَّخَذَهُمْ نَجْرًا حَتَّىٰ أَنْصَبُوا فِي كَذِبٍ ۚ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ
تَضْحَكُونَ ۚ إِنْ جَزَيْتُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ۚ قُلْ لَكُمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَّةَ سِنِينَ ۚ قَالُوا
لَيْتُنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَتَلِ الْعَادَّةَ ۚ قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا لَيْتُمْ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ أَتَحْسِبُمْ أَنَّكُمْ

وزن وقد رعد الله تعالى من قوله تعالى ۖ فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً ۖ (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم
ولاعل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لاعل لما أوجب بد خبر لا أولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) تسفع وقال
الزجاج التلفح والتفح واحد إلا أن التلفح أشد تأثيراً والكلوح أن تنقلص الشفتان وتنضمرا عن الإنسان كما ترى الرؤس
المشوبة وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عبدة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنوير ففتش عليه ثلاثاً أيام وليلته
دروى عن أبي صلي الله عليه وسلم أنه قال تنويه البارقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتستريح شفته السفلى حتى تبلغ
سوته وقرئ كلحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك غلب فلان على كذا إذا أخذه منك وملكته ۚ والشقاوة سوء العاقبة
التي حلها الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا تفتح الشين وكسر هاء فيهما (أخسؤا) ذلوا فيها وانزعجوا
كما تنزعج الكلاب إذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه (ولا تكلمون) في رفع الغضب فإنه لا يرفع ولا يخف قبل
هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشيق والظفر والدواء كموالك الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ۚ وعن ابن عباس
إن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف ستترينا أبصرنا وسعنا فيجايون حتى يقول هي فينادون ألقاربنا أمنا اثنتين
فيجايون ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألقاربنا مالك ليقض علينا ربك فيجايون إنكم ما تكون فينادون ألقاربنا
أخرنا فيجايون أولم تكونوا فينادون ألقاربنا أخرنا فعمل صالحنا فيجايون أولم نمركم فينادون ألقاربنا رجمن فيجايون
أخسؤا فيها ۚ في حرف أي أنه كان فريق بالفتح بمعنى لأنه ۚ السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر إلا أن في زيادة النسب
زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضوم من السخرة
والعبودية أي تسخروهم واستعبدوهم والأول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومنه
اتخذوا هم مزور أو تغافلتم بهم ساخرين (حتى أنصوبكم) بتساغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) قرئتموه أي تركتم أن تذكروني
فتخافوني في أراياني ۚ وقرئ (أنهم) بالفتح فالكسر استئناف أي قد فازوا حيث صبروا الجزوا بصبرهم أحسن الجزاء ۚ والفتح
على أنه مفعول جزيتم كقولك جزيتم فوزهم (قال) في مصاحف أهل الكوفة وقل في مصاحف أهل الحرمين والبصرة
والشام في قال ضمير الله أو المأمور بؤا لهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار ۚ استقصوا مدة
ليتهم في الدنيا بالإشارة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لأن الممتحن يستعمل أيام محته ويستقر صرامر عليه ۚ أم الدعة
اليها أولانهم كانوا في سرور وأيام السرور قصار أولان المتقصر في حكم ما لم يكن وصدفهم الله في تقاليم لسن ليهم في الدنيا ويوتهم
على غفلتهم التي كانوا عليها ۚ وقرئ (فصل العادين) والمعنى لا تعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقلو ونحسب يوماً أو بعض يوم

(قوله يقال خسا الكلب) في الصحاح خسات الكلب وخسا بنفسه يمتنى ولا يتعدى

عَبَا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَآتِجُونَ ۚ قُلِ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَرْشُ الْكَرِيمُ ۚ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۚ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

لما نحن فيه من العذاب وما كنا نعلم ما فعل من فيه أن يدع ومن يقدر أن يلقى إليه فكره وقيل فضل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ المادين بالتخفيف أى الظلة فإنهم يقولون كما تقول وقرئ المادين أى القنما المعبدين فإنهم يستقصونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أناس ما كانوا فيه من العذاب بين التفتحين (عبا) حال أى عابدين كقوله لاهين أو مفعول أى ما خلقنا لك لليب ولم يدعنا إلى خلقك إلا لحكمة اقتضت ذلك وهى أن تعددكم وتكلفكم المشاق من الطاعات وترك المماهى ثم ترجمكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فثيب المحسن ونقاب المسيء (وأنكم إلينا لآتجون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفاً على عبأ أى لليب ولتركم غير مرجوعين وقرئ ترجمون بفتح التاء (الحق) الذى يحق له الملك لأن كل شئ منه وإليه أو التائب الذى لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه الخير والبركة أولسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كرم إذا كان ساكنه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذوالعرش المجيد (لا برهان له به) كقوله مالم يزل به سلطاناً وهى صفة لازمة لنحو قوله بطير بجناحه جى بها للتوكيد لأن يكون فى الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء كقوله من أسألنى زيداً لآخر بالاحسان منه فاقمته وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهزلة ومنها حساباً عدم الفلاح والأصل حساباً أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع فى معنى الجمع وكذلك حساباً أنه لا يفلح فى معنى حسابهم أنهم لا يفلحون بفتح الفاء السورة قد أطلع المؤمنين وأورد فى خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشان ما بين الفاتحة والخاتمة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشر الملائكة بالروح والريحان وما قرأه عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أطلع وآخرها من كنوز العرش من عمل ثلاث آيات من أولها وانطق بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأطلع وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع منه دوى كدوى النحل فكشاً فاستقبل القبة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرتنا ولا تؤثر علينا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت على عشر آيات من آياتهم دخل الجنة ثم قرأ قد أطلع المؤمنين حتى ختم العشر

ه قوله عز وجل ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به إما صفة لازمة أو كلام معترض لأن فى الصفة إنها مألوفة لىأسوى الله يمكن أن يكون به برهان) قال أحمد إن كان صفة فاقصود بها التكم بمعنى إله مع الله كقوله بل أشركوا بالله مالم يزل به سلطاناً فنى إزال السلطان به وإن لم يكن فى نفس الأمر سلطاناً لا بمنزل ولا غير منزل ومن جنس جى . الجملة بعد النكرة وصرحنا عن أن تكون صفة لها ما قدمه عند قوله تعالى فاعجل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه نحن ولأننا حيث أعرب الزمخشري موعداً مصدرأ ناصباً لمكان أسوى واعتزله بأن المصدر الموصوف لا يعمل إلا لعل كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

(قوله وقرئ ترجمون بفتح التاء) عبارة النسق بفتح التاء وكسر الجيم

سورة النور مدنية

وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سُورَةُ النُّورِ أُنزِلَتْ فِيهَا آيَاتٌ يَسْتَلْكُمْ تَذَكُّرُونَ . الْوَايَةُ
وَالزَّانِي فَاجِلِدُوا أَعْلَىٰ وَخَسْفَتَهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(سورة النور مدنية)

وهي ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة) خبر مبتدأ محذوف (أنزلناها) صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي
فيها أوجها اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيد اضربه ولا عمل لأنزلناها لأنها مفسرة للضمير فكانت في حكمه
أو على دونك سورة أوائل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضاها) فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع
أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للبيان في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى وأنها تقول فرضت
الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الدال وتخفيفها
رضهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيها فرض عليكم الزانية والزاني أي جلداهما ويجوز
أن يكون الخبر فاجلدوا وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمنته معنى الشرط تقديره التي زنت
والذي زنى فاجلدوهما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم
وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر وقرئ والزاني بلا ياء والجلد
ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره ويطعن برأسه (فإن قلت) أعذا حكم جميع الزانوا والزواني أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم
من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجوع ورأى الإحصان عند أبي حنيفة في الإسلام بالحريقة والعقل والبلوغ والتزوج
بنكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعي الإسلام ليس بشرط لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
رجم يهوديين زنا وجمعة أبي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فإن قلت) اللفظ يقتضي تمليق الحكم
بجميع الزناة والزواني لأن قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزاني يدلان على
الجنسين المتافين لجنس المفيد والمقيد دلالة مطلقا والجنسية قائما في الكل والبعض جميعا فأيهما قصدا تملك فاعليه كما فعل

(القول في سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر) في الرفع وجهين أحدهما
الابتداء والخبر محذوف وهو إعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيها فرض عليكم الزانية والزاني أي جلداهما . الثاني أن
يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وإنما عدل
سيبويه إلى هذا الذي نقله عنه لوجهين لفظي ومعنوي أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يحيل اختيار النصب ومع ذلك
قراءة العامة طو جعل فعل الأمر خبرا وبني المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجاء إلى تقدير الخبر حتى
لا يكون المبتدأ مبينا على الأمر فخاص من مخالفة الاختيار وقد مثلها سيبويه في كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التي وعد
المؤمنون فيها أنهار الآية ووجه التعليل أنه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره
فتمين تقدير خبره محذوفا وأصله فيها نقص عليكم مثل الجنة ثم لما كان هذا إجمالا ذكر المثل فصل المجلد بقوله فيها
أنهار إلى آخرها فكذلك هنا كأنه قال وفيها فرض عليكم شأن الزانية والزاني ثم فصل هذا المجلد بما ذكره من أحكام

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ

بالاسم المشترك ٥ وقرئ ولا يأخذكم بالاموراة ففتح المزمع فوراً لله على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجدة والثبات فيه ولا يأخذهم الدين والموادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاعلمت بنت محمد لقطعت يدها وقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التبيين والمحابب الغضبية لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوا ضرباً وفي الحديث يؤتى بوال نض من الحدة سوطاً فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقول ليقتها عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خيبر لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلاً عالماً بصيراً يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائماً على مجزده ليس عليه إلا إزاره ضرباً وسطاً لا مبرحاً ولا هيناً مفزقاً على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا يزع من ثيابها إلا الحشور والبرص وهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحسن بلا تقرب وما احتج به الشافعي على وجوب التقرب من قوله صلى الله عليه وسلم يمسك البكر بالبكر جلد مائة وتقرب عام وما يروى عن الصعابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التمييز والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تقرب المحتر واحد وله في العبد ثلاثة أقوال يفرق سنة الحظر ويفرق نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يفرق كما قال أبو حنيفة وهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله تعالى فامسكوهن في البيوت وقوله تعالى فأذوه ٥ قيل تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذاباً لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا ٥ الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأهلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الحقة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعداً وعن عكرمة رجلان فصاعداً وعن مجاهد الواحد فأفوه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أهيات الكبار ولهذا قرن الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزون ومن فعل ذلك يلقى أثاماً وقال ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً وعن النبي صلى الله عليه وسلم يامعشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب للخطئة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفي الله فيه عقد المائة بكاله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتل المولود وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرافة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والراحدوا الاتان ليسوا بذلك المثابة واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أضعف والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله ٥ الفاسق الخبيث الذي من

الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقولون مثلاً الصلاة الزكاة السرقة تهذيبكرو في كل باب أحكامهم يريدون مما يصنف فيه ويوجب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا باب المقتضى عند سيوبه لا اختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فغير أن المعنى آثم وأكمل على حذف الخبر لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجزلاً حيث قال الزانية والزاني وأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني فلما تشوف السامع إلى تفصيل هذا الجميل ذكر حكمهما مفصلاً فهو أوقع في النفس من ذكره أول وعلة والله أعلم

(قوله قائماً على مجزده ليس عليه إلا إزاره) في الصحاح فلان حسن المجزأ أي المعزى له أي المكشوف عن الثياب (قوله وهذه الآية نسخ الحبس الأذى) لعله والأذى كما في عبارة النسفي

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

على ما جنى المرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تقطع الرجل ولم تمض له ولم تمكنه لم يقطع ولم يتمكن فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدئ بذكرها وأنا الثانية فسوقة لذكر التكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الرغب والمخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لا ينكح بالجزم على النہي والمرفوع فيه أيضاً معنى النہي ولكل أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عاداتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه المادة ويتصون عنها ۝ وقرئ وحرم بفتح الحاء ۝ القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على أن المراد قذفن بالزنا شيان : أحدهما : ذكر المحصنات عقيب الزواني . والثاني اشتراط أربعة شهاد لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحار المائل البالغ المحصنة بإذانية أو لمحصن بإذاني بالإن الزاني يابن الزانية يولد الزنا لست لا ليك لست لرسدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا أكل الربا يا شارب الخمر يا هودى يا موسى يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التميز ولا يبلغ به أدنى حد الميّد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يميز إلى المائة وشروط إحسان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والمفقه ۝ وقرئ بأربعة شهاد بالتميز وشهادة صفة (فإن قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا في مجلس واحد وإن جازوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فإن قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقتوفة واحداً منهم (قلت) يجوز عند أبي حنيفة خلافاً للشافعي (فإن قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كاجلد الزاني لأنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والقرو والقاذفة أيضاً كالزانية وأشد الضرب ضرب التميز ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب لأنه عوقب بسبب صيانة للأعراض وورعاً عن حسنها (فإن قلت) فإذا لم يكن المقتوف محصناً (قلت) يميز القاذف ولا يحد إلا أن يكون المقتوف معروفاً بالقذف به فلا حد ولا تميز ۝ رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحد فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبل شهادته فإذا استوفى لم تقبل شهادته أبداً وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء ۝ وعند الشافعي رضى الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالأية فأبو حنيفة رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأييد فكانوا مردودى الشهادة عنده في أديمهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاماً مستأغبراً داخل في حرجاء الشرط كأنه حكاية حال الزايعين عند الله بعد اقتضاء الجلة الشرطية و(إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فإن الله غفور رحيم) والشافعي رضى الله عنه جعل جزاء الشرط المجتلين أيضاً غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً وهي تنتهي بالثبوت والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقاً بالجلّة الثانية وحق المستثنى عنه أن يكون مجروراً بدلاً من ثم فلم يوجب عند أبي حنيفة رضى الله عنه أن يكون منصوباً لأنه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظماً أن تكون الجلة الثلاث مجموعاً جزاء الشرط كأنه قبل ومن قذف المحصنات فاجلدهم وردوا شهادتهم وفسقهم أى فاجعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يفرلهم فينقلون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فإن قلت) الكافر يذف فيتوب عن الكفر فقلل شهادته بالإجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضى الله عنه كأن القذف مع الكفر أمون من القذف مع الإسلام (قلت) المسلمين لا يميّون بسبب الكفر لأنهم شهروا بعداوتهم والظن فيهم بالباطل فلا يلحق المقتوف بقذف الكافر من

(قوله وقرئ وحرم بفتح الحاء بكون) له بفتح الحاء والراء

رَحِيمٌ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُحْدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَرْبَعٌ شَهِدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ رَحِيمِ

الشَّيْنِ وَالشَّارِ مَا يَلْحَقُهُ بَقْدَفِ مُسْلِمٍ مِثْلُهُ فَضَدَّ عَلَى الْقَاذِفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَدْعًا وَكَفًّا عَنِ الْخُلَاقِ الشَّرِّ (فَإِنْ قُلْتَ) هَلْ لِلْمَقْنُوفِ أَوْلَادٌ أَمْ أَنْ يَقُو عَنْ حَدِّ الْقَاذِفِ (قُلْتَ) لَهَا ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ الشُّهُودُ وَيُبَيِّنَ الْحَدَّ وَالْمَقْنُوفُ مَدْنُوبٌ إِلَى أَنْ لَا يَرِيعَ الْقَاذِفُ وَلَا يُطَالِبُهُ بِالْحَدِّ وَيَحْسِنُ مِنَ الْإِمَامِ أَنْ يَحْمِلَ الْمَقْنُوفُ عَلَى كَقْمِ النِّيطِ وَيَقُولُ لَهُ أَرْضِ عَنْ هَذَا وَدَعِ لَوْجَهُ اللَّهُ قَبْلَ ثَبَاتِ الْحَدِّ فَإِذَا ثَبِتَ لَمْ يَكُنْ لَوَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَقُو لِأَنَّهُ خَالِصُ حَقِيقَةٍ وَلِهَذَا يُبَصِّحُ أَنْ يَصَالِحَ عَنْهُ بِمَا (فَإِنْ قُلْتَ) هَلْ يُوْرَثُ الْحَدَّ (قُلْتَ) عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُوْرَثُ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدَّ لَا يُوْرَثُ وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوْرَثُ وَإِذَا تَابَ الْقَاذِفُ قَبْلَ أَنْ يَثْبِتَ الْحَدَّ سَقَطَ وَقِيلَ زَكَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي حَسَنِ ثَابِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ تَابَ بِمَا قَالَتْ فِي طَائِفَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٥ قَاذَفَ امْرَأَتَهُ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا حَرًّا بِالْعَاقِلِ غَيْرِ مُعْجُودٍ فِي الْقَذْفِ وَالْمَرْأَةُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مَعَ الصِّفَةِ صَحَّ الْعِلْمَانِ بَيْنَهُمَا إِذَا قَذَفَهَا بِصَرِيحِ الزَّانَا وَهُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا يَا زَانِيَةُ أُوْرِثِي أُوْرَثِيكَ تَزِينُ وَإِذَا كَانَ الزَّوْجُ عَبْدًا أَوْ مُعْجُودًا فِي قَذْفِ الْمَرْأَةِ مُعَصَّةٌ حَدَّ كَأَنِّي قَذَفْتُ الْأَجْنِيَّاتِ وَمَا لَمْ تَرَافَهُ إِلَى الْإِمَامِ لَمْ يَجِبْ الْعِلْمَانِ وَالْعِلْمَانُ أَنْ يَبْدَأَ الرَّجُلُ فَيَشْهَدُ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا وَيُضِلُّ فِي الْخَامِسَةِ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا وَقَوْلُ الْمَرْأَةِ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّانَا ثُمَّ تَقُولُ فِي الْخَامِسَةِ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيَّ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّانَا وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقَامُ الرَّجُلُ قَائِمًا حَتَّى يَشْهَدَ الْمَرْأَةُ وَالرَّجُلُ قَاعِدٌ حَتَّى تَشْهَدُوا بِأَمْرِ الْإِمَامِ مِنْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى فَيْهِ وَيَقُولُ لَهُ إِنِّي أَخَافُ إِنْ لَمْ تُكُنْ صَادِقًا أَنْ تَبُوءَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَقَالَ الْعِلْمَانُ بِمَكَّةَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْبَيْتِ وَبِالْمَدِينَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي مَسْجِدِهِ وَلِمَانَ الْمَشْرِقِ فِي الْكَنِيسَةِ وَحَيْثُ يُعْظَمُ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ دِينَ فِي مَسْجِدِنَا لِأَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ نَجِسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ثُمَّ يَفْرُقُ الْقَاضِي بَيْنَهُمَا وَلَا تَقَعُ الْفِرْقَةُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِفِرْقَةٍ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَمَّا بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ إِلَّا عِنْدَ فِرْقَانِ الْفِرْقَةُ تَقَعُ بِالْعِلْمَانِ وَعَنْ عِيَّانِ الْبَنِي لِأَفَرَقَهُ أَصْلًا وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَقَعُ بِالْعِلْمَانِ الزَّوْجُ وَتَكُونُ هَذِهِ الْفِرْقَةُ فِي حَكْمِ التَّطْلِيقِ الْبَاطِلَةِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَعْدُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَا يَتَأَبَّدُ حُكْمُهَا فَإِذَا أَكْذَبَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ بِمِثْلِهِ لِحَدِّ جَا زَانَ يَزْ وَجْهًا وَعِنْدَ أَبِي يَوْسُفَ وَزُفَرٍ وَالْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ وَالشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ هِيَ فِرْقَةُ بَغْيٍ مُطْلَاقٍ تَوْجِبُ تَقْرِيمًا مُؤَبَّدًا لَيْسَ لَهَا أَنْ يَجْتَمِعَا بَعْدَ ذَلِكَ بَوَاحٍ وَرَوَى أَنْ آيَةَ الْقَذْفِ لَمْ تَنْزَلَتْ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبَرِ قَامَ حَاصِمُ بْنُ عَدَى الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ إِنْ وَجَدَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَأَخْبَرَ جِلْدُهُ ثَمَانِينَ وَرَدَّتْ شَهَادَتُهُ أَبَدًا وَفُسِقَ وَإِنْ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ قَتَلَ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَلَى غِيْظٍ وَلَمْ يَأْتِ بِهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ قَدْ قَضَى الرَّجُلُ سَاجِدَةً وَمَعْنَى اللَّهُمَّ اخْرِجْ فَاسْتَقْبَلْهُ هَلَالُ بَنِي أُمِيَّةٍ أَوْ عُمَيْرُ قَالَ مَا وَرَأَيْتُكَ قَالَ شَرُّ وَجَدْتُ عَلَى بَطْنِ أَرْمَاقٍ خَوْلَتْنِي بِنْتُ حَاصِمِ بْنِ شَرِيكِ بْنِ سَمَاءٍ قَالَ هَذَا اللَّهُ سَوَّالٌ مَا لَسَرَعَ مَا لَيْتَ بِكَ بِفَرْجِهَا فَأَخْبَرَ حَاصِمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَ خَوْلَةَ فَقَالَتْ لَا أَدْرِي الْغَبِيْرَةَ أَمْ كُنْتُ أَمْ بِخَلَا عَلَى الطَّعَامِ وَكَانَ شَرِيكُ زَيْلِهِمْ وَقَالَ

(قَوْلُهُ مِنَ الشَّيْنِ وَالشَّارِ مَا يَلْحَقُهُ بَقْدَفِ مُسْلِمٍ مِثْلُهُ فَضَدَّ عَلَى الْقَاذِفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَدْعًا وَكَفًّا عَنِ الْخُلَاقِ الشَّرِّ) فِي الصَّحَاحِ الشَّرُّ الْعَيْبُ وَالْعَارُ (قَوْلُهُ قَامَ حَاصِمُ بْنُ عَدَى الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لَمَلَهُ حَاصِمُ بْنُ عَدَى وَفِي الْخَازِنِ سَبَبُ زَوْلِ هَذِهِ الْآيَةِ مَا رَوَى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ عُمَيْرَ السَّجَلَانِيَّ جَاءَ إِلَى حَاصِمِ بْنِ عَدَى قَالَ لِعَاصِمٍ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيْقَلَهُ قَتَلْتَنَاهُ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ سَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ ابْنِ هُبَالٍ أَنَّ هَلَالَ بْنَ أُمِيَّةٍ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِيكِ بْنِ سَمَاءٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَةَ أَوْحَدٌ فِي ظَهْرِكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَتَلَمَّسُ الْبَيْتَةَ لِمَجْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْبَيْتَةَ أَوْحَدٌ فِي ظَهْرِكَ فَزَلَّ جَبْرِيلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ الْآيَةَ

الْصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ۝ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذَّابِينَ ۝ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ مَا كُتِبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

حلال لقد رأيته على بطنها فزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها أَنْ لَعَنَ اللَّهُ هَلِيه
إِنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا آمِينَ وقال القوم آمين وقال لها إِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاعْتَرِفِي بِهِ فَالْجَمِ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ غَضَبِ
اللَّهِ إِنْ غَضِبَ هُوَ النَّارُ وَقَالَ تَحِينُوا بِهَا الْوَلَادَةَ فَإِنْ جَاءَتْ بِهَا أَصْهَبُ أَتَيْتُجِبُضُ إِلَى السَّوَادِ فَهِيَ لِشَرِّكَ وَإِنْ جَاءَتْ
بِأُورَقٍ جَمِدًا جَمَالِيَا خَدِجَ السَّاقِينَ فَهِيَ لِعَفْرِ الذِّي رَمَيْتَ بِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَجَاتٍ بِأَبْشَةٍ خَلَقَ اللَّهُ
لِشَرِّكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَا الْإِيمَانُ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ ۝ وَفَرَّقَى وَلَمْ تَكُنِ النَّاءُ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ جَمَاعَةٌ أَوْ لَأَنَّهُمْ
فِي مَعْنَى الْإِنْفُسِ الَّتِي هِيَ بِدَلٍّ وَوَجْهٍ مِنْ قَرَأَ أَرْبَعَ أَنْ يَتَصَبَّ لَأَنَّهُ فِي حُكْمِ الْمَصْدَرِ وَالْمَاعِلِ فِيهِ الْمَصْدَرُ الَّذِي هُوَ فُضَاهِدَةٌ
أَحْدَمٌ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ الْخَبْرَ تَقْدِيرُهُ فَوَاجِبُ شَهَادَةِ أَحْدَمٍ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بَالِقَةٍ وَقُرِئَ أَنَّ لَعَنَ اللَّهُ وَأَنَّ غَضِبَ اللَّهُ
عَلَى تَخْفِيفٍ أَنْ وَرَفَعَ مَا بَعْدَهَا وَقُرِئَ أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ عَلَى فَعْلِ الْغَضَبِ وَقُرِئَ يَنْصَبُ الْخَامِسَتَيْنِ عَلَى مَعْنَى وَتَشْهَدُ الْخَامِسَةَ
(فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ خَصَصْتُ الْمَلَاعَةَ بِأَنْ تَحْمَسَ بِغَضَبِ اللَّهِ (قُلْتَ) تَنْقِطًا عَلَيْهَا لِأَنَّهُمَا هِيَ أَصْلُ الْفَجْوَرِ وَمَتَبِعُهُ بِمَجْلَبَتِهَا وَإِطْلَاعِهَا
وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُقَدِّمَةً فِي آيَةِ الْجِدْرِ يَشْهَدُ لِنَاكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحَوْلَةُ فَالْجَمِ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ۝ الْفَضْلُ
الْفَضْلُ وَجَوَابُ لَوْلَا مَتْرُوكٌ وَتَرَكَ دَالٌ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ لَا يَكْتُمُهُ رَبٌّ مَسْكُوتٌ عَنْهُ أَبْلَغُ مِنْ مَنْطُوقٍ بِهِ ۝ الْإِفْكَ بَابُغٍ
مَا يَكُونُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِقْرَاءِ وَقِيلَ هُوَ الْبَهَانُ لَا تَقْرَعُ بِهِ حَتَّى يَفْجَأَكَ وَأَصْلُهُ الْإِفْكَ وَهُوَ الْقَلْبُ لَأَنَّهُ قَوْلُ مَا نُفُوكَ
عَنْ وَجْهِهِ وَالْمَرَادُ مَا أَفْكَ بِهِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ۝ وَالْعَصْبَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ الشُّرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَكَذَلِكَ الْعَصَابَةُ
وَاعْصَبُوا اجْتَمَعُوا وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَأْسٍ الْتَفَاقُ وَزَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ وَحَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ وَمُسْلِمُ بْنُ أَنَاثَةَ وَحَمْنَةُ بِنْتُ
جَحْشٍ وَمَنْ سَاهَدَهُمْ ۝ وَقُرِئَ كِبْرَهُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَهُوَ عَظْمُهُ وَالَّذِي تَوَلَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ لِإِمْعَانِهِ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّهَاهُ الْفَرَسُ وَطَلَبُهُ سَيْلًا إِلَى الْقَمِيْزَةِ ۝ أَيْ يَصِيبُ كُلَّ خَائِضٍ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ مِنْ تِلْكَ
الْعَصْبَةِ نَصِيْبُهُ مِنَ الْإِثْمِ عَلَى مِقْدَارِ خَوْضِهِ ۝ وَالْمَذَابُ الْعَظِيمُ لِمُبْدِئِهِ لِأَنَّ مَعْظَمَ الشُّرَكَائِ مِنْهُ يَحْكِي أَنَّ صَفْوَانَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ مِنْ يَهُودِيَّهَا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ مِنْ هَذِهِ فَقَالُوا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَجِيْتُ مِنْهُ وَلَا
نَجْمًا مِنْهَا وَقَالَ امْرَأَةُ نِيْمِكِ بَاتَتْ مَعَ رَجُلٍ حَتَّى أَصْبَحَتْ ثُمَّ جَاءَ يَقْتُودُهَا ۝ وَالْخُطَابُ فِي قَوْلِهِ (هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) لِمَنْ سَاهَدَ
ذَلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَاصَّةً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَائِشَةُ وَصَفْوَانُ بْنُ الْمَعْلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَعْنَى
كَوْنِهِ خَيْرًا لَّهُمْ أَنَّهُمْ أَكْتَسَبُوا فِيهِ التَّوْبَاتِ الْعَظِيمَةَ لِأَنَّهُ كَانَ بِلَاءَ مِيْنًا وَحِجَّةَ ظَاهِرَةً وَأَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنْهَا مُسْتَمَلَّةٌ بِمَا هُوَ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرْبِيَةٌ لِّلْأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ

(قوله فَإِنْ جَاءَتْ بِهَا أَصْهَبُ أَتَيْتُجِبُضُ إِلَى السَّوَادِ) فِي الصَّحَاحِ الصَّهْبَةُ الشُّقْرَةُ فِي شَعْرِ الرَّأْسِ وَالرَّجُلُ أَصْهَبُ فِيهِ يَبْشُجُ كُلُّ شَيْءٍ وَسَطَعُوا الْأَشْيَاجَ
الرَّيْضُ الْبَشِجُ وَيُقَالُ الثَّانِي الْبَشِجُ أَوْ مَا فِي الْحَدِيثِ تَصْنِيفُهَا فِيهِ أَيْضًا الْحَدْلَةُ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَرْأَةُ الْمُتَلَتِّةُ الذَّرَاعِينَ
وَالسَّاقِينَ (قوله وَقُرِئَ يَنْصَبُ الْخَامِسَتَيْنِ عَلَى مَعْنَى) فِي النَّسْفِيِّ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي رَفْعِ الْخَامِسَةِ الْأُولَى عَلَى الْمَشْهُورِ
(قوله وَمَتَبِعُهُ بِمَجْلَبَتِهَا) فِي الصَّحَاحِ الْحَلَابَةُ الْحَدِيدَةُ بِاللَّسَانِ (قوله بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَهُوَ عَظْمُهُ) فِي الصَّحَاحِ
عَظْمُ الشَّيْءِ أَكْثَرُهُ وَمَعْظَمُهُ

بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفاك مبن . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم ياتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكذبيون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكن في ما أضمت فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بالسيتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

عليها وتطهير لاهل البيت وتحويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم يحجج أدناه وهذه الطائفة السامعين والتابن إلى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وأداب لا تخفى على متعلمها (بأنفسهم) أى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقولهم ولا تلزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب الأترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت نظن بحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضی الله عنها ما كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فائشة خير مني وصفوان خير منك (فإن قلت) ملا قيل لولا إذ سمعتموه ظنتم بأنفسكم خيرا أو قلتم ولم تعدل من الخطاب إلى النبية وعن الضمير إلى الظاهر (قلت) لي بالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصديق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائشة ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قاله في أخيه أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بل فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا إفاك مبن) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن الذي فن القائم بهر الحافظ له ولبيتك تجدد من يسمع فيسكت ولا يبيع ماسمه بأخوات . جعل الله التفصيلة بين الرضى الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاء ما للذين رموا عائشة رضی الله عنها لم تكن لهم بيعة على قولهم فقامت عليهم الحججة وكانوا (عند الله) أى في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفاك فلم يجتدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب الفاذب بغير بيعة والتكليف بإدانة ف امرأة محبسة من عرض نسائها المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيية حبيب الله . لولا الأولى للتضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود دفعه والمعنى ولولا أني قضيت أن أضلل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جهتها الإهمال للنوقان أترحم عليكم في الآخرة بالعمو والمغفرة لما جلتكم بالمقاب على ما خضعت فيه من حديث الإفاك . يقال أفاض في الحديث وأندفع وفضب وخاض (إذ) ظرف لمسكن أو لأضمت (تلقونه) يأخذه بعضهم من بعض يقال تلقى القول وتلقته وتلقفه ومنه قوله تعالى فلقى آدم من ربه كلمات . وقرئ على الأصل تلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى تلقفه وتلقونه

• قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقولهم تعالى ولا تلزوا أنفسكم) قال أحمد والسر في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يذنب نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاشحة ولا شيء أشنع من ذلك والله أعلم • عاد كلامه (قال وقيل أن أبا أيوب الأنصاري قال لأمرأته الأترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما كنت وصفوان خير منك وعائشة خير مني) قال أحمد ولقد ألهمت بنور الإيمان إلى هذا السر الذي انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فإنها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الأولى رضى الله عنها ويمتثل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشري وهو أن يكون التعبير بالانفس حقيقة والمقصود إلزام سب الظن بنفسه لانه لم يمتد بوزاع الإيمان في حق غيره والثناء واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

(قوله وإذ تلقونه بإدغام الذال) لعل رسمه هكذا وانتقونه إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَيْنَ عَظِيمٍ ۖ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَمُودُوا
لِشَيْءٍ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَيَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ

من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الوق والأتق وهو الكذب وتلقونه تحكية عن عائشة رضي الله عنها وعن
سفيان سمعت أي تقرأ إذ تتفقونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فإن قلت) ما معنى قوله (بأفواهكم)
والقول لا يكون إلا بالهمز (قلت) معناه أن الله المعلوم يكون وعليه في القلب فيترجم منه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً
يجرى على السكت ويدور في أفواهكم من غير ترجمة من علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي
تخسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند ما لم تفتل له فقال أخاف ذنباً لم يكن مني على بالود هو
عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فاعلمه عند الله نخلة وهو عندك تقيرو صفهم بارتكاب ثلاثة
آثام وعقوب مس العذاب العظيم بها أحدها تاتي الإفك ألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقي الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه
بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فليق بيت ولاناد لإطاريقه والثاني التكلم بما لا علم له به والثالث استصدار ذلك وهو
عظيمة من العظام (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو نزها من الأشياء منزلة أنفسها
لوقوعها فيها وإنما لا تنسك عنها فلذلك ينسج فيها ما لا ينسج في غيرها (فإن قلت) فأى قاعدة في تقديم الطرف حتى أوقع فاصلا
(قلت) القاعدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يصادوا أول ماسموا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذلك الوقت أمم وجب
التقديم (فإن قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه مثلب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغي ويصح
أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق (وسبحانك) للتعجب من عظم
الامر (فإن قلت) ما معنى التعجب في كلمة التيسيع (قلت) الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائمه ثم كثر
حتى استعمل في كل متعجب منه أولئك به الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فإن قلت) كيف جاز أن
تكون امرأة التي كافرة كرامة نوح ولوط ولم يجر أن تكون فاجرة (قلت) لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعواهم
ويستظفروهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم ولم يكن الكفر عدم ما ينفرها وأما الكشخة فن أعظم المنفرات
أي كراهة (أن تمودوا) أو في أن تمودوا من قولك وهطت فلانا في كذا فتركه وبأدمه ماداموا أحياء مكلفين
(وإن كنتم مؤمنين) فيه تيسيج لم ليتظفروا وتذكير بما يوجب ترك المود وهو انصافهم بالإيمان الصادع عن كل متعجب

قوله تعالى « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم » (قال إن قلت القول لا يكون إلا بالأفواه فساغمة ذكرها قلت
المراد أن هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب وإسماءه مجرد قول اللسان) قال أحد ويحمل أن يكون المراد المبالغة
أو تعريضاً بغير ما يمتدح ويقضى تشدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع وهو السرائر الذي أتباعه قوله تعالى قد بدت البضضاء
من أفواههم والله أعلم ۖ قوله تعالى سبحانك هذا بفتان عظيم (قال) معناه التعجب من عظم الامر وأصله أن الإنسان
إذا رأى عجيبة من صنائع الله تعالى سبحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ۖ ثم أورد ما هنا سؤال الأهل توبيخهم على ترك
التعجب فقال إن قلت لم جاز أن تكون زوجة التي كافرة كرامة نوح ولوط ولم يجر أن تكون فاجرة ولم يكن كفرها
متعجباً منه ولجورها متعجب منه قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعواهم ويقرؤوا عليهم وكفر الزوجة غير مانع
ولا منفر بخلاف الكشخة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحداً يشكل عليه أن ينسب الفاحشة
إلى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

(قوله سمعت أي تقرأ إذ تتفقونه) وفي نسخة تتفقونه بمعنى تبصرونه وكلا النسختين قراءة (قوله) وهو عند الله كبيرة موجبة) لعله
موجبة للعقاب (قوله) والكلام بدونه مثلب) لعله بحرف وأصله مستب وفي الصحاح استب الأمر تها واستقام
(قوله) وأنا الكشخة فن أعظم المنفرات) كلها البديهة

فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْبَلُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَازَكَيْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْبُوا وَيَصْطَحُوا الْأَنْحِبُونَ أَنْ يَقَرَّ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسِنَاتِ الْمُفْلِسَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ

ويبين الله لكم الدلالات على حله وحكمته بما يزيل هلك من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجليلية يعظمكم به من المروءات الشافية والله عالم بكل شيء فاعلم لما يفعله بدواعي الحكمة ۝ المعنى يشعرون الفاحشة من قصد إلى الإشاعة وإرادة وحبها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده بن أبي وحسانا ومسطحا وقصد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم (والله يعلم) ماني القلوب من الأسرار والضاير (وأنتم لا تعلمون) يعني أنه قد علم حجة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ۝ وكثر المنة بترك المجاملة بالعقاب حافظا جواب لولا كما حذفته وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التوازي والرفوف والرحيم ۝ الفحشاء والفاحشة ما فرط فيه قال أبو ذؤيب ۝ ضرائر حري فاحش غارها ۝ أي أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتفر عنه لا ترضيه ۝ وقرئ خطوات يفتح الطاء وسكونها وزكي بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله فضل عليكم بالتوبة المحصاة لما ظهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يظهر التائبين بقبول توبتهم إذا حضروها وهو (سميع) لقولهم (علم) بضائرهم واخلاصهم وهو من اتلى إذا حلف أفضال من الآية وقيل من قولهم ما ألوت جهنما إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأمل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أولا بقصروا بأن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شناعة لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالنعم والصفح وليعزلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربه مع كثرة خطاياهم وذنوبهم زلت في شأن مسطح وكان ابن خالصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما كان قهرا من قراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكنى به داعيا إلى الجمالة وترك الاشتغال بالمكافأة للسيء ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال لي أحب أن يفر الله لي ورجع إلى مسطح فنفقت وقالوا له لا نزاعا أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن توتوا بأناء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يفر الله لكم (الناقلات) السليات الصدور الثقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجرن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يغلطن لما تظن له المجربات العرافات قال ولقد لوت بطفلة مائة ۝ بلهاه تطلقن على أسرارها

وكذلك الله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البه ۝ وقرئ يشهد بالبه والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو ظلت القرآن كله ونفقت عما أوعده العصاة لم تراه تعالى قد غلظ في شيء تليظ في إفك عاتية رضوان عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والتاب الليغ والزجر العنيف واستعظام ماركب من ذلك واستعظام أقدم عليه ما أنزل فيه عن طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكني بها حيث جعل القذة ملموعين في الفارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في

وَأَيُّهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَذُ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ .
الْحَيْثُ لِلنَّحِيثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلنَّحِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ

الآخرة وبأن الستم وأيديهم وأرجلهم تشد عليهم بما أفكروا وهتوا وأنه يوفيههم جزاء الحق الواجب الذي هم أهله حتى يملوا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكزودوا بما لم يقع في عهد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في القضاة وما ذاك إلا لأمر وهن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من غاض في أمر عاتقة وهذه منه مبالغة وتظيم لأمر الإفك ولقد برأ الله تعالى أريمة بأريمة برأ يوسف بلسان القاعد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهودية بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بإطلاق يدها حين نادى من حجرها إلى عبادة وبزأ عاتقة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتل على وجه الدهر مثل هذه التجربة بهذه المبالغات فانظر كيفناوبين توبة أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتتيه على إفاة عمل سيدنا آدم وخيرة الأولين والآخرين ورحمة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه وإحرازه لتعصب السبق دون كل سابق فليست ذلك من آيات الإفك وليأتل كيف غضب الله في حرمة وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجاب (فإن قلت) إن كانت عاتقة هي المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيزوجان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن محصن بأن من قذفن فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعاتقة كبراهن منزلة وقرية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أول والثاني أنها ألم المؤمنتين فجمعت إرادة لما وليتاها من نساء الأئمة الموصوفات بالإحسان والنفقة والإيمان كآله قدنى من نصر الحيين قدنى . أراد عبادة بن الوليد وأشاعمر كان أعدوه يكنونه نجيب ابنه وكان مضمونا وكتبته المشهورة أبو بكر إلا أن هذا في الاسم وذلك في الصفة (فإن قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الخلقين أى العادل الظاهر العدل الذى لا ظفر فى حكمه والحق الذى لا وصف ياطل ومن هذه صفته لم تسقط عنه إساءة سيء ولا إحسان حسن خلق مثله أن يفتى ويحتمل عارمه . أى (الحيات) من القول قال أوتعد (للحيين) من الرجال والنساء (والحيثون) منهم تعرضون (للحيات) من القول كذلك الطيبات والطيبون (وأولئك) إشارة إلى الطيبين وإنهم مبرؤون مما يقول الحيثون من خيانت الكلم وهو كلام جار مجرى الخلل لعاتقة وما ريت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت أنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالحيات والطيبات النساء أى الخباثات

• قوله تعالى وإن الذين يرمون المحصنات التافلات المؤمنات ، الآية (قال إن كانت عاتقة هي المرادة فزجمع قلت المراد إتزا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفتن وإتعا عاتقة وجمعت إرادة لما وليتاها كما قال :
• قدنى من نصر الحيين قدنى . يعنى عبادة بن الوليد وأتباعه وكان يكنى بأخبيب) قال أحمد والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود كرهن على العموم وعيد من وقع في عاتقة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا عيدا فأنف أحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعمم الوعيد أبلغ وأضلع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ماجزا من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم فجمعت وأرادت يوسف تهويل عليه وإرجافا والمعصوم من عصمة الله تعالى . قوله تعالى . الحيات للنحيين والحيثون للنحيات ، الآية (قال) تحمل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الحية للنحيين والمراد الإفك ومن أعاض فيه وعكس في الطيبات والطيبين الثاني أن يكون المراد بالحيات النساء وبالحيثين الرجال (قال أحمد) إن كان الأمر على التأويل الثاني فهذه الآية تفصيل لما أجله

(قوله وكان مضمونا) في الصحاح أضمت الشيء فهو مضموف على غير قياس

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلَكِنْ عَلَى

يَتْرُكُ الْحَبَابَ وَالْحَبَابُ الْحَبَابُ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الطَّيِّبِ . وَذَكَرَ الرِّزْقَ الْكَرِيمَ مَا هَذَا مِنْ قَوْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا وَعَنْ عَائِشَةَ لَقَدْ أُعْطِيَتْ تَسْعًا مِائَةً عِشْرِينَ امْرَأَةً لَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُورَةٍ فِي رَاحَتِهِ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنِي وَلَقَدْ تَزَوَّجَنِي بِكَرَامَةٍ وَتَزَوَّجَ بِنِي جَعْلِي وَلَقَدْ تَوَفَّيْتُ رَأْسَهُ لِي جَعْلِي وَلَقَدْ قَرَّبَنِي بَيْنِي وَلَقَدْ خَفَضَهُ الْمَلَائِكَةُ فِي بَيْتِي وَإِنَّ الْوَحْيَ لَيَنْزِلُ عَلَيَّ فِي أَهْلِهِ فَيَغْفِرُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَيَّ وَأَنَا مَعَهُ لِحَافِهِ وَإِنَّ لَبَنَةَ خَلِيفَتِهِ وَصَدِيقَهُ وَلَقَدْ نَزَلَ عَذْرَى مِنَ السَّمَاءِ وَلَقَدْ خَلَقْتَ طَبِيبَةً عِنْدَ طَبِيبٍ وَلَقَدْ وَعَدْتَ مَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا (تَسْتَأْذِنُوا) فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْاسْتِغْثَاثِ لِأَنَّ الَّذِي يَطْرُقُ بَابَ غَيْرِهِ لَا يَدْرِي أَيُّ ذُنُوبِهِ أَمْ لَا فَهُوَ كَالْمُسَوَّحِشِ مِنْ خِفَانِ الْحَالِ عَلَيْهِ فَإِذَا أُذِنَ لَهُ اسْتَأْذَنَ قَائِمًا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ كَقَوْلِهِ « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » وَهَذَا مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ وَالْإِرْدَافِ لِأَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ يَرُدُّ الْإِذْنَ فَوْضِعَ مَوْضِعِ الْإِذْنِ وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ الَّذِي هُوَ الْاسْتِعْلَامُ وَالْاسْتِغْثَاثُ اسْتِغْفَالٌ مِنْ أُنْسِ الشَّيْءِ إِذَا أَبْصَرَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَالْمَعْنَى حَتَّى تَسْتَعْلُوا وَتَسْتَكْشِفُوا الْحَالِ هَلْ يَرَادُ دُخُولُكُمْ أَمْ لَا وَمِنْ قَوْلِهِ اسْتَأْذِنَ هَلْ تَرَى أَحَدًا وَاسْتَأْذِنْتَ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَيَّ تَعْرِفْتَ وَاسْتَعْلَمْتَ وَمِنْ بَيْتِ النَّبِيبَةِ . عَلَى مِثْلِ اسْتَأْذِنَ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِنْسِ وَهُوَ أَنْ يَتَعْرِفَ هَلْ ثَمَّةُ إِنْسَانٍ وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ الْإِنصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتِئْذَانُ قَالَ يَسْكُتُ الرَّجُلُ بِالنَّسِيحَةِ وَالتَّكْبِيرَةِ وَالتَّحْمِيدَةِ وَيَتَنَحَّجُ يُؤْذَنُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَالتَّسْلِيمُ أَنْ يَقُولَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا رَجَعَ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ أَتَى بَابَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ أَدْخُلْ قَالَا ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْاسْتِئْذَانُ ثَلَاثًا وَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلْجُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَامْرَأَةٍ يَقَالُ لَهَا رَوْضَةٌ قَوِيٌّ إِلَى هَذَا فَلْيَبْغِي فَإِنَّهُ لَا يَحْسِنُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ قَوْلُهُ لَمْ يَقُولِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ فَقَالَا فَقَالَ ادْخُلْ وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا دَخَلَ بَيْتًا غَيْرَ بَيْتِهِ حَيْثُ صَبَاحًا وَحَيْثُ مَسَاءً ثُمَّ يَدْخُلُ قَرِيبًا أَصَابَ الرَّجُلَ مَعَ امْرَأَتِهِ فِي خَلْفٍ وَاحِدٍ فَصَدَّقَهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ الْإِحْسَنُ وَالْأَجْمَلُ وَكَمْ مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الدِّينِ هُوَ عِنْدَ النَّاسِ كَالشَّرِيعَةِ الْمَسْخُوحَةِ قَدْ تَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ وَبَابِ الْاسْتِئْذَانِ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَا أَنْتَ فِي بَيْتِكَ إِذَا رَعَفَ عَلَيْكَ الْبَابَ

قَوْلُهُ تَعَالَى الْوَايَةَ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا زَانٌ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُامُ شَمِلَتْ عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ نَهْرًا وَتَضَمَّنَتْ لِمَا جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَصْرُوحَةً بِالْجَمْعِ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى قَائِمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ اسْتِغْفَالٌ عَلَى رِأْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهَا زَوْجَةُ أَطِيبِ الطَّبِيبِينَ فَلَا يَدْخُلُ وَأَنْ تَكُونَ طَاهِرَةً طَبِيبَةً مَبْرَأَةً بِمَا أَفْكَتَ بِهِ وَهَذَا التَّأْوِيلُ الثَّانِي هُوَ الظَّاهِرُ فَإِنَّ بَعْدَ الْآيَةِ لَمْ يَمُغَّرْ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَهَذَا وَعَدُ أَرْوَاجِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَتَوَاتَا أَجْرُهُا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا » وَاقْعُ أَعْلَمُ عَادَ كَلَامَهُ (قَالَ وَقَدْ نَزَلَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لَقَدْ أُعْطِيَتْ تَسْعًا مِائَةً عِشْرِينَ امْرَأَةً فَذَكَرْتُ مِنْهُنَّ أَنَّهَا خَلَقَتْ طَبِيبَةً عِنْدَ طَبِيبٍ) قَالَ أَحْمَدُ هَذَا إِضَافَةٌ مَذْكُورَتِهِ مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ بِالطَّبِيبَاتِ وَالطَّبِيبِينَ النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَأَنَّ الْمَرَادَ بِذَلِكَ إِظْهَارُ رِأْيَةِ عَائِشَةَ بِأَنَّ زَوْجَ أَطِيبِ الطَّبِيبِينَ فَلَوْ أَنَّ تَكُونَ طَبِيبَةً وَقَدْ يَقُولُهُ « وَالطَّبِيبُونَ الطَّبِيبَاتِ » وَاقْعُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلَكِنْ عَلَى النَّبِيِّ إِذَا رَعَفَ عَلَيْكَ الْبَابَ (قَالَ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مِنَ الْاسْتِئْذَانِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْاسْتِغْثَاثِ أَيَّ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ تَسْتَأْذِنُوا عِبْرَ النَّبِيِّ عَمَامُ وَرَادِفُهُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْاسْتِعْلَامِ أَنْ يَرَى إِذَا أَبْصَرَ وَالْمَعْنَى حَتَّى تَسْتَكْشِفُوا الْحَالِ هَلْ يَرَادُ دُخُولُكُمْ أَمْ لَا وَذَكَرَ إِضَافَةَ وَجْهًا بَعِيدًا وَهُوَ أَنَّ الْمَرَادَ حَتَّى تَعْلَمُوا هَلْ فِيهَا إِنْسَانٌ أَمْ لَا (قَالَ أَحْمَدُ) فَيَكُونُ عَلَى هَذَا الْآخِرِ بَيْنِي مِنَ الْإِنْسَانِ اسْتِغْفَالٌ وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ هُوَ الْبَيْنُ وَسِرُّ التَّجَوُّزِ فِيهِ وَالدُّخُولُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِيقَةِ تَرْغِيبُ الْمُخَاطَبِينَ فِي الْإِتْيَانِ بِالْاسْتِئْذَانِ بِوَسِيلَةِ

(قَوْلُهُ إِذَا رَعَفَ عَلَيْكَ الْبَابَ) فِي الْمَصْحُوحِ رَعَفَ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ الدَّمُ مِنْ أَنْفِهِ وَرَعَفَ الْفَرَسُ إِذَا سَبَقَ وَتَقَدَّمَ فَكَانَ مَا هُنَا جَازًا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ

أَهْلَهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لِمَلِكُمْ تَذَكُّرُونَ . فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ . قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَهْلِ بَعْضٍ وَيَحْفَظُوا

بواحد من غير استئذان ولا حجة من تحايا إسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الأذن الواجبة وفي قراءة عبادة حتى تسلبوا على أهلها وتستأذوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذوا فأخطأ الكاتب ولا يقول على هذه الرواية وفي قراءة أخرى حتى تستأذوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (غير لكم) من تحية الجاهلية والعمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دمار لعظم المار بتركه وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كما دخلت قال أنتب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لكم) تذكرون) أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتفظوا وتعلموا بما أمرتم به في باب الاستئذان به يحتمل (فإن لم يجدوا فيها أحدا) من الأذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم يجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدمار على عوزة ولا تنسب عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويحفظون من إطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه النصب والتغلب (فارجعوا) أي لا تلحقوا في إطلاق الإذن ولا تلحقوا في تسهيل المحاسن ولا تتفقوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدم في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرئاضين بالأدب الحسنة وإذا نهى عن ذلك لأداته إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب وبغف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبد مافرت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة ومازل فيها من قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يقولون (فإن قلت) هل يصح أن يكون المني وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد أن جزم الله من الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن (فإن قلت) فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهورا منكرا يجب إنكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل هـ أي الرجوع أطيب لكم وأظهر لمخافته من سلامة الصدور والبعد من الزبينة أو أنفع وأمنى خيرا هـ ثم أورد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خاطبوا به قوف جزاءه عليه هـ واستثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحرانيت الباعين هـ المتاع المنفعة كالاستئذان من الخبز والبرد وإبواه الرجال والسلع والثراء والبيع وروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنما تختلف في تجارتنا فتزول هذه الخانات فلا تدخلها إلا بإذن فتزل وتقل الخرابات يبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبذرون وما تكتُمون) وعيد للذين يدخلون الخرابات والدور الخالية من أهل الزينة هـ من التلبيض والمراد غش البصر عما يحرم والاقتصا به على ما يحل وجوزوا الاقتصا أن تكون مزبدة وأباه سيويه (فإن قلت) كيف دخلت في غش البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن الأمر النظر أوسع الأثرى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصورهن ونديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرات والأجنية بنظر

ذكر فإن له فائدة وثمرة تميل النفوس إليها وتفر من حدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان فيه تبيض

فَرُوجُهُمْ ذَلِكَ أَرَادَ كَيْ لَمْ يَنْ أَفَّ خَيْرٍ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَدْخُلْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ

إلى وجهها وكفها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فضيق وكفاك فراق أن أبيع النظر إلا ما استنتى منه وحظر الجماع إلا ما استنتى منه ويجوز أن يراد مع حفظها من الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار . ثم أخبرناه (خير) بأفهام وأحوالهم وكيف يجملون بأبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواصمهم وجوارحهم فعلمهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون . النساء مأمورات أيضاً بنفض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجني إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتيت غشت بصرها وأسأولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضا بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا قلنا بأمر الله ليس أعمى لا يصرنا قال أعمى وإن أتت الساترانة (فإن قلت) لم قدم غش الأبصار على حفظ الفروج (قلت) لأن النظر يرد الزنا ورائد الفجور والبلى فيه أشد أثره ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه . ه الزينة ما زينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب فسا كان ظاهراً منها كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدمالج والقلادق والإكليل والوشاح والقرط فلا تبدي إلا هؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها غير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعتق والرأس والصدر والأذن فهي عن إبداء الزين نفسها ليحل أن النظر إذا لم يحل إليها لملاستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملازمة لها لمقال في حله كان النظر إلى المواقع أخصها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاعداً على أن النساء فحهن أن يحطن في سترها وتعتقن الله في الكشف منها (فإن قلت) ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها (قلت) نعم (فإن قلت) ليس موقعها الظهور ولا يحل لهم النظر إلى ظهروا وبطنها وربما ورد الشعر فوقت القراميل على ما جازى ما تحت السرة (قلت) الأمر كما قلت ولكن أمن القراميل خلاف أمر سائر الحلى لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لركته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه (فإن قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلبسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والعمرة في خديه والكشف والقدم موقع الخاتم والفتحة والخضاب بالحناء (فإن قلت) لم سرح مطلقاً في الزينة الظاهرة (قلت) لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجدد من مزاوله الأشياء يدها من الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهاد والحاكمة والتكاح وتضطر إلى المشى في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (الإلا ما ظهر منها) يعني إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره الأصل فيه الظهور وإنا سرح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا غرضين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم

للدوامي على سلوك هذا الأدب والله سبحانه وتعالى أعلم . قوله تعالى ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (قال المراد انتهى عن إبداء مواضع الزينة فليس انتهى عن إظهار الزينة مقصوداً لئنه ولكن جعل نفسها كناية عن النبي عن إبداء مواقعها بطريق الأولى) قال أحمد وقوله تعالى عقيب ذلك ولا يصرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن محقق أن

(قوله كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب) في الصباح الفتحة بالحرك حلقة من فضة لاصص فيها فإذا كان فيها فص فهو الخاتم وربما جعلها المرأة في أصابع رجليها وفيه الإكليل شبه عصاة ترين بالجواهر ويسمى التاج إكليلاً (قوله فإن قلت ما تقول في القراميل) في الصباح القراميل ما تشده المرأة في شعرها (قوله والخضاب بالوسمة في حاجبيه)

أَوْ عَابَا نِهِنَّ أَوْ عَابَا بَعْضَهُنَّ أَوْ أَبَا نِهِنَّ أَوْ أَبَا بَعْضَهُنَّ أَوْ لُحْنَهُنَّ أَوْ لُحْنَ بَعْضِهِنَّ أَوْ نِسَا نِهِنَّ أَوْ نِسَا بَعْضَهُنَّ أَوْ تَسَبَّحْنَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

وخالطتهم ولفقة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن ماسة القرائب وحتاج المرأة إلى محبتهم في الأسفار والترحول والركوب وغير ذلك . كانت جيوبن واسعة تبسو منها نخورهن وصورهن وماحوها ولكن يسدلن الخمر من وراءهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلن من قدامهن حتى يظنها أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها وبلايسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الخائط إذا وضعتها عليه . ومن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيراً من نساء الأنصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاخترن فأصبحن كأن على رؤسهن القربان وقرئ جيوبن بكسر الجيم لأجل الياء وكذلك بيوتا غير يوتكم قيل فبنائهن من المؤمنين لأنه ليس للؤمننة أن تتحد بين يدي مشركة أو كناية عن ابن عباس رضي الله عنهما والظاهر أنه عن بنسائهن وماملكت أيمانهن من في محبتن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض وقيل ماملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدما وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تنزكن آية النور فإن المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصباً كان أو غلاماً وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى فتعنت منه فقال هو خصى فقالت يا معاوية أرى أن المثة به تحمل محارم الله وعند أبي حنيفة لا يحل استخدام الحميمان وإسماكنهم وبيهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إسماكنهم (فإن قلت) روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصى قبله (قلت) لا يقبل فينايم به البلوى إلا حديث مكشوف فإن صح قلناه قبله ليعتقه أولسب من الأسباب (الإبرة) الحاجة قيل من الذين يتبعونكم ليعيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم لا يبرفون شيئاً من أمرهن أو شيوخ صلحا إذا كانوا معهم غضوا أعيارهم وأوبهم عانة وقرئ غير بالنصب على الاستئداء أرواحال والجزع على الوصفة . وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما يبدد أن المراد به الجمع ونحوه فخرجكم فطلا (يظهروا) إقامن ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أي لا يبرفون الماعورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإقامن ظهر على فلان إذا قوى عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاعه أي لم يبلغوا أو أن القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لفه مزيل (فأرقلت) لم يذكر الله الأعمام والأخوال (قلت) سئل الشعبي عن ذلك قال ثلثا يصفها المم عند ابنه والحال كذلك ومعناه أن سائر القربات يشرك الأب والابن في المحرمية إلا المم والحال وأبائهما فإذا رآها الأب فرمى وصفها لابنه وليس يحرم فديان تصورهما بالوصف فنظره إليها وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر . كانت المرأة تقرب الأرض برجلها ليتمتع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تقرب بأحدى رجلها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا تبين عن إظهار صوت الحلي بعد ما تبين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النبي عن إظهار مواضع الحلي المبلغ والمبلغ

إهداء الزينة بعينه مقصود بالنهي لأنه قد نهى عما هو ذريعة إليه خاصة إذ الضرب بالأرجل لم يعطى النهى عنه إلا ليعلم أن المرأة ذات زينة وإن لم تظهر فضلا عن مواضعها والله أعلم

في الصباح الوسمة بكسر السين العظم يختضب به وتسكنها لغة وفيه العظم نبت يصبح به وفيه أيضا الفمرة طلاء يتخذ من الورس (قوله قامت لكل واحدة منهن إلى مرطها) في الصباح المرط كساء من صوف أو خز كان يؤثر به وفيه أيضا مرط مرحل إزارخ في علمه (قوله يشترك الآب والابن في الخرمية) الرابطة محذوف أي يشترك بها الأنبياء

عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نَقِيلُونَ • وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُفْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ

• أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من نقصير يقع منه فذلك وصي المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وبأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما توبوا إما كنتم تفعلونه في الجاهلية لكم تسدون في الدنيا والآخرة (فإن قلت) قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ماقبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه يلزمه كلما يذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على نعمه وعزمه إلى أن يلقى ربه وقرئ آية المؤمنين بضم الماء ووجه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلا سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبت حركتها حركة ما قبلها (الأيامى) واليتامى أصلهما أيامهم وينائم قلبها والأيام للرجل والمرأة وقد آمى وأمت وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو يتيمن قال فإن تكلمى أنكح وإن تأمى • وإن كنت أفتى منكم أنأيام

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تغفلوا عنكم من العيبة والنيمة والإيمى الكرم والكرم والمراد أنكحوا من تأمى منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلبتكم وجواريتكم وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للربيع لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الطواهر النكاح واجب وما يدل على كونه مندوباً إليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرق فليستن بسنى وهى النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام إذا تزوج أحدكم سيج شيطانه بأويله عصم ابن آدم من ثلثي دينه وعنه عليه الصلاة والسلام بإعياض لا تزوجن عجوزاً ولا عافراً فأني كثر والأحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أمي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لاتزال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة (فإن قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين موالهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأهم والاعتناء بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فالحلم عند موالهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحق النكاح • ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعود نظائره وهى مشيئة ولا يشاء

• قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم الآية (قال هذا أمر والمراد به التنب ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام من وجد نكاحاً لم ينكح فليس منكم فليس منا) قال أحد هذا بأن يدل على الوجوب وأولى ولكن قد ورد مثله في ترك السن كثير وكان المراد من لم يستن يستن على أنه قد ورد في الواجب كقوله من غشنا فليس منا وجبته الفش واجبة ومن شهر السلاح في فتنه فليس منا ومثله كثير • عاد كلامه قوله إن يكونوا فقراء يفنهم الله من فضله (قال فيه ينبغي أن تكون شريطة

(قوله من العيبة والنيمة والأيمة والكرم والكرم) في الصحاح العيبة شهوة اللب وفيه القيم العطش وحز الجرف اه وهو يفيدان النعمة المثرة من ذلك وفيه الأيامى الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء وآمت المرأة من زوجها قيم أمة وفيه كرم الشيء بمقدم فيه أى كسر مواسخج ما فيه وفيه قرم الصى بهم قرما وهو أكل ضعيف في أول ما يأكل والكرم بالتحريك شدة شهوة اللحم ويروى في الحديث القدم بالنال بدل الرام في الصحاح القدم على وزن الجنب الشديد وفيه أيضا المهبط من التمام من الناس الجاني التقل قال الكيت : هو الأصبط الهواس فينا فجماعه وفيمن يعاديه المهبط المتقل ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد الفاء وفيه الهواس الامد (قوله إذا تزوج أحدكم سيج شيطانه) أى صاحب

الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وقد جاءت الشريعة منصرفة في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم، ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينتصب معترضا بمزب كان غنيا فأقره الكاح وبما سق تاب وناقى الله وكان له شيء فنى وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم القسا الرزق بالكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال عليك بالادة وعن عمر رضى الله

الحكمة والمصلحة غير منسبة واستشهد على ذلك بقوله وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء قال أحمد بن حنبل للمعتد العاصد يمتنع عليه العوالب فإن معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى فمن شرط الحكمة والمصلحة معجرا وأساسا من فضل الله تعالى ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لاله فإن قوله تعالى في الآية الأخرى إن شاء يقتضى أن وقوع الفنى مشروط بالمشيئة خاصة وهذا معتقد أهل الحق فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال تعالى من الإيجاب رب الأرباب لكن ينبغي التنبيه لنسبة تدعو الحاجة إلى التنبيه عليها ليم تفهمها ويظهر فيها إن شاء الله وذلك أنا إذا بينا على أن ثم شرطا محذورا لا بد من تقديره ضرورة صدق الخبر إذ لو اعتدنا أن الله تعالى ينفى كل مزجوع على الإطلاق مع أننا شاهد كثيرا أن استمرار الفقر بعد النكاح بل زاد للزم خلف الوعد تقدس الله تعالى عن ذلك فقد ثبت الاضطرار إلى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع فالتقديرية يقولون المراد إن اقتضت الحكمة ذلك فكل من لم ينفه الله بأمر الزوج فهو ممن لم يقتض الحكمة إغناؤه وقد أبلغنا أن يكون هذا الشرط هو المحذور وحتما أن المحذور شرط المشيئة كما ظهر في الآية الأخرى وحيتذ فكل من لم يستثن بالنكاح فذلك لأن الله تعالى لم يشأه فغافل أن يقول إذا كانت المشيئة هي المعتبرة في غنى الزوج ففى أيضا المعتبرة في غنى الأزهر فواجه ربط وعد الفنى بالنكاح مع أن حال الناكح منقسم فى الفنى على حسب المشيئة فمن مستغنى به ومن فقير كما أن حال الغير الناكح كذلك منقسم وليس هذا كإضرار شرط المشيئة في الغفران للروح المعاصى فإن الوعد ثم له ارتباط بالوجود إن ارتبط بالمشيئة أيضا من حيث أن غير الموحد لا ينفى الله له حتما ولا يستطيع أن يقول وغير الناكح لا ينفى الله حتما لأن الواقع أباهه فالجواب وبالله التوفيق أن قاعدة ربطه الفنى بالنكاح أنه قد ركز في الطباع السكون إلى الأسباب والاعتداد عليها والغفلة عن المسبب جل وعلا حتى غلب الهم على العقل لئلا أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر محتاجا وعدمها سبب يوجب توفير المال جزما وإن كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربطه الهم به فأريد قلع هذا الخيال المتكمن من الطبع بالإبذان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينمي مع كثرة العيال التى هي سبب في الأوهام لنفاد المال وقد يقدر الإملاق مع عدمه الذى هو سبب في الإكثار عند الأوهام والواقع يشهد لذلك بل اهرام فدل ذلك قطعا على أن الأسباب التى يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطا لا ينفك ليست على ما يزعمونه وإنما يقدر الفنى والفقر مسبب الأسباب غير موقوف تقدير ذلك إلا على مشيئة خاصة وحيتذ لا ينفى العاقل المنتظم من النكاح لأنه قد استغنى هذه أن لا أثر له في الإقار وأما الله تعالى لا يمتنع ذلك من إغناؤه ولا يؤثر أيضا الخلو عن النكاح لأجل التوفير لأنه قد استغنى أن لا أثر له فيه وأن الله تعالى لا يمتنع ما منع أن يقتصر عليه وأن البعد إن تماطى سببا فلا يكن ناظرا إليه ولكن إلى مشيئة الله تعالى وقدس فنى قوله حيث يبتذل إن يكونوا قراء الآية أن النكاح لا يمتنعهم الفنى من فضل الله فمبرع عن نكرته ما تمنع الفنى بوجوده معه ولا تبطل الماشية إلا بوجود ما يثمر منها مع ما يثمر ما تمنع أو في صورة من الصور على أثر ذلك فمن هذا الوادى أمثال قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض، فإن ظاهر الأمر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة وليس ذلك بمراد حقيقة ولكن الغرض تحقيق زوال المانع وهو الصلاة وبيان أن الصلاة متى قضيت فلا مانع فبرع عن نقي المانع بالانتشار بما يفهم تقاضى الانتشار بالمائة في تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم فأمل هذا الفصل واتخذ عضدا حيث الحاجة إليه

(قوله إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة) كأنه مبنى على أنه تعالى يجب عليه فعل الصلاح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة لا يجب على الله شيء (قوله فقال عليك بالادة) في الصحاح سمي النكاح باد وبادة لأن الرجل يتبوا من أهله أى يستمكن منها كما يتبوا من دار موفيه أيضا الرايح من الإبل المالك هو الاله فإن كان محصا بالإبل فقد يتوسع فيه إلى غيرها

فَضْلَهُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ۖ وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ
بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيكُم

عنه عجب لمن لا يطلب النكاح الباطل ولقد كان هذنا رجل رازح الحال ثم رأته بعد سنين وقد اتشمت حاله وحسنت
فسأته فقال كنت في أول أمرى على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولذا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت من الفقر فلما
ولدتى الثاني زدت خيرا فلما تامة ثلاثة صب الله على الخير صبا فأصبحت إلى ما ترى (والله واسع) أى غنى ذومعة
لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه (عليم) ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر (وليستغفر) وليجهد في العفة وظلف النفس
كأن المستغفر طالب من نفسه المغاف وسامها عليه (لا يجدون نكاحا) أى استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح
ما يتكبح به من المال (حتى يعطيه الله) ترجى للمستغفرين وتقدمة وعد بالفضل عليهم بالنكاح ليكون انتظار ذلك وتأمله
لطفهم في استغفارهم وربط على قلوبهم ويظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلح. وما أحسن ما رتب هذه
الأوامر حيث أمر أولاً بما يصح من الفتن ويعد من موافقة المعصية هو غرض البصر ثم بالنكاح الذى يحسن به الدين ويقع به
الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحل على النفس الأمانة بالسوء وعزها عن الطلوع إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن
يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفرضه فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه
ودخلت الفاء تضمن معنى الشرط والكتابة والمكاتب والمعانة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف
درهم فإن أداها عتق ومعناه كبت لك نفسى أن تمضى منى إذا وقيت بالمال وكتبتى على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك
الوفاء بالمسال وكتبت على العتق ويجوز عند أى حنفى رضى الله عنه جالا ومؤجلا منجما وغير منجما لأن الله تعالى لم يذكر التجميع
وقياسا على سائر العقود وعند الشافعى رضى الله عنه لا يجوز إلا مؤجلا منجما ولا يجوز عتده بنجم واحد لأن العبد لا يملك
شيئا ففقدته حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البذل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى
خدمة فمدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه أجرها
وجسها وما يبنى به وإن كاتبه على قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصف جاز فقة الجمالة ووجب الوسط
وليس لأن يطل المكتابة وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذى هو فى الأصل له وهذا الأمر
للندب عند العامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بمرم إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب وعن عمر رضى
الله عنه هي عزمة من هزات اقترع ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا) قدرة على أدامها فارقون عليه وقيل أمانة
وتكسبا وعن سليمان رضى الله عنه أن ملوكا لما بئى أن يكاتبه فقال أعندك ما قال لا قال فأمر فى أن كل غشاة أبدى الناس
(وأ توم) أمر للسلبين على وجه الوجوب بإمانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى
وفى الرقاب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم (فإن قلت) هل يحمل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه
(قلت) نعم وكذلك إذا لم تصدق بجميع البذل وعجز عن أداء الباقي طالب للولى ما أخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة
ولكن بسبب عقد المكتابة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بريرة
هولما صدقة ولنا هدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو إيجاب على المولى أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا
أجبروا وعن على رضى الله عنه يحط للمربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضى

(قوله لا يرزؤه إغناء الخلائق) أى لا ينقصه (قوله وليجهد في العفة وظلف النفس) فى الصحاح ظلف نفسه عن الشيء
أى منها وظلف نفسى عن كذا بالكسر أى كفت (قوله وعزها عن الطلوع إلى الشهوة) فى الصحاح عزفت نفسى عن
الشيء زهدت فيه وانصرفته عنه (قوله وإن كاتبه على وصف جاز) الوصف الخادم غلاما كان أو جارية كذا فى الصحاح

عَلَى الْبَنَاءِ إِنْ أَرَدَنْ تَحَصَّنَا لَتَبْتُنَا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ . اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

الله عنه أنه كاتب عبده يكنى أبا أمية هو أول عدوكوب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر رضي الله عنه وقال استمن به على مكاتبك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة رضي الله عنه على وجه التنبؤ وقال إنه عقد معاودة فلا يجبر على الخطيئة كالبيع وقبل معنى وآثوم أسلفهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويمتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى ملك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكتبه فأتى فزلت . كانت إمام أهل الجاهلية يساعين على موالين وكان لعبد الله بن أبي راس التفاف ست جوار معاودة ومسيكة وأمية وعرة وأروى وقيلة بكرهم على البناء وضرب عليهم ضرائب فشكت ثنات منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت . ويكنى بالفتى والثناة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقل أحدكم فأتى وفتاق ولا يقل عبدي وأمتي . والبناء مصدر البني (فإن قلت) لم أقم قوله (إن أردن تحصنا) (قلت) لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وأمر الطبيعة المواتية للبناء لا يسي مكرها ولا أمره إكراها وكلة إن وإثارها على إذا إيثان بأن المساعيات كن يفعل ذلك برغبة وطوعة منهن وأن ما وجد من معاودة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لم أولن أولهم ولمن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لمن غفور رحيم (فإن قلت) لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكروه على الزنا بخلاف المكروه عليه في أنها غير آثمة (قلت) لعل الإكراه بأن دون ما عبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عفيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتسكون آثمة (مبنيات) هي الآيات التي ينت في هذه السورة وأرغمت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبنا فيها فاقسع في الظرف وقرئ بالكسر أي ينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه . ولولا إذ سمعتموه . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا . نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره . ويهدي الله نوره : قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين

• قوله تعالى ولا تتركوا قياتكم على البناء إن أردن تحصنا (قال إن قلت لم أقم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يكون إلا إذا أردن تحصنا ولا يتصور إلا كذلك إذ لولا ذلك لكن مطاوعات ولم يجب بما يشق التعليل) وعند المد القليل إلى الله تعالى أن فائدة ذلك والله أعلم أن يشع عند المخاطب الوقوع في لكي يقيظ أنه كان ينبغي له أن يأف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية التداء عليه بأن أمته خير منه لأنها أثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأتي إلا إكراهها عليها ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العرية والله الموفق

(قوله وأروى وقيلة بكرهم على البناء) لعله قتيلة بالقاف بدل الفاء كما في عبارة النسفي (قوله والبناء مصدر البني) عبارة النسفي مصدر لبنت

يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هـ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ أَنْ تُرْفَعَ وَيَدْعُ

آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور: أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشرافه وفشوق إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض وإما أن يراد أهل السموات والأرض. أنهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة (كشمكاه) كهفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (في زجاجة) أراد قديلا من زجاج شامئ أزهر ه شبه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالشمس والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (توقد) هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء ثقبه من شجرة الزيتون يعني رويبت ذبائه بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لأنها تثبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحح من الباسور (لأشقية ولا غريبة) أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لأن مضي ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لخلها وأصنى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخير في شجرة في مقناة ولانبات في مقناة ولا خير فيهما في مضي وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها قط بل تصيبها بالنداء والعشى جميعاً فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبرص وأنه لنالكه (يكاد) يضيء من غير نار (نور على نور) أي هذا الذي شئت به الحق نور متضاعف قد تهاور فيه المشكاة والإحاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوى النور ويزيده إشرافاً ويعد إضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضيق كالشمكة كان أضوائه وأجمع نوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر وينتشر والقديلا أهون شيء على زيادة الإضاءة وكذلك الزيت وصفناه (يهدى الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أي يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر يبين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه بينما وشمالاً ومن لم يتدبر فهو كالعمى الذي سواه عليه جنح الليل الدامس وضوء النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نوره السموات والأرض أي نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره أنوار قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاج بالفتح والكسر ودرى منسوب إلى الدرأى أبيض متلألئ ودرى بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرى كريق ودرى كالسكنة عن أبي زيد وتوقد بمعنى توقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بخذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب وبسمه بالياء لأن التانيث ليس بحقيق والضمير فاصل (في بيوت) يتعلق بما قبله أي كشمكة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كإبري في المسجد نور المشكاة التي من صفاتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرر كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت ه والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله «بناها» رفع سمكها فتواها «وإذ رفع إبراهيم القواعد» وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي المساجد أمارة

(قوله من الظلمات إلى النور أي من الحق إلى الباطل) لعله مقلوب وأصله من الباطل إلى الحق كعبارة النسفي (قوله قديلا من زجاج شامئ أزهر) نعمت لزجاج ويوضحه قوله أزهر وجارة النسفي شامئ بكسر الزاي أي قرأ الشامئ زجاجة بكسر الزاي (قوله يعني زويت ذبائه بزيتها) في الصحاح زويت الشيء جمعه وقضته وانزوت الجلدة في النار أي اجتمعت وتقبضت وفيه الدلالة القليلة ولعله رويت بالراء كما في عبارة النسفي (قوله وقيل لا مضي ولا مقناة) في الصحاح المقناة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس (قوله بالصفاء والوبرص) البريق واللمعان أفاده الصحاح

فِيهَا اسْمُهُ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْفِدْوَةِ وَالْأَصَالِ هـ رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تَجَرَّةٌ وَلَا يَسُوعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ هـ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْيَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هـ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهمُ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ هـ أَوْ كَظَلَّتْ فِي بَحْرِ لُحْيٍ يَنْفُثُهُ مَوْجٌ مِنْ فُوقِهِ مَوْجٌ مِنْ فُوقِهِ حِجَابٌ ظَلَمْتُ بِهِمْ فُوقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ بِرِهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا

أَنْ تَبْنِي أَوْ تَعْظِيْمَهَا وَالرَّفْعُ مِنْ قَدْرِهِمَا وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ الْبَنَاءَ وَلَكِنْ بِالْمَعْظِيْمِ (وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ) أَوْفَى لَهُ وَهُوَ عَامٌ فِي كُلِّ ذِكْرٍ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنْ يُتْلَى فِيهَا كِتَابُهُ هـ وَتُرْوَى يَسْبَحُ عَلَى الْبَنَاءِ الْمَفْعُولُ وَيُسْنَدُ إِلَى أَحَدِ الظُّرُوفِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا هـ فِيهَا بِالْفِدْوَةِ وَرَجَالٌ مَرْفُوعٌ بِمَادَلٍ عَلَيْهِ يَسْبَحُ وَهُوَ يَسْبَحُ لَهُ وَتَسْبَحُ الْبَنَاءَ وَكَسَرَ الْبَاءَ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْبَنَاءَ وَفَتْحَ الْبَاءَ وَوَجَّهَهَا أَنْ يَسْنَدَ إِلَى أَوَاكِلِ الْفِدْوَةِ وَالْأَصَالِ عَلَى زِيَادَةِ الْبَاءِ وَتَجْمَلُ الْأَوَاكِلُ مَسْبُوحَةٌ وَالْمُرَادُ رِهَا كَصِيدٍ عَلَيْهِ يَوْمَانُ وَالْمُرَادُ وَحْشَتُهُمَا هـ وَالْأَصَالُ جَمْعُ أَصْلٍ وَهُوَ الْعُشْبِيُّ وَالْعُشْبِيُّ بِأَوَاكِلِ الْفِدْوَةِ أَيْ بِالْفِدَوَاتِ وَتُرْوَى وَالْإِصَالُ وَهُوَ الدُّخُولُ فِي الْأَصِيلِ يُقَالُ أَصِيلٌ كَأُظْهَرٍ وَأَعْتَمَ هـ التَّجَارَةُ صِنَاعَةٌ التَّاجِرُ وَهُوَ الَّذِي يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لِلرَّيْحِ فَلَمَّا أَنْ يَرِيدُ لَا يَشْفَاهُمْ نَوْعٌ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ خَصَّ الْبَيْعَ لِأَنَّهُ فِي الْإِلْهَاءِ أَدْخَلَ مِنْ قَبْلِ أَنْ التَّاجِرُ إِذَا أَتَجَّهَتْ لَهُ رَيْحَةٌ رَاجِعَةٌ وَهِيَ طَلِبَةُ الْكَلْبَةِ مِنْ صِنَاعَتِهِ أَهْنَتْهُ مَا لَيْلِيهِ شَرَاهُ شَيْءٌ يَتَوَقَّعُ فِيهِ الرِّيحُ فِي الْوَقْتُ الثَّانِي لِأَنَّ هَذَا يَقِينٌ وَذَلِكَ مَظْنُونٌ وَأَمَّا أَنْ يَسْمَى الشَّرَاءَ تِجَارَةً إِطْلَاقًا لَأَسْمَى الْجِنْسِ عَلَى النَّوْعِ كَأَقْوَلِ رَزَقٌ فَلَنْ تِجَارَةً رَاجِعَةً إِذَا تَجَمَّعَ لَهُ يَسَّعٌ صَالِحٌ أَوْ شَرَاهُ وَقِيلَ التَّجَارَةُ لِأَنَّ الْجَلْبَ التَّجَارَةَ لَمْ يَكُنْ إِذَا جَلَبَهُ هـ النَّاءُ فِي إِقَامَةِ عُرُوضٍ مِنَ الْعَيْنِ السَّاقِطَةِ لِلْإِعْلَالِ وَالْأَصْلُ إِقْوَامٌ فَلَمَّا أَضْبِغَتْ أَقِيمَتْ الْإِضَافَةُ مَقَامَ حَرْفِ التَّمْوِضِ فَاسْقَطَتْ وَنَحْوُهُ هـ وَأَخْفَوْكَ عَدَا أَمْرٌ الَّذِي وَعَدُوا هـ وَتَقَلَّبَ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ إِنَّمَا أَنْ تَقَلَّبَ وَتَتَغَيَّرَ فِي أَنْفُسِهَا وَهُوَ أَنْ تَضْطَرِبَ مِنَ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ وَتَشْخَصَ كَقَوْلِهِ وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَإِنَّمَا أَنْ تَقَلَّبَ أَحْوَالُهَا وَتَتَغَيَّرَ فَتَفْقَهُ الْقُلُوبُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْبُوعًا عَلَيْهَا لِأَخْفَقَ وَتَبْهَرُ الْأَبْصَارُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عِيَالًا تَبْهَرُ (أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أَيْ أَحْسَنَ جِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ كَقَوْلِهِ وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَالدَّيْنِ يَسْبَحُونَ وَيَخَافُونَ لِيَجْزِيَهمُ تَوَابِهِمْ مَضَاعِفًا وَيَرْيَهُمُ عَلَى الثَّوَابِ تَفَضُّلاً وَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ الْحَسَنَى وَزِيَادَةُ الثَّمَرَةِ الْحَسَنَى وَزِيَادَةُ عَلَيْهَا مِنَ التَّفَضُّلِ وَعَطَاءُ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا تَفَضُّلَ وَإِمَّا ثَوَابَ وَإِمَّا عُرُوضَ (وَاللَّهُ يَرْزُقُ) مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ (بَغِيرِ حِسَابٍ) فَأَمَّا الثَّوَابُ فَلَهُ حِسَابٌ لِكَوْنِهِ عَلَى حَسَبِ الْإِسْتِحْقَاقِ هـ السَّرَابُ مَا يَرَى فِي الْغُلَاةِ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَقَدْ ظَهَرَ يَسْرِبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ يَجْرِي هـ وَالْقِيعَةُ مَعْنَى الْفَنَاقِ أَوْ جَمْعُ قَاعٍ وَهُوَ الْمُنْبَسِطُ الْمَسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ تَجَرَّةٌ فِي جَارٍ وَتُرْوَى بِقِيَعَاتٍ بَنَاءً مَعْلُومَةً كَدِيمَاتٍ وَقِيَعَاتٍ فِي دِيْعَةٍ وَقِيْعَةٍ وَتَدْجَلُ بِبَعْضِهِمْ بِقِيَعَاتٍ بَنَاءً مَدْرُورَةً كَرَجْلٍ عَزَاهَا شَيْءٌ مَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْإِسْتِقْدَالِ الْإِيمَانِ وَلَا يَتَّبِعُ الْحَقَّ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي بِحَسَبِهَا تَنْفَعُهُ عُنَادُهُ وَتَنْجِيهِ مِنْ عَذَابِهِ ثُمَّ تَحْيِيهِ فِي الْعَاقِبَةِ أَمَلُهُ وَيَلْقَى خِلَافَ مَا قَدَّرَ بِسَرَابٍ يَرَاهُ الْكَافِرُ بِالسَّاهِرَةِ وَقَدْ غَلَبَهُ عَطَشٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْسَبُهُ مَاءً فَإِنِّيهِ فَلَا يَجِدُ مَارْجَاهُ وَيَجِدُ زُبَانَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ يَأْخُذُوهُ فَيَتَنَوَّنُهُ إِلَى جَهَنَّمَ فَيَسْقُونَهُ الْحَمِيمَ وَالتَّسْقِيقُ يَوْمَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فَيَقْمُ حَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ يَوْمَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ صُنْعًا وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ مُجْتَلَاءً هَبْ مَتُورًا وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي عَتَبَةِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةٍ قَدْ كَانَ تَعْبُدُ لِبَلِسِ الْمَسُوحِ وَتَحْسِبُ الدِّينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ كَفَرَ فِي الْإِسْلَامِ هـ الْحَيُّ الْعَمِيقُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَيِّ وَهُوَ مَعْظَمُ مَاءِ الْبَحْرِ هـ وَفِي (أَخْرَجَ) ضَمِيرُ الْوَاقِعِ فِيهِ (لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا) مُبَالَغَةٌ فِي لَمْ يَرَاهَا أَيْ لَمْ يَقْرُبْ أَنْ يَرَاهَا فَضَلَّ عَنْ أَنْ يَرَاهَا وَمِثْلُهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ

فَقَالَ مِنْ نُورٍ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَعُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي حَبَابًا
ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا تَفْرَى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خَطْلِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ جِبَالًا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ وَيَكَادُ سَنَابِقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ . يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ

إذا غدير الثأى المحيين لم يكده . ويسيس الهوى من حبه مية يرح

أى لم يقرب من البراق فاله يرح شبه أعمالهم أولا في فوات نعمها وحضور ضررها بسراب لم يحده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكذا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية لتعلمه إلى النار ولا يقتل ظلماء بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق لظلمات متراكمة من لبح البحر والأمواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته وطفه فهو في ظلمة الباطل لانوره وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الإطلاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقين إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتوحيته وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى (صافات) يصفغن أجنحتن في الهواء . والضفير في (علم) لكل أوقه وكذلك في (صلاته وتسبيحه) والصلوة الدعاء ولا يبعد أن يلمهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما أُلهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (يزجي) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يرحبها كل أحد لا يرضاعها والسحاب يكون واحدا كالماء وجمعا كالرأس بمعنى تأليف الواحد أنه يكون فرعا فيضم بعضه إلى بعض وجازيئه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كاقيل في قوله بين الدخول لحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر (من خلاله) من فوقه ويخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله (ويُنزل) بالتشديد ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالفرقة والفتحة وبرقه بضم تين للاتباع كما قيل في جمع ضلّة فملاّت كظلمات وسنا على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للارتفاع (ويذهب بالأبصار) على زيادة الباء كقوله ولاتلقوا بأيديكم عن أبي جعفر المذنب وهذا من تمديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاهم وإنبأهم إليه وأنه يحصر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أمفاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمة بين خلقه ويقضيها ويبتسطها على ما تقتضيه حكمته ويرهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثنائه ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فإن قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاه وتنزل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) عليه من جهة إخبار الله بإياه بذلك على طريق الوحي (فإن قلت) ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الأولى لا ابتداء الثانية للتبويض والثالثة لليان أو الأوليان لا ابتداء والآخرة للتبويض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال (فإن قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر والثاني أن يبرد

(قوله واحدا كالماء جمعا كالرأب) في الصحاح الرأب بالفتح سحاب أبيض (قوله أنه يكون فرعا فيضم بعضه) الفرع قطع من السحاب رقيقة الواحدة فرعة (قوله) ويكاد سنا على الإدغام) لعل رعه هكذا يكاسا لأن لا ينظر ما قبل الإدغام

لَعِبْرَةٍ لَّأُولَى الْأَبْصَرِ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۚ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۚ وَلَئِنْ يَكُنْ

الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان بملك جبالا من ذهب وقرى خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقفا على المعبر وغير المعبر
غلب المعبر فأعطى ماوراء حكمه كأن الفواب كلهم يميزون فزمنة قيل ففهم وقيل من يمشي على الماشي على البطن والماشي
على أربع قوائم (فإن قلت) لم نكر الماء في قوله (من ماء) (قلت) لأن المسمى له خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك
الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فيها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله
تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل (فإن قلت) فما باله معزاف قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي،
(قلت) قصدت معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن
تخلطت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ربح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه
(فإن قلت) لم جهات الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعز في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل
أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (فإن قلت) لم سمي الزحف على البطن مشياً (قلت) على سبيل الاستعارة
كما قالوا في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر ويقال فلان لا يمشي له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان المحفلة والمشرع مكان الشفة
ونحو ذلك أو على طريق المسألة لذكر الزايف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) إشارة إلى الفاتلين آمنا وأطعنا أو إلى
الفريق المتولي فعنه على الأول لإعلام من الله بأن جميعهم متف عنهم الإيمان لا للفريق المتولي وحده وعلى الثاني لإعلام بأن
الفريق المتولي لم يكن ماسق لهم من الإيمان إيماناً وإنما كان ادعاء بالأسان من غير مواعاة القلب لأنه لو كان صادراً عن صحة
معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت
وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى (إلى الله
ورسوله) إلى رسول الله كقولك أعجبت زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله ۝ غلسته قبل القطا وفرطه ۝ أراد قبل
فرط القطا روى أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض لجمل اليهودي يجره إلى رسول الله
والمناق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمد أعجيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين عن أبي طالب

۝ قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء (قال فيه إن قلت لم نكر ماء هنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت
الفرس فيما نحن فيه أنه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف
نطفها فيها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وآتانا آية اقرب فالفرس فيها
أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحدو تحرير الفرق أن المقصد في الأولى إظهار الآية بأن شيئاً واحداً
تكوّن من القدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها في آية النور والرد والمقصود في الآية اقرب أنه خلق الأشياء المختلفة في جنس
الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر مرقا ليشمل أنواعه المختلفة فالآية في الأول لإخراج المختلف من المتفق والله أعلم

(قوله مكان المحفلة والمشرع مكان الشفة) في الصحاح الجحفلة الحافرة كالشفة للإنسان اه أي لنبي الحافر
(قوله ومنه قوله غلسته قبل القطا) في الصحاح الغلس ظلة آخر الليل والتغليس السير من الليل بغلس يقال غلستنا
الماء أي وردناه بغلس

لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۚ أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ الَّذِي يَتَقَتَّلُ بِمَا لَمْ يَلُكْ وَلَمْ يَلِدْ ۖ فَسَنَجْزِيهِ أَجْرًا كَبِيرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ جَاهِدُ بَيْنَهُمْ لِنَأْسِهِمْ لِيُخْرِجَهُمْ قُلُوبُهُمْ لَا تَقْسَمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ قُلْ أَطِيعُوا

رضى الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المنيرة أما محمد فليست آتية ولا أحاكم إليه فإنه يفضي وأنا أخاف أن يحيف على (إليه) صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاما معنيين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلتهم ودلائل على الاختصاص والمعنى أنهم لم يرفقهم أنه ليس مملك إلا الحق المزمع العدل البحت يزرون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق ثلاثا تنزع من أحقادهم بقضائك عليهم لحصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بتحكركم لتأخذهم مآذبا لم في ذمة الخصم ۚ ثم قسم الأمر في صدودهم عن حكومتهم إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لم يرفقهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم وجوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأبون المحاكمة إليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى المؤمنين بكونه أسما لكان أو غلما في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتكثير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ۚ ما كان له أن يتخذ من ولد ۚ ما يكون لما أن تسلك بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فإن قلت) إلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مستند إلى مصدره لأن معناه ليعمل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرأ بينكم منصوبا أى وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاورة لقوله دعوا فرئى وبقته بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه قته بكتف تخفف كقوله قالت سليبي اشترينا سوفا ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب القوز وعن ابن عباس في تفسيرها (ومن يطع الله) فرائضه (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (وبقته) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية ۚ جهد بينه مستمار ۚ من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في البين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنه من قال بالله جهد بينه وأصل أقسم جهد البين أقسم بجهد البين جهدا خفد الفعل وقدم المصدر فوضع موضع مضافا إلى المفعول كقوله فغضب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهد بين أيامهم (وطاعة معروفة) خبر مبتدا مخوف أو مبتدا مخوف الخبر أى أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا إيمان تقسمون بها بأفواهكم قلوبكم على خلافها وأطاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الإيمان الكاذبة وقرأ البيهقي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (إن الله خير) يعلم مافى ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرايركم وأنه فاضحكم لإمالة ومجازيكم على تقافكم ۚ صرف الكلام عن التنية إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيهم ۚ يريد فإن تتولوا فاضررتهم وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حله الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهده تكليفه وأما أنهم فيلحكم ما كلفتم من التلق بالقول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتهم فقد عرستم نفوسكم لسطن قهره عذابا وإن أظمتوه

(قوله ما ذاب لم في ذمة الخصم) في الصحاح ذاب لى عليه من الحق كذا إذا وجب وثبت

اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ • وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ نَعْلَمُكُمْ تَرْحَمُونَ • لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الصلاة إلى الهدى فالنفع والضرر عائدان إليكم وما للرسول إلا ناصح ومهادم عليه إلا أن يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم • والبلاغ بمعنى التبليغ كالإداء بمعنى التأدية • ومعنى المبين كونه مفروفاً بالآيات والمعجزات • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم لبيان كافي في آخر سورة الفتح وعدم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بنى إسرائيل حين أورشهم مصر والشام بعد إهلاك الجارية وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكنه تثبيت وتوطيده وأن يؤمن سرهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغربون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملاً العظيم محتجاً ليس معه حديدة فأعجز الله وعدم وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكو خزاთهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأئمة وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً ثم تصير يريزى قطع سيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها • وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليدلتهم بالتشديد (فإن قلت) أين القسم المتلقى باللام والتون في (ليستخلفهم) (قلت) هو محذوف تقديره وعدم الله وأقسم ليستخلفهم أو نزل وعده في تحقيقه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفهم (فإن قلت) ماعل (يعبدونني) (قلت) إن جعلته استئنافاً لم يكن له عمل كأن قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون قل يعبدونني وإن جعلته حالاً عن وعدم أي وعدم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فحله التصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنتم الله (فأولئك هم الفاسقون) أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على عهدها (فإن قلت) هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس بعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكثرت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه وجه أن يكون معجزين في الأرض مما للمفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحداً يعجز الله في الأرض حتى يعطموها في مثل ذلك وهذا معنى قوى جيد أن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكان الذي سوغ ذلك أن الناعل والمفعولين لما كانت شيئاً واحداً فذكر اثنين من ذكر الثالث وعطف قوله (وما دام النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وما دام النار والمراد بهم

(قوله ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر) عبارة فلسفية في قولكم (قوله لا تغربون إلا يسيراً) أي لا يبقون أقاده الصحاح (قوله ثم تصير يريزى قطع سيل) في الصحاح بزه بزه بزاله والاسم البرزى مثل الحمصى (قوله وجسروا على عهدها) أي احتجازها

لَيْسَتْ ذُنُوبُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْمُزُوا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحِلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ

المقسمون جهد أيمانهم ۝ أمر بأن يستأذن العبد وقيل العبد والإماء والأطفال الذين لم يحتلوا من الأحرار (ثلاث مرات) في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب وليس ثياب البيضة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائفة وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب البيضة والالتعاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يخلون ثيابهم وتحتضنهم فيها والعورة الخلل ومنها أحوال الفارس وأحوال المكان والأحوال المختل العين ۝ ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله (طوافون عليكم) يعني أن بكم وجهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لآذنى إلى الحرج وروى أن مدليج بن عمرو وكان غلاماً أنصاري أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عند ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى أباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المزالة بسبب عمر رضى الله تعالى عنه وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكرهان في الحاف واحد وقيل دخل عليهما غلام لها كبير فوكت كرهت دخوله فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلبنا نأخذكم علينا في حال نكرها وعن أبي عمرو الحليم بالسكون وقرأ ثلاث عورات بالنصب بدلاً عن ثلاث مرات أى أوكلت ثلاث عورات وعن الأعمش عورات على لغة هذيل ۝ (فإن قلت) ما علم ليس عليكم (قلت) إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في عمل الرفع على الوصف والمعنى من ثلاث عورات خصوصاً بالاستئذان وإذا نصبت لم يكن له عمل وكان كلاماً مفزراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة (فإن قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع يطوف مضمرًا لتلك الدلالة (الأطفال منكم) أى من الأحرار دون المالك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحليم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذوا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في السورات الثلاث فإذا اتحد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطهارة بأن يحتلوا أو يلبسوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبرع وجب أن يقطعوا عن تلك العادة ويجعلوا على أن يستأذوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشرعية المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإنى لأمر جارئ أن تستأذن على وسأله عطاماً استأذن على أخيه قال نعم وإن كانت في حرك تموتها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحد من الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاهم قال ناس أعظمكم بيتا وقوله وإذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذوا على آبائكم وأمهاتكم وأخوانكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له إن

(قوله ومنها أحوال الفارس) في الصحاح أحوال الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب (قوله وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد) لعله مرشدًا في عبارة النسبي.

الَّتِي لَا رَجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهنَّ
وَأَنَّهُمْ سَمِعَ عَلِيمٌ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

اناس لا يعملون بها فضل الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي مفسوخة ولا واقه ما هي مفسوخة ولكن الناس
تبارون بها (فإن قلت) ما السان التي يحكم فيها بالبرغ (قلت) قال أبو حنيفة ثمان عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في
الجارية وعامة النساء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار وبه أخذ
الفرزدق في قوله

ما زال منذ عقدت يدها إزاره • فنيا فأدرك خمسة الأشبار

واعتبر غيره الإنبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام فقال هل اختصر إزاره • القاعد التي قدعت
عن الحيض والولادة لكبرها (لأرجون نكاحا) لا يطعمن فيه • والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كاللحفة
والجلاب الذي فوق الخمار (غير متبرجات بزيئة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدن
زينةن إلا لزوجتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجتن إليه والاستفاف من الوضع خير لمن
لما ذكر الجائر عقبه بالمستحب بعنا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله وأن تصفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا
خير لكم (فإن قلت) ما حقيقة التبرج (قلت) تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لأخطاء عليها والبرج سفينة
العين يرى رياضها محيطاً بسوادها كله لا يبين منه شيء إلا أنه اختص بأن تكشف المرأة للرجال بأبدان زينةا وإظهار
محاسنها وبدا وبرز بمنى ظهر من أخوات تخرج وتلبس كذلك • كان المؤمنون يذهبون بالصفاء وذوى الباطل إلى
بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطمعون منها فخالج قلوب المعلمين والمعلمين رغبة
في ذلك وخافوا أن يلصقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلنا ينير حق قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
فقبل لهم ليس على الصفاء ولا على أنفسهم بنى عليهم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن معكفة
كانت الأنصار في أنفسهم قرازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استنفوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس
ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سقت يده إلى ما سقت عين أكله إليه وهو
لا يشعر والأعرج يتفسخ في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه والمرضى لا يخلو من راحة تؤذي أو جرح
يبض أو آفة يذنب ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الصفاء فيبيوتهم ويدفون بهم المفاتيح
ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يخرجون حتى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد
في بيته وماله فلما رجع رأى مجهوداً فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يجل لي أن أكل من مالك فقبل ليس على
هؤلاء الصفاء حرج فيما تخرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك إذا فر بأن
هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين فإن كل واحدة

• قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتي لأرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزيئة
وأن يستعففن خير لهن • قرر الزحشرى هذه الآية على ظاهرها • ويظهر واقع أنه أعلم أن قوله تعالى غير متبرجات
بزيئة من باب • على لأحسب لا يبتدى بجماره • أى لا منار فيه فبتدبىه وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتي
لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي هذه المثابة وكأن الفرض من ذلك أن هؤلاء استفافهن عن وضع الثياب
خير لهن فإفانك بذوات الزينة من الثياب وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد من الاستفاف

(قوله في أنفسها قرازة) في المصاحح القرازة التطس والتباهد عن الدنس وفيه التطس المائلة في التطهر (قوله أو جرح
يبض أو آفة يذنب) أى يسيل قليلا قليلا ويذنب أى يسيل غمامة أعاده المصاح

أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يَوْتِكُمْ أَوْ يَوْتِ عَابَا نَكُمْ أَوْ يَوْتِ مُهْتِكُمْ أَوْ يَوْتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ يَوْتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يَوْتِ
أَعْمَمِكُمْ أَوْ يَوْتِ عَمَّتِكُمْ أَوْ يَوْتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يَوْتِ خَلَنِكُمْ أَوْ مَمْلَكَتِكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَشْثَانًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِسرَ كَاطِيَةِ كَذَلِكَ

منهما منى عنها الحرج ومثال هذا ان يستفيك مسافر عن الاضطرار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على الحر
فقلت ليس على المسافر حرج أن يضر ولا عليك بإساج أن تقدم الحلق على الشعر (فإن قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت)
دخل ذكرهم تحت قوله (من يوتكم) لأن ولد الرجل بعنه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه
وان ولده من كسبه ومعنى من يوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب من عدد من القرابات
فإذا كان سبب القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى (فإن قلت) مامنى (أوما ملكتم مفاتحه) (قلت)
أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كرها
في يده وحفظه وقيل بيوت الممالك لأن مال البعد لولاه وقرئ مفاتحه (فإن قلت) فما معنى (أو صديقكم) (قلت)
معناه أوبيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجما وكذلك الخليلط والقطين والعدو يحكى عن الحسن أنه دخل داره
وإذا حلقه من أصدقائه وقد استوا سلا من تحت سريره فيها الخيص وأطاب الأطعمة ومكون عليها يأكلون تهلت أسارير
وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لفهم من البرير رضى الله عنهم وكان
الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيفه فيأخذ منه ماشاء فإذا حضر مولاهما فأخبرته أعتقها
سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق أنت جملة الله من الأنس والثقة
والإنبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والآب والأخ والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصديق أكبر من
الوالدين إن الجهنيين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأقارب فقالوا فالتنا من شافعين ولا صديق حيم وقالوا إذا
دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمح الاستئذان وثقل كن قدم إليه طعام فاستأذن
صاحبه في الأكل منه (جمعا أو أشثانا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كسنة كانوا يخرجون أن
يأكل الرجل وحده فربما قدم منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل في قوم من الأنصار إذا
نزلهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم فويل يخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة
بعضهم على بعض (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا فبذثوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة (تحية

إذا بنا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة هذا في القواعد فكيف بالكواعب والله أعلم قوله تعالى ولا على أنفسكم
أن تأكلوا من يوتكم إلى قوله تعالى أو صديقكم (قال الصديق يكون واحداً وجماً والمراد هنا الجمع) قال أحد وقد قال
الزحشرى إن سر إقراده في قوله تعالى فالتنا من شافعين ولا صديق حيم دون الشافعين التنية على قلة الاصدقاء
ولا كذلك الشافعون فإن الإنسان قد يحصى له ويشفع في حقه من لا يعرفه فضلا عن أن يكون صديقا ويحتمل
في الآيتين والله أعلم أن يكون المراد به الجمع فلا كلام ويحتمل أن يراد الأفراد فيكون سره ذلك والله أعلم
ه قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلوا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال معناه فسلوا على الجنس الذي هو منكم ديناً
وقرابة) قال أحد وفي التعبير عنهم بالأنفس تلبية على السرا الذي اقتضى إباحة الأكل من هذه البيوت المدودة وأن ذلك إنما
كان لأنها بالنسبة إلى الداخل كيت نفسه لا تعاد القرابة غليظ نفسا بالباطن فيها والله أعلم

(قوله لتأكلوا فبذثوا بالسلام) كذا في الأصل المتقول منه

يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنٍ فَأَنذَرْتَهُمْ شَرًّا مِنْهُمُ وَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ النَّبِيِّ ۚ فَأَنذَرْتَهُمْ شَرًّا مِنْهُمُ وَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ النَّبِيِّ ۚ فَأَنذَرْتَهُمْ شَرًّا مِنْهُمُ وَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

من عتدائه) أى تابة بأمره مشروعة من لدنه أولان التسليم والنجية طلب سلامة وحياة للسلم عليه والحما من عتدائه
ه ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن مؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس رضى الله
عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين قال لى فسلمت فعلته ولا قال لى
كسرت لم كسرت وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا عليك ثلاث خصال تقتض بها قلت
بلى أبى وأى يا رسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه بطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثروا خير
بينك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الآتئين وقالوا إن لم يكن فى البيت أحد فليل السلام علينا من ربنا السلام
علينا وهل عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد قتل السلام علينا
وهل عباد الله الصالحين تحية من عتدائه وانتصب تحية يسلموا لأنفاى معنى تسليما كقولك قدمت جلوسا ه أراد هز وجل
أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنير إذنه (إذا كانوا معه على أمر
جامع) لجل ترك دعاهم حتى يستأذنه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره
وذلك مع تصدير الجملة بآما وإيقاع المؤمنين مبتداً خبراً عنه بموصول أساطت صلة بذكر الإيمان ثم عقب بما يريد
توكيدها وتشديداً حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه
شيأ آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالصدق لصحة الإيمان وعرض بحال المناقذين وتسليم لواذ ه ومعنى قوله (ثم)
يذهبوا حتى يستأذنه) لم يذهبوا حتى يستأذنه وبأذنهم الاتراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه
لمن استصوب أن يأذنه ه والأمر الجامع الذى يجمع له الناس فرص الأمر بالجمع على سبيل الجواز وذلك نحو مقاتلة
عدو أو تشار فى خطب مهم أو قنصم لإرهاب مخالف أو تسامح فى حلف وغير ذلك أو الأمر الذى يعم بضرره أو ينفعه ه
وقرى أمر جميع وفى قوله إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من
ذوى رأى وقرة بظاهرونه عليه ويعاوتونه ويستضيه بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته ففارقة أحدهم فى مثل تلك
الحال بما يبقى على قلبه ويشمت عليه رآيه فى ثمة غلط عليهم وضيق عليهم الأمر فى الاستئذان مع المعنى المبسوط ومساس
الحاجة إليه واهتراض ما بهمهم وبينهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) ه وذكر الاستفغار للسائذين دليل على أن الأحسن
الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنا فيه وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يسلمون بنير إذن وقالوا
كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدمهم فى الدين والعلم بظاهرونهم ولا يغفلونهم فى نازلة من التوازل ولا ينفرون
ههم والأمر فى الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء الله وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رآيه ه إذا احتاج رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاه إياكم على دعاء بعضهم بعضا
ورجوهم عن التجمع بنير إذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته وتداه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه
به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا
دعاه الرسول ربه مثل ما يدهو صغيركم كبيركم وتفقركم غنيكم يسأله حاجة فرما أجابه وربما قال دعوات رسول الله

(قوله وجعلهما كالتشبيب له) فى الصحاح التشبيب النسيب يقال هو يشب فلانة أى ينسب بها

بَعْضُكُمْ بِمَعْنَى قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يُسَلُّونَ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّا فليَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ مَانٍ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَمُونَ إِلَيْهِ قِيَابَهُمْ ۖ يَسْمَعُوا وَأَنَّهُ يَحْكُمُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ۖ

سورة الفرقان مكية

إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فذنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ

صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يسلّون) يسلون قليلا قليلا ونظير تسلي تدريج وتدخل ۝ والواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذلك هذا يعني يسلون عن الجماعة في الحنفية على سبيل الملاوذة واستنار بعضهم بعضا و (لواذا) حال اوى ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فيطلق الذي لم يؤذنه معه فقرأ لواءا بالفتح ۝ يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونته قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أناكم عنه وخالفه عن الامر اذا صدته دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصتدون عن أمره دون المؤمنين وهم المخالفون لحذف المفعول لأن الغرض من المخالف والمخالف عنه ۝ الضمير في أمره لله سبحانه اول الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) حنة في الدنيا (أويصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قتله وعن عطاء زلازل وأحوال عن جعفر بن محمد يسقط عليهم سلطان جائر ۝ أدخل قلبه كدبله بأمهم عليه من المخالفة عن الدين والفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد العبد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكرير في نحو قوله :

فإن تمس مهجور الفناء فرميا ۝ أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير : أخى قسمة لانهلك الحرما له ۝ ولكنه قد يهلك المال تالله

والمعنى أن جميع مافي السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعباد فكيف يعني عليه أحوال المخالفين وإن كانوا يجهلون سترها عن العيون وإخفائها ۝ وسيتبهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والنية في قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه) يجوز أن يكونا جمعا للناقضين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للناقضين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة التوراة على من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خبره وتكاثر أوترا بدع كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ۝ والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما يسمى بالفرقان لفصله بين الحق والباطل أولاته لم يزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضهم بعض في الإنزال الا ترى الى قوله وقرآننا فرقاه لنقرأه

(القول في سورة الفرقان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى ۖ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ۖ (قال يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفرقه بين الحق والباطل ويجوز أن يراد نزوله مفترقا شيئا فشيئا كما قال وقرآننا فرقاه) قال أحد والظاهر معنا هو المعنى

وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
 نُشُورًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا افْتِكَارُكُمْ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝
 وَقَالُوا أَأَسْطُرُ الْأَوَّلِينَ أَوْ كُتِبَتْ فِيهِمْ عَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنَزَّلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ

على الناس على مكث ونزله تنزيلا وقد جاء الفرق بمناه قال ۝ ومشركي كافر بالفرق ۝ وعن ابن الزبير رضى الله عنه
 على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرته كإله فقال لقد أنزلنا إليكم قولوا آتينا به وما نزل إلينا ۝ والضمير في (يكون)
 لبعده أول الفرقان ويصنذ رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير (للمؤمنين) للجن والإنس (تذبرا) منذرا أى عذفا أو إنذارا
 كالتمثيل بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عقابي ونذر (الذي له) رفع على الإبداء من الذي نزل وأورفع على المدح
 أو نصب عليه (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين البذل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما بشئ ۝ لأن المبدل منه صلتة نزل وليكون
 تمثيل لفكأن المبدل منه لهم إلا به (فإن قلت) في الخلق معنى التقدير فامضى قوله (خلق كل شئ) فقدره تقديرا ۝ كأنه قال وقد
 كل شئ فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شئ إحداثا مراهى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيا لم يصلح له مثاله أنه خلق
 الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان
 ومجاء به على الجبل المستوية المقطرة بأشكال الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصصلحة مطابقة لما قدره لغير متجاف عنه
 أوسى إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة
 قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شئ فقدره في إيجاد لم يوجد متفاوتا
 وقيل لجمل له غاية ومنتهى ومعناه قدره للبقاء إلى أمد معلوم ۝ الخلق بمعنى الاضطرار كما في قوله تعالى إنما تعبدون من
 دون الله آثاما وتخلقون إنفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا يجزى أبين من مجزم لا يقدر
 على شئ من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفعلون شيئا وهم يفعلون لأن عبادهم يصنعون بالحث والتصور
 (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع اليها وهم يستطيعون وإذا مجزوا عن الاضطرار
 ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها إلا الله أعجز (قوم
 آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى الملا بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى
 قال ذلك الضر بن الحرث بن عبد الدار ۝ جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيديان تقيده وقد يكون على معنى وردوا
 ظلمًا كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل ۝ وظلمهم أن جعلوا الربى يتلقن من المعجى الرومى
 كلاما عربيا أعجز فصاحته جميع فصحاء العرب ۝ والزور أن يتوه بنسبة ما هو يرى مثاله (أساطير الأولين) ماسطاره
 المتقدمون من نحو أحاديث رسم وأسنديار جمع أسطوره أو أسطورة كأحسوة (اكتنبا) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول
 استكتب الماء وأصطبه إذا سكه وصفه لنفسه وأخذ قرئ اكتنبا على البناء للفعل والمعنى اكتنبا كاتب له لأنه
 كان أميا لا يكتب يده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأضى الفعل إلى الضمير فصار اكتنبا إياه كاتب
 كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو إياه فاقبل مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي

الثانى لأن في أثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أى أنزلناه مفزقا
 كذلك لثبته به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة والله أعلم كالمقدمة والتوطئة لما يأتى بعد

(قوله وقد جاء الفرق بمناه) في الصحاح والفرق أيضا الفرقان ونظيره الحسر والحسران قال الراجز ومشركي الخ

وَالْأَرْضُ إِنَّهُ كَانَ غَوْرًا رَحِيمًا . وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يَأْتِيَهُ إِلَيْهِ كَذِبٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا . أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا . تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا . بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ

ضمير الأساطير على حاله فصار اكتبها كما ترى (فإن قلت) كيف قيل اكتبها (فهي تمل عليه) وإنما يقال ملئت عليه فهو يكتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتبها أو طبعه فهي تمل عليه أو كتبت له وهو أي فهي تمل عليه أي تلقى عليه من كتابه يتفظها لأن صورة الالتقاء على الحافظ كصورة الالتقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الممزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرضا الكرام وأن . أورت خودا شصا نصلا

وحق الحسن أن يقف على الأولين (بكره أصيلا) أي دائما أوفى الخفية قبل أن ينشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض ومن جملته ما تسرونه أتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراهنه ما تبهرت به وهو يجازيكم بجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فإن قلت) كيف طابق قوله (إنه كان غورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو نفيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم يهل ولا يعاجل . وقت اللام في المصحف مفصولة عن هذا عارضة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تثير وفي هذا استهانة وتفخير لشأنه وتسميته بالرسول محبة منهم وطنا كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن أرسلوكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صمغ أنه رسول الله فباله حاله مثل حالنا (يا أكل الطعام) كأنه يأكل ويرتد في الأسواق لطلب المعاش كما تردد يمتنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش . ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتسندا في الإبدار والتخويف . ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بلك فليكن مرفودا بكنز بلقي إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش . ثم نزلوا فاقنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلون من ذلك البستان فينعمون به في دنياهم ومعاشرهم . وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع الضمير ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالباء وتأكل بالنون (فإن قلت) ما وجبها الرفع والنصب في فيكون (قلت) النصب لأنه جواب لولا بمعنى حلا وحكم حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل وعمله الرفع الأتراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه بلي وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقاتلون هم كفار قريش الذين نزلت فيهم الحرة وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن غوليد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فقلب على عقله أو ذاهم وهو الرثة عوا أنه يشر لا ملك (ضربوا) لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من بركة مشتركة بين إنسان وملك ولقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فقروا متحيرين ضلالا لا يجنون قولاً يستقروا عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجنون طريقا إليه . تكاذب خير (الذي إن شاء) وهب لك في الدنيا (خيرا) عما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك

(قوله وإن أورت خودا شصا ناصحاً جمع شصوص بالفتح وهي الالة القليلة اللب (قوله محبة منهم وطنا) في الصحاح الطن السخريه

بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبِيدُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنَ دَعَا هَٰذَاكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا . قُلْ أَذَلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَاصِرًا . لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا . وَيَوْمَ

في الآخرة من الجنات والقصور . وقرئ ويجعل بالرفع عطفًا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيًا جاز في جزاءها الجزم والرفع كقوله وإن أنه خليل يوم مسئلة . يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في ويجعل لك إذا ادغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يوصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة . السعير النار الشديدة الاستمرار وعن الحسن رضي الله عنه أنه سم من أسماء جهنم (رائهم) من قولهم دورهم تراءى وتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تراءى نارهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى إذا كانت منهم برأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المنظف والرافر ويجوز أن يراد إذا رأيتهم زبانيته تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنات كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضيق والإرهاق حيث أقامهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يصيق عليهم كما يصيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرونون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاة . والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقال وثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أي يقال لم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لم وإن لم يكن ثم قول ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقستم فيما ليس بثوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفضاعته أولاهم كلها فضجت جلودهم بدلوا غير ما فلا غاية لهلاكهم الرجوع إلى الموصولين محذوف يعني وعدما المتقون وما يشاؤون وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن يرأى بأزمة متطاوله أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فإن قلت) ما معنى قوله (كانت لهم جزاء ومصير) قلت هو كقوله نعم الثواب وحسن مرفقا فصح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساء مرفقا فصح العقاب مكانه لأن النعم لا يمتنع إلا بطيب المكان وسعته وموافقة للبراد الشهوة وإن لا تنقص وكذلك العقاب يتضاعف بثلاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والاضدير في (كان) لما يشاؤون والوعد الموعود أي كان ذلك موعدا واجبا على ربك إنجازا حقيقا أن يستل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآنا ما وعدتنا على رسلك

هو قوله تعالى إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (قال فيه هو من قولهم دورني فلان تراءى أي على المجاز قال أحد لاجحة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجزم وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدرا كاحسبا وعقليا ألا ترى إلى قوله سمعوا لها تغيظا وإلى حاجتها مع الجنة وإلى قولها هل من مزيد وإلى اشتكاها إلى ربها فأذن لها في تفسير إلى غير ذلك من الظواهر التي لاسيل إلى تأويلها إلا لا يجوز إليه ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المداد لتطوح التي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة والتحيز

(قوله يتضاعف بثلاثة الموضع) أي فساده وردائه والاجتراء كراهة المقام بالمكان أفاده الصحاح

يَحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ كَذِبًا أَنتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ

ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ۝ يحشرون فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرون بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلب الأصنام ينطقهم الله ويجوز أن يكون عام لم جميعاً (فان قلت) كيف صح استعمال مافى الضلالة (قلت) هو موضوع على العموم للضلالة وغيرهم بديل قولك إذا رأيت شيئا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو وبذلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعنى أطويل أم قصير أقيه أم طيب (فان قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قبل أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا الكتاب وإنما هو عن منوله فلا بد من ذكره وإبلاغه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه (فان قلت) فائدة سببنا عنه قد سبق عليه بالسؤال عنه فإفادة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يسكت عديتهم بتكذيبهم لإمام فيهموا وينخلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويفتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكائين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أنتم أضللتهم أم هم ضلوا بأنفسهم فينبرون من إضلالهم ويستعذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم لجأوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا رأت الملائكة والرسول أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو حل الشياطين إليهم واستأذوا منه فهم لربهم العفو العدل أشد تبرئة وتزجراً منه ولقد زهوه حين أضافوا إليه الفضل بالنعمة والتمتع بها وأستأذوا نسيان الذكر والتسبب به للحوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب التعييد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أنتم أو قمتهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم ۝ وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداء الطريق والأصل إلى الطريق والطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالاً أي ضائفاً لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو

إلى فرق الملائكة فالحق أنا متعبدون بالظاهر عالم يتبع مانع والله أعلم ۝ قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله إلى قوله قوما بورا (قال) في هذه الآية كسر بين لمن يزعم أن الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فينبرون منهم ويستعذون بما نسب إليهم ويقولون بل فضلك على هؤلاء أوجب أن جعلوا عوض الشكر كفرة فإذا رأت الملائكة والرسول أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتزجراً منه ولقد زهوه حين أضافوا الفضل بالنعمة إلى الله تعالى وأستأذوا الضلال الذي نفى عنه إلى الضالين فهو شرح للإسناد المجازي في قوله يضل من يشاء ولو كان مضلا حقيقة لكان الجواب التعييد أن يقولوا بل أنت أضللتهم (قال أحد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق في هذا المعنى وأن الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم للتحديد المحض والإيمان بالصرف الذي دل على صحته بعد الأدلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شيء والضلال شيء فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم وأما من حيث الخصوص فأمثال قوله تعالى يضل من تشاء ويهدي

(قوله هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لعله أم ضلوا كعبارة النفس (قوله فيهموا وينخلوا وتزيد حسرتهم) يدهشوا أو يتحيروا فأداه الصحاح (قوله لقول من يزعم أن الله) يريد أهل السنة القائلين إضلال الله لعباده خلق الضلال في قلوبهم خلافاً للمعتزلة القائلين أنه تعالى لا يخلق الشر ولا يريد

مَا كَانَ يَدْفَعِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسْأَلَ الدَّكَرَ وَكَأْتُوا قَوْمًا بُورًا ۚ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَظِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۚ

لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم ملائكتك وأتباع معصومون فما أبعدهم عن الإخلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو انطلقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسجونون المقيدون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالم أن يصلوا عباده أو قصروا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندًا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نعمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى قاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة والذين كفروا أولياءهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المادني تتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعتى اتخذ يتخذ إلى مفعول واحد كقولك اتخذ ولياً وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلاناً ولياً قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم خليلاً فالقرأة الأولى من المتدلى إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن تتخذ أولياء فريدت من لنا كدفعي معنى التي والثانية من المتدلى إلى مفعولين فالأول ما ينسب له الفعل والثاني من أولياء ومن التبعض أي لاتتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله الإيمان به أو القرآن والشرائع ۚ والبور الملاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كما تدعو وعوده ۚ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم على قرة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ۚ ثم القول فقد جئنا خراسانا ۚ وقرئ يقولون بالياء والياء فعني من قرأ بالياء فقد كذبوك بقولكم أنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوك بقولهم

من نشاء والأصل الحقيقة وقول موسى عليه السلام إن هي إلا فتنة تفضل بها من نشاء وتهدي من نشاء فلو كان الإخلال مستحلاً على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه التكليم بما لا يجوز فإذا أضح ذلك فاللائحة لم يستلوا في هذه الآية عن المضل لمبادم حقيقة فيقال لم من أضل هؤلاء وإنما قيل لم أنتم أضلنهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق المتبدآن يقولوا أنت أضلنهم ولو كان متقدماً أن الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم في جواب هذا السؤال بل أنت أضلنهم مجاوزة لمخ السؤال ومحلّه وإنما كان هذا الجواب مطابقاً لواقع قولهم من أضلّ عبادي هؤلاء فقد وضع أن هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الوجداني بتقدير أن يكون متقدماً أن الله تعالى هو الذي أضلهم وأن عدوهم عنه ليس لأنهم لا يعتدونه ولكن لأنه لا يطابق وقد بقي وراء ذلك نظري أن جوابهم هذا يدل على متقدم المواقف لأهل الحق لأن أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وإن خلق لهم الضلالة إلا أن لهم اختياراً فيها وتميزاً لها ولم يكونوا أهلها مقسورين كما هم مقسورون على أضال كثيرة بخلافه فهم كالحركات العسية ونحوها وقد قدمنا في مواضع أن كل فعل اختياري له نسب إن نظر إلى كونه مخلوقاً فهو منسوب إلى الله تعالى وإن نظر إلى كونه اختيارياً فالعبد هو منسوب إلى العبد وبذلك قطعت الملائكة في قولهم بل متعمه وآباءهم حتى نسوا الذكر فنبهوا نسيان الذكر إليهم أي الإيهام في الشهوات الذي نشأ عنه النسيان لأنهم اختاروه لأنفسهم فصدقت نسبة إليهم ونسبوا السبب الذي اقتضى نسيانهم وانهم كهم في الشهوات إلى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط العلم عليهم فيها ضلوا فلا تنافي بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حيث قل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

(قوله هذه المفاجأة بالاحتجاج) التي في قوله تعالى فقد كذبوك

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْجَاهِلِينَ

سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فإن قلت) هل يختلف حكم البلاء مع التأه والياء (قلت) إى واقه
هى مع التأه كقوله بل كذبوا بالحق والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهى مع الياء
كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضاً يعنى فا يستطيعون أتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل
الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه لا يصرف أى يختار أو فـا يستطيع أتم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن
يخالوا لكم ۝ الخطاب هل العموم للمكلفين ۝ والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكفار ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم
والناسق ظالم لقوله ومن لم يمت فأرثك هم الظالمون ۝ وقرئ بذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم ۝ الجملة
بعد لإصافة لموصوف عنفوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف الكفاء
بالمجرور والمجرور أى من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا إلا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد ۝
وقرئ ويمشون على البناء للمفعول أى تمشهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو
احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول
صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول
وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض ۝ والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبما نصبتهم
لم العداوة وأقاولهم الخارجة عن حد الإنصاف وأنواع آذام ۝ وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتقاوا فإن ذلك من عزم الأمور (وتوقع (أتصبرون)
بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليلوكم أيكم أحسن عملاً (بصيرا) عالماً بالصواب فيما ينبتل به غيره فلا يضيئ صدورك
ولا يستخفك أقاويلهم فإن صبرك عليها سادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسليته عما غيره وبه من الفقر حين قالوا أويلق إليه
كأنز أوتكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون أم أنها حكمتهم وشيئته ينبتل به يشاء ويفقر من يشاء
وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجزان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو بمزوجة بالدنيا
فإنما يشاك فقيراً ليكون طاعة من يطعمك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة
والنعمان بن زائل ومن في طبقهم يقولون إن أسلنا وقد أسلم قلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفوا علينا
إدلالاً بالناسفة فهو افتتان بعضهم ببعض ۝ أى لا يأملون لقاءنا بالخبر لأنهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء
في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقاراً جعلت الصيرة إلى دار جزاء بمنزلة لقاءه لو كان ملقياً
۝ افتروا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقه أو يروا الله جهره فأمروهم
بتصديقه واتباعه ولاخلو إما أن يكونوا عالين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله لا يصح أن يرى
وإنما علوا إيمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالين بذلك وإنما أرادوا التعتن باقتراح آيات سوى الآيات
التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كإفصل قوم موسى حين قالوا ان تؤمن لك حتى نرى الله جهره (فإن قلت) ما معنى
(في أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعتاد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن في
صدورهم إلا كبر ما هم يبالغونه (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان ۝ وقد وصف التو بالكيبر فالغ

(قوله ولو قرئ يمشون لكان أوجه) مبنياً للفاعل وفي نسخة يمشون (قوله لا يصح أن يرى) هذا مذهب

وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّجْجُورًا . وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا . أَحْسَبُ الْجَنَّةَ يَوْمَئِذٍ خَيْرَ مَسْقَرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا . وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالنِّفْمِ وَنَزَلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا . الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَقِيقُ

في إفراطه يعني أنهم لم يحسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم يحنوف وهذه الجملة في حسن استئناها غاية وفي أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبانا بناها . كليا غلت ناب كليب براؤما

وفي غوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الآتري أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر هتوم وما أغل نابواؤاها كليب (يوم يرون) منصوب بأحدثين إما بمادل عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة بمنعون البشرى أو بعد موتها ويوم مثل التكريم وإما بإضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للجرمين) وقوله للجرمين إما ظاهر في موضع تخيير وإما لأنه عام قد تناولهم بعمومه (حجر أعجورا) ذكره سيويه في باب المصادر غير المصرفة المنصوبة بأفعال متروكة إظهارها نحو معاذ الله وقدك الله وعمر ك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتورا وهجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيويه ويقول الرجل الرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجر اوهى من حجره إذا منعه لأن المستعذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منا ويحجره حجرا ويحجته على فعل أو قل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قدك وعمر ك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر . عوذ برى منك وحجر

(فإن قلت) فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى المحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية أنهم يطالبون نزول الملائكة ويقرحونه وهم إذا رآهم عند الموت أو يوم القيامة كهو القادم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو والموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم القرآن والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراما عليكم . ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلث حال مؤلا وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم وعاسهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستصروا عليه فقدم إلى أشياءهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثرا . والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبهه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء (منثورا) صفة للهباء شبهه بالغبار في قلته وسقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمشور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيت أنه قد تآثر وذهب كل مذهبه ونحوه قوله كمصف ما كرل لم يكف أن شبههم بالصف حتى جعله مؤوفا بالأ كال ولأن شبه علمهم بالغباء حتى جعله متآثرا أو مفعول ثالث لجمعناه أى جعلناه جامعا لمخافة الهباء والتآثر كقوله كونوا فرقة خاسين أى جامعين للسخ والخس ولام الهباء واوبديل الهبة . المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحدثون . والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاستراحة إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم وملاصحتهم كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك

المعزلة وعند أهل السنة يصبح أن يرى (قوله نحو معاذ الله وقدك الله) في الصحاح وقوله فعيدك لا آتيك وبعيدك الله لا آتيك وقدك الله لا آتيك بمن للرب وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر والمعنى بصاحبك الذى هو صاحب كل نجوى كما يقال نقدت ك الله (قوله عند لقاء العدو الموتور) في الصحاح الذى قتل له قاتل فلم يترك بدمه (قوله لم يترك لها أثرا ولا عثرا) في الصحاح الكثير يتسكن أثناء الغبار (قوله أو مفعول ثالث بالأ كال) في الصحاح إلا كال بالضم الحكمة

لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۖ وَيَوْمَ يُعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِسُنِي مَعَ الرُّسُلِ سِيلًا ۚ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخْذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۚ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ

اليوم فيقول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون قيل في تفسير الشغل اقتضاض الأكل ولأنهم في الجنة ولأنهم سمي مكان دعوتهم واستراحتهم إلى المحور مقبلا على طريق التشبيه وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يزين به مقبلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحسين والزين ۖ وقرئ (تشقق) والأصل تشقق لحذف بعضهم التأء وغيره أدغما ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كآله الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منظر به (فإن قلت) أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة يزولون في أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا بين إسرائيل في نعيم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ۖ وقرئ وتنزل الملائكة وتنزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حنف التورن الذي هو فاه الفعل من نزل قراءة أهل مكة ۖ الحق الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ ويعطل ولا يبقى إلا ملكه ۖ عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنات وحرق الأسنان والأرم وقرعها كنيات عن الفيظ والحسرة لأنها من روادها فيذكر الرادة ويدل بها على المردوف فيرفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكسب عنه وقيل نزلت في عتبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فمات به وقال صابت يا عتبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستجيت منه فشهادته والشهادة ليست في نفس قتال وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تقا فمات به وتزوج في وجهه وتعلم عنه فوجد ساجدا في دار النبوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أفالك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وقال يا محمد إلى من الصية قال إلى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بأحد فرجع إلى مكة فمات ۖ واللام في (الظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عتبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عتبة وغيره ۖ ثم أني أوصحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد أني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت بنفسى في حجة الرسول سيلا ۖ وقرئ يا ويلي بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويكده وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفا في محاربي ومداري ۖ فلان كناية عن الإعلام كما أن المكنى كناية عن الأجاس فإن أريد بالظالم حقيقة فالمعنى ليتني لم أخذ يا خيلا فكنى عن اسمهم لأن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خيلا كان خيلا له اسم علم لا حالة لجملة كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو معظة الرسول ويجوز أن يراد بقطعه بشهادة الحق وعزمه على

(قوله وأكل البنات وحرق الأسنان والأرم) في الصحاح حرقت الشيء حرقا بروتة وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرقت نابه أي سمخه حتى سمخ له حريف وفلان يحرق عليك الأرم غيظا فوه أيضا أرم على الشيء أي عض عليه وأرمه أيضا أي أكله والأرم الأرض كأنه جمع أرم يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا غيظك فلك أضراسه بعضها ببعض (قوله وقال يا محمد إلى من السية) في الصحاح السية المرأة تسبي

لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ۖ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۖ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۖ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۖ الَّذِينَ

الإسلام ۖ والشيطان إشارة إلى خليفه سماء شيطانا لأنه أمسه كايضل الشيطان ثم خذله لم ينفعه العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالفة المصل وعذلة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تسيطر من الجن والإنس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله اتخذت بقرا على الإِدْغَام والإِظْهَار والإِدْغَام كثره الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حتى الله عنه شكروه قومه إليه في هذه الحكاية تنظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجؤا إليه وشكروا إليه قومه حل بهم العذاب ولم ينظروا ۖ ثم أقبل عليه سيلوا مواسيا واعداء النصره عليهم فقال (وكذلك) كان كل نبى قبلك مبتلى بعبادة قومه وكفائه في هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصر أك عليهم ۖ مهجورا تركوه وصعدوا عنه وعن الإيمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتماهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا أقض بيني وبينه وقبل هو من هجر إذا هذى أى جعلوه مهجورا فيه لغضب الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين والثاني أنهم كانوا إذا سمعوه يهجروا فيه كقوله تعالى لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى المهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا ۖ والمدق يجوز أن يكون واحداً وجما كقوله فأنهم عدتلى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) هنا بمعنى أنزل لاغير تكبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحتهم الدالة على شرادهم عن الحق ونجافهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزل الكتب الثلاثة وماله أول على التفريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضل من القول ومما رآه بما لا طائل تحته لأن أمر الإيجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله (كذلك) جواب لم أى كذلك أنزل مفرقا ۖ والحكمة فيه أن تنزى بتفرقه فؤادك حتى تعب وتحفظه لأن الخلق إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو أتى عليه جملة واحدة لبل به وتعبا يحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارت حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أتميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلصص والتحفظ فأنزل عليه متجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يأتى ذلك إلا في أنزل مفرقا (ما ن قلت) ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم هو إنزاله جملة واحدة فكيف فسرت به بكذلك أنزاله مفرقا (قلت) لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتيوا بنجم واحد من نجومه وتحفوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة يحزم ويحجوا به على أنفسهم حين لاخوا بالمناصبه وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملة (ورتلناه) مطوف على الفعل الذى تلقى به كذلك كأنه قال كذلك فرتاه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قتره آية بعد آية ووقفه عقب وقفه ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أى اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضى الله عنها في صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسر دكم هذا لو أراد السامع أن يمد حروفه يمدها وأصله الترتيل فى الإنسان

(قوله ثم أقبل عليه سيلوا ومؤسيا) فى الصحاح أمسه تأسية عزته (قوله لبل به وتعبا يحفظه) فى الصحاح لبل الرجل بالكسر أى دهش وفيه أيضا أعيت بأمرى إذا لم تهتد لوجهه وأعيا عليه الأمر وتعبا وتعبا بمعنى أى قدبر

يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۖ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۖ وَقَوْمُ نُوحٍ
لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِنَاسٍ ءَايَةً وَآعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ
الرُّسِّ وَقَوْمًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۖ وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرَّأْنَا تَبِيرًا ۖ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

وهو تغلبها يقال ثمر رتل وثمرتل ويشبه نور الأفحوان في تغلبه وقيل هو أزله مع كونه متفرقا على تمسك وتعلف
مدة متباددة وهي عشرون سنة لم يفقه في مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عيب من سؤالهم الباطلة كأنه مثل في البلدان
إلا أيتناك نحن بالجواب الحق الذي لا عيب عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ۖ ولما كان التفسير هو الكشف
عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كإميل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال
وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن قرن بك ملك ينفرمك أو يبق إليك كنز أو تكون لك جنة
أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعتيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكتنا ومشيقتنا أن نعطاء وما هو احسن تكشفاً لما
بمثت عليه ودلالة على محنته يعني أن نزيهه مفرقا وتخديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كما نزل شيء منها أدخل في الإيجاز
وأور للجنة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم يجتوا بهذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفه كإميل لم إن حاملكم
على هذه السؤالات أنكم تفضلون سيئه وتحقرون مكانه ومزله ۖ ولو نظرتم بين الإنصاف وأنتم من المسحورين على
وجوههم إلى جهم لعلمت أن مكانكم شر من مكانه وسيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعناته وغضب عليه الآية يجوز أن يراد بالمكان الشرف والمزلة أن يراد بالدار والمسكن كقوله أرى الفريقين خير مقاماً
وأحسن ندياً ووصف السيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة
أثلاث تلك على الدوابير تلك على وجوههم وتلك على أقدامهم ينسلون سلا ۖ الوزارة تافى التوبة فقد كان يبعث في الزمن
الواحد أنبياء ويؤمنون بأن يوزر بعضهم بمصاها والمحن فذهب إليهم فكذبواهم فمضت ثم كقوله ضرب بمصاها البحر فاعلق
فضرب فاقلق أراد اختصار القصة قد كراشيتها أو لها وأخرها لانها المقصود من القصة يطولها عن الزام الحجة بعثة الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعه فدمرتهم فدمرتهم فدمرتهم فدمرتهم فدمرتهم فدمرتهم
كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة
(وجعلناهم) وجعلنا أفرغهم أو قصتهم (الظالمين) إثم أن يعنيهم قوم نوح وأصله واعتداهم لأنه قصد تعظيمهم فأظهر وإثما
أن يتناولهم بعمومه مصطف عاداً على من جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى وعدنا الظالمين ۖ وقرئ وثمود على تأويله الفيلق أما
المنصرف فبأن يؤول إلى أفرغهم أو لأنهم أساءوا في كبريل وأصحاب الرس كانوا أقوام من عبدة الأصنام أصحاب بار ومواش فبث الله
إليهم شعياً فدعاهم إلى الإسلام فتأدوا في طيناتهم وفي إيدائه فيناديهم حول الرس وهو البرغي المطوية عن أبي عبيدة انهارت
بهم غشيف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بقلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب أنبي
حظلة بن صنوان كانوا مبائين بالنعاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لعلل عقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال
له فتح وهي تنفض على صيانتهم فخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حظلة فأصابها الصاعقة ثم أتهم قتلوا حظلة فأهلكوا
وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس يافط كية قتلوا فيها حبياً الجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه
في بئر أرى سدوه فيها (بين ذلك) أي بين ذلك المدكور وقد يدرك لنا كراشياً مخلفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب
الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعبود (ضربنا له الأمثال)

أُطْرَتْ مَطَرُ السَّوءِ أَفْلَمْ يَكُونُوا يَرَوْهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا • وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَضُوكَ إِلَّا هُرُورًا
أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا • إِنَّ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ هَاهُنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ
يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا • أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هُوَ أَفَاقَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا • أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

بيننا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله
وتدميره • والتبديد التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والرجاج • وكلا الآول منصوب بمبادل عليه
ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني تبرنا لأنه فارغ له • أراد بالقري يسلمون من قري قوم لوط وكانت خمسا أطلك
الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة • ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشا مزومرا راء كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك
القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) في مرامرهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويدكرون (بل
كانوا) (قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون (نشورا) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن
ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومزواها كما مزت ركابهم أولا يأمنون نشورا كما يأمنه المؤمنون لطعمهم في الوصول إلى ثواب
أعمالهم أولا يخافون على اللغة التامة • إن الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما • واتخذوه هروا
في معنى استهزأوه الأصل اتخذوه موضع هزؤا ومهروه أبه (أهدا) محكي بعد القول المضمر وهذا الاستعصان (وبعث الله رسولا)
وأخرجه في معرض التسليم الإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار حتى واستهزأوا ولم يستهزؤا قالوا أهدا الذي زعم أراعي
أنه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم (إن كاد يضلنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله
قصارى الوسع والطاعة في استطاعتهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شاربوا بزعمهم أن يتكذبوا عنهم إلى دين الإسلام
لولا فرط لجأهم واستمسك بهم بإعادة آلهتهم و (لولا) في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة
يجرى التقيد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالبت مدة الإمهال ولا بد للوعيد أن
يلحقهم فلا يغتفرهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم إن كاد يضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هوزال في نفسه ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله • من كان في طاعة
الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليل ولا يصني إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إله فيقول لرسوله
هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد
أن تسلم شئت أو آبيت ولا إكراه في الدين وهذا كقولهم وما أنت عليهم بمجار لست عليهم بصيرور يروى أن الرجل
منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي أم هذه منقطعة معناه بل
أتحسب كأن هذه الذمعة أخذت من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبوا الإسماع والعقول لأنهم
لا يلقون إلى استماع الحق أدنا ولا إلى تدبره هفلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ثم أرجع ضلالة
منها (فإن قلت) لم آخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلها (قلت) ما هو التقديم المقبول الثاني على الأول للناية
كما تقول علت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق (فإن قلت) ما معنى ذكر الآخر (قلت) كان فيهم من لم يصدده من

قوله تعالى أرايت من اتخذ إلهه هواه (قال إن قلت لم قدم إلهه وهو المقبول الثاني وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك
ظننت منطلقا زيدا إذا كانت عنايتك بالمنطلق) قال أحد وفيه نكتة حسنة وهي إفاضة الحصر فإن الكلام قبل دخول
أرايت مبتدا وخبر المبتدأ هواه والخبر إلهه وتقديم الخبر كما علت بقيد الحصر فكانه قال أرايت من لم يتخذ معبوده
إلا هواه هو أبلغ في ذمه وتوبيخه والله أعلم

(قوله ووصفنا لهم ما أجروا عليه) لله ما أجروا

أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْآلَانِمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلٌ لَبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا . وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُثْرًا يَنْبِئُ بِدَى رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

الإسلام الأداء واحد وهو حب الرئاسة وكفى به داء هضالا (فإن قلت) كيف جعلوا أضل من الإنعام (قلت) لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تملقها وتسهدها وتعرف من يحسن إليها بمن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجنب ما يضرها وتبتدى لمراعيا ومشاربا وهؤلاء لا يتقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلعون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يتدنون للحق الذي هو المشرع الحق والنفذ الروى (ألم ترى إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن جعله يمد وينبسط فيفتح به الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أى أصفا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينبسط به أحد سمي انبساط الظل وامتناده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس بأحوالها في سيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا فينبون حاجتهم إلى الظل واستنادهم عنه على حسب ذلك وقبضه إليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع مالا يبد ولا يصر ولو قبض دفعة واحدة لتسلط أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فإن قلت) ثم في هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباينهما في الفضل يتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالتربة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألفت القبة ظلها على الأرض فينا ما فى أدبه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سطلها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخها بقبضه قبضا سهلا يسيرا غير حسير ومجتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الأجرام التى تبقى الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشائه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه يتا بدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسيرا شبه ما يمر من ظلام الليل باللباس الساتر واللباس الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فإن قلت) فلا فسرته بالراحة (قلت) النور في مقابلته بأباه أباه العيوف الورد وهو مرتق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار نعمته على خلقه لأن الاحتجاب يستلزم الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبهها بالموت والحياة أى عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يابني كما تنام فحفظ كذلك تموت فنشر قرئ الريح والرياح نشرنا إحياء ونشرا جمع نشور وهى الحية ونشرا تخفيف نشر ونشرا تخفيف بشر جمع يشور وبشرى (بين يدى رحمت) استمارة مليحة أى تقدم المطر

(قوله من كونه ثابتا في مكان زائلا) لعله زائلا عن آخر (قوله أنه ينسخه بضح الشمس) في الصبح يضح السراب وتضضح إذا تفرق والضح الشمس وفى الحديث لا يقمن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان (قوله ظلها على الأرض فينا ما فى أدبه جوب) في الصبح الفين الطويل وفيه الأدم جمع الأديم مثل أبق وأق وربما سمي وجه الأرض أدبما وفيه جاب يحوب جوبا إذا خرق وقطع قدير (قوله بأباه أباه العيوف الورد وهو مرتق) في الصبح العيوف من الإبل الذى يشم الماء فيدعه وهو عطشان وفيه رفقة تزيقا كدبرته (قوله قرئ الريح والرياح نشرنا إحياء) لعله ونشرا أى قرئ نشرنا وقوله إحياء لعله أى إحياء فليحرر

مِنَ السَّمَاءِ مَا أَطْهَرَا ۚ نَحْنِي بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُفِيهَ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْفُسًا وَأَنَامِي كَثِيرًا ۚ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا

(طهورا) بلينا في طهارته وعن أحد من يحي هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا بللغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ولا تخلصي قول من التعميل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم طهروا طهروا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيوي يومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور أى طهارة (فإن قلت) ما الذى زيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن غاطلة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعمله في الدين لاداء عبادة عند أى حنيفة وعند مالك بن أنس رضى الله عنهما ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فإن قلت) فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للباد إلى البساتين وإنما قال (ميتا) لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على القعل كفعول ومفعول ومفعيل ۚ وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لثلاثين وقيل أسقاه جعل له سقيا ۚ الإنسان جمع إنسى أو إنسان ونحوه طرائى في ظربان على قلب التون يله والأصل أناسين وظرايين وقرئ بالتخفيف بحذف باء أفعال كقولك أناعم في أناعم (فإن قلت) إزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليقه بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حتى الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقى الإنسان من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لم وتسميا للنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في وياطينهم ثم في ظواهرهم وأن ربوا بأنفسهم عن غاطلة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فإن قلت) لم يخص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لأن العلي والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها تبة الأمانى وعامة منافهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقى أنعامهم كالإنعام بسقيهم (فإن قلت) فما معنى تكرار الإنعام والإناسى ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن عليه الناس وجههم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنايع الماء فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فإن قلت) لم قدم أحياء الأرض وسقى الإنعام على سقى الإنسانى (قلت) لأن حياة الإنسانى بحياة أرضهم حياة أنعامهم تقدم ما هو سبب حياتهم وتميشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدوا سقيهم ۚ يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن في سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر إفساد السحاب وإزال القطر ليذكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فإن) أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتران لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتباينة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ ود مجمرهم فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرا بنا بنو كذا ولا يذكروا أصنام الله ورحمتهم عن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية يقرؤى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد ويتنوع من هم ناجواب في تسيير البلدة والأنعام والإناسى كأنه قال لنحي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والإناسى وذلك البعض كثير (فإن قلت) هل يكفر من ينسب الأقطار إلى الأنواء (قلت) إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحدان تكون هي والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى إن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر ۚ يقول لرسوله

(قوله وظرايين قرئ بالتخفيف) لعله وقرئ (قوله وجود ورذاذ ودجية وراهام) أى مطر ضعيف والرهام جمع رحمة وهى المطرة الضعيفة العامة كذا في الصحاح

بَيْنَهُمْ يَذْكُرُوا فَاَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا . وَلَوْ شِئْنَا لَغَنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا . فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَهَدْنَاهُمْ بِجِهَادٍ كَبِيرٍ . وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا لَّجَلُهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا . وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لحففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و(البعثاني كل قرية) نبأ يندرها وإنما قصرنا الأمر
عليك وعظمتنا به وأجلناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فبما يريدونك
عليه وإنما أراد بهذا تهيجه وتبيح المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أولئك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع
والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك قبالهم من جدك واجتهادك وعصك على نواجذك بما تنظم به وتعلم
وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى مادلٍ عليه ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيراً من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قرئته فاجتمعت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم قتاله (وجاهدكم) بسبب كونك
نذير كافة القرى (جهاداً كبيراً) جامعا لكل مجاهدة . سعى الماديين الكثرين الواسعين بحرين والقرات البالغ العنوبة
حتى يضربوا إلى الخلاوة والأجاج قبضه . ومرجعهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو قدرته بفصل بينهما ومنعهما
التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر مجموعهما العذب منهما بالأجاج مجموع
(برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته . وقرئ ملح على فعل وقيل
كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا برداً يريد بارداً (فإن قلت) (وحجرا محجورا) مامعناه (قلت) هي الكلمة التي
يقولها المنعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له
حجراً محجوراً كما قال لا يبينان أي لا يبنى أحدهما على صاحبه بالمجازة فانتفاء البنى ثمة كالتعوذ هنا جعل كل واحد
منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة . أراد قسم البشر
قسمين ذوي نسب أي ذكروراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن
وتحويه قوله تعالى لجعل منه الزوجين الذكور والأنثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرأوين ذكرأ
وأنثى . الظاهر والمظاهر كالمرء والمعاون وقيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه
بالعداوة والشرك روى أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظاهر الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهور كما جاء
الصديق والخليط يريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفضل
هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك كالتفتت إليه
وهذا نحو قوله أولئك لأخلاق لم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم . مثال (الإن شاء) والمراد (إلا فعل) من
شاء واستثنائه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قدس لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سميت (لأن تحفظ
هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته هي صورة الثواب وسماه باسمه فأفاد

وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذْنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ۚ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُبِّحْ لَهُ خَيْرًا ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۚ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَرَهُ نُفُورًا ۚ وَهُوَ الَّذِي

قَادَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا قَلْعَ شِبْهَةِ الطَّعْمِ فِي الثَّوَابِ مِنْ أَمَلِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ إِنْ كَانَ حِفْظُكَ لِمَالِكَ ثَوَابًا فَاقْبَلِ الثَّوَابَ
وَالثَّانِيَةِ إِنْ ظَهَرَ الشُّكُّ بِالْعَلَّةِ وَأَنَّكَ إِنْ حَفَظْتَ مَالَكَ أَتَدْرِكُ حِفْظُكَ ثَوَابًا وَرَضَى بِهِ كَأَنَّهُ يَرْضَى الثَّوَابَ بِالْعَمَلِ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَعَ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ هَذَا الصَّدَقَةِ وَفَوْقَهُ ۚ وَمَعْنَى اخْتِزَامِهِ إِلَى اللَّهِ سَبِيلًا تَقَرُّمُ إِلَيْهِ
وَطَلَبُهُ عِنْدَ الزَّانِي بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَقِيلَ الْمُرَادُ التَّقَرُّبُ بِالصَّدَقَةِ وَالتَّفَقُّعُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أَمْرُهُ أَنْ يَقْبَلَ بِهِ وَيَسْتَدْرِكُهُ
إِلَى فِي اسْتِكْفَانِهِ شُرُورِهِ مَعَ التَّسَلُّقِ بِقَاعَةِ النَّكْلِ وَأَسَاسِ الْإِتِّجَانِ وَهُوَ طَاعَتُهُ وَعِبَادَتُهُ وَتَزَيُّدُهُ وَتَحْمِيدُهُ وَعَرَفَهُ أَنَّ
الْحَقَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ حَقِيقٌ بِأَنَّهُ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ وَلَا يَشْكُلُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَعَنْ بَعْضِ السُّلَفِ أَنَّهُ
قَرَأَهَا فَقَالَ لَا يَصِحُّ لَدَيْ عَقْلِ أَنْ يَقْبَلَ بِمَدَامُ مَخْلُوقٍ ثُمَّ أَرَاهُ أَنْ لَيْسَ إِلَهُ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ شَيْءٌ آمَنُوا أَمْ كَفَرُوا وَأَنَّهُ
خَيْرٌ بِأَعْمَالِهِمْ كَافٍ فِي جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) يَعْنِي فِي مَدَّةٍ مَقْدَارِهَا هَذِهِ الْمُدَّةُ لَا تَعْلَمُ بِكُنْ حَيْثُ تَنْهَارُ وَلَيْلٍ وَقِيلَ
سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَكُلُّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَهِيَ مَجَاهِدَةُ أَوَّلِهَا يَوْمُ الْآخِرَةِ وَآخِرُهَا يَوْمُ
الْجُمُعَةِ وَوَجْهُهُ أَنَّ بَسْمِ اللَّهِ لِلْمَلَكَةِ تَكْلِمَةُ الْأَيَّامِ الْمَقْدُورَةِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ فَلْيَاخُلُقِ الشَّمْسُ وَأَدَارِهَا وَتَرْبِ أَمْرِ الْعَالَمِ عَلَى مَا هُوَ
عَلَيْهِ جَرَتْ التَّسْمِيَةُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَأَمَّا الدَّاعِي إِلَى هَذَا الْمَدَدِ أَعْنَى السِتَّةِ دُونَ سَائِرِ الْأَعْدَادِ فَلَا تَشْكُ أَنَّهُ دَاعِي حِكْمَةٍ
لَعَلَّنَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ تَقْدِيرًا إِلَّا بِدَاعِي حِكْمَةٍ وَإِنْ كُنَّا لَا نَطْلُعُ عَلَيْهِ وَلَا نَهْتَدِي إِلَّا مَعْرِفَتِهِ مِنْ ذَلِكَ تَقْدِيرِ الْمَلَكَةِ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
تِسْعَةَ عَشْرَ وَحُلَّةِ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةَ وَالشُّهُورِ اثْنَيْ عَشَرَ وَالسَّمَوَاتِ سَعَاوَالِ الْأَرْضِ كَذَلِكَ الصَّلَوَاتُ خَمْسًا وَأَعْدَادُ النَّسَبِ وَالْحُدُودِ
وَالْكَفَارَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْإِقْرَارُ بِدَاعِي الْحِكْمَةِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ بِأَنَّهُ مَقْدَرُهُ حَقٌّ وَصَوَابٌ هُوَ الْإِيمَانُ وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدُوَّهُمْ إِلَّا أَقْنَتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَقِينَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَبَرَدُوا الَّذِينَ
آمَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا
مَثَلًا ثُمَّ قَالَ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ الْجَوَابُ أَيْضًا فِي إِنْ لَمْ يَخْلُقْهَا فِي لَحْظَةٍ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّمَا خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهَا فِي لَحْظَةٍ تَعْلِيمًا لَخَلْقِهِ الرِّقِّ وَالثَّبَتِ وَقَبْلَ اجْتِمَاعِ خَلْقِهَا
يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَجَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ ۚ الَّذِي خَلَقَ مَتَدًا (الرَّحْمَنُ) خَبْرُهُ أَوْ صِفَةُ الْحَيِّ وَالرَّحْمَنُ خَبْرُهُ مَبْدَأُ مَحْضُوفٍ أَوْ بَدَلُ
عَنِ الْمُسْتَرِّ فِي اسْتَوَى وَقَرَأَ الرَّحْمَنُ بِالْجُزْءِ صِفَةَ الْحَيِّ ۚ وَقَرَأَ قُلُوبَ الْبَابِ فِي صَلَاحٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ
وَاقِعٍ كَمَا تَكُونُ عَنْ صَلَاحِهِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ ثُمَّ لَتَسَاءُنَ يَوْمَهُ عَنِ النَّعِيمِ فَسَأَلَ بِهِ كَقَوْلِهِ أَهْمٌ بِهِ وَاعْتَنَى بِهِ وَاشْتَغَلَ بِهِ وَسَأَلَ عَنْهُ
كَتَوَلَّكَ بِحُجَّتِهِ وَقَشَّ عَنْهُ وَتَقَرَّرَ عَنْهُ أَوْ صِلَهُ خَيْرٌ أَوْ تَجَمَّلَ خَيْرًا مَفْعُولٌ لَمْ يَرِدْ فَسَلَّ عَنْهُ رَجُلًا عَارًا فَيَجْعَلُكَ بِرَحْمَتِهِ
أَوْ فَسَلَّ رَجُلًا خَيْرًا ۚ وَهُوَ بِرَحْمَتِهِ أَوْ فَسَلَّ بِسُؤَالِهِ خَيْرًا كَقَوْلِكَ رَأَيْتَ بِهِ أَسَدًا أَوْ بَرِيئَةً وَالْمَعْنَى إِنْ سَأَلْتَهُ وَجَدْتَهُ خَيْرًا
أَوْ تَجَمَّلَ حَالًا عَنْ الْمَاهِ تَرِيدُ فَسَلَّ عَنْهُ عَالِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ وَقِيلَ الرَّحْمَنُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَذْكُورٌ فِي الْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَلَمْ
يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ فَقِيلَ فَسَلَّ بِهَذَا الْاسْمِ مِنْ يَجْعَلُكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يَعْرِفَ مِنْ يَنْكُرُهُ وَمِنْ ثَمَّةٍ كَانُوا يَقُولُونَ مَا نَعْرِفُ
الرَّحْمَنَ إِلَّا الَّذِي بِالْجِمَامَةِ يَتَوَكَّلُ مَسْبِلَةً وَكَانَ يَقَالُ لَهُ رَحْمَنُ الْجِمَامَةِ (وَمَا الرَّحْمَنُ) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سُؤَالًا عَنْ الْمَسْمِيِّ
بِهِ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَهُ بِهَذَا الْاسْمِ وَالسُّؤَالُ عَنِ الْمَجْهُولِ بِمَا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سُؤَالًا عَنْ مَعْنَاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
مُسْتَعْمَلًا فِي كَلَامِهِمْ كَمَا اسْتَعْمَلَ الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ وَالْإِرْحَامُ أَوْ لِأَنَّهُمْ أَنْكُرُوا إِطْلَاعَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى (لِمَا تَأْمُرُنَا) أَيْ
الَّذِي تَأْمُرُنَا بِمَعْنَى تَأْمُرُنَا بِمُجِدِّهِ عَلَى قَوْلِهِ أَمْرُكَ الْخَيْرُ أَوْ لِأَمْرِكَ لَنَا وَقَرَأَ بِالْيَاءِ كَأَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضِ الْأَسْبَدِ لِمَا يَأْمُرُنَا

جَعَلَ لَيْلٍ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا. وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ يُحْسِنُ الصَّلَاةَ. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

محمد صلى الله عليه وسلم أو بأمرنا المسمى بالرحن ولا تعرف ما هو وفي (زادهم) ضميراً يجمعون بالرحن لأنه هو المقول بالبرج منازل الكواكب السبعة لسيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبرج التي هي القصور العالية لأنها هذه الكواكب كالمنزل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج الظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى ويجعل الشمس مرجاً وقرئ سرجاً وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعشى وقرأ أميراً وهي جملة قراء كأنه قالوا ذرأ منيراً لأن البالي تنكر قرأ بالفتح فاضاً إليها نظيره ببقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان :
• بردى يهسف بالحريق السلسل •

يريد ما بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشو الرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالأركبة من ركبوهي
الحالة التي تخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جملهما ذوى خلقة أى ذوى عتبة أى يعقب هذا ذاك
ذلك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
إذا اختلف كثيراً إلى متبرزه وقرئ يذكرو يذكرو وعن أبي بن كعب رضى الله عنه يذكرو والمعنى لينظر واخلافه الناظر
فيلم أن لا بد لا تقالهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومتغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة
ففيها من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبنوا من
فضله وأليكنوا تذكرون والشاكرين من فاته من أحدهما وردة من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رضى الله عنه
من فاته عمله من التذكر والشكر بالناهار كان له في الليل مستغيب ومن فاته بالليل كاله في النهار مستغيب (وعباد
الرحمن) مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويمر أن يكون
خبره الذين يمشون وأضافهم إلى الرحمن تخصيصاً وتفضيلاً وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون (هونا) حال أوصف للشي
بمعنى هين أو شيئاً هيناً إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والحن الرقيق واللين ومنه الحديث أحب
حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون ليون والمثل إذا عز أخوك فهن ومعناه إذا عاصر فياسر والمعنى أنهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بعاملهم إشرًا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب
في الأسواق ولقوله ويمشون في الأسواق (سلاماً) تسليماً منكم لا تخافكم ومنازلة لا تخيريننا ولا تشرى يسلم منكم تسليماً فيهم
السلام مقام التسليم وقيل قالوا ساداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والالتم والمعاد للجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة
من قوله : ألا لا يجهل أحد علنا * فيجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبي العالبة نسخها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك الحفالة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع ه البيتة خلاف الظلول وهو أن يدرك الليل أنت لم تبق وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاته وإن قل فقد بات ساجداً قائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لم يحياه الليل أو بأكثره يقال فلان يظل صائماً ويبيت قائماً (غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال :

يوم النصارى ويوم الجفا ه ركنا عذما وكاما غراما

يوم النصار ويوم الجفا * ركنا عذابا وكنا غراما

(قوله ويقال فلان خلفة) لعله لفلان (قوله وقلة الأدب وسوء الرعة) في الصحاح يقال فلان سيء الرعة أى قليل الورع وفيه قيل ذلك الورع بكسر الراء الرجل التقى وقد ورع برع بالكسر فهما ورعا ورعة

يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَذْ فِيهِ مَهْنًا . إِلَّا مَنْ

وقال إن يعاقب يكن غراما وإن يه . ط جزيلاً فإنه لا يئالي

ومنه الغريم إلحاحه وإرامه . وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر عودتهم هذه إذ بانا بأنهم مع اجتihadهم خائفون مبتلون إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة (سأت) في حكم بأست وفيها خبير بهم بفسره مستقراً والمخصوص بالذم عذوف عنه سأت مستقراً أو قاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبراً لها ويجوز أن يكون سأت بمعنى أحرزت وفيها خبير اسم إن ومستقر حال أو تعبير والتلilan يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم . قرئ يفتروا بكسر التاء وضمها ويقترؤا بتخفيف التاء وتقديدهما الافتراء والتفتير والتصديق الذي هو نقض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في التفقير وصفهم بالتصدق الذي هو بين الغلو والتقصير . ومثله أمر رسول الله ﷺ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الإسراف إنما هو الإتيان في المعاصي فأما في القرب فلا إسراف وسمع رجل يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عرين عبدالعزيز رضي الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفلتت وصنعت رجاء بكلام حسن فقال ابن عبد الملك إنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه الابن حاضراً فقال له عن نفقة وأحواله فقال الحسن بن السيثين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهدأ أيضاً أعده وقيل أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يكون علماء للتم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يبدؤ جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكتمون من الخبز والقرز وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفاً أن لا يشتهي رجل شيئاً إلا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء قرئ قواماً بالكسر وهو ما قام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما قام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أي نحن في ذلك قواماً جزأين أن يكونا خبرين معاً وأن يحمل بين ذلك لغواً وقواماً مستقراً أن يكون الظرف خبراً وقواماً حالاً مؤكدة وأجاز الفرمان أن يكون بين ذلك اسم حال أي أنه مبنى لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها خبيراً لنفقت . وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لأن ما بين الإسراف والتفتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد القاعدة فائدة (حزم الله) أي حزمها والمعنى حزم قتلها و(إلا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بـلا يقتلون ونفي هذه المحببات العظام عن الموصوفين بذلك الخلال العظيمة في الدين للتعرض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين يراهم الله وطهرهم بما أتم عليه والقتل بنزول الحق يدخل فيه الواد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل له نذراً وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل مملك قلت ثم أي قال أن تزاني حيلة جارك فأذن الله تصديقه . وقرئ يلقى فيه أثاماً وقرئ يلقى بإثبات الألف وقدم مثله والأثام جزاء الإثم بوزن الوال والتكال ومعناها قال

جزى الله بن عمرو حيث أمسى . عقوقاً والمعقوق له أثام

وقيل هو الإثم ومعناه يلقى جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أيأما أي شداً يقال يوم ذو أيام اليوم العصيب (بضاعف) بدل من يلقى لأنهما في معنى واحد كقوله متى تأتينا نعلم بنا في ديارنا . نجد حطبا جزلاً وباراً تأججا

(قوله من الخبز والقرز وقال عمر) أي البرد (قوله غير إن نفقت) وهو من جهة) بقية حامية في عصون ذات أوقال وفي الصحاح أن لا أوقال شجر المقل وإن المقل ثم الدوم (قوله أيأما أي شداً) وفي الصحاح الأيام الدخان

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قَوْلُكَ يُدِلُّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْقَوْمِ كَرَّمَا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا غَمًّا وَعَيْنًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا

وقرئ يضمن وتضمن له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستثنا أو على الحال وكذلك مجلد وقرئ ويغمد على البناء للفعول مخففا ومثلا من الإخلاء والتخليد وقرئ ويغمد بالياء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثلا وكذلك سيئاتهم (فإن قلت) مامنى مضاعفة العذاب لإبدال السيئات حسنات (قلت) إذا ارتكب المشرک معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوا بالتوبة وثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يدلهم بالشرك إعنا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا غفوة وإحصانا * يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله (متابا) مرضيا عنده مكفرا للخطايا مصلا للتواب أو فإنه تائب متابا إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يجب التوابين ويجب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المفضل الواحد والظمان الوارد والمقيم الوالد أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم يغفرون عن محاضر الكذابين وبجاس الخاطئين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزهها عن مخالطة الشر وأمله وصيانة لدينهم عما يشبهه لأن مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الإثم لأن حضورهم ونظرم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذى سطر على فعله هو استحسان النظارة ورغبته في النظر اليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام إياكم وبجاسة الخاطئين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور لحنف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اليهود والنصارى عن مجاهد أعياد المشركين * الفو كل ما ينبغي أن يلقى ويطرح والمنهى وإذا مروا بأهل اللغو والمشغولين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والحوض معهم كقولهم تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه لم تسفههم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح كنوا عنه (لم يخبروا عليها) ليس بنى للحرور وإنما هو إثبات له ونفى للصمم والمعنى كما تقول لا يلقى زيد مسلما هو للسلام للقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبروا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على الذكر بها وهم في إكبارهم عليها سامعون بآذان وأعية مبصرون بعيون راعية كالذين يذكرون بها قراهم مكين عليها مقبلين على من يذكروا بها مظهرين الحرس الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يسمعون ولا يبصرون ما فيها كالمتقين وأشباحهم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة أعين وقراة أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وعقباء عمالا لله يسرون بمآثمهم وتقربهم عيونهم عن محبذ كعب ليس شيء أقرب لمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعنا بن عباس رضى الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليم لهم سرورهم أراد أعفقا كنى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد أجمع كل واحدنا إماما أو أراجمع آتم كصائم وصيام أو أراجمعنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا ومن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة (فإن قلت) من في قوله من أزواجنا ما منى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهة ما تقرر به عيوننا من طاعة وصلاح (فإن قلت) لم قال

قُرْةً أَعِينُ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ۚ لَخَلِيفَةٌ فِيهَا حَسَنَةٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَصِيبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

قُرْةً أَعِينُ فَتَنَكَّرَ وَقُلْ (قلت) أما التكفير فلاجل تكفير القُرْة لأن المضاف لاسيل إلى تكفيره إلا بتكفير المضاف إليه كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهي قلبية بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقيل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال في تكفير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين المراد يجزئون الترفات وهي اللعالي في الجنة فوجد اقتصارا على الواحد لئلا على الجنس والدليل على ذلك قوله رم في الترفات آمنون وقراءة من قرأ في القُرْة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك وإطلاقة لأجل الشياخ في كل مصبور عليه ۖ وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أئاما ۖ والتجبة دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى أن الملائكة يحبونهم ويسألون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبية والتخليد مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك ۖ لما وصف عبادة الباد وعدد صالحاتهم وحسانتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكثرت لاولئك وعابهم وأعل ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكثرات لهم عند ربهم وإنما هو للعبادة وحدها لالمنى آخر ولولا عبادتهم لم يكثر لهم البتة ولم يند بهم ولم يكونوا عند شيئا يبالى به ۖ والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستغفار وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأى عبه يعبا بكم لولا دعاؤكم بنى أنكم لاستأهلون شيئا من العب بكم لولا عبادتكم حقيقة قولهم ما عبادت به ما اعتدت به من فواحدهمى وما يكون عبا على كما تقول ما اكثرت له أى ما اعتدت به من كوارثى وما يعنى وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربى أى وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتى) يقول إذا أهلكتم أن حكى أنى لا أعتد بعبادى إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكى فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استمضى عليه إن من عاقد أن أحسن إلى من يطعن ويقع أمرى فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آله (فإن قلت) إلى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب ۖ وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضى الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لو لم يكن بين القتل لزاما ۖ وقرئ لزاما بالفتح بمعنى الزوم كالثبات والثبت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعده لأجل الإيهام وتناول ما لا يمكنه الوصف وأنه أهل بالصواب ۖ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

ۖ قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرْة أعين (قال إن قلت لم قلل الآعين إذ الآعين صيغة جمع قلت قلت لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى غيرهم يدل على ذلك قوله وقيل من عبادى الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرْة أعين وهذا أسلم من تأويله فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلا إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والإضافة وأنه أعلم

سورة الشعراء مكية

إِلَّا آيَةَ ١٩٧ وَمِنْ آيَةِ ٢٢٤ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَدُنِيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ٢٢٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الْوَاقِعَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هُتَمَسَم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . لَكَآلِكَ بَآخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَصِمِينَ . وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُبَدَّلٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . قَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ

(سورة الشعراء مكية)

(إِلَّا قَوْلُهُ وَالشُّعْرَاءُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَهِيَ مِائَتَانِ وَبِسْعٍ وَعِشْرُونَ آيَةً وَفِي رِوَايَةٍ سِتٍّ وَعِشْرُونَ آيَةً) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (هُتَمَسَم) بِتَضْمِينِ الْأَلْفِ وَإِمَاتِهَاوَإِظْهَارِ التَّوْنِ وَإِدْغَامِهَا (الْكِتَابِ الْمُبِينِ) الظَّاهِرُ إِجْمَاعُهُ وَهَمَّةُ أَنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمَرَادُ بِهِ السُّورَةُ أَوِ الْقُرْآنُ وَالْمَعْنَى آيَاتُ هَذَا الْمُؤَلَّفِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَبْسُوطَةِ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . الْبَعْجُ أَنْ يَبْلُغَ بِالذَّبِخِ الْخِطَابُ بِالْبَاءِ وَهُوَ عَرَقٌ مُسْتَبِطٌ لِقَفَارِ ذَلِكَ أَقْصَى حَدِّ الدَّابِخِ وَلَمَّا لَمْ يَشْفَقْ عَلَى نَفْسِكَ أَنْ تَقْتُلَهَا حَسَرَةً عَلَى مَا قَاتَلْتَ مِنْ إِسْلَامِ قَوْمِكَ (أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ثَلَاثًا يُؤْمِنُونَ وَلَا مَتَاعَ إِيمَانِهِمْ أَوْ خِيفَةَ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا وَعَنْ قَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَآخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى الْإِضَافَةِ . أَرَادَ آيَةً مُبْجَعَةً إِلَى الْإِيمَانِ قَاصِرَةً عَلَيْهِ (ظَلَّتْ) مُعْطُوفٌ عَلَى الْجَزَاءِ الَّذِي هُوَ نَزْلُ لَآيَةٍ لَوْ قِيلَ أَنْزَلْنَا لَكَانَ صَحِيحًا وَنَظِيرُهُ فَأَصْدَقُ وَأَكْنَ كَأَنَّهُ قِيلَ أَصْدَقُ وَقَدْ قُرِئَ لَوْ شَاءْنَا لَا نَزَّلْنَا وَقُرِئَ ظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ (فَإِنْ قُلْتَ) كَيْفَ صَحَّ بِجِيٍّ غَاضِضِينَ خَيْرًا عَنِ الْإِعْنَاقِ (قُلْتَ) أَصْلُ الْكَلَامِ فَظَلُّوا لَهَا غَاضِضِينَ فَاقْتَحَمَتِ الْإِعْنَاقُ لِيَبَانَ مَوْضِعُ الْخُضُوعِ وَتَرَكَ الْكَلَامَ عَلَى أَسْلِهِ كَقَوْلِهِ ذَهَبَتْ أَهْلُ الْإِيمَانَةِ كَانِ الْأَهْلُ غَيْرُ مَذْكُورٍ أُولَئِكَ وَصُفِّتِ بِالْخُضُوعِ الَّذِي هُوَ لِلْمُقْلَادِ قَبْلَ غَاضِضِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِي سَاجِدِينَ وَقِيلَ أَعْنَاقُ النَّاسِ رُؤُسُهُمْ وَمَقْدُومُهُمْ شَبَّهُوا بِالْإِعْنَاقِ كَقَوْلِهِمْ لَمْ يَرْوَسُوا وَالتَّوَّاسِي وَالصُّدُورُ قَالَ . فِي مَحَلٍّ مِنْ تَوَاسِي النَّاسِ مَشْهُودٌ . وَقِيلَ جَمَاعَاتُ النَّاسِ يَقَالُ جَاءَنَا عَقٌّ مِنَ النَّاسِ لَفُوجٍ مِنْهُمْ وَقُرِئَ ظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا غَاضِضَةٌ وَهِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَبَيَّنَا وَفِي بَنِي أُمِيَّةٍ قَالَ سَتَكُونُ لَنَا عَلَيْهِمْ لِقَوْلُهُ فَظَلَّتْ لَنَا أَعْنَاقُهُمْ بِعَدِّ صُعُوبَةٍ وَيُلْجِئُهُمْ هَوَانٌ بِمَدْعَةٍ . أَيْ وَمَا يَجِدُ لَمْ يَكُنْ يَحْيِيهِ مَوْعِظَةٌ وَتَذَكُّيرٌ إِلَّا جَدُّوا إِعْرَاضًا عَنْهُ وَكَفَرُوا . (فَإِنْ قُلْتَ) كَيْفَ خُولِفَ بَيْنَ الْأَلْفَافِ وَالْفُرْضِ وَاحِدٌ وَهُوَ الْإِعْرَاضُ وَالتَّكْذِيبُ وَالِاسْتِهْزَاءُ (قُلْتَ) إِنَّمَا خُولِفَ بَيْنَهُمَا بِاخْتِلَافِ الْأَعْرَاضِ كَأَنَّهُ قِيلَ حِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الذِّكْرِ قَدْ كَذَّبُوا بِهِ وَحِينَ كَذَّبُوا بِهِ قَدْ خُفَّ عَنْهُمْ قُدْرُهُ وَصَارَ عُرْضَةً لِلِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ قَابِلًا لِلْحَقِّ مَقْبِلًا عَلَيْهِ كَانَ مُصَدِّقًا لِأَعْلَانِهِ وَلَمْ يَظُنْ بِهِ التَّكْذِيبَ وَمَنْ كَانَ مُصَدِّقًا كَانَ مَوْفُورًا لَهُ (فَسَيَأْتِيهِمْ) وَيُهْدِمُونَ وَإِنذَارُ بَأْسِهِمْ سَيَمْلِكُونَ إِذَا مَسَّهُمْ عَذَابُ اللَّهِ يَوْمَ يَدْرُ أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (مَا) الشَّيْءُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُهُ وَأَحْوَالُهُ الَّتِي كَانَتْ غَافِيَةً عَلَيْهِمْ وَصِفَ الزَّوْجِ وَهُوَ النِّسْبُ مِنَ الثَّبَاتِ بِالْكَرَمِ وَالْكَرِيمِ صِفَةً لِكُلِّ مَا يَرْضَى وَيُجِدُّ فِي بَابِهِ يَقَالُ وَجْهٌ كَرِيمٌ إِذَا رَضِيَ فِي حَسَنِهِ وَجْهًا لَكَتَابِ كَرِيمٍ مَرْضَى فِي مَسَائِهِ وَفَوَائِدِهِ وَقَالَ حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفُ مِنْ كَرَمِهِ أَيْ مِنْ كَوْنِهِ مَرْضِيًّا فِي جَمَاعَتِهِ وَبِأَسِهِ وَالثَّبَاتِ الْكَرِيمِ الْمَرْضَى فَبِأَيِّ تَمَلُّقٍ بِهِ مِنَ الْمُنَافِعِ (إِنِّ) إِنْبَاتُ تِلْكَ الْأَصْنَافِ (لَآيَةً) عَلَ أَنْ مَنِتَّهَا قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتِ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ مُطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ

(قَوْلُهُ ثَلَاثًا يُؤْمِنُونَ وَلَا مَتَاعَ إِيمَانِهِمْ) عِبَارَةُ النَّسْفِ أَوْ لَا مَتَاعَ (قَوْلُهُ بِالْإِعْنَاقِ كَقَوْلِهِ لَمْ يَرْوَسُوا) لَعَلَّهُ كَقَوْلِهِ لَمْ يَرْوَسُوا

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • قَوْمٌ فَرِحُونَ لَا يَتَّقُونَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي

غير مرجو إيمانهم (وإن ربك هو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فإن قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولوقيل كم أنبتا فيها من زوج كريم (قلت) قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكل على أن هذا المحيط متكاثر • فرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته (فإن قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخصي ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكريم وينبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها المفلون ولم يتوصل إلى معرفتها المفلون (فإن قلت) لخص ذكر الأزواج بدلا عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصى إلا لام التنب كيف قال إن في ذلك لآية وحلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشاربه إلى مصدر أنبتا فكأنه قال إن في الآيات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سقت لهذا الوجه نظائر بحمل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعقبان على مودى واحد إن شاء ذا كرم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لم يرئ الأيتون بكسر التون بمعنى ألا يتقوتى لحذفت التون لاجتماع التوين والياء للاكتفاء بالكسرة (فإن قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للأنذار والتسجيل عليهم بالظلم تجسبا لموسى من عالم التي شمت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظنون غير متقين الله وهما به فادخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ الأيتون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجههم وضرب وجوههم بالإنكار والانتعاب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناته إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحز مزاجه وحمى غضبه قطع مائة صاحبه وأقل على الجاني يومه ويعنف به ويقول له ألم تبق الله أم تسبح من الناس (فإن قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملفت إليهم غيب لا يشعرون (قلت) إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه محضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنبهه وناشره بين الناس وله فيه لطيف حوش على زيادة التقوى وكل من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للؤمنين تدبرا لما رواه اعتبار أبحرهما وفي الأيتون بالياء وكسر التون نوجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يأنس اتقون كقوله ألا يأنسوا • ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما مطعونان على خبر أن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أنه في ثلاث

(القول في سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم) • قوله تعالى كم أنبتا فيها من كل زوج كريم (قال إن قلت ما فائدة الجمع بين كل وكل وأجاب بأن كلا دخلت للاحاطة بأزواج النبات وكل دل على أن هذا المحيط به متكاثر فرط الكثرة قال أحد فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الأنواع والظاهر أن المقصود أحاد الأزواج والآنعام ويدل عليه أنه لو أسقطت كل فقلت انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكانت مكنا عن أحاد ذلك الصنف المشار إليه فإذا أدخلت كلا فقد أدبت بشكره أحاد كل صنف لا أحاد صنف معين والله أعلم

(قوله كم أنبتا فيها من زوج كريم) لعل هنا سقطا تقديره كان مستقيا (قوله وحز مزاجه وحمى غضبه) في الصحاح حز يحز حزوا وحزوا وحزوا

أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ • وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ • وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ • قَالَ كَلَّا فَادْهَابَا بِأَيْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ • فَآتَايَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

هل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتاع انطلاق اللسان والتصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فإن قلت) في التصب تليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جعلها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقفاً فكيف جاز تليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحسرة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحسرة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فإن قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إنني أخاف ضيق الصدر غير متعلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد التقدير اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصانع الذين أتوا سلطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى وأخى هرون هو أفصح مني لساناً ومعنى (فأرسل إلى هرون) أرسل إليه جبرائيل واجعله نبياً وأزرقه به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون لجاء بما يتضمن معنى الاستبابة ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً حيث أقصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودلّ بذكرهما على ماهو الغرض من القصة الطويلة كلها وهما أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إزلام الحجة عليهم فيمت إليهم رسولين فكذبوا بها فأهلكهم (فإن قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعمل وقد علم أن الله من وراءه (قلت) قدما مثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونوا على تنفيذ أمره وتبلغ رسالته فهد قبل التماسه عنده فيما التمس ثم التمس بعد ذلك وتهيب العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس يتوقف في امتثال الأمر ولا يتمثل فيه وكفى بطلب اللون دليلاً على التقبل لا على التماسه • أراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولم على تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلوه في لحذف المضاف أو سمي تبعة الذنب ذنباً كما سمي جزاء السيئة سيئة (فإن قلت) قد آييت أن تكون تلك الثلاث عللاً وجعلتها تهمةً للعذر فيما التمس فما قولك في هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبهة المتوقعة وقرن من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تمللاً والدليل عليه ما جاء بعده من كلفة الردع والموعد بالكلافة والدفع • جمع الله الاستجابتين معاً في قوله (كلا فاذهبا) لأنه استدفعه بلامه فوعده الدفع برده عن الخوف والتمس منه الموازنة بأخيه فأجابه بقوله اذهبا أي اذهبا أنت والذي طلبته وهو هرون (فإن قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذي يدل عليه كلاً كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (ممكن مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وعلبكما وكسر شوكتك عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبيرين لأن أويكون مستمعون مستقراً ومعكم لغواً (فإن قلت) لم جعلت مستمعون قرينة ممكن في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤى فومنه قوله تعالى • قل أوحى إلى أناسمعتهم نغم من الجن فقالوا إننا سمعنا قرآننا نجياً • ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى حديث قوم وهم له

(قوله من الفصحاء المصانع) في الصحاح صقع الديك صاح وخطيب مصقع أي بلغ (قوله واجعله نبياً وأزرقه به) (قوله واشدده) في الصحاح أزرت فلانا عاوته والعاقة تقول وأزرت (قوله وهو قود ذلك القتل) لعله القتل

أَنْ أَرْسِلَ مَعَايِي إِسْرَءِيلَ . قَالَ أَلَمْ تُزَكِّبْ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِتِينَ . وَقُلْتَ فَلَتَنَكَ
الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ . فَقَرَّرْتَ مِنْكُمْ لَمَّا خَشَعْتُمْ قُوهَبَ

كارهون صب في أذنيه البرم (فإن قلت) هل أتى الرسول كائني في قوله إنارسلوك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل
وبمعنى الرسالة لجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تنبيه وجعل هنا بمعنى الرسالة لجواز النسوية فيه إذ اوصف به بين الواحد
والثنية والجمع كما يفعله بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال : الكنى اليها وخبر الرسو . ل أعلم بنواحي الخبر
لجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله : لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم . بسرولا أرسلتهم برسول
ويجوز أن يوجد لأن حكمهما لتساذهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللإخوة كان حكا واحدا فكأنهما
رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (إن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وقول أرسلت إليك
أن أفضل كذا لما في الإرسال من معنى القول كما في المنادة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التخلي والإطلاق
كقولك أرسل إليّ بريد خلعهم يذهبوا معني إلى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما
حتى قال الباب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال اتنن له لعنا فضحك منه فأذيا إليه الرسالة فصرف موسى
فقاله (ألم تزك) حذف فأباز فرعون قتراله ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد
الصي أقرب عهده من الولادة وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قبل مكك عندهم ثلاثين سنة وقبل وكز
القبلي وهو ابن ثلث عشرة سنة وفرضهم على أثر ما واه أعلم يصبح ذلك وعن الشعبي ففعلك بالكسروهي قلة التقبل لأنه
قله بالوكة وهو ضرب من القتل وأما القلة فلا . كانت وكرة واحدة عدد عليه نعمته من ربه وتبلغه مبايع الرجال
ووجهه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفضله بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون
حالا أي قتلته وأنت لذلك من الكافرين بمعنى أو أنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد اقترى عليه أوجهل أمره لأنه كان
يعاشهم بالثقة فإن الله تعالى عاصم من يرد أن يستنبه من كل كبيرة ومن بعض الصفات فبالالكفر ويجوز أن يكون
قوله وأنت من الكافرين حكا عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه
بدعائه أو بأنه من الكافرين لغيره وإنه أومن الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونها يشهد لذلك
قوله تعالى ويذكر وآلهتك وقرئ لهنك فأجاب موسى بأن تلك القلة إنما فرطت منه وهو (من الصالحين) أي الجاهلين
وقرأه ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من القائلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمت ما فاعتم
يوسف وأخيه إذ أتاهم جاملون والمخطئ كن يقتل خطأ من غير تعدد للقتل أو لذهابهم عن الصواب أو التائب من قوله أن تضل
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفن الوصف بالكفر عن نفسه وبزأسحته بأن وضع الصالحين موضع
الكافرين ربأجعل من رشع للنوة عن تلك الصفة ثم كثر على امتنائه عليه بالترية فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبى

ه قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التي فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه ووجهه بما جرى على يده من قتل خبازه
وفعله عليه بقوله وفعلت فعلتك) قال أحد وجهه التفتيح عليه من ذلك أن في إتيانه به بجملاهما إذا بأنه لفظا عما لا ينطبق به
الإمكانية ونظيره في التفتيح المستفاد من الإجماع قوله تعالى ه فتشبههم من اليه ما غشيهم إذ ينشئ السدرة ما ينشئ فأوحى
إلى عبده ما أوحى ومثله كثير والله أعلم

(قوله صب في أذنيه البرم) في الصحاح البرم ثمر الغضاه (قوله واستأصله من سنخه) في الصحاح السنخ الأهل
وسنخ في العلم سنوخا رسخ وسنخ الدهر بالكسرة في زخ إذا فسد وتغيرت ريمه يقال بيت له سنخة وسنخاه له ولعل
السنخة في كلامه أيضا تأنيث السنخ

لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَىٰ أَنْ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ
وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلُهُ

أَنْ يَسْمِعَهُ نِعْمَتَهُ الْإِنْعَامَ حَيْثُ بَيْنَ أَنْ حَقِيقَةُ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ تَعْبِيدُ بَنِي إِسْرَءِيلَ لِأَنْ تَعْبُدَهُمْ وَتَقْدِمَهُمْ بِذَبْحِ آبَائِهِمْ هُوَ السَّبَبُ فِي حَصُولِهِ عِنْدَهُ رِيبَتُهُ فَكَأَنَّهُ آمَنَ عَلَيْهِ بِتَعْبِيدِهِ قَوْمَهُ إِذَا حَقَّقَتْ وَتَعْبِيدَهُمْ تَذْلِيلَهُمْ وَاتِّخَاذَهُمْ عِبَادًا لِقَالَ عِبْدَتِ الرَّجُلَ وَأَعْبَدَتْهُ إِذَا اتَّخَذَهُ عَبْدًا قَالَ : علام يعبدني قومي وقد كثرت ۝ فهم أباهر ماشاؤا وعبدان

(فَإِنْ قُلْتَ) إِذَا جَوَابُ جَزَاءٍ مَعَ الْكَلَامِ وَقَعَ جَوَابًا لِفِرْعَوْنَ فَكَيْفَ وَقَعَ جَزَاءُ - (قُلْتَ) قَوْلُ فِرْعَوْنَ وَفَعَلْتَ فَعَلْتُكَ فِيهِ مَعْنَى إِنَّكَ جَازَيْتَ نِعْمَتِي بِمَا فَعَلْتَ فَقَالَ لَهُ مُوسَى نِعْمَ فَعَلْتَا بِمَا جَازَاكَ تَسْلِيًا لِقَوْلِهِ لِأَنْ نِعْمَتَهُ كَانَتْ عِنْدَهُ جَدِيرَةً بِأَنْ تَجَازِيَ بِنَحْوِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ يَجْعَلِ الضَّمِيرُ فِي مَنْكُمُ وَخَفَّتْكُمْ مَعَ إِفْرَادِهِ فِي تَعْبَادِهِ وَجَعَلَتْ (قُلْتَ) الْخُرُوفَ وَالْفَرَارَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَحْدَهُ وَلَكِنْ مِنْهُ وَمِنْ مَلَكِهِ الْمُؤْتَمَرِينَ بِقَتْلِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ وَأَمَّا الْإِئْتِمَانُ فَهُوَ وَحْدَهُ وَكَذَلِكَ التَّعْبِيدُ (فَإِنْ قُلْتَ) تِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَاوَأْنَ عِبَدْتَ مَا عَمِلُوا مِنَ الْإِعْرَابِ (قُلْتَ) تِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى خَصْلَةٍ شَتَا مِهْمَةً لَا يَدْرِي مَا هِيَ إِلَّا بِتَفْسِيرِهَا وَمَعْنَى أَنْ عِبَدْتَ الرَّفْعَ عَطْفًا بِأَنَّ لَكَ وَفَظِيرَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ وَالْمَعْنَى تَعْبِيدُكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ نِعْمَةً تَمُنُّهَا عَلَى وَقَالَ الْإِجْمَاعُ وَيَحْزَنُ أَنْ يَكُونَ أَنَّ فِي مَوْضِعِ نَسْبِ الْمَعْنَى إِنَّمَا صَارَتْ نِعْمَةً عَلَى لَأَنْ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَيْ لَوْلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ لَكُنْتُ أَمْلَى وَلَمْ يَلْقَوْنِي فِي الْيَمِّ ۝ لَمَّا قَالَ لَهُ بَوَاهُ إِنَّ هَهُنَا مِنْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ عِنْدَ دُخُولِهِ (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يَرِيدُ أَيْ شَيْءَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهَذَا السُّؤَالُ لِإِخْلَافِ إِمَانٍ بِرَبِّهِ أَيْ شَيْءٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي شَهِدَتْ وَعَرَفَتْ أَجْنَاسَهَا بِأَجَابٍ بِمَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِ الْخَاصَّةِ لِعِرْفَانِهِ لَا يَسِيءُ شَيْءٌ مِمَّا شَهِدَ وَعَرَفَ مِنَ الْأَجْرَامِ وَالْأَعْرَاضِ وَأَهْأَشَيْءٍ مُخَالَفٍ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَيْسَ كُنْهٌ شَيْءٌ وَإِمَانٌ يَرِيدُ بِهِ أَيْ شَيْءٍ وَعَلَى الْإِطْلَاقِ تَفْتِيضًا عَنْ حَقِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ مَا هِيَ فَأَجَابَهُ بِأَنَّ الَّذِي إِلَهَ السَّيْلِ وَهُوَ الْكَافِي فِي مَعْرِفَتِهِ مَعْرِفَةُ بَنَاتِهِ بِصِفَاتِهِ اسْتِدْلَالًا بِأَفْضَالِهِ الْخَاصَّةِ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَّا التَّفْتِيضُ عَنْ حَقِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي هِيَ فَرَقَ فُطْرَ الْعُقُولِ فَتَفْتِيضُ عَمَّا لَسِيلَ إِلَيْهِ وَالسَّائِلُ عَنْهُ مَتَعَتٌ غَيْرُ طَالِبٍ لِلْحَقِّ وَالَّذِي يَلِيقُ بِحَالِ فِرْعَوْنَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ أَنْ يَكُونَ سَوْأَلُهُ هَذَا إِنْكَارًا لِأَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِينَ رَبٌّ سِوَاهُ لِادِّعَاةِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَمَّا جَابَ مُوسَى بِمَا أَجَابَ بِجَبِّ قَوْمِهِ مِنْ جَوَابِهِ حَيْثُ نَسَبَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلَى غَيْرِهِ فَلَمَّا نَبَّرَ قَوْلَهُ جَنَّتْهُ إِلَى قَوْمِهِ وَطَرَزَ بِهِ حَتَّى سَمِعَ رَسُولُهُمْ قَوْلًا تِلْكَ يَقْرُرُ آخِرَ احْتِدَادِهِمْ وَقَالَ لَنْ أَخَذْتُ إِلَهَا غَيْرِي وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صَحَّةِ هَذَا الْوَجْهِ الْآخِرِ ۝ (فَإِنْ قُلْتَ) كَيْفَ قِيلَ (وَمَا بَيْنَهُمَا) عَلَى التَّنْبِيهِ وَالْمَرْجِعُ إِلَيْهِ بِمَجْمُوعٍ (قُلْتَ) أَرِيدُ وَمَا بَيْنَ الْجَنِينِ فَقِيلَ بِالْمَضْمَرِ مَا مَعْلُومٌ بِالظَّاهِرِ مِنْ قَالَ فِي الْمَجِيزَةِ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) وَأَيْنَ عَنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَكِهِ الْإِيقَانِ (قُلْتَ) مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ يَرْجِي مِنْكَ الْإِيقَانُ الَّذِي يُوْدِي إِلَيْهِ النَّظَرُ الصَّحِيحُ نَعْدَمُ هَذَا الْجَوَابِ وَالْإِلَهِيَّةُ أَوْ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ بِشَيْءٍ قَطُّ فَهَذَا أَوَّلُ مَا تَوْقَرُونَ بِهِ لظُهُورِهِ وَإِنَارَةُ دَلِيلِهِ ۝ (فَإِنْ قُلْتَ) وَمِنْ كَانَ حَوْلَهُ (قُلْتَ) أَشْرَافُ قَوْمِهِ قَبْلَ كَانُوا أَخْصِيَاءَ رَجُلٍ عَلَيْهِمُ الْأَسَاوِيرُ وَكَانَتْ لِللُّوْكَ خَاصَّةً (فَإِنْ قُلْتَ) ذَكَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا - اسْتَوْعَبَ بِهِ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا فَمَعْنَى ذَكَرَهُمْ وَذَكَرَ آبَائِهِمْ بِذَلِكَ وَذَكَرَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ (قُلْتَ) قَدْ عَمَّ أَوَّلًا ثُمَّ خَصَّصَ مِنَ الْعَالَمِ الْيَانِ أَنْفُسَهُمْ وَأَبَادَهُمْ لِأَنَّ أَقْرَبَ الْمَظْهُورَةِ مِنَ الْعَاقِلِ نَفْسُهُ وَمِنْ وَلَدَتْهُ وَمَا شَهِدَ وَعَايَنَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الصَّانِعِ وَالنَّاقِلِ مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ وَحَالَ إِلَى حَالٍ مِنْ وَقْتِ مِيلَادِهِ إِلَى وَقْتِ وَفَاتِهِ ثُمَّ خَصَّصَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ لِأَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ أَحَدِ الْخَافَتَيْنِ وَغُرُوبَهَا مِنَ الْآخَرِ عَلَى تَقْدِيرِ مُسْتَفْهِمٍ فِي فُصُولِ السَّنَةِ وَحَسَابِ مَسْتَوْنِ أَظْهَرَ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ وَلَظُهُورِهِ اتِّقَالَ إِلَى الْإِحْتِجَاجِ بِهِ خَلِيلُ اللَّهِ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ بِالْإِجْمَاعِ وَالْإِمَامَةِ عَلَى تَبَرُّؤِ بَنِ كَنْمَانَ فَهِيَ الَّتِي كَفَرَهُ ۝ وَفَرَّقَ رَبَّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ بِنَجْمَةِ الْهَمْزَةِ (فَإِنْ قُلْتَ) كَيْفَ قَالَ أَوَّلًا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ وَآخِرًا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ (قُلْتَ) لَا يَنْ

(قَوْلُهُ وَطَرَزَ بِهِ حَيْثُ سَمِعَ رَسُولُهُمْ) أَيْ سَحَرَهُ وَاحْتَدَمَ أَيْ التَّهَبَّ صَدْرُهُ غِيظًا أَغَادَهُ الصَّحَابُ

أَلَا تَسْمَعُونَ • قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ • قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ •
 قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ • قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنْ
 الْمُسْجُونِينَ • قَالَ أُولُو جِنَّتِكَ بَشَىٰ مُبِينٌ • قَالَ فَأَتَتْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ قَاتِلْ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

أولا فلما رأى منهم شدة الشككة في العناد وقلّة الإصفاة إلى عرض الحجج عاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله
 إن كنتم تعقلون (فإن قلت) ألم يكن لا شئتك أخصر من لا جعلك من المسجونين ومؤدبا مؤداه (قلت) أما أخصر
 فتم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لا جعلك واحدا من عرفت حالم في مجرى وكان من عاداته أن يأخذ من يريد
 بهن فطرحه في مؤد ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يصير فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد
 الواو في قوله (أو لوجنتك) وأو الحال دخلت عليها مرة الاستفهام معناه أقبل في ذلك ولو جنتك بشى مبين أى
 جاتيا بالمعجزة وفي قوله (إن كنت من الصادقين) أنه لا باقى بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من
 الله لدعى النبوة والحكم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من
 أهل القبله حيث جؤزوا الفصح على الله تعالى حتى لزهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين

• قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به إن كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا باقى بالمعجزة إلا صادق
 في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لدعى النبوة والحكم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن فرعون لم يخف
 عليه هذا وخفى على طائفة من أهل القبله حيث جؤزوا الفصح على الله تعالى حتى لزهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى
 كلامه) قال أحمد ليه سلوجه تصفيه من تأيل هذه الأباطيل وكلف هذا التكليف كيد لاهل السنة وإن كيد لى تضليل
 بينا هو يمرض بتضليل فرعون عليهم إذا هو قد حتم على إخوانه القدرية أنهم فراءة وأن كلا منهم إذا قش نفسه
 وجد فيها نصيبا من فرعته حيث يقول أنار بكم الأعلى لأنهم يعتقدون أن أصالم خلقهم وأهم لهم بدعون خالقون كلا
 إنهم لهم المبتدعون المختلقون لأنهم حجروا على الله تعالى أن يفعل إلا ما طوطأ وأوامهم على أنه حسن بالنسبة إلى الخلق
 في الشاهد فمن ثم أشركوا به ولا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة إلى التوحيد الحق اعتقدوا أن كل شىء هو مخلوق لله
 تعالى لا شريك له في ملكه وأن كل مكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الأزلية في ملكه فكان من الممكنات أن يبطل الله عباده
 بخرق العادات على أيدي الكذابين ومراده إظهار الضلالات وقدا ندرج ذلك لكونه ممكنا تحت سطوة القدرة حقائبا ثم لم
 يلزم من ذلك الله الخدع في الدين فإن توه ناظر بعين الهوى والفرض معنون عماف قلبه من مرض أن ذلك يجر إلى عدم الوثوق
 بمعجزات الأنبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الأشقياء قبل معاذاته أن نأخذ ذلك بنفس مطمئة بصديق الأنبياء
 آمنة بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل ولوقدح الإمكان العقلى في علم حاصل يقين لازم الآن الشك في أن جبال
 الأرض قد عادت تبرا أحمر وترابها مسكا أذفر وانقلبت البحار دماغيطا لأن ذلك ممكن للعقل بلا خلاف ولا يشكك
 نفسه في هذا الإمكان إلا ذو خبل وعومعى وعومه وأين الزمخشري من الحديث الصحيح في الشاب الذى يكذب الدجال فيقسمه
 بالسيف جزئين فيمشي بينهما ثم يقول له عد فعدو دجيا فيقول له ما لزدت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذى وصفه لنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيهم به ثاني مرة فلا يسلط عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو جئت خير أهل الأرض أو من خير أهل
 الأرض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخرق العادة على يد أ كذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه لم يشككه ذلك في

(قوله فلما رأى منه شدة الشككة في العناد) في الصحاح فلان شديد الشككة إذا كان شديد النفس أنفا أيا (قوله وخفى
 على ناس من أهل القبله) يريد أهل السنة حيث قالوا إن كلا من الحسن والتقيح بقضاء الله تعالى وقدره ولم يلزمهم

ثُمَّ بَدَأَ مِنْهُ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ . قَالَ لِّلْمَلَاحِظَةِ إِنَّ هَذَا سَحَرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَاذًا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَعَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدْيَنِ حَشِيرِينَ . يَا قَوْمُ كُلُّكُمْ حَرَّارٌ عَلِيمٌ . لَجَمِيعِ السَّحَرَةِ لَمِيقَتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ . لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ

في دعواك أثبت به لحذف الجراء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه (ثعبان مبین) ظاهر الثعانية لاشبهه بيشه الثعبان كما تكون الأشياء الموزونة بالضعوذة والسحر وروى أنها اقلبت حبة ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبله إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك ألا أخذتها فأخذتها ففادت عصا (لناظرين) دليل على أن ياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان ياضاً نورباً روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ماهذه قال يدك فيها فماها فأدخلها في أبطله ثم نزعها ولما شعاع بكاد يفتش الأبصار وبسد الآفق . (فإن قلت) ماالعامل في حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب القطع مايقنو في الظرف والعامل في النصب المحل وهو النصب على الحال قال . ولقد تمير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لايدري أى طرفه أطول حتى ذل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكيه كبرياه الربوبية وارتدت فراقصه وانتفخ بحره خوفاً وفرقا وبلغت به الاستكابة لقومه الذين هم يزعمه عبده وهو لهم أنطق بؤامهم ويعترف لهم بما حذرته وتوقفه وأحسن به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (إن هذا الساحر عليم) قول باهت إذا غلب وتمت حل إذا لم (تأمر) من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد أمرين وبهم مأمور ألا استولى عليه من فرط الدهش والخير فماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفصول به من قوله أمرتلك الخير . قرئ أرحته وأرجه بالهمز والتخفيفوها لقان يقال أرحناه وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعد الفساق ويقولون هم مرجئون لأمر الله والمخني أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل أحسبه (حاشرين) شرطاً بمشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا ساحر بقوله بكل سحر لجأوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه . وقرأ الأعمش بكل ساحر . اليوم المعلوم: يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله هو هديكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ماوقت به أى حدد من زمان ومكان ومنه موافقة الإحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استبجالهم واستحاثهم كما يقول الرجل لغلماهل أنت منطلق إذا أراد أن يحركه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول

معلومة فلم يتلكنافي معاودة تكذيبه ولكن ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويعضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء . قوله تعالى قَالُوا أَرْجِهْ وَأَعَاهُ (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعد الفساق ويقولون هم مرجئون لأمر الله) قال أحمد ضافته عليه المسالك في تفسير الإرجاء حتى استدلل عليه بالمرجئة وصرف هذا القلب لأهل السنة فإنهم هم الذين لا يقطعون بوعد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء. عفا عنهم وإن شاء غفر لهم فإن كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى إن الله لا يغير أن يشرك به يغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهدأما مرجئة

باطل كما بين في علم التوحيد (قوله ولما شعاع بكاد يفتش الأبصار) في الصحاح انشأه الغطاء اه ولعل عبارة المصنف يفتش بالعين المهملة وفي الصحاح المشا مقصور مصدر الأعشى وهو الذي لا يصبر بالعين ويصبر بالهاء (قوله وانتفخ بحره خوفاً وفرقا) في الصحاح السحر الربة ويقال للجان قدا انتفخ بحره (قوله شرطاً بمشرون السحرة) الشرط محركة الحرس سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها أفاده الصحاح

السَّحَرَةُ إِنَّ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَامَ أَأَنْتُمْ مُلْقُونَ . قَالُوا بَلَى وَعَصِيهِمْ . قَالُوا بَعِزَّةُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . قَالَتْ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . قَالَتْ السَّحَرَةُ سَجِدِينَ . قَالُوا آءِذَا مَا رَبِّ الْمَلَكِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلْيُفَسِّحُوا لِي أَفْطَحُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا لَأَصْبِرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ . إِنَّا نَقْطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا . أوعيد رب أعاون بن خرقا

يريد ابنته إلينا سرى ما ولا تبطل به (لعلنا تتبع السحرة) أى فى دينهم إن غلبوا موسى ولا تتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكل أن لا يتبعوا موسى فساهموا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوه لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام . وقرئ نعم بالكسروهما لغتان ولما كان قوله (إن لنا لأجرا) فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله (وإنكم إذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت إذا قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدم أن يجمع لهم إلى التواب على سحرهم الذى قدروا أنهم يطلبون به موسى القربة عنده والزنى . أفسوا بعزة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا حلف بنبراهة ولا يصح فى الإسلام إلا الحلف بالحق معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن ورب العرش وعزة الله وقدره الله وجلال الله وعظمته الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بآبائكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فذلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (ما يافكرون) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى جهالم وعصيم أنها حيات تسمى بالقوى على الناظرين أو أفعالهم سمى تلك الأشياء إفا كما بالغة . روى أنهم قالوا إن بك ما جاء به موسى سحرافن يطلبون كان من عندنا قلن معنى علينا فلما قذف عصاه تفلقت ما توابه علوا أنه من الله فأنازع عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء . وإنا نمر عن الحزور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاء آت فسلك به طريق المشاكاة فيه أيضا مع مراعاة المشاكاة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يبالوا الكوا أن يروا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرعا (وإن قلت) فاعل الإلقاء ما هو لوصح به (قلت) هو الله عز وجل بما غولم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزات الباهرة فكأن أن لا تقدر فاعلا لأن الأقوام غنوا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأراد أن يمزله ومعنى إضافته إليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعو إليه هذان الذى أجرى على أيديهما ما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال ما فاعلم من الضر والضرير والضرور واحد أرادوا لاضررطين فى ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه اقمه تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعراس الكثيرة أولا ضير علينا فيما تعودنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسباب وأرجا ما أولا ضير علينا فى ذلك إن قتلنا اقلنا إلى ربنا انقلاب من يطعم فى مغفرته ويرجو رحمة لما رزقنا من السبق إلى الإيمان

(قوله وليس غرضهم باتباع السحرة) لعله اتباع كبار النسي (قوله وقرئ نعم بالكسروهما لغتان) أى كسر العين كفى الصحاح

أَن أَسْرِ بِعَبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَبِعُونَ ۚ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۚ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۚ وَإِنَّهُمْ لَنَا آفَاءُ طُغْيَانٌ ۚ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ۚ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۚ كَذَلِكَ

وخبير لا يحذوف والمعنى لآخر في ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يحى به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جملة إن كنت علمت لك فوقتي حق ومنه قوله تعالى إن كنتم خروجه من جهاد في سبيل وإتباعه مرضاق مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أسر بقطع الحمزة وصلها وسر (إنكم متبعون) علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أني نبئت تدمير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا وتبعمكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة كل بيت من بيوتهم وله فاشغوا بوجاهة ثم خرج موسى بقومه وروى أن أقوا حى إلى موسى أن اجتمع في إسرائيل كل أربعة آيات في بيت ثم ادبحوا الجملدوا ضربوا بدما ثم على أوباك فاني حاصر الملائكة أن لا يدخلوا يتناحل باهدم وسأمرهم بقتل أبكار القبط واخبروا خبراً فظفر أفأنه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى انتهت إلى البحر فأتيت أمى فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسة آلاف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعين ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه فيضة وهن ابن عباس رضى الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا سائمة الفوسمين الفواسم شرمة قليلين (إن هؤلاء) يحكى بعد قول مضر والشرمة الطائفة القليلة ومنها قوم ثوب شرادم للذى بلى وتقطع قطعاً كرم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل لجمل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو لقلته وقد يجمع القليل على قلته وقلو ويجوز أن يريد بالقلة الذل والقهارة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوم ولكنهم يفعلون أفما لا تقيظنا وتضييق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التانيظ والحذو واستعمال الحزم في الأمور فلذا خرج علينا عارج سار على إالى حسم فسادهم وهذه مآذير اعتدروا بها إلى أهل المدين الثلاثين به ما يكره من قهرهم وسلطانهم وقرئ حذروهم وحاذرون وحاذرون بالالدال غير المعجمة فالخذر يقطو والحاذر الذي يحمده وحذره وقيل المؤدى في السلاح وإنما يجمع ذلك حذروا واحتياطاً لقسموا الحاذر السمين التوى قال أحب الصبي السوء من أجل أنه .. وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقرباء وقيل مدجون في السلاح قد كسبهم ذلك حذارة في أجسامهم * وعن مجاهد سماها كنوز الأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله القام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس العيبة وعن الضعك الحانبار وقيل السرف في الحجال (كذلك)

• قوله تعالى إن هؤلاء لشرذمة قليلون (قال اللهم من أربعة أوجه هب عنهم بالشرذمة وهي تفتد القلة ثم وصفهم بالقلة جمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة (قال أحد ووجه آخر في تظليلهم يكون خامساً وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد فتدكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتأهده فيه بالنسبة إلى غيره

(قوله المدل بأمر المتحقق لصحة) أى الواقع به فأده الصحاح (قوله ثم اذبحوا الجداء واضربوا ابدعائهما) فى الصحاح الجدى منولنا المعز وثلاثة أجد فاذا كثرت ههنا الجداء (قوله واخبروا خبرا قطيرا) فى الصحاح الفطير خلاف الخبز وكل شئ أجمله عن إدراكه فهو فطير (قوله وقد جمعهم القليل على أفله وقال فى) الصحاح مثل سرى ورسر (قوله وقرئ حذرون وحاذرون وحاذرون) فى الصحاح وقرئ وإنما جميع حاذرون وحذرون وحذرون أيضا بضم النال حكاة الانخض ومعنى حاذرون متنبهون وفيه أذى الرجل أى قوى من الأداة فهو مؤد بالهمز أى شاكى فى السلاح وفيه أدب السفر فلما مؤدله إذا كانت متنبهاته (قوله وقيل السر فى الحجال) السر الجماع والحجال جمع حجلة وهى بيت العروس زين بالكباب والأسرة والستور كذا

وَأَوْثَرْنَا بِهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ • فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ • فَلَمَّا رَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَتَحِبُّ مُوسَى إِنَّا لَمُدُّوكُونَ • قَالَ
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ • فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ
 الْعَظِيمِ • وَأَزَلْنَا قَائِمَ الْآخَرِينَ • وَاجْتَمَعَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ • ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ • إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ
 مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّهَا عُكُوفِينَ • قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَهُ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَهُ

يحتمل ثلاثة أوجه التنبؤ على آخر جهنم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك
 المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لبسبب إذ طلعت (سهيدين) طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفتان •
 وقت الشروق من شرقت الشمس شرقاً واذ طلعت (سهيدين) طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفتان •
 إننا قد نكون بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تابعه حتى ومنه قوله تعالى بل ادارك عليهم في الآخرة قال الحسن جهلوا
 علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة أبعس بني أمي الذين تابخوا • أرجى الحياة أم من الموت أخرج
 والمعنى إننا لم نمت في الهلاك على أيديهم حتى لا يبق لنا أحده الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحسب الطود الجبل
 العظيم المنطاد في السماء (وَأَزَلْنَا قَائِمَ الْآخَرِينَ) قوم فرعون أي قربانهم من بني إسرائيل وأودينا بعضهم من
 بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحداً وقد مناهم إلى البحر وقرئ وَأَزَلْنَا قَائِمَ الْآخَرِينَ أي أزلنا قائمهم والمعنى أذهبناهم كقوله
 تباركتما عيسى وقد نزل عرشها • وذيان إذ ذلت بأفهامها الثعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فبذلهم فيه • عن عطاه بن السائب أن
 جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل للحق آخركم بأولكم فريستقبل
 القبط فيقول رويدكم بلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قاله مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت
 بهذا البحر أمامك وقد غشيت آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب
 بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كلم أقدان أمرت فقد غشينا
 فرعون والبحر أمامنا قال موسى هنا غشاخ يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال
 عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكثون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر
 من وراء مصر يقال له أساف (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) آية آية وآية لا توصف وقد تابها الناس وشاع أمرها فيهم • وما تنبه عليها
 أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإيمان قد سالوه بقرعة يعبدونها واتخذوا
 العجل وطلبوا رؤية الله جبهة (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ) المنتقم من أعدائه (الرَّحِيمُ) بأوليائه • كان إبراهيم عليه السلام
 يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سلمهم لإبراهيم أن ما يبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما يقول للتاجر : ما مالك
 وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال (فَإِنْ قُلْتَ) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود لحسب

من الموصوفين به كقولهم مازيد جياح مبالغة في وصفه بالجوع فكذلك هنا جمع قليلا وكان الأصل إفراده فيقال

في الصحاح (قوله والطور الجبل العظيم المنطاد في السماء) في الصحاح طود في الجبال مثل طوف وطرح والمطارد
 مثال المطاوح (قوله وقد نزل عرشها) في الصحاح تلك البيت هدمته ويقال للقوم إذا ذهب عزمهم قد نزل عرشهم

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ • قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ • أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ الْأَقْدَمُونَ • فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي - إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ • الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي •

فكان القياس أن يقولوا أصناما كقولهم تعالى ويستولونك ماذا ينفعون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمتجهين بهاوا المقتضين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصده من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فقط) لما كانوا كفنيين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الاتعمى فأجز به بين جوارى الحي وإنما قالوا نفل لأنهم كانوا يعبدونها بالهاردون الليل . لا بد في (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعائكم وقرأ قادة يسمعونكم أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرتون على ذلك وجاء مضارعا مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو استمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت • لما أجابوه بجواب المقلدين لأنهم قال لم رقا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاية وهي عبادة الأقدمين الأولين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا يتقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبادة هذه الأصنام لإعادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى • كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً • ولأن الممرى على عبادتها أعداء الإنسان وهو الشيطان وإنما قال (عدو لي) تصويراً للساسة في نفسه على معنى أني فكرت في أمرى فأريت عبادي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بهائسه أولاً وبني عليها تديبر أمره لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم إلا بما ينصح به نفسه وما أرادنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القول وأبعث على الاستماع منه ولوقال فإنه عدو لكم لم يكن بلك المثابة ولا تدخل في باب من التعريض وقديبلغ التعريض للنصوح ما لا يبلغه النصريح لأنه يأكل فيه فرما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أن رجلاً واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لأحتجبت إلى أدب وسمع رجلاً ناساً يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيني ولا بينكم . والعدو والصديق يجتبان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على ذوى مثرة • أراهم عدواً وكانوا صديقا

ومن قوله تعالى وهم لكم عدو شهاً بالمصادر للرواية كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهم يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه وفتح فيه الروح عقب ذلك هداه إلى المصلحة التي لا تقطع إلى كل ما يصلحه ويمينه وإلا فمن هداه إلى أن يتنذى بالدم في البطن امتصاصاً ومن هداه إلى معرفة الذي عند الولادة وإلى معرفة مكانه من هداه كيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات الماش والمعاد وإنما قال (مرضت) دون أمرضني لأن كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت

لشرمة قليلة كما أفرد في قوله كمن مئة قليلة ليدل بجمعهم على تناهم في القلة لكن بقي النظر في أن هذا السريق الوجه المذكورة على ما هي عليه أو يسقط منها شيئاً ويخلفه فتأملته والله الموفق • قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام • وإذا مرضت فهو يشفين • (قال) إنما أضاف المرض إلى نفسه لأن كثيراً منه بتفريط الإنسان في مطعمه ومشربه قال أحمد والذي ذكره غير الزمخشري أن السر في إضافة المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى ولعل الزمخشري إنما عدل عن هذا لأن إبراهيم عليه السلام قد أضاف

(قوله ألبس البرد الاتعمى) في الصحاح الاتعمى ضرب من البرود (قوله وقوم على ذوى مثرة أراهم) أي حقد

وعداوة أفاده الصحاح

فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُ ثُمَّ يَحْيِيهِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَأَلْفَنِي بِالصَّالِحِينَ . وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ . وَلَا تَخْزِنِي يَوْمَ يُصْعَقُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

الحكمة لو قيل لا كثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم . وقرئ خطايي والمراد ما يتدر منه من بعض الصغائر لأن الآتياء
معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله إلى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لاسارة هي أختي وما هي إلا مريض
كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فإن قلت) إذا لم يندبر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فإله
أثبت نفسه خطيئة أو خطايا أو طمع أن تغفر له (قلت) الجواب ماسوق إلى أن استغفار الآتياء موضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم
وبدل عليه قوله أطعم ولم يجرم القول بالمغفرة وفيه تعلم لأفهم ويكون لطفاً لهم في اجتباب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
سما غرط منهم (فإن قلت) لم أطلق مغفرة الخطية بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا (قلت) لأن أثر ما يقين يومئذ وهو الآن خفي
لا يعلم . الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله . والإلحاق بالصالحين
أن يوفق له ليعمل ينظم به في جهنم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجاز به حيث قالوا أنه في الآخرة لمن الصالحين . والإعزاء
من الخزي وهو الحزن ومن الخزاية وهي الحياة وهذا أيضاً من نحو استغفارهم ما علوا أنه مغفور وفي (يصنون) ضمير
العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لآييه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فهم (الآمن
أنى الله) الإحالة من أنى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم . تحية بينهم ضرب وجميع . وماثوا به إلى السيف ويأناه أن قال
لكهل لو يذم بال وبنون فتقول ما هو بنوه سلامة قلبه تريدني المبالو البين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وإن شئت
حلت الكلام على المعنى وجعلت المال والبين في معنى الفتى كأنه قبل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أنى الله بقلب سليم لأن غنى
الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير
المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبين
لا ينفعان وإنما ينفذ سلامة القلب ولولم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع أى لا ينفذ مال
ولا بنون إلا لرجلا سلامة قلبه مع ماله حيث اتفق في طاعة الله ومع فيه حيث أرشدكم إلى الدين وعلهم الشرائع ويجوز على هذا
إلا من أنى الله بقلب سليم من فئة المبالو البين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي وما أكرم الله تعالى به

الإمامة إلى الله تعالى وهي أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذي أبداه العنصري أيضاً
في المرض ينكر بالموت فإن المرض كما يكون بسبب تخريب الإنسان في نفسه كذلك الموت الناتج عن سبب هذا
المرض الذي يكون بتفريط الإنسان وقد أضافه إلى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض في
مقتضى الأدب بأن الموت قد علم واشتهر أنه قضاء محتم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لا يخص ولا كذلك المرض
فكم من معاني منه قد بينته الموت فالتأسي بعموم الموت له لعل يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ في الأدب نسبته إلى الله تعالى وإنما
المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء حقيقاً فاقضى العلو في الأدب مع الله تعالى أن ينسب الإنسان
إلى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يتخلو منه ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه وتأجوزاً لأنه أمر
لابد منه وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا أورده مقروناً بشرط إذا قال وإذا مرضت وكان مكاناً أن يقولوا الذي يمرضني

(قوله وهو الحزان ومن الخزاية وهي الحياة) لعله أومن (قوله أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لآييه) لعله
عطف على المعنى كأنه قال ويحتمل أنه ضمير الضالين الخ

وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةَ لِلتَّغَيُّنِ • وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْقَاوِنِ • وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ • مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْقُصُونَ • فَكَبَّيْرُوا فِيهَا • وَالْقَاوِنَ • وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أُعْمِوْهُ • قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ • تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • إِذْ تُسَوِّىكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا لِأَلَّا نَعْبُدُونَ • قَالَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ • وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ • فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

خيلوه فيه على جلالة عله في الاخلاص أن حكى استثناء هذا حكايه قراض بإصابته فيه ثم جملة صفة له في قوله وإن من شجته لإبراهيم إذ جاء به قلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم بالدفع من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالم أو لأعما يعبدون سؤال مقدر لاستمئهم ثم أنشأ على آفتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنفع ولا تنصر ولا تبصر ولا تسمع على تقديم آباءهم الأقدمين ففسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى يخلص منها إلى ذكر آفة عز وعلا فظم شأنه وعده نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمة ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأتوايين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الزم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال ونفى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا • الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها وينتظون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء يبرأ منهم يتحصرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قال فلدار أو مزلفة سيئت وجرة الذين كفروا به يجمع عليهم القنوم كلها والحسرات فتصل النار يبرأ منهم فهل يكون غفافي كل لحظة ويوجعون على إشرائهم فيقال لهم أين أهلكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهم وفود النار وهو قوله (فككبوا أنهارهم) أي الآلهة (والقانون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم • والكبكة تكرير الكب جمل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينسكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها ألهم أجرامنا يا خير مستجار (وجنود إبليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس • يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصيح التناول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالجرمين الذين أضلهم رؤساؤهم وكبرائهم كقوله ربنا إنا أظلمنا ساداتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الأولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جرير إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المصاى (فلانا من شافين) كما نرى المؤمنين لم يشعوا من الملائكة والنبين (ولاصديق) كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فيبينهم التعادى والتباغض قال الله تعالى والاختلاف يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين • أو فانا من شافين ولاصديق حميم من الذين كانوا منهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاءهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقوا في مهلكه علوا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم قصصوا بنفهم في ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعلوم • والحميم من الاحتفال وهو الاتهام وهو الذي يهجمه ما يملك أو من الحامة بمعنى الحاصو هو الصديق الخاص (فإن قلت) لم جمع الشافع ووجد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء في المادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن يارهاق ظالم نهضت جماعة وأفره من أهل

فيشفي كما قال في غيره • فسادل عن المطابقة المجانسة المأثورة إلا لذلك والله أعلم • قوله تعالى فلانا من شافين ولاصديق حميم (قال إنما جمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في المادة إذا نزل بإنسان خطب بمن يعرفه وعن لا يعرفه وأما الصديق قليل) قال أحمد العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فالدليل على إرادة الأفراد ثم لو كان

مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاقْبَلُوا إِلَهَهُ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاقْبَلُوا إِلَهَهُ وَأَطِيعُوا . قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ . قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ حِسَابُهُمْ

بلدة لشفاعته رحمة له وحسبه وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهيمه ما أمملك فأعز من يرضى الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لامع في له . ويجوز أن يريد بالصدق الجع الكثرة الرجعة إلى الدنيا . ولو في مثل هذا الموضع في معنى التقي كأنه قيل ظلت لناكرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاق في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو فعلنا كيت وكيت . التوم مؤنة وتضميرها قومة . ونظير قوله (المسكين) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد قيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماة

لا يسألون أحام حين يندبهم . في الثابت على من قال برهانا

كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش (وأطيعون) في نصعي لكم وفي مادعوكم إليه من الحق (عليه) على هذا الأمر وعلى ما أتاه به يعني دعاه ونصحه ومعنى فاقبوا الله وأطيعوا فاقبوا الله في طاعته وكرره ليؤكد عليهم ويقررهم في نفوسهم مع تطبيق كل واحدة منهما بعله جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طعمه عنهم . وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهدوا شهادا وجمع تبع كطل وأبطال والوال للحال وحقق أن يضرب بعدها قد في اتباعك . وقد جمع الأرذل على الصفة وعلى التكثر في قوله الذين هم أرذلنا والردالة والذلة الحسة والدانة وإنما استردلهم لانتفاع بنسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالدانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأما أنهم ألا ترى إلى هرقل حين سأله أسفان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفه الناس وأرادهم قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم النافعة وعن حكمة الحاكمة والأساكفة وعن مقاتل السفلة (وما على) وأي شيء على والمراد انتفاء همه باخلاص أعمالهم لله وإطلاعه على أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا على استردالهم في إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبدنية كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أرذلنا بآدى الرأي ويجوز أن يفتن فيهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم

المراد الأفراد لكان أهم لأنه في سياق التني فتنى الواحد فما زاد عليه إلى ما لا نهاية له والله أعلم . قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة ويرد) قال أحد لاساجة إلى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بأن كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لأنه ما من نبي إلا ومستند صدقة المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة وكذلك وقت الإشارة بقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

(قوله فأعز من يرضى الأنوق) في الصحاح الأنوق على فصول طائر وهو الرخمة (قوله وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة) لعله الدنية كعبارة النسبي (قوله هم النافعة وعن حكمة الحاكمة) لعله الصاغة وفي الحازن قال ابن عباس يعني النافعة

إِلَّا عَلَى رَبِّ لَوْ تَشْعُرُونَ . وَمَا أَنَا بِظَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ . إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَبْنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَفَاعَةً وَبَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَاجْبِئْنِي وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَھُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ الْآتَتُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالِينَ . أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَاتِيَةٍ تَعْثُونَ . وَتَنْخِفُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَلَغْتَ مِصْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ . فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ .

يبنى جوابه على ذلك فيقول ماعلٌ إلا اعتبار الظواهر دون التفنيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيء قاله محاسبهم ومجازهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز (لوتشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون قضائهم مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رداً عقادهم وانكار من يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أقر الناس وأوضعهم نسباً فإن الفتي غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارِدُ المؤمنين) يريد ليس من شأنى أن أتبع شهوراتكم وأطبب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طعماً فى إيمانكم وماعلٌ إلا أن أنذركم إنذاراً بيناً بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أتى أعلم بشأنكم . ليس هذا بأخبار بالكذب لعله أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنى لا أدعوك عليهم لما غافرونى وأذونى وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبونى فى فوجيك ورسالتك فاحكم (بينى وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كماسمى فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات . الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الملك فيه مواخير فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد ، كسروا ففلاعل فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد . فلك وفلك ونظيره يعبرجمان وإبلجمان ودرج دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كزاز والجمع بوزن كرام . والمشحون المملوء يقال شحها عليهم خيلاً ورجالاً قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس فى الآل يرفضها ويخفضها . ريع يسلوح كأنه حمل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهوارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يتدون بالنجوم فى أسفارهم فاتخذوا فى طرقهم أعلاماً طوالوا فنبشوا بذلك لأنهم كانوا مستغنيين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنو بكل ريع بروج الحمام . والمصانع مأخذ

• قوله تعالى أتنبون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يتدون فى أسفارهم بالنجوم فاتخذوا فى طرقهم أعلاماً فنبشوا بذلك إذ النجوم فيها غيبة عنها وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكاثنتين آخر الزمان بأنهم يتناولون فى البنان وما أحسن قول مالك رضى الله عنه ولا يصلح الإمام على شئ أرفع مما عليه أصحابه كالملك تكون مرتفعة فى المحراب ارتفاعاً كبيراً لأنهم يعيثون فيه عن ترفهم إلى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمورين بالعبث كتعبير هود صلوات الله عليه وسلامه من ترفع قومه فى البنان بالعبث . وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام فى الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية فيه بعد من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك لنعيم مطبق وما يجرى مجراه ولو وضع هذا فى زماننا اليوم لم يجد المصطلح بكن عبثاً واقعا علم

(قوله كأنه حمل) فى الصحاح السحل الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب linen وفيه أيضاً الكرسف القطن

وَأَقْوَا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ • أَمَدَّكُمْ بِالْعَمَلِ وَبَيْنَ • وَجَنَّتْ وَعْيُونِ • إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَيْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَعَّيِينَ • إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ • وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً • وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَزِيرُ الرَّحِيمُ • كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاقْبُوا إِلَهُهُ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَكِينَ • أَتَنْتَرُونَ فِي مَا هُمْ بِعَامِلِينَ • فِي جَنَّتِ وَعْيُونِ • وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَمُهَا هُضِيمٌ • وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ • فَاقْبُوا إِلَهُهُ وَأَطِيعُوا • وَلَا تُعْلِيُوا

الماء وقيل النصور المشيدة والحصون (لملك تخلصون) ترجون الخلود في الدنيا أوتيه حاكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلصون بضم التاء مخفياً ومشدداً (وإذا بطشتم) بسوط أوسيف كان ذلك ظلماً علواً، وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون فسيحل العذاب لا تثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهداً بعلهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدكم بما تعملون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديداً يعلمون من نعمته وأنه قادر أن يفضّل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على التراب والمقاب فأخوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد (فإن قلت) كيف قرن البين بالأنعام (قلت) هم الذين يمينونهم على حفظها والقيام عليها (فإن قلت) لو قيل (أوهضت) أهلكتم لكانت أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى واحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أهلكتم هذا الفعل الذي هو الوهض أهلكتم لكن أصلاً من أهله ومباشره فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظهم من قولك أهلكتم لعلهم من قرأ خلق الأولين بالفتح ففناه أن حاجتكم به اختلاق الأولين وتخبرهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية غيا كحيا ونحو كما ماتوا ولا يمت ولا حساب ومن قرأ خلق بضمين وبواحدة ففناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتنون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عاقلهم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جنت به من الكذب لإعادة الأولين كانوا يلقون مثله ويسطرونه (أنت ترون) يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا محذرين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخيلة الله إمام وما يتعمدون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة (فيها ههنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعم ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل • (فإن قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم لا يذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقي جنة سخفاً (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بإفراجه بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبهاً على إفرادها عنها بفضلها عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل • الطلعة هي التي تطلع من النخلة كمنخل السيف في جوفه شاربخ الفتور، والقنواسم للخارج من الجذع كما هو يبرجونه وشاربخه والمضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضم وطلع إيات النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرق اللطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأتمه لأن الإنان ولادة القمر والبرق أجود القمر وأطيه

(قوله عن سنة غفلتهم عنها حين قال) لعله حيث قال (قوله وكذلك طلع البرق اللطف من طلع اللون) ضرب من القمر واللون القليل والقلل أردأ القمر كذا في الصحاح

أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ هَذِهِ نَارُ اللَّهِ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ . فَتَقَرُّوهُمْ فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ . فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ .

ويعجز أن يريد أن يغلبهم أصابت جودة النبات وسعة الماء وسلبت من المياه الحملت الحبل الكثير وإذا كثرت الحبل هضم وإذا قل جاء فخرًا وقبل الهضم اللبن الضيق كأنه قال ونخل قد أربط ثمرة قرأ الحسن وتحتون يفتح الماء . وقرئ فرحين وفرحين والفرقة الكيس والنشاط ومنه خيل فرقة استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الأمر المطاع أو جعل الأمر مطاعاً على الجواز الحكيم المراد الأمر منه قولهم لك على امرأة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى (فإن قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الإصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الإصلاح المسحر الذي يحرق كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الربة ، وأنه بشر . الشرب التصيب من الماء نحو السقي وأقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا نريد ناقة عشرةا تخرج من هذه الصخرة فلد سقا فقدم صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم وتبع سقا مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ما هم كله ولم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك . عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد وروى أن مسطما الجأها إلى مضيق في شرب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت ثم ضربها بقدر وروى أن قافرا قال لأعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أرضي فقولوا نعم وكذلك صياهم (فإن قلت) لم أخذهم العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على المعصية عاقبا عاجلا كما يرى بعض الأمور أيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويحصر كندامة الكسبي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى «وليس التوبة للذين يعملون السيئات الآيات» . وقيل كانت ندمتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم أراد بالمؤمن الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناهم على ذكرهم في الكثرة ذكر أنهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين عداكم من المؤمنين الذكرا ن يعني أنك يا قوم لوط وحكم محضون بهذه الفاحشة والمؤمنون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان (من

(قوله وقيل هو من السحر الربة) لعله بمعنى الربة (قوله فلد سقا فقدم صالح) في الصحاح السبق الذكر من ولد الناقة (قوله كندامة الكسبي) الكسح حى من اللبن والكسبي رجل منهم ربي تبة حتى أخذتها قوسا فرمى بها الوحش ليلا وظن أنه أخطأ ففكر القوس فلما أصبح رأى ما أصابه من الصيد فدم وضربه الختل من قال : ندمت ندامة الكسبي لما . رأيت عيناه ما صنعت يداه كذا في الصحاح

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْخَرَجِينَ ۚ قَالَ إِنِّي لَمَمْلِكٌ مِنَ الْقَالِينَ ۚ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مَعَ عَمَلُونَ ۚ

أزواجكم) يصلح أن يكون تبيها لما خلق وأن يكون التبعيض ويراد بما خلق المصنوع المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسأهم ۚ العادى المتحدى في ظله المتجاوز فيه الحد ومعناه أن تكون هذه المصيبة على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أسقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث أنركم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهيا وتبييح أمرنا (لتكون) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردهنا من بلدنا ولهم كانوا يخرجون من أخرجه على أسوأ حال من تعذيب به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلة إذا أجلا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد الهجرة ۚ و (من القالين) أبلغ من أن يقول إلى لعمرك قال كما تقول فلان من اللبائس فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تفهد له بكونه معدوداً في زميرهم ومعروفة مسامحة لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاطلين في قلاكم والقليل البض الشديد كأنه بغض يقي القواد والكبد ، وفي هذا دليل على عظم المصيبة والمراد القتل من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همه الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجلية (عما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتجبة

ۚ قوله تعالى وأتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم يانا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراده المصنوع المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسأهم) قال أحد وقد أشار الزمخشري بهذه الإشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر إتيان المرأة في غير المأني ويانه أن لو كانت يانا لكان المعنى حيثن على ذنوبهم بترك الأزواج ولا شك أن ترك الأزواج مصوم إلى إتيان الذكران وحيثن يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الأزواج وإتيان الذكران لأن ترك الأزواج وحده منكر ولو كان الأمر كذلك لكان النصب في الثاني متوجهاً على الجمع وكان إذا الأنصع أو المتعين وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعاً ولا يتفقون على ترك الأنصع إلى ما لا مدخل له في الفصاحة أو في الجواز أصلاً فلما وضع ذلك تبين أن هذا المعنى غير مراد فتمين حمل من على البصية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالإنكار أحدهما إتيان الذكران والثاني مجابة إتيان النساء في المأني رغبة في إتيانهم في غيره وحيثن يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الأول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالتكبير والله الموفق ۚ قوله تعالى قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْخَرَجِينَ ، (قال أي من جملة من أخرجناه ولهم كانوا يخرجون من أخرجه على أسوأ حال من تعذيبه واحتباس لأملاكه وأشياء ذلك قال أحد وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون لأجملك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله إلى لعمرك من القالين وقوله تعالى في غيرها «رضوا بأن يكونوا مع الخوالم» وكذلك «ذرنا نحن مع القاعدين» وأمثاله كثيرة والسر في ذلك والله أعلم أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمراناً على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة الملوقة بها كلها لقبوكانه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر إلى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالم كيف أحققهم لقباً رديئاً صريحاً من نوع ردل مشهور بسمه التخلف حتى صارت له لقباً لاصفاً به وهذا الجواب عام في جميع ما ردد عليك من أمثال ذلك فأنله وأقدره وقدره والله الموفق للصواب

فَتَجْنِبُهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْمَيِّتِينَ . ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ

القصصه (فإن قلت) فامعنى قوله (فتجنبناه وأهله أجمعين إلا العجوز) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة لكونها راضية به ومعينة عليه وحرشة والراحي بالمعصية في حكم العاصي (فإن قلت) كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استغثت الكافرة منهم (قلت) الاستغاث إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان (فإن قلت) (في النافرين) صفة لها كأنه قيل إلا عجزوا غابره ولم يكن القبور صفها وقت تجيئهم (قلت) معناه إلا عجزوا مقدراً غورها ومعنى النافرين في العذاب والملاك غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الاتفاك بهم وأما الأمطار ، فمن قادة أمطار الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالاتفاك حتى أتته مطر آمن حجارة ، وفاعل (ساء مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوماً باعيا عنهم إنما هو الجنس والنحو فمطروهم . قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وتبتيقها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزنية اسم بلد قوم قاذليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء . كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ كما يكتب أصحاب العولان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ الخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف . وروى أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب حجر ملف وكان حجرهم الدوم (فإن قلت) هلا قيل أخوهم شبيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا إن شيباً لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شيباً أحامدن أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة . الكيل على ثلاثة أحزاب واف وطيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيذاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه من الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه . قرئ بالتسلسل مضموماً ومكسوراً وهو الميزان وقيل القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه ففلاس وإلا فهو رباعي وقيل وهو بالرومية العدل . يقال غصته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للبكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا ينصب عليه بالملك ولا يتجف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً . يقال عثافي الأرض وعثو عاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فهو من ذلك . قرئ الجلبة بوزن الألبة والجلبة بوزن الخلفة ومعناه من واحد أى ذوى الجلبة وهو كقولك والحق الأولين (فإن قلت) هل اختلف المعنى بإدخال الواو هنا وتركها في قصة نوح (قلت) إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيين كلاماً مناف للرسالة عند التسمير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً وإذا ترك الواو ظم يقصد لإحدى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم (فإن قلت) إن الخففة من التثنية ولما كيف تفرقا على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك

قوله تعالى « إلا عجزوا في النافرين » (قال المجزوء صفة لها كأنه قيل إلا عجزوا غابره ولم يكن القبور صفها وقت تجيئهم قلت معناه إلا عجزوا مقدراً غورها أى في الهلاك والعذاب) قال أحمد وإن تجلعت برفع القاعدة الممهدة أنفاً ظلم أن السر الذي اقتضى المدول عن أن يقول مثلاً إلا عجزوا غابره إلى ما ذكر في التلوين هو أن المذكور في التلاوة يقتضى الإجمال عليها بأنها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمت الآن فهو أبغ من مجرد وصفها بالبور وراقه أطم

(قوله بوزن الألبة والجلبة بوزن الخلفة) في الصحاح الألبة بالضم وتشديد اللام الغندرة من القمر وفي السندرة القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة وفيه أيضاً الجلبة الخلفة ومنه قوله تعالى « والجلبة الأولين » وقرأها الحسن بالضم اه

الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاقْبَلُوا إِلَهَهُ وَاطِيعُونَ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وَاقْبَلُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبَّةَ الْأُولَى . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ . فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ . فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . وَإِنَّهُ

إن زيد ينطلق فلما كان البان أبان باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدل والحبر فعل ذلك في البان بقليل كان زيد ينطلقا وإن ظننته لمنطلقا فري كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسد وقيل الكسف والكسفة كالريح والزربة وهي القطعة وكسفه قطعه والسياء السحاب والمظلة وما كان ظلمهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه بالهم فاضلان أن يطلبوه والمعنى إن كنت صادقا أنك نبى قادم الله أن يسقط علينا كسفا من السياء (ربى أعلم بما تعملون) يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن أراد أن يماقيم بإسقاط كسف من السياء فليوإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسياء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم من مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعوا سبط عليهم الورد فأخذها فغاصهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن يخرجوا إلى البرية فأظلمت سماهم وجدا لما رآوا نسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقوا ، وروى أن شعيبا أتى اثنين أصحاب مدين أصحاب الأيكة فأهلك مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (فإن قلت) كيف كثر في هذه السورة في أول كل قصص آخرها ما كثر (قلت) كل قصص منها كثر في برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدل على الحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبها وأن تختتم بما اختتم به لأن في التكرير تفريرا للعاني في النفس وثبينا لما في الصدور الأثرى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا بتدبير ما يراد تحفظه منها وكما زاد ترديده كان أمكرا في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكروا ببدء من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقرع الإنيصات للحق وقلوب غلب عن تدبره فكثرت بالوعظ والتذكير ووجعت بالتدبير والتذكير لرب كل ذلك يفتح أذنا أو يفتح ذمنا أو يعقل عقلا طال ههنا بالصقل أو يملو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وإنه) وإن هذا التنزيل يعني ما رول من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل واليه أن نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتدبير ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا (به على قلبك) أى حفظك وهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات مالا ينسى كقوله تعالى ستفرك فلا تنسى (بلسان عربى) إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإما أن يتعلق بنزل فيكون

• عاد كلامه (قال) واعلم أن الآيات الأولى كالقدمات لهذه الآيات فإن الله تعالى أبان أنه منزل بلنتهم التي لا يعرفون غيرها وعلى لسان عربى لو أشكل عليهم فهم شيء منه لكان البيان عنده عتيذا ناجزا وما نزل على لسان عجمى قد يتعذر

(قوله وسلط عليهم الورد) شدة حر الليل كما في الصحاح

لَنْ ذَرِ الْأَوَّلِينَ • أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَلْعَلَهُمْ طُلُوعُ يُوسُفَ إِسْرَافِيلَ • وَلَوْ زُلْزِلَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَعْمِينَ •
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهَؤُلَاءِ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ • كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ • لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ

المعنى نزل باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزل باللسان الأعجمي لتجاوز عنه أصلاً ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعدى الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيهه بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تفهمها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لفنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها قبله ولا يكاد يقطن للألفاظ كيف جرت وإن كل بغير تلك اللغون كان ماهراً بمرقها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (ولأنه) وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيها فيها وبه يحتاج إلى حذيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل «ولأنه في زمر الأولين» لكون معانيها فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح • وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة تاسماً والمرقة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك قبيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلًا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه يت ليد • فضى وقدمها وكانت عادة • منه إذا هي عردت أقدامها • وقرئ تعلمه بالياء وعلما به إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى «وإذا ينل عليهم قالوا آنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» (فإن قلت) كيف خط في المصحف علماء برار قبل الآف (قلت) خط على لغة من يميل الآف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والراي • الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجاب والأعجمي مثله إلا أن فيه زيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شهوة بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد • ولا عريباً شاة صوت أعجمياً • سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وهرفوا فصاحته وأنه معجز لا يمارس بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسجراً أخرى قالوا هو من تلقى محمد واقتراه (ولو زناؤه على بعض) الأعجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله (فقرأ عليهم) مكناه فصيحاً معجزاً متحدثاً به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجسودهم هذراً ولسموه سحراً ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقرئناه فهاو على هذه مثل الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعا فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل أن يتغيروا عوامهم عليه من جسودهم وإنكاره كما قالوا ولو زلنا عليك كتاباً في قرطاس فلسوه بأيديهم لقال

بأنه لا يفهمهم ما استغل على أفهامهم من معانيه قد أزاح أعذارهم ودحض حججهم وسلك في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكن ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعني بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون لأن التقدير عنده العلم والحق أن الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نائية عن قبول الحق لا يلجها بوجه ولا بسبب فكيف يسلك الحق فيها فيجاب عنه بهذا الجواب والله أعلم

الآلِمَ . فَيَأْتِيهِمْ بَشْتَهُ وَمَ لَا يَشْعُرُونَ . يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ . أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَغْلِبُونَ . أَفَرَأَيْتَ إِنْ
مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ . وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ . وَمَا تَنْزَلُ بِهِ الشَّيْطَانُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ .

الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (فإن قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا
في قلوبهم أشد تمكن وأتبعه ليجعله بمنزلة أمر قد جيلوا عليه وفطروا الأثر إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن
الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من المعارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون
به (فإن قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضع والمخلص
لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يراون على التكذيب به ووجوده حتى
يعانوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به . وقرأ الحسن فئاتهم بالباء يعني الساعة وبينة
بالتحريك وفي حرف أبي وبروه بفته (فإن قلت) ما معنى التعتيب في قوله فئاتهم بفته فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف
رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الفكرة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون
رؤيتهم للعذاب فها هو أشد منها وهو لحوق بهم مفاجأة فها هو أشد منه وهو سؤال النظرة ومثال ذلك أن تقول
لمن تعظه إن أسأت مثلك الصالحون ففتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عيب مقت الصالحين
وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له سبب الإساءة مقت الصالحين فها هو أشد من مقتهم وهو
مقت الله وتري ثم يحق في هذا الأسلوب فيحل موقعه (أفعدنا يستعجلون) تكبت لم ينكروا ربهم ومعناه كيف يستعجل
العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفه من فلا يجاب الإيهام
أن يكون هذا حكاية توبيخ يروى به عند استظهار يرمئ به يستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه
آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم للعذاب إنما كان لا اعتقادهم أنه غير كانوا لا يحق بهم وأنهم يمتنعون بأحمار
طوال في سلامة وأمن فقال تعالى أفعدنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل . ثم قال هب
أن الأمر كما يمتقدون من تمنعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حيثما ماضى من طول أحمارهم وطيب
معاشهم ، وعن ميمون بن مهران : أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عني فلم يردده على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وهطت فأبلفت . وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل ينذروهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة
إما لأن الأمر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإنا لأنها حال من الضمير في منذرون أي ينذروهم ذوى
تذكرة وإنا لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أوصفت بمعنى منذرون ذوو ذكرى أوجعوا ذكرى لإيمانهم في التذكرة وإطاعتهم فيها
ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا لهم والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة
بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكروا عورة لتعيرهم فلا يصحوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فهلك قوما غير ظالمين
وهذا الوجه عليه المقول (فإن قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تنزل عنها في قولها وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب

• قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (قال إن قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت
المراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد تمكن ليجعله بمنزلة أمر قد جيلوا عليه بدليل أنه أسند إليهم ترك الإيمان به على عقبه
في قوله لا يؤمنون به) قال أحد وما ينقمن بمقاته على ظاهره إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف وأن الله تعالى خلق
قلوبهم نائية عن قبول الحق والقدرية لا يلبثون في التوحيد إلى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجْدَيْنِ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ۝ تَزُولُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَقُولُونَ السَّمْعُ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ۝ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝

بعزته وينصرك عليهم برحمته ۝ ثم أتبع كونه رحيبا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وقبلة في تصفح أحوال المهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستنبط سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكي أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كيوت الزاني لماسمع منها من دبدبتهم يذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وقبلة في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أتهم وعن مقاتل أنه سأل أباحيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في جماعة في القرآن فقال لا يحضر في صلاة هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقبلت مع الساجدين في كفاية أمور الدين (إنه هو السميع) لما قوله (العليم) بما تنويه وتمله وقيل هو قلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتوا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم ۝ وقرئ ويقلب (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمنتمية كشق ومطبخ ومسيلة وطيحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يجبروا بالرحم يسمعون إلى الميل الأعلى فيخطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيلقون وحيم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا إليهم وترى أكثر ما يمحكون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يتخطها الجنى فيقرأها في أذن ولي فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقرص الصبة (فإن قلت) كيف دخل حرف الجز على من المضممة لغنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن خلف حرف الاستفهام واستمر الاستفهام على حذفه كاحذف من هل والاصل أهل قال ۝ أهل رأونا بسفح القاع ذى الآم ۝ فإذا أدخلت حرف الجز على من فقد الميزة قبل حرف الجز في ضميرك كأنك تقول أهل من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فإن قلت) يلحقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون في محل النسب على الحال أي تنزل ملقون السمع وفي محل الجز صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون في محل لعل بأن يستأنف كأن قاتلا قال لم تنزل على الأفاكين فليل يعملون كيت وكيت (فإن قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما مضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك (قلت) (الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه (فإن قلت) وإنه لتزول رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن ومن أخوات (قلت) أريد التفریق بينهما بآيات ليست في معانها يرجع إلى المحجى بهن وقطرية ذكر ما فيه كزة بعد كزة فبدل بذلك على أن المعنى الذي تنزل فيه من المعاني التي اشتدت كرامة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية قراءه بعيد ذكره ولا ينك عن الرجوع إليه (والشعراء) مبتدأ و (يتبعهم الغاؤون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسب بالحرم والنزل

(قوله والقدح في الأنساب والنسب بالحرم والنزل) أي التشبه وخرمت الحرز أي شفقته ورفقته وجرحته والحرمان بالضم

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ • وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ • إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ •

والإبتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الفاعلون والنفهاء والسطار وقيل الفاعلون الرايون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبير وهيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجعي ومن تقيف أمية ابن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونهم ويجمع إليهم الأهراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إخبار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الثالب عليه حبّ النصب قرأ حالة الحطب والشارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم يسكون العين تشبيهاً لبعه بعضه ذكر الوادي والميوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتنائهم وقلة بالانهم بالنقل في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأصحهم على حاتم وأن يهتوا البرى ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبت بجاني مصراعات • وبت أضى أغلاق الحتام

فقال هو جب عليك الحد فقال بأمر المؤمنين قد درأ الله عن الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون • استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذ قالوا أشعرأ قالوه في توحيد الله والتناء عليه والحكمة والموعظة والزهّد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابّة وصلاح الأئمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يطلعون فيها بذنب ولا يتلبسون بشاعة ولا منقصة وكان مجازهم على سبيل الانتصار عن يهجوم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة هل ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمر بن عبيد أن رجلاً من العلوية قال له إن صدرى ليجيش بالشعر فقال فما يملك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام لحسنه كحسن الكلام وقيسه كقيس الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبادة بن ربيعة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا يناحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافون هجاء قريش وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أجهم فوالذي نفسي بيده لو أشد عليهم من التل وكان يقول لحسان قل وروح القدس مملك • غنم السورة بأية ناطقة بما لا شيء أهب منه وأهل ولا أنسك لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله (وسيعلم) ومافيه من الوعيد البليغ قوله (الذين ظلموا) وإطلاعه وقوله (أى منقلب يتقلبون) وإيهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواظفون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر لتليل ولأن تخاف قبله الأمن خير من أن تأمن قبله الخوف وقرأ ابن عباس أى منفلت ينفلتون ومعناها إن الذين ظلموا يطعمون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الافلات وهو التوجه اللهم اجعلنا من جعل هذه الآية بين عينيه فلم ينفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذنب هود وشعب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب يميني وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

الكذب والتزلف ومحاذاة النساء ومراودتهن والابتهار ادخل الشيء كذباً كذا في الصحاح في مواضع (قوله والسارقة وسورة أنزلناها) لعل هنا سقطاً تقديره بالنصب (قوله وأن يهتوا البرى) أى يهتوا (قوله وتفسير الظلم بالكفر لتليل) لعله من علله بالشيء أى لما به كما يعمل العبي يئس من الطعام يهتوا به عن التل كما في الصحاح

سورة النمل مكية

وآياتها ٩٣ نزلت بعد الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ نَسْأَلُكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ه هَدَىٰ وَبَشَّرِ الْمُؤْمِنِينَ ه الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ه إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبُّنَا لَهُمْ أَعْمَلُونَ

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طس) قرئ بالتخميم والإمالة (تلك) إشارة إلى آيات السور وقال الكتاب المبين أما اللوح وإباته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بينه للناظرين فيه إبانة وإمالة السورة وإمالة القرآن وإباتهما أنهما بيتان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وإن عجزا عما ظهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التخميم لها والتنظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه (فإن قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليهم بالتنكير فيكون ألحظه كقوله تعالى في مقدم صدق عند ملك مقتدر (فإن قلت) ما وجه حفظه على القرآن إذا أريد به القرآن (قلت) كما يحفظ إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك أي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عمير وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (فإن قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يرجع فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجع فالأول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة أولوا العلم (هدى وبشرى) في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هدام قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادهم إيمانا (فإن قلت) (وم) بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تم الصلاة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل ومؤلفاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار متناهما وما يوقنون بالآخرة حتى الإيقان لإحالة هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يعملهم على تحمل المشاق

(القول في سورة النمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وم بالآخرة هم يوقنون (قال في) كرد الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حتى الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة محمّل على تحمل المشاق قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن إقناع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مرله في قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لا ينشرون إلا هم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بين وقد بينا لجمي الضمير في سورة اقترب وجهاسوى الحصر وأما وجه تكراره معنا وأقاعل فهو أنه لما كان أصل الكلام هم يوقنون بالآخرة ثم قدم المحرور على عامله عناية بفوقه فاصلا بين المبتدأ والخبر فأريد أن يل المبتدأ خبره وقد حال المحرور بينهما فطرى ذكره ليلها الخبر ولم يقت مقصود العناية بالمحرور

فَهُمْ يَمُومُونَ . أَوَّلُكَ لَمْ سَوْءَ الْعَذَابِ وَفِيهِ مِنَ الْآخِرَةِ ثُمَّ الْآخِرُونَ . وَإِنَّكَ تَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلَيْهِ . إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَأْتِيكُمْ مِنْهَا بُخَيْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِهِ نَارٌ فَبَاسٌ لَكُمْ تَصْطَلُونَ .

• (فإن قلت) كيف أسند تزئين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الإنسانين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستمارة والثاني أن يكون من المجاز الحكي فالطريق الأول أنه لما متمهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إتمام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرحهم وإثارة الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه الكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك أعمالهم وإله أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متمهم وآبأهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إلهامه الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملاسة ظاهرة للزين فأسند إليه لأن المجاز الحكي يصحبه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله ففهموا عنها وضلوا وبمضى إلى الحسن • والعلمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق ومن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عهين أراد مرقدين في أعمالهم وأشغافهم (سوء العذاب) القتل والأسر يوم بدر • و (الآخرون) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء هل جميع الأمم غسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (تلقى القرآن) لتواتره وتلقته (من) عندى (حكيم) وأى (عليه) وهذا معنى مجيئها تكرين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الإنفاص وما في ذلك من لطائف حكمته وصدقائه (إذ) منصوب بمضمر وهو أذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن يقتضب بعلمه • وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فنبع

حيث بقى على حاله مقدما ولا يستكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب النظرية فأقرب منها أن الشاعر قال
سق ذو جمل ذا وأخفنا هذا • الشحم إنما قد ملنا بخل

والأصل وأخفنا هذا الشحم فوقع منتصف الرجز أو منتهاه على القول بأن مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبقي الشاعر على أنه لا يعتمد المنتصف أو المنتهى من وقفة ما تقدر تلك الوقفة بعد أن بين الموزن وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه النظرية لم تنقص على أن يحول بين الأول وبين المكثور ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير تأمل هذا المنصل فإنه جدير بالتأمل والله أعلم • قوله تعالى • إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَمُومُونَ (قال إن قلت كيف أسند الزين إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت إن بين الإنسانين فرقا فالإسناد إلى الله مجاز وإلى الشيطان حقيقة وقدرى من الحسن أن المراد زيناً لهم أعمال البر ففهموا عنها ولم يهتروا إلى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبنى على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يتخلل الله تعالى للعبد لإلزامه مصلحة فمن ثم جعل إسناد الزين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة ولوعكس الجواب لغاز بالصواب وتأمل فيه إلى التأويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده لأنه لا يبرض لقاعدته بالتقصير وأنى ذلك وقد أقر الله بنيانهم من القواعد على أن الزين قد ورد في الخير في قوله تعالى ولكن الله يحب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم على أن غالب وروده في غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين للكثير من المشركين وما يبعد حله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم في قوله أعمالهم وأعمال البر ليست مضافة إليهم لأنهم لم يعملوها قط فظاهر الإضافة يعنى ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وقوله قل لا تنتموا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان فأطلق الإيمان في المكائين عن إضافته إليهم لأنه لم يصدر منهم وأضاف الإسلام فظاهر إليهم لأنه صدر منهم والله أعلم

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبِّحَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ . يَمْوَسَّى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ
الْمُزِيْرُ الْحَكِيمُ . وَآتَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا خَافُ
لَدَى الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسَابًا بَعْدَ سُوِّ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَصْفَاءَ

ذلك أورد الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا . والشهاب الشعلة . والقبس النار المقبوسة . وأضاف الشهاب إلى القبس
لأنه يكون قبساً وغير قبس ومن قرأ بالتون جعل القبس بدلاً أوصفه لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن
حال الطريق لأنه كان قد ضلّه (فإن قلت) سأتيكم منها يخبر ولعل آتيكم منها يخبر كالمندافين لأن أحدهما ترج
والآخر يقن (قلت) فديقول الراعي إذا قرى رجاؤه سافحل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الحية (فإن قلت) كيف
جاء بين التسويّف (قلت) عدة لأنه أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فإن قلت) فلامها بأو دون الواو
(قلت) نى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجته جميعاً لم يعمم واحدة منهما إما عداية الطريق وإما اقتباس النار فقه بمادة
الله أنه لا يكاد يجمع بين حرامين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجته الكليتين جميعاً وهما
العزّان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هي المفصلة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فإن قلت) هل
يجوز أن تكون الخففة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لأنه لا بد من قد (فإن قلت)
فعل إضمارها (قلت) لا يصح لأنها هلام لا تخفّف ومعنى (بورك من في النار ومن حولها) بورك من في مكان النار ومن
حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الأيمن
في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبيّ تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركك النار والذي يورثك له البقعة وبورك
من فيها وهو الحادث أوردني فيها هو تكليم الله موسى واستبناؤه له وإظهار المعجزات عليه وربّ خير يتجدّد في بعض
البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاليمها ويأتى آيات منتهى ما عداها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة
وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادى
وحولهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناها ولو طأ إلى الأرض التي باركنا
فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحى إليهم وكفاتهم أحياء وأموالاً
(فإن قلت) فامعنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هي بشارته له بأنه مقضى أمر عظيم تنتشر منه في أرض
الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجب لموسى عليه السلام من ذلك وإيدان بأن ذلك الأمر مرده ومكتونه
رب العالمين تنبهاً على أربالكائن من جلال الأمور وعظائم الشؤون . الهاء في (أنه) يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن
(أنا الله) مبتدأ وخبر و (المزير الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعاً إلى ما دل عليه ما قبله يعنى أن مكلمك أنا والله
بيان لأننا والمزير الحكيم صفتان للبين . وهذا تعهد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أن القوى القادر
على ما يعبد من الأوهام كقلب العصا حية كل ما أضله بحكمة وتدير (فإن قلت) علام عطف قوله (وآتى عصاك)
(قلت) على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من في النار وأن آتى عصاك كلهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك من
في النار وقيل له آتى عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن آتى عصاك بعد قوله إنى أنا الله على تكرير حرف
التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اهتم وإن شئت أن أحج وأهتم . وقرأ الحسن جان على لغة من يحنق بالحرب
من التفاه الساكنين فيقول شأ بقوادة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين (ولم يعقب) لم يرجع بحال يعقب المقاتل إذا كثر
بعد الفرار قال : فاصبروا إذ قيل هل من مقب . ولا تزلوا يوم الصكرية منزلاً
وإنما رعب لفظه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه (إنى لا يخاف لدى المرسلون) و (إلا) بمعنى لكن لأنه لما أطلق نى

مَنْ غَيْرِ مُوسَى فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ . وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا وَقَالَ اللَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ

الحرف عن الرسل كأن ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذى فرط من آدم ويونس ودأود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى بكرة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلفظ مأخذها وسبأ طلبا كما قال موسى رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ لأن ظلم يحرف التنبيه وعن أبى عمر وفى رواية صممة حسناً وفى تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجز فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات (إلى فرعون) ونحوه : فقلت إلى الطعام فقال منهم . فريق يحمد الإنسان الطعام

ويجوز أن يكون المعنى وأتى عصاك وأدخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولتأمل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة فثنان منها اليد والعصا والتسع الفلقى والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطعنة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو فى الحقيقة لما تلبها لأنهم لا يسمونها وكانوا بسبب منها ينظرون وتضمكهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وأن يراد إبصار فرعون ومثله لقوله واستيقنتها أنفسهم أوجملت كأنها تبصر فتهدى لأن السمع لا تقدر على الاهتمام فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة هوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسبئية تقوى ونحوه قوله تعالى ولقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السموات، والأرض بصائر فوصفها بالإبصار وقرأ على بن الحسين رضى الله عنهم وقادة مبصرة وهى نحو جينة ومبجلة ومجفرة أى مكانا يكثر فيه البصر . الواو (واستيقنتها) والواو الحال وقد يعدها مضمرة والمعلو الكبير والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما غابا فقالوا أنؤمن بل بشر من تلقا وقومهم لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا . وقائدة ذكر الأنفس أنهم جعلوها بالستهم واستيقنوها فى قلوبهم وخضائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قبل بين المبصرة والمبين وأى ظلم الحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بقسميتها سحرا بينا مكشوفاً لاشبهة فيه (عليا) طائفة من العلم أو علماً سنياً غيراً . (فإن قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيتك فشكر ومنعته فعبس (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو لإشعار بأن ما قاله بعض ما أحدث فيها إيتاء العلم وشىء من مواجهه فأخبر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناها علماً ففعلنا به وعلما وهو فاقح النعمة فيه والفضيلة (وقال الحمد لله الذى فضلنا) . والكثير المفضل

• قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما (قال معناه طائفة من العلم) قال أحد التبعيض والتفليل من التكثير وكأريد للتفليل من شأن المكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آخفا فى قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل الحكيم العليم والترض من التكثير التضعيف كأنه قال من لدن حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما فى سياق الامتنان تعظيم العلم الذى أوتياه كأنه قال علما أى علم وهو كذلك فإن علمها كان مما يستعظم ويستغرب ومن ذلك علم منق الطير وسائر الحيوانات الذى خصها الله تعالى به وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل والله أعلم . قوله تعالى وقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) بجلا نعمة الله عليها

(قوله نحو جينة ومبجلة ومجفرة) فى الصحاح جبر القمل عن الضراب إذا انقطع عنه ومنه قبل الصوم مجفرة أى قاطع للكباح

دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَنَاقِبِ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحَشَرُ

عليه من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلاً على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإتقان عمله وتقدم حله وأمله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجل القسم وأن من أوتيها فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وروثة الأنبياء إلا لما نأتمهم لهم في الشرف والمنازلة لأنهم القوام بما لبثوا من أجله وفيما أنه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة لوازيم منها أن يحمدا الله على ما أوتوه من فضله على غيرهم وفيما التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثله وما أحسن قول عمر كل الناس أقره من عمر هـ وروث منه النبوة والملك دون سائر بني وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تمديداً وسليمان أفضى وأشكر لنعمة الله (وقال يا أيها الناس) تشبهاً لنعمة الله وتوحيها بها واعترافاً بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منلق الطير وغير ذلك مما أوتي من عظام الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقدر ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه للإفرادات الكلم وقالت العرب نطق الحماة وكل صنف من الطير يتفام أصواته والذي عليه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ربه أعلم قال يقول أكلت نصف ثمرة فلي الدنيا العفاء وصاحت فاخته فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طائوس فقال يقول كاذنين تدان . وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذبذبين . وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال . وصاح خفاف فقال يقول قدموا خيراً تجمدوا . وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربّي الأعلى مله سمائه وأرضه . وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبحان ربّي الأعلى . وقال الحداد يقول كل شيء هالك إلا الله . والقطاة تقول من سكت سلم . والبيضاء تقول ويل لمن الدنيا همه . والديك يقول لا ذكروا الله يا غافلين . والنسر يقول يا ابن آدم عشت ما شئت آخرتك الموت . والعقاب يقول في البدن من الناس أنس . والصفدع يقول سبحان ربّي القدوس . وأراد بقوله (من كل شيء) كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصد كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثاره من مثله قوله وأوتيت من كل شيء (إن هذا هو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا غرأ أي أقول هذا القول شكرًا ولا أقوله غرأ (فإن قلت) كيف قال علما وأوتينا وهو من كلام المتكبرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه التورن يقال لها نوب الواحد المطاع وكان ملكاً مطاعاً فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتضعفه وإظهار آيئته وسياسة مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وقد أو احتاج أن يرجع في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يجلس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب هـ روى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوادير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب ولبريس فرسحاً في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب

من حيث قولها فضلنا وتواضعا بقولها على كثير ولم يقلوا على عبادته اعترافاً بأن غيرهما يفضلها حذراً من الترفع

(قوله هو ما يفهم بعضه من بعض معانيه) عبارة النسق والمنطق كل ما يصوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض اهـ (قوله يا ابن آدم عشت ما شئت) لعله عشت وفي الخازن عشت ما شئت آخره الموت (قوله وإظهار آيئته وسياسته) قبل مراتبه وبهايته وفي نسخة أبته طيحو

لَسْلِيمَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ الْقَتْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ

والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين ونظفه الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس
وترفع دج الصبا البساط فتسيره مسيرة شهر . ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف فتحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى
الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أنى قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشئ إلا ألقته الريح في سمك فحكى أنه
مر بحرات فقال لقد أرق آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فزل ومشى إلى الحرات وقال إنما مشيت إليك
لثلاثين مالا فندد عليه ثم قال لتسبحوا واحدة بقلها الله خير مما أوقى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم
أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة . قيل هو
وإد بالشام كثير القتل (فإن قلت) لم عدى أتوا بلى (قلت) يتوجه على معنيين : أحدهما أن إنايتهم كان من فوق فأتى بحرف
الاستعلاء كما قال أبو الطيب . ولادة ما قربت عليك الأنجم . لما كان قربا من فوق . والثانى أن يراد قطع الوادى ببلوغ
آخره من قولهم أتى على الشئ إذا أنشده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن يزلوا عند منقطع الوادى لأنهم ما دامت الريح
تعملهم في الهواء لا يخاف حطهم . وقرئ نملة يا أيها القمل يعض الميم ويعض النون والميم وكان الأصل القمل يوزن الرجل
والقمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها
القمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاحية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى
فسأله فأخبر فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قَالَتْ نَمْلَةٌ وَلَوْ كَانَتْ ذَكَرًا
لَفَالَتْ قَالَتْ نَمْلَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى فيذب بينهما بعلامه نحو قولهم حمامة ذكر
وحمامة أنثى وهو وهى . وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسر ما وأصله
يحطمنكم . ولما جعلها قائلة والقمل مقولاهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهم بجرى خطابهم (فإن قلت)
لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نيا بدلا من الأمر والذى جوز أن يكون بدلا منه

ه قوله تعالى قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا الْقَمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ (قال لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم
فقال أبو حنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التى كنت سليمان أذكر أكانت أم أنثى فسأله فأخبر فقال أبو حنيفة كانت أنثى
فقيل كيف لك ذلك قال لأنه قال عز وجل قال قَالَتْ نَمْلَةٌ وَلَوْ كَانَتْ ذَكَرًا لَفَالَتْ قَالَتْ نَمْلَةٌ قال أحد لأدري السجبة منه
أم من أبى حنيفة أن ثبت ذلك عنه وذلك أَنَّ النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأنثى لانه اسم جنس يقال
نملة ذكر ونملة أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن
تؤنث لأجل لفظها وإن كانت واقعة على ذكر بل هذا هو النصيح المستعمل الأثرى إلى قوله عليه الصلاة والسلام
لا تنضح بعوراء ولا بجناء ولا عبياء كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يبنى الإناث من الأنعام خاصة
لحينئذ قوله تعالى قَالَتْ نَمْلَةٌ روى فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء وإنما أطلقت هذا وإن كان لا يثبت
عليه حكم لأنه نسب إلى الإمام أبى حنيفة على بصيرته بالغة ثم جعل هذا الجواب مجيبا لنعمان على غزارة علمه وبصره
بالمقولات ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصرناه فبأنه العجب العجيب واقعه المرفق للصواب

(قوله توقف سلاف العسكر) أى متقدمهم أفاده الصحاح (قوله وهى عرجاء تتكاوس) فى الصحاح كوست على
رأسه تكويس أى قلبه وكأس هو بكوس إذا فعل ذلك وكأس البعير إذا مشى على ثلاث قوائم وهو مرفب

رَبِّ أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَلْ أَمُوتُ أَمْ كَانَتْ مِنِّي النَّفْسُ الْبَارِيَّةُ ۝ لَا عِذْبَ عَلَيْهِ إِلَّا شَدِيدًا

أنه في معنى لا تسكنوا حيث أنتم فيحكمكم على طريقة لأمرتك هنا أراد لا يحطكم جنود سليمان لجهنم بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفافها ۝ ومعنى تبسم ضاحكا تبسم ضارعا في الضحك وآخفا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجدته من الضحك النبوي وإلا فسحق النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميع ضحكا (فإن قلت) ما أضحكك من قولها (قلت) شيان إيجابا بما دل من قولها على ظهور رخته ورحمة جنوده وشفتهم وعلى شجرة حاله وحالم في باب التقوى وذلك قولها وم لا يشعرون نفي أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يوث أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكيل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمناه ولذلك اشتمل دعائه على استبذاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاه لزيادة العمل الصالح والتقوى ۝ وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأربطه لا ينفك عني حتى لا أنفك شاكر الله وإنما أدرج ذكره والله لأن النعمة على الولد نعمة على الوالد بن خصوص النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان قياضهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لها كلها دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والدك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الریح فرقت ثلثا يذعرن حتى دخان مساكنتن ثم دعا بالدعوة ۝ ومعنى (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) واجعلني من أهل الجنة ۝ أم هي المقطعة ۝ نظر إلى مكان الهدد فلم يصره فقال (مالى لأرى) على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أوعر ذلك ثم لاح له أنه غاب فأعرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن محبة ماله له ونحوه قولهم إنما لأبل أم شاء وذكر من قصة الهدد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحمير فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناق وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم هزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يوم سبيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبت خضرتها فنزل لينتدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدد قاتقه وكان يرى الماء من تحت الأرض كإبرى الماء في الزجاجة فيجىء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقدته لذلك وحين نزل سليمان خلق الهدد فرأى هدهداً واقفاً فأنطأ إليه فوصف له ملك سليمان وما سحر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بقيقس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقت نضجة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارقت فنظرت فإذا هو مقبل فضدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى توكأ وأقدرك على إلا رحمتي فتركته وقالت ثكلتك أنك إن نبي الله قد حلف ليهديك قال وما استثنى قالت بل قال أوليائني بعنزمين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحه يجرها على الأرض تواضعا فلما نامته أخذ برأسه ففده إليه فقال يابني الله اذكر وقوفك بين يدي الله فانرتد سليمان وعفا عنه ثم سأله

(قوله ما همس به بعض الحكيل) في الصحاح الحكيل ما لا يسمع له صوت (قوله وعلى استيفاه لزيادة العمل) في الصحاح استوفقت الله سألته التوفيق (قوله تجهز للحج بحمير) فوافى الحرم في الصحاح حشرت الناس أحشرهم حشراً جمعهم ومنه يوم الحشر (قوله وكان الهدد قاتقه) القناقن بالضم الدليل الهادى والبصير بالماء في حفر الفقى واللقى جمع قناه أفاده الصحاح في موضعين (قوله فدعا عريف الطير وهو النسر) في نسخة عريف الطير وكذا عبارة النسب

أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بَسُطَانٌ مِّينَ . فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَطْعُتُ بِمَا لَمْ تُطْعِبْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ نَبِيًّا
يَقِينُ . إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

• تعذبه أن يؤذّب بما يحتمله حاله ليتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للغير أن ينف ريشه ويشمه وقيل
أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى لتل نأكله وقيل إبداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الله وقيل لألزمه
صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيّق السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمته خدمة أقرانه (فإن قلت) من أين حلّ له
تعميد المهدد (قلت) يجوز أن يبيح الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل
وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم سخره من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن تباح له ما يصلح به •
وقرى لياتنني وليأتين • والسطان الحية والعذر (فإن قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء لحلفه على فعله لا مقال فيه
ولكن كيف صحّ حلفه على فعل المهدد ومن أين درى أنه يأتي بسطان حق يقول أو لياتنني بسطان (قلت) لما نظم
الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكون أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسطان لم يكن
تعميد ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحسب من الله
بأنه سيأتيه بسطان ميين قلت بقوله أو لياتنني بسطان ميين هن دراية وإيقان (فكت) قرئ بفتح الكاف وفتحها
(غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكته بقصر المدة للدلالة على إسراره خوفا من سليمان وليعلم
كيف كان الطير مسخرا له وإيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أطعت) يؤذغ الطاء في
التاء بإطابق وبغير إطباق أظم الله المهدد فكافع سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم والجنة
والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في قلبه وتنشياً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحيط به لتتحافر
إليه نفسه ويتصاغر إليه قلبه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم هاجتة والإحاطة بالشيء
علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا ينفى عليه شيء
ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه • سبأ قرئ بالصرف ومنه وقدرى يسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبأ بالالف
كقولهم ذهبوا أيدي سبأ وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فن جملة سبأ لأقيلة لم يصرف ومن جملة سبأ للحي
أو الأب الأكبر صرف قال : من سبأ الحاضرين مأرب إذ • يتنون من دون سبأ سبأ العرما

الواردون وتم في ذرى سبأ • قد عرض أعناقهم جلود الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب سبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كاسميت معافر بمعافر بن أذ ويحتمل أن يراد المدينة والقوم •
والنبا الخبر الذي له شأن • وقوله (من سبأ بنو) من جنس الكلام الذي سماه المخدّون البديع وهو من محاسن الكلام الذي
يتعلق باللفظ بشرط أن يحوي مطبوعاً أو يصنعه عالم بجمهور الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً
على الصحة حسن وبدع لفظاً ومعنى الأثرى أنه لو وضع مكان بنياخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كاجاه أصح لمافي النبا من الزيادة
التي يطابقها وصف الحال • المرأة بفتيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كها وقبوله أربعون ملكا ولم يكن له
ولد غيرها فقلت على الملك وكانت هي وقومها جوساً يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع إلى سبأ فإن أربده
القوم فالامر ظاهر وإن أريدت المدينة فتناه تملك أهلها • وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسبعة ثمانين
وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب ونفضة مكلها بأنواع الجواهر وكانت قوامه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد
وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب منفق (فإن قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز

(قوله وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ) لعله التي تتعلق

لِلْقَسَمِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ قَدْ قَدَّمَ عَنِ السَّبِيلِ فَيُفْهِمُ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝

أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت ملكيته في كل شيء. كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء. لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستدعهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولما عرش ثم يبتدىء عظيم وجدها يريد أمر عظيم أن وجدها وقومها يسجدون للشمس فمن استقام الماهددها عرشها فوقع في عظمة وهي مسخ كتاب الله (فإن قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شيء) مع قول سليمان وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لأن سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من آفة وهو تعليم منق الطير فرجع أولاً إلى ما أوتى من التوبة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطف الماهدده على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا الثلاثة بما هما في الكلامين بون بعيد (فإن قلت) كيف غنى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محله وبين بلد هافرية وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب (فإن قلت) من أين لهذه الهدى إلى معرفة الله وجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة إلى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كإلهامه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي يكاد العقلاء الرجاس العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصاً في زمن بني محتر له الطيور وعلم منطلقها وجعل ذلك معجزة له. من قرأ بالتشديد أراد قصدهم عن السبل لئلا يسجدوا لخذف الجار مع أن يجوز أن تكون لازمة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا من قرأ بالتخفيف فهو لا يسجدوا إلا للتيه وبأحرف النداء ومناداه عنوف كاحذنه من قال ۝ أَلَا أَسْأَلُ بِأَدَارِي عَلَى الْبَلِي ۝ وفي حرف عبد الله وهي قراءة لأعش هلا وحلا قلب المهرتين هاء وعن جده الله لا يسجدون بمعنى لا يسجدون على الخطاب وفي قراءة أبي أن يسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سرهم وما تملنون وسمى الخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما ما أخبأه عز وجل من غيبه وقرئ الخبء على تخفيف المهرزة بالخلف والخباء على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود وما لك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبوء رأيت الخبوء مررت بالخبى ثم أجرى الواصل بجزى الوقف لعل لغة من يقول الكفاة والحماة لأنها ضعيفة مستردلة وقرئ يخفون ويعلمون بالياء والتاء وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الماهدده وقيل كلام رب العزة وفي إخراج الخبء أمانة على أنهم من كلام الماهدده فاستدعهم فقامت الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف عليه ولا يكاد تخفى على ذي القراسة النظر بنور الله مخال كل مختص بصناعة أو فن من العلم في رواته ومنطقه وشماله ولهذا ورد ما عمل عبد ماعلاً إلا أن الله عليه رداء عمله (فإن قلت) أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً أم في إحداها (قلت) هي واجبة فيهما جميعاً لأن مواضع السجدة إما أمرها أو مودع لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى القراءتين أمراً بالسجود والآخرى ذم للترك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدة القرآن أربع عشر وإنما اختلفا في سجدة من فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي يحدق سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فقير مرجوع إليه (فإن قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم إذا خفف وقب على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الأياهمجوا وإن شاء وقف على الأياهم ابتداءً أجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم (فإن قلت) كيف سوى الماهدده بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالمظم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالمظيم تعظيم له بالإضافة إلى هروش أبناء جنسها من الملوك

(قوله ومن نوكى القصاص) أى حقى أفاده الصحاح (قوله وقيل من أحطت إلى العظيم) في الباب أن الخلاف في ألا يسجدوا إلى العظيم وما إليه في التخریب اهـ من هامش (قوله في روايته) بالضم أى منظره أفاده الصحاح

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا قَائِلَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ قَاطِرٌ مَادَا
يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءَ إِنِّي أَتِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَى وَاتُونِ مَّسْلِينٍ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءَ أَتُؤَنِّفُوْنَ فِيْ أَمْرِيْ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ .

ووصف عرش الله بالمعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض . وقرئ المعظم بالرفع (سنظر) من النظر الذي هو التأمل والتصفح . وأراد أصدقت أم كذبت إلا . وأن كنت من الكاذبين ، أبلغ لأنه إذا كان معروفاً بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذبا لاعتاده . وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيها أخيراً به فلم يبق به (تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك (يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة (فإن قلت) لم قال قائله اللهم على لفظ الجمع (قلت) لأنه قال وجدتها وغمرها يسجدون للشمس فقال قائله إلى الذين هذا دينهم اعتناهم منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو محترم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى العجم قليل له أنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يحتمه فقد استخف به وقل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما أتى إليها كأنها لما قالت إلى أتني إلى كتاب كريم قيل لما من هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبد القوي أنه من سليمان وإنه عطف على إلى وقرئ إنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل أتني إلى أنه من سليمان ويجوز أن تريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها علقت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المقسرة وأن في (الأتلوا) مفسرة أيضا . لا تلوا : لا تسكبوا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالفتح مجعنة من القل هو مجازاة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبادة سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تلوا علي واتوني مسلمين ، وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا لا يطيئون ولا يكترون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتم فوجدتها الهدى واحدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحوها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبته فزعزعتها وقيل أنها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) متفادين أو مؤمنين . الفتوى الجواب في الحادثة اشقت على طريق الاستشارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى هنا الإشارة عليها بما هتدم فيها حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استطلاعهم وتقليب نفوسهم لثباتها ويقوموا معها (قاطعة أمرا) فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية أي لا بت أمرا إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة

• قوله تعالى قال سنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت إلا أن عبارة الآية أبلغ لأنه إذا كان معروفاً بالكذب اتهم في جملة إخباره فلهذا يقرئ به) قال أحمد وهذا مما نهت عليه في سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذي هو أم كذبت وعن مجرد صفته في قوله أم كنت كاذبا إلى جملة واحدا من الفئة الموسومة بالكذب فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدِ وَالْأَمْرِ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرُ بِهِ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ رَجْعِ الْمُرْسَلُونَ ۚ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمٌ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ۚ أَرْجِعْ

الاجساد وقوة الآلات والعدد ۖ وبألس التجدة والبلاء في الحرب (والأمر إليك) أى هو موكل إليك ونحن مطعون لك فربنا بأمرك نطعمك ولا نخالفك ۖ كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظري ماذا ترين تتبع راك ۖ لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأى الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن وربت الجواب فزفت أولاً ما ذكره وأرثسم الخطأ فيه (بأن الملوك إذا دخلوا قرية عتوه وقهرأ (أفسدوها) أى خربوها ومن ثمة قالوا الفساد الحربة ۖ وأذلوا أهزتها وأهانوا أشرفها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتي ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأى السيد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين (مرسلة إليهم هدية) أى مرسلة رسلا هدية أصافه بها عن ملكي (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وطين الأساور والأطواق والقرطة راكي خيل مفشاة بالدياج حمالة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فيزى الثلنان وألف لينة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالز والياقوت المرتفع والمسلك والعنبر وحقا في دوة عذراء وجوزة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشرف قومها المندرين عمرو وآخر ذارأى وغفل وقال إن كان نيا ميزين الثلنان والجوارى وقبب الدرة قبا مستويا وسلك في الحرة خيطا ثم قالت للندري إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولك وإن رأيته بشأ لطيفا فهو نبي فأقبل المدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فحضرىوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها من بين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن العيمن واليسار ثم قد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوا فراسخ والإنس صفوا فراسخ والوحش والسباع والحوام والطيور كذلك فلما ذا القوم ونظروا هتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتفاصرت إليهم فنوسهم ورموا بمائمهم ولما وقعوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ماوراكم وقال ابن الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرض فأخذت شجرة ونفذت فيها لجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بضد الخيط بضها ونفذت فيها لجعل رزقها في القواك ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء يسدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والسلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للندري أرجع إليهم فقالت هو نبي ومالنا به طاقة فتخصت إليه فيأتي عشر ألف قيل تحت كل قيل ألف ۖ وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه فلما جأوا (أعندوني) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقولهم أتاجوني وبنون واحدة أعندوني ۖ الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدى والمهدى إليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه هنا هو المهدى إليه والمعنى أن ما عندى خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذى فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا

(قوله والأطواق والقرطة) واحدا قرط (قوله على رماك فيزى الثلنان) هي إناث الخيل

الْبَيْتِ فَلَمَّا دَلَّيْنَاهُمْ يُجَادِلُوا لِقَابِ رَبِّهِمْ إِنَّمَا تَنزِيلُ الْكِتَابِ لِقَوْمٍ مُّسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أُمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا

لا يستتراد عليه فكيف يرضى مثل بأن يمد بمال ويصانع به (بل أتم) قوم لاملون لإظهاره من الحياة الدنيا فذلك (تخرون) بما تزدون ويهدي اليكم لأن ذلك مبلغ همكم وحال خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ. ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك الجحوسية (فإن قلت) ما الفرق بين قولك أعنى بمال وأناغى منك وبين أن قوله بالفاء (قلت) إذا قلته بالواو فقد جعلت خاطي عالماً بزيادتي عليه في الثنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته من خفيته عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأنى أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غنى عنه وعليه ورد قوله فما أتاني الله (فإن قلت) فإوجه الإضراب (قلت) لما أنكر عليهم الإمداد على إنكاره أحضر به ذلك إلى بيان السبب الذي حلهم عليه وهو أنهم لا يبرغون سبب رضا ولا فرح إلا بأن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية معضاة إلى الهدى ويكون المعنى بل أتم هديتكم هذه التي أهديتوها تخرون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إمداد مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أتم من حاكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (اربع) خطاب الرسول وقيل للهدد محلاً كتاباً آخر (لا قبل) لاطاعة وحقيقة القبول المتأخرة والمقابلة أى لا يقدر أن يقابلوهم وقرا ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم • الضمير في منها لسبب • والذلل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك • والصغار أن يبقوا في أسر واستياد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوق بعد أن كانوا ملوكاً • يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام لجعل عرشها في آخر سبعة آيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلفت الأبواب وولكت به حرساً يحفظونها ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيانتها من عرشها فأراد أن ينرب عليها ويربها بذلك بعض ما خسه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله وعلى ما يشهد لنوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أن يأخذه قبل أن تسلم لعله أنها إذا أسلمت لم يصل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤنى به فينكر ويفترع من ينظر أثبت أم تتركه اختياراً لمقلها • وقرئ غفيرة والمفر والمفرية والغفيرة والمفرأة والمفارة من الرجال الخبيث المتكر الذى يعرف أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (القوى) على حله (أمين) آتى به كما هو لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو ياحى ياقيوم وقيل يا ألله والى كل شئ لها واحداً لا إله إلا أنت وقيل إذا اللجلال والإكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان حديقاً عالماً وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أبد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطل الغفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن أبي عمير يلقى أنه الخضر عليه السلام • علم من الكتاب : من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام • وأتيتك في الموضوعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل . الطرف تحريك أجهانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في تحريكه

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) أنك ترسل طرفك إلى شيء قبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك وروى أن آصف قال لسلطان عليه السلام عد ههنا حتى ينتهي طرفك فذهب

عندهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْزُقَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَبْشُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ . قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا تَنْظُرَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ

عينه فظهر نحو البين ودعا آصف فنار العرش في مكانه بأمر ثم نبغ عند مجلس سليمان عليه السلام بالسام بقدره الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستعمار مدة المجيء به كما قول لصاحبك أفضل كذا في لحظة وفي ردة طرفه والفت ترقى وما أشبه ذلك تريد السرة (يشكر لنفسه) لأنه يحط به عنها عبه الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين أن كفران النعمة بوار وقلنا أقضمت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاربها بالشكر واستدم راضها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ سترافه متفلس عما قريب إذا أنت لم ترجع له وقاراً (غنى) عن الشكر (كريم) بالإتيان على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكر أربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بحميل الصبر (نكروا) اجملوه متشكراً متغيراً عن هيئته وشكله كما يتشكر الرجل للناس لثلا يعرفوه قالوا وسموه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلام أسفله . وقرئ نظر بالجرم على الجواب وبالرفع على الاستئناف (أنهتدي) لمعرفة أو الجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلقتها وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس . هكذا ثلاث كلمات حرف التثنية وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل مذهب عرشك لثلا يكون تلقيناً (فألت كانه هو) ولم يقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملكه (فإن قلت) علام عطفت هذا الكلام وسم اتصل (قلت) لما كان المقام الذي سئلت فيه من عرشها وأجاب بما أجاب به مقاماً أجرى فيه سليمان ومؤلفه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كانه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لينة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وحمة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل عليها ولم نزل على دين الإسلام شكر الله على فضلهم عليها

ه قوله تعالى أمكنا عرشك (قال فيهم يقل أهذا عرشك لثلا يكون تلقيناً قالت كانه هو ولم يقل هو هو ولا ليس هو وذلك من راحة عقلها حيث قطع في المحتمل) قال أحد وفي قولها كانه هو مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو نكتة حسنة ولعل قائل يقول كلا العبارتين تشبيه إذ كاف التشبيه فيها جيماً وإن كانت في إحداهما داخلة على اسم الإشارة وفي الأخرى داخلة على المضمرة وكلاهما أثنى اسم الإشارة والمضمرة واقع على الذات المشبهة وحينئذ تستوي العبارتان في المعنى ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال فلا بد في اختيار كانه هو من حكمة فتقول حكته والله أعلم أن كانه هو عبارة من قرب عنده التشبه حتى شكك نفسه في التباين الأمرين فكاد يقول هو هو وذلك حال بقلبي وأما هكذا هو فعبارة جازم بتباين الأمرين حاكم بوقوع التباين بينهما لا غير فلنظروا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم وقول الزحشرى ولا ليس هو وإن كان من قوله فهو هو الصواب ولا ليس به واقصبعناه وتعالى أعلم

(قوله ثم نبغ عند مجلس سليمان) في الصحاح نبغ الشيء ظهر (قوله وقلنا أقضمت نافرة) أى أقنعت أفاده الصحاح (قوله وطبقت المفصل وهي عاقلة) لله وطابقت

مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۖ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُعَمَّرٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ۖ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ مَعَ سُلَيْمَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَنْ خُذُوا صُلْحًا ۚ أَنْ أَعْبَدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۖ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلَ سَيْثٍ قَبْلَ الْحَسَّةِ ۚ لَوْلَا تَسْتَفْقِرُونَ لِلَّهِ لَلَكُمْ تَرْحُمُونَ ۚ قَالُوا أَطِيعُوا بَكَ ۖ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَعِمْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۚ

وسيقم إلى العلم بالله والإسلام قلبها (وصدها) عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تثنى مائيتين من الآيات عند وفاة النذر ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حنف الجار وإيصال الفعل ۖ وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها ۖ الصرح القصر وقيل محض الدار ۖ وقرأ ابن كثير ساقها بالهمز ووجهه أنه سمع صوتا فأجرى عليه الواحد ۖ والمعدر المجلس وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قبورها فنبهه على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحت الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره مجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعوا أن الجن كرهوا أن يتزوجها ففضى إليه بأسرامه لأنها كانت بنت جنة وقيل خافوا أن يولد لها ولد لا يتجمله ففلة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هواشذ وأظف فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شرار الساقين ورجلها كخافرا الحمار فاختر عقلها بتكثير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدا لأنها شرار ثم صرف بصره وناداهما (لأنه صرح بمردم قوارير) وقيل هي السبب في اتحاد التورة أمرها الشياطين فأتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فنوا لها سليمان وسليمان وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذاتع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوجة أمير جن اليمن أن يعطيه فبقى له المصانع ولمزل أميراً حتى مات سليمان (ظلمت نفسي) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حيث أن سليمان عليه السلام يعرفها في اللغة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام ۖ وقرئ أن أعبدوا بالضم على اتباع التوراة (الياه) (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معي ۖ السيئة العقوبة والحسنة الثوبة (فإن قلت) مامني استعظامهم بالسيرة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوفقتين إحداهما قبل الأخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يبدونها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفروا مقدرين أن الثوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فعن علي مانع عليه غناطهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم ۖ ثم قال لم حلا تستغفرون الله قبل زول العذاب (للكم ترحمون) تنبها لهم على الخطأ فيما أتوه وتجهيلا فيما اعتقدوه ۖ وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائحا

(قوله فنوا لها سليمان وسليمان وغمدان) في الصحاح سليمان قرية وفيه في فصل نصب أن العرب في نصيين ونحو كبيرين وفلسطين وسليمان ويامسين وقنشرين مذهبن أحدهما لروم والآباء وإعراب مالا ينصرف والثاني إعراب بالجمع بالياء والثالث نصباً وجراً والواو والتون ربها وفي فصل غمد غمدان قصر باليمن وفي فصل صنع المصانع الحصون (قوله) فإن فر سائحاتين) السائح ماولاك ميانته من ظني أو طائر أو غيرهما بأن يمر من ميسارك إلى ميانك والبارح ماولاك

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ

تبين وإن مر بارحاً فقام فلما نسوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أومن عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والعقوبة ومن قالوا طائر الله لا طائر لك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائر لك الذي تشاهم به وتبين فلما قالوا طائرنا بكم أي تشاهمنا وكانوا قد قسحوا (قال طائرنا عند الله) أي سببكم الذي يحرم منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرملك ويجوز أن يريد علمكم مكتوب عند الله فنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وقتة ومنه قوله طائرنا معكم وكل إنسان الزمان طائر في عقه وقرئ طعيرنا بكم على الأصل ومعنى طعير به تشام بهو طعير منه فرمته (تقتنون) تختبرون أو تعلمون أويقتنكم الشيطان بوسوته إليكم الطيرة (المدينة) الحجر . وإنما جاز تبيين التسمية بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسمية أنفس والفرق بين الرهط والفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وأومن السبعة إلى العشرة والفر من الثلاثة إلى التسعة وأما مؤمن من وهب المذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهران مصعب بن مهران كدبة عاصم بن خزيمة سبط بن صدقة سمعان بن صني فدار بن سالف ومم الذين سموا في عصر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشراهم (ولا يصلحون) يعني أن شأهم الإفساد البعث الذي لا يظبطه من الصلاح كآثر بعض المفسدين فيقدر منه بعض الصالح (تقاسموا) يحتمل أن يكون أمراً وخبراً في عمل الحال يا ضار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لبيته بالباء والياء والنون فقساموا مع النون والباء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً والتقسام والتقسم كالنظام والنظير التحالف والبيات مباغة الصدق ليل وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق النظر . وقرئ هلك بفتح الميم واللام وكسرهما من هلك وهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان (فإن قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأثروا بالخبر على خلاف الخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا أنهم إذا يتوا صالحاً ويتوا

ه قوله تعالى . لبيته وأهله ثم لقولنا لوليه ما شهدنا هلك أهله وإنما لصادقون . (قال فيه إن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأثروا بالخبر على خلاف الخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا يتوا صالحاً ويتوا أهله وجموا بين البياتين جميعاً لأحدهما كانوا صادقين وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهي ولا يخطر ببالهم ألا تراهم قتلوا نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سوا للصدق حيلة يتفصون بها من الكذب) قال أحد حيلة الزعشري لتصحيح قاعدة التحسين والتقيح بالعقل أقرب من حيلتهم التي سماها الله تعالى مكرراً لأن غرضه من تهديد حيلتهم أن يستند على صحة القاعدة المذكورة في موافقة قوم لوط عليها إذا استجبوا الكذب بعهده ولم لا بالشرع وأقربهم لذلك أولهم وهم كاذبون صريح الكذب في قولهم . ما شهدنا هلك أهله . وذلك أنهم فعلوا الأمرين ومن فعل الأمرين لجحد فعل أحدهما لم يكن في مرتبة مرة وإنما كانت الحيلة تتم لوضوئها أمراً فادعى عليهم فعل أمرين لجحدوا المجموع ومن ثم لم تختلف الملباء في أن من حلف لا أضرب زيداً فاضرب زيداً وعمرأ كان حاشاً بخلاف الخالف لا أضرب زيداً وعمرأ ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما فإن مثل هذا على خلاف الملباء في الخنث وعدمه فإذا تهد أن هؤلاء كاذبون صراحاً في قولهم ما شهدنا هلك أهله وأنه لأحلية لهم في الخلاص من الكذب فلا يتخلل أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطئون على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة مع القطع بأنها ليست حيلة ولا شبهة لقرب جحدهم من الصدق فيطلق ما قال الزعشري لإثبات قاعدة دينه على زعمه إذ قاعدة التحسين والتقيح بالعقل من قواعد عقائد القدرية بموافقة قوم غير عقلاء على صحتها فحسبه ماضى به لدينه والسلام

ميسره بأن يمر من ميامك إلى ميسرك كذا في الصحاح (قوله والبيات مباغة ليل) في الصحاح بيت الدوتوي أوقع بهم ليل والاسم البيات (قوله ليس من آيين الملوك) تقدم أيضاً أنه قيل آيين الملك مراتبه وبهاؤه كما وجد بهامش

لَقَوْلِ لَوْلِيَّ مَا شَهِدْنَا مَوْلَاكَ أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَمِمَّا لَا يَتَّبِعُونَ . فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَهُ مَكْرُهُمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَكَانَ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَحْمِلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . وَلَوْ لَطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْقَهْقِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ .
أَتَسْكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ . بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَظْهَرُونَ . فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنْ الْغَيْرِينَ .

أهل الجعرا بن الباتين ثم قالوا ما شهدنا مولاك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا الباتين جميعاً لا أحدهما
وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب في حق عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع وتواهم ولا يحيطون بالعلم الأتري أنهم قصدوا قتل
نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سؤوا للصدق في حيلة ينقصون بها عن الكذب . مكروهم ما أخوه من
تدبير الفتن بصالح عليه السلام وأهله ومكراته إلهامهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستتارة روى
أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه قالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث فصر نفرغ نؤمن
أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه فخرجنا إلى أهله فقتلناه فبعث الله صخرة من المصعب
حيالهم فادروا فطقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومه أين هم ولم يدبروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في
مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل جاءوا بالليل شامري سيقومهم وقد أرسل الله الملائكة على ديار صالح فمهم الحجارة
يروون الحجارة ولا يرون رايماً (أما دقترناهم) استضاف ومن قرأ بالفصح رفعه بدلالة من العاقبة أواخر مبتدأ محذوف تقديره
هي تدميرهم أو نصبه على معنى لا أأوهل أن أخبر كان أي كان عاقبة مكروهم الممار (خاوية) حال فعلهم فادروا على ذلك قرأ
عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف (و) اذكر (لوطاً) أو أرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه . وإذ بدل
على الأول ظرف على الثاني (أتبصرون) من بصر القلب أي تعلمون أمها فاحشة لم يسبقوا إليها وإن الله إنما خلق الآثي
لذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الآثي فهي معضادة لله في حكمته وحكمه عليكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في الفصح
والسجادة وفيه دليل على أن القيسح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم بالمسلمين وأحكم الحاكمين أو تبصرون أم بعضكم من بعض
لأنهم كانوا في بادئهم يرتكبونها معاينين بها لا يستتر بعضهم من بعض خلافة وعجاجة وانها كما في المعصية وكان أبانواس
بني على مذهبه قوله : ووج باسم مأتان وذري من الكنى . فلا خير في الذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار الصلاة عليكم وما نزلهم (فإن قلت) فسرت تبصرون بالمعنى وبمعه (بل أنت قوم تجهلون) فكيف يكونون
علماء جهلاء (قلت) أرادوا تعلمون فعل الجاهلين بآنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أرادوا الجهل بالسفاهة والمجاعة
التي كانوا عليها (فإن قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فلا طابقت الصفة الموصوف فترى بالياء
دون التاء وكذلك بل أنت قوم تتقنون (قلت) اجتمعت النية والمخاطبة فقلت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من النية
وقرأ الأعرش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن (يتظفرون) يتزهدون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل
التذر ويتفطنوا إنكارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء (قد رناها) قد رنا كونها (من التارين) كقولهم قد رنا
إنها من التارين فالتقدير واقع على القبور في المعنى . أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين

(قوله حيلة ينقصون بها عن الكذب) في الصحاح فصال الإنسان إذا تخلف من البلية والعنق . وتفصيت من الدينون إذا
خرجت منها وتخلصت (قوله صخرة من المصعب حيالهم) أي من المطر المتتابع مطرة بدمطرة وقد حياله أي إزاده وأهله
الرواؤه الصحاح (قوله ووج باسم مأتان) يروي من تهوى

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرُ
 أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبًّا أَتَى ذَاتَ بَهْجَةٍ
 مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَعْلَهُمْ اللَّهُ بِلِقَاءِ قَوْمٍ يَعِدُونَ ۝ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا

على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعلم حسن
 وتوقيف على أدب جميل ويبحث على التيمن بالذكركين والتترك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقي إلى السامعين
 وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي ينبغي السمع ولقد توارث العلماء والحطباء والوعاظ كبارهم وأدب
 الآداب فحسدوا الله عز وجل وصالوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتاح
 كل خطبة وتبهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفنون والتأني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقبل هو متصل
 بمأمله وأمر بالتمجيد على المالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياعهم التاجين وقبل هو خطاب
 للوط عليه السلام وأن يحمدا لله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من ملكتهم وعصمه من ذنوبهم
 معلوم أن لا خير فيها أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلههم وتبكت وتبكت بحالهم
 وذلك أنهم أتروا إعادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثروا على زيادة الخير ولكن هو يوجب لينها على الخطأ المفرط والجمل المورط وإضلالهم
 لم مع العلم بأنه لا خير فيها أتروا عليهم يؤثروا زيادة الخير ولكن هو يوجب لينها على الخطأ المفرط والجمل المورط وإضلالهم
 التبيين ونذمهم المغول لعلوا إن الإتيار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكمه عن فروه أم ناخير من هذا الذي هو مهيمن
 مع عليه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته ثم عذسبحاها الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وقضه كأعدها
 في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ بشر كون بالياء والثناء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنه كان إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فإن قلت) ما الفرق بين أم وأم في أم ما تشركون وأمن خلق (قلت)
 تلك متصلة لأن المعنى أجمع خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمز قلنا قال الله تعالى أنه خير أم الألهة قال بل آمن خلق السموات
 والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعرش آمن بالتخفيف ووجهه
 أن يجعل بدلا من أنه كأنه قال آمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون (فإن قلت) أي نكدة في نقل الإخبار من
 الأنبياء إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيدان بأن إنبات الخدائق المختلفة
 الأصناف والألوان والظهور والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بما وجد لا يقدر عليه إلا هو وحده لا ترى كيف رشح
 معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجراها) ومعنى الكيفية الإنباء أراد أن تأتي ذلك حال من غيره وكذلك
 قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تحطُّق رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن
 المعنى جماعة حداثت ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به (إله مع الله) أغريه يقرب به
 ويجعل شريكه لقرئ إله مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تتحقق المهرتين ونوسط بينهما مدة وتخرج
 الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل) وما يبدد بدل من أمن خلق فكان

ه قوله تعالى الله خير أمّا يشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيها أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير
 ومالكه وإنما هو إلههم وتبكت) قال أحد كلام مرضى بعد أن تضع خالق كل شيء مكان قوله خالق كل خير فإنه

(قوله فأجروا أوائل كتبهم) لعله فأجروا ذلك أوائل كتبهم (قوله والحدائق البستان عليه حائط) في الصحاح
 الحديقة كل بستان عليه حائط

أَهْرَاجًا وَجَعَلَ لَهَا رُوسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَهْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلَى أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَهْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدْرِكُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَهْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَدْعُوا
الْحَلْقَ ثُمَّ يَجِيبُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَهْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

حكهما حكمه (قرارا) دعاهما وسواها للاستقرار عليهما (حاجزا) كقوله برزخا . الضرورة الحالة المحوجة إلى العجا
والاضطرار افعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوج به مرض أو فقر أو نازلة
من نوازل الدهر إلى العجا والتضرع إلى الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجتهد وعن السدي الذي لا حول له
ولا قوة وقبل المذهب إذا استغفر (فإن قلت) قد دعاه المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكمن مضطر يدعو
فلا يجاب (قلت) الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة وأما
المضطر فتناول الجنس مطلقا يصلح لكه ولبعظه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما لإلبدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي أجابه مصلحة فبطل تناول على العموم (خلفاء الأرض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكنائها والتصرف فيها
قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط . وقرئ يذكرون بإلبد مع الإذغام وبألف مع الإذغام والحذف وما مزيدة
أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نبي التذكر والقلة تستعمل في معنى التنبؤ (يهديكم) بالنجوم في السماء والعلامات في
الأرض إذا جئ الليل عليكم مسافرين في البر والبحر . (فإن قلت) كيف قيل لم (أمن يدعو الحق ثم يعبده) وهم
منكرون للإعادة (قلت) قد أصبحت عليهم بالهتكتين من المعركة والإقرار ظم يقيم لهم عذر في الإنكار (من السماء) الماء
(و) من (الأرض) النبات (إن كنتم صادقين) أن مع الله لها فآين ذلك عليه (فإن قلت) لم رفع اسم الله والله تعالى
أن يكون ممن في السموات والأرض (قلت) جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حار يريدون ما فيها
إلا حار وكان أحدا لم يذكرو منه قوله عشية ما تفتي الرماح مكانها . ولا الليل إلا المشرق المصمم

وقوله ما أنا في زيد إلا محرو وما أنا به إلا خوانكم إلا إخوانه (فإن قلت) ما الداعي إلى اختيار المذهب التيممي على الحجازي
(قلت) دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله إلا العاقر بعد قوله ليس بها أنيس ليؤل المعنى إلى قوله
إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون النيب يعني أن عليهم النيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما
أن معنى ما في البيت إن كانت العاقر أنيسا فحقا أنيس بنا للقول بخلوها عن الأنيس (فإن قلت) فلا زعمت أن الله ممن
في السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى أن الله في الأماكن كلها فكان ذاته فيها حتى
لا تحمله على مذهب بني تميم (قلت) بآي ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم

تخصيص قدرى أو إشراك خفي والتوحيد الأبلغ ما قلناه والله سبحانه وتعالى أعلم . قوله تعالى أئن يجيب المضطر إذا
دعاه (قال إن قلت فكمن مضطر لا يجاب قلت الإجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد
إلا شارطا فيه المصلحة) قال أحد الصواب أن الإجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة وإنما تقف الإجابة على المصلحة
عند القدرة لإيجابهم على الله تعالى رعاية المصالح قول الزمخشري لا يحسن الدعاء من العبد إلا شارطا فيه المصلحة
فاسد فإن المشيئة شرط في إجابة الدعاء اتفاقا ومع ذلك انتهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعي اللهم اغفر لي إن شئت

(قوله دعت إليه نكتة سرية) له بقرينة فيكون بمعنى شريطة (قوله البيت إن كانت العاقر أنيسا) هو قول الشاعر

وبلدة ليس بها أنيس . إلا العاقر وإلا العيس

قُلْ لَا يَلْمُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُونَ هـ بَلْ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ

بعبارة واحدة حقيقة وبجازا غير صحيحة على أن قولك من في السموات والأرض وجملك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إبهام تسمية والإيهامات مزلة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يصعبا فقد غوى بشى خيطب القوم أنت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الحق ولم يطلع عليه أحدا ثلثا يأمن أحد من عبده مكره . وقبل نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمي به لكان فضلا من أن يشين ولا يصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة وقرئ بل أدرك بل إدراك بل إدراك بل تدارك بل أدرك بهمزتين بل آ أدرك بألف بينهما بل أدرك بالتخفيف والنقل بل أدرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بل أدرك بل أدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثلثا عشرة قراءة وادراك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وادرك أفضل ومعنى أدرك عليهم انتهى وتكامل وادرك تابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكمله بأن القيامة كاتمة لأرب فيه قد حصلت لم ومكتونا من معرفته وم شاكون جاهلون وهو قوله بل لم في شك منها بل لم منها عيون ه يريد المشركين من في السموات والأرض لأنهم لما كانوا في جهنم نسب فعلهم إلى الجميع كأي ل بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم (فإن قلت) إن الآية سبقت باختصاص الله يعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشئ منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جلة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لأم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتفكير من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذى يكون فيه وكان هذا بيانا لمعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم مجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذى لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به . والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم وتكمله تنكم بهم كاقول لأجهل الناس ما أعلك على سبيل المفز وذلك حيث شكوا وعما عن إثباته الذى الطريق إلى علمه مسلك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذى لا طريق إلى معرفته وفي أدرك عليهم وادراك عليهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وقى من قولك أدركت الفرة لأن تلك غابتها التى عندها تعدم وقد فسره الحسن رضى الله عنه باضطلع عليهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تابعوها في الهلاك (فإن قلت) فواجهه قراءة من قرأ بل أدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك عليهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم إلى بمعنى بل والهمزة (فإن قلت) فن قرأ بل أدرك وبل أدرك (قلت) لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بل يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك عليهم في الآخرة على سبيل التكم الذى معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قد شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بل أدرك على الاستفهام فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم أنكر عليهم بكونها وإذا أنكر عليهم بكونها لم يتصل لم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (في الآخرة) في شأن الآخرة ومعناها (فإن قلت) هذه الاضطرابات الثلاث ما منها ما هو ما هو الإنزال لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كاتمة ثم بأنهم يخطون في شك ومرية فلا يزيلون والإزالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره آمون من سماع بها وهو جائم لا يخصص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو المسمى وأن يكون مثل البيسة قد عكفهم على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدعاهم ومنشأه فلذلك هداه بمن دون من لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهايم لا يشعرون

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَدَّكُنَّا تَرَبًّا وَعَابًا تُنَاجُونَ . وَقَدْ
وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَعَابًا وَنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الْفَاجِرِينَ . وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِمَّا مِنْ غَاثِيَةِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ . إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

ولا يتصورون . العامل فيه إذا مادل عليه أننا نخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي حمزة
الاستهزام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد الاخراج من الأرض أو من حال الفناء
إلى الحياة وتكرر حرف الاستهزام بأدعائه على إذا وإن جميعا لإنكار على إنكار وجود غيب وجود دليل على كفر مؤكدة
مبالغ فيه والضمير في إنهم ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد نالهم وآبائهم . (فإن قلت) قدم في هذه الآية هذا على نحن وآبائنا وفي
آية أخرى قدم نحن وآبائنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وإن الكلام إنما سبق لأجله في
إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البحث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد . لم تلحق علامة
التأييد بفعل العاقبة لأن تأنيدها غير حقيق . ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم . وأراد بالجرمين الكافرين وإنما عر عن الكفر بلفظ
الإجرام ليكون لعل للسليين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الأثرى إلى قوله فقدم عليهم بهم ذنبهم وقوله ما خطبائهم
أغفروا (ولا تحزن عليهم) لأنهم لم يبقوا ولم يسلبوا فليسوا وهم قومه قريش كقوله تعالى فطلك باع نفسك على
آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (في ضيق) في حرج صدر من مكرم وكبدك لك ولا تبال بذلك فإن الله يصممك
من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما الضيق أيضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا
حرجا قرئ مخففا ومثقالا ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرم . استعجلوا العذاب الموعود فقبل لهم (عسى أن يكون)
ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام
نحوذنا لكم وآزف لكم ومعناه تبكم ولحفكم وقد عدى بن قال فلما ردنا من غير وجهه . تولوا سراعا والمنية تعنى
يبنى دوننا من حمير . قرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لفتان والكسر أفصح وهى ولعل وسوف في وعد
المالك ووعدهم يدل على صدق الأمر وجدهم مالا مجال للشك بعده وإنما يمتنون بذلك لإظهار وقارهم وأنهم لا يمتطون
بالانتقام لإدلائهم بقهرهم وغلبتهم ووقوفهم أن عدوهم لا يفتوهم وأن الرمة إلى الأغراض كافية من جهتهم فلى ذلك
جرى وعد الله ووعده . الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير
العقوبة وأنه لا يماجلهم بها . وأكثرم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم يجهلهم يستعجلون وقوع العقاب
وهم قريش . قرئ نكن يقال كنت الشيء وأكنته إذا سترته وأخفيه يبنى أنه يعلم ما يخفون وما يملون من عدواة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه . سعى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت

(قوله اسم الفاعل فيه عقابا) لعله اسم المفعول وعقابا جمع عقبة أفاده الصراح وعبارة النسب لأن اسم الفاعل
والمفعول بعد حمزة الاستهزام أو أن أولام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن
(قوله تولوا سراعا والمنية تعنى) في الصراح العنى ضرب من سير اللوات

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۚ قَوْلُكَ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ۚ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أَدْبَرِينَ ۚ وَمَا أَنتَ بِهْدَىٰ الْعَمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۚ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنْ

الثاء فيها بمنزلة في العافية والمأقية ونظائرهما الطيحة والريحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتأوهما للبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شيء شديد القيوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأنه في الروح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ۚ فداخلفوا في المسيح فحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لمن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (المؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فإن قلت) مامعني يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد تضاده (العلم) بمن يقضي له ومن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العلم بالفصل بينهم وبين المخفيين ۚ أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأهله الدين وعل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبصرته وأن مثله لا يخذل (فإن قلت) (إنك لا تسمع الموتى) يشبه أن يكون تمليلا آخر للتوكل فوجه ذلك (قلت) وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسيا عما كان يفيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشيع ذلك بالأذى والمداوة فلام ذلك أن يمل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يس منه فربق إلا الاستصار عليهم لعداوتهم واستكفاه شروهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الخواص لأنهم إذا سمعوا ما ينال عليهم من آيات الله فكأنوا أفعاع القول لأنهم آذانهم وكان سمعهم كلاسع كانت حالم لا تنفاه جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينقص بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن يزرع ذلك منهم وأن يجعلهم هداه بصراء إلا الله عز وجل (فإن قلت) مامعني قوله (إذا ولوا مدبرين) (قلت) هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولى عنه مدبرا كأن أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمى على الأصل وتهدى العمى وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمى وهداه عن الضلال كقولك سقاء عن البعثة أى أبهدها بالسق وأبهده عن الضلال بالمهدي (إن تسمع) أى ما يهدى إسماعك لإعلى الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أى يصدقون بها (فهم مسلمون) أى غلضون من قوله لى من أسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له معنى القول وموداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والذاب ووقعه حصوله والمراد مشاركة الساعة وظهور أشراتها وحين لاتنفع التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا ينفيتها هارب وروى لها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن إبل وعق نعامه وصدر أسدولون نمر وغاصرة قهر وذنب كبش وخف بعير وما بين المقتولين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروى لا تخفرح إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة

(قوله سقاء عن البعثة) أى شبهة الثور كافي الصحاح (قوله ورأسها يبلغ عنان السماء) في الصحاح : أعنان السماء صفحاها وما اعترض من أقطارها كأنه جمع عنن والمائة قول عنان السماء

الْأَرْضُ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۚ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا
فَهُمْ يَوْرَعُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَ كَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَامًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ وَوَقَّعَ

أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلاثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى العين ثم تسكن ثم تخرج بالبادية ثم تسكن دهرًا طويلاً فينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دارني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد تقوم يهربون وقوم ينفون فظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلك فتقول (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول أاللمنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم بيلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الصام ثم العين فتصل مثل ذلك وروى تخرج من أجناد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ اضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسمى فتخرج الدابة من الصفا ومعه عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أوفيا بين عينيه بمصا موسى عليه السلام فتسكت نكتة بيضاء تغشوا تلك النكتة في وجهه حتى يضي لها وجهه أو تفترق وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم في أنه تغشوا النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالصفا وتحمل أقب الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يافلان أنت من أهل الجنة يافلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالصفا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكبير يقال فلان مكلم أي جرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التخرج كما فسر لثرفته براءة على رضي الله عنه لثرفته وأن يستدل براءة أبي تبنهم وبراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بأن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فإن قلت) إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول آياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرها عنده وأنها من خواص خلقه أضاف آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعل حذف الجار أي تكلمهم بأن (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبروا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعدا طرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والريد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يمشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للبيض والثانية للثنيين كقوله من الأوئان ه الأوئال للحال كأنه قال أ كذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو اللطف أي أجدنوها ومع وجودكم لم تلقوا أذهانكم لتحقها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يمسح أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويفهم مضامينه ويحيط بمبانيه (أم تأنذا كنتم تعملون) بها للبيات لا غير ذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدر أن يكذبوا وقولوا قد صدقنا وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته وروى سوء أناكل نعمي أم تأنذا تعمل بها فتجعل ما تريد ويجمعله

(قوله بلسان ذلك) أي طلق كافى الصحاح (قوله تخرج من أجناد) جبل بمكة سمي بذلك لموضع خيل تبع وسمي قبيعان لموضع سلاحه

الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فهُمْ لَا يَنْظِقُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لَيْسَ كُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ قَهْرَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنفَةٍ دَاخِرٌ ۝ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبًا جَامِدَةً وَهِيَ ثَمَرٌ مِّمَّا السَّحَابُ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهُمْ مَن فُزِعَ يَوْمَئِذٍ ۝ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

أصل كلامك وأساسه هو الذي صحّ عندك من أكله وفساده وترى بقوله أم ماذا تعمل بها مع عليك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لثبته وتعلمه عليك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والإصلاح لما شمر من خلاف ذلك أو أراد أن ما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كهيم في النار ثم يكون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود ينشأ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار بكفوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ۝ جعل الإبصار للنهار وهو لأمه (فإن قلت) ما للفتايل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرأ حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرأ ليصروا فيه طرق القلب في المكاسب (فإن قلت) لم قيل (فزع) دون فيفزع (قلت) لسكنة وهي الإشمار بنطق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصمقون (إلا من شاء الله) لإيمان ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وهم الضحاك المحور وخزنة النار وحمل العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لأنه صمق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصمق من في السموات ومن في الأرض لإيمان شامله ۝ وقرئ أنوه وأناه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جمد في مكانه إذا لم يرح ۝ تجمع الجبال قسيرا كما تسير الريح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد (وهي تبرز) مراً حيثما كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تدرك حركتها كإقال الثانية في صفة جيش

بأرض مثل الطود تحسب أنهم ۝ وقوف لحاج والزكاب تملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصيغة الله إلا أن مؤكده عطفوه وهو الاسباب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أناب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أفتها وأقن بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذي أفتن كل شيء) يعني أن مقابلته الحسنات بالتواب والسنة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإقنائه لها وإجرائه لها على قضايها الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لحص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضخاده ورصانة تفسيره

(قوله لثبته وتعلمه عليك) تدمشه وتحيره (قوله والزكاب تملج) في الصمحاء المملج من البراذين واحد المالبج ومشيها المملجة فارسي مرعب (قوله ومكانة إضخاده ورصانة تفسيره) الذي في الصمحاء ضد الجرح يضمد ضد شدة بعصاة وفيه الرصين المحكم الثابت وقدرصن بالضم ورصانة

فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

وأخذ بعضه بحجرة بعض كأنما أفرغ إفرافاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقائق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحة والمنادى على سعادته وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كانت الأثرى إلى قوله صنع الله وصية الله ووعده الله وضطرته الله بعدما وسعها بإضافتها إليه بسملة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أنشأ كل شيء ومن أحسن من الله صفة لا يخلط الله المبدأ لا بتبدل الخلق الله . وقرئ فعملون على الخطاب (فله خير منها) يريد الإيضاف وأن العمل يقتضى والثواب يدرم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل لله خير منها أى له خير حاصل من جهتها وهوالجنة ، وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة . وقرئ يوعظ مفتوحاً مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن (قوله وأخرس الشقائق) في الصحاح شقق الفعل شققته مفرق وإذا قالوا الخطيب ذو شققته فإما يشبه بالفعل ومنصوب مع ترويض فروع (فإن قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان الحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدور هباب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إغزاز وتكرمة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب (فإن قلت) فنقرأ من فروع ناترين مامعناه (قلت) يحتمل معنيين من فروع واحد هو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من التيبس والرعب لما يرى من الأمور والمظالم فلا يخلو منه لأن البشرية تقتضى ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فروع شديد مفرط الشدة لا يكتفيه الوصف وهو خوف النار أنه بعدى بالجازز وبفسه كقوله تعالى فأمنوا مكرهه . وقيل السيرة الإشراف ، يعبر عن الخلة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبروا في النار كقوله تعالى فكبروا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوحوه إيفاداً بأنهم يكون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لم عند الكذب بإضمار القول = أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أحضر الله وحده بالبادئة ولا تغذله شريكاً كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله لو أتبع ما يوحى إليك . والبلدة مكة حرمها الله تعالى اختصاصاً من بين سائر البلاد بإضافة اسمها إليها لأنها أحب بلادها إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجرة قلا بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولأن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها الإشارة تعظيم لما وقرب دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه وصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محزمة لا يتركها حرمها إلا ظالم مضاد لربه ومن ردفه بالحاد بظلم نذقه من عذاب الألم لا يمتلئ خلاها ولا يمتدحجرها ولا يفر صيدها واللاجئ إليها آمن . وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وفي ذلك إشارة إلى أن ملكها ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء .

ه قوله تعالى إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ . (قال فيه المراد بالبلدة مكة وإضافة اسم الله تعالى إليها لتعريفها وذكر تحريمها لأنه أخص أوصافها وأسند إلى ذاته تأكيداً لتعريفها ثم قال وله كل شيء لجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة العظيمة وفي ذلك إشارة إلى أن ملكها ملك هذه البلدة المكرمة وملك إليها كل شيء . إنه لعظيم الشأن) قال أحد وتحت قوله وله كل شيء قاعدة أخرى سوى ذلك وهي أنه لما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة تشرافاً لما أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعاً لنوم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها

(قوله وأخرس الشقائق) في الصحاح شقق الفعل شققته : مفرق . وإذا قالوا الخطيب ذو شققته فإما يشبه بالفعل (قوله بصدور هباب وقلب وجاب) في الصحاح وجب القلب وجياً اضطرب (قوله قلا بلغ الحزورة استقبلها) تل صغير كما في الصحاح (قوله لا يمتلئ خلاها) أى لا يجز حشيتها ولا يقطع شجرها

وَمَنْ ضَلَّ قُلٌّ لِّإِمَّا أَمَّا مِنَ الْمُنْذِرِينَ . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَتِكُمْ ءَايَتِهِ فَمَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ .

سورة القصص مكية

إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النحل
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طَسَمَ . تِلْكَ ءَايَتُ الْكُتُبِ الْمُبِينِ . نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْعِي ابْنَ أُمَّ

اللهم بارك لنا في سكاها وآنسا فيها شر كل ذي شر ولا تقننا من جوار بينك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حزمها راتل عليهم
هذا القرآن عن أبي أناتل من ابن مسعود (فراحتدى) باتباعه إياي فبأن يصدده من توحيد الله نبي الانداعده والدخول
في الملة الخفية واتباع ما أنزل على من الوحي فنفعة امتداته راجعة إليه لا إلى (ومن ضلّ) ولم يتبعني فلاحى وما أنا إلا رسول
منذرو وما على الرسول إلا البلاغ . ثم أمره أن يحمده الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهذأ أعداده بما
سيرهم الله من آياته التي تلجهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تفهم المعرفة بنى في الآخرة . عن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانفثاق القمر وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سريهم آياتا في الآفاق وفي أنفسهم
الآية . وكل عمل يعملونه قاله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان في عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين
قرئ تملكون بالياء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من
صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لإلهه إلا الله

(سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (من نبأ موسى وفرعون) مفعول تتلواى تتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقق كقوله
تابت البدن (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علينا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم (إن فرعون) جملة
مستأنفة كال تفسير للجمال كأن قاتل قاتل وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (علا في الأرض) بنى أرض مملكته قطنى
فيها وجاوز الحد في الظلم والصف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريدو يطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الأعشى
وبلدة يربح الجواب دلجتها . حتى تراه عليها يتبنى الشيعة

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يتخسر صنفاً في بناء وصنفاً في حرث وصنفاً في حفر ومن لم
يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقطيع . والطائفة المستضعفة بنو
إسرائيل . وسبب ذبح الأبناء أن كانها قال له يولد مولود في بنى إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على

وتنبها على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لآلهام ملك الله تعالى خاصة والله أعلم . قوله تعالى . وما ربك بظالم
عما تعملون . (قال فيه لأن العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جحد صفة العلم وإلزام أن سلبها داخل
في تنزيه الله تعالى لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه ممثلة بأنه عالم بالذات لا بد له والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى لأن عليه
لا يوزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض بل هو علم قديم أزلى عام التعلق بجميع الراجبات والممكنات والمحتتمات
ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكاله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وَيَسْتَحْيِ نَسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَرِيدُ أَنْ تَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَمْعُهُمْ أُمَّةٌ
وَجَمْعُهُمُ الْوَرِثِينَ ۚ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَزَيَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَثُرُوا بَخْرُودُونَ ۚ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالَتْهُ فِي اللَّيْلِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۚ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَجُنُودَهُمَا

ثخانة حق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فواجه القتل (ويستضعف) حال من الضمير
في وجعل أو صفة لشيء أو كلام مستأنف (وريد) بدل من يستضعف وقوله (إنه كان من المفسدين) بيان أن القتل
ما كان إلا فعل المفسدين حسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (فإن قلت) علام عطف قوله (وريد
أن تمن) وعطفه على تنويع ويستضعف غير سديد (قلت) هي جملة مطبوعة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيراً لنبا موسى وفرعون واقتصاهاه وزيد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالاً من يستضعف
أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن تمن عليهم (فإن قلت) كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد
الله شيئاً كان ولم يتوقف إلى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلصهم من فرعون قرية الوقوع جعلت إرادة
وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أمة) مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة إلى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاية كقوله تعالى وجعلكم
ملوكاً (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له إذا جعل له مكاناً يقعد عليه أو يرد فوطأه
ومهد ونظيره أرض له ومعنى التمكن لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنوبهم ولا تفوت
عليهم كما كانت في أيام الجبارة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم (وقرى) ويرى فرعون وهامان وجنودهما أي يرون
(منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدمولود منهم (البحر قيل هو نيل مصر (فإن قلت) ما المراد
بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن
يسمع الجيران صوته فيمنوا عليه وأما الثاني فالخوف عليه من الفرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العميون المشبوهة من قبل
فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف (فإن قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق
الإنسان لتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإحباط به فنيته عنهما جميعاً وأومت بالوحى إليها ووعدت
ما يسلبها ويطمأن قلبها ويملأها غبطة وسروراً وهو رده إليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح في طلب موسى عليه
السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربرت وضربها الطلق وكانت بعض القوالب الموكلات بجبالى بنى إسرائيل
مصافية لها فقالت لها ليغنى حيك اليوم فاجلجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتشم كل مفصل
منها ودخل حبه قلباً ثم قالت ما جئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حياً ما وجدت مثله
فاحتفظ به فلما خرجت جاء عيون فرعون فلقته في خرقة ووضعته في تنور مسجور ثم تعلم ما صنع لما طاش من عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهي لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً
وسلاماً فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها فآلقته في النهر وقدرى أنها أرضعت ثلاثة أشهر في تابوت من بردى
مطلى بالقار من داخله (اللام في (ليكون) هي لام كى التي معناها التعليل كقولك جئتكم لتكرمنى سواء لمكن معنى التعليل

(قوله لا تنوبهم ولا تفوت عليهم) أي ولا تفسد وتردوا أفاده الصحاح (قوله ووضعته في تنور مسجور) في الصحاح التنور الذي يخبز
فيه وفيه أيضاً جرت التنور بجراً إذا حيت (قوله تابوت من بردى) مطلى بالقار في الصحاح البردى بالفتح نبات معروف فليظفر

كَانُوا خَاطِئِينَ . وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَأَصْحَبَ قَوَادِمُ مُوسَىٰ قِرَاعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَّتَكُونُ مِن

فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعهم إلى الانقطاع أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطع له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الأكرام الذي هو نتيجة المحبة . والتأديب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته لتأديب وتجريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كالاستمرار الأسد لمن يشبه الأسد . وقرئ وحزنا وحما لفتان كالسدم والعدم (كانوا خاطئين) في كل شيء فليس خطئهم فترية عدوم يديع منهم أو كانوا مذبذبين غير معين ضائقهم الله بأن ربي عدوم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطئين تخفيف خاطئين أو خاطئين الصواب إلى الخطأ . روى أنهم حين التقطوا التابوت طالعوا افتحه فلم يقدروا عليه فمالجوا كسره فأعياهم فدفنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فمالجته فتفتحه فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمس إبهامه لبنا فأجوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأملاء لاتبنا إلامن قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان درأوها برقه فطلعت البرصاء برصها برقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطشهم عليه فقال الفؤاد من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك ضالت آسية (قرة عين لي ولك) فقال فرعون لك لالي وروى في حديث لوقال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما دعاها وهذا على سبيل الغرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولا سلم كما أسدت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبراً ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فإن فيه غايلتين ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبره البرصاء ولعلها توسعت في سياه النجاسة المؤذنة بكونه نفاعاً أو تبتناه فإنه أهل للتبني ولأن يكون ولما لبعض الملوك (فإن قلت) (وهم لا يشعرون) حال فاذا رحلها (قلت) ذوالها آل فرعون وتقدير الكلام فأنقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطع ورجاء النفع منه وتبني وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المراض يعلم عاين النظم (فارغا) صغراً من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدمش ونحوه قوله تعالى وأقننهم هواه أي جوف لاعتول فيها ومته بيت حسان ألا أبلغ أباسفيا نى . فأتت بجوف نجب هواه وذلك أن القلوب مراكز العقول الأثرى إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون هاويلد عليه قراءة من قرأ وفرغا وقرئ قرغا أي خاليا من قولهم أعز باقة من صفر الإناه وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني يطل قلبها وذهب وذهب وبقيت لألقب لها من شدة ماورد عليها (لتبدي به) لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولها (لولا أن ربنا على قلبها) بإلهام الصبر كما يربط على الصبي المنفلت ليقر ويعلمن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين

(قوله برصاء برقه فبرأت) في الصحاح برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصبح فلان بارئا من مرضه (قوله من صفر الإناه وقرع الفناء) صفر الإناه خلوه مصدر صفر الشيء بالكسر أي خلا وقرع الفناء خلوه من الغاشية مصدر قرع بالكسر أي خلا (قوله لتصحر به والضمير لموسى) في الصحاح أصح الرجل أي خرج إلى الصحراء والمراد هنا تجبر به ولا تنكتم أمره

الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ فَصِّ بَصُرَتِ بِهِ عَنْ جَنْبٍ ۖ وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ ۚ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ۚ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

بوعده الله وهو قوله إن أرادوه اليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتباه إن كادت تجدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبا وسكتا قلعه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواقفين بوعده الله لابنني فرعون ونقطعه ۚ وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها همزت كانهز واو وجوه (قصه) اتى أثره وتبى خبره ۚ وقرئ فصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنبه بمعنى عن بعد ۚ وقرئ عن جانب وعن جنب والجانب الجانب يقال قصد إلى جنبه وإلى جانبه أى نظرت إليه مزورة متخافتة مخافة ۚ وهم لا يحسبون بأنها أخته وكان اسمها مريم التحريم استمارة للنسب لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه الاترى إلى قولهم محظور وحجر وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى أهمهم ذلك ۚ والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل فصفا أثره ۚ روى أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال همام إنها تعرف أمه فقالت إنما أردت وهم الملك ناصحون والصبح إخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم لحمايت بها والصبي على يد فرعون يطلب شفقة عليه وهو يبيى يطلب الرضاع حين وجد ربحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه قد أن كل ثدى للإبدك قالت إني امرأة طيبة الرج طيبة اللين لأرقى يصي إلا قبلي فدفعه إليها وأجرى عليها وذبحت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فندما ثبت واستقر في عليها أن سيكون نيا ذلك قوله (ولعلم أن وعدها حق) يريد وليت عليها ويتمكن (فإن قلت) كيف حل لها أن تأخذ الأجر على رضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حرق كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت عليها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى لجزعت وأصبح فؤادها فارغا يروى أنها حين ألفت التابوت في ألم جاءها الشيطان فقال لها يائمه موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجرى ثم ذبحت فتوليت قتله فلما أتتها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد المدق فنفيت وعده الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله وتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الدينى وهو عليها بصدق وعده الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلى الذى ماسواه تبع له من قوة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذى لا يرد عليه كما قال لقيط واستعملوا أمرهم فقه دركو ۚ شذر الميرة لاقعها ولاضرا

(القول في سورة القصص)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه روى أنهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت إنما أردت وهم الملك فرعون ناصحون مخلص من التهمة) قال أحمد أورث هذه التورية استحسانا لفظتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبي لحقيق لها ذلك

(قوله مزورة متخافتة مخافة) أى مائلة ومخافة أى مخافة فاده الصالح (قوله شذر الميرة لاقعها ولاضرا) الشذر من الفتل ما كان إلى فوق خلاف دور المنزل والميرة الغريمة والقسم الذى يرى بنفسه فى الأمر من غير روية والضرع

وَكَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا ۖ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۖ قَالَ رَبِّ ائِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْجَنَّةِ ۖ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَنْصَرِحُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ ۖ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لهُمَا قَالَ بسمو

وذلك أربعون سنة وروى أنه لم يمض نبي إلا على رأس أربعين سنة ۖ العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء ستمهم قال الله تعالى ۖ واذكرنا ما ينل في يوتكن من آيات الله والحكمة ۖ وقيل معناه آتياه سيرة الحكماء العلماء وستهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستعمل فيه ۖ المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر ۖ وحين غفلتهم ما بين العشارين وقيل وقت القافلة وقيل يوم عيد لهم ۖ مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأغافه فلا يدخل قرية إلا هلى تغفل ۖ وقرأ سيوبه فاستغاه (من شيعته) بمن شايه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري (من عدوه) من مخالفه من القبط وهو قاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لخل الحطب إلى مطبخ فرعون ۖ والوكر الدفع بأطراف الأصابع وقيل يجمع الكف وقرأ ابن مسعود فذكره باللام (فقضى عليه) قتلته (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنباً يستغفر منه عن ابن جريج ليس لشيء أن يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت على) يجوز أن يكون قصداً لجوابه بخلاف تقديره أقسم يا نعمتك على بالمغفرة لأتوب (فلن أكون ظهيراً للجنة) وأن يكون استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون إن عصمتي ظهيراً للجنة وأراد بمظاهرة المجرمين إما محبة فرعون وانظامه في جهته وتكثيره سواده حيث كان يركب ركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهره إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن قاتل به مرة أخرى يعني لم يقتل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا عن عطاء أن رجلاً قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يمدو رذقه قال فن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الطلبة وأشباه الطلبة وأعوان الطلبة حتى من لاق لهم دواء أو برى لهم فلما فيجسمون في تابوت من حديد فيرى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت على من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أو لئلا تملك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطاً يغب أحداً من بني إسرائيل (يترب) المكروه وهو الاستفادة منه أو الإخبار وما يقال فيه ۖ ووصف الإسرائيلي بالثي لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر ۖ وقرئ يطش بالضم ۖ والذي هو عدو لها القبط لأنه ليس على دينها ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل ۖ والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في المواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أدنى

قوله تعالى قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للجنة (قال أحمد) لقد تبرا من عظيم لأن ظهير المجرمين شركهم فيما هم بصدده وروى أنه يقال يوم القيامة أين الطلبة وأعوان الطلبة فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليفة أو برى لهم فلما فيجسمون في تابوت من حديد ويأتي بهم في النار

أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَفَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَمَا مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرَّعَاءُ ۝ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَزَلْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءَ

على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقى إلى فرعون وسرا بفته ۝ قبل الرجل مؤمن آل فرعون وكابن عم فرعون و (يسى) يجرز ارتفاعه وصفاً لرجل واتصافه حاله أنه قد تخصص بأب وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة لجاء لم يجرز في يسى إلا الوصف ۝ والانتشار التشاور يقال الرجلان يتأمران ويتأمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر والمثنى يتشاورون بسبك (لك) بيان وليس بصلة الصاحين (يتربق) التعرض له في الطريق أو أن يلقى (تلقاء مدن) قصدها ونحوها ومدن قرية شبيب عليه السلام سميت بمدن بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف إليها طريق قال ابن عباس ۝ لا يعلم بالطريق إلا الحسن ظنه بربه و (سواء السبيل) وسطه ومعظم هججه وقبل ج مايا ۝ يش ۝ و وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس يده عزرا فاطلق به إلى مدني (مدني) مادم إحدى بضم منه وكان برأ فبا روى ۝ ووروده مجيء والوصول إليه (ويجد عليه) وجد فوق شيعره وسمته جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم ۝ والنود الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تنكرهان المزاحة على الماء وقيل لئلا تخاطب أغنامهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسخرهما (ماخطبكما) ما شأنكما وحقيقته ماخطوبكما أى مطلوبكما من الزيادة فسمى المخطوب خطبا كما سمي المشؤن شأناً في قولك ما شأنك يقال شأنات شابه أى قصدت قصده وقرئ لانسقي ويصدر والرعاء يضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرعال والشاة وأما الرعاء بالكسر فقياس كهيام وقيام (كبير السن) فسق لهما فسق غنهما لأجلهما وروى أن الرعاء كان يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فألقه وحده وروى أنه سألهم دلواً من ماء فأعطوه دلوم وقالوا استق بها وكانت لا يترها إلا أربعون فاستق بها وصحبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنهما وأصدرهما وروى أنه دفعهن عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت برأ أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغانة للبهوف والمثنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحم عليه أمة من أناس مختلفة متكافة العدد ورأى الضعيفين من ورائهم مع غنمتهما مترقبين لفراغهم فما أخطأت منه في دين الله تلك العرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في مائة الفطرة ورصانة الجلبة وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان

(قوله لانسقي ويصدر والرعاء يضم النون والياء والراء) يفيد أن القراءة المشهورة بفتح النون والياء وكسر الراء، والرخال واحده وغل وهو الأنثى من ولد الضأن والاء عقاب ناعير ونحوه من جبل شتى كذا في الصحاح

قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ

به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير ولتهياز فرصة وبعت على الاقتداء في ذلك الصالحين والاختذ بهيرم ومناهم (فإن قلت) لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتودان ولا نسق (قلت) لأن الغرض هو الفعل لا المفعول لا ترى أنه إنما جرحهما لأيهما كانا على الدبادوم على السقي ولم يرحمهما لأن مفودهما غنم ومسيقهم إبل مثلاً وكذلك قولها لا نسق حتى يصدر الرعاء المقصود به السقي (فإن قلت) كيف طابق جوابهما ساقى الله (قلت) سألها عن سبب الندود فالتا السبب في ذلك أنها امرأتان ضعيفتان مستورتان لا تقدر على مساجلة الرجال وموآتهم فلا بد لهما من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لرجال يقوم بذلك وأبو ناسخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابنتا إليه عزمها في توليها السقي بأنفسهما (فإن قلت) كيف ساق لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنته بسقى الماشية (قلت) الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا ياباه وأما المرأة فالتاس مختلفون في ذلك والمادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة (إنى) لاى شيء (أنزلت إلى) قبل أو كثير غث أو سمين (للفقير) وإنما عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تترامى في بطنه من المزال مسائل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد (إنى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحاً به وشكراً له وكان الظل ظل سحرة (على استحياء) في موضع الحال أى مستحبة متخففة وقيل قد استترت بكم درعها روى أنها لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قان دما ما أنجسناك فاك وجدما رجلا صالحا رحما فسقى لما فقال لإحداهما اذهبي فادعيني فقبعتها موسى فألقت الريح ثوبها فبجسدها فوصفت فقال لها امشي خلفي وانقولى الطريق لما تصل علي قصته قاله لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فإن قلت) كيف ساق لموسى أن يعمل بقول امرأة وإن يمشى معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرّاً كان أو عبداً ذكرنا كان أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا لاضرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه وأما معاشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظرنا تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فإن قلت) كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إعطاهم شعيب وإحسانه لاعلى سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل التقبل المعروف مبتدأ وكيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يعقوب ويكرم خصوصاً في دارني من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفضل ذلك لاضطرار المعبر والنافع طلباً للأجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الدعاء امتنع قال إنا أهل بيت لا نبيع دينا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من يزل بنا وعن عطاه ابن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك والقصص مصدر كالمثل سقى به المقصود به كبراهما كانت تسمى صفراء

(قوله وتذردان لا نسق) لعل هنا سقطاً تقديره فسقى لهما وعبرة النسق لا نسق (قوله لا تقدر على مساجلة الرجال) في الصحاح السجل الدلو إذا كان فيه مامو المساجلة المفاخرة بأن تصنع مثل صنعه في جرى أو سقى وأصله من الدلو اه (قوله ابنتا إليه عزمها) لعله تحريف وأصله أبدنا كبراءة النسق (قوله غث أو سمين لفقير) أى مهزول كذا في الصحاح والمراد ردى أو جيد (قوله أى مستحبة متخففة) الحفر شدة الحياة ومنه جارية خفزة ومتخففة كذا في الصحاح (قوله وأغنامها حفل بطان) في الصحاح ضرع حافل أى متلى لبنا وفيه بطن بالكسر يبطن بطناً عظم بطنه من الشبع (قوله لا نبيع دينا بطلاع الأرض ذهباً) في الصحاح طلاع الشيء ملؤه

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَىٰ اسْتَجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مِّنْ اسْتَجْرَتِ الْقَوَى الْأَمِينُ ۚ قَالَ إِنِّي أُبِدُّكَ
أُنْكَحُكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا قَبْلَ عِنْدِكَ وَمَا أُبِدُّ أَنْ

والصفراء صفراء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها ۚ وعن ابن عباس أن
شعباً أحفظه النفرة فقال وماعليك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حين بلغته
رسائله وأمرها بالثني خلفه وقولها (إن خير من استأجرت القوى الأمين) كلام حكيم جامع لا يرد عليه لأنه إذا
اجتمعت هاتان الخلفتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ مالك ونهم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا
الكلام الذي سباقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته (فإن قلت) كيف جعل خير من استأجرت
اسماً لأن والقوى الأمين خبراً (قلت) هو مثل قوله (الإن خير الناس جوارها) كما أسير تقيف عندهم في السلاسل
في أن العناية هي سبب التقديم وقد صفت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماء ورود الفعل لفظاً بالمعنى للدلالة على أنه
أمر قد جرب يعرف ومنه قوله (أومن ما أعلمت لسان من) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفس الناس ثلاثة بنت شبيب وصاحب
يوسف في قوله هي أن ينفعلوا أو يكر في عمروى أنه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما (تأجرت) من
أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أوتته إذا كنت له أباً (ثماني حجج) ظرفه أو من أجرته كذا إذا أنبت إياه ومنه تعزية
رسول الله صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم ثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج (فإن قلت) كيف صح
أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمين (قلت) لم يكن ذلك عقداً للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان
عقداً لقال قد أنكحتك ولعل إلى أنكحك (فإن قلت) فكيف صح أن يمر بها إجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد
من تسليم ما هو مال الأتري إلى أبي حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يتقدمها سنة ويجوز أن يتزوجها بأن يتقدمها
عبد سنة أو يسكنها داره سنة لأنه في الأول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد أو الفار (قلت)
الأمر على المذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال الخدمية إذا كان المستأجر له

ۚ قوله تعالى قالت إحداها يابى استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين (قال فيه هذا الكلام حكيم جامع
لا يرد عليه لأنه إذا اجتمعت القوة والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالاك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي
ساقه سياق المثل والحكم من أن تقول فإنه قوى أمين) قال أحمد وهو أيضاً أجل في مدح النساء للرجال من المدح
الخاص وأبقى للخدمة وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها عليه السلام أن يزوجهما ومنه ما أحسن ما أخذ الفاروق
رضي الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى في مضمون هذه الشكاية سؤال الله
تعالى أن ينصف بين جمع الوصفين فكان قويا آميناً يستعين به على ما كان يصدهد رضي الله عنه وهذا الإيهام من آية شبيب
صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان ما بين الحياء المجبول والمستعمل ليس
التكحل في البين كالكل حيث قالت لسيدها ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم وهي تسمى ما جزاء
يوسف بما أراد من سوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذاباً أليماً ولكنها أوصت زوجها الحيامن الفخر أن تطبق بالعصمة منسوباً
إليها الخ إذاً بأن هذا الحيامن الذي يمنها أن تطبق بهذا الأمر يمنها من مرادة يوسف بطريق الأخرى والأولى والله أعلم
ۚ قوله تعالى على أن تأجرتني ثمانى حجج (قلت من مذهب أبي حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على
مثل خدمة عبده سنة وفرق بأنه في الأول سلم نفسه وليس بمال وفي الثانية سلم عبده وهو مال وتقل عن الشافعي جواز

(قوله إن شعباً أحفظه النفرة) أي أغضبته كافى الصراح (قوله أومن ما أعلمت لسان من) في الصراح تخفيف من الشيء
وأغضبته منه إذا تيرأت منه اه ظلم من اسم فاعل من أغضبته (قوله ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه) ومواصفة

أَشَقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نُقُولُ وَكِيلٌ ۚ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۚ قَالَ لِأَهْلِهِ

أراخذوم فيه أمراً معلوماً ولعل ذلك كان جائزاً في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئاً آخر وإنما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المقدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالبيعة على معنى إني أقبل هذا إذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقبة ويجوز أن يستأجره لبيعة ثمانين سنين بمبلغ معلوم يوفيه إياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فإن أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فإتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لأن عندى يعنى لا أزمك ولا أحتمه عليك ولكل ذلك إن فعلته فهو منك فضل تبرع وإلا فلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بإلزام أتم الأجلين ! بحاجه (فإن قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر (قلت) حقيقة أن الأمر إذا تنازعك فكأنه شق عليك ظلك بآتين تقول تارة أطبقه وتارة لأطبقه أو وعدته المسامحة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما أسأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفضل المعاسرون من المسترعين من الماشقة في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالاً خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام أخذين بالأسصح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يبدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى إن شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد بالصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيها وعد من الصلاح الانتكاح على توفيقه فيه وموعته لأنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ (وبنى وبينك) خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعب يريد ذلك الذى قتله وعاهدته فيه وشارطته عليه قائم بيننا جميعاً لانخرج كلانا عنه لأننا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك ۚ ثم قال أى أجل من الأجلين قضيت أطولها الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان على) أى لا يستدى على فى طلب الزيادة عليه (فإن قلت) تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذى هو الأقصر وهو المطالبة بثمة العشر فامتنع تعليق العدوان بهما جميعاً (قلت) معناه كأنى إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدواناً لاشك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التهمة فوكله إلى رأى نى شئت أنيتبها وإلا لم أجبر عليها وتبل معناه فلا أكون متعدياً وهو فى نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم على ولا تبعة على وفى قرأته ابن مسعود أى الأجلين ما قضيت وقرئ أيضاً بسكون الياء كقوله

تظنرت نصراً والسباكين أيهما ۚ على من التفت استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فإن قلت) ما الفرق بين موقى ما للزينة والقراد تيز (قلت) بوقفت في المستغنية مؤكدة لإيهام أى زائدة في شياها وفى العمادة تأكيداً كيداً للقضاء كأنه قال أى الأجلين صممت على قضاءهما جردت عن مبقله ۚ الوكيل الذى وكل إليه الأمور ولما استعمل في موضع الشاهد والهميم والمقيت عدى يعنى لذلك يروى أن شيباً كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصاه بطنها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقفت إلى شبيب

النكاح على المنافع المعلومة مطلقاً قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والعيب من إجازة أبى حنيفة النكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع أن الآية أجازت النكاح على منافع الزوج ولم تتميز لغيره وما ذلك إلا لاجتماع المعنى الذى أشار إليه الزخشرى أو تفرعاً على أن لا دليل فى شرع من قبلنا أو غير ذلك والله أعلم (قوله ووطأه الخلق ولين الجانب) فى الصحاح شىء موطن بين الوطأة (قوله والهميم والمقيت عدى يعنى) أى المعتد أو الحافظ

أَمْكُثُوا إِنِّي أَنزَلْتُ نَارًا لِّلَّذِينَ يَكُونُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِّنَّا بَخِيرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِّنَ النَّارِ تَلَكُمُ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِهِ الرُّوَادُ الْأَيْمَنُ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْشُوا إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنَّ الَّذِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرًّا وَلَمْ يَعْصِ بِمُوسَى أُقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ . أَسْأَلُكَ بِدَعَا جِيكِ تَخْرُجُ بِيضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكُ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

فسهاوكان مكثوا فاضن بها فقال غير ما فاقع في يده الإله سبع مرات فعمل أن له شأنًا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى أتى بها موسى لبل وقيل أودعها شعيًا ملك في صورة رجل فأمر به أن تأتيه بعضًا فأته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غير ما فاضن بها فندفها إليه ثم ندب لها وديعة فقبه فاختصها فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفقها فهي له فمالجها الشيخ فلم يطفها ورفقها موسى وعن الحسن ما كانت الإلهامان الشجر اعترضها اعترضاً وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة الموضع ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال لمشعب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تبدأ أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت السم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فغشى على أثرها فإذا عشب ورف لم ير مثله فنام فإذا بالتين قد أقبل فحاربه الهما حتى قتله وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى مشعب من الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والمسا شأنًا وقال له إن وجهتك من تاج غشى هذا العام كل أردع ودرعا فأوسى إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فسا أعطت واحدة إلا وضعت أردع ودرعا فوفى له بشره مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطلهما وروى أنه قال قضى أوطاهما وتزوج صفراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت . الجنوة بالفتات الثلاث وقرئ بن جيمع البود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تكن قال كثير

بانت حواطب ليلى يلتمسن لها . جزل الجذى غير خوار ولا ذهر

أتى على قيس من النار جلوة . شديداً عليه حزها والتهاها

وقال

من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أنه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة . و (من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجننا لمن يكفر بالرحمن ليرثهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحين وضمين وقص وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فإن قلت) ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب (قلت) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فأتاها يده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتفأك يدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتفأك بها ثم أخرجها يضاد ليحصل الأمر أن اجتاب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يد الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتقذده عند انقلاب

(قوله إلا أن فيها تبتنا أخشاه عليك) أي تبتنا (قوله كل أردع ودرعا) في الصحاح يبرد من زعفران أو دم أي لطن وأثر وردته بالشيء فارتدع أي لطنته به فطنط به فالأردع شيء المطنط بلون آخر ولفظ الحازن ألق وبقلاء (قوله غير خوار ولا ذهر) الخور الضنف والذعر الفزع أغاده الصحاح (قوله فيه غضاضة عند الأعداء) أي ذلة ومنقصة كما في الصحاح (قوله فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية) أي فند ما تنقلب

وَمَلَّيْهِ إِيَّاهُمْ كَأَنَّهُمْ قَوْمًا أَسَافِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَصْحَابُ
مِنِّي لَسَانًا قَارِرًا لَهُ مِنْ رِءَايَ صِدْقِي . إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجُعَلَ لَكَ

المصاحبة حتى لا يضطرب ولا يهرث استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرغامها وإلا لجناحه
مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فأفقت منه فلة ربح
ثجبل وانكسر فقام وضرب بقله الأرض فقال له عمر خذ قلبك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإن
ما سمعتهما من أحد أكثر مما سمعتهما من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية
الحية واضمم إليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيه سبباً وهلة فيها أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك
جناحك وقوله ذلك يدك في جبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كثر المعنى الواحد
لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض من أحدهما خروج اليد البيضاء فى الثانى إخفاء الرهب (فإن قلت) قد جعل الجناح
وهو اليد من أحد المرضين مضموماً وفى الآخر مضموماً إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى
جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى والمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحد من يمين
اليدين ويسرها جناح ومن بدع انتفاهير أن الرهب الكم بلفة حمير وأنهم يقولون أعطنى مما فى رهبك وليت شرى
كيف سمته فى اللغة وهل سمع من الآيات الثقات الذين ترفعنى عريبتهم ثم ليت شرى موقفه فى الآية وكيف
تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليله المناجاة إلا زمزامة من صوف لا كى لها
(فذلك) قرئ عتفاً ومشدداً فأنحرف معنى ذلك والمشدد متى ذلك (برهان) حجتان يثبتان نيراناً (فإن قلت) لم سميت
الحجة برهاناً (قلت) لياضها وإنارتها من قولهم للرأ البيضاء برهرة بتكرير العين واللام معاً والدليل على زيادة النون
قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها . يقال رذاته أغتته
والرذاه اسم مايعان به فهل معنى مفعول به كما أن الدفء اسم مايدفأ به قال سلامة بن جندل :

وردنى كل أبيض مشرفي . شجذ الحذ عصب ذى قول

وقرئ رداً على التخفيف كما قرئ الحجب (رداً يصدق) بالرفع والجزم صفة وجواب نحو ليارتى سواء (فإن قلت) تصديق
أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الفرض بتصدقه أن يقول له صدقت أو يقول للباس صدق موسى وإنما هو ليخص بلسانه
الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المطبق ذو المعارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق
القول بالبرهان الأخرى إلى قوله وأخى هارون هوى أصح من لساناً قارر له سمى ، وفصل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله
صدقت فإن سبحان وباقلاً يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى يخاف تكذيبه فاستد التصديق
إلى هارون لأنه لا سبب فيه إسناده أجازاً ومعنى الإسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فإسناده حقيقة وليس فى السبب
تصديق ولكن استعمله الإسناد لأنه لا بسبب التصديق بالنسب كما لا يسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله
إني أخاف أن يكذبون قرأه من قرأ رداً يصدق وفى ذات قوة للقرأة بجزم يصدقنى . المضدوم اليه يثبت ثباتاً لا شكاً طرفة
أبى لبقى لستمو يسد . إلا يداً ليست لها عصب

(قوله وليفرخ روعك) أى ليذهب فزعك فأفاده الصحاح (قوله وكيف تطبيقه المفصل) لعله تطبيقه على المفصل
(قوله زمزامة من صوف) فى الحديث أن موسى عليه السلام لما أتى فرعون أماء وعليه زمزامة يعنى جبة صوف
قال أبو عبيد أراها غيرانية كذا فى الصحاح (قوله شجذ الحذ عصب ذى قول) أى عمد والعصب القاطع والفنول
كسور فى حذ كذا فى الصحاح (قوله فإن سبحان وباقلاً يستويان فيه) مثل فى الفصاحة وباقلاً مثل فى الفهامة والمعنى

سُلْطَنَا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكَ بَاتِيئًا أَنْتَا وَمَنْ اتَّبَعَكَ النَّبِيُّونَ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا مَعْنَاهُ هَذَا فِي آيَاتِنَا الْأُولَى ۖ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۖ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا سَائِمُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي

وقال فدعا الخير شذاه عندك وفي حذوه فت الله في عندك ومعنى (سئدت عندك بأخيك) ستفزيك به وتبينك فأتا أن يكون ذلك لأن الدتت بشدة العصد والجملة تقوى بشدة البدل مواولة الأمور وإذ لأن الرجل شبه باليد اشتدادها باشتداد العصد لجل كانه يمد شدة بعصديده (سلطانا) غلبت وسلطانا أوجده وأخيه (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به في نسع آيات أي أذهبا بآياتنا أو نبجل لك سلطانا أي نسلطك بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنون منهم بآياتنا أو هو بيان للقالبون لاصلة لامتاع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابا له يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم (سحر مفتري) سحر تمسه أنت ثم تغريه على الله أو سحر ظاهر افتراه أو موصوف بالافتراء كاستأ أنواع السحر وليس بمحجزة من عند الله (في آياتنا) حال منصوبة عن هذا أي كاتبا في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثا يكون فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلوا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثلها فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى وبجيشه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجروا أو ما وجدوا ما يدفون به ما جاءهم من الآيات إلا قروهم هذا سحر وبدعه لم يسمعوا بمثلها يقول (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً ربه بالهدى ووعده حسن المقيى يبنى نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا يبنى الساحرين ولا يفلح هذه الظالمون (عاقبة الدار) هي العاقبة المحموده الدليل عليه قوله تعالى (وأولئك لهم عاقبة الدار جنت عدن) وقوله وسيلم الكفار لن عقي الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقابها أن يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فإن قلت) عاقبة المحموده المذمومة كلها يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إيمان تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اخصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلفهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف فإذا عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بنير واو على ماقى مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال

• قوله تعالى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (ق) العاقبة المحموده والدليل عليه قوله هن "وجل" أولئك لهم عقي الدار جنت عدن وقوله وسيلم الكفار لن عقي الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها أن يحتم للإنسان فيها بالرحمة والرضوان وتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت قال فإن قلت العاقبة المحموده والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة لأن الدنيا إيمان تكون خاتمتها بخير أو شر أظلم اخصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلفهم إلا لأجله كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لأن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار () قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستغنى به في هذا المقام والقدر الذى يحتاج إلى تجديده ههنا أن استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هي المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون معارضه بآثاله في أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله هو لقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس والآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا لعداب جهنم خلفا كثيرا من الثقلين ومن ذلك ما يروى عن الفاروق رضى الله عنه أنه قال وإنكم آل المنيرة ذرأ النار أى خلقها فلن دلت آية الناريات ظاهرا

وبحث عما أجابه به موسى عليه السلام عند تسبيبتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا لوزان الناظر بين القول والمقول ويقصر فساد أحدهما وجه الآخر وبضداه تبيين الأشياء - وقرئ تكون بالناه والياء روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والأجراء وأمر بطبخ الأجر والمجس ونجر الخشب وضرب السامير فشيده حتى بلغ مالم يبلغه ببيان أحد من الخلق فكان الباقي لا يقدر أن يقوم على رأسه بين فبث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضر به بجناحه قطعه ثلاث قطع وقت قطعه على عسكر فرعون فقتل ألف ألف رجل ووقت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرى بنشابة من السماء فأراد الله أن يقتلهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى ففندها بعت الله جبريل عليه السلام لخدمه والله أعلم بصحته - قصد بنى عليه بإله غيره نفي وجود معناه مالك من إله غيره كما قال الله تعالى قل أنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس فيه من ذلك لأن العلم تابع للعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معنوما لم يتعلق به موجود فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لا انتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وإن إلهما غيره غير معلوم عنده ولكنه مظلون بدليل قوله وإلى لأظنه من

على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الاعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحيث يتعين الجمع بين الآيتين وحل صوم آية الذاريات على خصوص الآية الأخرى وإن المراد ما خلقت السموات من الثقلين إلا لعبادتها جميعا بين الأدلة فقد ثبت أن العاقبتين كليهما مرادة الله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجيء العاقبة المطلقة كثيرا وإرادة الخير بها أن الله تعالى هدى الناس إليها ووعدهم ما ورد في سلوك طريقها من النجاة والتعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الأليم وركب فيهم عقولا ترشدهم إلى عاقبة الخير ومكنهم منها وأزاح عنهم ووفر دعاوهم فكان من حقهم أن لا يبدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها وأن يتغنوها بنصب أعينهم فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير قريبا على ذلك والله أعلم والحاصل أنها لما كانت هي المأمور بها والمحضوض عليها عولمت معاملة ما هو مراد وإن لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقال بعضهم ما يمتنع أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هي عاقبة الخير من إطلاقها ولكن من إضافتها إلى ذوقها باللام في الآي المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الداروسيعلم الكافر لمن عصى الدار والعاقبة للتقنين فأهملت اللام أنها عاقبة الخير إذ هي لم وعاقبة السوء عليهم لالم كما يقولون المائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والصبر والمائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء قتلته لقد كان لي في ذلك مقال لولا ورود أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على إبقاء الاستدلال باللام على إرادة عاقبة الخير والله أعلم - قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري الآية (قال عبر من نفي المعلوم بنفي العلم وإثباتها كان كذلك لأن العلم لا يتعلق بالمعلوم إلا على ما هو عليه إن موجودا فوجود وإن معنوما فمعنوم فمن ههنا عن نفي كونه موجودا بنفي كونه معلوما) قال أحمد لشدة ما بلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيرا عن نفي المعلوم بنفي العلم في مثل قوله قل أنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم نبؤننه بما لا يعلم في الأرض فلما اطرد ذلك عنده تورم أن هذا التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم يشمل كل علم ولو لم يتعلق بالمعلوم على ما هو به وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ إلا في علم الله تعالى لا في علم غيره من المخلوقين وهو عموم تعلفه حتى لا يميز عنه أمر فال علم يتعلق بالموجود بلزم أن لا يكون موجودا إذ لو كان موجودا لانتقل به بخلاف علم الخلق فلا تلازم بين نفي الشيء ونفي العلم الحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فإن بين نفي معلومه ونفي تعلفه بوجوده تلازما يسوغ التعبير المذكور ولكن المعلوم أن فرعون كان يدعى الإلهية ويعامل عليه معاملة إله الله تعالى في أنه لا يميز عنه

فَأَوْقَدَ بِهِمْ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَخْلَعُهُ مِنَ الْكَذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ

الكاذبين وإذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في إتيانه لما غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود لها غيره ولو لم يكن أن الخنول ظانا غفلا كالقنين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البيان العظيم ولما تنب في بانه ما تنب له لم يعلم برحه إلى الله موسى عليه السلام وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كانت يطلع إليه إذا قصد في علية وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا يرى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغبائوته وجهل ملكه وغبائوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصريح بينوته وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغى الناس وأخلام من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتكم به بالفعل كما جاء التهمك بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظره من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله ه فقلت لم تعلموا بالقي مدحج ه ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبهمهم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال (أوقد لي يا هامان على الطين) ولم يقل أطلع لي الآجر واتخذ لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقة وأشبه بكلام الجبارة وأمر هامان وهو وزيره وردفه بالإقادة على الطين نادى باسمه باقي وسط الكلام دليل التنظيم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون ه والظلوع والإطلاع الصمود يقال طلع الجبل وأطلع بمعنى ه الاستكبار بالحق إنما هو الله تعالى وهو المستكبر على الحقيقة أى المبالغ في كبرياء الشان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حكى عن ربه الكبرياء وذات العظمة إذ رأى فن نازعني واحدا منهما أقتيه في النار وكل مستكبر سواء فاستكبره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وخنوده فبذناهم في اليم) من الكلام الفخم الذى دل به على عظمت شأنه وكبرياء سلطانه شهيم استحقارا لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهم أخذ في كفه فطرحهم في البحر ونحو ذلك قوله ه وجعلنا فيها رواشى شاخت وحلت الأرض والجبال فدكتنا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ه وما هي إلا تصورات وتمثيلات لا تقدره وأن كل

شئ فن ثم طنى وتكبر وعبر بنى عليه عن نفي المعلوم تدليسا على ملكه وتليسا على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تماظه هذا قوله فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل فأطلع لي آجرأ وذلك من العاطف كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى برؤسهما قصمه وما يوقدون عليه في النار ابتناء حلية فذكر هذه العبارة الجامعة لأنواع الكفر على وجه الكبرياء تبارنا بها وذلك من تجبر الملوك جل الله وعز ومن تماظم فرعون أيضاً نداؤه لوزيره باسمه وبمجرى النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر وبناء الصرح ورجاؤه الإطلاع دليل على أنه لم يكن مصمما على الجسود قال الزمخشري وذلك مناقض لما أظهر من الجحد الجازم في قوله ما علمت لكم من إله غيري فإما أن يخفى هذا التناقض على قوله لغباوتهم وكآبة أذهانهم وإما أن يتفطنوا لها ويخافوا قمته فيصروا قال أحمد وقاتل والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من إله غيري على الشك ونفى عليه خاصة وإجرائه مجرى سائر علوم الخلق في أنه لا يلزم من نفي تعلقه بوجود أمر نفي ذلك الأمر لواز أن يكون موجودا عازا بغير علمه وحيث لا يكون تناقضا ولو لم يكن حمله هذا هو الأصل لما سوغا أن يرفع التناقض عن كلامه لانه أحقر من ذلك ه عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وخنوده فبذناهم في اليم مقابلة لاستكباره بغيره بما صورته

(فرقه دليل التعظيم والتجبر) لعله لتنظم (قوله وألقينا فيها رواشى) في نسخة وجعلنا فيها رواشى شاخت لكن الأولى أوفق

هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ • فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ
كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الظَّالِمِينَ • وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْبَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ • وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَى بِصَافِرٍ لِّلْأَسَاسِ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ يَتَذَكَّرُونَ • وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى

مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته (فإن قلت) ما معنى قوله (وجعلناهم أمة يدعون إلى النار)
(قلت) معناه ودعواهم أمة دعاء إلى النار وقتلنا لهم أمة دعاء إلى النار كما يدعى خطاهم الحق أمة دعاء إلى الجنة وهو من
قولك جعله بخيلاً وفاسقاً إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلاً وفاسقاً
ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر
والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) كما ينصر الأئمة الدعاء إلى الجنة ويجوز خذلانهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى
الخذلان منع اللطاف وإنما يتنمها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا نفى عنه الآيات والنذر
وبجراه مجرى الكناية لأن منع اللطاف يردف التصميم والترض به ذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر
حتى كانوا أئمة فيه دعاء إليه وإلى سوء عاقبته (فإن قلت) فأى فائدة في ترك الردف إلى الرادة (قلت) ذكر الرادة
يدل على وجود الردف فيعلم وجود الردف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره الأثرى
أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر لمقطع أمره مثبت حكمه لما صنعت منه اللطاف فذكر منع اللطاف يحصل
العلم بوجوده التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون
كأنه قيل وخذلانهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أى طردوا وإبعاداً عن الرحمة
(ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المحدثين (بصائر) نصب على الحال والصيرة نور القلب الذي
يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتينا التوراة أنواراً للقلوب لأنها كانت عمياء لا تستبصر
ولا تعرف حقاً من باطل وإرشاداً لأنهم كانوا يخطئون في ضلال (ورحمة) لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة (لعلمهم
يتذكرون) إرادة أن يتذكروا شئت الإرادة بالترجي فاستعملها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم

أخذ حسيات متهتات ثم نبذها أى طرحها في اليهوان فذلك تمثيل لاستناته به لإهلاكها بهذا النوع من المهلاك والله أعلم • قوله
تعالى وجعلناهم أمة يدعون إلى النار (قال فيه معناه دعواهم أمة دعاء إلى النار كما تقول لجعله بخيلاً وفاسقاً إذا دعوته بذلك) قال أحمد
لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فن حل الجمل على
التسمية فيما نحن فيه فرأى أن اعتقاداً دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من جعله على التسمية في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار
آيتين فرأى أن جعل الليل والنهار مخلوق لله تعالى فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق نفوذاته من ذلك
• قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعالمهم يتذكرون (قال معناه إرادة تذكركم لأن الإرادة تشبه الترجي فاستعمل
لها أو يراد به ترجى موسى عليه السلام) قال أحمد الوجه الثانى هو الصواب واحذر الأول فإنه قدرى • قوله تعالى

(قوله ودعواهم أمة دعاء إلى النار) هذا التأويل وما يأتى بعده في قوله ويجوز خذلانهم إلى آخره مبنيان على أنه تعالى يحب
عليه الصلاح ولا يحب عليه خلق الشر وهذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فهو أنه لا يجب عليه تعالى شيء ويجوز
عليه خالق الشر كالخير وقد حقق في التوحيد فلا داعى إلى تأويل الآية بمثل هذا التكلف

الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۚ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۚ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۚ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا

كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربي) المكان الواقع في شرق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميثاق موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الألواح ۚ والأمر المقضى إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحى إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للبيقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى عليه السلام في ميثاقه وكتبه التوراة له في الألواح وغير ذلك ۚ (فإن قلت) كيف يتصل قوله (ولكننا أنشأنا قرونًا) بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكه (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث أن معناه ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى ههنا قرونًا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرون الذي أنت فيهم (العلم) أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكننا أوحينا إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إعالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فإذا هذا الاستدراك شيه الاستدراك كبري بعده (وما كنت ثاويًا) أي مقبلا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرأها عليهم لتعلمهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومهم ولكننا أرسلناك وأخبرناك بما وعدناكم (إذ نادينا) يريدنا مدة موسى عليه السلام ليلا لنا جافو تكليمه (ولكن) علمناك (رحمة) قرأ رحمة بالرفع أي رحمة (ما أتاهم) من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما أُنذِر آباءهم ۚ (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى القادى للمعطف والآخرى جواب لولا لكن تنافي حكم الأمر من قبل أن الأمر باع على الفعل والباعث والمحضض من وادوا أحدوا المعنى ولولا أنهم قاتلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشر والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو يلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا ففتح آياتك (فإن قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كلها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا

ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ففتح آياتك ونكسر من المؤمنين قال لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية والقادى عاطفة الثانية جواب لولا والمعنى لولا أنهم قاتلون إذا عوقبوا لولا أرسلت إلينا رسولا محتجين بذلك لما أرسلت إليهم أحداً فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سببا في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت العقوبة سبب القول وهي سبب السبب فجعلت سببا وعطف السبب الأصل عليها بالفاء السببية قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما فذكر إحداهما فذكر

(قوله فأرسلناك وكسبك العلم) كسب يتعدى إلى مفعولين فيقال كسبت أهلى خيرا وكسبت الرجل مالا كفى الصالح

قَالُوا لَوْلَا آتَىٰ مَثَلُ آتَىٰ مُوسَىٰ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا آتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ نَّهٖ قُلُوفًا يَكْتَسِبُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَعْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا ولك اختيرت هذه الطريقة لئلا تكون هي أنهم لو لم يوافقوا مثلا على كفرهم وقد عابوا ما ألتجأوا إلى العلم اليقيني لم يقولوا لولا أرسلنا رسولا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم مالا يخفى كقوله تعالى ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ۖ ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتفسير الأقل تأبعا للأكثر وتقليب الأكثر على الأقل (فلا جامد الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طرق احتجاجهم (قالوا لولا آتَى مثل ما آتَى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العاصي حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاءوا بالافتراءات المغيبة على التعت والتناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أجراه معه ملك وما أشبه ذلك (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما آتَى موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام فغناه على هذا أولم يكفر آباؤهم (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أي تعاونا وقرئ إظهارا على الإدغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فإن قلت) بهم عقلت قوله من قبل في هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولي أن أعلقه بأولم فيقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالنبوة وقالوا في موسى ومحمد

والسر في جعل سبب السبب سببا وعطف السبب الأصلي عليه أمران أحدهما أن مزيد العناية بوجوب التقديم وهذا هو السر الذي أبداه سيوبه . الثاني أن في هذا الظلم تنبيها على سببية كل واحد منهما أما الأول فلا قترانه بحرف التعليل وهو أن وأما الثاني فلا قترانه بفاء السبب ولا يتعاطى هذا المعنى إلا من قولك أن تفعل إحداها فتذكر لامن قول الفاعل أن تذكر إحداها الأخرى إذا ضلت وكان بعض النحاة يورد هذه الآية إشكالا على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحيث يكون الواقع بعدها في الآية موجودا وهو حقوة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال لأنه يتمتع بالأولى ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً وبقا ضرورة فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة لأنهم يقولون لا ظلم قبل بعثة الرسل فلا تصور الحقوة بتقدير عدم البعثة وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا حقوة ويشكل الجواب على النحاة لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه ثم كان مورد هذا الإشكال يجب عنه بتقدير محذوف والأصل ولولا كراهة أن تعميم مصيبة وحيث يزول الإشكال عن الطائفتين والتحقق عندي في الجواب خلاف ذلك وإنما جاء الإشكال من حيث عدم تجويز النحاة للمعنى لولا أن يقولوا أنها تدل على أن ما بعدها موجود وأن جوابها يتمتع به والتحرير في معناها أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجودا وقد يكون مفروضا والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم لو قد يكون الشيء الواحد لازما لشيئين فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الإشكال الوارد على لو في قوله نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يصعب فأنمل هذا الفصل فتحته فوائد للتأمل والله الموفق

فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتْلَا مِنْ أَمْرٍ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتْبَعَ هُودًا بِشِيرَ هَدًى مِنْ أَفْهٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ •
وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • الَّذِينَ كَتَبْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ • وَإِذَا بَتَلُوا
عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِتَابَةٌ مِنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ • أُولَئِكَ يَقُولُونَ أَجْرُكُمْ مِنْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ • وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْظَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ • إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

عليها الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بثوا الرهط إلى رؤساء اليهود
بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نفعه وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قریش فأخبروهم
بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (هو أهدى منها) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل على
• هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته لأن امتناع الإتيان بكتاب أهدى من
الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهمك بهم • (فإن قلت) ما الفرق
بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله • فلم يستجبه عند ذلك مجيب • حيث هدى بشير اللام (قلت) هذا
الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله
دعاه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاه وأما البيت فعناه فلم يستجب دعاه على حذف المضاف (فإن قلت)
فلاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بث على الفعل ودعاه إليه فكأنه
قال فإن لم يستجيبوا عدلك إلا الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد أروا ولم يبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال
(ومن أضل ممن) لا يتبع في دينه إلا (هو) بغير هدى من الله) أي مطبوعا على قلبه متبع الألفاظ (إن الله لا يهدي) أي
لا يلفظ بالقوم التائبين على الظلم الذين لا عطف بهم عايت وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخضولا بحمل بينه
وبين هواه • فرئى (وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متصلا وعدا وعدا وقصصا وعبراً
ومواعظ ونصائح وإرادة أن يتذكروا فيفعلوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بمضه في أثر بعض كقوله وما يأتيهم من
ذكر من الرحمن يحدث إلا كانوا عنه معرضين • نزلت في مؤمن أهل الكتاب وهن رفاعه بن قرظة نزلت في عشرة
أنا أحدم وقيل في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وعثمان من
الشام • والضمير في من قبله للقرآن • (فإن قلت) أي فرق بين الاستغافين أنه وأنا (قلت) الأول لتبليغ الإيمان به
لأن كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعده
فأخبروا أن إيمانهم به متفاد لأن آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الأول ذكره وأبناهم من بعدهم (من قبله) من قبل
وجوده ونزوله (مسلمين) كاتنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحي (بما صبروا) بصبرهم
على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى
المشركين وأهل الكتاب ونحو يؤتكم كفلين من رحمة (بالحسنة السيئة) بالطاعة المعصية المقدمة أو بالحلم الأذى
(سلام عليكم) توديع ومشاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة من المؤمنين (لا تبتغي الجاهلين) لا تريد مخالفتهم ومحببتهم
(فإن قلت) من غابوا بقولهم ولكم أعمالكم (قلت) اللاعن الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو (لا تهدي من أحببت)

(قوله فلم يستجبه عند ذلك مجيب) صدره • وداع دعا بامن يجب إلى التدى •

بِالْمُهْتَدِينَ ۚ وَقَالُوا إِنَّ نَجِيعَ الْهَدَى مَكَكَ تُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يَجِيءُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ

لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تملك المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل في الإسلام (من يشاء) وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن اللطاف تنفع فيه فيقرن به اللطاف حتى تدعوه إلى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يامعشر بنى هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه قتلوهوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يام تأمرهم بالصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكي أكره أن يقال خرج عند الموت ولو لا أن تكون عليك وعلى بنى أيك غضاضة ومسة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة رجلك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف ۚ قالت قريش وقيل إن القاتل الحرث بن عثان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أى قتلون أن يتخطفونا من أرضنا فأنفهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتناورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يتنافون وبحرمة البيت هم قارون بوادغير ذى زرع والثرات والأرزاق نجى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلمهم الأمن إذا ضلوا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقوا إلى الحرم بحمار (يجي إليه) تجلب وتجمع قري بالباء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته إلى كقولهم يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافة ۚ وثمرات بضمين وبضمة وسكون ۚ ومعنى الكلبة الكثرة كقوله ۚ وأوتيت من كل شيء ۚ ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا أى قبل منهم يقولون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أئذاده ۚ (فإن قلت) ۚ بم انتصب رزقا قلت) إن جعلته مصدراً جازاً أن يتنصب بمعنى ما قبله لأن معنى يجي إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولاً له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنصب عن التكرة المتخصصة بالصفة ۚ هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخضف العيش فتمطوا النعمة وقابلوها بالآثر والبطر فدترم الله وخزب ديارهم ۚ وانتصب (معيشتها) إنا نحذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإنما نعل الظرف بنفسها كقولك زيد ظلى مقم أو بتقدير حذفت الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كقوله النجم ومقدم الحاج وإنا بضمين بطرت معنى كفرت وغضت وقبل البطر سوء احتمال الفنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه

(قوله أكره أن يقال خرج عند الموت) في الصحاح - نزع الرجل بالكسر ضعف فهو خرج (قوله وعلى بنى أيك غضاضة)

مذلة ومنقصة (قوله ويجنى إلى الخافة) في الصحاح الخافة خريطة من آدم يشار فيها بيسل وفيه يشار يتجنى

(قوله فتمطوا النعمة وقابلوها بالآثر والبطر) أى بطروها وحرقوها والآثر والبطر شدة المرح والمرح شدة

الفرح كذا في الصحاح (قوله كقولك زيد ظلى مقم) أى في ظلى

لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝ وَمَا آوَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَتَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ كُنَّا نَمُنَّ نَسِيَ الْخَبِيرَ ۝

(إلا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يسكنها إلا للمسافر وماز الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقى أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لذلك المساكين من ساكنها أى تركناها على حال لا يسكنها أحد وخزيناها وسوقناها بالأرض تتخلف الآثار عن أصحابها ۝ حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث في) القرية التي هي أمها أى أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها (رسولا) لإلزام الحجّة وقطع المذعة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق فضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ۝ وقرئ أمها بضم المذمة وكسرهما لاتباع الجز وهذا يان لعنده وتقديره عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجّة والإلزام ببعث الرسل ولا يحمل علمه بأحوالهم حجة عليهم وزنه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله في غناه وحكته منافية للظلم دل على ذلك بحرف التثنية مع لا ۝ كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم ۝ وأى شيء أصبوه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قليلا ۝ وهى مدة الحياة المتقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأن بقاءه دائم سرمد ۝ وقرئ يعقلون بإيالة وهو أبلغ في المعطوف عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمنين والمنافق والكافر فالؤمن يؤزّد والمنافق يزيّن والكافر ينقص هذه الآية تقرير وإيضاح لئى قبلها والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأى شيء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ۝ و (أفقيه) كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكنكت من المحضرين فكذبوه فإنهم محضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل في علي وحزرة وأبى جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فإن قلت) فسر لى القابضين ثم وأخبرنى عن مواضعها (قلت) قد ذكر في الآية التي قبلها منافع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتها ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعادها التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى ويان موقعها وأما الثانية فللتيسير لأن لقاء الموهود مسبب عن الوعد الذى هو الضمان في الخير وأتائم فلتراخى حال الإحضار عن حال التمتع لالتراخى وقته عن وقته ۝ وقرئ ثم هو بسكون الماء كاقبل عضد في عضد تشبيها للنفصل بالمنصل وسكون الماء في فهو هو وهو

۝ قوله تعالى ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا ۝ (قال هذا يان لعنده وتقديره عن الظلم حتى أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تأكد عليهم الحجّة ببعث الرسل) قال أحمد هذا إسلاف من الرخصى لجواب ساقط عن سؤال وارد على التقديره لأجواب لم عنه ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف لقامت الحجّة على الناس ولأنهم يكن يبعث رسل إذا عقل حاكم فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سيلا

الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِسْمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ • قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَأَغْوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا بَشَادُونَ • وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَمَدْعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ • فَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْآبَاءُ • يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ • فَمَا مِنْ تَابٍ وَءَامِنٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ فَفَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُطْلَعِينَ • وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ

أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل (شركائي) مبنى على زعمهم وفيه تهكم (فإن قلت) زعم يطلب
مفعولين كقوله . ولم أرعك عن ذلك ممزلا . فإنهما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي
ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة
الكفر ورؤسهم ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لا ملأنا جهنم من الجنة والناس أجمعين
(و هؤلاء) جنداً و(والذين أغويوا) صفة والراجع إلى الموصول محذوف (وأغويهم) الخبر . والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره أغويهم فغويهم مثل ما غويهم لأنهم لا يغويهم إلا بغواياهم لأن فغويهم غويهم فغويهم
أودعنا إلى التي وسؤله لنا هؤلاء كذلك غويهم باختيارهم لأن إغواءهم لم يكن إلا روسة وتسويلاً لقسر أوليائه
فلا فرق إذاً بين غيواهم وإن كان تسويلاً داعيهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لم إلى الإيمان بما وضع فهم
من أدلة العقل وما يثبت إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالودع والوعيد والمواظ والواجب وناهيكم
بذلك صار قاع الكفر وداعياً إلى الإيمان وهذا معنى ما حكاها الله عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق وعدتكم فأخلفكم
وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تموتون ولوموا أنفسكم والله تعالى قد علم هذا المعنى أول شيء حيث
قال لا يلبس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من أتيتكم من الفارين (تبرأنا إليك) منهم وما اختاروه من الكفر
بأنفسهم هو من قبلهم للباطل ومقتضى الحق لا يقره مناعل استكرامهم ولا سلطان (ما كانوا يا أيديهم) إنما كانوا أيديهم هوهم
ويعلمون شوائبهم وإخلاء المجتنب من الماعطف لكونهما مفرقين لمعنى الجملة الأولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من
وجوه الخيل يدفعون به العذاب أولو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تلمسوا لو كانوا مهتدين أو تلمسوا عتدوا به
وسدروا فلا يهتدون طرفاً حتى أولوا ما يهتدون به من اتخاذهم شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أتيتهم عند توحيهم لأنهم
إذا نبذوا عبادة الآلهة اعتدروا بأن الشياطين هم الذين استغفروهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشفقة بهم من استغاثتهم
ألتهم وخذلانهم لم يعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكتفون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العليل (فميت)
عليهم الأبناء) ضاربت الأبناء كالمعنى عليهم جميعاً لا تهتدي إليهم (هم لا يقاسدون) ليسأل بعضهم بعضاً كابتسالة الناس
في المسكلات لأنهم يتساوون جميعاً في عي الأبناء عليهم والمعجز عن الجواب وقرئ فميت والمراد بالنبي الخضر ما أجاب به
المرسل إليه رسوله وإذا كانت الأبناء لمول ذلك اليرم يقتنعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويقولون الأمر إلى علم الله
وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أنجتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فها ظنك بالاضلال من أنهم
(فأما من تاب) من المشركين من الشرك . وجمع بين الإيمان والعمل الصالح (ففسى أن) فقلع عتدائه وعسى من الكرام
تحقيق ويجوز أن يراد ترجى التائب وطعمه كما قال فليطعم أن يفلح . الخيرة من التخير كالطيرة من الطير تستعمل بمعنى المصدر
هو التخير وبمعنى التخير كقولهم لمحمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ولا يختار لأن معناه ويختار ما يشاء

(قوله وسدروا فلا يهتدون طريقا) أى تهيروا أفاده الصحاح

عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ • وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخُدُ فِي الْأَوَّلِ
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ أَفَلَا تَبْصُرُونَ • وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلَ لَكُمْ إِلًا وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُمْ تُشْكُرُونَ • وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ • وَزَعَمْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلَبُوا أَنْ الْحَقُّ لِلَّهِ وَحُصِّلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ • إِنَّ قُرْآنَكَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى

ولهذا لم يدخل الماعطف والمعنى أَنَّ الخيرة لله تعالى في أماله وهو أعلم بوجود الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه
قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يمتنع الله الرسل باختيار
المرسل اليهم وقيل معناه يختار الذي لم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من انفسهم من
قولهم في الامرين ليس فيها خيرة لمختار (فإن قلت) فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة
(قلت) أصل الكلام ما كان لم فيه الخيرة خذف فيه كما خذف منه في قوله إن ذلك لمن عزم الأمور لانه مفهوم (سبحان الله)
أي الله يرى من إشراكهم وما يحمله عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكتن صورهم) من
عداوة رسول الله وحسده (وما يعلون) من مطاعهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في البقرة (وهو الله) وهو
المستأثر بالإلهية المخصص بها (لإله إلا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لاقبله إلا هي (فإن قلت) الحمد الدنيا
ظاهر فالحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله
رب العالمين والتعظيم هناك هل وجه الالفة لا الكفوة في الحديث يلهمون التوسيع والتفديس (وله الحكم) القضاء بين عباده
(أرأيتم) وقرئ أدبتم بحذف الهزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا والسرمد اللطام المنصل
من السرود هو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سردوا واحد فردوا الميم مزيدة ووزنه فعمل وبظيرة دلاص من الدلاص
(فإن قلت) هلا قيل بنهار تصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع
التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك الميزة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون)
لأن السمع يدرك ما لا يدرك البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يصبر من
منفعة الظلام ما تبصره وأنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زواج بين الليل والنهار لا غرض ثلاثة لتسكنوا في
أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار وإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة ألف
في تكرير التوبيخ بأخذ الشركاء إذبان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كالأشياء أدخل في مرضاته من
توحيد الله فكما أدخلنا في أهل توحيدكم فأدخلنا في التاجين من وعيدك (وزعنا) وأخرجا (من كل أمة شهيدا) وهو
نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك
ومخالفة الرسول (فعلوا) حيثك (أن الحق لله) ولرسوله لاهم ولشياطينهم (وحلل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع
(ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمي مثل هرون ولم يتصرف للمعجزة والتعريف ولو كان ناهولا

(قوله ونظيره دلاص من الدلاص) في الصحاح الدلاص اللين البراق والدلاص البراق يقال دلصت الدرع بالفتح

فَبَيَّ عَلِيمٌ وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكَوْنُزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ تَتَنَوُّ بِالْمَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۚ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۚ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُ عَلَىٰ عِلْمٍ عُنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ

من قرن لانصرف ۚ وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به وقيل كان إسرائيليا ابن عم موسى هورقرون بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى بن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرا بني إسرائيل للتوراة ولكنه ناقد كما باقى السامرى وقال إذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان إلى هرون فالى وروى أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحجورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى لجلته موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لأصدقك حتى تأتى بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يسمي كل كل واحد بمصاه غزهما وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيم بالليل فأصبحو وإذا بمصاه هرون تنهز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون مامو بأعجب مما تصنع من السحر (فبني عليهم) من البني وهو الظلم قيل ملكه فرهون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل من البني وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شرا ۚ المفاتيح جمع مفتاح الكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزان وقيل واحداه مفتاح بالفتح ويقال ناه به الحمل إذا أثقله حتى أماله ۚ والمصبة الجماعه الكثيرة والمصابة مثلها وأعصم صبرا اجتمعوا وقيل كانت تعمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانه مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزبن يكنى الكرفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكونوز والمفاتيح والنوء والمصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة ليئوه بالياء ۚ ووجه أن يفسر المفاتيح بالخزان ويعطيا حكم ما ضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل الجماعة ۚ ومحل إذ منصوب بتنزه (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ۚ ولست بمفراح إذا الدهر سرق ۚ وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن وأتامن قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحده نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد النعم عندي في سرور ۚ تيقن عنه صاحبه انقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من القنى والثروة (الدار الآخرة) بأن فعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك إلى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) زلي عباد الله (كأحسن الله إليك) أو أحسن بشرك وطاعتك ۚ أحسن إليك ۚ والفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم والبني وقيل إن القائل موسى عليه السلام رقرى واتبع (على على) أى على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأقاد يوشع بن نون ثلثة وكالب بن يوفنا ثلثة وقارون ثلثة عندهما قارون حتى أضاف علمها إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والتحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فضله موسى أخته فقلت أخته قارون وقيل هو يصره بأنواع التجارة والدهقة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه في ظنى كما تقول الأمر عندي كذا كما قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم إذا غرزلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ثم زاد عندي أى هو في ظنى ورأيت هكذا ۚ ويجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أملاك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأ في التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التوراة وغيره

(قوله بأنواع التجارة والدهقة) أى الزراعة كما عبر غيره

اللَّهُ قَدْ أَمْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ه وَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ه وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ه خَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ

كانه قيل (أو لم يعلم) في جملة ما عاهد من العلم هذا حتى لا يفتخر بكثرة ماله وقوته ويمر أن يكون نبياً لعله بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم هندي فتنتج بالعلم وتعتظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي أدعاه ورأى نفسه به مستوجة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى بقى به نفسه مصارع المالكين (وأكثر جمعا) لدال أو أكثر جماعة وعددا ه (فإن قلت) ما وجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خير بما تعملون والله بما تعملون علم وما شبه ذلك (في زينته) قال الحسن في الحرمة والصفرة وقيل خرج على بقة شهاب عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثة غلام وعن يساره ثلثة جارية بعض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسمين ألفا عليهم المصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المصفر ه كان الثمنون قوما سلبين وإنما ثمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة ثمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا ه الغايظ هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونة فمن النبطة قوله تعالى ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضرب النبط فقال لا إلا كما يضرب المعناه الخبط ه والحظ الجدد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدد مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ ومال الدنيا إلا أحاط وجدد ه وبذلك أصله الدماء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبخت على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا يالك وأصله الدماء على الرجل بالانفراف في الحث على الفعل ه والراجع في (ولا يلقاها) للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو السيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات وعن الشعوب وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير ه كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو بداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره ففحبت به نفسه فجمع بنى إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وميدنا فرب بما شئت قال نرسل فلانة البغي حتى تربه بنفسها فبرضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكها فلما كان يوم هيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن أقرى جلدناه ومن زنى وهو غير محسن جلدناه وإن أحسن رجناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فلان بنى إسرائيل يزعمون أنك تجرت بخلانة فأحضرت فأنشداه موسى بالذي فلق البحر وأزل النوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جملا على أن أقضك لنفسى غفر موسى ساجدا يبكى وقال

(قوله فتنتج بالعلم) أى ترفع وتفاخر وتكبر فأداه الصحاح (قوله بقة شهاب عليها الأرجوان) في الصحاح قطيفة حمراء أرجوان وفيه أيضا الأرجوان صبغ أحمر شديد باخرة ويقال هو بالفارسية أرغوان وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون (قوله لا إلا كما يضرب المعناه الخبط) في الصحاح المعناه كل شجر يعظم له شوك وفيه الخبط ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها (قوله الدماء على الرجل بالانفراف) أى فساد الأسباب فأداه الصحاح

الْأَرْضَ قَبْلَ أَنْ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ . وَأَصْحَ الَّذِينَ يَمْتَوْنَ مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ . فَكَذَلِكَ الدُّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

بارب إن كنت رسولك فأغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فنحن كان معه فليزيم مكانه ومن كان معي فليعتزل فأعزوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذي بهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يضرعون إلى موسى عليه السلام يناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فأطقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ما أنفك استأثروا بك مراراً فلم ترحمهم أما عزق لولياي دعوا مرة واحدة فوجدوني قريباً جميعاً فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنمادع موسى على قارون ليستبد به وكنوز فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المتصدين) من المؤمنين من موسى عليه السلام أو من المؤمنين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فأنصره أي منعه منه فامتنع قد يذكر الأمس ولا يراده اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقر على طريق الاستمارة (مكانه) منزله من الدنيا (رى) مفصلة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطأ وتدعو منه أن القوم قد تنبهوا على خطيئهم في تمنعهم وقولهم باليت كما مثل ما أوتى قارون وتدعوهم قالوا (أنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا يبالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيدويه قال وي كأن من يكن له نصيب يحسب ومن يقتدر يعيش عيش ضر

وحكى القراء أن أعرابية قالت لأرجوها أن ابنك فقال رى كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن نوبك بمعنى وبك وأن المعنى لم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى رى كقوله وبك عند أقدام وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أولاً لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على رى ويبتدى كأنه ومنهم من يقف على وبك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولا تخسف بنا كقولك انقطع بنا كقولك انقطع هو لتخسف بنا (ذلك) تعظيم لما وقع تخسف لشأنها يعني ذلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركوا إلى الذين ظلموا فقلق العبد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجب أن يكون شراك نعله أجرد من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها ومن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهب الأمانى منها وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطامع من يحمل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقاً بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا يتبع

ه قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للبقين (قاله) يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما كما قال تعالى ولا تركوا إلى الذين ظلموا فقلق العبد بالركون إلى الظلمة وعن علي أن الرجل يعجب أن يكون شراك نعله خير من شراك نعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وعن الفضيل أنه قرأها وقال ذهب الأمانى منها ومن الطامع من يحمل العلو لفرعون والفساد لقارون لقوله إن فرعون علا في الأرض وقوله ولا يتبع الفاسق في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قولهم العاقبة للبقين كما تدبر هاعلى وعمر والفضيل قال أحدهم تعرض لغمص أهل السنة فإن كل موحد من أهل الجنة وإنما طعموا حيث أطعمهم الله

(قوله كقوله وبك عند أقدام) أي قول عنزة ولقد شئ نفسي وأذهب سقمها ه قول القوارس وبك عند أقدام (قوله وقرئ لخسف بنا) يفيد أن القراءة المشهورة لخسف مبنياً للجھول (قوله لم يولى الموعد) لله الودع

للتَّقِينَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُبْقِيَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ . وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بِعَدَاثِ الَّذِينَ اتَّزَلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونْ مِنَ الْمُنْشَرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الباري الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للتقين) كما تدبره على والفضيل وعمره . معناه فلا يجوزون فوضع (الذين عملوا السيئات) موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرر أفضل تهجين للحالم وزيادة تبخيس السيئة إلى قلوب السامعين (إلا ما كانوا يعملون) إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة إلا بمثلهما ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسببها ته وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حلك صعوبة هذا التكليف لمثيك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و (لراذك) بعد الموت (إلى معاد) أى معاد وإلى معاد ليس لفريق من البشر وتذكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده يوم الفتح ووجه تنكيده أنها كانت في ذلك اليوم معاداله شأن ومرجهاله اعتداد لغية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عن الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظاهرا وقبل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أنت شاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه (فإن قلت) كيف انفصل قوله تعالى (فمن رأى أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للشركين ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) بينهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم (فإن قلت) قوله (إلا رحمة من ربك) ما حجة الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كما قبل وما أتى عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أى ولكن رحمة من ربك ألقى إليك . وقرئ يصدنكم من أصدته بمعنى صدته هو في لغة كلب وقال

ألمس أصدوا الناس بالسيف عنهم . صدود السواق عن أنوف الحوام

(بعد إذ أنزلت إليك) بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلثوبو منذ وما أشبه ذلك والنهى عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التبييض الذى سبق ذكره (الإلا وجهه) إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

تعالى بل حقق لهم في رحمته حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق ثلاثا وفي الثالثة وإن رغب أن أبذر اللهم أقسم لنا من رجار رحمتك ما تعصمنا به من القنوط من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

(قوله صدود السواق) لعله السواق بالفاء كمبارة الصحاح

(قوله بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه) لعله إنزالها

سورة العنكبوت مكية

الإمام آية ١ إلى غاية آية ١١ فدية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

(سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحسان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الأتري أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شياحي قول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام ذال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدافى العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسان حتى يترك غرضك (فإن قلت) فإن الكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسان فى الآية (قلت) هو فى قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتمة الترك لأنهم من الترك الذى هو معنى التصير كقوله ۝ فركته جزر السباع بنشته ۝ الأتري أنك قبل المحي به الحسان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فإن قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدا (قلت) كما تقول خروجه لحافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والحافة فى قولك خرجت لحافة الشر وضربه تأديبا لتعليق وتقول أيضا حسبت خروجه لحافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلهما مبتدأ وخبرا ۝ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملذذات والفقر والقطع وأنواع المصائب فى النفس والأموال وبمصارعة الكفار على أذام وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على الاستتم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير متحين بل يحتملهم الله بضروب المحن حتى يلوأ صبرهم ويأت أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوح نياتهم ليمتاز الخالص من غير المخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتهمك من العابد على حرف كما قال لنبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم من الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروى أنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جرعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار بن ياسر وكان يذب الله وقيل فى ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون ولا يقبل منهم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فاجتمعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا إليهم فخرجوا فاجتمعهم المشركون فقاتلهم فممنهم من قتل وممنهم من نجوا قيل فى مهبج بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أول قتل من المسلمين يوم بدر رماه عاصم بن الحضرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهبج وهو أول من بدى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه بواه وأمراته (ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يتجن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعنى أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم قدام صابهم من الفتن والمحن نحوما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فاصبروا الآية ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم فيوضع المشرك على رأسه فيفرق فرتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) فى الإيمان

(قوله فركته جزر السباع بنشته) فى الصحاح جزر السباع اللحم الذى تأكله وناشه ينوشه إذا تارله باطشابه كأيضه الصحاح

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ هـ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هـ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ هـ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

(وليعلم الكاذبين) فيه (فإن قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معصوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد والمعنى وليتميز الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعداً ووعداً كأنه قال وليبين الذين صدقوا وليعاقب الكاذبين وقرأ على رضى الله عنه والزهرى وليعلمن من الإعلام أى وليعرفن الله الناس من هم أو ليسنهم بعلامة يعرفون بها من يبايض الوجه وسوادها وكل العيون وزرقها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لاحالة وهم لم يلطمعوا فى الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وإصرارهم على المعاصى فى صورة من يقدر ذلك ويلطمع فيه ونظيره وما أنتم بمجزيين فى الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سيقوا منهم لا يجزون (فإن قلت) أين مفعولاً حسب (قلت) اشتغال صلة أن على مستند ومستند إليه مستند المفعولين كقوله تعالى أم حسبهم أن يدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم مقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحساب أبطل من الحساب الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يتحقق لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (سأ ما يحكمون) بمس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو أمس حكماً يحكمونه حكمهم هذا لحذف المخصوص بالذم هـ لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطعم مولاة على ما كان يأق ويدر فإما أن يلقاه ببشر وترحب لما رضى من أفعاله أو يصد ذلك لما سخطه منها فحقى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فإن أجل الله) وهو الموت (لآت) لعلامة فليادر العمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القرية عند الله والرزاق (وهو السميع العليم) الذى لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده وما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول المثل فى صفة عسال هـ إذا لسمته الذر لم يرج لسمها هـ (فإن قلت) فإن أجل الله لآت كيف وقع جواباً للشرط (قلت) إذا علم أن لقاء الله هتت به تلك الحال الممثلة والوقت الذى تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للوئ فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه فى منها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فإنما يجاهد) لها لأن منفعة ذلك راجمة

(القول فى سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (قال إن قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معصوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد) قال أحد فيما ذكر إيهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد أن العلم بالكائن غير العلم بأن سيكون والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقيله ويده على ما هو عليه وقائدة ذكر العلم ههنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم الثانية بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى لتعلمنهم فلنجازينهم بحسب علمه فيهم وانه أعلم هـ قوله تعالى هـ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزيهم أحسن الذى كانوا يعملون (قال محمود المراد هؤلاء أحد فريقين إما قوم مسلمون سيئاتهم صفات مغمورة بالحسنات وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر بالإسلام يجب ما قبله) قال أحد حجر واسما من رحمة الله تعالى بناء على أصله الفاسد فى وجوب الوعد على من ارتكب السيئات الكبائر إلا بالوبة وأطلق تكفير الصغار وإن لم تكن توبة إذا غرغها الحسنات وكلا الأصلين قدرى مجتنب والله الموفق

أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إِلَيْهَا ۖ وَإِنَّمَا أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَهَى رَحْمَةً لِّعِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفِيُّ عَنْهُمْ وَعَنْ طَاعَتِهِمْ ۚ إِنَّمَا أَنْ يَرِيدَ قَوْمًا مُسْلِمِينَ صَالِحِينَ قَدْ أَسَاءُوا فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ مَسْهُورَةٌ بِجِسَانَتِهِمْ فَهُوَ يَكْفُرُهَا عَنْهُمْ أَيْ يَسْقُطُ عَنْهَا بِثَوَابِ الْحَسَنَاتِ وَيَجْزِيهِمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيْ أَحْسَنَ جِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَإِنَّمَا قَوْمًا مُشْرِكِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَاقْعَبْ ۖ وَجَلَّ يَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِمْ بِأَنْ يَسْقُطَ عَذَابُ مَا تَعْدَمُ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَيَجْزِيهِمْ أَحْسَنَ جِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ۖ وَهِيَ حِكْمَةُ حَكَمِ أَمْرٍ فِي مَعْنَاهُ وَتَصَرُّفِهِ يُقَالُ وَصَيْتَ زَيْدًا بِأَنْ يَفْعَلَ خَيْرًا كَمَا تَقُولُ أَمْرَتُهُ بِأَنْ يَفْعَلَ وَمَنْ بَيْتِ الْإِصْلَاحِ

وَدِيَانِيَّةٌ وَصَيْتَ بَنِيهَا ۖ بِأَنْ كَذَبَ الْقِرَاطُفُ وَالْقُرُوفُ

كَأَنَّ لَوْ قَالَ أَمْرَتُهُمْ بِأَنْ يَتَّبِعُوا وَمَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ » أَيْ وَصَّاهُمْ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَأَمْرُهُمْ بِهَا وَقَوْلُهُ وَصَيْتَ زَيْدًا يَعْمُرُ مَعْنَاهُ وَصَيْتَ تَعَهَّدَ عَمَرُو وَمَرَاعَاتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ حُسْنًا) وَصَّيْنَاهُ بِإِتْيَانِهِ وَالدِّينِ حُسْنًا أَوْ بِإِتْلَاءِهِ وَالدِّينَ حُسْنًا أَيْ فَعَلَا ذَا حَسَنٍ أَوْ مَا هُوَ فِي ذَاتِهِ حَسَنٌ لِقَرُوفٍ حَسَنَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَقُرُوفُوا النَّاسِ حَسَنًا وَقُرُوفُوا حَسَنًا وَبِجِزَائِهِمْ حَسَنًا مِنْ بَابِ قَوْلِكَ زَيْدًا يُضَارِبُ اضْرِبَ إِذَا رَأَيْتَهُ مَتِيًّا لِلضَّرْبِ فَصَبَّ بِضَارِبِهِ أَوْ لَهَا أَوْ قَلَّ بِنِهَا لِأَنَّ التَّوَصِيَّةَ بِهَا دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَمَا بَعْدَهُ مُطَابِقٌ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى أَوْ لَهَا وَمَعْرُوفًا (لَا تَطْعُمُوا) فِي الشَّرِّ إِذَا حَلَّكَ عَلَيْهِ وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ إِنْ وَقَفَ عَلَى بَوَالِدِهِ وَابْتَدَأَ حَسَنًا حَسَنَ الْوَقْفِ وَعَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ لَا يَزِمُنْ إِضَارَ الْقَوْلِ مَعْنَاهُ وَقَلْنَا أَنْ جَاهِدَكَ أَيْ الْإِنْسَانَ (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أَيْ لَا عِلْمَ لَكَ بِأَلْهِيَّتِهِ وَالْمَرَادُ بِنِي الْعِلْمُ نَفِي الْمَعْلُومِ كَمَا قَالَ لِتُشْرِكَ فِي شَيْئًا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وَلَا يُسْتَقِيمُ وَصَاهُ بِوَلَدِهِ وَأَمْرُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا ثُمَّ نَهَى عَنْ طَاعَتِهَا إِذَا أَرَادَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا عَنْ أَيْ كُلِّ حَقٍّ وَإِنْ عَظُمَ سَاقِطٌ إِذَا جَاءَ حَقُّهُ وَهُوَ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ثُمَّ قَالَ لِي مَرْجِعُ مَنْ مِنْكُمْ وَمَنْ أَشْرَكَ فَأَجَازِيكَ حَقَّ جِزَائِكَ وَفِيهِ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْجِزَاءَ إِلَى فَلَا تَعُدُّتُ نَفْسَكَ بِجَفْوَةِ وَالدِّينُ وَعَقُوبَةُ الشَّرِّ كَمَا وَلَا تَحْرَمُهَا بَرَكًا وَمَعْرُوفًا فِي الدُّنْيَا كَأَنَّ لَنَا مَعْنَاهُمَا رِزْقُ وَالثَّانِي التَّحْذِيرُ مِنْ مُتَابِعَتِهَا عَلَى الشَّرِّ وَالْحَيْثُ عَلَى الثَّبَاتِ وَالِاسْتِمَاتَةِ فِي الدِّينِ بِذِكْرِ الْمَرْجِعِ وَالْوَعْدِ ۚ رَوَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي قَحْصٍ الْوَهْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَسْلَمَ قَالَتْ أُمُّهُ وَهِيَ حَبَشِيَّةٌ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ۖ بِاسْمِهِ بَلَّغْتِي أَنَّكَ قَدْ صَبَّاتُ فَوَاقَهُ لَا يَطْلُقُ سَقْفَ بَيْتٍ مِنَ الضَّحَى وَالرَّيْحِ وَإِنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عَلَى حَرَامٍ حَتَّى تَكْفُرَ بِمَعْدَمِهِ وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدَهَا إِلَيْهَا فَابْتَدَأَ بِسَعْدٍ بِقِيَّتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَذَلِكَ لِيَأْجَأَ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَكَاهُ إِلَيْهِ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي لِقَائِهِ وَالثَّانِي فِي الْأَحْقَافِ فَأَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَارِبَهَا وَيَقْرَضَهَا بِالْإِحْسَانِ وَرَوَى أَهْلُ بَارْتِ فِي عِيَاشِ بْنِ أَبِي رِيْمَةَ الْخَزَزِيِّ وَذَلِكَ أَنَّهُ هَاجَرَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُتَرَاغِبِينَ حَتَّى زَلَّ الْمَدِينَةَ فَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ شَامٍ وَالْحَرِثُ بْنُ هِشَامٍ أَخُوهُ لَأَقَهُ أَسَاءَ بَغْتِ خُرْمَةِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ مِنْ بَنِي حِظْلَةَ فَزَلَّ بِعِيَاشٍ وَقَالَ لَهُ إِنَّ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَوةَ الْأَرْحَامِ وَبِرَّ الْوَالِدِينَ وَقَدْ تَرَكْتَ أَتْلُعَ وَلَا تُشْرِبُ وَلَا تَأْرَى يَتَنَاقِشُ تَرَكَهُ وَهِيَ أَشَدُّ حَاجَةً لَكَ مَتَا فَخَارَ مِنْهَا وَقَلَامَتِهِ فِي الدُّرَّةِ وَالْعَارِبِ فَاسْتَشَارَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ صَاحِبُهَا عِنَاكَ وَلَكَ عَلَى أَنْ أَقْسَمَ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَزَالَ بِهِ حَتَّى أَطَاعَهَا وَدَعَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو أَمَّا إِذَا عَصَيْتُنِي فَعَدَّتْ نَفْسِي فُلَيْسَ فِي الدُّنْيَا بِمِيرَاقٍ لَهَا فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهَا رِبَاقَةً فَارْجِعْ فَلَمَّا انْتَهَرُوا إِلَى الْبَيْدَاءِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ إِنَّ نَاقِيَّ قَدْ كَلَّتْ فَاحْتَفَى مَعَكَ قَالَ نَعَمْ فَنَزَلَ لِيُوطِئَ نَفْسَهُ لَهُ فَأَخَذَهُ وَشَدَّاهُ وَثَامًا وَجَلَدَهُ

(قوله بأن كذب القراطيف والقرووف) في الصحاح كذب قد يكون بمعنى وجب والقراطيف القطيفة والقروف الفتح وعاء من جلد يدبغ بالقرفة وهي قشور الرمان ويجعل فيه الخلج وهو لحم يطبخ يتراجل فينزع فيه أي عليم بالقراطيف والقرووف فاعتنواهما اه (قوله فوارة لا يظلي سقف بيت من الضحى) في الصحاح الضحى الشمس وفي الحديث لا يقدن أحدكم بين الضحى والظل فإنه مقعد الشيطان اه (وقعلامته في الدرود والغارب) في الصحاح مازال فلان يقتل من فلان في الدرود والغارب أي يدور من وراء خديته

تُطْعِمُهُمَا إِلَى مَرَجِّكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَنَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَنَ الْمُنْكَفِرِينَ ۝
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَمِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ ۝ هُنَّ إِنَّمَا
لَكُذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

كل واحد منهما مائة جلدة وذهب به إلى أنه قالت لازلل في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فزكت (في الصالحين) في جنتهم
والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى أنباء الله قاله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام «وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين» وقال في إبراهيم عليه السلام «ولنه في الآخرة لمن الصالحين» أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا غروره تعالى
«ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» الآية هم ناس كانوا يؤمنون بالسنن فإذا قسم أذى من الكفار
وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كان عذاب الله صارفا للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون
عذاب الله صارفا ۝ وإذا نصر الله المؤمنين وغمهم اعترضهم وقالوا (إنا كنا معكم) أي مشاييركم في دينكم ثابتين عليه ثابتكم
ما قدر أحدنا بفتنة فأعطى ناصينا من المنعم ۝ ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بما في صدور العالمين) من العالمين بما في صدورهم
ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما يظهرون ثم وعد المؤمنين وأعدا للمنافقين وقرئ
ليقولن بفتح اللام ۝ أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا على دينهم وأمرؤ أنفسهم بحمل خطاياهم فاعطف الأمر على
الأمر وأرادوا ليجمع هذا الأمر في الحصول أن يتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطايكم والمحل تعليق الحمل بالإتباع وهذا قول
صناديد قرش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإننا نحمل عنكم الإثم نرى في المسلمين
بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظام أفعل هذا وإنه في عتقوكم من مغرور
بمثل هذا الضمان من ضعفه المائة وجهلهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الحشوح واجهه فاقضاهما
قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله إياك وهؤلاء
فلنهم قطاع الطريق في المأمن ۝ (فإن قلت) كيف سماهم كاذبين وإنما ضمنوا شيئا لهم الله أعلم أنهم لا يتقربون على الوفاء به
وضمن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاجل ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يذلل تحت حد الكاذب وهو
الخبر عن الشيء لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله عالم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفروا فكان ضامنهم عنده لا على
ما على المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما على المخبرته ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقبحهم على
خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعني أثقالا

۝ قوله تعالى «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء» إنهم
لكاذبون» (قال وبعض المسلمين بالإسلام إذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قاله أفل هذا وإنه في حق ومنه ما يحكى
أن رجلا رفع إلى المنصور حوائجه فقضاها وما هي فقال يا أمير المؤمنين بقيت إلى ذلك حاجة هي العظمى قال وما هي قال
شفاعتك في المحشر فقال عمرو يا أمير المؤمنين إياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن) قال أحمد : عمرو بن عبيد
أول القدرة المشركين الشفاعة فأخذه وليست إلا آية مطابقة للحكاية ولكن الزعفراني يبنى على أنه لا فرق بين اعتقاد
الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم فلذلك ساقها مساقا واحدا نمود بالله من ذلك ۝ وفي قوله تعالى

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۚ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفَةِ
وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۚ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا

أخر غير الخطأ التي ضحوا للذين كانوا سياف في ضلالم (وليسلن) سؤال تزييع (عما كانوا يغترون) أي
يختلفون من الأكاذيب والباطل. وقرئ من خطيهم. كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة بعدت على رأس أربعين وليت
في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعزوب أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة. (فإن قلت) هلا قيل تسعمائة
وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لأنه لو قيل كالتكليف لما كان يوم إطلاق هذا العدد على أكثر مواعيد التورم زائل مع
بجته كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وقاية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالغاثة وفيه نكتة
أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابدته من طول المصاراة تسلياً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتثبيتاً له فكان ذكر رأس العدد الذي لأرأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استقامة السامع مدة صبره
(فإن قلت) فلم جاء المبدع أولاً بالسفوف ثانياً بالعام (قلت) لأن تكرار اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب
في البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض يتبعه المتكلم من تضييع أو تهويل أو تنويع أو نحو ذلك (والتوفان) ما أطاف
وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال المصاحف. (وغم طوفان الظلام) أي (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية
وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافث ونسأوم وعن محمد بن إسحق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهل بيته الثلاثة والضمير
في (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة. (نصب) (إبراهيم) بإحضار أذكر وأبدل منه (إذ) بدل الاشتغال لأن الأحياء
تشمّل على ما فيها أو هو معطوف على نوح وإذ ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السّن والعم لمبلغنا صالح فيه لأن يعظ
قومه وينصحه ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وإبراهيم
بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (إن كنتم تعلمون) يعني إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم
أو إن نظرتم بعين הראية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تخلفون من خلق بمعنى التشكك
في خلق وتخلفون من تخلف بمعنى تكذيب وتخلفون من تخلف بمعنى إفساد في وجهان أن يكون مصدراً نحو كذب ولعبوا بالإفك
مخفف منه كالكذب واللعب وأن يوصف على فعل أي خلقاً إفساداً أي إفك وباطل واختلافهم بالإفك
تسميتهم الأوثان ألهة وشركائه أو شفعاء إليه أو سبي الأصنام إفساداً وعلمهم لها ونعتهم خلقاً للإفك (فإن قلت) لم نذكر
الرزق ثم عرفه (قلت) لأن أفراداً لا يستطيعون أن يرزقوا شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده

لهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة بحج الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره والتزم بخرجه جميع
ما ورد في ذلك على أصل الأمر ولم يزل في ذلك في هذه الآية لأن الله تعالى أرفق قومه ولتحمل خطابكم على صفة
الأمر بقوله إنهم لكاذبون والتكذيب إنما ينطبق إلى الإخبار. قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً
(قال عدل عن تسعمائة وخمسين لأنه يحتمل فيه إطلاق العدد على أكثره بخلاف مجيء مع الاستثناء) قال أحد لأن
الاستثناء استتدراك ورجوع على الجملة بالتقصير تحريراً للعدد فلا يحتمل المبالغة لأنها لا يجوز معها العدد عاد
كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح وكابده من طول المصاراة تسلياً له عليه
السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لأرأس أكثر منه أوقع على الغرض قال وإنما خالف بين اللفظين فذكر
في الأول السنة وفي الثاني العام تجنباً للتكرار الذي لا يعمد إلا لقصد تضييع أو تعظيم) قال أحد ولو علم المستقي

(قوله وغم طوفان الظلام) أي (أصحاب السفينة) في المصاحف الأثبات غير

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الزُّرْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

لاريذو غيره (إليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستمعوا لقائه بعباده والفكره على انفعه وإن تكذبوني فلانضروني بتكذيبهم فإن الرسل قبل قد كذبهم أنهم وما ضرهم وإنما ضرروا أنفسهم حيث حل بهم ماحل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم في فسائر الأنبياء أسوة وسولة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فإن كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقصص معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها (فإن قلت) إذا كانت من قول إبراهيم فالمراد بالآية قوله (قلت) قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أتعنى معنى أم جمعة مكذبة بقوله قد عاشر إدريس أنفسهم في قومه إلى أن يرفع إلى السماء وأمن به ألف إنسان منهم على عدد سنه وأعقابهم على التكذيب . (فإن قلت) فما صنع بقوله قل سيرا في الأرض (قلت) هي حكاية كلام حكاة إبراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المتأخر في أكثر القرآن (فإن قلت) فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسلهم بين طرفي قصة إبراهيم والجملة . أو الجملة الاعتراضية لابلها من اتصال بما وقعت معترضه في الأثر لا تقول مكروذا أبوه فأم خير بلاد الله (قلت) إيراد قصة إبراهيم ليس لإلزامه التفتيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلافة ومتفرجا بأن يراه إبراهيم خليل الله كان عنوا بنحو ما من به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى أنك بما عاشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أم من قبلكم لا بد من تناوله لآية إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم فسائر الآيات الواصلة عنها من أذباها وتوابعها لكونها ناطقة بالوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهم قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجة وبرهانه . قرئ يروا بالياء والثاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حاله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدل دون الإنشاء ونحو قوله ما زلت أؤثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فإن قلت) هو معطوف بحرف العطف فلا بدله من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أؤثر فلانا (ذلك) يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله وهو أمون عليه من معنى يعيد دل بقوله

لعاد ذلك بعض تفخيم المستثنى منه وتكثيره عند السامع والله أعلم . قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وإنما هو إخبار على حاله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة كقولك ما زلت أؤثر فلانا وأستخلفه (يبدئ) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى آمن يبدئ الخلق ثم يعيده أنه معطوف وصحح اللطيف وإن كانوا ينكرون الإعادة لأن الاعتراف بها لازم لهم وقد أبى هنا جعله معطوفا لفرق والله أعلم أنه هنا لو عطف الإعادة على البداية لدخلت في الرؤية الماضية وهي لم تقع بعد ولا كذلك في آية النمل ولتأمل أن يقول هي وإن لم تقع إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المريبة فعملت معاملة ما رؤى وشوهد (قوله كان عنوا بنحو ما من به) أي مبتلى في الصباح من توهم منيته إذا ابتليته (قوله وهو كما ترى اعتراض واقع) لعله واقع موقه

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيِّنَاتٍ مِنْ اللَّهِ وَلِقَاءِهِ أُولَئِكَ يُسَوُّوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۝ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

(النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وإن كل واحد منهما إنشاء أى ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لانتشار بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاء كالرأفة والآفة (فإن قلت) مامعنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتداً في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد إختصاره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقفاً في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قرره في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فلذا كان الله الذى لا يعجزه شيء هو الذى لم يعجزه الإبداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الإعادة فكانه قال ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فالدلالة والتبعية على هذا المعنى أبرزاه وأوقفه مبتداً (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمة ومتعلق المشيئين مفسرين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا ومن المصوم والثائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تقوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (في الأرض) الفسيحة (ولا في السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقولكم لنعالي إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . وقيل ولا من في السماء كما قال حسان رضى الله عنه :

أمن يجهر رسول الله منكم ۝ ويمدحه وينصره سواه

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما بهطم في مهاوى الأرض وأعماقها أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة أولاتعجزون أمره الجارى في السماء والأرض أن يجرى عليكم فيصيبيكم يبلاد يظهر من الأرض أو يزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يسوون من رحمتي) ويهدأى يأسون يوم القيامة كقوله : ويوم تقوم الساعة يلس المجرمون . أو هو وصف لحالم لأن المؤمن (إنما يكون راجياً خاشعاً فأما الكافر فلا يخطئ بالله رجاء ولا خوف أو شبه حالم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوماً هانوا عليه فقال أولئك يسوون من رحمتي وقال إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبى للؤمن أن لا يأس من روح الله ولا من رحمة وأن لا يأس من عقابه صفة المؤمن أن يكون راجياً لله عز وجل خائفاً ۝ قرئ (جواب قومه) بالتبصير والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون

إلا أن جعله خبراً ثانياً أو ضم الله أعلمه قوله تعالى قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال إن قلت) ما وجه الإفصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد إختصاره في البداية أولاً ولت لأن النشأة الآخرة هي المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليفة بإيراز اسمه تعالى تحقيقاً لنسبة الإعادة إلى من نسبت إليها الأولى) قال أحد الأصول الإظهار ثم الإضمار ويولى لقصد التفتيح الإظهار بعد الإظهار ويولى وهو أغم الثلاثة لإظهار بعد الإظهار كافي الآية والله أعلم

(قوله ومتعلق المشيئين مفسرين في مواضع من القرآن) تفسيره بما يأتى منى على أنه تعالى عليه تعذيب الكافر والفاسق إذا لم يتوبا وإقامة المصوم والثائب وهو مذهب المعتزلة ولا يجب عليه تعالى شيء عند أهل السنة فالشيئة في الآية على إطلاقها (قوله) وقيل ولا من في السماء) عبارة الخازن ولا من في السماء بمعجز (قوله وعقابه صفة المؤمن) لأنه لأن صفة المؤمن الخ

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرٍ ۝ قَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُم لَأَتَّخِذُونَ الْفَحْشَاءَ مَاسَبِقًا بَهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝
إِنَّكُم لَأَتَّخِذُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّقُوا

راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين ۝ وروى أنه لم يتنعف في ذلك اليوم بالدار نفي يوم اتقى إبراهيم في النار وذلك
لذهاب حرها ۝ قرئ على التصغير إضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالصّب على وجهين على التعليل أي لتواتروا
بينكم وتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها واثتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم
وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الله هواه أي اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف
المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم
كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبرا لأن على أن ماموصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان
مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كإثني لقد قطع بينكم ففتح
وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أوثانا إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا أي إنما تتوادون عليها أو تودونها
في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتماذى يتلاعن العبد وتلاعن العبد والأصنام كقوله
تعالى ويكونون عليهم ضدًا ۝ كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار تحرقه
(وقال) يعني إبراهيم (إني مهاجر) من كوثي وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل
نبي هجرة ولا إبراهيم هجران وكانت معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (إلى ربّي)
إلى حيث أمرني بالهجرة إليه (إنه هو العزيز) الذي يمنني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي
(أجره) التناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه ۝ (فإن قلت) ما بال
إسماعيل عليه السلام لم يذكر وذكر إسحق وهقب (قلت) قد دلّ عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى
الدليل لشهرته أمره وعلو قدره ۝ (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته منازل
على ذريته من الكتب الأربعة التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على إبراهيم أو على
ما عطف عليه (الفاحشة) الفعلة البالغة في الفجور (وماسبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة
نلك الفعلة كأن قائلًا قال لم كانت فاحشة قبيح له لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشتزازًا منها في طباعهم لإفراط قبحها
حتى أقدم عليها قوم لوط لحث طبعتهم وقدر طباعهم قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط قطه وقرئ إنكم بنير
استفهام في الأول دون الثاني قال أبو عبيد وجدته في الإمام يحرف واحد بنير يأمور أيت الثاني يحرف في اليوم التون ۝ وقطع
السبيل عمل قطع الطريق من قتل النفس وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السالبة بالفاحشة وعن الحسن قطع النفس
يأتیان ما ليس بحرث و(المنكر) عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمل بالندق والفرقة ومضع
الملك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا
يتعاقبون وقيل السخرية بين مريم وقيل المجاهرة في ناديم بذلك العمل وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ولذلك
(قوله) كانوا يتعاقبون وقيل السخرية في الصحاح الحق بالكسر الردام وفيه أيضا الردام بالضم الحق اه وهو دور

يَعَذَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ • وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالْبَشَرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ • قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا فَالْوَاثِقُ أَهْلُ
بَيْنَ فِيهَا لَتُنَجِّيَنَّ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ • وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَاتِقًا بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ • إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ • وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • وَإِلَىٰ
مَدِينِهِمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ عَبْدُ اللَّهِ هَاجِرُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَاصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ • وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُم مِّنْ مِّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

جاء من خرق جلباب الحياة فلاغية له ولايقال للجلس ناد لإلامادام فيه أهله فإذا قاموا عتلم يبق ناديا (إن كنت من
الصادقين) فيها تعدناه من نزول العذاب • كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والنواحيش طوعا
وكرها ولأنهم ابتدءوا الفاحشة وسنوها فيهم يعدم وقال الله تعالى الذين كفروا وعدوا عن سيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر ذلك صدق الله صفة المفسدين في دعائه
(بالشرى) هي الإشارة بالولد والثلاثة زعموا إسحق ويعقوب • وإضافة مهلكو إضافة تخفيف لانعريف والمضى لاستقبال
والقرية سدوم التي قل فيها أجور من قاضى سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم إجماده في الأيام السالفة
وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأوان معاصيهم (إن فيها لوطا) ليس إخبار أنهم يكونه فيها وإنما هو جدال في شأنه
لأنهم لم اعلموا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيهم من هو رى من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليهم وما يجب
للمؤمن من التحزن لآخيه والتشمر في نصرته وحياطة والخوف من أن يسه أذى أوليحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن
ألا يحوط المؤمن ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخير بحال لوط وحال قومه
وامتيازهم منهم الامتياز الذين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون تخفيض على نفسك وهون عليك الخطب • وقرئ لتنجينه بالتشديد
والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتبة أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل
بينهما كأنهما وجداني جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساعدة من غير ريب خيفة عليهم من قومه
(وصاتقهم ذرعا) وصاتق يشأتهم وبندبر أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلت العرب صتيق الذراع والذرع عبارة عن قد الطاقة
كما قالوا رجب الذراع بكذا إذا كان مطلقا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا ياله القصير الذراع
فضر بذلك متلافي العجز والقدرة • والرجو الرجز العذاب من قولهم ارتجزوا رجزا إذا اضطرب بعلما يلحق المذهب من التلق
والاضطراب • وقرئ منزلون مخفقا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة
وقيل بالمال الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا آية بينة (وارجوا) وافعلوا ما ترجون به
العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمرهم بالرجاء المراد اشتراط ما يستوعبه الإيمان كما يأمركم الكافر بالشرعيات على إرادة
الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف • والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صبيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب برجفت
لها (في دارهم) في بلدهم وأرضهم أوفى ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا)

فلنظر حله ثم رأيت فيه في مادة شرط الضراط الردام وقد شرط يضطرط يضطرط بكسر الراء مثال حقيق يحقق حقيقا اه
فالتحقيق المضارطة كما عبر النسق (قوله فاجأته المساعدة من غير ريب) أى بطه

أَعْلَمَهُمْ فَصَدَّمَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقُرُونٌ وَفِرْعُونَ وَهَمْنٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فُتِنَهُمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصِّحَّةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ * خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ

منصوب يا خمار أهلكنا لأن قوله فأخضتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من إهلاكهم (من) جهة (مسألتهم) إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكه يحجون عليها في أسفارهم فيصرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فاتنين أدرتهم أمر الله فلم يفوتوه . الحاصب لقوم لوط وهى ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرهمهم . والصيحة لمدى وثود ، والخسف لقارون ، والفرق لقوم نوح وفرعون . الغرض تشبيه ما اتخذه هؤلاء معتمداً في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الأترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله (وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت) (فإن قلت) ما معنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت) معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون وأخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه عرج المجاز فكأنه قال وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عتكتوت يتخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجر وجص أو بنى من صخر وكأن أوهن البيوت إذا استقرت بها بيتاً بيت العنكبوت كذلك أضغف الأديان إذا استقرت بها ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون . قرئ تدعون باناء وباء وباء وهذا توكيد للتل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئاً (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لم حيث عبدوا ما ليس بشئ . لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدره أصلاً وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكم الذى لا يفضل شيئاً إلا بمحكمة وتدير . كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها إلا العالمون) أى لا يعقل محضاً وحسناً وفائدتها إلا الام لأن الأمثال والتشبيهات إنما هى الطرق إلى المعاني الخفية في الاستعار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كاصور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب محضه (بالحق) أى بالفرض الصحيح الذى هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكين عباده وعبدة للعبيرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى وما خلقتنا السواء

قوله تعالى « خلق الله السموات والأرض بالحق » (قال فيه أى بالفرض الصحيح) قال أحمد لفظة قدرته ومعقودى .

(قوله قديبين لم على السنة الرسل) لعله قديين وقديمير بالمضارع لأن الكلام على سبيل التجويد

أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْبِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ • وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا
بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُ وَحْدَهُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ • وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ • وَمَا

والأرض وما بينهما باطلا • ثم قال ذلك ظن الذين كفروا • الصلاة تكون لطقاً في ترك المعاصي فكانها ناهية منها
(فإن قلت) كم من مصل يرتكب ولا انتهاء صلاته (قلت) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن
يدخل فيها مقدماً للثوبة النصوح متيقاً لقوله تعالى « إنما يقبل الله من المتقين » ويصلها عاشماً بالقلب والجوارح
فقد روى عن حاتم كأن رجلاً على الصراط والجنة عن يمينه والنار عن يساره وملك الموت من فوقه وأصلي بين
الحرف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصلها فلا يحوطها فهي الصلاة التي تنبى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهى عن المنكر لم يرد بصلاته من الله إلا بعداً وعن الحسن رحمته من لم
تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعياً للصلاة جزء ذلك إلى أنه
ينتهى عن السيئات يوماً ما فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل
فقال إن صلاته لتردعه وروى أن قتي من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبته
فوصف له فقال إن صلاته ستباه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال إن المراعى للصلاة لا بد أن يكون أبداً من الفحشاء
والمعصية عن لاراعيا وأيضاً فكم من مصلين تنهوا الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى أن لا يخرج واحد
من المصلين عن قضيتيها تقول إن زيداً ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المنكر وإنما تريد أن
هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها
من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال « فاسعوا إلى ذكر الله » وإنما قال ولذكر الله يستغفر بالعلم كأنه قال وللصلاة
أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نبيه عنهما ووعده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى
من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم رحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته
(والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فينبغيكم أحسن الثواب (بالي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن وهي
مقابلة الحشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالآتاة كما قال : ادفع بالي هي أحسن (إلا الذين ظلموا) فأفراطاً في
الاعتدال والعناد ولم يقبلوا الصبح ولم يرفع فيه الرق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يداقه مغلوله وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤثرين
للجزية إلا بالي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلهم بالسيف وهن قتادة الآية
منسوخة بقوله تعالى « قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يجادلون أشد من السيف » وقوله (قولوا آمنا بالذي أنزل
إلينا) من جنس المجادلة بالي هي أحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بأنه وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم • ومثل ذلك الإنزال (أنزلنا إليك الكتاب) أي
أي أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية تحقيقاً لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليك وقيل وكما أنزلنا الكتب إلى من كان
قبلك أنزلنا إليك الكتاب (فالذين آتيناكم الكتاب) هم عباده بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل مكة وقيل أراد

قد تقدم إنكاره هل القدريه ولو كان ما قالوه حقاً من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا نليق بالادب
والله سبحانه وتعالى أعلم

كُنْتُمْ تَلَوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُ بِمِثْلِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُطْلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَ فِي صُورِ
الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ فَرَأَى أَيْمَانَ الْآيَاتِ
عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . قُلْ كُنِيَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَطْلِ
وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ

بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء من وعده منهم (وما يجهل
بآياتنا) مع ظهور هار زوال الشبهة عنها لا المتوغلون في الكفر المصمون عليه وقيل من كتب من الأشراف وأصحابه . وأنت
أى ما عرفك أحفظ تلاوة كتاب ولا خط (إدأ) لو كان شيء من ذلك أى من التلاوة والخط (لارتاب المطلقون) من
أهل الكتاب وقالوا الذى يجهل فى كتبنا أى لا يكتب ولا يقرأ وليس بأول ارتاب مشركو مكة وقالوا لله تملأ أركنته
يده (فإن قلت) لم يساهم بمطيلين ولو لم يكن أنيا وقالوا ليس بالذى يجهل فى كتبنا لكانوا صادقين محققين ولكن أهل مكة أيضا
على حق فى قولهم لله تملأ رأسه فإنه رجل قارئ كاتب (قلت) ساهم بمطيلين لأنهم كفروا به وهو أى بعيد من الرب فكأنه
قال هؤلاء المطلقون فى كفرهم به ولو لم يكن أنيا لارتابوا أشد الرب حين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتابهم وشئ آخر وهو
أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكم بالمعجزات
فهب أم قارئ كاتب فالزم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا به موسى وعيسى عليهما السلام على أن المزلين ليس بمعجزين
وهذا المنزل معجز فإذاهم بطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أى ومطلقون لم يؤمنوا به وهو غير أى (فإن قلت) ما فائدة قوله
بيمينك (قلت) ذكر العين وهى الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نعتهم من كونه كتابا الذى ترى أنك إذا قلت
فى الإثبات رأيت الأمر بخط هذا الكتاب يمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كذبته فكذلك الذى (بل) القرآن (آيات بينات
فى صدور) العلماء به وضاغته وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات لا يحجاز وكونه محفوظا فى الصدور بثلوه أكثر الأمانة
ظاهرا بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء فى صفة هذه الأمانة صدورهم
أناجيلهم (وما يجهل) بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون فى الظلم المكابرون . قرئ آية وآيات أرادوا أملا أنزل عليه آية مثل
ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك (أى الآيات عند الله) يزل أيها شاء ولو شاء أن يزل ما تفرحوا به لفعل
(وإنما أنا نذير) كلفت الإنذار وإبائه بما أعطيت من آيات وليس أن أنخير على آياته فأقول أنزل على آية كذا
دون آية كذا مع على أن الفرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة وذلك ثم قال (أولم يكفهم)
آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالين للحق غير متمتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان
فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضل كما تقول كل آية بعد كونها تكون فى كل مكان دون مكان . إن فى مثل هذه الآية
الموجودة فى كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (رحمة) لنعمة عظيمة لا تشكره وتذكره (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم
بمن اليهود أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى أيديهم من نعمك ونعت دينك وقيل (إننا من المسلمين أتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكتم قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر إليها النصارى قال كفى بها حقا قوم أو ضلالة قوم أن
يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاءهم به غير نبيهم فزلت والوجه ما ذكرناه (كنى بالله يخبرونك شيئا) أى قد بلغكم ما أرسلت
به إليكم وأنذرتمكم وأنكم قابضون بالجهل والكذب (يعلم ما فى السموات والأرض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم
بحق وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يقولون من دون الله (وكمروا بالله) وآياته (أو لكتم الخاسرون)

(قوله حين ليس) لهل حين كان ليس (قوله على أن المزلين ليسا بمعجزين) لهل المزلين عليهما

بَعَثَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ • يَسْتَعْجِلُكَ الْعَذَابَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِغْطَةٌ بِالْكَافِرِينَ • يَوْمَ يَنْفُثُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • يَعْبَادُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةُ قُلُوبِهِمْ قَاعِيدُونَ •
كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَتْ الْمَوْتَ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ • وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَافًا يُجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ • الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • وَكَانَ مِنْ دَآيَةِ

المؤمنون في صفتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعل
هدى أو ضلال بين وكقول حسان • فسر كما لحير كما الفداء • وروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من
يشهد لك بأنك رسول الله فزلت • كان استعمال العذاب استهزاء منهم وتكذيباً للنصير بن الحرث هو الذي قال اللهم
أمطر علينا حجارة من السماء قال أصحاب الآية فأسقط علينا كسفاً من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله بيته في اللوح
لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيرهم إلى ذلك الأجل المسمى (لجاءم العذاب) عاجلاً والمراد بالأجل الآخرة لما روى
أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة
وقيل يوم بدر وقيل وقت فاتهم بأجلهم (لمغطة) أي ستيعط بهم (يوم ينشام العذاب) أو هي محيط بهم في الدنيا لأن
المعاصي التي توجهها محيط بهم أو لأنها ما لم ومرجعهم لأعمالها فكأنها الساعة محيطهم ويوم ينشامهم على هذا منصوب
بمضمر أي يوم ينشام العذاب كان كيت وكيت (من فوهمهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوهمهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل (وقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أي جزاءه • معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتقبل
له العبادة في بلد هو فيه ولم يمش له أمر دينه كما يجب فلهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر
عبادة وأحسن خشوعاً ولعمري أن البقاع تختلف في ذلك التفاوت الكثير وقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيها
دنيا وداروا أهون على قهر النفس وههين الشهوة وأجمع القلب المتلف وأضمر اللهم المنتشر وأسس على القناعة وأطرد
للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأنشط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فله الحد على
ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدنه من أرض إلى
أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين نكة الذين نزل
فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستب لم بين ظهري الكفرة
(فإياي قاعيدون) في التكملم نحو إياه ضربته في القائب وإياك عصنت في المخاطب والتقدير إياي قاعيدوا قاعيدون (فإن
قلت) ما معنى الفاء في قاعيدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم
تخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إعادة تقديمه
معنى الاختصاص والإخلاص • لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الانتماء بها حتى يطلبوا لها أوفق
البلاد وإن شمت أبته قوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذاقي طعم المذوق ومعناه
إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (لننزلنهم
من الجنة) علالي وقرئ لننزلهم من التواء وهو النزول للإقامة يقال نوى في المنزل أو نوى هو أو نوى غير موثوق
متعد فإذا تعدى بزيادة حمزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في تقديمه إلى ضمير المؤمنين وإلى
الغرف إنا إجرأوه بجري لننزلهم ونوبتهم أو حذف الجار وإصال الفعل أو تشبيه الطرف المؤقت بالمهم • وقرأ يحيى
ابن وثاب فتم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الأوطان والمهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن

(قوله أوفق البلاد وإن شمت) أي بعدت (قوله أو تشبيه الطرف المؤقت بالمهم) أي المحدث وهو الطرف

لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاهُ وَمَا يُسْمِعُ الْعَلِيمُ • وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللَّهُ فَإِنَّ يَوْمَهُ كَوْنَهُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَجَابَهُ الْآرَضُونَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ يَقُولُونَ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَى أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ • وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ •

والمصائب وعلى الطاعات وعن المصائب ولم يتكلموا في جميع ذلك إلا على الله • لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة عافوا الفقر والضيقة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فزلت • والعبادة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل (لأتحمل رزقها) لا تظن أن تحمله لضيقها عن حمله (الله يرزقها وإياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أي الأتقياء إلا هو وإن كنتم مطيعين لخل أركانكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لأتحمل وعن الحسن لأتحمل رزقها لا تدخره إنما تصح فيرزقها الله وعن ابن عينة ليس شيء يجزأ إلا الإنسان والفقة والفقر والضيق (العلم) بمافي الليل يحسرك في حنينه ويقال للعقق غنايه إلا أنه ينسأها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيقة (العلم) بمافي ضيائركم • الضمير في (سألتهم) لأهل مكة (فأني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض • قدر الرزق وقدره بمعنى إذا ضيقه (فإن قلت) الذي رجع إليه الضمير في قوله (ويقدره) هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جملا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما منه وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة (إن الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم • استعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه من أمر أتى بنحو ما أقروا به ثم نعمة ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقراراً عاطلا كإقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للغير ثم قال (بل أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لمحدث الله عند مقالته (هذه) فيها ازدراء الدنيا وتفسير لأمرها وكيف لا يصبرها وهي لا تزن عنده جناح بموضه • يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم بها إلا كاليلب الصبيان ساعة ثم يتفرون (وإن الدار الآخرة هي الحيوان) أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالفة لأموت فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيوان فقلت الياء الثانية وأو كاتالوا حيوة في اسم رجل وبه سمى ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتروا الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فلان من معنى الحركة والاضطراب كالزوان والتقصان والتهيان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فجعل على بناء ذال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المختص للبالغة (لو كانوا يعلمون) فظروا الحياة الدنيا عليها • (فإن قلت) بم اتصل قوله فإذا ركبوها (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم مناهم على

• قوله تعالى وإن الدار الآخرة هي الحيوان (قال إنما عدل عن الحياة إلى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحد والذي يخص هذا البناء به إرادة ما لا يخلو من الحركة كالزوان والجولان والحيوان من ذلك والله أعلم (قوله قالوا اشتروا الموتان) الذي في الصحاح اشتروا الموتان ولا تشتر من الحيوان أي اشتروا الأرض والله • ولا تشتر الرقيق والدواب اه (قوله كالزوان والتقصان والتهيان) في الصحاح التهيان به حريك اتحاد الدار

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلْيَسْمَعِمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فَنُفِّثَ يَمَلُونَهُ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آتَمًا وَيَخْشَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَتَقَالُ بَاطِلٌ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ .

ما وصفوا به من الشرك والعناد (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يدركون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التكم (فلا تنجام إلى البر) وآمنوا عاودوا إلى حال الشرك . واللام في (ليكفروا) عطفة أن تكون لام كي وكذلك في (وليتمنوا) فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالمود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم ويحملوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة إلى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمنوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر . وبأن يعمل العصاة ما شؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلف وإن ذلك الأمر مستنسخ إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وهناك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتألف في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تزمه إلا الإيذاء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وأفضل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكرامة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذا قد آيت قبول الصبيحة فأنت أهل ليقال لك أفضل ما شئت وبتت عليه ليقين لك إذا فعلت محبة رأى الصالح وفساد رأيك . كانت العرب حول مكة يفتروا بعضهم بعضا ويتناوون ويتهاونون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزونها ولا يفتار عليهم مع قتلهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووعدهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم . اقترأهم على الله كذا بزمهم إله شركا . وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله (لما جاءه) تسفي لم يعنى لم يتلعموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعله المراجع العقول المتبتون في الأمور سمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويسأنون إلى أن يضع لهم صدقة أو كذبه (أليس) تقرير لثوابهم في جهنم كقوله . أستم خير من ركب المطايا . قال بعضهم ولو كان استغناء ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن الهزمة هزمة الإنكار دخلت على التي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثبون في جهنم وألا يستوجبوا الثواب فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عنهم أن في جهنم مَثْوًى للكافرين حتى اجتروا مثل هذه الجراءة . أطلق المجاهدة ولم يقبدها بفعل ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الآتية بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولو جهنما خالصا (لنهديهم سبيلنا) لنهديهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اعتدوا اذ هم هدى وهن أبي سليمان الداراني والذين جاءوا فيها علوا لنهديهم إلى مالم يعلموا وهن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل إن الذي نرى من جهنم بما لانعلم إنما هو من قصصنا فيها فلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنكوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمؤمنين

سورة الروم مكية

الآية ١٧ فذنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ السَّمِ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ۝ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ يَسْتَخِيلُونَ ۝ فِي بَعْضِ سِنِينَ اللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ۝ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَنْصَرُّ اللَّهُ بِنَصْرِهِ ۝ وَهُوَ الْكَرِيمُ ۝

(سورة الروم ستون آية مكية إلا قوله ففسحان الله)

(بسم الله الرحمن الرحيم) القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الفين وسيلبون بفتح الياء والأرض أرض العرب لأن الأرض المهدومة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنباء اللام مناب المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى حدودهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ في أدنى الأرض والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فسق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأن فارس مجرس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أتم النصراري أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظفرن نحن عليكم فذلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يفترأه أعينكم فوالله لنظفرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت بأناضيل اجمل بيتنا أجلا أحابك عليه والمناحية المرمية فاحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل لجملاها مائة قلووس إلى تسع سنين ومات أبي بن جرح رسول الله فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفرقيين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والتلب والتلب مصدران كالجلب والجلب والجلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيلبهم المسلمون في بضع سنين وعنده انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم إضافة عليهم تخلف باختلاف القراءتين ففي إحدىهما إضافة المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافة إلى الفاعل ومثالهما عزم عليكم إخراجهم ولن يخلف الله وعده (فإن قلت) كيف صحت المناحية وإنما هي قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجوا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر يمينين أبي بن خلف (من قبل ومن بعد) أي في أول الوقت وفي آخرهما حين غلبوا وحين يظنون كأنه قبل من قبل كرههم غالين وهو وقت كرههم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالين آخره ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداهلها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجز من غير تقدير مضاف إليه واقطاعه كأنه قبل قبل وبعدا بمعنى أولا وآخره (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتنليه من له كتاب على من لا كتاب له ويغبط من شئت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنهولى

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ
هُمْ غَافِلُونَ • أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى

بعض الظالمين بعضا ورفق بين كلهم حتى تماوا وتافصوا وغل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للإسلام وعن أبي
سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنين (وهو العزيز الرحيم) نصر عليهم نارة وينصركم أخرى
(وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لأن معناه أعتزف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وهذا لأن
ما سبقه في معنى وعد • ذمهم الله عز وجل بأنهم غفلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات
ومكاسب وعن الحسن بلغ من حق أحدم أنه يأخذ الدرهم فيقره بأصبعه فيعلم أرده هو أم جيد وقوله (يعلمون)
بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبده منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسد ليعلم أنه
لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) فيبدأ
للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتتم بملذاتها وواقعيتها أنها مجاز إلى الآخرة
يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر • وم
الثانية يجوز أن يكون مبتدا (وفاهمون) خبره والجملة خبرهم الأولى وأن يكون تكريرا للأولى ووافهمون خبر الأولى
كانت فذكرها متاد على أنهم معدن النقلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع (في أنفسهم) يحتمل
أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يبدعوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارقة من الفكر والتفكير لا يكون إلا في القلوب
ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأخبره في نفسك وأن يكون صلة للتفكير كقولك تفكر
في الأمر وأجال فيه فكره (و ما خلق) متعلق بالقول المخدوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه
فجعلوا لأن في الكلام دليلا عليه (الإلا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقهما باطلا وهما بفكر غرض صحيح وحكمة بالغة
ولأن في خالدة وإنما خلفها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام
الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله تعالى الحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون
كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا • والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قوله دخلت عليه بباب السفر واشترى
الفرس بصرجه ولجامه تزيد اشتراه وهو ملتبس بالسر واللباس غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي
ملتبسة بالحق مقترنة به (فإن نلت) إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكير فامعناه (قلت) معناه أولم يتفكروا في أنفسهم
التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فقدرت ما أوردعها الله ظاهرا
وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي
دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر المخلوقات كذلك أمرها جاز على

(القول في سورة الروم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (قال) فيه يعلمون
بدل من الأول وفي البديل نكتة وهي الإشمار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا حتى
كأنها شوه واحد فأبدل أحدهما من الآخر وقائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها
(قال) أحد وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليل يقربه من النقي حتى يطلق المبدل منه وروى عن الحسن أنه قال في تلاوته
هذه الآية بلغ من صدق أحدم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء

(قوله وغل هؤلاء شوكة هؤلاء) أي كسر أقاده الصالح

وَأَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بَلَّغَهُ رَبُّهُمْ لَكَفْرُونَ . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا أَنَّا كَذَبُوا لَكِنَّهُمْ يُظْلَمُونَ . وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السَّوْءَ أَلَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ . اللَّهُ يَدْخُلُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ

الحكمة والتدبير وأنه لا بد من الانتهاء إلى ذلك الوقت . والمراد ببقاء ربهم الأجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم في البلاد . ونظرم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) وحروها قال الله تعالى . لا ذلول تترك الأرض وقيل لبق الحراثثة المثرة وقالوا سعى ثورا لإثارة الأرض وبقرة لأبها بقرها أى تشقها (وعمرها) بنى أولئك المدمرون (أكثر مما عمرها) من عمارة أهل مكه وأهل مكه أهل وادى غير ذى زرع مالم إثارة الأرض أصلا ولا عمارة لها رأسا فلما هالاهم بهم وبضعف سالم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر البهينة وهم أيضا ضماض القوى قوله كانوا أشد منهم قوة أى عاد وثمود وأضرهم من هذا القليل كقوله . أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدرة . فما كان تدميرهم إياهم ظلما لم لأن حاله منافية للفظ ولكمهم ظلما لأنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم . قرئ عاقبة بالعصب والرفع و (السوى) تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسن تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالعمار ثم كانت عاقبتهم السوى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات في الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (أن كذبوا) بمعنى لأن كذبوا وبجور أن يكون بمعنى أى لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أسوأ أساؤا السوى بمعنى اقترفوا الخطية التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام (ثم إليه ترجعون) أى إلى ثوابه وعقابه وقرئ بانه وإليه الإبلاس أى يبقى بئسأ ساكتا متحيرا يقال ناظرته فأبلس إذا لم يفس ويث من أن يمتنع ومنه الثقة بالبلاس التى لاترغى . وقرئ يلبس بفتح اللام من ألبسه إذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا شركائهم كافرين) أى يكفرون بإلهيتهم ويحسدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم . وكتبوا شفعوا في المصحف بو وقبل الألف كما كتب علواء بنى إسرائيل وكذلك كتبت السوى بألف قبل الياء إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها . الضمير (في تنفرون) للسلين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تنفرون المسلمين والكافرين هؤلاء . في عليين هؤلاء . في أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (في روضة) في بستان وهى الجنة والتكثير لإبهام أمرها وتضييعه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من روضة في روضة يريدون روضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلا له وجهه وظهر فيه أثره

(قوله ويتباهون به أمر البهينة) أى الزراعة (قوله إذا لم ينس) أى لم يتكلم أفاده الصحاح

الْآخِرَةَ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ۖ فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۖ وَلَهُ الْحُدُودُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۖ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ

ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فمن مجاهد رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن
كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السباع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ذكر الجنة وما فيها من النعم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي
إن في الجنة لنهرًا حافاه الأبقار من كل بضاء خوصانية يشنين بأصوات لم تسمع الخلاق قط فذلك أفضل
نعم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم يتغنى قال بالتسبيح وروى إن في الجنة لأشجارًا عليها أجراس من
فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله رجلاً من تحت العرش فقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات
لو سمعها أهل الدنيا لما تروا بها (محضرون) لا ينيون عنه ولا يخفف عنهم كقوله ومما يجارون منها لا يفتر عنهم
لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينبئ من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو
تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الطاهرة وقيل الصلاة وقيل
لأن عباس رضى الله عنهما هل تجمد الصلوات الحسن في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسكون) صلواتا المغرب
والمشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشياً) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشياً متصل
بقوله حين تمسون وقوله «وله الحد في السموات والأرض» اعتراض بينهما ومعناه إن على المميزين كلهم من أهل
السموات والأرض أن يحمدهم (فإن قلت) لذهب الحسن رحمه الله إلى أن هذه الآية مدنية (قلت) لأنه كان يقول فرضت
الصلوات الحسن بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الأكثر أن الحسن إنما فرضت بمكة وعن
عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد
في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى ليليل فصبح الله حين تمسون
وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فصبح الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك
تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين أمسى أدرك ما فاته في ليله وفي قراءة عكرمة حيناً تمسون وحيناً تصبحون
والحق تمسون فيو تصبحون فيه كقوله يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً بمعنى فيه (الحى من الميت) الطائر من البضة (الميت
من الحى) البضة من الطائر وإحياء الأرض لإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الإخراج تخرجون
من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على العرود والمكس من إخراج الميت من
الحى وإخراج الحى من الميت وإحياء الميت وإماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب)
لأنه خلق أصلهم منه و (إذا) للفتاحة وتقديره ثم تأتكم وقت كونكم بشرًا منتشرين في الأرض كقوله وبث منها
رجالاً كثيراً ونساءً (من أنفسكم أزواجا) لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدهما خلقن من أصلاب الرجال
أو من شكل أنفسكم وجسدها من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكون وما بين الجنسين
المختلفين من الزنافر (وجعل بينكم) التواد والترامح بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولانفلاء ولا سبب

(قوله وقرئ الميت بالتشديد) يفيد أن القراءة المشهورة بالتخفيف

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ السَّنَكُمُ وَالْوَنَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْيَاتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ . وَلَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كُلِّ

يوجب التعاطف من قرابة أورش ومن الحسن رضى الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كإفلال ورحمة مناولات ذكر رحمة ربك عبده . ويقال سكر إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه وأطمان إليه ومنه السكن وهو الألف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرق من قبل الشيطان . الألسنة اللغات وأجناس النطق وأشكاله خالف عز وجلين هذا لأشياء حتى لا تكاد تسمع متفكرين في خمس واحد ولا جارية ولا حذوة ولا راحة ولا فصاحة ولا لكمة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور ونحيطها بالألوان وتوزيعها واختلاف ذلك وقمع المعارف وإلا فلو اتفقت وتساوت كانت ضرباً واحداً وقع النجاهل والالباس ولتعلقت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفزعوا من أصل فقوم على الكثرة التي لا يعلوها إلا الله يختلفون متفاوتون . وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسر هاء يشهد بالكسر قوله تعالى وما يقفها إلا العالمون . هذا من باب التثنية وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرنين الأولين بالقرنين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه شيء واحد مع إغاة اللغ على الاتحاد ويجوز أن يراد ما مكم في الزمانين وابتغائكم فيهما الظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمونه بالأذان الواجبة . في (يركم) وجهان إختياراً وإزالة القمل منزلة المصدر وبها فسر المثل تسمع بالمعدي غير من أن تراه وقول القائل : وقالوا ما تشاء قتلت الموء . إلى الإصباح أثر ذى أثر (خوفاً) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) في التفت وقيل خوفاً للسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فإن قلت) من حق المفعول أن يكون فضلاً لفاعل القمل المعلن والخوف والطمع ليس كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون في المعنى لأنهم راؤن فكانه قيل يصطلمك رائين البرق خوفاً وطمعا والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أى إرادة خوف وإرادة طمع لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى غائبتين وطامعين . وقرئ يزل بالتشديد (ومن آياته قيام السموات والأرض واستمسكاً كهما بفير عمد (بأمره) أى بقوله كونا قائمتين والمراد بإقامتهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (إذا دعاكم) بمنزلة قوله

قوله تعالى . ومن آياته يركم البرق خوفاً وطمعا . (قال فإن قلت أينصب خوفاً وطمعا مفعولاً لها وليس فعل فاعل الفعل المعلن فارجح ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤن فتقديره يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعا أو على حذف مضاف تقديره إرادة خوفكم وطمعكم قال أحد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحجته يلزم اجتماع شرائط النصب فيها وهى كونها مصدرين ومقارنين في الوجود والفاعل الخالق واحد فلا بد من التنبيه على تفرج النصب على غير هذا الوجه فتقول معنى قول الحجة للمفعول لا يتوأن يكون فعل الفاعل أى ولا يتوأن يكون الفاعل متصفاً به مثاله إذا قلت جئتكم إكراماً لك فقد وصفت نفسك بالإكرام قلت فى المعنى جئتكم مكرماً لك والله تعالى وإن خلق الخوف والطمع لعباده إلا أنه مقدس عن الانصاف بهما فمن ثم احتجج إلى تأويل النصب على المذهبين جميعاً والله أعلم

(قوله وإن الفرق من قبل الشيطان) في الصحاح الفرق بالكسر البغض (قوله ومرئ يزل بالتشديد) يفيد أن المشهور بالتخفيف

لَهُ قِتُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

يريدكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموق من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يأهل القبور اخرجوا والمراد سرع وجود ذلك من غير توقف ولانك كما يجب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليا دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود أو أسرع يريد بان الطود الصدى أو الحجر إذا تدمدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض ثم يانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يأهل القبور قوموا فلاتبقى نسمة من الأولين والآخرين لإقامت تنظر كما قال تعالى ثم نفتح فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ۚ قوله دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانه كما يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فزول على ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلى (فإن قلت) ثم تعاين (من الأرض) بالفعل أم بالمصدر (قلت) هيأت إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ۚ (فإن قلت) ما الفرق بين إذا وإذا (قلت) الأولى للشرط والثانية للفتاة وهي توب مناب الفاء في جواب الشرط ۚ وقرئ نخرجون بضم التاء وفتحها (قائون) متفادون لوجود أمهاله فهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فها يجب عنكم وينقاس على أصولكم ويقضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتمننون للصانع إذا خلع في بعض ما ينشئ بقوله أول الفز أول آخرق وتسومن الماسر في صناعته معاودا تنعون أنه عاودها كثره بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فإن قلت) لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون عليه والمراد به الإعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فإن قلت) لم أخرجت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على من (قلت) هناك قصدا للاختصاص وهو محذو قبل هو على من وإن كان مستمعا عندكم أن يولد بين هو عاودها وأما هنا فلامنى للاختصاص كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فإن قلت) ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء

ۚ قوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون الآية (قال) إن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء قال أحمد : إنما يلحق السؤال تعظيم الإعادة من عطفها ثم إذا نأ بتأثير مرتبتها وعلو شأنها وقوله في الجواب إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا ينحصر فإن الإعادة ذكرت هنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره وقيامها ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال والنقص واه أعلم جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب وإن سلم أنها لتراخي المراتب فلي أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هي الدنيا وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب فإن المعطوف حيثن في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه واه أعلم ۚ قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) إن قلت لم أخرجت الصلة هنا وقد قدمت في قوله تعالى هو على من قلت لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلادهم والعاقر وأما المقصد هنا فلامنى للاختصاص فيه كيف والا مرتب على ما يعتقده في الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء فالاختصاص بغير المعنى

(قوله أن يولد بين ثم عاقر) في الصحاح المهم بالكسر الشيخ الفاني

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّالِكُمْ آمَنْتُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآزِقِكُمْ فَأَتِمْتُمْ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُوهُمْ كَخِفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَقْوَامًا وَم

لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل ثعبا وكبدا من أن يقتل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الخين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها أجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال منتهى أصلا عارج عن المقدور وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو التبعيض وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجوه الفعل كما يمنع الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من الانتفاع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الانتفاع وإذا كانت أبعدا من الانتفاع كانت أدخلها في التأني والتسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء (ولهامثل الأعلى) أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به • ووصف في السموات والأرض على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايحكته وعله وعن مجاهد المثل الأعلى قول لاله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية وبعضه قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيها يصعب ويسهل يريد التفسير الأول • (فإن قلت) أي فرق بين من الأول والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم عما ملكتم إيمانكم من شركاء (قلت) الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلا واتبعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يمد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى جمرى التثنية ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كثير وعبيدكم كعبيد أن يشاركمكم بعضهم (فما رزقاكم) من الأموال وغيرها تكونون أتم وهم في على السواء من غير تفصيلة بين حر وعبد • تهايون أن تسبوا بتصرف دونهم وأن تفتاوا بتدبير عليهم كما يجب بعضهم بعضا من الأحرار فإذا تم رضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لب الأرباب ومالك الأحرار والعبد أن تجعلوا بعض عبيده شركاء (كذلك) أي مثل هذا التفصيل (نقل الآيات)

(قال أحمد) كلام فقيس يستحق أن يكتب بنبوب التبر لا بالحبر وإنما يلحق الاختصاص من تقديم مائة أن يؤخر وقد علت مذهبه في مثل ذلك ما عدا كلامه (قال) في تقرير معنى قوله وهو أهورن عليه الأفعال إما تمتع عقلا لغناه وإما تمتع لصارف بصرف الحكيم من فعله وإما تمضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا. وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل. وأما إعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع فذلك وصف بالتسهيل وكانت أهورن من الإنشاء (قال أحمد) لقد مضى وصعد السيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق أن لا واجب على الله تعالى وكل ما ذكره في هذا المصل نزعاً قسرية على أنها أيضا غير مستحقة على أصولهم المجتهدة فإن مقتضاها وجوب الإنشاء. وبالحكمة إذ لا مصلحة اقتضت الإنشاء لما، نعم تلك المصلحة توجد متعلقها فقد وضع أن المصنف لا إلى محال السنة في لا. وحضيض الانعزال في فقه الصمة

(قوله وجزاؤها واجب والأفعال) هذا عند المعتزلة ولا يجب على الله شيء عند أهل السنة كما تقدم في محله
(قوله فكانت أحرأ منها) أي من جهة الأفعال

بَعْرِ عِلْمٍ قَدْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصْرِينَ . فَأَمَّا وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَمًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَتَّهَرَةً إِذَا فَرَّقُوا مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَسْتَأْذِنُوا فَوْقَ تَعْلُون . أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ . وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ

أى نبيها لأن التمثيل بما يكشف المأني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الأثرى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أى أشركوا كقولهم تعالى إن الشرك لظلم عظيم (ينير علم) أى ابتعوا أهوام جاهلين لأن العالم إذا ركب هواه ربما رده عليه وكفه وأما الجاهل فهم على وجه كالهبة لا يكفه شيء (من أضل الله) من خذله ولم يطلعه به لعله أنه عن اللطف له فى يقدر على هداية مثله . قوله (وما لهم من نصرين) دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) تقوم وجهك له وعده غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته وإتباعه بأسبابه فإن من أهم بالشئ عقد عليه طريقه وسد داله نظره وقوم له وجهه مقابله به عليه . (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وإنما أخرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفترة الخلفة الأثرى إلى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قائلين للتوحيد ودين الاسلام غير تائبين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خفت حنفا فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وأمرهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواهما اللذان يهودانه وينصرانه (لا تبديل لخلق الله) أى ما يبنى أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فإن قلت) لم وحد الخطاب أولائهم جمع (قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التنظيم للإمام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فارقوا دينهم بالتشديد أى جعلوه أديبا باعتكفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيما) فراق كل واحد تشاييع إمامها الذى أضلها (كل حزب) منهم فرح مذهبهم مسرور بحسب باطله حقاً ويجوز أن يكون من الذين منقطعاً عما قبله ومعناه من المفاشرين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقولهم : وكل خليل غير ما ضم نفسه : الضر الشدة من هزال أو مرض أو قسط أو غير ذلك . والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلاً فى ليكون لهم دعوا (فتمتموا) نظير اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) وبإل تتمكم وقرأ ابن مسعود ولتتمتموا . السلطان المحبة وتكلمه مجاز كما قول كتابه ناطق بكذا وهذا مما تلقى به القرآن ومعناه الهداية والشهادة كآله قال : فهو يشهد بشركهم وبصحة . وما فى (بما كانوا) مصدرية أى يكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى يسببه يشركون ويحمل أن

(قوله من أضل الله من خذله) تأويل الإضلال بذلك مبنى على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير فالآية على ظاهرها (قوله فاجتاتهم الشياطين) أدارتهم أفاده الصحاح

رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ فَاتَتْ ذَا الْقَرْيَةَ حَقَّةً وَالْمَسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رَّبِّا لِيَرْبُوا فِي أُمُورِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ظَهَرَ الْفَسَادُ

يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى يسيبه يشر كون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أوسمة أرحمة (فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة) أى بلاء من جدد أوضيق أومرض والسبب فيها شؤم مصابهم قنطوا من الرحمة ۚ ثم أنكر عليهم بأنهم قد علوا أنه هو الباسط القابض فاهم يقنطون من رحمة ومالم لا يرجعوا إليه تائبين من المعاصى التى هوقوا بالشدة من أجلها حتى يعبد لهم رحمة ۚ ۚ حق ذى القربى صلة الرحم ۚ وحق المسكين وابن السبيل نصيهما من الصدقة المساءلها وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب التفقة للحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لانفقة بالقرابة لإلأعلى الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن الم له لانه لا ولاد بينهم (فإن قلت) كيف تعلق قوله (فات ذا القربى) بما قبله حتى جرى بالعلم (قلت) لما ذكر أن السيئة أصابته بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك (يريدون وجه الله) يحتل أن يراد بوجهه ذاته أوجهته وجانبه أى يقصدون بمجردهم إياه خالصا وحقه كقوله تعالى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى أوفى قصدون جهة التقرب إلى الله لاجهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة ۚ هذه الآية فى معنى قوله تعالى يحق الله الربا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيت أكلة الربا (من ربا ليربوا) أموالهم ليزيد ويزكو فى أموالهم فلا يركو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتهم من زكاة) أى صدقة يتقنون به وجهه خالصا لا يطلبون به مكافأة ولا ربا وحمة (فأولئك هم المضغفون) ذوو الإضاف من الحسنات ونظير المضغف المغف والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت فى قتيب وكانوا يربون وقيل المراد أن يجب الرجل للرجل أوجهه ليعوضه أكثر عما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن الموضع لا يثاب هل تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالمرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يحجر منفعة والذى ليس بحرام أن يستعدي به أوجهه أكثر منها وفى الحديث المستغفر ثاب من هبه وقرئ وما آتيتهم من ربا بمعنى وما غشيتهم أو هفتهم من إعطائهم وقرئ لتربوا أى لتزيدوا فى أموالهم كقوله تعالى دوربى الصدقات أى يزيدنها وقوله تعالى (فأولئك هم المضغفون) التفات حسن كأنه قال للملايكة وخوادم خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضغفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأتم المضغفون والمعنى المضغفون به لانه لا بد من ضمير يرجع إلى ما ۚ ووجه آخر هو أن يكون تقديره فؤتوه أولئك هم المضغفون والخلف لمافى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل ما أخذنا فى الآول أ لا بالماندة (الله) مبتدأ وخبره (الذى خلقكم) أى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شئ منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتمهم أنداد له من الأصنام وغيرها (من يفعل) شياطين من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبت إليه ثم استمد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للبند والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذى ربطا الجنة بالمبتدأ لأن معناه من أفضاله ومن الآولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بأكيد تميز شركائهم وتجهل عبيتهم (الفاسد البر والبحر) نحو الجندب والقمل طوفة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقع الموتان فى الناس والبواب كثرة الحرق والفرق

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ • قَافُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ • مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُقْصِمُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ شَيْئًا • لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ • وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ

وإخفاق الصيادين والناصية وعنى البركات من كل شيء. وقلة المنافع في الجحمة وكثرة المضار وعز ابن عباس أجابت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا إذا انقطع القطر عمت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراءه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الأمصار البحار وقرئ في البر والبحور (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك • (فإن قلت) ما معنى قوله (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) قلت) أنا على التفسير الأول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم وعقما لذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأنا على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع فكأنهم إنما أفسدوا ونسيوا لنفوس المعاصي في الأرض لأجل ذلك وقرئ لذيقهم بالزبون • ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن مادونه من المعاصي يكون سبباً لذلك • القيم البالغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من الله) إما أن يتعلق بآتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردّها أو مجرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا يرده له من جهته • والمرء مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتصدعون أى يتفزعون كقوله تعالى : ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفزعون (فعليه كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لأن من كان ضارّه كفره قد أحاطت به كلّ مضرة • (فلا تقسم يمهدون) أى يسون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يهد فراشه ويوطئه ثلاثا يصيه في مضجعه ما ينيه عليه وينفض عليه مرقده من تنوء أو قضم أو بعض ما يؤذى الرائد ويجوز أن يريد فعل أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأما وتقدم الطرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوز (ليجزي) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يفضل عليهم بمدة توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بحد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والقواضيل هي الأعطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وذلك الضمير إلى الصريح لتفريده لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله (إنه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والمكس (الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا • وقد عتد الأغراض في إرسالها وأمرسها للبشارة بالقيت ولإذاعة الرحمة وهي

(قوله وإخفاق الصيادين) في الصحاح أخفق الصائد إذا رجع ولم يصطد (قوله ما ينيه عليه وينفض عليه مرقده) أى يرفقه والتواء الارتجاع والقضم صغار الحصى أماده الصحاح

وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِتُكْمِلُوا تَشْكُرُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِحُجَّتِهِمْ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ أَنْ جَرُّوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الدَّيْءِ الْمُبِينِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ الرِّيحَ فَتُثِرُ تُحَابًا فَيَسْطُو فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ . وَيَجْعَلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ . وَنُفِثَ الرُّوحُ مِنْ خَلْقِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِهِ لَمُبْسِينَ . فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَّاهُ مَصْفَرًا لَظُلُومًا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ . فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ

نزول المطر وحصول الخصب الذي يقيمه والروح الذي مع هبوب الريح وكذا الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتكتات زكت الأرض وإزالة الغفوة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها . وإتخاذ (بأمره) لأن الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيايل لجسها وربما هضفت فأغرقتها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر . ولتشكروا نعمته التي فيها (فإن قلت) بهم تعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها اختصار الطريق إلى الفرض بأن أودج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفرقين وقد أغفل الكلام أولا عن ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تنظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأجيل لكرامة سيفه وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظهرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى : وكان حقا علينا نصر المؤمنين (فيسطه) متصلا بنارة (ويجعله كسفا) أى قطعاً نارة (تقرى الودق يخرج من خلاله) في التارتين جميعاً والمراد بالسياه سميت السماء وشققا كقوله تعالى وفرعها في السماء . وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها . ومعنى التوكيد في الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد انقضى وبعد فاستحكم بأسهم وتماذى إبلاهم فكان الاستبشار على قدر اعتقادهم بذلك . قرئ أثر وأثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حنيفة وغيره كيف يحيى أى الرحمة (إن ذلك) يبنى أن ذلك القادر الذي يحيى الأرض بدموتها والذي يحيى الناس بعد موتهم (وهو على كل شيء) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (فأروا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي النيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي بهما يثبت . ولئن هي اللام المحوطة القسم دخلت على حرف الشرط (انظروا) جواب القسم مستدسا الجوابين أى جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليقظن ذنهم أنه تعالى بأنه إذا حيس عنهم القطر قطوا من رحمة وضرروا أذنتهم على صدورهم مبسكين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا ضرب بزروعهم بالصغار ضجروا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتكلموا على الله وفضله فتنظروا وأن يشكروا ونمتهم ويحمدوه عليها فلم

(قوله ولا تكون مؤاتية) في الصحاح آتية على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافته والماتة تقول وآتته (قوله إبلاهم)

الإبلاس البأس من الخير والسكرت والانكسار غما وحزنا أقاده الصحاح

إِذَا وَلَوْ مَدِيرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَدِ الْعَمَى عَنْ ضَلَلَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِثَابِتٍ فَهُمْ مُسْلِمُونَ . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ . وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ . وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

يزيد على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حروراً وأخرجنا فكلنا همما يصوح له النبات ويصبح شياً وقال مصفراً لأن تلك صفة حاد وقيل فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك لم يعطه . فري فتح الصاد وضماهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روی ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف وقوله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الإنسان من جلجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفاً أي ابتداءً كما في أول الأمر ضعفاً وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغت وقت الاحتلام والشبهة وتلك حال القوة إلى الاحتلام وبلغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والمهرم وقيل من ضعف من النطق كقوله تعالى من ماء مهين وهذا التردد في الأحوال المختلفة والتغير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا وأنها تقع بفترة وبدية كما تقول في ساعة لمن تستمعه وجرت عليها لها كالجم للثياب والكوكب الزهرة . وأرادوا لبثهم في الدنيا أوفى القبول وأوفى ما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لأنهم أمي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع هذاهم وإنما يقدر وقت لبثهم بذلك على وجه استقصاءهم له أويسون أويكذبون أو يخفون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك العرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبتون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الإغلك كانوا يؤفكون في الاعتراض بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة . القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون (في كتاب الله) في اللوح أوفى علم الله وقضاه أوفى ما كتبه أي أوجه بحكمته رتوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعهم على الحقيقة ثم صولوا ذلك بتفريغهم على إنكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه (فإن قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هي التي في قوله . قد جئنا خراسانا . وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كما قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلف وكذلك إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث أي قد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفخ) قرئ بالياء والتاء (يستنبتون) من قولك استنبت فلان فأعنته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانياً عليه وحقيقة أعنته أدلت عتبه الأتري إلى قوله :

غضبت تميم أن تقتل عامر . يوم النار فأعجبوا بالصيلم
كيف جعلهم غضاباً ثم قال فأعجبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا بكم توبة

(قوله يجوز أن تكون حروراً وأخرجنا) في الصحاح الحرجف الريح الباردة وفيه أيضاً صوته الريح أبيضته (قوله) فقد جئنا خراسانا) هو من قوله قالوا : خراسان أقصى ما يراد بنا . ثم انفعل فقد جئنا خراسانا (قوله يوم النار فأعجبوا بالصيلم) ما لبني عامر والصيلم الدابة والسيف كذا في الصحاح

وَلَنْ جَنَّتْ بِتَابَةِ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَتْلُونَ .
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ .

سورة لقمان مكة

إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فدية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اللَّهُمَّ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ

وطاعة ومثله قوله تعالى ولا يخجلون منها ولا هم يستعبدون (فإن قلت) كيف جعلوا غير مستعبدين في بعض الآيات وغير معتبدين في بعضها وهو قوله وإن يستعبدوا فسام من المعتبدين (قلت) أنا كونهم غير مستعبدين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبدين فعناه أنهم غير راضين بمسام فيه فضبت حالم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه فإن يستعبدوا الله أى يسألوه إزالة مام فيه فسام من المجابين إلى إزالته (ولقد) وصفناهم كل صفة كأنها مثل غرابها وقصصنا عليهم كل قصة بحجة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم ولكنهم لقوة قلوبهم وجأ أسمعهم حديث الآخرة إذا اجتمعهم بآية من آيات القرآن قالوا اجتنا بدور وباطل . ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجاهلة ومعنى طبع الله منع الإلطاف التي ينشر لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعا من علم أنها لا تجدى عليه ولا تنفى عنه كما يمنع الرائط الموهبة من يقين له أن الموهبة تلغو ولا تتجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصد قلوب الجاهلة حتى يسموا المحققين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (إن) وعد الله (بصرك) وإظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من إنجاز الوفاء به . ولا يملكك على الحقة والتلق جزعا مما يقولون ويضلمون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك قرئ بتخفيف التوخيروا ابن أبي إسحق يعقوب ولا يستخفك أى لا يفتنك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين . هن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليك

(سورة لقمان مكة)

وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله خذف المضاف وأقم المضاف إليه مقامه فبإقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة بعد (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والمعامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة والرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ مخوف (للحسنين) الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإتيان بالآخرة ونظيره قول أوس الأملى الذي يظن بك الظن . كان قد رأى وقد سما حكي عن الأصمى أنه مثل عن الأملى فأنشده ولم يرد أول الذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين

(قوله ومعنى طبع الله منع الإلطاف) أوله بذلك بناء على أنه تعالى لا يخجلون وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلفه كالحقير قائله على ظاهرهما (قوله وهم أعرق خلق الله) في الصحاح أعرق الرجل أى صار عريفا وهو الذى له عرق في الكرم (قوله قول أوس الأملى الذى يظن بك) في الصحاح الأملى الذكى المتوفى قال أوس بن حجر الأملى الخ

الصَّلَاةُ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝
وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافَةٌ فَأَنذَرْنَاهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

هذه الثلاث بفضل اعتداد بها ۝ اللهو كل باطل أُلِيَ عن الخير وما يعني (لهو الحديث) نحو السر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحك وفضول الكلام والمال يبنى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقى وما أشبه ذلك وقيل نزلت في الضربين الحرث وكان يجر إلى فارس فيشترى كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد ونمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وهرام والآكاسرة وملوك الحيرة فيستملعون حديثه ويتروكون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قيته فيقول أطعني واسقني وغني ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن قتال بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يبيع المغنيات ولا شراؤه ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفذة للبال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فإن قلت) مامنى إضافة اللهو إلى الحديث (قلت) معناه التبين وهي الإضافة بمعنى من وأنت يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمضى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنة كما تأكل البومة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري إما من الشراء على ما روى عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وأما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة أشراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و (سبيل الله) دين الإسلام أو القرآن (فإن قلت) القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فإ معنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويريد فيه ويمدّه فإن المخدول كان شديد الشككة في عدواة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالردف على المردوف ۝ (فإن قلت) مامنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جمعه مشتريا هو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فإ رحمت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها ۝ وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) ذاتا لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا ۝ فبعبه حاله في ذلك حال من لم يسمعهما وهو سامع (كأن في أذنيه قرا) أي قلا ولا يقر فيها وقرئ بسكون الذال (فإن قلت) ماعل الجلتين المصدرتين بكأن (قلت) الأولى حال من مستكبرا والثانية

(قوله وتعلم الموسيقى وما أشبه ذلك) يونانية ومعناه علم الغناء بغير راء ذات الغناء كذا قيل (قوله وقيل الغناء منفذة للبال) له منفذة بالذال المهمة (قوله كقولك صفة خز وباب ساج) له محرف وأصله خز ثم رأيت في مصاحف النادر والسر ج واحدة الصف اه فمل صفة السرج تكون من خز (قوله مستكبرا ذاتا لا يعبأ بها) في المصاحف زعم بأنه أي تكبر فهو ذات

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ يَجْنُ النَّعِيمَ • خَلَدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآئَةٍ • أَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ • هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِي حَمِيدٌ • وَإِذْ قَالَ

من لم يسمها ويجوز أن تكونا استئناف والاصل في كان المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن (وعد الله حقاً) مصدران مؤكداً الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لم يجنات النعيم في معنى وعدمه الله جنان النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فدل على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكداً جميعاً قوله لم يجنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يظلم شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطى النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا يشاء إلا ما توجه الحكمة والمعدل (ترونها) الضمير فيه السموات وهو استشهدا برؤيتهم لما غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح ترائي (فإن قلت) ما عليها من الإعراب (قلت) لا عمل لما لأنها مستأنفة أو هي في عمل الجز صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عندما بعد لا ترى وهي إما كما بقدرته (هذا) إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته • والمخلق بمعنى المخلوق و (الذين من دونه) آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة بما خلقه الله وأنشأ فأروني ماذا خلقت آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادات ثم أضرب عن نبيكهم إلى التسجيل عليهم بالوحد في ضلال ليس بعده ضلال • هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن عاتله وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل بيعت داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقبل له فقال ألا أكني إذا كفيتم وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل وأكثر الأقاليم أنه كان حكماً ما لم يكن نبياً وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته قصص أمره في القرآن لتسكو أبو صيته وقال عكرمة قال الشعبي كان نبياً وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة عن ابن المسيب كان أسود من سودان • هر خباطاً وعن مجاهد كان عبداً أسود غليظ الشفتين مثشف القدمين وقيل كان نجاراً وقيل كان راعياً وقيل كان محتطباً لحواله كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت ترائي غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق وإن كنت ترائي أسود فقلبي أبيض وروى أن رجلاً وقف عليه في مجلسه فقال السات الذي ترى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما راي قال صدق الحديث والصمت عما لا ينبغي وروى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لبس الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقيل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكماً وروى أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال مما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود لا تخمن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (إن) هي المنسرة لأن إتياء الحكمة في معنى القول وقد به

(القول في سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) • قوله تعالى وإن قال لقمان لا نبى هو بوسطه الآية (ذكر في ذلك اختلاف العلماء في نبوته وذكر أنما ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة) قال أحد في هذا بعدين وذلك أن الحكمة داخلة في النبوة فطره (قوله غليظ الشفتين مثشف) في الصحاح الشفق الردى من الأشياء يقال غطاء مشفق أى مثقل اه والظاهر أنه مثشف بغير

لَقَمْنُ لَابَنِهِ وَهُوَ يَعْطُهُ بَنِي لَا تُشْرِكُ بِهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ • وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنَةً أَمَّا وَهَنًا
عَلَى وَهْنٍ وَفَصْلَةٌ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ وَلَوْلَاكَ لَمْ يَكُنْ إِلَى الْمَصِيرِ • وَإِنْ جَهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ فِي مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تَمِّمِ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَانْتَبِهْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

الله سبحانه على أَنَّ الحكمة الأصلية والعلو الحق هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر إتياء الحكمة بالحث
على الشكر (غنى) غير محتاج إلى الشكر (حيد) حقيق بأن يحمده وإن لم يحمده أحد • قيل كان اسم ابنه أنم وقال
الكلي أشكم وقيل كان ابنه وأمراته كافرين فأزال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لأن التسوية بين من لافعة للإمام منه
ومن لافعة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكتفه عظمه • أى (حلت) نهى (وهنا على وهن) كقولك رجعت
عودا على يده بمعنى يعود عودا على يده وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف أى يزايد ضعفها
ونضعاف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفاً وقرئ وهنا على وهن بالتحريك من أبى عمر ويقالوهن
يوهن وهن وهن وقرئ وفصله (أن أشكر) تفسير لوصينا (ماليس لك به علم) أراد بنى العلم به فنهى أى لا تشرك فى
ماليس بشئ • يريد الأصنام كقولها تعالى ما يدعون من دونه من شئ (معروفاً) محبباً أو مصاحباً معروفاً حسناً يخلق
بجمل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب إلى) يريد واتبع سبيل المؤمنين فى
دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ثم إلى مرجعك و مرجعهما فأجازيك على
إيمانك وأجاز بهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان فى محبتهم ومعاشرتهم من مراعاة حق
الأبوة وتعظيمه ومالها من المواجهات التى لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالها فى الآخرة وروى أنها نزلت
فى سعد بن أبى وقاص وأمه وفى القصة أنها مكثت ثلاثاً لا تطعم ولا تشرب حتى شجرها فأها يهود وروى أنه قال لو كانت
لها سبعون نفساً غرقت لما اردت إلى الكفر (فإن قلت) هذا الكلام كيف وقع فى أثناء وصية لقمان (قلت) هو
كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيداً لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك (فإن قلت) قوله حلت أمه وهنا
على وهن وفصله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تكبده الأم وتمايه
من المشق والمنازع فى حملها وفصله هذه المدة المتطاولة إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بحفظها العظيم مفرداً
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قاله من أب أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض
العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول فى حديثه بنفسه

أحل أمى وهى الحلاله • ترضى الدرّة والعلاله • ولا يجازى والدفاله

(فإن قلت) ما معنى توقيت الفصل بالعامين (قلت) المعنى فى توقيت هذه المدة أنها الغاية التى لا تتجاوز والامر فيها دون
العامين موكول إلى اجتهد الأم إن علت أنه يقوى على القطام فلها أن تقطعه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن

من بحرهما وأعلى درجات الحكمة تحيط هن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من
الثبوت • قوله تعالى وإن جاهدك على أن تشرك فى ما ليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ماليس بشئ • وعبر بنى العلم عن
نقى المعلوم) قال أحد من باب قوله • على لاحب لا يهتدى بمناره • أى ماليس ياله فيكون لك علم بالآلهة وليس
كاذكره فى قول فرعون ما علبت لكم من إله غيرى وقد مر مناه فى تقدم • قوله تعالى حلت أمه وهنا على وهن الآية
(قال فى تخصيص حق الأم وهو مطابق لبداية ذكرها فى وجوب البر فى الحديث المأثور) قال أحد وهذا من قبيل

(قوله حتى شجرها فأها يهود) فى الصحاح شجره بالرفع أى طعنه

تَعْمَلُونَ • يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكُ مَقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ • يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرَأَ الْمَعْرُوفِ وَآتِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ • وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَتَالٍ غَوُورٍ •

أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضاءهما وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهراً ومن أبي حنيفة إن ضلعت قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعاً وإن أكل أكلاضيفاً لم يستغنى به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم • قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان أي إن كانت مثلاً في الصغر والقمامة كحبة الجرذ فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه بكجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي (بأمر الله) يوم القيامة فيحاسب بها عالمها (إن الله لطيف) يتوصل عنه إلى كل غنى (خير) عالم بكنهه ومن قتادة لطيف باستخراجها خير بمستغزها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وإنما أنت المثال لإضافته إلى الحبة كما قاله • كما شرقت صدر الفتاة من الدم • وروى أن ابن لقمان قال له أرايت الحبة تكون في مقل البحر أي في مناهض يملها الله قال إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأماكن لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار • وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته وهي مقره ليلاً (وأصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاطفاً كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيها أمره من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يجهنم إلى الخير وينكر عليهم الشر (إن ذلك) مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع لإيجاب وإلزام ومنه الحديث لاصيام لمن لم يزعم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية ألا ترى إلى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزمه ونولم هزيمة من عزومات ربنا ومنه عزومات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمتم عليكم إلا فعلت كذا إذا قال ذلك لم يكن للزعوم عليه بدم فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها ومفروقاتها ويجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال ونأهيك جذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأيام وأن الصلاة تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الأديان كلها • تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعلاه بمعنى والصعر والعبداء يصيب البعير يلوى منه عقه والمحق أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولم شق وجهك وصفته كما يفعل المتكبرون • أراد (ولا تمش) ترح (مرحاً) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً ويجوز أن يريد ولا تمش لأجل المرح والأشهر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشهر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس • والمختال مقابل للثاني مرحاً وكذلك

ما يقوله الفقهاء أن اللام من عمل الولد قبل الحلم جله وهو ما يفيد تأكيد حقها وأما علم • قوله تعالى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة (قال فيه هذا من البديع الذي يسمى التسميم) قال أحمدي يعني أنه تم خفاها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة وهو من واد قولها كأنه علم في رأسه نار

(قوله للهنة من الإساءة) هن على وزن أخ كلمة كفاية ومعناه شيء ومؤثته هنة والقمامة الصنفر والحفارة كذا في الصحاح

وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكِ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ • أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحَرَّكَ لَكُمْ
مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجِدُلُ فِي اللَّهِ يَبْسِرُ عِلْمَ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مُبِينٍ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا جَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ • وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

الفخور للصبر خذه كبراً (واقصد في مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لا تذب ديب المتلوتين ولا شب
وثيب الشطار قال رسول الله ﷺ سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان إذا
مشى أسرع فإنا أردت السرعة المرتفعة عن ديب المتلوت وقرئ واقصد وقطع الحمزة أى سد في مشيك من أقصد الراى
إذا سد سبهم نحو الرمة (واغضض من صوتك) واقصص منه واقصر من قولك فلان ينض من فلان إذا قصر به ووضع
منه (أنكر الأصوات) أوحشها من قولك شيء نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه وفرت والحرار مثل في
الدم البليغ والفتية وكذلك نفاقه ومن استغاضه لذكره مجرداً وتهادبهم من اسمه أنهم يكونون منه ويرغون عن
الصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستفجرة وقد عد في مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمار
في مجلس قوم من أولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استكافاً وإن بلغت منه الرحلة فتشبهه الراضين أصواتهم بالحميز
وتميل أصواتهم بالهاشم إلا خلا الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه خرج الاستعارة وإن جعلوا حميراً أو صوتهم ناقماً بالفة شديدة
في الذم والتجيز وإفراط في التشيط عز رف الصوت والترغيب عنه وتنبه على أنهم كراهة فإمكان (فإن قلت) لم وحد صوت
الحميز ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من أحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان
الناقل له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيد (ما في السموات) الشمس والقمر
والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما في الأرض) البحار والأنهار والمعادن والنبات (وأسبغ) وقرئ بالسين
والصاد وهكذا كل بين اجتمع معه الفين والحاء والقاف تقول في سلخ واصلخ وفي سقر صقر وفي سالف صالغ وقرئ نعمه ونعمة
ونعمته (فإن قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الإحسان والله تعالى خالق العالم كله نعمة لأنه إنا حيوان وإنا غير
حيوان فإلى ليس بحيوان نعمة على الحيوان من حيث أن له إده حياً نعمة عليه لأنه لو لا إجماده حياً لما صح منه الانتفاع وكل
ما أدى إلى الانتفاع وصحبه فهو نعمة (فإن قلت) لم كان خلق العالم مقصوداً به الإحسان (قلت) لأنه لا يخلفه إلا لنرض
وإلا كان عبثاً والبس لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غنى غير محتاج إلى المنافع فلم
يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفسه • (فإن قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل
ما يلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بالبديلة أو لا يعلم أصلاً فكيف يبدن الإنسان من نعمة لا يلبسها ولا يجتدي إلى العلم
بها وقد أكثرنا في ذلك فمن مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن
الحسن رضي الله عنه الظاهرة الإسلام والباطنة السر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة ونسوبة
الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والتهمم
وما أشبه ذلك ويروي في دعاء موسى عليه السلام إلهي دلني على أغنى نعمتك على عبادك فقال أغنى نعمتي عليهم النفس
ويروي أن أيسر ما يذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس • معناه (أ) يتقونهم • (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى في حال

(قوله منه الرحلة فتشبهه الراضين) أى المشى برجله يمشى وإن أتبعه المشى وعدم الركوب وفي الصحاح الرجل بالتحريك
مصدر قولك رجل بالكسر أى يمشى بالرجل (قوله وفي سالف صالغ) في الصحاح سلفت البقرة والثاة إذا أسقطت السن
التي خلفت السديس والبولغ في ذوات الأظلاف بمنزلة البزول في ذوات الأظفان

وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ • وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • نَتْمَتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ • وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَكْثَرُ مَا لَا يَعْلَمُونَ • اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ • وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبِحَرٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • مَا خَلَقْتُكُمْ

دعاء الشيطان إِيَّاهُ إِلَى الْعَذَابِ • قَرَأَ عَلَىٰ بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ يَسْلُمُ بِالتَّشْدِيدِ يُقَالُ أَسْلَمَ أَمْرُكَ وَسَلِمَ أَمْرُكَ إِلَى اللَّهِ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا لَهُ عَذَابٌ يَلِيّ وَقَدْ عَذَى بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ يَلِيّ مِنْ أَسْلَمَ وَجِهَهُ (قُلْتَ) مَعْنَاهُ مَعَ اللَّامِ أَنَّهُ جَمَلَ وَجْهَهُ وَهَوَاذِهِ وَنَفْسَهُ سَالِمًا فَتَأَى خَالِصًا لَهُ وَمَعْنَاهُ مَعَ إِلَى أَسْلَمَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ كَأَسْلَمَ الْمَنَاعَ إِلَى الرَّجُلِ إِذَا دَفَعَ إِلَيْهِ وَالْمَرَادُ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالتَّوَفُّيْضُ إِلَيْهِ (قَدْ اسْتَمْسَكَ بِالرَّوْثَةِ الْوُثْقَى) مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ مِثْلُ حَالِ التَّوَكُّلِ بِحَالٍ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَدَلَّ مِنْ شَاغِقٍ فَاحْتَاظَ لِنَفْسِهِ بِأَنْ اسْتَمْسَكَ بِأَوْتَقٍ عُرْوَةٍ مِنْ حَبْلِ مَتْنِينَ مُأْمُونٍ اقْطَاعَهُ (وَلِإِلَهِ اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أَيُّ هِيَ صَائِرَةٌ إِلَيْهِ • قَرَأَ بِحَزْنِكَ وَبِحَزْنِكَ مِنْ حُزْنٍ وَأَحْزَنَ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْاسْتِمَالُ الْمُسْتَفِيزُ أَحْزَنَهُ وَبِحَزْنِهِ وَالْمَعْنَى لِأَهْلِكَ كَفَرٍ مِنْ كَفَرٍ وَكَيْدِهِ لِلْإِسْلَامِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَافِعُ كَيْدِهِ فِي نَحْرِهِ وَمَتَّقْ مِنْهُ وَمَعَايِلِهِ عَلَى عَمَلِهِ (إِنَّ اللَّهَ) يَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ عِبَادِهِ فَيَقْبَلُ بِهِمْ عَلَى حَسَبِ (نَتْمَتُهُمْ) زَمَانًا (قَلِيلًا) بِدَنِيَّامٍ (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) شَبَّهِ الْإِزَامَهُمُ التَّعْذِيبَ وَإِرْهَاقَهُمْ إِيَّاهُ بِاضْطِرَارٍ الْمَضْطَرُّ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِضْكَانِ مِنْهُ وَالنَّفَاطُ مَسْتَمَارٌ مِنَ الْأَجْرَامِ الْغَلِيظَةِ الْمَرَادُ الشَّدْوُ التَّثَلُّ عَلَى الْمَعْذِبِ (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) الْأَوَّلُ عَلَى الْإِقْرَارِ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَمْدُ الشُّكْرُ وَأَنَّهُ لَا يَعْصِيهِ غَيْرُهُ ثُمَّ قَالَ (يَلَا أَكْثَرُ مَا لَا يَعْلَمُونَ) إِنَّ ذَلِكَ يَزِمُهُمْ وَإِذَا نَبَّأُوا عَلَيْهِ لَمْ يَتَّبِعُوا (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عَنْ حِدِّ الْحَامِدِينَ الْمُسْتَغْنَى الْحَمْدُ لِأَنْ يَحْمَدُوهُ • قَرَأَ وَالْبَحْرُ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى اسْمِ نَوْبِ الْبَارِعِ عَطْفًا عَلَى عَلَمِ إِيَّاهُ وَمَعْمُولًا عَلَى وَلُوبِثِ كَرْنِ الْأَشْجَارِ أَقْلَامًا وَنَبْتِ الْبَحْرِ مَعْدُودًا بِسَبْعَةِ آبِحَرٍ أَوْ عَلَى الْإِبْدَاءِ وَالْوَاوِ لِلْحَالِ عَلَى مَعْنَى وَلَوْ أَنَّ الْأَشْجَارَ أَقْلَامُ فِي حَالِ كَوْنِ الْبَحْرِ مَعْدُودًا وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَبِحَرْمَتِهِ عَلَى التَّنْكِيرِ وَبِحَسَبِ أَنْ يَحْمَلَ هَذَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ • وَقَرَأَ يَمْدُوهُ يَمْدُوهُ بِالنَّوَالِيَاءِ (فَإِنْ قُلْتَ) كَانَ مَقْصُودُ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ وَلَوْ أَنَّ الشَّجَرَ أَقْلَامُ وَالْبَحْرُ مَدَادٌ (قُلْتَ) أَغْنَى عَنْ ذِكْرِ الْمَدَادِ قَوْلَهُ يَمْدُوهُ لَا نَمَنْ فَوَلَّكَ مَدَّ الْوَاوِ وَأَمْدًا جَمَلَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمَ بِعِزَّةِ الْوَاوِ وَجَمَلَ الْبَحْرِ السَّبْعَةَ مَعْلُومَةً مَدَادًا فَهِيَ نَصَبٌ فِيهِ مَدَادُهَا أَمْدًا صَبًّا لَا يَنْقَطِعُ وَالْمَعْنَى وَلَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْأَرْضِ أَقْلَامُ وَالْبَحْرُ مَعْدُودٌ بِسَبْعَةِ آبِحَرٍ وَكَتَبْتَ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَبِذَلِكَ الْمَدَادِ كَلِمَاتُ اللَّهِ لَمَا نَفَذْتَ كَلِمَاتِهِ وَنَفَذْتَ الْأَقْلَامَ وَالْمَدَادَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنْتُ أَتَرَىٰ لِلْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِي رَبِّي (فَإِنْ قُلْتَ) زَعَمْتَ أَنَّ قَوْلَهُ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ حَالٌ فِي أَحَدٍ وَجْهِي الِرْفَعِ وَلَيْسَ فِيهِ ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَى ذِي الْحَالِ (قُلْتَ) هُوَ كَقَوْلِهِ • وَقَدْ اغْتَدَى وَالْعِلَرِ فِي وَكُنَاتِهَا • وَجِشْتُ وَالْجَيْشِ مَعْطُوفٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي حَكَمَهَا حَكْمُ الظُّرُوفِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَبِحَرْمَتِهِ لِلْأَرْضِ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ يَقِيلْ مِنْ شَجَرَةٍ عَلَى التَّوْحِيدِ دُونَ اسْمِ الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ شَجَرٌ (قُلْتَ) أَرَادَ بِتَفْصِيلِ الشَّجَرِ وَتَعْصِيَا شَجَرَةٍ شَجَرَةً حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ جِنْسِ الشَّجَرِ وَلَا وَاحِدَةٌ إِلَّا نَدَّ

• قَوْلُهُ تَعَالَى «ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ» (قَالَ شَبَّهِ الْإِزَامَهُمُ التَّعْذِيبَ بِاضْطِرَارٍ الْمَضْطَرُّ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِضْكَانِ مِنْهُ) قَالَ أَحْمَدُ وَتَفْسِيرُ هَذَا الْاضْطِرَارُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ لَشِدَّةِ مَا يَكَابِدُونَ مِنَ النَّارِ يَطْلُبُونَ الْبَرْدَ فَيُرْسَلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الزَّهْرُورُ فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ كَشْفَةُ الْهَبِّ فَيَتَمَنُونَ عَوْدَ الْهَبِّ لِاضْطِرَارِهِمْ فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ اضْطِرَارِهِمْ وَأَيَّادٍ هَذِهِ الْبَلَاغَةُ تَعْلُقُ الْكِنْدِي حَيْثُ يَقُولُ: يَرُونَ الْمَوْتَ قَدَامًا وَخَلْفًا • فَيَتَخَارُونَ وَالْمَوْتَ اضْطِرَارًا

(قَوْلُهُ وَمَعْمُولًا عَلَى وَلُوبِثِ) لَمْلَهُ عَلَى مَعْنَى وَلَوْ أَخْ

وَلَا يَنْفَكُ إِلَّا كَفَسَ وَحْدَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيَخْرِقُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ نَبْتَةً لَّيْسَ بِكُمْ مِنْ عَائِيَتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَاؤُاُ اللَّهِ تَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّابُ يَجْهَمُونَ إِلَى الْبَرِّ فَنَهُم مَّقْتَصِدٌ وَمَا يَحْجِذُهُمْ عَنْهَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي

بريت أفلاما (فإن قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فخلايل كلم الله (قلت) معناه إن كلفناه لاتفق بكنتها الجار فكيف بكلمه ومن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا أتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا ينون الوحي كلام سيفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفذ وهذه الآية عند بعضهم مدينة وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وقد فريش أن يقولوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تتلوا فيها أنزل عليك إنا قد أتينا التوراة وفيها علم كل شيء (إن الله عزير) لا يعجزه شيء (كلم) لا يخرج من ملبه وحكته شيء ومثله لا تنفذ كلماته وحكمه (إلا كفوس واحدة) إلا كفوها وبمها أى سره في قدرته القليل والكثير الواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفس الكثيرة العدد أن لوشفه شئ عن شأنه فضل عن فعله وقدرته على ذلك (إن الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويصير كل مصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضهما عن إدراك بعض فكذا ذلك الخلق والبشر كل واحد من الشمس والقمر يجرى في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتماهيها وزادتهما وتقصاها وجرى النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير حساب وإحاطة بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكته (فإن قلت) يجرى لأجل مسمى ويجرى إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بالبد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أغنى الاتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملامهم لصحة الفرض لأن قوله يجرى إلى أجل مسمى معناه يلغى ويقتى إليه وقوله يجرى لأجل مسمى تريد يجرى لإدراك أجل مسمى تجعل الجرى مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر مختص بآخر الشهر فكل المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذى وصف من عجائب قدرته وحكته التي يعجز عنها الأحياء القادرون المألومون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت لحيته وأن من دونه باطل الإلهية (وأن الله هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان وأذلك الذى أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن الها غيره باطل وأن الله هو العلى الكبير عن أن يشرك به قرئ الملك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على منذهب التوحيض وينها الله يسكون العين وهين فلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكرن (بنعمة الله) بإحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه ومهاصنا المؤمن فكأنه قال إن ذلك آيات لكل مؤمن يرتفع الموج ويتراب فيعود مثل الظل والظلة كل ما أظلك من جبل أو صحاب أو غيرها هو قرئ كالظلال جمع ظلة كلفة وقلال (فهم مقتصد) متوسط في الكفر والظلم خفص من غلوته وإن جرح بعض الأجزاء مقتصد في الإخلاص الذى كان عليه في البحر يعنى أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عهد عليه الله في البر والحق وأشد التندرو منه قولم إنك لا تمد لنا شرا من غير إلا ممدنا لك باعنا من خرقا قال : وإنك لو رأيت أبا عمير ملائ يدبك من غدر وخر

(قوله لا يلبد الطبع ضيق العطن) في الصحاح أنه مبرك الإبل عند الماء لتشرب عللا بعد نهل

وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْفَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝

(الجمري) لا يقضي عنه شيئا ومن قبل للتفاضي المتجازي وفي الحديث في جنازة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وقرئ لا جمري لا يفي بالآيات عنك مجزا فلا والمعنى لا جمري فيه لحلف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تنبيك في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الغرة بالله أن يتأدى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لثباتك غره وقرئ بضم النين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غزا كما قيل جده جده أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور (فإن قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لمرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية أكد من التعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيء هذا السن أن الخطاب للؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهل فأريد حسم أطعاهم وأطاع الناس فيهم أن ينفعوا آباؤهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يذروا عنهم من الله شيئا فذلك جيء به على الطريق الأكيد ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للآب الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وله الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولده منك ۝ روى أن رجلا من عارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حياتي في الأرض وقد أبطأت هنا السماء فتى تطر وأخبرني عن امرأتى قد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني عدت ما عدت أسس فما عمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فإن أموت فزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم منافع النيب خمس وتلا هذه الآية وهن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الحصة فقد كذب إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهل في البار وهن المنصور أنه أهم معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالاصابع الخمس فاستغنى العلماء في ذلك فأولوها بخمس سنين وخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن منافع النيب خمس لا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه (هذه علم الساعة) إيان مرساها (وينزل الفيث) في إيانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوز به (ويعلم ما في الأرحام) أذكر أم أنثى أنام أم ناقص وكذلك ماسوى ذلك من الأحوال (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرأ وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدرى نفس) أين تموت وربما قامت

۝ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إلى قوله شيء (قال إن قلت لم أكد الجملة الثانية دون الأولى قلت لأن أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلا كان إغواء الكافر عن المسلم بعيدا لم ينتج تأكيد ولما كان إغواء المسلم عن الكافر قد يقع في الأوهام أكد فيه (قال أحمد وهذا الجواب توقف صحة على أن هذا الخطاب كان خاصا بالموجودين حيثئذ والصحيح أنه عام لهم ولكل من يطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكتفي بوالده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع هنا وهم الوالد أن يكون الولد في القيامة مجزي به بحق عليه ويكتفي ما يقامه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه فلما كان إجزاء الولد من الوالد منظون الوقوع لأن الله حصنه عليه في الدنيا كان جديرا بتأكيد

(قوله وقرئ لا جمري لا يفي) لعله أي لا يفي (قوله للؤمنين وعليهم قبض آباؤهم) أي أشرافهم وعظماؤهم وقوله قبض آباؤهم لعله قبض آباؤهم على أنه فعل ونائب فاعل والجملة خبر عن عليهم

سورة السجدة مكية

إلا من آية ١٦ إلى غاية آية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ السَّمِ ۝ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَارِبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ بَلْ هُوَ الْخُبْرُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ

بارض وضرت أو نادها وقالت لا ارحها وأمر فيها فترى بهامراى القدر حتى تمت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثها به ظنوها وروى أن ملك الموت م على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه بلاد الهند فقبل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دعواى نظرى إليه تعجابه لأنى امرت أن أقبض روحه بالهند هو عندك وجعل العلم قولا الدراية للبدن لما فى الدراية معنى المختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف إن أعلمت حيلها ما يلقى بهار يخفى ولا يتخطاها ولائى أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ماعداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سبويه تأنيث أى بتأنيث كل في قولهم كلن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عسرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

(سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وإن جعلتها تعديا للعروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ مخوف أو هو مبتدأ خبره (لارب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولارب فيه اعتراض لأجل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لارب في ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجه قوله (أم يقولون افتراء) لأن قولهم هذا مفتري إنكار لأن يكون من رب العالمين وكنتك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقدير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيهه من رب العالمين وأن ذلك ما لارب فيه ثم اضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراء لأن أم هى المقطعة الكاتبة بمعنى بل والمهزة إنكاراً لقولهم وتنجياً منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم اضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعطل العالم في المسئلة بجملة جامعة قد احتز في أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التى لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يمتزض عليه فيها بعض ما وقع احترازه منه فبده بنسخ أن احتز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتخصيصه (فإن قلت) كيف نرى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت ما هو أعلم من الرب وهو قولهم افتراء (قلت) معنى لارب فيه أن لا مدخل للرب في أنه تنزيل الله لأن نافي الرب ويمطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الرب وأما قولهم افتراء فيما قول تضمنت مع عليه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل بقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه (ما أنام من نذير من قبلك) كقوله ما نذر أبأؤهم ذلك أن قرئاً ما لم يبعث الله إليهم رسولا قبل محمد صلى الله

التي لإزالة هذا الوم ولا كذلك العكس فهذا جواب كاف شاف للعليل إن شاء الله تعالى

(القول في سورة السجدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم) وقوله تعالى لتذرن قوما ما أنام من نذير من قبلك (قال بنى قريشا لأنهم لم يبعثوا نبي قط فإن قلت

الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ . ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ .

عليه وسلم (فإن قلت) فإذا لم يأتهم نذير لم يتم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك عليها إلا بالرسول فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فتم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان (لعلهم يتلون) فيه وجهان أن يكون على الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترتيب من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترتيب للإرادة (فإن قلت) ما معنى قوله (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) (قلت) هو على هنتين أحدهما أنك إذا تجاوزتم رضاه لم تعبدوا لأنفسكم ولياً أي ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم والثاني أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير (الامر) الأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً (من السماء إلى الأرض) ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك الأمور به خالصاً كما يريد ويرفضه إلا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الساعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلاً ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يرجع إليه) أي يصير إليه وربيت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضاً اليوم آخر وهم جرا إلى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك فيوقت هو في الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة في المهبوط والصعود لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يرجع إليه ذلك الأمر كله أي يصير إليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبي عمير على البراء للفعول . وقرئ يمدون بالناو الياء (أحسن كل شيء) حسنة لأنه ما من شيء خلقه إلا هو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأرجبته المصلحة لجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف خلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفة أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان . وقرئ خلقه على البدل أي أحسن فقد خلق كل شيء وخلق على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسنه . سميت الذرية نسلاً لأنها تنسل منه أي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم الولد لسليل ونجل (سواء) قومه كقوله تعالى في أحسن تقويم . ودل بأضافة

إن لم يقدم بحث نبي الله فيما قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك عليها إلا بالرسول لاسيلاً إليه وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فتم لأن أدلة العقل معهم في كل زمان قال أحد مذهب أهل السنة أنه لا يدرك علم شيء من أحكام الله تعالى التكليفية إلا بالشرع وما ذكره الزمخشري تزييع على قاعدة التحسين والتجيب بالعقل وقد جمعا السمع فلم يبع بها القلم فأعرض

(قوله أي أحسن فقد خلق كل شيء) لعل لفظ قدم يزيد من قلم الناسخ وعبارة النفس على البدل أي أحسن خلق كل شيء . ويمكن أنه ليس مزيداً بل هذا حاصل المعنى على البدل كما أن عكسه الآتي هو حاصل المعنى على الوصف (قوله وتخرج من صلبه ونحوه) لعل قبله سقطاً تصديره كما سميت النطفة سلالة لأنها تسلم منه ، وفي الصحاح النجل النسل ونجله أبوه أي ولده

وَقَالُوا أَأَعَدَّا صَلَائًا فِي الْأَرْضِ أَهْمَانِي خَلَقَ جَدِيدَ بَلِّ هُم بَلَقَاءُ رَبِّهِمْ كَفَرُونَ ه قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي بَعَثَ لَكُمْ تَوَالِي رَيْبِكُمْ تُرْجَوْنَ ه وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُرْسَلُونَ نَاكِدُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ه وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ

الروح إلى ذاته على أنه خلق عجب لا يعلم كنهه إلا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء
الذي اختص هو به ويعرفه (وقالوا) قيل القائل أبي بن خلف ولرحام بقوله أسند إليهم جميعاً ه وقرئ أنا وأنا على
الاستفهام وتركه (ضلائنا) صرنا زبانا وذمنا غنطين بقراب الأرض لاستميزته كايضل الماء في اللين أو غينا (في الأرض)
بالدفن فيها من قوله ه وآب مضلوه بين جلية ه وقرأ على وابن عباس رضي الله عنهما ضلائنا بكسر اللام يقال ضل
يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضي الله عنه ضلائنا من صل البحر وأصل إذا أنتن وقيل صرنا من جنس السلة وهي
الأرض (فإن قلت) هم انتصب الطرف في أئذا ضلائنا (قلت) بما يدل عليه إناني خلق جديد وهو نيت أو يحدد
خلقنا ه لقاء ربهم هو الوصول إلى العاقبة من تلق ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانفشاء أحضره عنه إلى
ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كفرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانفشاء وحده الاترى كيف خوطبوا بتوفى ملك
الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك بمعنيين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا ه والتوفى استيفاء
النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء من
قولك توفيت حتى من فلان واستوفيته إذا أخذته وإفيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستعمال يلتقيان في مواضع
منها قصصته واستقصيته وتعمجته واستعجلته وعن مجاهد رضي الله عنه حويت ملك الموت الأرض وجعلت له مثل
الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يترغام ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدهو الأرواح فتجيبه
ثم يأمر أحواله بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التفتي
كأنه قال ولينك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للنفية لو نظرت إليها والتفتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترتجي
له في علمهم يهدون لأنه يجتمع منهم النقص ومن عداوتهم وضارهم لجعل الله له تمني أن يرام على تلك الصفة
القطيعة من الحياة والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكون لوالامتناعية قد حذف جوابها وهو رايت أمراً عظيماً أو رايت
أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما يقول فلان لئن لم إن أكرمت أمانك وإن أحسنت إليه أساء إليك
فلاتريد به مخاطب بعينه فكانت قلت إن أكرم وإن أحسن إليه ولو وإذ كلامها للضئ وإنما جاز ذلك لأن المترقب
من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لئرى ما يتناوله كأنه قيل لو تكون منك الرؤية وإذا نظرفه ه يستفيئون
بقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فلا يفتأون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق وركك أو كنا عيا
وصبا فأبصرنا وسمعنا (فارجمنا) هي الرحمة إلى الدنيا (لآتيناك كل نفس هداها) على طريق الإلجام والقسر ولكننا بينا
الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستجوا العمي على الهدى لحقت كلمة العذاب على أهل العمي دون البصراء الأتري

عنه حتى يخوض في حديث غير مؤتمرا قامت الحجة على العرب من تقدم من الرسل إليهم كما بهم إسماعيل وغيره ما هو المراد بقوله تعالى ما
أنهم من نذير يعني ذرية العرب في زمانه عليه الصلوة والسلام إذ لم يمت إليهم نذير معاصر فلفظ الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم

(قوله ولكننا بينا الامر على الاختيار) لما أوجب المعتزلة على الله الصلاح قالوا إنه قد شاء الهدى للكل ولكن
مشيئة تخيير لا مشيئة إجبار فلذا لم يمتد الكل بل البعض ولو شاء مشيئة قسرا لمتدى الكل وأهل السنة لم يوجبوا على الله
شيئا وقالوا كل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خيرا كان أوشراً واستلزام الإرادة لوقوع المراد لا يستلزم القسر والإجبار
للعباد لما لم في الكسب في أفهامهم وإن كانت في الحقيقة مخلوقة لله تعالى كما تقرر في علم التوحيد

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۖ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۚ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ أَفَلَا كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَتُوبَ ۚ أَمَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

إلى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) لجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (إننا نسيتكم) على المعاقبة أي جزاء نسيانكم وقيل بمعنى النكس أي تركتم الفكر في العاقبة تركناكم من الرحمة في استغفار قوله (إننا نسيتكم) أن نساها فتدب في الانتقام منهم والمغنى فذوقوا هذا أي ما ألمت فيه من نكس الرأس والخزي والتمسبب نسيان اللقاء ۖ ووذوقوا العذاب الخلد في جهنم بسبب ما علمتم من المعاصي والكبائر الموقبة (إذا ذكروا بها) أي وعظوا أجدوا أو أضاعوا وخشوا وشكروا على ما رزقهم من الإسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبايح إليه وأتوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) كما يفعل من يصبر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى إن الذين أتوا العلم من قبله إذا أتى عليهم خبرون لأذقان سجدوا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتجنى (عن المضاجع) عن الفراش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من عظم وطعمهم في رحمته وهم المتجهجون ومن رسول الله ﷺ في تفسير ما قيام العبد من الليل وعن الحسن رضى الله عنه أنه التهجود وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيبلغ أهل الجحيم اليوم من أول بالكرم ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانوا يمدحون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضى الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة التمتع لا ينامون فيها (ما أخفى لهم) على البناء للفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفى لهم وما تخفى لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذى أو بمعنى أى ۖ وقرئ من قرة أعين وقرأت أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لملك مقرب ولابن مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلافة لا يملكه إلا هو ما تقربه عيونهم ولا مزيد على هذه السعة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) لحسم أطماع المتمينين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين

• قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموقبة قال أحد قديميهم عن مذهب أهل السنة أن المتقضى لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة وأما ما دونه من الكبائر فلا يوجب خلودا والمستلة سمية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدريه ۖ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال مباحثهم لأطماع المتمينين) قال أحد يشير إلى أهل السنة لا عقادهم أن المؤمن المسمى موعود بالجنة ولا بد من دخوله إياها وقاه بالوعد الصادق وأن أحدا لا يستحق على الله بعمله شيئا فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتم القرعة في الاستشهاد على معتقد القدريه في أن الأعمال أسباب موجبة للجزاء ولادليل في ذلك لمتقدم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولأنك يا رسول الله قال ولأننا لأن

(قوله والكبائر الموقبة) أى المهلكة (قوله وما بمعنى الذى أى بمعنى أى وقرئ) لعله أى شئ

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ • وَلَتَذُقْنَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر به ما أظلمت نفس ما أخفى لم من قرة أعين وعن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (كان مؤثرا) و (كان فاسقا) محولان على لفظ من ولا يستون محول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا) وأما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك و (جنت المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فأرواح النار) أى المجزوم ومنزلهم ويراد الجنة مأواه النار أى النار لهم مكان جنة المأوى للؤمنين كقوله فيشرهم بعذاب أليم (العذاب الأدنى) عذاب الدنيا من القتل والأسر ومعنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضى الله عنهما عذاب القبر و (العذاب الأكبر) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى يتوبون عن الكفر وأولهم يربون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا لنعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا قمى إلى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للفضول (فإن قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم ما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذاتين العذاب الأكبر (قلت) إرادة الله تعالى بفضاله وأفعاله عبادته فإذا أراد شيئا من

يتقدم الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك إيمان أن تعمل الآية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فإنه على حسب الأعمال وليس بذلك فإن المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها وإيمان أن تعمل وهو الظاهر والله أعلم على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنة ووعده يجب أن يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الأعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات فوملت في هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد في النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالأجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزحمرى الحديث المشهور وهو أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقروا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وكان جنى رحمة الله يستحسن أن تقرأ الآية نحو الحديث المذكور بسكون الباء من أخفى وردده إلى المتكلم وهى من القراءات المستفضة والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت لعبادى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا إلى الله تعالى مستندا إلى ضمير اسمه عز وجل صريحا والله الموفق • قوله تعالى ولتذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه لعلهم يتوبون فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان وتوبتهم مما لا يكون لأنهم لو تابوا لم يكونوا ذاتين العذاب الأكبر قلت إرادة الله تعالى تعلق بأفعاله وأفعاله عبادته

(قوله ولا خطر على قلب بشر به ما) في الصحاح به كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع كما أبازه الأخصر في قول كعب بن مالك تذر الجاهل ضاحيا هاماتها • به الأكف كأنها لم تخلق ويقال معناه سوى وفي الحديث أعددت لعبادى الخ (قوله وما معنوا به من السنة) أى المجذبة أو المراد بها الجذب كما يؤخذ من الصحاح

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لَّسَانِهِ وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ . وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُفَصِّلُ بَيْنَهُم

أفضاله كان لم يتبع للاقتدار وخصوص الهامى وأما أفعال عباده فلما أن يريدوا وهم يختارون لها أو مضطرون إليها بقدره وإلجائه فإن أرادوا وقد قسم عليها حكمها حكم أفضاله وإن أرادوا على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقدته دالا على عجزك وروى في نزولها أنه شجر بين على بن أبي طالب رضى الله عنه والوليد ابن عتبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدأ وأذرب منك لسانا وأحدنك سنانا وأجمع منك جناها وأملأ منك حشوأ في الكنية فقال له على رضى الله عنه اسكت فإنك فاسق فزلت عانة للؤمنين والفاسقين فتناولها وكل من كان في مثل حالها وهن الحسن بن على رضى الله عنهما . أنه قال للوليد كيف نقتم عليا وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات وسماك فاسقاً . ثم في قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الإعراض من مثل آيات الله في وضوحها وإثارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنهزها استبعاداً لتركه الاتياز ومنه ثم في بيت الحامسة لا يكشف الغياء إلا ابن حزة . يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقظها وأطلع على شذبتها (فإن قلت) هلا قيل إنا منه متمقون (قلت) لما جملة أظلم كل ظالم ثم تود المجرمين عانة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يقد هذه العائدة (الكتاب) للجنس والضمير في (لقائه) له ومعناه إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) ونحو قوله من لقائه قوله (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) . وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس ويدعونهم إلى مافي التوراة من دين

فإذا أراد شيئاً من أفضاله كان لم يتبع للاقتدار وخصوص الهامى وأما أفعال عباده فلما أن يريدوا وهم يختارون لها أو مضطرون إليها بقدره فإن أرادوا وقد قسم عليها حكمها حكم أفضاله وإن أرادوا على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعة لك وهو لا يختارها لأن اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقدته عجزاً منك (قال أحمد) هذا الفصل رديء جداً منزع على الإثراء الجلي لاعلى الإثراء الحق فاعتصم بدليل الوحداية على رده واجتنبه من أصله والله المستعان وإنما جزء في تفسير لعل إلى الإرادة والحق في تفسيرها أنها لترجى المخاطبين امتناع الترجى على الله تعالى كذا فصرها سيويها فيما تقدم والله أعلم . قوله تعالى (وأما الذين فسقوا فأولهم النار) (قال سيب) نزولها أنه شجر بين على بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد ابن عتبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدأ وأذرب لسانا وأحدنك سنانا وأجمع منك جناها وأملأ حشوأ في الكنية فقال له على اسكت فإنك فاسق قال العنخري فزلت عانة للؤمنين والكافرين تناولها مآ) قال أحمد ذكر لسبب المحقق لأن المراد بالفاسق وبالذين فسقوا الذين كفروا لأنها نزلت في

(قوله ومنها لم يقدح ذلك في اقتداره) أى عدم وقوعها وعدم اختيارهم لإياها فهذا على مذهب المعتزلة من أنه قد يريد الشيء ولا يكون ومذهب أهل السنة أن كل ما أراده الله كان

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَقْسَمُوا أَفَلَا يَبْصُرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيَّاهُمْ وَلَا يُنْظَرُونَ . فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ .

الله وشرائه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجمان الكتاب المنزل إليك هدى ونورا ولنجمان من أشتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أى من تلقاه له بالرضا والقبول . وقرئ لما صبروا ولما صبروا أى لصبرهم . وعن الحسن رضى الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يبد بها فيها ولد إسماعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضى فيمضي الحق في دينه من المطل . الواو في (أَوَلَمْ يَهْدِ) للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير في (لهم) لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل مادلٌ عليه (كم أهلكنا) لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أَوَلَمْ يَهْدِ لهم كم كثرة أهلا كما القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يصم لإله إلا الله البهاء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون (القرون) عادود قوم لوط (يمشون في مساكنهم) يمشون في مساكنهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد (الجزر) الأرض التي جرز نباتها أي قطع إذا لعدم الماء وإنما لأنه رمي وأزيل ولا يقال لقي لا تبت كالسباح جرز ويدل عليه قوله (فخرج به زرعاً) وعن ابن عباس رضى الله عنه لما أرض النبي وعن مجاهد رضى الله عنه هي أين . به بالماء (تأكل) من الزرع (أنامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يأكل بالياء . الفتح النصر أو الفصل بالحكمة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين وفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أى في أى وقت يكون (إن كنتم صادقين) في أنه كان (ويوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدرو عن مجاهد الحسن رضى الله عنه ما يوم فتح مكة (فإن قلت) قد سألت عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم (قلت) كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقلت لم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وأنتم ظم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا (فإن قلت) فن فره يوم الفتح أو يوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد دفع العذاب يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن القتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الفرق (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (أنهم منتظرون) النابة عليهم وملاككم كقوله تعالى . فتربصوا إنا معكم متربصون . وقرأ ابن السميع رحمته منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاد بأن ينتظر هلاكهم أى أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ التَّهْنِيزَ وتبارك الذي بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أسيا ليلة القدر وقال من قرأ التَّهْنِيزَ في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

الوليد وهو كافر حيث كنتم أدرج فيه المؤمن نصيباً لمذهبه في وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه العقائد الفوائد ولقد اتسع الحرق على الرافع

(قوله ومي أين به بالماء) في الصحاح أين اسم رجل نسب إليه عدن فيقال عدن أين اه قدبر

سورة الأحزاب مدنية

وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَاتَّبِعُوا مَا يَأْمُرُ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ مَجِيعًا . اللَّهُ لَرَجُلٍ مِّن قَلِيلٍ فِي جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ .

(سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) عن زقزال قال: أبي بن كعب رضى الله عنه كُتبت سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال: فالذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد فرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخبة إذا زينا فارجموهما لثمة نكالا من الله رضى الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فن تأليفات الملاحدة والرواض . جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله (يا أيها النبي اتق الله) يا أيها النبي لم تحزم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وادباً به وتوحيها بفضل (فإن قلت) إن ما وقع اسمه في النداء قد وقع في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول (قلت) ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتقريره أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار الأثرى إلى ما لم يقصده التعليم والتلمين من الأخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يارب . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . والله ورسوله أحق أن يرضوه . النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . إن الله وملائكته يصلون على النبي . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي . اتق الله واطب على ما أنت عليه من التقوى وأثبت عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا نساعدكم على شيء ولا نقبل لكم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فلأنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضادة والمضادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظوا والتضيق بين قريظا وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم ويكبرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فزلت وروى أن أبا سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في المواعدة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبيد الله بن أبي معتب بن قشير والجند بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أرفض ذكر الحتاوقل لها تشفع وتضع وتدعك وربك فضحك ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهما يقتلهم فزلت أى اتق الله في تقض المهد وبذل المواعدة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فها طلبوا اليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيعة بن ربيعة بنته وخوفه مناخو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فزلت (إن الله كان عليا بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة (حكيا) لا يغفل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة (واتبع ما يوحى إليك) في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (إن الله) الذي يوحى إليك خير (بما تعملون) فوحى إليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بإياه أى بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك إليه وكله إلى تديره (وكيلا) حافظا موكولا إليه كل أمره . ما جمع الله تقيير في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا نوة ودعوة في رجل والمعنى أن الله سبحانه كما لم يرفى حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يحيط إلا أن يفعل بأحدهما مثل ما فعل بالآخر من أفعال القلوب

فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي إلى انصاف الجملة بكونه مرديا كارها عالمنا ظانا موقفا شاكيا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أمارجل زوجها له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة منصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وإبنا له لأن البتة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتمسية لا غير ولا يجمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتناوون ويتسابقون فاشتره حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعنه غير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكاوا يقولون زيد بن محمد أنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب أو واهم فقيل له ذو القلين وقيل هو جميل بن أسد القهري وكان يقول إن لي قلين أهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى أنه أنهرم يوم بدر فزباني سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والآخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال لهم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك في رجلك والآخرى في يدك فقال ما ظننت إلا أنها في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والثني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون محمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتكثير في رجل وإدخال من الاستفراقة على قلين تأكيد لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لآمة الرجال ولا لواحد منهم قلين البتة في جوفه • (فإن قلت) أي فائدة في ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل السامع من زيادة التصور والتجلى للدلول عليه لأنه إذا سمع به صور نفسه جوا يشتمل على قلين فكان أسرع إلى الإنكار وقرئ اللائي ياء وهزمة مكسورتين واللائي ياء ساكنة بعد الهزمة • وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون بمعنى تظاهر وتظهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كمقد بمعنى عائد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من أمرته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لي المحرم إذا قال لييك وأنت الرجل إذا قال أف وأخوات لمن (فإن قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد عنها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها

(القول في سورة الأحزاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم) • قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلين في جوفه (قال) أسد ما ذكر فيه من التأويلات أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلين ففي الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقويل المتناضة بجمل الأدعياء أبناء والزوجات أمهات قال وهذه الأمور الثلاثة متنافية أما الأول فلا تنبذ من اجتماع القلين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده في الآخر وذلك كالمطل والمجهل والأمن والخوف وغير ذلك وأما الثاني فلا تنبذ في الزوجة في مقام الامتنان والالتم في محل الإكرام فإني أن تكون الزوجة أنا وأما الثالث فلا تنبذ لأن الدعوة إلصاق عارضة فهما متنافيان وذكر الجوف ليعبر به صورة اجتماع القلين فيه حتى يبارده السامع بالإنكار

(قوله وقرئ اللائي ياء وهزمة مكسورتين) لعل مراده قراءتان إحداها ياء مكسورة والآخرى همزة مكسورة لكن الياء ليست ياء صرفة بل هي همزة مسهلة ينطق بها بين الهمزة والياء. والحاصل أنه قرئ اللائي ياء ساكنة بعد الهمز وقرئ اللاء همزة مكسورة من غير ياء وقرئ اللائي بشبه الياء مكسورة وهي الهمزة التي ينطق بها بين ياء وقرئ اللائي ياء ساكنة بعد الالف من غير همز فهذه أربع قراءات في لفظ اللائي أيها كان في القرآن كما في شرح الشاطبية

فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِلَىٰ آلِهِمْ كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ سُبُورًا
وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

وقوله إذا لقيت حرب وأن لا يتبعوا مائدعهم إليه نفوسهم ولا مانصرهم عنه ويتبعوا كل مادعهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرهم عنه لأن كل مادعاً إليه فهو إرشاد لم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتأفوا فيما يرى بهم إلى الشقاوة وهذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرفأ بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة أقرؤا إن شئت النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيا ما مؤمن هلك وترك ما لا فليتره عصيته من كانوا وإن ترك ديناً أو ضياعاً قال في قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لم وقال بجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنين إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبهم في الدين (وأزواجه أمتهن) تقيدهن عن الأزمات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تكسوا أزواجه من بعده أبداً ومن فيها وراء ذلك بمنزلة الأجنيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لنا أمهات النساء تعني أمهات المؤمنين إنما كن أمهات الرجال لكونهن عزمات عليهم كتحريم أمتهن والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتبدل بابتنائهن وكذلك لم يثبت لمن سائر أحكام الأمتهات كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالمهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم يأساهم لم في الصدقات ثم نسخ ذلك لمادجا الإسلام وعزأمله وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في اللوح أرفأ أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أرفأ آية الموارث أرفأ فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون يائنا لأولى الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب ويجوز أن يكون لابتداء النفاة أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (فإن قلت) لم استثنى (أن تقولوا) (قلت) من أهم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف الوصية لأنه لأرضية لوارث وعدى تقولوا بالي لأنه في معنى تسدوا وتزولوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (ذلك) إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعاً وتفسير الكتاب مأمراً آتفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام (و) أذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعاً (ميثاقهم) ببلغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصاً (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) وإنما قلنا ذلك (ليسلأ) الله

قوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبي صلى الله عليه وسلم على نوح لأنهم ذكروا تخصيصاً بعد التعميم تفضيلاً لم تقدم أفضل المخصوصين) قال أحد وليس التقديم في الذكر يقتضيه لذلك الأثرى إلى قوله بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المختير فأخر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليتم به تشريفاً له وإذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم في سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده في الذكر أنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المثل فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

(قوله فأخذ بحجزهم لئلا يتأفوا) في الصحاح حجة لا زار مقده وحجة السراويل التي فيها التكرار قوله ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام) في الصحاح دجا الإسلام أي قرى وأليس كل شيء (قوله لأنه في معنى تسدوا وتزولوا) في الصحاح أزلت إليه نعمة أي أسديتها وفي الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها اه

لَيْسَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ فَارِسَئِلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءَ قَوْمُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَوُفِّيَتْ بِالْقُتُولَةِ الْظُنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

يوم القيامة عند توافف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقتهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أوليسأل المصدقين الأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا ف قوله أوليسأل الأنبياء ما الذي أجابتم به أنهم وتأويل مسألة الرسل نكبت الكافرين بهم كقوله أ أنت قلت للناس اتخذوني وأى الذين من دون الله (فإن قلت) لم يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نوح في ربه (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذرايعهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء الفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فإن قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الآية التي هي أخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى إنما أورد ما لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد عاتم الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليهم من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير (فإن قلت) فإذا أراد الميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والفظا استمرارا من وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلاله شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بها محلا (فإن قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من الذين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا البأعلى ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأجاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنتم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق (إذ جاءكم جنود) وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك عادي بالدير (وجنود المازوها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صابرة في ليلة شانية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة قتلهم إلا وناذروا قتلهم الأطلاب وأطاف التيرانوا كفأت القندور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليعة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأ بالسرا فالتجاء فآزموه من غير قتال وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فحضر معسكره والخندق بين يمين القوم وأمر بالدراري والنساء فرفضوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قيس كان محمد يعدنا كنوز كسرى ويقرر لا تقدر أن مذهب إلى النائط وكانت قريش قد أقبلت في هجرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقادهم أبوسفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقد قدم عينة ابن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والخصير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا التزاي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بئاء وبئاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب فريش تمزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة

(قوله هم مشاهيرهم وذرايعهم) لهمه ذرايعهم بالادال المهمة والدراري الكواكب العظام كأفاده الصحاح (قوله في ليلة شانية فأخصرتهم) في الصباح الحضر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل إذا آله البرد في أطرافه اه فأخصرتهم أرفقتهم في الحضر أى البرد - (قوله فرفضوا في الآطام) أى الحصون وهو جمع أطم كقمت

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۚ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَارِعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَلُّوا فِئْتَةً لَّاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ۚ وَلَقَدْ كَانُوا عَهْدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّابِرَّ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۚ قُلْ لَّنْ

حتى نستاصل محمداً (زاغت الأبصار) مالت عن سنها ومستوى نظرها حيرة وشغواً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عذرها لشدة الروح . الحجررة رأس الفالصة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارفعاها إلى رأس الحجررة ومن ثمة قيل للجان انتفخ سمحه ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجعها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة (وقطوف بالله الظنون) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثابت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بالاسم فظن الآثرون بالله أنه يتبليهم ويفتنهم ظاهراً والزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفه ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في الغافية من قاله . أقل اليوم عاذل والتأباه . وكذلك الرسول والسيلا وقرئ بزيادتها في الوصل أيضاً أجراها له مجرى الوقف قال أبو عبيد ومن كلين في الإمام بألف . وعن أبي عمرو إشمام زامى زلزلوا . وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج (إلا غروراً) قيل قاله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يبدنا عهد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتفرقا ما هذا إلا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيطل ومن واقعه على رأيه وعن السدي هبالة بن أبي وأصحابه . ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها (للمقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أى لإقرار لكم هنا ولأماكن تقيمون فيه أو تقومون (فارجموا) إلى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لم أرجعوا كفاراً وأسلبوا محمداً وإلا فليست يثرب لكم بمكان . قرئ عورة بسكون الواو وكسرهما فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والشارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف هورة اعتدروا أن يوتهم معززة للعدو ممكنة للسراق لأنها غير محززة ولا محصنة فاستأذنه ليحسبونها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل يوتهم من قولاك دخلت على فلان داره (من أطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه المساكن المحزنة التي يفزعون خوفاً منها مدينهم ويوتهم من نواحيها كلها والثالث على أهلهم وأولادهم تابعين سابقين ثم سلوا عند ذلك الفزع وذلك الرفعة (الفتنة) أى الرقة الرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لآلها لجأوها وغلطوها وقرئ لآلها لآلها لآلها (وما تلبثوا بها) وما أثبتوا إعطاهما (إلا يسيراً) وربما يكون السؤال والجواب من غير توقف وما تلبثوا بالمدينة بحدار تدارهم إلا يسيراً فإن الله جلّ جلاله أعلمكم والمعنى أنهم يملكون بإعوار يوتهم ويتمحلوا ليفزوا عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هو لاورعاً وهو لآلها الأحزاب كام لو كسبوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لم كونوا على المسلمين لاسرعوا إليه وما تلبثوا بشئ وما ذاك إلا لانتهم الإسلام وشدة بغضهم لآله

(قوله أن يتفرقا) أى خفا (قوله واتالت على أهلهم وأولادهم) فى الصحاح اتالت عليه الناس من كل وجه أى انصبوا (قوله كام لو كسبوا عليهم) فى الصحاح كسبوا دار فلان أغاروا عليها فجاء

يَفْعَلُ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُعْمَلُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِيطُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلْيَا وَلَا نُصِيرَا ۚ قَدِ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَاسِيْنَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ يَلْتَمِئُونَ أَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ أَفَحَسْبُ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّسَةِ حَدَادٍ أَشْحَىٰ عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْصِلُوا اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ

وحجم الكفر وتهالكهم على حربه . عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنحوه مما يمنعون
منه أنفسهم وقيل هم قوم فابوا عن بدر قالوا لئن شهدنا الله قتالا لثقاتين وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد أن
لا يفرزوا بعد منازلهم منازل (مسؤولا) مطلوباً بمعنى حتى يوفى به (لا ينفك الفرار) مما لا بد لكم من نزوله بكم من حنف
أنت أوقتل ۚ وإن فكم الفرار مثلاً فتتم بالتأخير لم يكن ذلك التيسر إلا زماناً قليلاً وعن بعض الرواية أنه من يحاط
مائل فأسرع فقلت لهذه الآية قال ذلك القليل نطلب (فإن قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة
إلا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فأختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متفلاً سيقاً ورحماً
أوحل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع (المؤمنين) المتطوعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المناقبون ۚ
كانوا يقولون (لإخوانهم) من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمد وأصحابه إلا أكله رأس ولو كانوا
لحماً لأتهمهم أبو سفيان وأصحابه فظلمهم ۚ و (هل إلينا) أي قروا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد
والجماعة وأما تميم فيقولون هل يارجل وعلوا يارجال وهو صوت سمى به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هل شهداكم
(الاقبلا) الإلينا قليلاً يخرجون مع المؤمنين يومهم أنهم معهم ولا تراهم يارزون ويقاوتون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا
إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلاً (أشعة عليكم) في وقت الحرب أضناء بكم يترفعون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه
هنا الخوف (ينظرون إليك) في تلك الحالة كما ينظر المنفى عليه من معالجته سكرات الموت حذر أو خور أو لو أذا بك فإذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة تناولوا ذلك الشح ۚ وذلك الضعة والفرقة عليكم إلى الخير وهو المال والنعمة
ونسوا تلك الحالة الأولى واجترأ عليكم وضربوك بالسهم وقالوا وفروا قسمنا فإننا قد شاهدناكم وقاظنا معكم وبما كنا
غلبتم عدوك وبنا نصرتم عليه ونصب (أشعة) على الحال أو على الذم وقرئ أشعة بالرفع وصلوكم بالصاد (فإن قلت) هل
ثبت للنفاق عمل حتى يرد عليه الإحباط (قلت) لا ولكنه تعليم لمن عصى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يوطئ القلب
وأن ما يعمل المناق من الأعمال ينجى عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجده من باطل وفيه بئس على إعتان
المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس
وأنها مما يذهب عنه الله هباءً منثوراً (فإن قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيراً) وكل شيء على يسير (قلت)
معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه النواهي ولا يصرف عنه صارف (يحبسون) أن الأحزاب لم ينهزوا
وقد انهزموا فاضرفوا عن الحقيق إلى المدينة راجعين لمنازل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وإن
يأت الأحزاب) كزة ثانية تمتوا لحوقهم مما متوا به هذه الكزة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب

(قوله لم يعمد وأصحابه إلا أكله رأس) أي قليلون يشبههم رأس واحد وهو جمع أكل والالتزام الابتلاع كذا في الصحاح
(قوله مما متوا به هذه الكزة) أي ابتلوا به (قوله لم يقاتلوا إلا نعمة رياء) في الصحاح غلبه بالشئ أي طاه به كما يملأ الصبي بشئ
من الطعام يتجرأ به عن اللب يقال فلان يملأ نفسه بتملة

يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُونَ عَنْ آبَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَاقْتُلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۚ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ

(يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتالهم قاتلوا إلا لئلا يراه وسبحة وقرئ يدي على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بدي بوزن هدى ويسألون أى يتسألون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتسألون الأعراب كما تقول رأيت بالهلال لوتريابه ۚ كان عليكم أن تواسوا رسول الله ﷺ بأنفسكم فوازروه وتبتوا معه كما آسأكم بنفسه في الصبر على الجهاد والبات في مرمى الحرب حتى كسرت رابعت يوم أحد وشج وجهه (فإن قلت) فاحقيقة قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقرئ أسوة بالضم (قلت) فيه رجاء أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة هو المؤمن أي المتقدي به كاتحول في البيضة عشرون منا حديد أي هي في نفسها هذا المثلج من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتى بها أو تتبع وهي المواساة بنفسه (لن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا من آمن منهم ۚ يرجو الله اليوم الآخر كقولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا راجع إلى الأمل أو الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفير على الأعمال الصالحة والمؤتى رسول الله ﷺ من كان كذلك ۚ وعدمه أنه أن يزلوا حتى يستغيثوه ويستصروه في قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأعراب شخص بهم واضطربوا وعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأبقوا بالجنة والعرس وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الأعراب سائرون اليكم تسأأ أو عشا أي في آخر سمع ليل أو عشر فلما رأوه قد أقبلوا للبيداء قالوا ذلك ۚ وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء (إيمانا) بالله وبمواعيده (وتسليما) لقضاياه وأقداره ۚ نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرا بما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وحزوة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله عنهم (فهم من قضى نحبه) يعني حمزة ومصعبا (وممن من ينتظر) يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من أحب أن ينظر إلى شهيد يمضي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة (فإن قلت) ما قضاء الحب (قلت) وقع عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي بذره وقوله (فهم من قضى نحبه) يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاته بذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فاحقيقة قوله : صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقي أخوك وكذبي إذا قال لك الصدق والكذب وأنا المثل صدقي من بكره فعناه صدقي من سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل فلا يتخلو ما عاهدوا الله عليه إمانا أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار وإنما أن يجعل المعاهد عليه مصدقا على المجاز كأنهم قالوا للماهد عليه سني بك وهم وافرون به فقد صدقوه ولو كانوا تاكين لكذبوه ولكن مكنوبيا (وما بدلوا) العهد ولا غيره ولا المستبد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل التفاق ومرضى القلوب جعل

(قوله في مرمى الحرب) أي مكان إدارة رحاها أعاده الصحاح
(قوله وقرئ أسوة بالضم) يفيد أن قرأته الكسرية المشهورة

يَصْنَعُهُمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَرِيبًا غَيْرَ يَأْتِيهِمْ ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَفَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَوَدِيرَهُمْ وَأَمْرُهُمْ وَأَرْضُهُمْ لَكُمْ قَطْعًا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ

الْمُنَاقِقُونَ كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا غَايَةَ السُّوءِ وَأَرَادُوا بِقِيْلِهِمْ كَأَقْصَادِ الصَّادِقِينَ غَايَةَ الصَّدْقِ بِرَفَائِهِمْ لِأَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مَسْجُودٌ إِلَى عَاقِبَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فَكُنَّ هُمَا اسْتَوَا فِي طَلِبَتِهِمَا وَالسَّعْيَ لِتَحْلِيلِهِمَا ۝ وَيُعَذِّبُهُمْ (إِنْ شَاءَ) إِذَا لَمْ يَتُوبُوا (أَوْ) يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَابُوا (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) الْأَحْزَابَ (بِنَيْظِهِمْ) مَنِيظِينَ كَقَوْلِهِ تَنْبِتُ بِالْبَهْنِ (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) غَيْرَ ظَافِرِينَ وَهَمَّا حَالَانِ تَبَدُّلَا أَوْ تَعَابٍ وَبِحُجُوزِ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةَ يَانَا لِلْأَوَّلَى أَوْ اسْتِثْنَا (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بِالرُّجُوعِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا) الْأَحْزَابَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (مِنْ صَافِيهِمْ) مِنْ حَصْنَتِهِمْ وَالصَّيْبَةِ مَا عَصَنَ بِهِ يُقَالُ لَقَرْنُ الثَّوَرِ وَالظَّبْيِ صَيْبَةً وَلِشَوْكَةِ الدِّيكِ وَهِيَ غُذْلُهُ الَّتِي فِي سَاقِهِ لِأَنَّهُ يَحْصَنُ بِهَا ۝ رَوَى أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيحَةُ اللَّيْلِ الَّتِي أَنْهَزَهُمْ فِيهَا الْأَحْزَابَ وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا سِلَاحَهُمْ عَلَى فَرْسِهِ الْحَبِيزِ وَالتَّبَارَ عَلَى وَجْهِ الْفَرَسِ وَعَلَى السَّرِجِ فَقَالَ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ قَالَ مِنْ مَتَابَعَةِ قُرَيْشٍ لَجُلِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَحُ الْفَارِسُ وَجْهَ الْفَرَسِ وَهِيَ سَرِجُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ الْمَلَائِكَةُ لَمْ تَضَعِ السِّلَاحَ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَأَنَا عَامِدُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ دَاقَهُمْ دَقَّ الْبَيْضِ عَلَى الصِّفَا وَلِإِمْهَمٍ لَكُمْ طَعْمَةً فَأَذْنُ مِنَ النَّاسِ أَنْ مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطْعِمًا فَلْيَصِلِ الْمَصْرَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَمَا صَلَّى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْمَصْرَ إِلَّا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَاصِرُكُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى يَجْهَدَ الْحَصَارُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَلُّونَ عَلَى حَكْمِي فَأَبَوْا فَقَالَ عَلَى حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فَرَضُوا بِهِ فَقَالَ سَعْدٌ حَكَمْتُ فِيهِمْ أَنْ يَقْتُلَ مَقَاتِلَهُمْ وَيَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ وَيَسَاقُوهُمْ فَكَبَّرَ الَّتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَقَدْ حَكَمْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَمَةٍ ثُمَّ اسْتَرْزَلَهُمْ وَخَنَدَقِي فِي سَوَاقِ الْمَدِينَةِ خَنْدَقًا وَقَدَّمَهُمْ فَضْرَبَ أَهْلَانَهُمْ وَهُمْ مِنْ ثَمَانِيَةِ إِلَى تِسْعِمِائَةِ وَقِيلَ كَانُوا سِتَامَةَ مَقَاتِلَ وَسَبْعِمِائَةِ أَسِيرٍ ۝ وَفَرَّقَ الرَّبُّ الْعِزَّ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمُّهَا وَتَأْسِرُونَ بِضَمِّ السَّيْنِ ۝ وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ عِقَارَهُمْ لِلْهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّكُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ وَقَالَ هَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَا تَخْشَعُونَ كَمَا تَخْشَعُونَ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ لَا إِنَّمَا جَعَلْتُ هَذِهِ لِي طَعْمَةً دُونَ النَّاسِ قَالَ رَضِينَا بِمَا صَنَعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (وَأَرْضًا لَمْ تَقْطُوهَا) هُنَا الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَارِسُ وَالرُّومُ وَهِيَ قِتَادَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا نَحْنُ أَنَا مَكَّةَ وَهِيَ مَقَاتِلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هِيَ خَيْرٌ وَعَنْ هَكَرْمَةَ كُلِّ أَرْضٍ تَفْتَحُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمِنْ بَدْعِ التَّفَاسِيرِ أَنَّهُ أَرَادَ نِسَاءَهُ ۝ أَرْدَنَ شَيْئًا مِنَ الدِّيَانِ مِنْ ثِيَابِ بَزٍّ يَدَاةً فَتَقَرَّرَ تَقَارِيرُ فَنَهَمَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَلَّتْ قَبْدًا بِمَاقِفَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ نَجْمِهَا وَقَرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ فَاخْتَارَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْبَارِ الْآخِرَةَ فَرَوَى الْفَرَحُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اخْتَارَتْ جَمِيعَهُنَّ اخْتِيَارَهَا فَتَفَكَّرَ لَمَنْ اللَّهُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ لِأَيِّمِلَ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدٍ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ مِنْهُمْ مِنْ أَزْوَاجٍ رَوَى أَنَّهُ قَالَ لَمَاقِفَةٍ إِلَى ذَاكَ لَكَ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرَ أَيْوَيْكَ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ فَقَالَتْ أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَيْوَيْ فَإِنِّي أَرِيدُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْبَارِ الْآخِرَةَ وَرَوَى أَنَّهُ قَالَتْ لَا تَخْبِرْ أَزْوَاجَكَ أَنِّي اخْتَرْتُكَ فَقَالَ إِنَّمَا بَعَثَنِي اللَّهُ مُبَلِّغًا وَلَمْ يَبْعَثْنِي مُتَمَتِّيًا (فَإِنْ قُلْتَ)

(قوله من فوق سبعة أرقمة) في الصحاح الرقع سماء الدنيا وكذلك سائر السموات وفي الحديث من فوق سبعة أرقمة على لفظ التذكير كأنه ذهب إلى السقف

الدنيا وزينتها فتعالىن امتعن وأسرحن سراحاً جميلاً . وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَخِرَةَ
فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مَنُكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا . النَّبِيُّ مِنَ بَيِّنَاتِ مَنُكُنَ بِمُحَسَّنَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ
ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَفْعَلْ مَنُكُنَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَتَعَمَّلْ صَاحِبًا تَوَاتَى أَجْرَهَا مِنْ يَدَيْ

ما حكم التعيير في الطلاق (قلت) إذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسي أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت
لا بد من ذكر النفس في قول الخير أو الخيرة وقت طلبة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في
الجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية
وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقادة والزهرى رضى الله عنهم أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره
وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار وعن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقاً وروى أفيكان طلاقاً وعن علي رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء . أصل تمال أن يقوله من في
المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن يارادتك
واختيارك لأحد أمرين ولم يرد نهوضن إليه فنهضن كما تقول أقبل بغاصصى وذهب بكلمتى وقام يهدنى (أمتعن)
أعطكن مئة الطلاق (فإن قلت) المنة في الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
منعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فتعنت مستحبة وعن الزهرى رضى الله عنه تمنان إحداها
يقضى بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حتى هل المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخلها عاصمت
امراً إلى شريح في المنة فقال منعتها إن كنت من المتقين ولم يجره وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه المنة حق مفروض
وعن الحسن رضى الله عنه لكل مطلقة مئة إلا المختلعة والملاعة والمنة درع وخار وملحة على حسب السعة والإقرار
إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم
فلا ينقص من نصفها (فإن قلت) ما وجه قرأمة من قرأ أمتعن وأسرحن بالرفع (قلت) وجه الاستكشاف (سراحاً
جميلاً) من غير ضرار طلاقاً بالنسبة (منكن) البيان للتبويض . الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة .
والمنجية الظاهرة لهاها والمراد كل ما اقترن من الكبائر وقيل هي عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
وطلبن منه ما يثبت عليه أو ما يثبت به ذرعه ويتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث
الإفك وإنما ضوعف عقابهن لأن ما يقع من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة
الفضل والمربة وزيادة النعمة على العاصي من المعصى وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقاباً يتبع كون الفعل قبيحاً ففى ازداد
قبحاً ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم المقلد للعاصي المالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من المالم أقبح ولذلك
فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيراً) إيمان
بأن كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنهن شيئاً وكيف ينهن عنهن وهو سب مضاعفة العذاب فكان
داعياً إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه . قرئ يأت بالياء والياء . مينة بفتح الياء . وكسرهما من بين بمعنى
تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف وتضعف بالياء والتون وقرئ تقنت وتعمل بالياء والياء وتوتها
بالياء والتون والتقوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق ولطيف طيب
الماشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى . أحد في الأصل بمعنى واحد وهو الواحد ثم وضع في

وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا . يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَقرن في يوتكن ولا تبرزن تبرج الجهيلة الأولى وأقرن الصلوة

التي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وماوراهه . ومعنى قوله (لست كأحد من النساء) لست كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا قصصت أمة النساء جماعة لم توجد من جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفروا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين (إن آتيتن) إن أردت التقوى وإن كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا بن بقولكن عاصما أي لنا خشا مثل كلام المريات والموسات (فطمع الذي في قلبه مرض) أي رية وغرور وقرئ بالجزم علفا على محل فعل التهي على أنهم نهين عن الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن عيصن أنه قرأ بكسر الميم وسيله ضم الياء مع كسرهما وإسناد الفعل إلى ضمير القول أي فطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيدا من طمع المريب بهدوخشوة من غير تخفيت أو قولا حسنا مع كونه خشنا . وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقاراً أو من يقرض حذف الأول من رأتى أقرون وقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظنن وقرن بفتحها وأصله أقرون لحذف الراء وألقت فتحها على ما قبلها كقولك ظنن وذكر أبو الفتح المصداقي في كتاب البيان وجه آخر قال قاربا إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها لا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكوتوا قارة (والجاهلية الأولى) هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجاهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من الثؤل فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها إلى الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين إدريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية التسوق والفجور في الإسلام فكان المعنى ولا تخضعن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبالى الدرءاء رضى الله عنه إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم إسلام فقال بل جاهلية كفر . أمرهن أمراً خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من أعطى بها حق اعتنا به جراته إلى ماورائهما ثم بين أنه إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن لتلا يقارفن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثم ولينصواعها بالتقوى . واستمرار للذنوب الرجس والتقوى الطهر لأن عرض المقررف للقبائح يسلوث بها ويتدنس كابتلوث

ه قوله تعالى لست كأحد من النساء (قال فيه معناه لست كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا قصصت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله ولم يفروا بين أحد منهم) قال أحد إنما يسه على جعل التفضيل بين نساء النبي عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا أحادهن أن يطابق بين المتفاضلين لأن الأول جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحدة ويكون المعنى أبلغ والتقدير ليست واحدة متسكن كأحد من النساء أي كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من أحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك في العكس فأمله والله أعلم وجاء التفضيل هنا كجبه في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالأنثى في تقديم الأفضل عند التفضيل وقدمت في ذلك نكتة حسنة والله الموفق

(قوله إن أردت التقوى وإن كنتن متقيات) لعله أول إن كبراة النسفي (قوله إلى قول عضل والديش اجتمعوا) في الصحاح عضل قبيلة وهو عضل بن المون بن خزيمه أخوال الديش وهما القارة وفيه أيضا الديش بن المون بن خزيمه وربما قالوه بفتح الباء وهو أحد القارة والآخر عضل بن المون يقال لها جميعاً القارة

وَعَاتَيْنِ الزَّكَاةَ وَاطْمَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِذَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكَ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ تَهْلِيلًا ۝
وَأَذْكُرَنَّ مَا يَلِي فِي يَوْمِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِينَ وَالْخَافَاتِ وَالَّذِينَ
كَرِهُوا اللَّهَ وَأَلْزَمَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ لَهُمْ مَقْعَرَةً وَاجِرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ

بذنه بالارجاس وأما المحسنات فالمرض معها نقي مصون كالتوب الطاهر وفي هذه الاستشارة ما يفر أول الباب عما
كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويزعم فيها ربه لهم وأمرهم به (أهل البيت) نصب على التثنية أو على المحذوف وفيما دلت
بين على أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ۝ ثم ذكر من أن يوتهن مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسبن
ما يئلهن فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة
وعلم وشرائع (إن الله كان لطيفاً خبيراً) حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأمره عليكم أو علم من يصلح لنبوته
ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته أوحى جعل الكلام الواحد جامعاً بين الغرضين يروى أن أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فافينا خير أن ذكره إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة
أم سلمة وروى أنه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين لما نزل فيها شيء فزكت والمسلم
الفاخل في السلم بعد الحرب المتفاد الذي لا يماند أو المتفرض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله
والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به والقانت القائم بالطاعة الباطم عليها والصادق الذي يصدق
في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن الماضي ۝ والخاشع المتواضع لله قبله وجوارحه وقيل
الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله ۝ والمتصدق الذي يركى ماله ولا يملح بالوفاة وقيل من تصدق في أسبوع
بدرهم فهو من المتصدقين ۝ ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين ۝ والذاكر الله كثيراً من لا يكاد يخلو من
ذكر الله قبله أولسانه أوجها وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر ۝ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
استيقظ من نومه أو يظلم امرأته فضلياً جواراً كعتين كبان الذكركين الله كثيراً والذاكرات ۝ والمخفي الحافظات والذاكرات
لخذف لأن الظاهر يدل عليه (فإن قلت) أي فرق بين العطفين أعني عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على
الزوجين (قلت) العطف الأول نحو قوله تعالى ثياب وأبكاراً فأنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم لم يكن بدمن
توسط الماطف بينهما وأما العطف الثاني فنعطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه أن الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات (أعد الله لهم) ۝ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أمية بنت عبدالمطلب
على مولاه زيد بن حارثة فأبى وأبى أخوها عبد الله فزكت فقال رضىنا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها
ستين درهما وخماراً وملحة ودعراً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر وقيل هي أم كلثوم بنت عقة
ابن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيداً فسخطت
هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمضى وماصح لرجل ولا امرأة من المؤمنين
(إذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله أولاً نساء رسول الله فهن نساء الله (أمرأ) من الأمور ۝ أن يفتاروا من أمرهم
ماشوا بل من حقهم أن يحملوا رايهم بما رأوه واختيارهم تلوا لاختياره (فإن قلت) كان من حق الصغير أن يرحل
كما تقول ما جازى من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقصحت التي فيما كل مؤمن ومؤمنة

أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْحَجَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ۖ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ

فرجع الضمير على المعنى لآل لفظه و قرئ يكون بالياء والياء والخيرة ما ينخير (الذي أنعم الله عليه) بالإسلام الذي هو أجل النعم ويتوفيقك لتعقه ومحبة واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب بنعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوفقت في نفسه فقال سبحانه الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفوا عنها قبل ذلك لارتدادها ولوأردتها لاختطها وسمعت زينب بالسيعة فذكرتها لزيد فظن وألقى الله في نفسه كرامة صحتها والرغبة عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرباك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تستعمل على نشرها وتؤذي فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جد أحدا أوثق في نفسي منك أعطب على زينب قال زيد فالتفت فإذ هي تخمر عجبتي فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فولتها ظهري وقلت بازينب أبشرى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحطبك فرفضت قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامري قامت إلى مسجدنا ونزل القرآن زوجنا كلها فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نساءه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز والتمر حتى امتد النهار (فإن قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تزويجه لالتحريم لأن الأول أن لا يطلق وقبل أراد واتق الله فلا تذهب بالنسبة إلى الكبير وأذى الزوج (فإن قلت) ما الذي أخفى في نفسه (قلت) تعلق قلبه بما قيل مؤدة مفارقة زيد إياها وقيل عليه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا عما أوصى إليه لكنتم هذه الآية (فإن قلت) فإذا أراد الله من أنه يقول حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من المحبة أن يقول له أفضل فإني أريد نكاحها (قلت) كأن الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله يريد من الانبياء تساوئ الظاهر والباطن والتصلب في الأمور والتجاوب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبادة بن أبي سرح واعتراض عتيان بشفاعته لأن عمر قاله لقد كان عيني إلى عينك هل تشير إلي فأقله فقال إن الانبياء لا ترمض ظاهرم وباطنهم واحد (فإن قلت) كيف عاتبه الله فيستر ما استجيب التصريح ولا يستجيب النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء إلا والشيء في نفسه مستجيب وقالة الناس لاتعلق إلا بما يستفجع في العقول والمعادات وماله لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتبعها ولم يصمم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق المحبة به وما يرضه لقالة (قلت) كمن شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه سباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلبا إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويحل ثوابها ولولم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه أنستهم إلا من أوتي فضلا وعليا ودنيا ونظرا في حقائق الأمور ولربها دون قصورها ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يرمجون مستأفنين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قومهم ويضيق صدره حديثهم والحياة يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى زلت إن ذلك كان يؤذي النبي

(قوله لا ترمض) في الصباح أو مضت المرأة إذا سارقت النظر

أَنْ تَخْشَى فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجَهَا لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَيْتَهُمْ
إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۚ مَا كَانَ عَلَى الْبَنَاتِ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۚ الَّذِينَ يُلْفُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ

فيستحي منك والله لا يستحي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينشروا لشي
عليهم ولكن بعض المقالة فهذا من ذاك القليل لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مقتنياته من امرأة أو غيرها غير
موصوف بالقبح بالمقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي
ليس بقبیح أيضاً وهو خطبة زينب وتكاحها من غير استئذان لا طلب إليه وهو أقرب منه من زرقبته أن يواسيه
بمفارقته مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفوا عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه
وسلم متطهراً ولم يكن مستكراً عندهم أن يزل الرجل عن امرأته لصدقه ولا مستهجنًا إذا نزل عنها أن يتكاحها الآخر
فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن
إحداهما وأتاكمها المهاجر وإذا كان الأمر مباحاً من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح والفسدة ولا مضرة
يزيد ولا يحد بل كان مستحواً مصالح تهايك بواحدة منها أن يفتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الآية والضيعة
ونالت الشرف وعادت أما من أهتات المسلمين إلى ما ذكره الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَيْتَهُمْ إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا فبالجري أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله أسك
عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى إلا للاتحاد الضمير والظاهر والثبات في موطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستمروا
من المكالمة بالحق وإن كان مزاء (فإن قلت) الواو في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي (قلت)
واو الحال أي تقول لزيد أسك عليك زوجك تخفياً في نفسك إرادة أن لا يسكها وتخفي خاشياً قاله الناس وتخشى الناس
حقيقاً في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل وإذا تجمع بين قولك أسك وإخفاء خلافة وخشية الناس والله
أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك ۚ إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همه قيل قضى منه وطره والمعنى فلما
لم يبق لزيد فيها حاجة وتفاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عتبتها (زوجاً كما) وقراءة أهل البيت
زَوَّجَتْهَا وقيل لجعفر بن محمد رضي الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لإله إلا هو ما قرأتها على أبي إلا
كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على أبيه إلا كذلك ولا قرأها على بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذلك (وكان
أمر الله مفعولاً) جملة اعتراضية يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولاً مكنوناً لا محالة وهو لما أراد كونه من
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في إخراج أزواج المتبينين بحري أزواج البين في
نحرهم عليهم بعد انقطاع علاقتهم الزوجية بينهم وبينهم ويجوز أن يراد بأمر الله المكنون لأنه مفعول بكن وهو أمر الله
(فرض الله) قسمه وأوجب من قولهم فرض فلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكرية زياتهم (سنة الله) اسم موضوع
موضع المصدر كقولهم تربا وجدنا لماؤكد لقوله تعالى وما كان على النبي من حرج ۚ كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الآتياء
الماضين وهو أن لا يخرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المأثر
والسراى وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثائة وسبعائة (في الذين خلوا)
في الآتياء الذين مضوا (الذين يلفون) يحتمل وجوه الإعراب الجز على الوصف للآتياء والرفع والصب على المدح على

(قوله لشيء عليهم ولكن بعض المقالة) لعله القالة (قوله ومن نفي الحرج عن المؤمنين في إخراج) لعله في عدم إخراج
ويمكن أن المراد الحرج الذي يكون في الإجراء والتسوية لو حصل ذلك الإجراء

وَكُنِيَ بِاللهِ حَسْبِيَا . مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ

هم الذين يملكون أو على أغنى الذين يملكون . وقرئ رسالة الله . قدر أمقدراً قضاء مقضياً وحكامبتوتا ، ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعالى ببدل التصريح بقوله تعالى . وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (حسبياً) كائناً للخواص أو عاصباً على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمداً بأحد من رجالكم) أى لم يكن أياً من رجالكم منكم على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الآب وولده من حرمة الصبر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبواته فيأرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ بلغ الرجال لكان نبياً ولم يكن هو خاتم الأنبياء كما يرى أنه قال في إبراهيم حين توفي لوعاش لكان نبياً (فإن قلت) أما كان أباً للظاهر والطيب والقاسم وإبراهيم (قلت) قد أخرجه عن حكم النبي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم ينفوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لأرجاله (فإن قلت) أما كان أباً بالحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حيثئذ وهما أعضاء من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد له ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين الآخرى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نفى أحدهما على الأربعين والآخر على الحسين . قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفاً على أب واحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من هرفنوه أى لم يشهد لولده ذكراً وخاتم يفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرهما بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قرأه من مسود ولكن نبياً ختم النبيين (فإن قلت) كيف كان آخر الأنبياء وهبى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينأى أحدهم وعيسى بن مريم قبله وحين ينزل ينزل عاملاً على شريعة محمد مصلياً إلى قلبه كأنه بعض أئمة (اذكروا الله) أتوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتبجيل والتكبير وما هو أهله وأذكروا ذلك (بكرة وأصيلاً) أى في كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرا لله على فم كل مسلم وروى في قلب كل مسلم وعن قادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والنجيب الغفلان أى اذكروا وسبحوا وسبحوا من أجل البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكروا إنما اختصه من بين أنواع اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيهه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وترتبته من القابض ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالزاهية من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتغال على العلوم والاشتغال بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكور كثرة تكثير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكروا ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلاً وهى الصلاة في جميع أوقاتها بفضل الصلاة على غيرها وأصول الفجر والعشاء لأن أداها أشق ومراعاتها أشده لما كان من شأن المصلى أن ينقطع في ركوعه وسجوده واستغفر لمن ينقطع على غيره حتى أتى له وتروفاً كما أنه المريض في انقطاعه عليه والمرأة في حونها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الراحة والتروؤ ومنه قولهم صلى الله عليه عليك أى ترحم عليك وترأف (فإن قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) إن فسرته يترحم عليكم ويترأف فما نفع بقوله

هو قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور الآية (قال إن جعلت يصلى بمعنى يرحم

(قوله قد عاشا إلى أن نفى أحدهما) أى زاد والنفى بالتشديد والتخفيف الزيادة كذا في الصحاح

وَمَلَئِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَيَحْتَسِبُ يَوْمَ يَقُولُهُ سَلَامٌ لَكُمْ أَعُدُّهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَازَنَهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تَطْلِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ دَعَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ

(وملائكته) ومأمني صلاتهم (قلت) هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلو لكرتهم مستجاب الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والراقة ونظيره قوله حياك الله أي أحياك وأجلك وحيتك أي دعوتك بأن يحياك الله لأنك لا تنكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقية على الحقيقة وكذلك عرك الله وعمرتك وسفأك الله وسقنتك وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصل عليه والمعن هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بالكثير الذكر والتوفير على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) دليل على أن المردبالصلاة المحقور يرى أنه لما نزل قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله عنه ما خصلك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركا فيه فأبزت (لحجتهم) من إضافة المصدر إلى المفعول أي يميون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كلقائه على ما ضربنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بشت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك هند الله لم وطهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم (فإن قلت) وكيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت هي) حال مقدرة كسنة الكتاب مرتت بـ رجل معه صقر صاندا به غذا أي مقدرا به الصيد غذا (فإن قلت) قد فهم من قوله إننا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في الدماء فما فائدة قوله (يأذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعمرا للتيسير لأن الدخول في حق الممالك متمنر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهلا لما تقرر من ذلك وضع موضعه وذلك إن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتمنر فقيل يأذنه للإيمان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطاع إلا بإذنه الله يسره ومنه قولهم في الصحيح أنه غير مأذون له في الإتيان أي غير ميسر له الإتيان لكونه شاهدا عليه داخل في حكم التعذر به جلي به الله ظلمات الشرك وامتدنى به الضالون كما يحل ظلام الليل بالسراج المتروك يندى به أو أمده الله بنور نوره نور البصائر كما يد نور السراج نور الأبصار وصفه بالإتارة لأن من السراج ما لا يضيئ إذا قل سبطه ودقت شفتيه وفي كلام بعضهم ثلاثة قضى رسول بطيء وسراج لا يضيئ ومائدة ينظر لها من يحسبى وموسى بعظم من الموحشين فقال ظلام سائر وسراج قاتر وقيل وذو السراج منير أو نال السراج منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك أنه الفضل ما يفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر الفضل به وكبره فاطنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من فوقهم العطايا بفضل وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوه به (ولا تطع الكافرين) معناه الوهم والاثبات

فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دماهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حيتته بمعنى دعوة الله له بالحياة والمقصود بذلك جعل الحياة محقة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجيب الدعوة) قال أحمد كثيرا ما يفر الزعشري من اعتقاد إرادة الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد اتزمت معنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازا لأنه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على إلهامه وجعلها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازا والله أعلم

بِاللهِ وَكِلاهُ بِسَائِمِ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ قُلُوبُكُمْ عَلَيْهِنَّ
 مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَيَقْعُوهُنَّ وَسَرَاجُهُنَّ سَرَاحًا جَلِيلًا بِسَائِمِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَهْلُنَا لَكَ أَزْوَاجُكَ الَّتِي آتَيْتَ
 أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتُ عَمِّكَ وَبَنَاتُ أَخِيكَ وَبَنَاتُ خَالَاتِكَ

على ما كان عليه أو التيسير (أدام) يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول يعني ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذي بظاهرهم
 وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازمهم عليه حتى تمر وعز ابن عباس رضي الله عنهما منسوخة آية
 السيف (وتوكل على الله) فإنه يكفيكم وكفى به مفوضا إليه ولقاتل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا
 منها بمخاطب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر
 الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمناقضين لأنه إذا عرض عنهم أقبل جميع إقباله على
 المؤمنين وهو مناسب للبشارة والتذير يدع أدام لأنه إذا ترك أدام في الحاضر والأدنى لا بد له من عقاب عاجل أو أجل
 كانوا منذرين به في المستقبل والداهي إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج
 المنير بالاكتفاء به وكلا لأن من أماره الله برمانا على جميع خلقه كان جديراً بأن يكتفى به عن جميع خلقه السكاح
 الوطء وتسمية العقد نكاحا للملازمة له من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إنما لأنها سبب واقتراف الإثم
 ونحوه في علم البيان قول الراجز ه أسمة الآبال في صحابه ه سمي الماء بأسمة الآبال لأنه سبب سمن المال وارتضاع
 أسنته ولم يرد لفظ السكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن
 السكناية عنه بلطف للملازمة والماسرة والقران والتشبي والإتيان ه (فإن قلت) لم خص المؤمنين والحكم الذي نطق
 به الآية تستر في المؤمنين والكنائيات (قلت) في اختصاصه تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير
 لنطقه وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتزهد من مزوجة الفواسق لها بال الكافر ويستكشف أن يدخل تحت لحاف
 واحد عدوة الله ووليته قال في سورة المائدة فليعلم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب
 وهذه فيها تعليم ما هو الأول بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فإن قلت) ما فائدة ثم في قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته
 نفي التورم عن عصى يتورم فتاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قرية العهد من النكاح وبين أن يبيدها بالنكاح ويتراخي
 بها المدة في حيلة الزواج ثم يطلقها (فإن قلت) إذا خلا بها خلوة يمكنه معها الإمساك هل يقوم ذلك مقام المساس
 (قلت) نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فإن لم يكن عليهن من عدة) دليل على أن العدة
 حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قرك عددت الدرهم فاعتدها كقولك كتته فاكلتله
 وزنه فآزره وقرئ تعتونها غفصاً أي تعتونها فيها كقولهم ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تسكوهن
 ضرارا لعتدوا ه (فإن قلت) ما هذا التمتع أوجب أم مندوب إليه (قلت) إن كانت غير مفروض لما كانت المتعة
 واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لما وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضاً لما فالتمعة تختلف فيها
 فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراسا جليلا) من غير ضرار ولا منع واجب
 (أجورهن) مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإتيانها إما إعطاؤها عاجلا ولما فرضها وتسميتها بالعقد (فإن قلت)
 لم قال اللاتي آتيت أجورهن وما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن مملوك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد اختار
 الله لرسوله الأفضل الأولى واستحب بالأغلب الأذى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الآثار
 وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزاً وله أن يماسها وعليه مهر المثل
 إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسمي ويؤجله وكان التعجيل دين السلف

الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسًا لِلَّهِ إِنْ أَرَادَ الْأُنْثَىٰ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ

وستهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكمها وخطبه سيفه ورحمه وما غنمه الله من دار الحرب أهل وأطرب عما يشتري من شئ الجلب والسي على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة فسي الطيبة ماسي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالمي منهم سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى (عما أبا الله عليك) لأن فيه الله لا يطلق إلا على الطيب دون الحديث كما أن رزق الله يجب لإطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه ففدنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء . وأحلنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرأ من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فمن ابن عباس رضي عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن المهن قبل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصاريّة وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن فري (إن وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدراً أعذوا معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالساً بمعنى وقت دوامه جالساً وقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير أن . (فان قلت) ما معنى الشرط الثاني مع الأول (قلت) هو تقييد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحلنا لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريدان تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم (فإن قلت) لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (نفسها للتي إن أراد النبي) ثم رجع إلى الخطاب (قلت) للإيذان بأنه بما خص به وأوثر وبجبه على لفظ التي للدلالة على أن الاختصاص تكملة له لأجل النبوة وتكريره تفعيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته . واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعاً لأن اللفظ تابع للمعنى والمعنى للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عند مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله أي خلص لك إحلال ما أحلنا لك خالصة بمعنى خلوصاً والفاعل والمفعول في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والدافئة والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلال لا الأربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفه يجب أن يفرض عليهم فرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به فعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج ثلاثا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصناك بالتميز واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحلنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الوابعة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتاً للمرأة فملي مذهب هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفوراً) للواقع في الحرج إذا تاب (رحماً) بالتوسعة

(قوله كما أن رزق الله يجب لإطلاقه على الحلال) هذا عند المتزلة أما أهل السنة فيطلقونه على القسمين

فَقُورًا رَحِيمًا . تُرْجَى مِنْ تَفْأَةٍ مِنْهُمْ وَتَوَرَّى إِلَيْكَ مِنْ تَفْأَةٍ وَمِنْ أَتَيْتَ مِنْ عَزَلَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَلَيْهِنَ وَلَا يَحْزَنَ وَبِرَّضَيْنَ بِمَا آتَيْتَنَّهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا . لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَجْبَلَكَ حُسْنُ الْأَمَلِ لَكَ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ

على عباده . روى أن أمهات المؤمنين حين تفارنوا وابتغين زيادة النفقة وغلظن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر من شهر أو نزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله أفرض لنا من نفسك وما لك ما شئت وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله إني أرى ربك يسارع في هواك (ترجى) بهز وغيره من تخر (وتووى) تضم بمعنى ترك مضاجعة من قضاء منهن وقضاجع من قضاء أو تطلق من قضاء وتمسك من قضاء أو لا تقسم لانهن شئت وتضم لانهن شئت أو تترك لزوجة من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وعن الحسن رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قصة جامعة لما هو الفرض لانه إيمان يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضامع أوترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلو المعزولة لا يبيتها أو يبيتها روى أنه أرحى منهن سودة وجورية وصفية وميمونة ولم حبية فكان يقسم لمن ماشاء كإشاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضى الله عنهن أرحى نخسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى مع ما طلق له وخير فيه الأسود فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نساءك (ذلك) التفويض إلى مشيئةك (أدنى) إلى قوة عيونهم وقلة حزنهم ورضاهن جميعا لانه إذا سوى يبين في الإيواء والإرجاء والعزل والإبقاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن بما تريد وبما لا تريد إلا مثل ما لا أخرى وعلين أن هذا التفويض من عند الله بوجه ما علمت تفوسن وذهب التنافس والتفاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وجه لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وقضى إلى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطئ قلوبهن بتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه . وقرئ تقرأ أعينهن بضم التاء ونصب الأعين وتقرأ أعينهن على البناء للفعول (وكان الله عليا) بذات الصدور (حليما) لا يماجل بالعقاب فهو حقيق بأن يقي ويحذر . كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتن على التقديم وقرأ كلهن تأكيدا لهن في آتيتن . (لا تحل) وقرئ بالذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيق وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بين) ولأن تبدل هؤلاء التسع أزواجا آخر بكلهن أو بعضهم أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين قصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع الثلاث مات عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الحبيرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية جورية بنت الحرث المصطلقية رضى الله عنهن . من في (من أزواج) تأكيد للنفي وقائده استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء الثلاث نص لإحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والنرائب أو من الكنانيات أو من الإمام بالتمكاح وقيل في تحريم التبديل هو من البذل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بأمرئك وأبادلك بأمر آتي فيزول كل واحد منهما عن أمر أنه لصاحبه ويحك أن عينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة عن غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عينة ابن الاستئذان قال يا رسول الله ما استئذنت على رجل قط عن معنى منذ أدركت ثم قال من هذه الجيلة

(قوله قصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع) لعله ومن

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا يَسْمِعُ الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِ
مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عينة أفلا أنزلك من أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلا يخرج قالت عائشة رضى الله عنها من هذا يارسول الله قال أحق مطاع وأنه على ماثرين لبيد قومه وعن عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحله النساء ثعى أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسجها إيمان يكون بالنسبة وإما بقوله تعالى إنا أحللك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تدل لامن المقول الذى هو من أزواج لأنه موغل في التكثير وتقديره مفروضا بإجماعهم وقيل هي أسماء بنت عيسى الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها بمن أعجبه حسنن واستنى عن حرم عليه الإمام (رقية) حافظا مهجنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم (غير ناظرين) حال من لاندخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال مما كانه قيل لاندخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لاندخلوا بأهولاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه وإلا فلا لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذن له إذا خاصا وهو الإذن إلى الطعام لحسب وهن ابن أبي عتبة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على غير ماهوله فن حقه ضمير ماهوله أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إياه أنتم كقولك هند زيد ضاربه هي وفي الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إلى كقولك تلاء قلى ومنه قوله بين حيم أن بالغ إياه وقيل إياه وقت أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بشر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدهو بالناس فراحوا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يارسول الله دعوت حتى ما أجدا أحدا أدعوه فقال ارفعوا أطعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا عليك السلام يارسول الله كيف وجدت أمك وطاف بالحجرات فلم يلقهن ودعونه ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا بالحياة فقول فلما أروهم متوليا خرجوا فخرج وتزلت (ولاستأنسين لحديث) نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحذره به أوعن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستأنسه سمعه وتوجه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لأنه لا بد في قوله (فيستحي منكم) من تقدير المضاف أى من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحي من الحق يعنى أن إخراجكم حتى ما يبين أن يستحي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحق من بعض الأفعال قيل (لا يستحي من الحق) بمعنى لا يتبع منه ولا يترك ترك الحق منكم وهذا أدب أدب الله به التلاوة وعن عائشة رضى الله عنها حسبك في التلاوة أن الله تعالى لم يمتلهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي ياء واحدة هو الضمير في (سألهن) لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لأن الحال ناظفة بذكرهن (متاعا) حاجة (فأسألوهن) المتاع قيل إن عمر رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن بحجة شديدة وكان يذكره شيرا ويود أن ينزل فيهن كما يقول لو أطاع فيكن ما أنكن حتى وقال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمتهات المؤمنين بالحجاب فترك وروى أنه من عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن

وَقُلِّيبٌ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُدْخُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۖ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۚ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آيَاتِهِمْ وَلَا آيَاتِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا آبَاءَهُمْ وَلَا إِخْوَانَهُمْ وَلَا أَبْنَاءَهُمْ وَلَا إِخْوَانَهُمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ وَلَا مَمَالِكَهُمْ إِنَّمَنْ وَافَقَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

احتجبن^١ فإن لكن على النساء فضلا كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقلت ذنوب رضى الله عنها يا ابن الخطاب إنك لاتغار علينا والوحى ينزل في يوتنا فلم يلبسوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم ومعه بعض أصحابه فأصاب بدرجل منهم يد عائشة ففكره النبي صلى الله عليه وسلم فذلك فزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال انتهى أن نكلم بنات عمن إلا من وراء حجاب لأن مات محمد لا تزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم (وما إن لكم) وما صح^٢ لكم إتياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانكاح أزواجه من بعده هـ سمي نكاحهن بعده عظيما وتدعوهم من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمة حيواتهن وإعلامه بذلك عايط به نفسه وسر قلبه واستغفر شكره هـ فإن نحو هذا ما يحدث الرجل به نفسه ولا يخفى منه فكره ومن الناس من نظر طغيرته على حرمة حتى تمنى لها الموت لا تتكلم من بعده وعن بعض الثقات أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستبشارا فنظر إليها ذات يوم فنقض الصدهاء واتحب فقبل تحببه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل بذلك حتى قلها تصوروا لما عسى يتفق من مقام إيمده وحصولها تحت بدغيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في عدم مما يجرى مجرى العقوبة فقصين رسول الله ﷺ عابلا حظ ذلك (إن تدوا شيئا) من نكاحهن على الستكم (أو تخفوه) في صدوركم (فإن الله) يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل بادوخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهل وأجل روى أن عائشة زكأت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أرعن أيضا نكلمن من وراء الحجاب فزلت (الاجتاح علهن) أى لائمه علهن في أن لا يجتنبن من هؤلاء ولم يذكر العم والحال لهما مجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبأ قال الله تعالى وإله أباك إراهم وإعجيل وإحق وإسبل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لأنها يصفانها بأناتها وأبنائها وغير عارم هـ ثم نقل الكلام من النية إلى الحجاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد قيل (واقين الله) فيما أمرتن به من الاحتجاب وأرل فيه الوحى من الاستتار وأحاططن فيه وفيما استسقى منه ما قدرتن وأحفظن حدودهما وأسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن علكن في الحجب أحسن مما كان وأئن غير محبات ليعضل سركن علكن (إن الله كان على كل شيء) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهيذا) لا يتفاوت في عليه الأحوال هـ فرى وملانكته بالرفع عطفا على عن إن واسما وهو ظاهر على مذهب الكرفين ووجهه عند البصريين أن يخفف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه وسلموا) أى قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يرحم عليه الله ويسلم (فأزلت) الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلها مجرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبدها لله وروى أنه قيل يا رسول الله أرايت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكتون ولولا أنكم سألوني عنه ما أخبرنكم به وإن الله وكل في ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال ذاك المكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملانكته جوابا لذئلك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال ذاك المكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملانكته لذئلك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مزة وإن تكرر ذكره كقيل في آية السجدة وتسميت العاطس وكذلك

(قوله لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتاراً) في الصحاح فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالى ما قيل فيه

تَسْلِيماً . إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَنَمُوتَنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كَتَبْنَا قَدَّ احْتَمَلُوا مِنْهُنَّ وَإِنَّمَا مِثْلُ مَا يَأْتِيهِنَّ قُلُوبُهُنَّ لَأَزْوَجُهُنَّ وَبَنَاتُهُنَّ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبٍ ذَلِكَ أَتَى أَنْ يَعْزِفَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

في كل دعاء في أوله وخره ومنهم من أوجها في العرصة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لها ورد من الأخبار (فإن قلت) فالصلاة عليه في الصلاة أمي شرط في جوازها أم لا (قلت) أوجه في أصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأنا الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فإن قلت) فاقول في الصلاة عليه غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن العلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرده من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هوفكره لأن ذلك صار شعارا للذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدى إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف من موافق الله (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذاءهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضاهما من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعله مجازاً فيها جميعا وحقيقة الإيذاء محيية في رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلاجهل البارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين بداهة مغلوقة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في أسبائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فباحكن ربه وشتنى ابن آدم ولم ينغله أن يشتنى وآذاني ولم ينغله أن يؤذنى فأنا شتمه إياي فقله إلى أن تغتف ولذا وأما أذاه فقله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأت من عكوبة فعل أصحاب التصاوير الذين يرمون تكوين خلق مثل خلقه وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رابعتيه وشيخ وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حسي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيل إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبداً وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فممنوع معنى (بغير ما كُتِبُوا) بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء من كارهاتهن عن الفضيل لا يميل لك أن تؤذى كلباً أو خنزيراً بغير حق فكيف وكان ابن عوف لا يكرى الحوائث إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كثر الحلول والجلباب ثوب واسع وأوسع من الحمار ودون الرداء تلو به المرأة على رأسها وتقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستمر فوق إلى أسفل وقيل الملقفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زيد م جلب من سواد اللجلج باه ومعنى (بدنين عليهن من جلابيبهن) برخين عليهن وينطين بهن وجوههن وأعطاهن يقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على عيرهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار فضل بين الحرة والأمة وكان الثوبان وأهل الشطارة يتنصرون إذا خرجن بالليل إلى مقاضى حوائجهن في التخليل والعيطان للإمامور بما تنصرون الحرة بعلة الأمة يقولون حسبنا ما أمة فأمرن أن يخالفن زين عن زى الإمام بليس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجه ليحتملن وبهين فلا يطلع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أى أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتنصرون لهن ولا يلقين ما يكرهن (فإن

(قوله فكيف وكان ابن عوف لا يكرى) عبارة النسفي فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات

لَنْ لَمْ يَنْتَ الْمُسْتَقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمَرْجُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُفِرَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا تُغَوَّاهُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا هَ سَنَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجْعِدَ لَسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا هَ يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا هَ إِنَّ اللَّهَ

قلت (ما معنى من في من جلايين (قلت) هو التبعض إلا أن معنى التبعض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلين ببعض الممن من الجلايب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والمهانة ولها جلبان فمعاذا في بيتنا والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تنفتح حتى تميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلمي عن ذلك فقال أن تضع ردامها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجهها والشق الآخر إلا العين وعن الكسائي يقطن بملاحق منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء (وكان الله غفورا) ما سلف منهن من التفریط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل (الذين في قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى قطع الذي في قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن رابا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبره على غير حقيقة لكونه خيرا منزولا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لأن بيته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم والفسقة عن مجرمهم والمرجفون عما يؤفون من أخبار السوء لتأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم ثم بأن تضطرم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها (إلا) زنا (قليل) ربنا يرجفون وينتقلون أنفسهم وعيالاتهم فسي ذلك إغرام هو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم والأحوال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال مما كافر في قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولا يصح أن يتصب عن أخوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيها قبلها وقيل في قلبها منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين (فإن قلت) ما موقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لنفرك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لن لم يبتها لا يجاورونك (فإن قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطى بالقاء وأنت يقال لنفرك بهم فلا يجاورونك (قلت) لوجعل الثاني مسييا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف به لأن الجلاء عن الوطن كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصابوا به فتراحت حاله من حال المعطوف عليه (سنة الله) في موضع مصدر مؤكداً على أن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما تغفوا وعن مقاتل يعني قاتل أهل بدر وأسروا كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استجبالا على سبيل الهزء اليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عي وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبياً ثم بين لرسوله أنها قرية الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكانا للمتأخرين (قريباً) شيثا قريبا وأولان الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب ه السعير النار المسعورة

ه قوله تعالى لن لم يبتها المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنفرك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا قال فيه المراد بقوله تعالى إلا قليلا ربنا ينتقلون عيالاتهم وأنفسهم لا غير) قال أحدو فيها إشارة إلى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملكه للتبرير يوجه شرع يهل ربنا ينتقل بنفسه ومناعه وعياله برهة من الزمان حتى يحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

(قوله لما سلف منهن من التفریط مع التوبة) هذا عند المعتزلة أو بمجرد الفضل عند أهل السنة (قوله الأفاعيل التي تسوءهم وتوهم) في الصحاح يقال لعندي ما ساءه أو ما أهله وما يسوءه ويتوهم وقال بعضهم أراد ساءه وإياه وإنما

قال ناه وهو لا يتعدى لأجل ساءه ليزدوج الكلام

لَمَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۚ يَوْمَ تَقُوبُ أُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتْنَا أَطْمَنَّا اللَّهَ وَأَطْمَنَّا الرَّسُولَ ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا الْسِيلَا ۚ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعِيفٌ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّهْمِ لَمَّا كَبُرَ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ

الشديدة الإيقاد ۚ وقرئ قلب على البناء للمفعول وقلب بمعنى تقلب وقلب أى تقلب نحن وقلب على أن الفعل للسعيير ومعنى تقليبها تصرفها في الجهات كآثر البضعة تدور في القدر إذا ظلت فتراى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغيرها عن أحوالها ونحوها عن حيثياتها أو طرحها في النار مغلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة ونائب الطرف يقولون أو يحشون وهو أذكر وإذا نصب بالمحشوف كان يقولون حالا ۚ وقرئ ساداتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنهم الكفر وزيروهم ۚ يقال ضل السبل وأضله إياه وزيادة الآلات لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقواف الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف ۚ وقرئ كثيرا تكثيرا لإعداد اللغات وكبرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه (ضعفين) ضعا لضلاله وضعفا لإحلاله بمنزلة ينفرون ويستشيرون ولا ينفعون شيء من ذلك (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في آذى موسى عليه السلام هو حديث المومنة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل إنهاهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الجبل فأتوا هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياء الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأظلمهم الله على أنه يرى منه (وجيها) إذا جاءه ومنزلة عنده فذلك كان يحيط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه مثلا بلحقه وهم ولا يوصف بنقصه كما يفعل الملك بمن له عنده قرية ووجاهة ۚ وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حنيفة وكان عباده وجميعا قال ابن خالويه صليت خلف ابن شبيب في شهر رمضان فسمعتهم يقرؤها وقراءة العامة أوجه لأنها مقصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك (فإن قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من قولهم لأن ما لم يصدره أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح للبراءة منه (قلت) المراد بالقول أو المحقول مؤداه ومعنونه وهو الأمر الميب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا إلى الحق والصدق القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد بهم عما غاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنن وتدسيد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في الحجج بها صالحة مرضية وهذه الآية مقترنة للتي قبلها بنبت تلك على النبي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتباع الله تعالى في حفظ اللسان ليرادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النبي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البالغ

(قوله على أن الفعل للسعيير) يعنى ووجوههم بالنصب (قوله وقيل قرفوه بعيب) في الصحاح قرفت الرجل أى عتبوا وقالوا هو يقرف بكذا أى يرى برؤيته (قوله ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة) في الصحاح صار هذا الأمر سبة عليه بالصم أى عارا (قوله على أن يسد قولهم) في الصحاح سد قوله يسد بالكسر أى صار سديدا

أَعْلَمَكُمْ وَيَنْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ قَارَىٰ قَوْراً عَظِيماً ۚ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ۚ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ۝

فيقوى الصارف عن الآذى والداعى إلى تركه ۝ لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله
(إنا عرضنا الأمانة) وهو يريد بالأمانة الطاعة فظم أمرها ونظم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام
من السموات والأرض والجبال قد اعتادت لأمر الله عز وجل اعتياداً متلبها وهو ما يتأتى من الجادات وأطاعت له
الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تتمتع على مشيئته وإرادته إجماداً وتكويناً ونسوبة على هيآت مختلفة وأشكال
متنوعة كما قال قائلنا أنبأ طائفتين وأما الإنسان فلم تكن حاله فيها يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد وأمر
الله ونواهي وهو حيوان عاقل صالح للكليف مثل حال تلك الجادات فيها يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم
الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجادات وإبائها
وإشفاقها مجاز ۝ وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل للأمانة ومحمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى يزول
من ذمته ويخرج عن عهدها لأن الأمانة كأنها رابكة للمؤمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ربكنا الدين ولي
عليه حق فإذا أداها لم تبق رابكة له ولا هو حاملها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصراً يريدون أنه يذل النصرة
له ويساعدها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذي لا يملك الحس نفسه ۝ وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لا يمسك الرقة والمطلف إمساك المالك الضمين ما في يده بل يذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم انفض حتى أخيك لأنه إذا أحب لم
يخرجه إلى أخيه ولم يؤد هو إذا انفضه أخرجه وأداءه ففى ما بين أن يحملها وحملها الإنسان فآين لأن يؤديها رأى الإنسان إلا أن
يكون محتملاً لها لا يؤديها ۝ ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة بالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها
والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواء وأشده أن
يتحملة ويستقل به فآى محله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ووراءة قوته (إنه كان ظلوماً جهولاً)
حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها ونهتها ثم غاس بضيانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على
طريقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لوقيل للشم أين تذهب فقال أسوى العوج وكم لم من أمثال على السنة البهائم
والجادات وتصور مقالة الشم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان بما يحسن فيه كما أن العجف بما يقيح
حسنة فنقرر أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع وحى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك
تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فإن قلت) قد علم وجه التمثيل في قولهم الذى لا يثبت على رأى
واحد أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لأنه مثل حاله في تميله وترجمه بين الرأين وتركه الحصى على أحدهما بخال من
يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للضى في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شئ مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة
وليس كذلك ما فى هذه الآية فإن عرض الأمانة على الجباد وإبائه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء
التمثيل على المحال وما مثال هذا إلا راء تشبه شيئاً والمشب به غير معقول (قلت) الممثل به في الآية وفي قولهم لوقيل للشم

(قوله وترفض عند المحفظات الكتائف) أى تفرق وتذهب والمحفظات المغضبات والكتائف جمع كتيف وهى السخيمة
والحقيد يقول هو الذى إنذاراً لك مظلوماً راق لك وذهب حقه كذا فى الصحاح (قوله ثم غاس بضيانه فيها) فى الصحاح غاس به
يغشى ويغشوس أى غدر به يقال غاس بالهد إذا نكس

سورة سبأ مكية

الآية ٦ فدينه وآياتها ٤٥ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ • يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صمونه وقفل محله بحاله المفروضة لو فرضت على السموات والأرض والجيال لآيين أن يحملنها وأخفقن منها • واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب • وقرأ الأعمش ويتوب ليعمل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره • لم يجعلها لأنه إذا تيب على الواقي كان ذلك نوعاً من عذاب القادر والله أعلم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهلها ومملكته يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر

(سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ما في السموات والأرض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمده ويشي عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالإتمام بجميع التعمدات الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما يقول أحد أعاك الذي كساك وحلك تريد الحمد على كسوته وحملاته ولما قال (وله الحمد في الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فإن قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أمّا الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأمّا الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تمة سرور المؤمنين وتكفلة اغتيالهم ليتنعم به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون • ثم ذكر ما يحيط به علماً (ما يبلغ في الأرض) من الفيت كقوله فلسكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والبعائن والأموات وجميع ما هي له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والنفث والمواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الأمطار والتلوج والبرد والصواعق والأرزاقي الملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما تعدون (وما يخرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للفرطين في أداء ما واجب شكرها • وقرأ

(القول في سورة سبأ)

• قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة (قال فيه الحمد الأول واجب لأنه على نعمة متفضل بها والثاني ليس بواجب لأنه على نعمة واجبة على النعم) قال أحمد والحق في الفرق بين الحمدين أن الأول عبادة مكلف بها والثاني غير مكلف به ولا متكلفين إنما هو في الدنيا الثانية كالجلبات في الدنيا الأولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التيسيح كما يلهمون النفس والأفانعة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لاعتنا استحقاق راحة الموقف

(قوله ويتوب) أي بالرفع كما في النسفي (قوله نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها) مبنى على مذهب المعتزلة أمّا أهل السنة فلا يوجبون على الله شيئاً ولا يجب الحمد في الآخرة لأنها ليست دار تكليف (قوله كما يلتذ من به العطاش البارد) في الصحاح العطاش داء يصيب الإنسان يشرب الماء فلا يروى

الغفور . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ لِي وَرَبِّي تَأْتِيَنَكُمُ الْعَذَابُ لَا يَمُرُّ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كُتُبٍ مُبِينٍ . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ . وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ .

على بن أبي طالب رضى الله عنه نزل بالتون والتشديد . قوله (لا تأتينا الساعة) نفي البعث وإنكار لمحى الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل المزهة والسخرية كقولهم في هذا الوعد هـ أوجب ما بعد النفي على معنى أن ليس الأمر إلا بإنائها ثم أعيد بما هو مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمّد التوكيد القسمي إمداداً بما أتبع القسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزى لأن عظيمة حال القسم به تؤذن بقوة حال القسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكما كان المستشهد به أعلى كمالاً من فضلاً وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فإن قلت) هل للوصف الذى وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب حين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفتقر إليه شيء من الخفيات واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة بخلاف ما نقله من وجه الاختصاص بجيهاً واحداً (فإن قلت) الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فبأنه حلف لم يغلظ إلا بالآمان وأقسم عليهم جهده القسم فيمين من هو في مقدمه مفتر على الله كذا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبيئة الساطعة وهى قوله ليجزى فقد وضع الله في القول وركب في الفرائض وجوب الجزاء وأن المحسن لا يبدله من ثواب والمسيء لا يبدله من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تليلاً هـ فرى لتأتينكم بالباء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أى لتأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك . وقرئ عالم الغيب وعالم الغيب بالجر صفة لربى وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يمزج بالضم والكسر في الزاى من المزوب وهو البعد يقال روض عريب بعيد من الناس (مقال ذرة) مقدار أصغر نغمة (ذلك) إشارة إلى مقال ذرة . وقرئ ولا أصفر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالتنع على نفي الجنس كقولك لاسود ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فإن قلت) هل يصح عطف المرفوع على مقال ذرة كأنه قيل لا يمزج عنه مقال ذرة وأصفر وأكبر وزيادة للتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يمزج عنه مقال ذرة ولا مقال أصفر من ذلك ولا أكبر (قلت) بآلى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسماً للخفيات قبل أن تكتفى في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطوراً في اللوح . وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر . وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) في موضع الرفع أى ويعلم أولوا العلم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أئمة أولياء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام رضى الله عنهما . الذى أنزل إليك الحق وهما مغفولان ليرى هو فضل من قرأ الحق بالرفع جملة مبتدأ والحق خبراً والجملة في موضع المفعول الثانى وقيل يرى في موضع النصب مطوف على ليجزى أى ويعلم

(قوله وركب في الفرائض وجوب الجزاء) هذا مقتضى الحكمة وإن لم يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة فتدبر

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ أَفَنَسْرِ عَلَىٰ
 اللَّهُ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۖ أَقَلُّمْ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ تَشَاءُ نَغْشَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَنْقُطَ عَلَيْهِمْ كَسَافًا مِنَ السَّمَاءِ ۖ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أَوْيٍ مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَالنَّارِ لَهُ الْحَدِيدُ ۚ إِنَّ أَهْلَ

أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزداد عليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد
 وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فزدادوا حسرة وغما (الذين كفروا) قريش قال بعضهم لبعض
 (هل ندلكم على رجل) يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بأخباره من الأعاجيب أنكم تبشرون وتنشرون
 خلقا جديدا بعد أن تكونوا رافقا وتربا ويمزق أجسادكم إلى كل ممزق أى يفرقكم ويدد أجزاءكم كل تبديد ۖ هو
 مقتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يورثه ذلك وبقية على لسانه ۖ ثم قال سبحانه ليس محمد من
 الاقراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هو لاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار فيما يؤدبهم إليه
 من الضلال عن الحقوم غافلون عن ذلك وذلك آية الجنون وأشدّه إطباقا على عقولهم جعلهم في العذاب رسلا
 لوقوعهم في الضلال كأنهما كاتنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعل كلاهما في
 الحقيقة مقترنان ۖ وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بديك (فإن قلت) قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتك

ألم تعلم مسرحى القوافى ۖ فلاحيا جهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به
 كل مذهب وما سفت الرياح فطرحته كل مطرح ۖ (فإن قلت) ما العامل في إذا (قلت) مادل عليه إنكم لني خلق جديد
 وقد سبق نظيره ۖ (فإن قلت) الجديد قيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل قول جد
 فهو جديد كد هو حديد وقل هو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا هو الذي جد الناسج الساعة
 في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله تعالى إن رحمة الله قريب
 (فإن قلت) لم أسقط الهمة في قوله أقرى دون قوله ألسر وكلتاها حمزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن
 أمرا اعظم إلى ترك إسقاطها في نحو ألسر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون حمزة الوصل مفتوحة كهمزة
 الاستفهام (فإن قلت) مامعنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضال إذا بد من
 الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أهمل (فإن قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان
 إنبأوه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل يبشركم فنكروهم لم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل
 على جهول في أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك العجز والسخرية فأخرجوه عن جرج التحلي ۖ مض الإحاحى التي
 يتحاجى بها الضحك والتلوى متجاهلين به وبأمره ۖ أحوافهم ينظروا إلى السياه والأرض وأنها حينما كانوا وأبنا ساروا
 أمامهم وخلفهم عيشتان بهم لا يشدرون أن ينفثوا من أظفارها وأن يخرجوا حمام فيه من ملكوت الله عز وجل
 ولم يخافوا أن يخفف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء
 به كاهل بقارون وأصحاب الأيكة (إن في ذلك) النظر إلى السياه والأرض والفكر فيها وما يدلان عليه من قدرته
 (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأن المنيب لا يتغير من النظر في آيات الله على أنه قادر
 على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به ۖ يشأ ويخفف ويسقط بإياله لقوله تعالى أقرى على الله كذبا وبالتون

(قوله ولهذا قالوا ملحفة جديد) أى العرب

سبغت وقد في السرد واعملوا صلحا إلى بما تعملون بصير^ه وسليمن^ه الریح غدوها شهر ورواحها شهر
وأسلنا له عين القطر ومن الجبل من يعمل بين يديه ياذن ربه ومن يرغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب

لقوله ولقد آتينا وكسفاً بفتح السين وسكوته وقرا الكسافي بخسف بهم بالإدغام وليست بقوة (يا جبال) إما أن يكون بدلا من فضلا وإما من آتينا بتقدير قوتنا يا جبال أو قلنا يا جبال وقرئ أوتي وأوى من التأويب والأوب أى رجى معه التسييح أو راجى معه فى التسييح كما رجع فيه لأنه إذا رجع فقد رجع فيه ومعنى تسييح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسيح معجزة داود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع ونحوه وكانت الجبال تساعد على نوحه بأصداها والطيور بأصواتها وقرئ والطيور رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلا وجوزوا أن ينصب مفعولا معه وأنت يطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فإن قلت) أى فرق بين النظم وبين أن يقال «وآتينا داود منا فضلا» تأريب الجبال معه والطيور (قلت) كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الضميمة التي لا تخفى من الدلالة على عزّة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة الملائكة الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير متمنع على إرادته (وأنا له الحديد) وجعلناه له لبناً كالطين والعجين والشمع يصرفه يده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لأن الحديد فى يده لما أوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفايح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينق منها على نفسه وعياله وينصتق على الفقراء وقيل كانت يخرج حين ملك بنى إسرائيل متكرراً فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثبون عليه فيقبض الله له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عاتقه فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فرجع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فله صنعة الدروع (وقدر) لتجمل المسامير دقاقتلق ولاغلاظاً فخصم الحق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (و) سخرنا (لسليان الریح) فيمن نصب ولسليان الریح مسخرة فيمنزفها وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) جريها بالنداء مسيرة شهر وجريها بالشي كذلك وقرئ غدوتها وروحها وعن الحسن رضى الله عنه كان ينفو فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بيناه ونبأ وجدناه غدوتنا من اصطخر فقلناه ونحن راخمون منه فباتون بالشام إن شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران (فإن قلت) ماذا أراد بين القطر (قلت) أراد به معدن النحاس ولكنه أسأله كما الآن الحديد لداود فنجع كإيencing الماء من العين فذلك سماء عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراقي أحمر خمرًا وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (ياذن ربه) بأمره (ومن يرغ منهم) ومن يعمل (عن) أمرنا الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يرغ من أراغه وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى: كان معه ملك يده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى والمحارب المساكين والمجالس الشريفة المصونة عن الابتدال سميت محارب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد والمقائيل صور الملائكة والبيين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورغام ليراه الناس فيعبودوا نحو عبادتهم (فإن قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل

(قوله بأصداها) جمع صدى وهو الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها كذا فى الصحاح
(قوله ولكنه أسأله كما الآن الحديد) له أسأله له

السَّعِيرَ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَيَمْثِلُ وَيَفْقَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُّورَ رَأْسَيْتَ اعْمَلُوا أَعَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلَ مَنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ لَقَدْ كَانَ لِسَاءٍ فِي مَسْكَهُمْ بَآيَةً

كالظلم والكذب ومن أبى العالاية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محزما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور بحذوة الروس وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسى ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصمد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظهر النسرين بأجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال : تروح على آل الملقى جنة ۝ بكناية السبح المراقى تفهق لأن الماء يجي فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازاً وهى من الصفات الغالبة كالعادة قبل كان بقعد على الجفة ألف رجل وقرئ يحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (رأسيات) ثابتة على الأتاني لاتزل عنها الظلمة (اعلوا آلدود) حكاية ما قيل لآلدود أو انتصب (شكراً) على أنه مفعول له أى اعلموا لله واعبدوه على وجه الشكر لثباته وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أى شاكرين أو على تقدير اشكروا شكر الآن اعلموا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للتم شكره ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولاً به ومثناه أنا سحر نالكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعلموا أنهم شكروا على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسماه فيه قد شغل به قلبه لسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكذا وأكثر أوقاته وهن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن دلودانه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فأنا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أهل من عمره قرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الأرض الأرض وهى الدوية التى يقال لها السرة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أَرْضَتِ الخشب أرضاً إذا أكلتها الأرضة ۝ وقرئ يفتح الزاء من أرضت الخشب أرضاً وهو من باب فلتك فعمل كقولك أكلت القوادح الإنسان أكلها كأكلا وكلا والمنساء المصلا لأنه ينسأ بها أى يطرد ويؤخره ۝ وقرئ يفتح الميم وينخفيف الهزمة قلياً وحققاً وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهزمة بين بين هو التخفيف القياس ومنسأة على مفعالة كما يقال فى المضاة مضائة ومن سأتته أى من طرف صهاء سميت بسأة القوس على الاستمارة وفيها لفنان كقولهم قطة وقطة وقرئ أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشيء إذا ظهر وبجلى ۝ و (أن) مع صلها بدل من الجن بدل الاشتغال كقولك تبين زيد وجهه والظهور له فى المعنى أى ظهر أن الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم علماً يتنا بعد التباس الأمر على عاقبتهم وضغفهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التكميم كما تنهى بئذى الباطل إذا دحضت حجة وظهر إبطاله بقوله هل تبين أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متيناً وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع ما فى صلتها لأنه بدل وقراءة أبى تبينت الإنسان وعن الضحاك

(قوله بكناية السبح المراقى تفهق) أى الماء الجارى على وجه الأرض وتفق الآباء إذا امتلأ حتى تصبب كذا فى الصحاح (قوله سميت بسأة القوس) فى الصحاح سبة القوس ما صطف من طرفها كان رؤية هزيمة القوس وسائر العرب لا يهزونها (قوله كقولهم قطة وقطة) كسمة وكدة بمعنى الوقاحة وهى الصلابة (قوله بئذى الباطل إذا دحضت حجة) فى الصحاح بطلت

جَتَانٍ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُّوْا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةَ طِبْيَةِ وَرَبِّ غُفُورٍ ۝ فَاعْرِضُوا قَارِئُنَا عَلَيْهِ ۝

تباينت الإلنس بمعنى تباينت وتماثلت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أى علبت الإنسان أن لو كان الجن يصدقون فيما يروونه من علمهم الغيب مالم يشاءوا وفي قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الإنسان أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادته سليمان عليه السلام أن يتكف في مسجد بيت المقدس المدة الطوال فلما دنا أجله لم يصح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لآى شيء أنت تقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخربة فسالها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان أقبليخربه وأناخى أنت التى على وجهك هلا كى وخراب بيت المقدس فتزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم عن الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويمتصون على الإنسان أنهم يعلمون الغيب وقال ملك الموت إذا أمرت في فأعطينى فقال أمرت بك وقد بقيت من هرك ساعة فذا الشياطين فينا عليه صرحا من قواريرليس له باب فقام يصل منكننا على عصاه فتقبض روحه وهو منكبه عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته إلا أحرقه فز به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فظفر فإذا سليمان قد ختمت فقتلوا عنه فذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم ليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويمسحونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما بشرنا في العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يسمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ليطول دعواهم علم الغيب روى أن أفرديون جاهدوا بعد كرسية فلما ضرب الأسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملكه وهران ثلاث عشرة سنة فيني في ملكه أربعين سنة وابتأ بناء بيت المقدس لأربع مئة من ملكه ۝ قرئ (لسأ) بالصرف ومنعه وقلب المزة ألفا ۝ ومسكنهم يفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكنهم وهولدهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مسكنهم و(جتنان) بدل من آية أو خير مبتدل يخوفه تديره الآية جتنان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جتنين بالنصب على المدح (فإن قلت) ما معنى كونها آية (قلت) لم يجعل الجتنين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأن أهما لها أمر ضاوع عن شكر الله تعالى عليهما فغزبهما وأبدلهم ضمما الخط والائل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وخطا التعميم ويجوز أن يجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره (فإن قلت) كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلها آية ورب قرية من قرأت العراق يخفف بها من الجنان ما شئت (قلت) لم يردستانين اثنين لحسب وإنما أراد جماعة من البسائين جماعة عن بين يدهم أخرى من شمالها وكل واحدة من الجماعة في قاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف المامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) إما حكاية لما قال لم أنبأ الله المبعوثون بهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أنه هو قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت أحصب البلاد وأطيبها تنخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل يديها وتسير بين تلك الشجرة فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طية لم تكن سبعة وقيل لم يكن فيها بعض ولا ذهاب ولا يرغو ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن

(قوله وكل واحد من الجماعة في قاربها) لعله كل واحدة من الجماعة في قاربها وتضامها كأنها جنة واحدة

وهذه عبارة النسفي

سَبِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَلَهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ خَطِّ وَأَثَلٍ وَشَى مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا
كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ ۚ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قَرَى ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سَيْرُوا فِيهَا لَيْلَى وَيَأْمَأْءَمَيْنِ ۚ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْقَارِنَا وَظَلُّوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ

أُتْلِبَ مَعْنَاهُ اسْكُرَ وَاعْبَدَ (العَرَم) الْجُرْذُ الَّذِي نَقَبَ عَلَيْهِمُ السَّكْرَ ضَرَبَتْ لَهُمْ بَلْقَيْسُ الْمَلَكَ بِسَدِّ مَا بَيْنَ الْجَبَابِينِ
بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ لَخَفَتْ بِهِ مَاءُ الْعَيُونِ وَالْأَمَطَارُ وَتَرَكَتْ فِيهِ خُرُوقًا عَلَى مَقْدَارٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقِيمٍ فَلَمَّا طَفَرُوا
قِيلَ بِمَثَلِ اللَّهِ إِلَهُهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَذْكُرُهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ فَكَذَّبُوهُمْ وَقَالُوا مَا نَعْرِفُ اللَّهَ نِعْمَةً سَلَطَ اللَّهُ
عَلَى سِدْمِ الْخَلْدِ فَنَقَبَهُ مِنْ أَسْفَلِ فَرْقَتِهِمْ وَقِيلَ الْعَرَمُ جَمْعُ عَرْمَةٍ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُرْكُومَةُ وَيُقَالُ لِلْكَدْسِ مِنَ الطَّعَامِ عَرْمَةٌ
وَالْمَرَادُ الْمُسْنَاءُ الَّتِي عَضَدُوهَا سَكْرًا وَقِيلَ الْعَرَمُ اسْمُ الْوَادِي وَقِيلَ الْعَرَمُ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ ۚ وَقُرِئَ الْعَرَمُ بِسُكُونِ الرَّاءِ وَعَنْ
الصُّحَاكِ كَانُوا فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي بَيْنَ عِيسَى وَعَمْدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ۚ وَقُرِئَ أَكْلُ بِالضَّمِّ وَالسُّكُونِ وَبِالتَّنْوِينِ وَالْإِضَافَةِ
وَالْأَكْلِ النَّهْرَ ۚ وَالْخَطُّ شَجَرُ الْأَرَاكِ وَعَنْ أَبِي هَبِيبَةَ كُلُّ شَيْءٍ شَوْكٌ وَقَالَ الزَّجَّاجُ كُلُّ نَبْتٍ أَخَذَ طَعْمًا مِنْ مَرَارَةٍ
حَتَّى لَا يُمْكِنَ أَكْلُهُ ۚ وَالْأَثَلُ شَيْءٌ يَشَبُّهُ الطَّرْفَاءُ أَكْظَمُ مِنْهُ وَأَجُودُ عَرْدًا وَوَجْهٌ مِنْ تَوْنٍ أَنْ أَصْلَهُ ذَوَاتِي أَكْلُ أَكْلِ خَطِّ
لِخَفِ الْمَضَافِ وَأَقْبَمَ الْمَضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ أَوْ وَصَفَ الْأَكْلَ بِالْخَطِّ كَأَنَّهُ قِيلَ ذَوَاتِي أَكْلُ بِشَعٍّ وَمِنْ أَضَافٍ وَهُوَ
أَوْ بَعَرُوهُ وَحْدَهُ فَلَمَّا أَكَلَ الْخَطُّ فِي مَعْنَى الْبَرِّ كَأَنَّهُ قِيلَ ذَوَاتِي بَرِيرٍ وَالْأَثَلُ وَالسِّدْرُ مَسْطُوفَانِ عَلَى أَكْلِ لَاعِلٍ خَطِّ لَأَنَّ
الْأَثَلَ لَا أَكَلَ لَهُ وَقُرِئَ وَأَثَلًا وَشَيْئًا بِالْبَصِّ عَطْفًا عَلَى جَنَّتَيْنِ وَتَسْمِيَةِ الْبَيْدِ جَنَّتَيْنِ لِأَجْلِ الْمَشَاكِلَةِ وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنْ
التَّهْكِيمِ وَعَنْ الْحَسَنِ وَحَمَدُ اللَّهِ قُلَّ السِّدْرُ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ مَا بَدَلُوا ۚ وَقُرِئَ وَهَلْ يَجَازِي وَهَلْ يَجَازِي بِالنُّونِ وَهَلْ يَجَازِي
وَالْفَاعِلُ اللَّهُ وَحْدَهُ وَهَلْ يَجْزَى وَالْمَعْنَى أَنَّ شَيْءًا هَذَا الْجِزَاءُ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْكَافِرُ وَهُوَ الْعِقَابُ الْعَاجِلُ وَقِيلَ الْمُؤْمِنُ
تَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِ بِحَسَنَاتِهِ الْكَافِرُ يَجْزَى حَمْلُهُ فَيَجَازِي بِجَمِيعِ مَا عَمِلَهُ مِنَ السُّوءِ وَوَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ الْجِزَاءَ عَامٌ لِكُلِّ مَكَاافَةٍ
يَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي مَعْنَى الْمَاقِبَةِ أُخْرَى فِي مَعْنَى الْإِثَابَةِ فَلَمَّا اسْتَعْمَلَ فِي مَعْنَى الْمَاقِبَةِ قَوْلُهُ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا بِمَعْنَى مَا قَانَاهُمْ
بِكُفْرِهِمْ قِيلَ وَهَلْ يَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ بِمَعْنَى وَهَلْ يَمَاقِبُ وَهُوَ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ وَلَيْسَ لِقَاتِلٍ أَنْ يَقُولَ لَمْ يَجَازِي وَهَلْ يَجَازِي
إِلَّا الْكَفُورَ عَلَى اخْتِصَاصِ الْكَفُورِ بِالْجِزَاءِ وَالْجِزَاءُ عَامٌ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ الْجِزَاءُ الْعَامُ وَإِنَّمَا أَرَادَ الْخَاصَّ
وَهُوَ الْعِقَابُ بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ الْعُمُومُ وَلَيْسَ بِمَوْضِعِهِ إِلَّا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يَجَازِي إِلَّا
الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنُ لَمْ يَصِحَّ وَلَمْ يَسُدَّ كَلَامًا قَتِينًا أَنْ مَا يَتَخِيلُ مِنَ السُّؤَالِ مُضْمَلٌ وَأَنْ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ مَا جَاءَ
عَلَيْهِ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ (الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وَهِيَ قَرَى الشَّامِ (قَرَى ظَاهِرَةً)
مُتَوَاصِلَةٌ يَرَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ لِقَارِبَاهَا فَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِأَعْيُنِ النَّاسِ أَوْ رَاكِبَةٌ مَتَنِ الطَّرِيقِ ظَاهِرَةٌ لِلسَّالِكِ لَمْ تَبْعِدْ عَنْ
مَسَالِكِهِمْ حَتَّى تَخْفَى عَلَيْهِمْ (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) قِيلَ كَانَ الْغَادِي مِنْهُمْ يَقِيلُ فِي قَرْيَةٍ وَالثَّانِي يَبِيتُ فِي قَرْيَةٍ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ
الشَّامَ لَا يَخَافُ جُوعًا وَلَا عَطْشًا وَلَا هَضْرًا وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حُلِّ زَادٍ وَلَا مَاءٍ (سَيْرُوا فِيهَا) وَقُلْنَا مُمْ سَيْرُوا وَلَا قَوْلَ نَمَّ
وَلَكِنْهُمْ لَمَّا مَكُنُوا مِنَ السَّيْرِ وَسُوِّتَ لَهُمْ أَسْبَابُهُمْ أَمَرُوا بِذَلِكَ وَأَذَنَ لَهُمْ فِيهِ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ (لَيْلَى وَيَأْمَأْءَمَيْنِ)
(قُلْتَ) مَعْنَاهُ سَيْرُوا فِيهَا إِنْ شَقَّتْ بِالْبَالِ وَإِنْ شَقَّتْ بِالنَّهَارِ فَإِنَّ الْأَمْنَ فِيهَا لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَوَاقَاتِ أَوْ سَيْرُوا فِيهَا
أَمْنَيْنِ لَا تَخَافُونَ وَإِنْ تَطَاوَلَتْ مَدَّةُ سَفَرِكُمْ فِيهَا وَامْتَدَّتْ أَبَاطًا وَلَيْلَى أَوْ سَيْرُوا فِيهَا لَيْلَيْكُمْ وَأَيَّامَكُمْ مَدَّةَ أَعْمَارِكُمْ فَإِنَّكُمْ فِي

(قوله العرم الجرذ) في الصحاح الجرذ ضرب من القار وفيه سكرت النهر سكرًا إذا سدته (قوله سبط الله على سدم الخلد
ففيه) في الصحاح الخلد ضرب من الجرذان أعم وفيه المقدس بالضم وأحد كداس الطعام (قوله والمراد المسنة التي عضدها)
في الصحاح المسنة العرم وفيه العرم المسنة وفي ذلك دور (قوله فلان أكل الخط في معنى البربر) في الصحاح البربر نمر الأراك

كُلُّ مُرَقٍّ إِنْ فِي ذَلِكَ لَأَيُّتٌ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَنَّ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ ۚ تَمَنَّى فِي شَكِّ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۚ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ۚ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ

كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن قرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد ياربنا على الدعاء ۝ بطروا النعمة وبشموان طيب العيش وملوا العافية طلبوا الكد والتمب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المني والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نقتفيه ونخونا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مغاوير ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فجعل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإستناد الفعل إلى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبعده بين أسفارنا وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الآول وهو استبعاد مسابيرهم على قصرها ودونها لفرط تمنعهم وترفعهم كأنهم كانوا يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقاتهم فترقا أخذوا الناس مثلامضروبا يقولون ذهبوا أبدي سبابا وضرقوا أبادي سبابا قال كثير بن ۝ أبادي سبابا عرما كنت بعدكم ۝ فلم يجعل بالعين ببدك منظر لحق غسان بالشأم وأنصار يثرب وجذام بهامة والأزد بيمان (صبار) عن المعاصي (شكور) لنعم ۝ قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إِبْلِيسُ ونسب الظن فن شدد فعل حق عليهم ظنه أو وجهه صادقا ومن خفف فعل صدق في ظنه أو صدق بظن ظنا نحو فعلته جهدك وبسبب إِبْلِيسُ ورفع الظن فن شدد فعل وجد ظنه صادقا ومن خفف فعل قال له ظنه الصادق حين خيله إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعها هل صدق عليهم ظن إِبْلِيسُ ولو قرئ بالتشديد مع رفعها لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصنى إلى وسوسته قال إن ذرته أضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لأخيههم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يحمل فيها من يفسد فيها ۝ والضمير في عليهم واتبعوه إنما لأهل سبابا أو لبني آدم ۝ وقلل المؤمنين بقوله (إلا فريقا) لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار كما قال لا تحسبن ذرته إلا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن تبين المؤمنين بالآخرة من الشاك فيها وعلى التسليط بالعلم والمراد ما تلقى به العلم ۝ وقرئ يعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتهم باسمه كما تدعون الله والتجوا إليهم فبايعوكم كما تلجئون إليه وانتظروا استجابهم لدعائكم ورحمتهم كما تنظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مقال ذرة) من خير أوشر أوقع أو ضر (في السموات ولا في الأرض وما لهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، وما له منهم من عوين يعين على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فإن قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الرابع منه إلى الموصول وأنا الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفا فلا يصح الآول لأن قولك هم من دون الله لا ينتم كلاما ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما

(قوله بشموا من طيب العيش) بشمو أى شموأفأفاده الصحاح (قوله كأنهم كانوا يتشاجرون) في الصحاح الشجواهم والحرن

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۚ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا

موحدة عليه وبما لوقالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقى أن يكون محذوفاً تقديره وضمنوم آله من دون الله لحذف
الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله هذا الذي بعث الله رسولا استخفافاً لظنهم الموصول لصلته وحذف آله
لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً فإذا مفعولاً زعم
محذوفان جميعاً بسببين مختلفين ١ تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع
له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أى
لا تنفع الشفاعة إلا لأكثته لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا لأكثته لمن أذن له أى لشفيعه أو هى
اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله وكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو
الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فإن قلت) بما اتصل قوله (حتى إذا فرغ من قلوبهم) ولاى شيء
وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً للإذن وتوقفاً وتمهلاً وفرغاً من الراجين للشفاعة
والشفعاء هل يؤذن لهم أولاً يؤذن وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملى من الزمان وطول من الترتيب ومثل هذه الحال
دل على قوله عز وجل رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح والملائكة
صفافاً لا ينتكلمون إلا لمن أذن له الرحمن وقال صواباً كأنه قيل يترقبون ويتوقفون ملياً فزعين وهلين حتى إذا فرغ
من قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بهارب العزة في إطلاق الإذن ٢ باشرأوا
بذلك وسأل بعضهم بعضاً (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن
ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أذن لمن أن يشفع فزعه الشفاعة وقرئ أذن له أى أذن
له الله وأذن له على البناء للفعول وقرأ الحسن فزع مخففاً بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده
وفرغ أى نقي الرجل عنها وأقن من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الرجل وأسند إلى الجار والمجرور
كما تقول دفع إلى زيد إذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الرجل عنها أى اتقى عنه وفى ثم حذف الفاعل
وأسند إلى الجار والمجرور وقرأ افرقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبى علقمة أنه حاج به المراءى
فالتفت عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تنكأكم على تنكأكم على ذى جنة افرقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة
مع زيادة الميم كاركب اقطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير)
ذو العلو والكبرياء ليس ملك ولا نبى أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى ٣ أمره بأن يقرم
بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشارة بأنهم مقرون ببقولهم
إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذى تمكن في صدورهم من العناد وجب الشرك قد ألبم أفواههم عن النطق
بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فسالكم لتعبدون من يرزقكم وتؤثرون
عليه من لا يقدر على الرزق الأثرى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال
فسيقولون الله ثم قال فإذا بعد الحق إلا الضلال فكأنهم كانوا يقرؤن بالسنتهم مقرومة كانوا يتلثمون عناداً وضاراً
وحذاراً من إلزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفأنتخذ من دونه أولياء
لا يملكون لأنتقم نعماً ولا ضراً ٤ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذى إن لم يرد على إقرارهم بالسنتهم

(قوله أنه حاج به المراءى) في الصحاح المراءى بضم الميم شجر مراداً أكلت منه الإبل فقصته مشافرها ومنه بنو كل
المراءى وهم قوم من العرب

أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِّي هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْتَسْأَلُكُمْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَقْعِمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۚ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ الْحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

لم يتقاصر عنه (وإنما أورياكم لعل هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجهاد الذي لا يوصف بالقدرة لعل أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مناف قال لمن غوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه ماقدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هومن الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الفرض وأجهم به على التنبه مع قلة شغب الحشم وقل شوكتة بالهون ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق مني ومنك وإن أهدنا لكاذب ومنه بيت حسان أتجهوه ولست له بكفه ۚ فشركا خيركا القداء

(فإن قلت) كيف خولف بين حرفي الجزم الداخلي على الحق والضلال (قلت) لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضلال كأنه منغرس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإن أورياكم إما على هدى أو في ضلال مبين ۚ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجماع إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يغلو منها مؤمن بالعمل الكفر والمعاصي العظام ۚ وفتح الله بينهم وهو حكيم وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار ۚ (فإن قلت) مامني قوله (أروني) وكان يرام ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه

ۚ قوله تعالى وإن أورياكم لعل هدى أو في ضلال مبين (قال) لما أزمهم الحق في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير: وهلم جزأ إلى الآية المذكورة وهذا الإلزام إن لم يرد على إقرارهم بأنهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وإن أورياكم لعل هدى أروني ضلال مبين ومعناه أن أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجهاد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة لعل أحد الأمرين من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك والتعريض أفضل بالمجادل إلى الفرض وأجهم به على التنبه مع قلة شغب الحشم وقل شوكتة بالهون ونحوه قول الرجل لصاحبه الله يعلم الصادق مني ومنك وإن أهدنا لكاذب ومنه قول حسان: أتجهوه ولست له بكفه ۚ فشركا خيركا القداء (قال أحمد) وهذا تفسير مذهب واقتنا مستعذب رددته على سمي فزاد وقتاً بالتريد واستعماده المخاطر كأن يعلل ما فهم حين يفيد ولا يفتني أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تطاها متأخر الفقهاء ومجادلاتهم ومخاوتهم وذلك قولهم أحد الأمرين لازم على الإيهام بهذا المسلك من هذا الودى غير بعيد فتأمله والله الموفق ۚ قوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمتنا ولا نسل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجماع إلى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يغلو عنها مؤمن وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر) قال أحمد فصرعن المفوات بما يعبر به عن العظام وعن العظام بما يعبر به عن المفوات التزاماً للإنصاف وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجماع المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الذي يعطى تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب إلى الحشم بما لا يعطى ذلك والله أعلم

(قوله ولكن التعريض والتورية أفضل) في الصحاح ناضله راماه يقال ناضلت فلانا فضلتله إذ غلبته اه فالأفضل الأشد ربما فلذا هدى يائي (قوله وقل شوكتة) أي كرها

الْحَكِيمُ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَشْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۚ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أُنْجِنِ صَدْرَكُمْ عَنِ الْمُهْدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلَ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ

والإشراك هو (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بحد محصهم وقد نبه على تفاش غلطهم وإن لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين الحقم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أوضيخ الشان كما في قوله تعالى قل هو الله أحد (الإكافة للناس) إلا رسالة عامة لمم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الرجاء المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ لجملها حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للبالغة كناه الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فمأخضا لأن تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على المجرور كما ترى من يرتكب هذا الخطأ ثم لا يتع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوى له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين ۚ قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فإن قلت) فما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول بحق ثوب وبغير سانية وأما نصب اليوم فلي التظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التنظيم (فإن قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ما سألوها عن ذلك وهم منكرون له إلا امتثالا لسر شادأ لجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لحجى السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يهاجمهم فلا يستطيعون تأخرأ عنه ولا تقدما عليه ۚ الذى بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألو أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذى بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جسدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لمسا دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ۚ ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أوالللخاطب (ولوترى) في الآخرة موقفهم وهم يتجادون أطراف المحادثة ويتراجمونها بينهم رأيت العجيب غفد الجواب ۚ والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون ۚ أولى الاسم أعني نحن حرف الإنكار لأن الفرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم بأنهم قالوا نحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعداذ جامك) بعد أن صممت على الدخول إلى الإيمان وصحت نيائكم في اختياره بل أتم منعت أنفسكم حظا وآثرتم الضلال على الهدى وأعلمتم أمر الشهوة دون أمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لا اختياركم لآلقولنا وتقولنا (فإن قلت) إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية ثم وقعت إذ مضافا إليها (قلت) قد اتسع

اسْتَضَعُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِلِ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا
أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا عَنْ أَكْثَرِ آبَائِنَا وَإِلَدِنَا
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّي بِبَسْطِ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ ۝ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا
أَوْلَاكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَضْعَافٌ بِمَا

في الزمان ما لم يتسع في غيره فأخيف اليها الزمان كما أخيف إلى الجبل في قولك جئتكم بعد إجماع زيد وجئتكم ويومئذون كان ذلك أو أن الحجاج أمير وحين خرج زيد لما أنكر المستكبرون بقولهم نحن صدقاتكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأنبأوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الأجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا ذابنا ليلا ونهارا وحلكنم إباننا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فأنس في الظرف باجرائه مجرى المقبول به وإضافة المكر إليه أوجمل ليهم ونهارهم ما كبرن على الإنسداد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتثنية ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكونون الإغواء مكرًا ذابنا لا تفرون عنه (فإن قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكونون الإغواء مكر الليل والنهار (فإن قلت) لم قبل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لأن الذين استضعفوا أمر ولا كلامهم بجىء بالجواب عن جواب الماعطف على طريقة الاستئناف ثم جىء بكلام آخر للمستضعفين فطع على كلامهم الأول (فإن قلت) من صاحب الضمير في (وأسروا) قلت الجنس المشتمل على التوحيين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موثرون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (في آعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم لجاء بالمرجح للتوبة بذهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهرها وهو من الأضداد وهذا تسمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما نبي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة وزغارها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموعودة والمفروضة هتدم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هاتوا عليه ما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمُعَذِّبِينَ) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم فظنوا إلى أحوالهم في الدنيا ۝ وقد أبطل الله تعالى حسابهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على المصالح وضيق على المصالح وربما عكس وربما وسع عليها وضيق عليها فلا يتقاس عليه أمر الثواب الذي منتهى على الاستحقاق ۝ وقد رزق نصيبه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه ۝ وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف ۝ أرادوا ما جماعه أموالكم ولا جماعه أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عفاؤه وغير عفاؤه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وليست

(قوله بما نبي به من قومه) أي ابتلي به (قوله والمفاخرة وزغارها) لله بالدنيا وزغارها

عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْفُرْقَةِ ءَامِنُونَ . وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فَيَايَتَنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ . قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُخَفَّفِينَ . وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْمُولًا إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْتَ أَمِّنُوهُمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ . قَالِ يَوْمَ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ بِضْعُكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقُولْ لِلَّذِينَ

أموالكم تلك الموضوعة للتقريب . وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أى بالشئ الذى يقربكم والزنى والزلفة كالكرى والكربة وعملها النصب أى تقربكم قرينة قوله تعالى أنبئكم من الأرض نباتا (الامن آمن) استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفعها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من عليهم الخير وفتحهم في الدين ورغبتهم للصلاح والطاعة جزاء (الضعف) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لم الضعف جزاء جزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء قرئ في الفرقاء بضم الراء وفتحها وسكوها وفي الفرة (فهر يخلفه) فهو يوضع لامعوض سواء إما عاجلا بالمال أو بالثمن الذى هو كذا لا ينفد وإما أجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جيع مافي يده ثم يبق طول عمره في فقر ولا يأولن وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازيين) وأعلام رب المزة بأن كل مارزق غيره من سلطان يرزق جنده أوسيد يرزق عبده أو رجل يرزق عباده فهو من رزق الله أحراره على أبدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التى بها يتنعم المرزوق بالرزق وهن بعضهم الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى من يشئى فكلم من مشته لا يجدوا واجدا يشئى . هذا الكلام خطاب للملائكة وتبريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أئنى واسمى بإجاره ونحوه قوله تعالى أن أنت قلت للناس اتخذوني وأئى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وهى منزهة برأ ما جوه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والفرض أن يقولوا ورسال ويجيبوا فيكون تبريعهم أشد وتبريعهم أبلغ وخجلهم أعظم وهو أنه الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعوا من أجزا المان اقتص عليه الموالاة بخلاف المعاداة منها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهى مفاعلة من الولي وهو القربى كأن المعاداة من العداء وهى البد والولي يقع على الموالاة والموالى جميعا والمعنى أنت الذى توأله من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فينبوا بإيثاره مولاته ومعاداة الكفار برأهم من الرضا بعبادتهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها . وقرئ ينشروهم وتقول بالتون والياء . الأمر في ذلك اليوم قد حده لا يملك فيه أحد منفعه ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمثيب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى هى دار تكليف والناس فيها محلى بينهم يتضاضون ويتنافسون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو وحده . ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله (وتقول الذين ظلموا) مقطوعا على لا يملك . الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن

(قوله الحمد لله الذى أوجدنى وجعلنى) فى الصحاح وجد مطلوبه وأوجدته الله مطلوبه أى أغفره به وأوجده أى أغناه (قوله إياك أئنى واسمى بإجاره) لعله فاسمى

ظَلُّوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۚ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَنْتَقِلُوا مَآهَدًا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۚ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۚ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قِيَامِهِمْ ثُمَّ تَصَفَّحُوا مَا بِيَاحِيكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ لَا يَذِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ

والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله (اللقن لما جاءهم) وما في الالامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وفي لما من المباحة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجب من أمرهم ببلغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرأته على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق التبر قبل أن يذوقوه (إن هذا الاخر مبین) فتوا القضاء على أنه سحر ثم بزه على أنه بين ظاهر بل عاقل تأتله سماء سحراً ۚ وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيراً بنفهم بالمعقاب إن لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أثيون أهل جاهلية لامة لم وليس لهم عهد يأنزال كتاب ولا يئنه رسول كما قال أم آتيناهم كتابنا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه مثبت ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله ثم تردعهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدمون من الالام والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال حين كذبوا رسلم جهادهم إنكارى بالتدمير والاستعمال ولم ينه عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فسال هؤلاء وقرئ يدرسونها مع التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يقتلون من الدرس والمشار كالرباع وهما العشر والرابع (فإن قلت) مامعنى (فكذبوا رسل) وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفضل الذين من قبلهم التاكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسياً عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أى للكذابين الأولين فليحذروا من مثله (براحدة) بخصلة واحدة وقد فرسها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرغهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذى لا يرداهما لثول على القدمين ولكن الاتصاف فى الامرو النهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم براحدة إن تعلمنوها أصبغت الحق وتخلصن وهى أن تقوموا لوجه الله خالصة متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً (ثم تصفحوا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتصفران ويمرض كل واحد منهما حصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا يفيض لهما هرق عصية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والظر الصحيح على جادة الحق وسنه وكذلك الفرد يفكر فى نفسه ببدل ونصفه من غير أن يكابرهما ويمرض فكره على عقله وذهنه وما استغنى عنه من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم والذى أوجب تفرغهم مثنى وفرادى أن الاجتماع بما يشوش الخواطر ويعمى البصائر

(قوله فكيف كان نكير) وفي النسق أن يعقوب قرأ نكيرى بالياء فى الوصل والوقف

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ قُلْ إِنْ رَبِّي يَشَاءُ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الصُّبُورَ ۖ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۚ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ

ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتصاف ويشو رجحان التعصب ولا يسمع للانصرة المذهب وأرام بقوله (ما يصاحبكم من جنة) أن هذا الأمر العظيم الذي تحت ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادعاء مثله إلا لرجلان إنا نجنون لا يبال بأفضاحه إذا طول بالبرهان فحجز بل لا يدري ما الاقتضاح ومارقة العواقب وإنا عاقل راجح العقل مرشح للنيرة غنار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بدمعته عنده بحجته وبرهانه وإلا فاجبدي على العاقل دعوى شيء لا يبيته له عليه وقد علمت أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قرش عقلا وأرزنهم حلالاً وأقبحهم دعنا وأصلهم رايأ وأصدقهم قولاً وأزهمهم نفساً وأجمعهم لما محمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظلة لأن نظنوا الخير وترجعوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فلتت ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن بأنكم آية فإذا أتى بهاتين أنه نذير مبين (فإن قلت) ما يصاحبكم بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبه من آفة عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تفكروا ففعلوا ما يصاحبكم من جنة وقد يجوز بعضهم أن تكون ما استفهامية (بين يدي عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت في نسيم الساعة (فهل لكم) جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أي شيء سألتكم من أجر فهل لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معيار أحدهما نفي مسألة الأجر أساك يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً فلهذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ولكنه يريد به البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى قل ما سألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلي ربه سبيلاً في قوله قل لا سألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى لأن الأخذ بالسبيل إلى الله نصيبهم وما فيه تفهم وكذلك المودة في القربة لأن القربة قد انتظمت وإياهم (على كل شيء شهيد) حفيظ مهين يعلم أني لأطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء ۚ التذف والرى تزجية السهم ونحوه بدفع واعتقاد ويستاران من حقيقتهم لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن أذفيه في الثابت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرى بالباطل فيدغمه ويرهقه (علام الصبوب) رفع محمول على عمل إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خير مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو على المدح وقرئ الصبوب بالحركات الثلاث فالصبوب كالصبوب والصبوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفى جداً ۚ والحق إنا أن يدئ أو يعيد فإذا هلك لم يقله إيداء ولا إعادة فحملوا قولهم لا يدئ ولا يعيد مثلاً في الهلاك ومنه قول هيد :

أفتر من أهله عبيد ۚ قالوا لم لا يدئ ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى (جاء الحق وزهق الباطل) وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنبا فحمل يطعنها بعود نيمة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يدئ الباطل وما يعيد ۚ والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس لعنه الله أي ما ينشئ خلقاً ولا يعيده ۚ المثنى والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يدئ لأهله خيراً ولا يعيده أي لا ينضمهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيده لجملة للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أولاته هالك كما قيل للشيطان من شأط إذا هلك قرئ ضلكت أضل ففتح العين مع كسرهما وضلكت أضل بكسرهما مع

(قوله بعثت في نسيم الساعة) في الصباح نسيم الريح أول ما حين تقبل بلين قبل أن تشتت ومنه الحديث بعثت في نسيم الساعة أي حين ابتدأت وأقلت وأوانها والنسيم أيضا جمع نسمة وهي النفس (قوله التذف والرى تزجية السهم) في الصباح زجيت الشيء تزجية إذا دفنته برقى (قوله لجعل يطعنه بعود نيمة) له مع كبرياء النفس

أَتَدْبِتُ فِيمَا يُرْسِي إِلَى رَبِّي أَنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۖ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا قَلَّا قُوَّةً وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْأَنفِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُضِّلَ لِإِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۚ

فتحها وهما لغتان نحو ظلمات أظلم وظلمات أظلم وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فإن قلت) أين التقابل بين قوله فأما أضل على نفسى وقوله فبايوسى إلى ربى وإنما كان يستقيم أن يقال فأما أضل على نفسى وإن أهدت فأما أهدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها فقرأتدى فلنفسه ومن ضل فلما يضل عليها أوقال فأما أضل بنفسى (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضارها فهو بها وبسببها لأنها الآتية بالسوء ومالها مما ينفعها فبدأ به بها توفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحت معجزة جلاله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إنه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهد وقوله لا يخفى عليه منها شيء (ولو ترى) جوابه يحرف يعنى رأيت أمرا عظيما وحالها مالة ولولو إذا الفعل الذى هو فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للنسب والمراد بها الاستقبال لأن الله قاطعه في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجه التحقير وقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعز ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يفتنون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلافتون) فلافتون الله ولا يفتنونه وقرئ فلافتون ۚ والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا يتنوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من محراء بدر إلى القلب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم (فإن قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان المطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلافتون لم أو على لا فت على معنى إذا فزعوا فلم يفتوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ وهو معطوف على عمل لا فت ومعناه فلافت هناك وهناك أخذ (أما به) بمحمد صلى الله عليه وسلم لمور ذكره في قوله ما يصاحبكم من جنة ۚ والتناوش والتناول أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لئىه قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه التقوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم مالا يكون وهوان ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين الإيمان في الدنيا مثلث حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناوش همزت الواو المضمومة كما همزت في أجروء وأدور وعن أبي عمرو التناوش بالهمز تناول من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت

تمنى تيشا أن يكون أطاعنى ۚ أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون (بالتب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهر سحر كذاب وهذا تكلم بالتب والأمر الخفى لأنهم لم يشاهدوا منه محرا ولا شرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا التيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء محارب به الشر والسحر وأبعد شيء من عاداته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالتب على البناء للمفعول أى يأتهم به شياطينهم ويلقنهم إياه وإن شئت فقله بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوته حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والنيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وامنن بمعيدين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة

(قوله أن يتناول الشيء من غلوة) في الصحاح غلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه والغلوة الغاية مقدار رمية وفيه يقال بينهما قيس رخ وقاس رخ أى قدر رخ (قوله ومنه البيت تمنى تيشا) تمام البيت : وقد حدثت بعد الأمور

سورة فاطر مكة وآياتها ٤٠ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَىٰ
وَتِلْكَ وَرَبِّعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قاتنين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نعم الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم أرحمنا نعمل صالحا (بأشياهم) بأشباهم من كفره الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) لإيمان أربابه إذا أوقعه في الرية والتهمة أو من أرباب الرجل إذا صار ذارية ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون مرييا من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصالحا

(سورة الملائكة مكة وهي خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وهن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلى أعرايين في بئر فقال أحدهما أنا فطرنا أى ابتدأنا وقضى الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذا وكان أولاء اسم جمع لذا ونظيرها في الملائكة الخاض والخفة (متن) وثلاث ورابع) صفات لأجنحة وإنما لم تصرف لتكرار العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وهن تكرر إلى غير تكرر وأما الوصفية فلا يفتقر الحال فيما بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع ورجال ثلاثة فلا يرجع عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقنا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقنا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بذلة الدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فإن قلت) قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شئ نصفه فإما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لتغير الطيران فقد مر في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة لجناحان يلقون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مريحان على وجوههم حياة من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المراج وله ستائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يراهى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأناه جبريل في صورته ففتش على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرائيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليضامل الأحابيين لعظمة الله حتى يعود مثل

(قوله والمعنى أن الملائكة خلقا) لعله متنوعة خلقا الخ

لَهَا وَمَا يَمْسُكُ فَلَا مَرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تَوَفُّكُونَ . وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ

الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يريد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاح في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورة ونعمام في الأجزاء وقوة البطش وحساسة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولياقة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف . استمر الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فائخ له يعنى أى شيء يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو حبة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعماته التي لا يحاط بعددها . وتسكيه الرحمة للإشاعة والإيهام كأنه قال من آية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إسقاطها وحجبها وأى شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقة . (فإن قلت) لم أنت الضمير أولا لم ذكر آخرأ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لثتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخير فيها فأنشأ على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة لحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير . وقرئ فلا مرسل لها (فإن قلت) لابد للثاني من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقاً في كل ما يسكنه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فإن قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالثوبة وعزاه إلى ابن عباس رضى الله عنهما (قلت) إن أراد بالثوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذى أراد ابن عباس رضى الله عنهما إن قاله فقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتوب فردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد إسماكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأى حديث بعد الله أى من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الإرسال والإسك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإسماكه . ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به القلب وحفظها من الكفران والنمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة مولها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه أذكر أياذى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والمخاطب عام للجميع لأن جميعهم مفعولون بنعمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد بأهل مكة أذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمة ومنكم من جميع العالم والناس يتخطون من حولكم ومنه نعمة الله العاقبة . وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجوز والرفع على الوصف لفظاً ومعلاً والنصب على الاستثناء . (فإن قلت) ما عمل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له عمل إذا أوقته صفة لخالق وأن لا يكون له عمل إذا رقت عمل من خالق يا خمار يرزقكم وأوقته يرزقكم تفسير الله أو جعلته كلاماً مبتدأً بعد قوله هل من خالق

(القول في سورة الملائكة) . (يسمى الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه إن قلت ما عمل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له عمل إذا أوقته صفة لخالق وأن لا يكون له عمل إذا جعلته تفسيرا وجعلت

(قوله مثل الوصف وهو المصفور) في الصحاح الوصف طائر أصفر من المصفور (قوله وحساسة) أى إحكام أفاده الصحاح (قوله وذلاقة) أى حذقة وطلاقة أفاده الصحاح (قوله ولياقة في التكلم) أى حذق أفاده الصحاح (قوله يشاء التوبة أبداً) هذا وما بعده على مذهب المعتزلة من أنه تعالى يحب عليه الصلاح للعبودية عند أهل السنة لا يجب عليه شيء فالكلام على ظاهره وردّه مردود (قوله وحفظها من الكفران والنمط) أى الاحتقار أفاده الصحاح

رُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّاهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ . يَسْأَلُهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ . الَّذِينَ

غيره (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غيره الله تعالى (قلت) نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ هو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تنقيد فيها بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر من الأرض النبات (لا إله إلا هو) جملة مفصلة لأجل ما مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهب قول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الإثبات (فأني توفكرون) فزأي وجه نصر فون عن التوحيد إلى الشرك . نعم على قريش سوء تفهيم آيات الله وتكذيبهم بها ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الإنبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوهد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقه وقرئ ترجع بعضهم التاء ونضها (فإن قلت) ما وجه مجازاة الشرط من حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وإن يكذبوك فأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع قد كذبت رسل من قبلك موضع فأس استثناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسى (فإن قلت) ما معنى التنكير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولوا آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسل هوأحث على المصاراة . وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرَّنكم) فلا تغدعنكم (الدنيا) ولا يذهبنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولون لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كالزوم والنهوك أوجع غار كقاعوقود أخبرنا الله عز وجل

من خالق مرفوع المحل يفعل بدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غيره أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ قال أحمد والوجه الأخير أوجهها . عاد كلامه (قال) فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غيره الله تعالى قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تنقيد فيها بالرزق من السموات والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرة إذا قرئت هذه الآية أسماهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لأن كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فهذا رأيت العنصري وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان متقدم في إثبات خالق غيره ووجهها هو الحق والظاهر وأخره في الذكر تأسيلا له والذي يحقق الوجه الثالث وأنه هو المردان الآية خوطب بها قوم على أنهم مشركون إذا سئلوا عن رازقهم من السموات والأرض قالوا الله فقررروا بذلك وقرعوا به إقامة للحجة عليهم بإقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه قيد لكان مفهومه إثبات خالق غير الله لكنه لا يرزق وهو لا الكفرة قد تبرأ من ذلك فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا جميع الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأمان حيث النظم اللفظي فلأن الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا إله إلا هو سيقنا سياقاً واحداً والثانية مفصلة أضافاً مما تقدم فكذلك وزيتها . قوله تعالى يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا الآية (قال معناه) لا يقولون لكم الشيطان اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة (قال أحمد) هو يمرض بأهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبار للوحود إن لم يكن توبة وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى لأن الله تعالى حيث توعد على الكبار قرن الوعد بالمشيئة مثل قوله لهم إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم إذا مصدقون بوعد الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ هـ أَفَنَزَّلْنَاهُ سِوَهُ عَمَلِهِ قُرْآنًا حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ هـ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ مَحَابِبًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدْمِيَّتٍ قَارِحِينَ بِهِنَّ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا

أن الشيطان لنا عدو مبین واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعدارة جنسا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك تولاة ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلا كنا فرغنا عز وجل بأنه كاعلمت عدوكم الذي لا عدو أرق في العداوة من أنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (تأخضو عدوا) في عقائدكم وأفالسكم ولا يوجدنكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سرهم وجهركم هـ ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤتمه في دعوة شيعة ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشفوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الإطماع الفارغة والأمان الكاذبة في الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما هـ لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يكن له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقال (فإن الله يضلل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والإضلال واحده هو أن يكون العاصي على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه ففند ذلك بهم في الضلال ويطاق أمر النبي ويعتق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس

اسقنى حتى ترانى هـ حسنا عند القبيح

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقى بالآل ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى في خذلاهم وتخليتهم وذكر الزواج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليهم حسرة لخلف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله لخلف لدلالة فإن الله يضلل من يشاء ويهدي من يشاء هـ عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه جأ ومات عليه حزنا أو هو يان للتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صله ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لمن مع السرى هـ حتى ذهبن كلا كلا وصدورا

يريد رجمن كلا كلا وصدورا أى لم يبق إلا كلا كلها وصدورها ومنه قوله

فصل أثرم تساقط نفسى هـ حسرات وذكركم فى مقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (إن الله عليم بما يصنعون) ويهدم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ أرسل الريح (فإن قلت) لجماء فتير على المضاربة دون ماقبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الريح السحابيوتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أوتهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت القول تهوى هـ بسبب كالصفيحة مصححان

(قوله وقشر اللحاء) في الصحاح اللحاء بمود قشر الشجر (قوله لمن مع السرى هـ حتى ذهبن كلا كلا) في الصحاح سريت سرى إذا سرت ليلا وفيه الكلكل والكلكال الصدر اه قالعطف تفسير (قوله قد لقيت القول تهوى هـ بسبب) في الصحاح السبب الفلاة والمصححان المكان المستوى والجران مقدم المتى

كَذَلِكَ نُفَصِّرُ لَهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَفَ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُهُ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ

فَأَصْرَحَهَا بِلَادِ دُشْ غُرَتْ • صَرِيحاً لِلْيَدِينِ وَالْجِرَانِ

لأنه قصد أن يعزوه لقومه الحالة التي تشجع فيها برحه على حرب الغول كأنه يصيرم إياها ويطلبهم على كنهها مشاهدة
للتعجب من جرأته على كل هول ونباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر
بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قبل فسقنا وأحيانا مدحولا بهما عن لفظ القية إلى ما هو أدخل في
الاختصاص وأدل عليه والكاف في (كذلك) في محلّ الرفع أي مثل إحياء الموات فنشور الأموات وروى أنه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتي وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أمهلك محلام مررت
بهيمز خضرأ قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتي وتلك آية في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بهما يرسله من تحت العرش
كمشي الرجال نبت منه أجساد الخلق • كان الكافرون يمززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله
ليكونوا لهم عزأ والذين آمنوا بالسّتم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يمززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي يتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فيبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال الله العزة
ولرسوله للذين آمنوا والحق فيطلبها عنده الله فوضع قوله (فالعزة جميعا) موضعها استثناء به عن دلالاته عليه لأن الشيء لا يطلب
إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد الأصحة فهي عند الأبرار تريد فيطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل
عليه مقامه ومعنى فف العزة جميعاً أن العزة كلها مختصة بالله: عزة الدنيا وعزة الآخرة • ثم عرف أن ما تطلب به العزة
هو الإيمان والعمل الصالح بقوله (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا إله إلا الله • عن
ابن عباس رضى الله عنهما يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة
كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لني هالين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفضها وأصعدها وقيل
الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم
الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها البعد عرج بها الملك إلى السماء لحيا بها وجه
الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية ولا يقبل
قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلادهم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ
إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصدق والمصدق هو الرجل
أى يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه ينصب بالعمل والرافع
الكلم أوافقه عز وجل • (فإن قلت) مكر فعل غير متعديلا يقال مكر فلان عمله فمكر نصب (السيئات) (قلت) هذه صفة
للصديق أو لما في حكمه كقوله تعالى ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف
المكر السيئات وهى من مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يكرونها
رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إني أوتاه أو أخرجه كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يكر بك الذين كفروا ليثبتوك
أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعنى ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة
يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأتيتهم في طيب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً

(قوله ثم مررت بهيمز خضرأ) في الخازن هيمز

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَاغٍ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازٍخَ لِيَتَبَنَّوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُوبِخُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوبِخُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَيَحْشُرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا ينجي المكر السيئ إلا بأمره (أزواجاً) أصنافاً أو ذكراً وإناثاً كقوله تعالى أوردتهم ذكرنا وإناثاً وعن قتادة رضي الله عنه زوج بعضهم بعضاً (بعلمه) في موضع الحال أي الإلمومة له (فإن قلت) مامعق قوله وما يعمر من معمر (قلت) معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرأ بما هو صائر إليه (فإن قلت) الإنسان إمام معمر أي طويل العمر أو مقصود العمر أي قصيره فلما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فحال فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتساع فيه ثقة في تأويله بأههام السامعين وانكالا على تسديدهم معناه بمقولهم وأنه لا يلبس عليهم إحالة العول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بجرى ولا ينجي إلا بجرى (قلت) فيه ثواني وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب وفيه صورته أن يكتب في اللوح إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين قد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون قد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله إن الصدقة والصلة تمران الديار وتزيديان في الأعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله فقبل لكعب ليس قد قال أنه إذا جاء أجلهم فلا يسألون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الألسنة أطال الله بقاءك وقص في مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوماً حتى يأتي على آخره وعن قتادة رضي الله عنه الممر من بلغ ستين سنة والمقصود من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضي الله عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الإنسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين المذهب والمالغ مثلان للؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وهطائه (ومن كل) أي ومن كل واحد منهما (تأكلون لحماً طرياً) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) شواق للقاء بجريها يقال غمرت السفينة الماء وقال السحاب بنات غمر لأنهن تغمر الهواء والسفن التي اشتقت منه السفينة قريب من الغمر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما ينحمر (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيها قبلها ولو لم يجر لم يشكّل دلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمنه الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلّك لأن التحليل كأنما قيل لتبنتوا ولتشكروا والقرات الذي يكرس العطش والسائق المرئ السهل الانحدار لمعنوته وقرئ سيغ بوزن سيد وسبغ بالتخفيف وملح على فعله والأجاج الذي يرق بلوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك المذهب في منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلوا من النفع فهو في طريقة قوله تعالى «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة» ثم قال «وإن من الحجارة لما يتفجر منه

الْمَلِكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۚ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَتَوَسَّعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَشْرُكُمْ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ۚ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهِهَا لِاتِّخَالُفٍ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَعْلَمُوا

الأنهار وإن منها لما يشقى فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدا (والله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز في حكم الإعراب إضمار اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطاف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة التواء وهي القشرة الرقيقة الملتصقة عليها إن ندعوا الأوثان (لا يسمعون دعاءكم) لأنهم جهاد (ولوسموا) على سبيل الفرض والتفصيل (لما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرؤون منها وقيل ما تفهمكم (يكفرون بشركم ولا ينبتك مثل خير) ولا يتبرك بالامر خبر هو مثل خير عالم به ويريد أن الخير بالامر وحده هو الذي يحبرك بالحقيقة دون سائر الخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتك به من حال الأوثان هو الحق لا في خير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والياء (فإن قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لفظة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله وخلق الإنسان ضعيفا وقال سبحانه وتعالى الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء (فإن قلت) قد قول الفقراء بالني في قاعدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غنى ناقضا لبقائه إلا إذا كان الغنى جوادا متعا فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع ببقائه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده الحميد على السنة مؤمنهم (بميزر) يتمتع وهذا غضب عليهم لا تخادهم له أُنَادَا وكفرهم بآياته ومصاصهم كما قال وإن تولوا يستبدل قرما غيركم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يخلق بعدكم من بعده لا يشرك به شيا ۚ الوزر والورأخوان ووزر الشيء إذا حمله ۚ والوازره صفة للفلس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جارية الدنيا الولي بالولي والجار بالجار (فإن قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازره (قلت) لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى من واحدة إلا حاملا لوزرها لا وزر غيرها (فإن قلت) كيف توفيق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية في الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا وتحمل خطاياكم بقوله تعالى ومأم بما ملين من خطاياهم من شيء. (فإن قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازره وزر أخرى) وبين معنى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) (قلت) الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه تعالى لا يؤخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا عياش يومئذ تنفذ حتى أن نفسا قد أثقلت الأوزار وبهظتها لو دعت إلى أن يخفف بعض وزرهم لم تجبهم نفس وإن كان المدعو بعض قرابتهم من أب أو ولد أو أخ (فإن قلت) لا لام أسند كان في (ولو كان ذا قربي) (قلت) إلى المدعو المهجور من قوله وإن تدع مثقلة (فإن قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت)

(قوله ما تفهمكم يكفرون بشركم) كأن تفسيره قد سقط وفي النسخ يكفرون بشركم بإشراككم لهم وعبادتهم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبتك الخ

الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

ليعمّ ويشمل كل مدعو (فإن قلت) كيف استقام إخبار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قرين للثقة (قلت) هو من العموم الكائن على طريق البذل (فإن قلت) ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذوقربي هل كان الثبوت كقولته تعالى وإن كان ذوقصرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن الثقة إن دعت أحداً إلى حلها لا يعمل منه شيء وإن كان مدعوها ذا قرين وهو معنى صحيح مثم ولو قلت ولو وجد ذوقربي نفسك وخرج من أنساقه والثامه على أن ههنا ما ساق أن يستتر له خير في الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله وهم الذين أقاموا الصلوات وتركوا مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً يعني إنما تندر على إنباز مؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون تمتزجهم وأهل عنادهم (ومن تزكى) ومن تظهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن أركى فإيما يركى وهو اعتراض مؤكّد لخشيته وإقامتهم الصلاة لأحدهما من جملة التزكى (وإلى الله المصير) وعد للتركين بالثواب (فإن قلت) كيف أقصّل قوله إنما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أنبى الإنذار يوم القيامة وذكر أمواليهم قال إنما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسمهم ذلك لم ينفع فتزل إنما تنذر وأخبره الله تعالى بعله فيهم (الأعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحر مثلاً لها أو الصنم واقعه وجلّ والظلمات والنور والظلّ والحُرور مثلاً للحق والباطل وما يؤذيان إليه من الثواب والعقاب والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصرّوا على الكفر والحُرور السموم إلا أن السموم يكون بالنهار والحُرور بالليل والتهار وقيل بالليل خاصة (فإن قلت) لا المقرّنة بواو العطف ما هي (قلت) إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لا أكيد معنى النفي (فإن قلت) هل من فرق بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفعاً إلى شفع وبعضها وترأ إلى وتر (إن الله يسمع من يشاء) يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام عن لا يدخل فيه فهدي الذي قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه وأما أنت تخفى عليك أمرهم فذلك تحرص وتهالك على إسلام قوم من المخفولين ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك مالا سبيل إليه ثم قال (إن أنت إلا نذير) أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المندّر من يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصيرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه التسر والإلجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الصميرين يعني حقاً أو محققين أو صفة للبصير أي إرسالاً مصحوباً بالحق أو صلة للبصير ونذير على بصير بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصاة وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر لإجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فإن قلت) كم من أمة في العترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يغل فيها نذير (قلت) إذا كانت آثار الذنابة باقية لم تغل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار دنارة عيسى بمس الله محمداً صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة

(قوله وخرج من أنساقه والثامه) أي انتظامه

وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَعْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودَ ۚ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

مشفوعة بالبشارة لاعماله دلّ ذكرها على ذكرها لاسيما وقد اشتملت الآية على ذكرها (البيّنات) بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات (وبالزّبر) وبالصف (وبالكتاب المنير) نحو النور اوق الإنجيل والزبور . لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المحجّج بها إليهم إسناداً مطلقاً وإن كان بعضها في جميعهم وهي البيّنات وبعضها في بعضهم وهي الزبور والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (الولها) أجناسها من الزمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر وأمثانها من الحمره والصفرة والخضرة ونحوها والجديد: الخطط والطرائق قال ليد . أو منه بد جديد على الواحه . ويقال جدت الحمار للخطه السرداه على ظهره . وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (وغرابيب) معطوف على بعض أو على جديد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جديد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة رضي الله عنه هي الجبال الطوال السود (فإن قلت) التفریب تأكيد للاسود يقال اسود غريب واسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر قافع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضم المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أواخر كقول النافعة والمؤمن المانذات الطيور لما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإيجاز جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى ومن الجبال جديد بمعنى ومن الجبال ذو جديد ويضمر وحمرو سود حتى يؤد إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلف ألوانها (ومن الناس والدواب) والأنعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جديد بالضم جمع جديدة وهي الجذة يقال جذيدة وجديد وجداند كسفينة وسفن وسفائن وقدر سربها قول أبي ذؤيب يصف حمار وحش . جون السراة له جذائد أربع . وروى عنه جديد بفتحين وهو الطريق الواضح المسفر وضمه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب غنفا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لأن كل واحد منهما مفر من النقاء الساكنين لحرك ذلك أو لمحو حذف هذا آخر ما هو قوله (كذلك) أي اختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علوه بصفاته وعده وتوحده وما يجوز عليه وما لا يجوز فظنوه وقدروه حتى قدره وخشوه حتى خشيتهم ومن ازداد به علما ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم كله خشية وعن مسروق كنى بالمرء علماً أن يخشى وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفتى أباه العالم فقال العالم من خشية الله وقيل زلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فإن قلت) هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو آخر (قلت) لا بد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخبرت العلماء كان المعنى إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله تعالى «ولا يخشون أحداً إلا الله» وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آياته وأعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من النطر المختلفة لأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن هرفق حتى

(قوله ما هو على لون واحد غرابيب) لله غريب (قوله أصفر قافع وأبيض يقق) فتح القاف الأول وحكى كسر ما أفاده الصحاح

وَأَنْقَرُوا بِمَا رَزَقْتَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً أَنْ يَتُوبَ إِلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝

معرفة وعله كنه عله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أقاتكم لله وأعلمكم به (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة (قلت) الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يعلمهم ويعظمهم كما يعلم المهيبة الخشية من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة المعصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والوفوعهم والمغاب المنيب حقه أن يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهي شأنهم ودينتهم وعن مطرف رحمه الله هي آية التزاه وعن الكلبي رحمه الله يأخذون بمخافه وقيل يملكون مخافه ويعملون به وعن السدي رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وعن عطاءهم المؤمنون (يرجون) خبر إن والتجارة طلب الثواب بالطاعة و (ليوفهم) متعلق بلن يورأى تجارة يفتي عنها الكساد وتنفع عند الله ليرفهم بنفاهضه (أجورهم) وهي ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من الفضل عن المستحق وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأفقوا راجين ليوفهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق فيسئل الله لهذا القرض وخبر إن قوله (إنه غفور شكور) على معنى غفور لم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة (الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبيين (مصدقاً) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لمابين يديه) لما تقدمه من الكتب (خبر بصير) يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فراك أهلاً لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو هيار على سائر الكتب ۝ (فإن قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فهو جهان أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكنا بتورثه أو قال أورثناه وهو يريد نوره لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس واخصهم بكرامة الاتيائه إلى أفضل رسل الله وحل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله ۝ ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمراته ومقتصد وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وسابق من السابقين والوجه الثاني أنه قدم إرساله في كل أمته رسولا وأنهم كذبوا برسولهم وقضاؤهم بالبيات والذير والكتاب المثير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فاتى على التالين لكتبه الماعلين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم وأعرض بقوله والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الله الخبيفة (فإن قلت) فكيف جعلت (جنت عدن) بدلا من الفضل الكبير الذي هو سبق بالخيرات المشار إليه بذلك (قلت) لما كان السبب في نيل الثواب نزل

۝ قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله (قال) يعني بالمصطفين أمته محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمهم الآية إلى ظالم لنفسه وهو المرجأ لأمر الله وإلى مقتصد وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وإلى سابق ثم قال والعشري فإن قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ

منزلة لمسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المتقصد وليلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يتقرا بمبارواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقصدنا نأج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك محبة التوبة لقوله تعالى دعص الله أن توب عليهم، وقوله «إنا يمدهم وإما يتوب عليهم» ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعمل نفسه بالخدع ۝ وقرئ سابق ومعنى يأذن الله بتيسيره وتوفيقه (فإن قلت) لم يقدم الظالم ثم المتقصد ثم السابق (قلت) للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المتقصدين قبل بالإضافة إليهم والسابقين أقل من القليل ۝ وقرئ جنات عدن على الأفراد كأنها جنات خاصة بالسابقين ووجبات عدن بالنصب على إجماع فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للفعل ۝ ويحلون من حليت المرأة فهي حال (ولو لولا) معطوف على محل من أساور ومن داخله للتعريض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الألباس كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولو لولا بتخفيف الهزلة الأولى ۝ وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن آفة علينا وقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الأعراس والآفات وعنه حزن الموت وعن الضعفاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كرام الله ومنه أنه يعلم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله إلا الله لا وحشة في قبورهم ولا في عشرهم ولا في مسيرهم وكأن بأهل لاله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفسون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ۝ وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات ۝ المقامة بمعنى الإقامة يقال أقت إقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالترجع ۝ وقرئ لغوب لغوب بالغتبع وهو اسم ما يلغب منه أي لا تتكلف عملاً يلغينا أو مصدر كالقبول والولوج أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فإن قلت)

في تمة الآية في قوله ومنهم سابق بالخيرات يأذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها . قلت لأن الإشارة بالفضل إلى السبق بالخيرات هو السبب في الجنات ونيل الثواب فأقام السبب مقام المسبب وفي اختصاص السابقين بذكر الأجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المتقصد وليلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح ولا يتقرا بمبارواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إننا قال سابقنا سابق ومقصدنا نأج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك محبة التوبة فلا يعمل نفسه بالخدع) قال أحد ردد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم إلى الظالم والمتقصد السابقين ليلازم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين وإنه منهم وأي تسمية لهم وأعظم من اصطفاة للتوحيد المقادير السالمة من البدع فبال المصنف يطالب في التسوية بين الموحدين والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع إلى المصطفين عموماً والجنات جزأهم على توحيدهم جميعاً وإعراها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولو لولا وباسم فيها حرر إلى آخر الآية خبر بعد خبر وخير على خير والله المستعان

(قوله فإن شرط ذلك محبة التوبة) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيجوزون الفجران بمجرد الفضل (قوله أو صفة المصدر كأنه) لعله كأنه قال

مَنْ عَذَابَهَا كَذَلِكَ يُجْزَى كُلُّ كُفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ
 نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ لِمَنْ نَصِيرُ . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ . هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا قِتْلًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا . قُلْ أَرَأَيْتُمْ شَرَّ كَآءٍ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

ما الفرق بين النصب واللقب (قلت) النصب الثبوت والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاو له وأما اللقب فما
 يلحقه من القصور بسبب النصب فالنصب قس المشقة والكلفة واللقب نتيجة وما يحدث منه من السكال والفترة
 (فيقولوا) جواب النبي ونصبه باختيار أن قرئ فيقولون مطلقاً على يقين وإدخاله في حكم النبي أي لا يقتضي عليهم
 الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجواب (يجزى) قرئ يجزى ويجزى
 (كل كفور) بالثون (يصطرخون) يصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصباح بجهد وشدة قاله كهرخه جلي
 أسلها قيلها واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته (فان قلت) هلا كتبت بصالحا كما كتبت به في قوله تعالى
 فارجعنا نعمل صالحا وماقائدة زيادة (غير الذي كنا نعمل) هل أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي
 عملوه (قلت) قائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر
 وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالح كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا
 أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمله صالحا ففعله (أولم نمركم) توخيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر
 فيه من أذكر على الإذغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوخيخ في المطاول
 أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد بين العشرين إلى الستين
 وقبل ثمانين عشر وسبع عشر (النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب وقرئ وجاءكم النذر (فان قلت)
 علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد علمناكم
 وجاءكم النذير (إنه علم بذات الصدور) كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون قد علم كل غيب في العالم
 وذات الصدور : مضمرا لها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو يطن خارجة جارية وقوله لئنني عن
 ذا إنائك أجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحان البطن والإناء
 ألا ترى إلى قولهم معا حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معما وذو موضوع لمعنى الصحة . يقال للمستخلف
 خليفة وخليف خليفه يجمع خلائف والخليف خلفه والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف
 فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم مناضها لتضكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغط مثل هذه النعمة السنية
 فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه عزى وصغار وخسار الآخرة الذي ما بقى بعده خسار والمقت
 أشد البغض ومنه قيل لمن يكع امرأة أبيه مقتى لكونه مقتونا في كل قلب وهو خطاب الناس وقيل خطاب لمن بهت
 إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلقت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر
 منكم فليجزأ كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أروني) بدل من أرايتم لأن المعنى أرايتم أخبروني
 كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وما استعقوا به الإلهيو الشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلفه دون الله

(قوله ويجزى كل كفور بالثون) ونصب كل في هذه القراءة قورفه فيها قبلها (قوله ولأنهم كانوا يحسبون) لعله أولانهم
 كانوا (قوله وغط هذه الثمة) أي واحترق

مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ خَلَقْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مَن بَلَّ إِن يَدْعُ الظُّلُمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ
مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ
إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا

ألم مع الله شرك في خلق السموات أم معهم كتاب من هداية ينطق بأنهم شركاء فهم على حق فمرهم من ذلك الكتاب أو يكون
الضمير في آياتهم للشركين كقوله تعالى ألم أنزلنا عليهم سلطاناً ما آمنوا بها بل آمنوا بها من قبله إن يدع بعضهم هم الزمراء (بعضاً) وهم
الأتباع (الآغورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاء ناعتد الله وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو ينههما من أن تزولا لأن
الإمساك منع (إنه كان حلماً غفوراً) غير مما جل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جذيرتين بأن تهدأدا لعظم كفة الشرك
كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وقرئ ولوزالتا وإن أمسكهما جواب القسم في لئن زالتا سد مسد
الجزأين ومن الأولى مزيدة لتأكيد الثاني والثانية للابتداء من بعده من بعد إمساكها وهن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال
لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كتباً قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب
كتب أمارك يهوديته بعدتم فقرأ هذه الآية ه بلغ قريشاً قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا برسلهم
فقال لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أنا من رسول لتكون أهدى من إحدى الأمم فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه وفي (إحدى الأمم) وجهان أحدهما من بعض الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود
والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة (مازادهم) إسناد
مجازي لأنه هو السبب أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعاداً عنه كقوله تعالى فزادهم رجساً إلى رجسهم (استكباراً)
بدل من نفورا أو مفول له على معنى مازادهم إلا أن نفروا استكباراً وهلوا (في الأرض) أو حال بمعنى مستكبرين وما كرين
برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ه ويجوز أن يكون (ومكر السبي) معطوفاً على نفورا (فإن قلت) فواجه قوله ومكر
السبي (قلت) أصله وأن مكروا السبي أي المكر السبي ثم ومكر السبي ثم مكر السبي والدليل على قوله تعالى (ولا يحيق
المكر السبي إلا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السبي أي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن
البي صلى الله عليه وسلم لا تسكر وأولاً لتبين ما كرا فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السبي إلا بأهله ولا تبغوا ولا تغبوا باغياً
يقول الله تعالى إنما ينهيك على أنفسكم وعن كتب أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما قرأت في التوراة من حرم غواة وقع
فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ الآية وفي أمثال العرب من حفر لا خيجهما وقع في منكبها وقرأ حمزة ومكر السبي
يأسكان الحمزة وذلك لاستغفاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكوناً أو وقفوفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق
وقرأ ابن مسعود ومكراً سيثاً (سنت الأولين) إزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل استقبالم
لذلك انتظاراً لهم منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك
مفول له لا علة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم فدخلهم إلى الشام والرائع والين من آثار

(قوله من حفر منواة وقع فيها) في الصحاح وقع الناس في أغربة أي في دامية والمغزبات ففتح الواو مشددة جمع المغواة
وهي حفرة كالزبية يقال من حفر مغواة وقع فيها والزيب حفرة تخضر للأسد اه أي لصيد الأسد

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُجْزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً • وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَآيَةِ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا •

(سورة يس مكية : ٤٥ الآية فدينه وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • يَس • وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ • إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ • لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ • لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ •

الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليجزه) ويسبقه ويفوته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريدني آدم وقيل ما تركني آدم وغيرهم من سائر العوالم يشقون ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يذهب في حجره بذنوب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس أن الضب يموت هزلا في حجره بذنوب ابن آدم وقيل بحبس المطر فيهلك كل شيء (إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة (كان يعباده بصيرا) ويهدى بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

(سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) • قرئ يس بالفتح كأن وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الأصل كجر وبالرفع على هذه يس أو بالضم كجث وغمث الألف وأمليت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه بالإنسان في لغة طي والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يأنيسين فكثرت الداء به على أنفسهم حتى أقصروا على شرطه كما قالوا في القسم الله آمين الله (الحكيم) ذى الحكمة أولآنه دليل ناطق بالحكمة كالخى أولآنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فإن قلت) أى حاجة إليه خبر كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونوا إلا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بذلك ما ذهب إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره من ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة لجمع بين الوصفين في نظام واحد كما قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضاً فإن التكسير فيه دل على أنه أوصل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه قرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أغنى والجاء على البدل من القرآن (قوما ما أُنذر آبؤهم) قوما غير منذر آبؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أنأهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من

(القول في سورة يس) • (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه إن قلت ما سر قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك وأجاب بأن الغرض وصفه ووصف ما جاء به جاء بالوصفين في نظام واحد فكأنه قال إنك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضاً في تكسير الصراط أنه مخصوص من بين الصراط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم في مواضع أن التكسير قد يفيد تنجيماً وتعليلاً وهذا منه • قوله تعالى لتنذر قوما ما أُنذر آبؤهم (قال فيه أنه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أنأهم من نذير قال وقد فسر ما أُنذر آبؤهم على إثبات

(قوله قرئ يس بالفتح) يفيد أن السكون قراءة الجمهور والحركات قرأت لبعضهم فالفتح بناء أو نصب والكسر بناء فقط قدبر (قوله وأخيت الألف وأمليت) يعني قرأ الجمهور بالضم وقرأ بعضهم بالإمالة كما في النسق

إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَبَهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۚ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

نذير وقد فسر ما نذر آياؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل مامصورية لتنذر قوماً أنذار آياؤهم أو موصولة وموصولة على المقول الثاني لتنذر قوماً ما نذر آياؤهم من العذاب كقوله تعالى إِنَّا نُنْذِرُكَ مَا نَذَارُكَ قَرِيبًا (فإن قلت) أى فرق بين تلقى قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الأول متعلق بالتلقى أى لم يندروا فهم غافلون على أن عدم نذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله (إنك لمن المرسلين) لتنذر كآقوله أرسلناك إلى فلان لتنذرهم فإنه غافل أو فهو غافل (فإن قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لما مضى في الآية الآخر (قلت) لا متناضلة لأن الآية في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آياتهم وآياؤهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة فيهم (فإن قلت) ففي أحد التفسيرين أن آياهم لم يندروا وهو الظاهر فما تصعب به (قلت) أريد آياؤهم الآدون دون الأبعاد (القول) قوله تعالى لا ملأنا جهم من الجنة والناس أجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم وجوب لأنهم لم يعلم أنهم يموتون على الكفر ۚ ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى إرهابهم بأن جعلهم كالمخلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يبطفون أعينهم نحوه ولا يبطفون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يصرون ماقدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعمون عن النظر في آيات الله ۚ (فإن قلت) مامعنى قوله (فهي إلى الأذقان) (قلت) معناه فالأغلال وأصلة إلى الأذقان ملروزة إليها وذلك أن

الإذراع على أن ماصدرة أو موصولة قالو الفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الأول متعلقة بالتلقى معنى جواباً له والمعنى أن نفي إنذارهم هو السبب في غفلتهم وعلى الثاني بقوله (إنك لمن المرسلين) لتنذر كآقوله أرسلناك إلى فلان لتنذرهم فإنه غافل أو فهو غافل انتهى) قلت يعنى أنها على التفسير الثاني تفهم أن غفلتهم سبب في إنذارهم قال فإن قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله ما نذرهم من نذير من قبلك وأجاب بأن الآية تنفي إنذارهم لا نفي إنذار آياتهم وآياؤهم القدماء من ولد إسماعيل وقد كانت النذارة فيهم ۚ قال فاصنع بأحد التفسيرين الذى مقتضاه أن آياهم لم يندروا وهو التفسير الأول في هذه الآية مع التفسير الثاني ومقتضاه أنهم أذروا ۚ وأجاب بأن آياهم الأبعاد المنذرون لا آياؤهم الآدون قال ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنهم لا يرعون ولا يرجعون بأن جعلهم كالمخلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يبطفون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يصرون ماقدامهم ولا ما خلفهم قالوا الضمير للأغلال لأن طوق الغنم يكون في مانتى طرفيه تحت الذقن حلقه فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يبطط رأسه فلا يزال مقمحا انتهى كلامه (قلت) إذا قرئت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر ۚ مشها بالأغلال وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستناعه مشها بالإقحاح لأن المصح لا يبطط رأسه وقوله فهي إلى الأذقان تمة للزوم الإقحاح لهم وكان عدم الفكر في القرون الخالية مشها بسد من خلفهم وعدم النظر في العوالم المستقبلية مشها بسد من قدامهم ۚ قال فإن قلت فافعلك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الغنم لما كان جامعا لليدى والعنق وبذلك يسمى جامعا كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدى ۚ وأجاب بأن الوجه هو الأول واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله فهم مقمحو لأن جعل الإقحاح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدى لم يكن معنى التسبب في الإقحاح ظاهر أو ترك الحق الأبلغ للبطل اللجاج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء لتعقيب كالفاء الأولى في قوله فهي إلى الأذقان أو التسبب ولا شك أن ضبط اليد مع العنق في الغنم يوجب الإقحاح فإن اليد واليد بالله تعالى تنق ممسكة بالغنم تحت الذقن دافعة بها ومائلة من وطأها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فإن اليد متى كانت مرسة عملا كان للمخلول بعض الفرج بإطلاقها ولعله يتحيل بها على فكك الغنم ولا كذلك إذا كانت مغلولة فيضاف إلى ما ذكرناه من التشبيهات المقررة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاص مزينة

(قوله لتنذر قوما ما نذرهم) لعله أى لتنذر قوماً يذكر أى وذكر لتنذر مرة ثانية

فَأَعْيَيْنَهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ۖ وَوَعَدُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا تَنْفِرُوا لَأَقُولُنَّ ۖ وَإِنَّمَا تَأْتِرُ مِنْ أَتْبَعِ الذِّكْرَ
وَحَشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۖ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ

طوق الفل الذي في عنق المخلول يكون ملتقى طرفه تحت الذنق حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذنق فلا
تخلط بباطن رأسه ويوطئ فذله فلا يزال مقمعا ۖ والمقنع الذي يرفع رأسه وينفض بصره يقال قبح البصر فهو
قاصح إذا روى فرفع رأسه ومنه شعراً قاصح لأن الإبل ترفع رأسها عن الماء لبرده فيها وهما لكانوا نازحاً من تحت
السوق (فإن قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الفل لما كان جامعاً لليد والعنق وبذلك يسمى
جامعاً كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدى (قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحوں الأثرى
كيف جعل الإقحاح نتيجة قوله فهي إلى الأذنان ولو كان الضمير للأيدى لم يكن معنى التسبب في الإقحاح ظاهراً
على أن هذا الإضرار فيه ضرب من التمسك وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي ينجف عنه وترك
للحق الأباغ إلى الباطل الجليل (فإن قلت) فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيديهم فهل
يتموز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدى أو للإيمان (قلت) يأتي ذلك وإن ذهب الإضرار المتسكك ظهور
كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت ۖ وقرئ سداً بالفتح والعنق وقيل ما كان من عمل الناس بالفتح
وما كان من خلق الله بالضم (فأعشيئناهم) فأعشيئناهم أي غطيناهم وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطعم إلى مرنى
وعن مجاهد فأعشيئناهم فألبسناهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني غزوم وذلك أن أبا جهل
حلف لئن رأى محمداً يصل ليرضخن رأسه فأنه وهو يصل ومعه حجر ليدمنه به فلما رفع أثبت يده إلى عنقه ولوق
المجير يده حتى فسكه عنها بمجد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال غزوى آخر أنا أقوله بهذا الحجر فذهب فأعشى الله عينيه
ۖ (فإن قلت) قد ذكر مادل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قناه بقوله إنما تندر وإنما كانت تصح هذه
الثقفة لو كان الإنذار منقياً (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك قياً للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن
البقية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان فقي بقوله إنما تندر على معنى إنما تحصل البقية بالإنذار من
غير هؤلاء المنذرين وهم المنجون للذكر وهو القرآن أو الوضوء الحاشون ربهم (نحي الموتى) نبههم بعد منامهم وعن
الحسن إحيائهم أن يفرجهم من الشرك إلى الإيمان (ونكتب ما) أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا
عنه من أثر حسن كمل علوه أو كتاب صفوه أو حيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قطرة أو نحو ذلك
أوسيه كوظيفة وظفها بعض الفلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تحسirim وشيء أحدث فيه صدعن ذكر الله من
ألمان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى يبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي
قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد ونحو جابر أردنا الفتحة إلى المسجد والباقع حوله

الكفر المقدر عليهم مشبهاً بقل الأيدى فإن اليد آلة الحيلة إلى الخلاص ۖ قوله تعالى إنما تندر من أتبع الذكر الآية (قال إن
قلت قد ذكر مادل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قناه بقوله إنما تندر وإنما كانت الثقفة تصح لو كان
الإنذار منقياً وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن لما بين أن البقية المرومة بالإنذار وهي الإيمان منفية عنهم قناه بقوله
إنما تندر أي إنما تحصل بنية الإنذار من أتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) في السؤال سوء أدب وينبغي أن يقال

(قوله رأس العمود نادراً) أي شاذاً كما يشهده الصحاح (قوله ويوطئ فذله) في الصحاح القذال جماع مؤخر
الرأس فتدبر (قوله ومنه شعراً قاصح) بوزن كتاب وغراب كاتفل عن القاموس وفي الصحاح سيما بذلك لأن الإبل
إذاوردت فيها آذاها برد الماء فتاحت (قوله إلى الباطل الجليل) أي الذي يردد من غير أن يتفاد أفاده الصحاح

شَيْءٌ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ . وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ

غَالِيَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَانَا فِي دِيَارِنَا وَقَالَ يَابْنِي سَلِّمْ بَلَقِي أَنْتُمْ تَرِيدُونَ النُّفْلَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ قَلْنَا نَعْمَ بَدَلْنَا الْمَسْجِدَ وَالْبَقَاعَ حَوْلَهُ غَالِيَةً فَقَالَ عَلَيْكُمْ دِيَارُكُمْ فَإِنَّمَا تَكْتَبُ آثَارَكُمْ قَالَ فَمَا وَدَدْنَا حَضْرَةَ الْمَسْجِدِ لِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ كَانَ اللَّهُ مَغْفِلًا شَيْئًا لَا غَفَلَ هَذِهِ الْآثَارُ الَّتِي تَعْبَاهُ الرِّيحُ وَالْإِمَامُ الْوَلُوحُ وَقُرِئَ وَيَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَعُولِ وَكُلُّ شَيْءٍ بِالرَّفْعِ (واضرب لهم مثلا) ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمضي واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة بحجة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول . وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية في القرية انطاقة و(المرسلون) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاء إلى الحق وكانوا عبدة أوثان . أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب التجار صاحب يس فسألها فأخبراه فقال أمعك آية فقالا نفق المريض ونهرى الآكمة والأبرص وكان له ولدمريض من سنين فسماه قام فآمن حبيب ونفا الخبر فنفخ على أيديهما خلق كثير ورق حديثهما إلى الملك وقال لهما أنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وأهلك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوها وقيل حسبا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متكررا وعاشر شاشية الملك حتى استأنسوا به ورفهوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لأحال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلك قال آله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكنا قالا مايتنى الملك فدعا بسلام مطموس العينين فذهوا ألقنني انشق له بصر وأخذنا بندقين فوضعهما في حذقيته فكانتا مقلتين ينظرهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك قوله الشرف قال ليس لي منك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يبصر ولا يسمع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت أماناه فدعوا بسلام مات من سبعة أيام فقام وقال لي أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا (فعرزنا) فقولنا يقال المطر يعرز الأرض إذالدهما وشدها وتمزج لهم الناقة وقرئ بالتخفيف من هزه يعزه إذ غلبه أي هزينا وهزما (بثالث) وهو شمعون (فإن قلت) لم ترك ذكر المقبول به (قلت) لأن الغرض ذكر المعززة وهو شمعون ومالطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذلل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه وتوجهه إليه كأن ماسواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه . إنما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن الإلتفات الذي فلا يلقى لها المشبهة بليس شبه فلا يلقى له عمل (فإن قلت) لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا و(إنا إليكم

وماوجه ذكر الإنذار الثاني في معرض المخالفة للأول مع أن الأول لإبانت والإنذار الثاني كذلك قوله تعالى إنا إليكم مرسلون (قال إن قلت لم أسقط اللام هنا وأبنتها في الثانية عند قوله ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون قلت الأول ابتداء

(قوله إنما رفع بشر ونصب) عبارة النسق إنما رفع بشرها ونصب الخ

مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبَّنَا يَلْمِزُ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ . قَالُوا
إِنَّا نَطْهَرُهَا بِكُمْ لَعْنًا لَمْ تَنْتَوُوا لِلْجَنَّةِ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابِ إِلَهِمْ . قَالُوا طَهَّرْكُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ . وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مِن لَّا يَسْتَلْكُمْ
أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ . وَمَالِيَ لَأَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . ؕ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدَنَّ الْرَّحْمَنُ

لمرسلون) آخرها (قلت) لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكاره . وفولهرنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد
وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا
إلا البلاغ المبين) أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والإلزام قال المدعي والله إلى لصادق فيما أدعى ولم
يحضر البينة كان قبيحا (طهريابكم) تشامنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال أن يقيموا
بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبله طابعهم ويتشاموا بما نفروا عنه وكروهوا فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا
ببركة هذا ويشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطهروا بموسى ومن معه وعن مشرك مكة وإن تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم (طاهركم
معمكم) وقرئ طهركم أي سبب شؤمكم معمكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معمكم وهي كفرهم ومعاصبهم وقرأ الحسن
أطهركم أي تطهيركم وقرئ أن ذكركم بهمة الاستفهام وحرف الشرط وآت بالف يبينها بمعنى أنطهروا إن ذكركم
وقرئ أن ذكركم بهمة الاستفهام وأن الناصية يعني أنطهروا لأن ذكركم وقرئ أن وإن يغير استفهام لمعنى
الإخبار أي تطهروا لأن ذكركم أو إن ذكركم تطهروا وقرئ أين ذكركم على التخييف أي شؤمكم معمكم حيث جرى
ذكركم وإذا شتم المكان بذكركم كان معلوم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) في المعصيان ومن ثم أناكم الشؤم
لأن قبله رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متبادون في غيبيهم حيث تتشامعون بنحسب التبرك به
من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن إسرائيل التجار وكان ينحت الأصنام وهو من أنوار رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وبينهما ستائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بني أحد إلا بعد ظهوره
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا
عليه فقتلوه وقيل توطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجوه وهو يقول اللهم اهد قومي وقره في سوق أنطاكية فلما
قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة تجريل عليه السلام . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق الأمم ثلاثة لم
يكفروا بالله طرفة عين : على بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يستلکم أجراً وهم مهتدون) كلمة
جامعة في التزيغ فيهم أي لا تخسرون مهم شيئا من دنياكم وترجعون محبة دينكم فينظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة
ثم أبرز الكلام في معرض المناجحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويدارهم ولأنه أدخل في إغراض النصيح حيث
لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالي لأعبد الذي فطرني) مكان قوله ومالك لا تعبدون الذي فطركم
ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساق ذلك المساق إلى أن
قال آمنت بربكم فاسمعون يريده فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نهيتكم على الصحيح الذي لا مدخل عنه أن العبادة لا تصح إلا

إخبار والثاني جواب إنكاره قال أحد أي فلاق توكيده

(قوله ونفرت منهم نفوسهم) لعله منه كناية النسبي (قوله وآت بالف يبينها) الذي في النسبي أن هذا وما قبله ياء
مكسورة بدل الهزة الثانية (قوله بأرجلهم حتى خرج قصه) في الصحاح القصب بالضم المتق والمي واحد الأسماء

بِضَرِّ لَاتْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ • إِنَّ إِذَا لَنِي ضَلَّلْتُ مَبِينٌ • إِنْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ • قِيلَ
أَدْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ • بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ • وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ • إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَاذْفَامُ خَدَمُونَ • بِحَسْرَةٍ عَلَى

لن منه يتذكر وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تسبحوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر
وشفع لكم هؤلاء لم تفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدر على إقناذكم منه بوجه من الوجوه
إنكم في هذا الاستحياب لو اقنوا في خلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتميز وقبل لما نصح قومه أخذوا يرجونه
فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لم (إن آمنت بربكم فاسمعوا) أي اسمعوا إيماناً تشبهوا لي به • وقرئ إن يردني
الرحمن بضر بمعنى أن يوردي ضراً أي يصلي موددا للضر • أي لما قبل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله
الجنة وهو فيها حتى يرزق أراد قوله تعالى • هل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين • وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من
أهلها (فإن قلت) كيف خرج هذا القول في علم اليقين (قلت) مخرجه عرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن
حاله عند لقاء ربه كأن قال قال كيف كان لقاء رب بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسوي لوجهه بروحه قيل قيل
أدخل الجنة لم يقل قيل له لأن نصاب الغرض إلى القول وعظمه إلى القول له مع كونه معلوماً وكذلك (قال يا ليت قومي
يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تنى علم قومه بحاله ليكون عليهم
بها سبباً لاكتساب مثلها لأنهم بالتوبة من الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المقتضين بأهلها إلى الجنة
وفي حديث مرفوع نصيح قومه حياً وميتاً وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم النبط والحلم عن أهل الجهل والتزوف على
من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البنى والتشمر في تحليصه والتطف في اقتدائه والاشتغال بذلك عن الشهادة به
والدعاء عليه ألا ترى كيف تنى الخبير لفته والباقين له الفوائد وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن ينشئ ذلك ليعلموا
أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عدوهم لم تكن عليه إلفوزاً ولم تعقبه إلا
سمادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف للفرور والاول أوجه • وقرئ المكرمين (فإن قلت) ما في قوله تعالى (بما
غفر لي) أي المآثم (قلت) المصدرة أو الموصولة أي بالذي غفر لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية بمعنى بأي
شيء غفر لي ويريد به ما كان منهم من المصاهرة لإعزاز الدين حتى قتل إلى أن قولك بم غفر لي بطرح الآلاف أجود وإن كان
إبائهم جازراً يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت وبم صنعت المحنى أنه قال كفى أمرهم بصيحة ولكم ينزل لإهلاكهم
جنداً من جنود السماء كإفصل يوم بدر أو المختق (فإن قلت) وما معنى قوله (وما كما من منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح في
حسبنا أن ينزل في إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما
ذلك إلا لئلا يلبس على ما اقتضت الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله تعالى وفهم من أرسلنا عليك حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة
ومنهم من خسفناه الأرض ومنهم من أغرقنا (فإن قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والمختق قال تعالى وفأرسلنا
عليهم ريحاً وجنوداً لم ترها • بأف من الملائكة مردفين • بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بنحسة آلاف من الملائكة
مؤمنين (قلت) إنما كان يكفي ملك واحد قد أهلكك مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة منه ولكن الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلاً عن حبيب
التجار وأولاده من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يره أحداً من ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشاء بقوله :
وما أنزلنا وما كنا منزلين : إلى أن أنزل الجنود من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا الملك وما كنا نقمعه بغيرك (إن كانت
الإصمحة واحدة) إن كانت الأخذة أو العقوبة الإصمحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التائنة أي ما وقعت

الْعِبَادَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِعَ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ . وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْحَيَاةُ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا مِنْهَا حَيَاتُ قَبْلِهِ

الإصححة والقياس والاستعمال على تذكر الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلاصححة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وإن الصحبة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ويبت ذى الرقعة . وما بقيت إلا الصلوع الجراشع . وقرأ ابن مسعود الأزقية واحدة من ذفا الطائر يزقو يزقزق إذا صاح ومنه المثل أقل من الزواق (خامدون) تخدوا كأنهم النار فتعود رماداً كما قال لبيد :
وما المرء إلا كالشهاب وضوءه . يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

(يا حيرة على العباد) نداء للحيرة عليهم كأنما قيل لما قاتل يا حيرة فهذه من أحوالك التي حركت أن تحضر فيها وهي حال استزائهم بالرسول والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلف على حالهم المتلفون أروهم متحسرين عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من التقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومخوناهه وفرط إنكاره له وتوبيخه منه وقراءة من قرأ يا حيرة فانهض هذا الوجه لأن المعنى يا حيرة وقرئ يا حيرة العباد على الإضافة إليهم لا اختصاصاً بهم من حيث أنها موجهة إليهم ويا حيرة على إجراء الوصل بحرى الوقف (ألم يروا) ألم يملوا وهو معلق عن العمل في (كم) لأن كلاً يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام وللخبر لأن أصلها الاستفهام (لأن معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا إن زيداً لم يفلح وإن لم يعمل في لفظه و) (أنهم إليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لاهل اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وعن الحسن كسر إن على الاستئناف وقراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتغال وهذا ما يرد قول أهل الترجمة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له إن قوماً يرجعون أن غلابا وث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن إذن نكفنا نساءه وقسمنا ميراثه . قرئ لما بالتخفيف على أن ماحلة للتأكيد وإن مخففة من الثقلية وهي متلفاة باللام لإحالة ولما بالتبديد بمعنى إلا كالتى في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية . والتنوين في كل هو الذى يقع عوضاً من المضاف إليه كقولك مررت بكل قائماً والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون (فإن قلت) كيف أخبر عن كل جميع ومنعاً ما واحد (قلت) ليس بواحد لأن كلاً يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر بجميعهم فبمعنى فعل بمعنى مفعول يقال حى جميع وجاءوا جميعاً القراءة بالميتة على الخفة أشيع لسلسها على اللسان (وأحياتها) استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أربابها الجنس مطلقين لأرض وليل بأعيانها فصولاً لمعاملة التكرات في وصفها بالأفعال ونحوه ولقد أمر على التيمم يسئى ، وقوله (فتباً يكون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم

• قوله تعالى • وإن كل لما جميع لدينا محضرون ، (قال فيه إن قلت لم أخبر عن كل جميع ومنعاً ما واحد وأجاب بأن كلاً قيد الإحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع قيد الاجتماع وهو قيل بمعنى مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تأملاً لكل لأنه أخص منه وأزهد معنى • قوله تعالى الآية لهم الأرض الميتة أحيائها الآية (قال يجوز أن يكون أحيائها صفة للأرض وصح ذلك لأن المراد بالأرض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون يانا لوجه الآية فيها) قال أحد وغيره من النحاة يجمع وقوع جملة صفة للعرف وإن كان جنسياً وليس الغرض منه معينا وبراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه • ولقد أمر على التيمم يسئى •

(قوله وما بقيت إلا الصلوع الجراشع) جمع جرشع وهو العظيم والزواق هى الديوك لاهم كانوا يسمرون فإذا صاحبت الديكة تفزعوا فأفاده الصحاح

يَا كُؤُونَ ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُوتِ ۖ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۚ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَآيَاتِهِ لَمْ يَلِكْ لَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۚ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۚ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۚ لَا الشَّمْسُ يَنْبِيئُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۚ لَا الشَّمْسُ يَنْبِيئُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ

بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذائق جاء القمر ووقع الضرب وإذا فقد جاء المهلاك نزل البلاء ۚ قرئ (وجرنا) بالتخفيف والتثنية والجر والضمير كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى وقرئ (ثمره) بفتحين وضمين وضمة وسكون والصيغة تعالى والمعنى ليا كؤا عما خلقه الله من الثمر (د) من (ماملته أيديهم) من الفرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كذبى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وجرنا فقل الكلام من التكلم إلى النية على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى التخييل وترك الاعتاب غير مرجوع إليها لأنه لم أنه في حكم التخييل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

ففيها خطوط من رياض وبقى ۚ كأنه في الجلد توليع البق

فقل له فقال أردت أن ذاك ولكن أن تجعل مانافية على أن الثمر خلق الله ولم تعلمه أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأول وما علفت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الأزواج) الأجناس والأصناف (وعالم يملون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولاتوصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلاق الحيوان والجماد ما لم يعمل للبشر طريقاً إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولكانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث ما لعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعهم عليه فأعلمنا بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علوه وما جهلوه مادل على عظم قدرته واتساع ملكه ۚ سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وماتى ظله (مظلمون) داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما قول أعمتنا وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو انتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تقصها ما مشرقاً ومغرباً مغرباً حتى تبلغ أنصافها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تتعدوه أو ألحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجهلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة ۚ وقرئ تجرى إلى مستقرها وقرأ ابن مسعود لاستقرها أي لاتزال تجرى لاستقر وقرئ لاستقرها على أن بمعنى ليس (ذلك) الجرى عن ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تنكّل الفطن عن استخراجه وتيسير الأنعام في استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علماً بكل معلوم ۚ قرئ والقمر رضا على الابتداء أو عطفاً على الليل يريد من آياته القمر ونصبها بفعل يفسره قدرناه ولا تبقى (قدرنا من منازل) من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره

(قوله في الحديث ما لعين رأيت) وفي الحديث أوله أعددت لعبادي الصالحين كما مر في تفسير السجدة (قوله) ومنه سلخ الحية لخرشائها) في الصحاح الخرشاء مثل الخرباء جلد الحية (قوله) أعمتنا وأدجينا لمستقرها) الوجي وجمع في حافر الفرس أو خف البعير أفاده الصحاح وغيره

منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً يزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا ينقصه على تقدير متساوية تفاوت يسير فيها من ليلة المسهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستمر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستعطرة وهي الشرطان البطين القريا الدبران الهقعة الهنعة النزاع الثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرة العر السباك الغفر الزباني الإكليل القلب الثولة النعائم البدة سعد الداج سعد بلع سعد السعد سعد الأخيبة فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فإذا كان في آخر منازل دوق استقوس (عاذك الرحمن القديم) وهو عود المذيق ما بين شماريحه إلى منتهى النخلة وقال الزجاج هو فلول من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن العرجون وهما الثتان كالبريون والبريون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فبه بمن ثلاثة أوجه وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول لقول أن رجلاً قال كل علك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته علق منهم من معنى له حول أو أكثر وقرئ سابق النهار على الأصل والمعنى أن الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وأتبعهما قسمًا من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أي لا يتسلسل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدوير على المماقية وإن جعل لكل واحد من الديرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه قطعت نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما الديران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فإن قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لأن الشمس لا تقطع فلها إلا في سنة والقمر يقطع فلها في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك الاتباعي سيرها عن سير القمر والقمر خليفة بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل)

قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فإن قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلها في سنة والقمر يقطع فلها في شهر فكانت الشمس بطيئة جديرة بأن توصف بالإدراك والقمر لسرعة جديرة بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف للفقهاء وبأنه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل وإيمانني الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعه الشمس فإنه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن أدرك اللاحق السابق وبحسب الإمكان توقيع النفي فالليل إذا متبوع والنهار تابع فإن قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرح الآية بأنه ليس سابقاً فالجواب أن هذا مشترك الإلزام وبأنه أن الأقسام المحتملة ثلاثة إما تبعه النهار الليل وهو مذهب الفقهاء أو عكسه وهو المقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما فهذا القسم الثالث مني باقاً فلم يبق إلا تبعه النهار الليل وعكسه وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً لأن من قال إن النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فإن المتأخر إذا نفي إدراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع أنه يتبادر عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تناهياً لا يجمع شمل المعنى باللفظ فإن الله تعالى نفي أن تكون مدركة فضلا عن أن تكون سابقة فإذا أثبت ذلك فالجواب الحق عنه أن النفي السبقية الموجبة لفراسخ النهار عن الليل وتخلل من آخر بينهما وحيث ذهبت التعاقب هو مراد الأقوال ماسبق أول المتعاقبين للآخر منهما فإنه غير معتبر إلا ترى إلى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثرى فقد قرههم منه عدراً عن قوله تعالى وما أجعلك عن قولك فكان سهل أمر هذه المسئلة يكونهم لها أثره فكيف لو كان متقدما هم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة ذلك لا تنافي لكان سياق الآية يوجب أنه لا يمدح حجة ولا سبقاً حيث يدرك القول بسبقية النهار لليل مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية وبين السابق بواحد أو غالياً أيضاً لبقية الآية فإنه لو كان الليل تابعا متأخراً لكان أخرى أن يوصف بعدم الإدراك ولا يبلغ به عدم السبق ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدر الآية صريحاً ولعجز ما وجه

(قوله وقرئ العرجون بوزن العرجون) في الصحاح العرجون الحصة وقد فرجت الدابة إذا فرجتا ومنه قول بعضهم ادفوني في ثيابي ولا تحسوا عني تراباً أي لا تنفضوه وفيه البتزون السنن (قوله في الديرين سلطان) لعله سلطاناً

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ . وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ . وَإِنْ نَشَاءُ نُفِثْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ . إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَعُوا عَمَّا ذَرَعْتُمْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . أَلَمْ يَرْزُقْكُمْ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فُضِّلَ عَلَيْهِ . وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ .

التورين فيه عوض عن المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والأقار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهيمهم حله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها وفي الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء (من مثله) من مثل الفلك (مايركون) من الإبل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذريتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلهم هم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح . ومن مثله من مثل ذلك الفلك مايركون من السفن والزوارق (لا صريح) لامبث أو لا إغاثة يقال أنام الصريح (ولاهم ينقدون) لا ينجون من الموت بالفرق (إلا رحمة) إلا رحمة منا ولتتبع بالحياة (إلى حين) إلى أجل يموتون فيه لا يد لهم منه بعد النجاة من موت الفرق ولقد أحسن من قال . ولم أسلم لكي أبقي ولكن . سلت من الحمام إلى الحمام

وقرأ الحسن رضي الله عنه نفرهم (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى ألم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الواقع التي خلت يعني من مثل الواقع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله (إلا كانوا عنها معرضين) فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال وداهم الأمراض عند كل آية وموعظة . كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يملقون أفعال الله تعالى بمشيئته يقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأهزه ولو شاء لكان كذا فأعرضوا هذا الجواب يخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله ومعناه أنظم القول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقير من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أفقره الله ونظمه نحن وقيل كانوا يرومون أن الله تعالى لما كان قادراً على إطعامهم ولا يشاء إطعامهم فمن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال قراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا ما زعمتم من أموالكم أنها لله يمتون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ضرعهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم (إن آثم إلا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين . قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الحاء وكسرهما وإتباع الياء الحاء في الكسر ويخصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها يتغتمهم وهم في أمهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها بإلهم مشتغلين يخصصونهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى خصمون يخصم بعضهم بعضاً وقيل تأخذهم

من التأويل مناسب لظن القرآن وثبت عند أقرب إلى الحق من حمل ورد يمدوا الله الحق الصواب من القول وتسدده . قوله تعالى وإن نشأ نفرهم فلا صريح لهم إلى قولهم متاعاً إلى حين (قلت) من هنا أخذ أبو الطيب . ولم أسلم لكي أبقي ولكن . سلت من الحمام إلى الحمام لأنه تعالى أخبرهم إن سلوا من موت الفرق فذلك السلامة متاع إلى حين أي إلى أجل يموتون فيه ولا يد

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ .
 قَالُوا يَوَيْلًا مِّنْ بَشَرًا مِّنْ مَّزِيدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
 فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . قَالُوا لِمَ لَأَقَطِلَ النَّفْسَ شَيْئًا وَلَا نُحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
 الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ .

وم عند أنفسهم يخضعون في الجنة في أنهم لا يموتون (فلا يستطيعون) أن يوصوا في شيء من أمورهم (توصية) ولا
 يقدرين على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث تغصم الصيحة . قرئ الصور بكون الواو وهو القرن أو
 جمع صورة وحزكها بعضهم و (الأجداث) الصور وقرئ بالقاء (ينسلون) يمدنون بكسر السين وضحا وهي الفتحة
 الثانية . قرئ ياولتنا . وعن ابن مسعود رضى الله عنه من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وأهجه غيره وقرئ من هبنا
 بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا لحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بشتا ومن هبنا على من الجارة والمصدر
 و (هذا) مبتدأ و (ما وعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للبرد وما وعد خبر مبتدأ
 محذوف أى هذا وعد الرحمن أى مبتدأ محذوف الخبر أى ما وعد (الرحمن وصدق المرسلون) حتى وعن مجاهد للكفار
 هجمة يمدون فيها طعم النوم فإذا صبح بأهل القبور قالوا من بشتا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس
 وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيئون به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فإن
 قلت) إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموهود والمصدق فيه بالوعد والصدق
 فوجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون بمعنى
 والذى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقهم الحديث والقال ومنه صدقنى سبكره (فإن قلت) من بشتا من مرقدنا
 سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بمشكك الرحمن الذى وعدهكم البعث وأبناكم بالمرسل إلا أنه
 جئ به على طريقة سيئت بها فلهمهم ونميت إليهم أحوالهم وذروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما اندبوا به
 وكأنه قيل لم ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقدته حتى يهكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث
 الأكبر ذوالأحوال والأفراع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزل على السنة رسله الصادقين (إلا صيحة واحدة) قرئت
 منصوبة ومرفوعة (قالوا لِمَ لَأَقَطِلَ النَّفْسَ شَيْئًا . إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم وفى مثل
 هذه الحكاية زيادة تصوير للوعود وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى ما يشهده فى شغل أى شغل
 وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل إلى نيل تلك النعمة وذلك الملك
 الكبير والنعيم المقيم ووقع فى تلك الملاذ التى أعدها الله للمتقين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم
 وذلك بعد الوالة والعبادة والنفسى من مشاق التكليف ومضائق التقوى والخشية وتطلى الأحوال وتجاوز الأخطار
 وجواز الصراط ومعاينة مآتى المصاة من العذاب وعن ابن عباس فى اقتضاض الأبيكار وعنه فى ضرب الأوتار وعن
 ابن كيسان فى التزاور وقيل فى ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عفاة أهل النار التمتع بمقام فيوم عن الكلبي فى شغل
 عن أهاليهم من أهل النار لا يهجمهم أمرهم ولا يذكروهم لأن لا يدخل عليهم تنقيص فى نعيمهم . قرئ فى شغل بضمتين

ه قوله تعالى فى شغل فأكهون (قلت) هذا ما التذكير فيه للتخفيف كأنه قيل فى شغل أى شغل وكذا قوله تعالى سلام قولا

(قوله والأجداث القبور وقرئ بالقاء) فى الصحاح الجذف القبر وهو إبدال الجذث قال الفراء العرب تعقب بين القاء
 والباء فى اللفظة فيقولون جذث وجذف وهى الأجداث والأجفاف

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ • وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ • أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِيَّ • أَدَمُّ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مِّبِينٌ • وَإِنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ • وَلَقَدْ أَخْلَلْنَا مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

وضعة وسكون وفحشينة وفحة وسكون • والفاكهة والفكهة المنتعم والمتلذذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ به وكذلك
الفكاهة وهي المزاحمة • وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وخمما كقولهم رجل حدث وحدثت ونطس ونطس
وقرئ فاكهين وفكهين على أنه حال والظرف مستقر (م) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيذا للضمير في شغل
وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركونهم في ذلك الشغل والتفكهة والإتكاء على الأرائك تحت الظلال • وقرئ في ظلل
والأريكة السرير في الحجة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين (يتكئون) يقتلون من الدعاة أي يدعون به
لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل • ويجوز أن يكون بمعنى
يتداعونه كقولك ارتعوه وتراهم وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وفلان في خير ما ادعى أي
في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاة أي ما يدعو به أهل الجنة بأنهم (سلام) بدل عما يدعون كأنه قال لم سلام
يقال لم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم
وذلك متيناهم ولم ذلك لأنهم قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالنعمة من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لاشوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أي
عدة من رب رحيم والأوجه أن ينصب على الاختصاص وهو من مجازة وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المؤمنين وعن
ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكوونا على حد ذاته حين
يحشر المؤمنون ويسارهم إلى الجنة نحو قوله تعالى يوم تقوم الساعة يومئذ ينفذون فأما الذين آمنوا وعلوا الصالحات
فهم في روضة يجربون وأما الذين كفروا الآية يقال مازة فامتاز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك
لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض • العهد الوصية وعهد إليه إذا
وصاه وعهد الله إليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع • وعبادة الشيطان طاعته فها يوسوس به
إليهم ويذنب لهم • وقرئ لأعهد بكسر الهمزة وباب فاعل كله يجوز في حروف مضارعة الكسر إلا في الباء وأعهد بكسر
الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأعهد بالحاء وأحد ونعم ومنه قولهم دعا
معا (هذا) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير
لئن كان يهدي برد أنيابها إلى • لاقر منى إلى لفقيه

أراد إلى لفقيه بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به ليكال شرائطه ولإلام يستم معنى البيت وكذلك قوله (هذا صراط
مستقيم) يريد صراط بليغ في باب بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض

من رب رحيم ومنه قوله تعالى وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم قال ومعناه لا صراط أقوم منه والتنكير يفيد ذلك إفادة
إياه في قول كثير عزة • فإن كان يهدي برد أنيابها إلى • لاقر منى البيت • ولولا ذلك لم يستم معنى البيت قال
ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أهل الأحوال فيه أن يعتقد أنه مستقيم كما يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول
نافع غير ضار توينا له على الإعراس عن نصائح

(قوله كقولهم رجل حدث وشوحت) أي حسن الحديث والنطق البالغ في التطهر والمدقق في العلم فأعاده الصحاح (قوله والأريكة
السرير في الجلة) بيت العروس يزين بالثياب والستور كذا في الصحاح (قوله واجتمل إذا شوى) في الصحاح جملة التسم
أجله جملا واجتملته إذا ذبته (قوله في حروف مضارعة الكسر) لعله مضارعه (قوله ومنه قولهم دعا معا) أي دعها معها

تَقُولُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۚ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ
فَإِنَّا بَصِيرُونَ ۚ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَفْتَوْا مُضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ ۚ وَمَنْ نَعْمَرَهُ نَكَسَّه
فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۚ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ۚ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَانُوا حَيًّا وَيُحِقِّ

الصرط المستقيمة توبخا لهم على العدول عنه والتفادى عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق الملعون الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن يعتد فيه كما يعتد في الطريق الذي لا يصل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه الصبح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبخا له على الإعراض عن نصائحه ۚ قرئ جلا بضمين وضمه وسكون وضمين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه اللغات في معنى الخلق وقرئ جلا جمع جبله كقصر وخلق وفي قراءة على رضى الله عنه جبلا واحدا لاجبال ۚ يروى أنهم يمسحون ويغصمون فتشبه عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيطفون ما كانوا مشركين حيث يتختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول المديوم القيامة إني لأجيز على شاهدة إلا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتطق بأعلاه ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وحقا فنسكن كنت أماض ۚ وقرئ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك تختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة ۚ الطمس تغطية شق العين حتى تعود بمسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوqa لاسبوقا إليه أو يتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلورأوا أن يستبقوا إلى الطريق المهيمن الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي تردوا إليها كثيرا كانوا يستبقون إليه ساهين في منصرفاتهم موضعين في أمور دينهم لم يقدرُوا وتمايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أولو شاء لأصمهم فلورأدوا أن يمشوا مستقيمين في الطريق المألوف كما كان ذلك مجيراهم لم يستطيعوا أولو شاء لأصمهم فلوطلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لمجزوا ولم يعرفوا طريقا يمتن أيهم لا يقدرُون إلا على سلوك الطريق المتأدود ماوراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى المميان يمتدون فيما اتوا به وضربوا به من المقاصد دون غيرها (على مكاتبتهم) وقرئ على مكاتبتهم والمكانة والمكان واحد كلقامة والمقام أى لمستخام مستخاً يجمد مكانهم لا يقدرُون أن يبرحوه بإقبال ولا إظهار ولا معنى ولا رجوع واختلف في المسخ فمن ابن عباس لمستخام قرعة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقصدنام على أرجلهم وأزمانهم ۚ وقرئ مضيا بالمركات الثلاث فالمضى والمضى كالتى والمضى كالمضى (تنكس في الخلق) قلبه فيه خلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده وغلو من عقل وعلم ثم جعلناه يزايد ويتغل من حال إلى حال

ۚ قوله تعالى ۚ ومن نعمره تنكسه في الخلق ۚ (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث أنه استدلال بقدرته على رده إلى أرذل العمر وإلى الضعف بعد القوة كما أنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

(قوله كنت أناضل) أى أجادل (قوله إلى الطريق المهيمن) الميعود الجنب والهيمة النوبان والسيلان وكل ما أفزعك من صوت كذا في الصحاح ولعل المراد الذى سهل كثرة سلوكه (قوله في منصرفاتهم موضعين) في الصحاح وضع البعير وغيره أسرع من سيره وأوضه راكبه (قوله فيما اتوا وضربوا به) أى مروا

أَقُولُ عَلَى الْكَافِرِينَ • أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا عَلَّمَتْ أَيْدِينَا أَنفُسَهُمْ لَهَا مَلَكُوتٌ • وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمَنَّا

ويرتقى من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق لجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل • ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من يتفهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة الفهم ومن العلم إلى الجهل بعد ما تفهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد قرئ بكسر الكاف وتنكسه وتنكسه من التنكيس والإنكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء • كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القاتل عقبة بن أبي معيط قتل (وما علمناه الشعر) أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء. وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التي يتجها الشعراء من معانيه وأين نظم كلامهم من نظمهم وأساليبه فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذلك كذلك (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لمبات له ولم يتسمل كما جعلناه شيئاً لا يتهدى للخط ولا يحسن لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأق له (فإن قلت) قوله أنا التي لا كذب • أنا ابن عبد المطلب

وقوله هل أنت إلا أصبح دميم • وفي سبيل الله ما لقيت

(قلت) ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من إنشادات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسلمها أحد شراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر وإذا قشفت في كل كلام من نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزي على أن الخليل ما كان يمد المشطور من الرجز شعراً ولما نفي أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوحى به للإنس والجن كما قال إن هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوى يقرأ في المحاريب ويثلى في المناميات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكيف بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالياء ولينذر من نذر به إذا علمه (من كان حياً) أي عاقلاً متأملاً لأن الناقل كالميت أو معلوماً منه أنه يؤمن فجباً بالإيمان (ويحق القول) ونجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان (مما علمت أدينا) مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأبدى استعارة من عمل من يعملون بالأبدى (فهم لما مالكون) أي خلقناهما لأجلهم فلكنناهما إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك يحصون بالانتفاع فيها لا يراخون أوهم لما ضابطون قاهرون من قوله

أصبحت لأجل السلاح ولا • أمك رأس البعير إن نرا

أي لأضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والأفن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيرها لما قال القائل

يصرفه الصبي بكل وجه • ويحبسه عن الحنف الجبر

وقضيه الوليدة بالمرأى • فلا غير لديه ولا تنكير

(قوله قرئ بكسر الكاف وتنكسه) يفيد أن القراءة المشهورة بضم الكاف وهما من النكس (قوله فلا غير لديه ولا تنكير) الغير جمع الفيرة بالكسر وهي الدية التي أيضاً الاسم من قولك غيرت الشيء بتغيير كذا في الصحاح والمعنى الثاني هو المراد في البيت

رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۚ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يُنصَرُونَ ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُعْضَرُونَ ۚ فَلَا يَحِزُّكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَلَا يَعْلَنُونَ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقْنَا قُلُوبَهُمْ نَافِلَةً فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۚ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

ولهذا ألهم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحانه الذي خلقنا هذا وما كنا له مقرنين ۖ وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالجلوب والحلوة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو من منافهار ركوبهم (منافع) من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها جملة وقد فصّلها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآتية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب (وعضرون) معضرونهم ويزبونهم ويغضبونهم والآفة بكانهم والأمر على عكس ما قدر وواحيهم جند لآلهم معدون (معضرون) معضرونهم ويزبونهم ويغضبونهم والآفة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخافهم ليصروهم عند الله وشفعوا لهم والأمر على خلاف ما هو وواحيهم هو مربيهم جند معدون لهم معضرون لآلهم يعملون وقوداً لثأره وقرئ فلا يحزكك بفتح الباء وضمان حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهزئك تكذيبهم وأذا هم وجفأهم فإنا نعلمون بما يسرون لك من عدائهم (وما يعلنون) وإنا نجازوهم عليه خلق مثلك أن يتلى بهذا الوعيد يستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقش عنه ألمه ولا يرهقه الحزن (فإن قلت) ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وقبح الشافعي وكلامهما تعليل والثاني أن يكون بدلان من قولهم كأنه قيل فلا يحزكك إنا نعلم بما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع الكسورة إذا جعلها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلّق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا بدوران على كسر إن وقبحوا وإنما يدران على تقدير كفضل إن فتحت بأن تقدّر معنى التعليل ولا تقدّر البديل كأنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعولة ثم إن قدرته كسراً أو فاتحاً على ما عظم فيه الخطب ذلك القاتل فاقبه الإلهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلايتهم وليس انتهى عن ذلك مما يوجب شيئاً لا ترى إلى قوله تعالى فلا تكونن ظهرًا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلهاً آخره فتح الله هن وجل إنكارهم البعث تقيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على عماد كفر الإنسان وإفراطه في جود الدائم وحقوق الأبدى وتوغله في الحسة وتغلّقه في القصة حيث قرره بأن: نصره الذي خلقه، به هو أخس شيء وأهمه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قواة النجاسة ۖ ثم عجب من حاله بأن يتبصّر مثله على مهانة أصله ودنائه أوله لمخاضة الجبار وشرذة صفته لمجادته ويركب متن الباطل ويأبج ويحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد مرامت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف لهو الصقة به هو كونه منشأ من موات وهو يشكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجبجي وأبو جهل والعامري بنو أمّيل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي الأثرؤن إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأمم ثم قال واللات والعزى لا صيرت إليه ولا خصمت وأخذ عظامي بالآجل يفتيه يده وهو يقول يا محمد أتري الله يحيي هذا بعد ما قدرتم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويعتلك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فإذا هو خصيم مبين) فإذا هو بعدما كان ماء مهيناً رجل يميز بمطبق قادر على الخصام مبين مرعب عما في نفسه فصيح كالقائل تعالى أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (فإن قلت) لم سمى قوله (من يحيي العظام وهي رميم)

(قوله وتغلّقه في القصة) في الصحاح وقع الرجل قحة وقاحة إذا صار قليل الحياء (قوله وشرذ صفته لمجادته الخ) في الصحاح الشرذ الشرس وهو التلظ والمك اللجاج

وَمِنْ رِّمِيمٍ قُلُوبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

مثلاً (قلت) لما دلت عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى أو إعادته من التشبيه لأن ما أنكر من قبل ما وصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك بما يوصف الله تعالى بكونه قادر عليه كان تعديراً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه . والريم اسم للمالي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فإلحاق لم يؤثرت وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فصيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من ثبتت الحياض العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تلحقها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويرجعون أن الحياة لا تلحقها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد بإحياء العظام في الآية ردّها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (وهو بكل خلق عالم) يعلم كيف يتخلق لا يتماثل به شيء من خلق المنشآت والمعاديات ومن أجناسها وأنواعها وجمالياتها ودقائقها . ثم ذكر من يدافع خلقه اقتداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانفطائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراض وأكثرها من المرخ والسفار وفي أمثالهم في كل شجر نار . واستمدج المرخ والفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين ومما خضران وان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على الفار وهي أتي فتدح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذبيقات القصارين . قرئ الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من تقوم فالتون منها البطون فصارون عليه من الجميع من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناس أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ بقدر وقوله (أن يتخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يتخلق مثلهم في الصغر والقمامة بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يمدم لأن المعاد مثل البتداء وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (إنما أمره) (إنما شأته) (إذا أراد شيئاً) إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أي فهو كأن موجوداً لعالة (فإن قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع (فإن قلت) فأوجه القراءتين فيكون (قلت) أما الرفع فلا حاجة من مبتدأ وخبر لأن تقديرهما هو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللمطغ على قول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئاً مما تقدر عليه من المباشرة بحال القدرة واستعمال الآلات وما يقع ذلك من المشقة والتعب والقرب إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيكون فثله كيف يعجز عن مقهور حتى يعجز عن الإعادة (فسبحان) تزيه له عما وصفه به المشترك وتنجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (يد مملوكات كل شيء) هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بما يجب مشيئته وقضايها حكمته وقرئ ملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لأهمل ما روى في فضائل يس وقراءتها كيف خصت

سورة الصافات مكية

وآياتها ١٨٢ نزلت بمكة الانعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالصَّفَاتِ صَفَاءً فَأَلْزَجِرَاتٍ زَجْرًا . فَاتْلَيْتَ ذِكْرًا . إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ .

بذلك فإذا أنه هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وأما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحمله رضوان غازن الجنة بشرته من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويفر لمستمها ألا وهي سورة يس

(سورة الصافات مكية)

وهي مائة وإحدى وثمانون آية وقيل واثنان وثمانون

(بسم الله الرحمن الرحيم) أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقسامها في الصلاة من قوله تعالى وإنا لنحن الصافون أو أجنحتنا في الهواء واقعة منتظرة لأمر الله (فالأجرات) السحاب سوا (فالتاليات) الكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والأجرات كل ما جرح معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقسامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجساعات فالأجرات بالمواظع والتصايف بالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس فواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فإن قلت) ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات (قلت) إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله

يا لهف زبابة للحرث الصايف فالتانم فالآيب

كأنه قيل الذي صح فتم فآيب وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكل واعمل الأحسن فالأجل وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحققين فالقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات (فإن قلت) فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده (قلت) إن وجدت الموصوف

القول في سورة الصافات

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والصافات صفا فالأجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) في تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوفهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصايف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواظع عن المعاصي وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون في الحرب ويذجون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فإن قلت ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه إما لتماقيد الصفات وجوداً كقوله يا لهف زبابة للحرث الصايف فالتانم فالآيب أو على ترتيبها لتفاوتها من بعض الوجوه كقولك اعمل الأحسن فالأجل وإما لترتيب موصوفاتها كقوله رحم الله المحققين فالقصرين فعلى هذا إن وجدت الموصوف كانت الدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثبتت فهي للدلالة على

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبِّ الْمَشْرِقِ • إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ • وَحَفَظًا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ • لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ • دُحُورًا لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ •

كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثلثة هي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجملتهم جامعين لها فحفظها بالغاء يفيد ترتيباً لها في الفضل إما أن يكون الفضل للصف ثم للجزر ثم للثلاثة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على الطوائف والثانية والثالثة على آخر فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والواجرات أفضل والثالثات أهر فضلاً أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالواجرات كل ما يجر عن مصيبة وبالتاليات كل نفس نلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة • وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (و المشرق) ثلثة وستون مشرقاً وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرقها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين (فإن قلت) فإنا أراد بقوله «رب المشرقين ورب المغربين» (قلت) أراد مشرق الصبف والشتاء ومغربهما (الدنيا) القربى منكم • والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليفة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملها قوله (بزينه الكواكب) فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أى بأن ذاتها الكواكب وأصله بزينه الكواكب وهى قرءاءة فى بكرو الأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فلاضافة وجهان أن تقع الكواكب بيا ما للزينة لأن الزينة مهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينته به الكواكب وجاءه ابن عباس رضى الله عنهما بزينه الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كمشكل الثريا وبنات نكش والجزءا وغير ذلك ومطالها ومسارها وقرئ على هذا المعنى بزينه الكواكب بتكوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من عمل بزينه (وحفظاً) مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين كما قال تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلن كأنه قيل وحفظاً (من كل شيطان) زينها بالكواكب وقيل وحفظها حفظاً • والمارد الخارج من الطاعة المتمسك منها • الضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه في معنى

ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها أن تعتقد أن صنما مما ذكر في التفسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات وأفضلها أو على العكس ومعنى ثلثيتها أن تحمل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف إما على أن الأول هو الأفضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد يجوز أن يكون ترتيبها في التفاضل على أن الأول هو الأفضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نفيه فتقول وجه البداية بالأفضل الاعتناء بالأمم قدم وجه عكس هذا الترتيب من الأدنى إلى الأعلى ومنه قوله

بهايل منهم جفروا بن أمه • على ومنهم أحمد التخمير

ولا يقال إن هذا إنما ساخ لأن الواو لا تقتضى رتبة فإن هذا غاية أنه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبالغة وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيويه والخليل في مث والبيل إذا يغشى والنهار إذا تجل فإنهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب إلى أنها حروف قسم فتوقع القاء في هذه الآية موقع الواو والمضى واحد إلا أن ما تزيده القاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق اللطيف لا التسم • قوله تعالى وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له

(قوله على ترتيب الموصوفات فيه) لعله الصفات (قوله من الطاعة المتمسك منها) في الصحاح يقال متمسك من الأمر إذا أخذ منه

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ فَاسْتَفْتِهِمْ إِمَّا أَشَدَّ خُلُقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۝

الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع تسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وهذا بصير التخفيف على التشديد (فإن قلت) لا يسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استقفا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لامتناعه وكذلك الاستقاف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستم فحق أن يكون كلاما منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقنوفون بالشبه مدحورون عن ذلك ۝ إلا من أهل حتى خطف خطفة واسترق استراقه فعندما تامله الملك ياتبع الشهاب الثاقب (فإن قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله ثلاثا يسمعون الخذف اللام كما حذف في قولك جئتكم أن تكرموني فحق أن لا يسمعوا فحذف أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أبهَذَا الزاجرى أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فنسكت من المسكرات على أن صوت القرآن عن مثل هذا النصف واجب (فإن قلت) أى فرق بين سمعت فلا تاتحدث وسمعت إليه تحدثت وسمعت حديثه وإلى حديثه (قلت) المعنى بنفسه يفيد الإدراك والمعنى يالى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملا الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملا الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وهه أشرف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكانه قيل يدحرون أو قذفوا قرأ أبو عبد الرحمن السلي بفتح الدال على قذفا دحورا طروداً أو على أنه قد جاء بجي القبول والولوج والواصب الدائم وحسب الأمر وصوباً يعنى أنهم فى الدنيا مرجعون بالشبه وقد أذعن لم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذى (خطف الخطفة) وقرئ حطف بكسر الحاء والطاء وتقديدها وخطف بفتح الخاء كسر الطاء وتقديدها وأصلهما اختطف ۝ وقرئ فأتبعه وفاتبعه ۝ الهزئة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام فى

وأبطل أن يكون أصله ثلاثا يسمعون الخذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن وأهدر عملها مثل

ألا أبهَذَا الزاجرى أحضر الوغى ۝ وأن أشهد للذات هل أنت مخلدى

واستبعد اجتماع هذين الحذفين وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائماً ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصاً لما عليه أحوال المسترقة للسمع اه كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه حال الشيطان حال كونه محفوظاً منه فى حال كونه لا يسمع وإحدى الحالين لازمة للأخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه كونه هو صواباً لعدم السماع فى حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسمه ونظيره هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، قوله تعالى مسخرات حال بما تقدمه العامل فيه الفعل الذى وسخر ومنه مستقيم لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التى مسخرت فيها هى الحال التى كانت فيها مسخرة لأعلى معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشاره إلى العجزى فى هذه الآية قريب من هذا التفسير إلا أنه ذكره متأولاً ولا آخر كالمشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كمنزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواراً من التسخير وفياً ذكرناه كفاية من هذا النقط ثم أرسلنا رسلنا وهم كانوا رسلاً إلا بالإرسال وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ وأما الجواب عن إشكاله الثانى فورد حذفين فى مثل قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا وأصله ثلاثا تضلوا خفف اللام ولا جميعاً من عليهما

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ . وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ . وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ . وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّينٌ . أَفَعَدَّ مَتْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعَظَمًا إِنَّمَا لِمُتَّبِعُونَ . أَوْعَابًا قَتَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ نَمَّ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ . وَقَالُوا يَا وَيْلَاهَذَا يَوْمَ الدِّينِ . هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ .

أصلها لذلك قيل (فاستفهم) أى استخبرهم (أم أشد خلقا) ولم يقل فتردم والضمير لشركى مكة قيل نزلت في أبي الأشد بن كعدة وكفى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلقنا من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد هذه الأشياء فاستفهمهم أم أشد خلقا أم من خلقنا بالقائه المعينة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تفيد بالبيان اكتفاء ببيان ما قدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائمه فاستفهمهم أم أشد خلقا أم الذى خلقنا من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عدنا بالنخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قوهم شديد الخلق وفى خلقه شدة وأصعب خلقا وأشق على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كالخلق البشر عليه فهو . وخلفهم (من طين لازب) إمامته عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلاة والقوة واحتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فن ابن استكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كنا ترابا وهذا المعنى بعضده ما ينويه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بلامهم . وقرئ لازب ولاتب والمعنى واحد والثاقب الشديد الإضاءة (بل عجبنا) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (وهم) (يسخرون) منك ومن تعجبك وما تريمهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى عجبنا منها فكيف بعبادى وهؤلاء يجهلون وعنادهم يسخرون من آياتى أو عجبنا من أن ينكروا البعث من هذه أفعاله وهم يسخرون من يصف الله بالقدرة عليه (فإن قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعمرى الإنسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مجرد العجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يتخيل العجب ويغرض وقد جاء فى الحديث عجب ربكم من أنكم وقوطكم وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحا كان يعجبه عليه وعبد الله أعلم يريد عباده بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبنا (وإذا ذكروا) ودأبهم أهم إذا وعظوا بشيء لا يعظون به (وإذا رآوا آية) من آيات الله البينة كاشتقاق القمر ونحوه (يسخرون) يبالون فى السخرية أريدتعى بعضهم من بعض أنت يسخر منها (وأبأونا) معطوف على محل (إن) واسمها أو على الضمير فى معوثون والذى يجوز العطف عليه الفصل هجرة الاستفهام والمعنى أيعبث أيضا أبأونا على زيادة الاستبعاد يبنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أبأونا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر الهمزة وهما لثنتان وقرئ قال نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فإنما) جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فإى (هى) للزجرة واحدة) وهى لا ترجع إلى شيء إنما هى مهمة موضعها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو النعم إذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله زجر أبى عروة السباع إذا . أشفق أن يختلطن بالنعم

يريد تصويتها (فإذا هم) أحياء بصرام (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله احشروا من كلام الكفرة

(قوله من أنكم وقوطكم) الال يأتى بمعنى السرعة والأتين والفساد أفاده الصالح

أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كُنُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ . وَقَوْمٌ لَهُمْ مَسْئُولُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمْ يَوْمٌ مُسْتَسْلِمُونَ . وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنْكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ . قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ . حَقِّقْ عَلَيْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاقُونَ . فَأَعْوَيْتُمْ إِنَّا كُنَّا غَايُونَ . فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ

بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و(هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة جواباً لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نحاذي بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة (أحشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرابهم من التي صلى الله عليه وسلم نظر أروهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا وأهل السرعة مع أهل السرعة وقيل قرأهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم (فاهدوهم) فزفوفهم طريق التارخي يسلكوها . هذاتهم بهم وتوبيخهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متصارين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلمهم مستسلم غير منتصر . وقرئ لا تناصرون ولا تناصرون بالإدغام . الذين لما كانت أشرف المصنوعين وأمتها وكانوا يقيمون بها فيها يصاغرهم ويمسحون ويناولون ويناولون ويراولون أكثر الأمور وينشامون بالثمال ولذلك سموها الشوى كما سموا اختها اليمين وتيمنوا بالساح وتطهروا بالبارح وكان الأعرس معياً عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين وأرادها بالثمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الثيامن في كل شيء . وجعلت اليمين لكاتب الحسنة والثمال لكاتب السيئة ووعد المحسن أن يؤتي كتابه يمينه والمسيء أن يؤتاه بشماله استمرت لجهة الخير وجانبه فقبل آتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأخله وجاء في بعض التفسير من آياه الشيطان من جهة اليمين آتاه من قبل الدين فليس عليه الحق ومن آتاه من جهة الشمال آتاه من قبل الشهوات ومن آتاه من بين يديه آتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب ومن آتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يغلف يده فلم يصل رحماً ولم يؤذ زكاة (فإن قلت) قولهم آتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالمعانيق وهذا من ذلك ولك أن تجعلها مستعمرة للقوة والفكر لأن اليمين موصوفة بالقوة بها يقع البطش والمعنى أنك كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والعلية حتى تحملونا على الضلال وتقصدونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والنفوة لسياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أيهم أتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين إليه (وما كنا لنا عليكم) من سلطان نسلك به بتمكنكم واختياركم (بل كنتم قوماً) مختارين للغيان (حق علينا) فلزمنا (قول ربنا) إنا لذائقون يعني وعيد الله إنا لذائقون لعذابه لإعماله لمعنا واستحقاقها العقوبة ولو حكي الوعد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ الحكم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل . لقد زعمت هوأزن قل مالي .

ولو حكي قولها لقال قل مالك ومنه قول المخلف للحالف احنف لأخريج ولتخرجن الهزمة لحكاية لفظ الحالف والناء لإقبال المخلف على المخلف (فأعويتم) فادعوناكم إلى التي دعوة محصلة البقية لقبولكم لها واستجابكم التي على الرشد (إنا كنا غاين) فأردنا إغواءكم لتكونوا أماننا (فإنهم) فإن الاتباع والمتوعين جميعاً (يومئذ) يوم القيامة مشتركرون في العذاب كما كانوا مشتركين في النواية (إنا) مثل ذلك الفعل (نعمل) بكل مجرم يعني أن سبب العقوبة هو

(قوله وتيمنوا بالساح) الساح المأز من اليسار إلى اليمين والبارح عكسه أفاده الصحاح

تَعْمَلُ بِالْجَنَّةِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۖ وَيَقُولُونَ نَحْنُ تَارِكُوا آلِهَتَنَا لَشَاعِرٍ
يَجْنُونَ ۖ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّكُمْ لَذَاتُ قُوَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۖ وَمَا جَزُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۖ قَوَّامٌ لَهُمْ مَكْرُمُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۖ
يُنَافٍ عَلَيْهِمْ بَيْكُاسٌ مِّنْ مَّعِينٍ ۖ يَبْضَآءُ لَذَّةٌ لِلشَّعِيرِينَ ۖ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۖ وَعِندَهُمْ قَصِيرَاتٌ

الإجماع فمن ارتكبه استوجبها (إنهم كانوا إذ) سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك (الشاعر)
يجنون (يعنون) يمتنعون محمداً صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصداق لما بين يديه
وقرئ لذات قوا العذاب بالنصب على تقدير التثنية كقوله ۖ ولذا ذكر الله الإقلا بتقدير التثنية وقرئ على الأصل لذات قون
العذاب (إلا ما كنتم تعملون) إلا مثل ما علمتم جزاء سيئاً بعمل سيئ (إلا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء
المقطوع ۖ فسر الرزق المعلوم بالثبوت وهي كل ما يلد به ولا يتوقف لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم
مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز
أن يراد رزق معلوم ممنوع مختص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذته وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله
ولهم رزقهم فيها بكرة وهشياً وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات أباه وقوله (وم مكرون) هو الذي
يقوله العلماء على حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تنوق إليه نفوس ذوى الهمم كما أن
من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هو أن أهل النار وصغارهم ۖ التقابل أتم السرور وآس وقيل لا ينظر بعضهم
إلى قفا بعض يقال للرجاحة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كأساً قال ۖ وكأس شربت على لذة ۖ وعن الأخفش كل
كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه
الأرض الظاهر للميون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بضياء)
صفة للكأس (لذة) إنما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وهى تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذذ ووزنه
فعل كقولك وجعل طيب قال ۖ ولذ كطعم الصرخدى تركته ۖ بأرض العدا من حشية الحدائق

يريد الخمر ۖ النول لمن غاله يقول غولا إذا هلكه وأفسده ومنه النول الذي في تكذيب العرب وفي أمثالهم النصب غول الخلم
(و ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ونزوف ويقال للمطعم نزف فأت
إذا خرج دمه كله ونزحت الركبة حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ما موى في أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطاً وقرئ ينزفون من أنزف
الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال ۖ لعمري لئن أنزفتموا وصهوتموا ۖ لبئس النداء كنتموا آل أبحر
ومعناه صار ذا نزف ونظيره أفضع السحاب وقشعت الريح وأكب الرجل وكتبته وحقيقتها دخلا في القشع والكب
وفي قراءة طلعين مصرف وينزفون بعن الزاى من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لأنها فاسد قط من أنواع الفساد
التي تكون في شراب الخمر من منصف أو صداع أو خمار أو عريضة أولنوا وأنهم أو غير ذلك ولاهم يسكرون وهو أعظم فاسدا
فأفرزه وأفرده بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يبدن طرفاً إلى غيرهم كقوله تعالى عربا ۖ

(قوله ولذ كطعم الصرخدى) شراب منسوب إلى صرخد وهو موضع نسب إليه الشباب كما في الصحاح
(قوله من نزف الشارب) في الصحاح نزف ماء البئر نزفاً إذا نزحته كله ونزفت هي تمتد ولا تبتدى ونزفت أيضاً
على ما لم يسم فاعله (قوله من منصف أو صداع أو خمار) في الصحاح الخار بنية السكر (قوله ولاهم يسكرون) لعلهم ولاهم
يسكرون (قوله كقوله تعالى عربا والعين) أى منحيات إلى أزواجهن كما يأتي

الطَّرَفِ عَيْنٌ . كَانَهُنَّ يَبْضُ مَكُونٌ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَاتِلُ مَثَمٍ إِنَّ كَانَ لِي قَرِينٌ . يَقُولُ أَتَيْتُكَ لِمَنِ الْمَصْدَقُ . أَعَدَّ مَتَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَعَدَّ الْمَدِينُونَ . قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مَطْلُونُونَ . فَأُطْلِعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ . قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَدِّي . وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ . أَفَأَنْتُمْ بِمِثَّتَيْنِ ه

والعين : النجل الميون ، شبهن بعض التمام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسمين يضات الحدور (فإن قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاق عليهم والمعنى يشربون فيتجادون على الشراب كمادة الشرب قال وما بقيت من اللذات إلا . أحاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جرى به ماضياً على عادة الله في أخباره . قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدداً للصاد من التصديق وقيل نزلت في رجل تصديقاً بالله لوجه الله فاستجدي بعض إخوانه فقال وابن مالك قال تصدقت به ليموضي الله به في الآخرة خير أنه فقال أئتلك من المصدقين يوم الدين أو من التصديقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئاً (لمدنون) لمحزون من الدين وهو الجزاء والموسون . مريبون يقال دانه ساسه ومنه الحدوث : العاقل من دان نفسه (قال) يعني ذلك التماثل (هل أنتم مطلون) إلى التار لا ريك ذلك القرن قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل التار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن نطلموكم فاعلموا أن من لم يترك من منزلة أهل التار وقرئ مطلون فاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنسوب ومطلون فاطلع فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنسوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلون إلى القرن فاطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الإطلاع فاعترضوه فاطلم هو بعد ذلك وإن جعلت الإطلاع من أطلعه غيره فالعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعه وهو من آداب المجالسة أن لا يتبد بشيء دون جلساته فكأنهم مطلوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلون بكسر النون أراد مطلون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله :

• هم الفاعلون الخيرو الآخرون . أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتأخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر (في سواد الجحيم) في وسطها يقال تمسحت حتى اتقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (إن) مخففة من التثنية وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين التانية والإرادة الإهلاك وفي قراءة عبدالله لتفوين (نعمة ربى) هي العصمة والتوفيق في الاستمسك بمرور الإسلام والبرادة من قرن السوء أو إنعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك الذي عطف عليه الفاء محذوف معناه نحن غلظون منه مومون فأنحن بميتين ولا مدعين وقرئ بماتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف

• قوله تبارك وتعالى يطاق عليهم بكأس من معين إلى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (قال) فيه معناه يتساءلون فيتجادون على الشراب كمادة الشرب : وما بقيت من اللذات إلا . أحاديث الكرام على المدام • قوله تعالى هل أنتم مطلون (قال) فاطلع على صيغة المضارع المنسوب قال في موجب هذه القراءة فإن معناها أنه لا يستبد بأمر دونهم فشرط في اطلاعه اطلاعه وذلك من آداب المجالسة

(قوله النجل الميون) في الصحاح النجل بالتحريك كشف العين والرجل أنجل والعين نجل والنجم وفيه مدحى التامة موضع يضها وأدحها موضعها وهو أقول من دحوت لأنها تدحوه برجلها ثم يبيض فيه اه والأداحى جمعه (قوله كمادة الشرب قال وما بقيت) جمع شارب كالصاحب جمع صاحب كذا في الصحاح

إِلَّا مَوْتَهُ الْأَوَّلَى وَمَا عَنِ بَعْضِيْنَ ۚ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ لَمَثَلُ هَذَا قَلِيلٌ الْعَمَلُونَ ۚ أَوَّلُ
خَيْرٍ زَلَا أَمْ شَجَرَةُ الزُّوْمِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهَا قَتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ إِنَّمَا شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۚ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُفُوسُ
الشَّيْطَانِ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا كُفْرَ مِنْهَا فَالْأَوَّلُونَ مِنْهَا الْبَطُونُ ۚ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمٍّ ۚ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ

الكفار فإنهم فيما يمتنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ماثر من الموت قال الذي يمتنى فيه الموت . بقوله
المؤمن تمدنا بنعمة الله وأغباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تمذبا وليحبه الله فيكون لنا لطفًا
وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (إن هذا هو الفوز العظيم) أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه وقيل
هو من قول الله عز وجل "تقرأ لقولهم وتصديقا له وقرئ هو الرزق العظيم وهو مارزقوه من السعادة تمت قصة
المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم قال (أذلك) الرزق (خير زلا) أي خير حالا (أم شجرة الزقوم)
وأصل النزل التفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة
والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والقلم واتصاب زلا على التميز ولك أن تجمله حالا كما قول أئمة النحلة خير لهما
أم رطباً يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزله شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه زلا والنزل ما يقال
للتنازل بالمكان من الرزق ومنه إزال الجند لإزراقهم كما يقال لما يقام لما كن الدار السكن ومعنى الأول أن للرزق
المعلوم زلا ولشجر الزقوم زلا فأيهما خير زلا ومعلوم أنه لاخير في شجر الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى
إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لم ذلك توبيخا له سوء اختيارهم (قته للظالمين) محنة
وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا
وقرئ نابتة (في أصل الجحيم) قيل منبتا في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها و الطلع للنحلة فاستعير لما طلع
من شجرة الزقوم من حلها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه رؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح النظر
لأن الشيطان مكروه مستفح في طباع الناس لا عقادهم أنه شر محض لا يخطئه خير فيقولون في التيسع الصورة كأنه وجه
شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صورته المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يجدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه
خير محض لا شر فيه فذهبوا به الصورة المحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وهذا تشبيه تخيل وقيل
الشيطان حجة عرفاء لها صورة قبيحة المظهر هائلة جدا وقيل إن شجرة يقال له الآسن خشنا متنا مرا منكر الصورة
يسمى ثمره رؤس الشياطين وما منعت العرب هذا الثمر رؤس الشياطين إلا قصدوا إلى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية
بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به (منها) من الشجرة أي من طلعا (فالتلون) بطونهم لما يقلهم من الجوع الشديد أو
يقسرون على أكلها وإن كرموها ليكون بابا من المذاب فإذا شعروا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد
شوبه أي مزاجه (من حميم) يشوى وجوههم ويقطع أمعاهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجهم تسنم وقرئ
لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول تسمية بالمصدر (فإن قلت) ما منى حرف التراضي في قوله ثم إن لم عليها
لشوبا وفي قوله (ثم إن مرجعهم) (قلت) في الأول وجهان أحدهما أنهم يملئون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق
بطونهم ويبطشهم فلا يسقون إلا بعد ملئ تمذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو آخر وهو الشراب المشوب بالحميم
والثاني أنه ذكر الطعام تلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع لجاء بهم للدلالة على تراخي
حال الشراب عن حال الطعام وبأيته صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني أنهم يذهب بهم عن مقارمهم ومنازلم
في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى

(قوله ما يقال للتنازل بالمكان) لعله ما يقام كعبارة التسقي (قوله لما كن الدار السكن) في الصحاح السكن كل ما سكنت إليه

لِأَيِّ الْجَحِيمِ . إِنَّهُمْ أَقْبُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ . وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ .
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنفِمْ
الْمُجِيبُونَ . وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلْمًا عَلَى
نُوحٍ فِي الْمَصَلِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ . وَإِنْ مِنْ
شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ . إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ . أَتُنْفِكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ

درکاتهم ومعنی التراخی فی ذلك بین وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصیرهم ثم إن منقلبهم إلى الجحیم علل استحقاقهم
للقوع فی تلك الصدائد كلها بتقلید الآباء فی الدین واتباعهم إیامهم علی الضلال وترك اتباع الدلیل والإهرع الإسراع
الشديد کأهم یحئون حنا وقيل إسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضلّ قبلهم) قبل قومک قریش (منذرين) منذرین) أنباء حذروهم
العواقب (المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إلا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله
أو أخلصهم الله لدينه علی القراءتين . لما ذکر إرسال المنذرین فی الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرین أتبع ذلك ذکر
نوح ودعائه إياه حين آیس من قومه واللام الفاخقة علی نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره فوالله ثم المجيئون نعم . والجمع دلیل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة وأوصلها إلى
مراده وبغيت من نصرته علی أعدائه والإنتقام منهم ما یبلغ ما یکون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدم وقد فنى غیرهم
فقد روى أنه مات کل من كان معه فی السفينة غیر ولده أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة قال قتادة الناس
کلهم من ذرية نوح وكان لنوح علیه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ویاث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام
أبو السودان من المشرق إلى المغرب ویاث أبو النرک ویاجوج ومأجوج (وترکنا علیه فی الآخرین) من الأمم هذه
الکلمة وهی (سلام علی نوح) یعنی یسلمون علیه تسليما ویدعون له وهو من الکلام المحکم کقولک قرأت سورة
أنزلناها (فإن قلت) فما معنى قوله (فی المصلين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فیهم جميعا وأن لا یخلو أحد
منهم منها کأنه قيل ثبت الله التسليم علی نوح وأدامه فی الملائكة والثقلين یسلمون علیه عن آخرهم . هل مجازاة نوح
عليه السلام بتلك التکرمة السنة من بقیة ذکره وتسليم المصلين علیه إلى آخر الدهر بأنه کان محسناً ثم هل کونه محسناً
بأنه کان عبداً مؤمناً لربک جلالة عمل الإیمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظیم وبرکک فی تحصيله والازدياد
منه (من شيعته) عن شایعه علی أصول الدین وإن اختلفت شرائعهما أو شایعه علی التصلب فی دین الله ومصاربة
المکذبین ويجوز أن یکون بین شریعتهما اتفاق فی أكثر الأشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دینه وعلى
سنتهما کان بین نوح وإبراهيم إلا نیان هود وصالح وكان بین نوح وإبراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة . (فإن
قلت) بم تلقى الظرف (قلت) بما فی الشیعة من معنى المشایبة یعنی وإن من شایعه علی دینه وتقواه حين جاء ربه
بقلب سليم لإبراهيم أو محذوف وهو اذکر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشریک ولا معنى للتخصيص
لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فیناولها كلها (فإن قلت) ما معنى المجيء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه
أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرِب المجيء مثلا لذلك (إفکاکا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفکاکا
وإنما قدم المفعول علی الفعل للتمایة ورتب المفعول له علی المفعول به لأنه کان الأمم عنده أن یکافهم بأنهم علی إفک
وباطل فی شرکهم ويجوز أن یکون إفکاکا مفعولاً یعنی أتريدون به إفکاکا ثم فسر الإفکاک بقوله آلهة من دون الله علی أنها

تُرِيدُونَ . قَسَا ظَنُّكُمْ رَبَّ الْمَلَكِينَ . فَظَنَرُ ظَنَرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنْ سَقِيمٌ . قَتَلُوا عَنْهُ مَذْبِرِينَ . فَرَأَى
إِلَى أَعْيُنِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنْتَقِبُونَ . فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ . فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ . قَالَ
تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ . قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَقُوهُ فِي الْجَحِيمِ . فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا

إفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أنهم يدعون الله من دون الله أمكنين (فاظنكم) بمن هو الحق بالعبادة لأن
من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام والمعنى أنهم لا يقدر في يوم ولا ظن
ما يصد عن عبادته أو فاظنكم به أي شيء وهو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فاظنكم به ماذا يفعل
بكم وكيف يعاقبكم وقد عديمتم غيره (في النجوم) في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل
عن مشتهاه فقال حبيب أنظر إليه وبحاج أنظر له وكتاب أنظر فيه ، كان القوم نجميين فأومهم أنه استدل بأمره في علم
النجوم على أنه يسقم (فقال إني سقيم) إني مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون
العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عديم وتركوه في بيت الأصنام ليس منه أحد فضل بالأصنام مافضل (فإن قلت)
كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين
المنخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرّض وورّى والذي ناله إبراهيم عليه السلام معراض
من الكلام ولقد نوى به أن ينفي عنقه الموت سقيم ومنه المثل كنى بالسلامة داء وقل ليد
يعتد ربي بالسلامة جاهدا . ليصحب فإذا السلامة داء

وقد مات رجل لحاة فالتفت عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعراي أصبح من الموت في عنقه وقيل أراد :
إني سقيم النفس لكفركم (فراغ إلى الهتهم) فذهب إليهم خفية من روعة التلب ، إلى الهتهم : إلى أصنامهم : التي
هي في زعمهم الهة كقوله تعالى أن شر كافي (ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون) استهزاء بها وبإحاطتها عن حال
عديتها (فراغ عليهم) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضرهم (ضربا) لأن راغ عليهم بمعنى ضرهم أو فراغ عليهم
يضرهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وصفقا ومعناها الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا
شديدا قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّها وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لا كيدن
أصنامكم (يزفون) يسرعون من زيف التعام ويزفون من أذف إذا دخل في الزيف أو من أزه إذا حمله على الزيف
أي يرفّ بعضهم بعضا ويزفون على البناء للفعول أي يحملون على الزيف ويزفون من وزف يرف إذا أسرع
ويزفون من زفاه إذا حساه كأن بعضهم يرفو بعضا لتسارعهم إليه (فإن قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل
هذا بأفتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا قتي يذكرم . يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر هنا أنهم أدبروا عنه
خيفة العدوى فلما أبصروه يكسروهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفروه ويقفوه به وذكر ثم إنهم سألوا عن الكاسر حتى
قبل لم سمعنا إبراهيم يذمهم فلهذه هو الكاسر ففي أحدهما أنهم شاهدهوه يكسروها وفي الآخر أنهم استدلوا بدمته على أنه
الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نقرأ منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع
الجمهور والعلية من عديم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتترك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا
من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينه عليه أولئك التفرغمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض يقول
سمعنا قتي يذكرم لبعض الصوارف والثاني أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون إقبالهم إليه يرفون بد
رجوعهم من عديم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس (واته خلقكم وما تعملون) يعني خلقكم

(قوله من زفاه إذا حساه) أي ساقه أفاذه الصالح (قوله فلما رجع الجمهور والعلية) أي العظاء

وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذي ظن من أى قطر الأصنام (فإن قلت) كيف يكون الشيء الواحد مخلوقه معمولا لم حيث أوقع خلقه وعلمهم عليها جيباً (قلت) هذا كما يقال عمل التجار الباب والكرسى وعمل الصانع السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال غفالى جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحمتهم وحذهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه (فإن قلت) فما أنكرت أن تكون ماصدرة لاموصولة ويكون المني واه خلقكم وعلمكم كما تقول المجبرة (قلت) أقرب ما يطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية بإياه إياه جليا وينبوعه نواظراً وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد المعبود جميعاً خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورته المعبود وشكله لا ما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت واه خلقكم وخلق علمكم لم يكن محتجا عليهم ولا أن لكلامك طباق وشئ آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجع عن قوله ما تحتون وما فى ما تحتون موصولة لا مقال فيها فلا يبدل بها عن اختيارها لا المتصف من مصيب لثبته من غير نظرى علم اليان ولا تبصر لنظر القرآن (فإن قلت) أجمعها موصولة حتى لا يلزم ما الرصو أن يدوم ما تعملونه من أعمالكم (قلت) بل الإلزام أن في عنقك لا يمكنها إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك فى إرادتك بها العمل غير محتج على المشرى كالكاف وقد جعلتها ماصدرة وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة

قوله تعالى واه خلقكم وما تعملون (قال) فيه يعنى خلقكم وما تعملون من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذى ظن من أى قطر الذى الواحد مخلوقه تعالى معمولا لم هـ وأجاب بأن هذا كما يقال عمل التجار الباب فالمراد عمل شكله لاجوره وكذلك الأصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها صورها معمولة لم هـ فإن قلت ما منكم أن تكون ماصدرة لاموصولة ويكون المني واه خلقكم وعلمكم كما يقول المجبرة هـ وأجاب بأن أقرب ما يطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية بإياه فإن الله تعالى احتج عليهم بأنه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود هـ قال ولو قلت والله خلقكم وعلمكم لم يكن لكلام طباق وشئ آخر وهو أن قوله ما تعملون شرحة فى قوله أعبدون ما تحتون ولا مقال فى أن ما هذه موصولة فالفرقة بينهما تسف وتقص هـ قال فإن قلت أجمعها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم وحيث توافق الأولى فى أنها موصولة فلا يلزمى التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الإلزام أن فى عنقك لا يمكنها إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فهي واقعة عندك على المصدر الذى هو جوهر العلم وفى ذلك فك للظن وتبين كما لو جعلتها ماصدرة أه كلامه (قلت) إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فتقول يتبين حملها على المصدرة وذلك أنهم لم يبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم تعاونوا فى تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر فدل أنهم إنما يعبودونها باعتبار أشكالها صورها التى أثار عملهم فى الحقيقة أنهم عبدوا علمهم وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله مع أن المعبود كسب العابد وعمله قد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ماصدرة أوضح قيام وأبلىه فإذا أثبت ذلك فليتبع كلامه بالإبطال أما قوله أنها موصولة وأن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فخالف الظاهر فإنه مفترى إلى حذف مضاف فى موضع اليأس يكون تقديره واه خلقكم وما تعملون

(قوله فإن قلت فما أنكرت) لعله لم أنكرت (قوله كما تقول المجبرة) يد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لا خلق إلا الله فهو الخالق لعمل المعبود المعزلة يقولون إن العبد هو الخالق لعمل نفسه فجعلوا العبد شريكا لله فى الخلقية مع أنهم سمو أنفسهم أهل العدل والترحى قالوا لو كان الله هو الخالق لعمل العبد لكان تعذيبه لعبد على المعاصى ظلماً لا عدلاً قال أهل السنة يعذبه عليها كما يثيبه على الطاعة لما فيه من الكسب والاختيار فلا ظلم لكن المعتزلة لم ينظروا فى التوحيد تمام النظر ولم يقصروا فى أدلة تمام التبصر (قوله وخلق علمكم لم يكن محتجا عليهم) يكتفى فى الاحتجاج أن الله هو الخالق ولم يعلمها وأعمالهم من الأصنام وغيرها والأصنام لا تخلق شيئاً بل الأفراد بالخلقية أدل على الانفراد بالإلهية

فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ۖ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ۖ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَلَمٍ حَلَمٍ ۚ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَصَابِتْ أَقْبِلْ مَا تَكْمُرُ

بين ما تعملون وما تحتون حيث تخالعين المراتين بما تريد بما تحتون الأيمان التي هي الأصنام وما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبينه كما إذا جعلها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة القود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم ۖ والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأظلم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمة ما ألقمهم به الحجر وتهمهم قالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه ۖ أراد بذهابها إلى ربها مهاجرة إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال في مهاجره للمربي (سيدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوقني قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيدين كأن الله وعده وقاله ساعدك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتقويضه أمره إلى الله ولقد صدق الرءاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام هسي ربي أن يهديني سواء السبيل (هسي) من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الحبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الآخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نيا قال عز وجل ووهبنا له إسماعيل ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال عز علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين مناه بولده علي بن أبي الأملك شكرت الوهاب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب ۖ وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أو أن الحلم وأنه يكون حلما وأي حلم أعظم من حله حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نمت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نمتهم بالحلم وذلك لعمدة وجوده ولقد نمت الله إبراهيم في قوله إن إبراهيم أقره حلمه إن إبراهيم لحليم أقره منيب لأن الحادثة شهدت بحلمها جميعا ۖ فلما بلغ أن يسى مع أبيه في أشغاله وحوائجه (فإن قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يتعلّق إلا أن يتعلّق ببلوغ أبيه أو بمجنون فلا يصح لعلّه يبلغ لاقتضائه بلوغهما معاهد السبي ولا بالسي لأن صلة المصدر لا تنضم عليه في أن يكون يانا كأنه لما قال فلما بلغ السبي أي الحد الذي يقدر فيه على السبي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره وربما عطف به في الاستسما فلا يحتمل لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشر سنة والمراد أنه على غضاضة سنة وتقبل في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحه الصدر ما جسر على احتلال

شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتر إلى حذف البتة ثم إذا جعل المعبود نفس الجواهر فكيف يطابق توجيههم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم فاهو من عملهم وهو الشكل ليس بمعبود ألم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقله قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قرره تضع وأما قوله إن المطابقة تنك على تأويل أهل السنة يما تحتون وما يعملون فتير صحيح فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما جعلوا تحتهم لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل التحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها التحت عبدوها في الحقيقة ما عبدوا سوى تحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة إذا حاصلة والإزام على هذا البلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافئ لقوله والله خلقكم وما تعملون بأن يقولوا لا ولا كرامة ولا يخلق الله ما نعمل نحن لأننا إنما عملنا التشكيل والصوير وهذا لم يخلق الله وكانوا يجدون الذريعة إلى إقحام الحجة ويأتي الله إلا أن تكون لنا الحجة البالغة ولم الأكاذيب الفارغة فهذا الإزام بل إلجام لمن خالف السنة وغلّ بعنفه وعثر بكفنه وضرب على يده حتى يرجع إلى الحق آيا ويرترف بخطئه تأتيا

سَجَدْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۖ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلجَيْنِ ۖ وَنَدِينَهُ أَنْ يَأْبِرَهُمْ ۖ قَدْ صَدَقَ الرَّبُّ بِمَا
إِنَّا كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۖ وَنَدِينَهُ بِذِيحِ عَظِيمٍ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۚ

تلك الليلة العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتى في المنام فقيل له ادع ابنك ورويا الأنبياء وحى كالوحى في
البقعة فلما قال (إني أرى في المنام أتى أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول المتصن وقد رأى أنه راكب في سفينة
رأبت في المنام أتى ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التوبة كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذيح فلما أصبح
رؤى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سعى يوم التوبة فلما أسمى رأى مثل ذلك
ففرق أنه من الله فمن ثم سعى يوم عرفة ثم رأى مثل تلك الليلة الثالثة فهم بنحوه فسمى اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة
بشرته بسلام حلیم قال هو إذن ذبيح الله فلما لم يبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذر (قافظ ما تاترى) من الرأى على
وجه المشاورة وقرئ ما تاترى أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وما تاترى على البناء للفعول أى ما تاتريك نفسك من الرأى
(افعل ما تاترى) أى ما تاتر به لحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأمر على إضافة المصدر إلى المفعول
وتسمية المأمور به أمراً وقرئ ما تاتر به (فإن قلت) لم شاوره فى أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع إلى رأيه
ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله قبلت قدمه ويصبره إن جزع وأمن عليه الزلل إن صبر وسلم ولعله
حتى يرجع نفسه فيوطئها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله
ولأن المخافة بالذبح مما يستسمح ويكون سنة في المشاورة فتدقيل لوشاور آدم الملائكة فى أكله من الشجرة لما فرط
منه ذلك (فإن قلت) لم كان ذلك بالنام دون البقعة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام بمجرد أبويه وإخوته له في المنام
من غير وحى إلى أبيه وكأوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء
وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق
كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما ۚ يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعاً إذا اقتادله
وخضع وأسلمها من قولك سلم هذا فلان إذا خضع له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلمه متقولان منه
وحقيقة معناهما أخلص نفسه له وجعلها سالة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له وعن قتادة فى أسلم أسلم
هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد
ليرضيا الرحمن ويغزى الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التي بنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى
وهو الضحكة في المنحر الذي ينحرفه اليوم (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلموا تله للجبين
(وناديه أن يأبرهم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وارتباطهما
ومحدهما وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بمدحوله وما اكتسب في تضاعيفه تطوينا النفس عليه من
التواب والأعراض ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب وقوله (إننا كذلك نحزى المحسنين) لتليل لتحويل ما خولها
من الفرج بعد الشدة والظفر بالنية بدالبأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة
البيئة الصعبة التى لا حنة أصعب منها ۚ الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الكعبش الذى قرب به هابل قبل
منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به إسماعيل وعن الحسن فدى بوعلى أميط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة
لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الأصاحي وقوله عليه السلام استقرقوا أخبايا كملأها

(قوله وقرئ ما تاترى) لعله بضم التاء وكسر الراء من أراه يراه فليحرق (قوله المغاضة) فى الصحاح غاضت الرجل
أى أخذته على غرة (قوله تواضعا على مباشرة الأمر) أى توفقا (قوله يرحل) فى الصحاح الوعل الأروى اه ويقال ليس الجبل

على الصراط مطا يا كم وقيل لانه وقع قدها عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام هذا الجرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فقيت سنة في الزمى وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله اكبر والله المحدث سنة وحكى في قصة الذبيح أنه حين اراد ذبحه وقال يا بني خذ الحبل والمذبة وانطلق بنا إلى الشعب نختب فلو ان سوطا شرب نثيرا أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطي لأضارب واكفف عن ثيابك لا يتضح عليها شيء من دمي فينص أجرى وراه أى فعرض واخذ شفرته وكأسه وأسرع إسراراه على حتى نجح على ليكون أهون فإن الموت شديد وقرأ على أى سلاى وإن آيت أن نرد قضيى على أى فاضل فإنه عسى أن يكون أسهل لما فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمراة ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لأن الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كنى على وجهي فإنه إذا نظرت وجهي رحمتي وأدر كنت رقة تعمل بينك وبين أمراة فعل ثم وضع السكين على قدها فاقبل السكين ونودي بالابراهيم قد صدقت الرؤيا فظفر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش والابراهيم وابنه وأقوا المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج وقد استشهدا بو حنيفة رحمة الله الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزم ذبح شاة (فإن قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فمن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين أنه إسماعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين تبسم فسل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حضر يتر زمزم نذره لئن سهل الله أمره لأذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فتمه أخواله وقالوا له أقديناك بمائة من الإبل فدها بمائة من الإبل والثاني لإسماعيل وهن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بنى إسرائيل يقول إذا دعا اللهم إله ابراهيم وإسماعيل وإسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب المجتهد بنى إسرائيل إذا دعا قال اللهم إله ابراهيم وإسماعيل وإسرائيل وأنا بين أظهرهم فقد أسمعني كلامك واصطفتني برسالك قال يا موسى لم ينجني أحد حب ابراهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط إلا اختارني وأما إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه وأما إسرائيل فإنه لم يأس من روصي في شدة نزلت به قط يدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه بإسحاق نيا وهن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو إسماعيل فقال عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه وإنى لأراه كما قلت ثم أرسل إلى يهودي قد أسلم فسأله فقال اليهودي تعلم أن إسماعيل ولكنهم يمسحونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرى الكشيث كانا متوطنين في الكعبة في أيدي بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت وعن الأصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي ابن عزب عنك عقلك ومضى كان إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله وإسماعيل واليسع وهذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله إنه كان صادق الوعد لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوق به ولأن الله بشره بإسحاق وولده يعقوب في قوله فضحكك فبشرناهما بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب فلو كان الذبيح إسحق لكان خلفا للوعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أن إسحق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر من خليفه ابراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوبه ولما ثم أتبع ذلك البشارة بسلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فإن قلت) قد أوحى إلى ابراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدها لو صح منه الذبح وبصح

ه قوله تعالى قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هنا لمو البلاء المبين وقديناه بذبح عظيم (قال) فيه فإن قلت قد أوحى إلى ابراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدها لو صح منه الذبح ولم يصح ه فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما بفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه ولكن الله

سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ • كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ •

(قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفضل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطعيا ومجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو أن الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فإن قلت) الله تعالى هو المقتضى منه لأنه الأمر بالذبح فكيف يكون قاديا حتى قال وقديناه (قلت) القادى هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام وانه عز وجل وهب له الكيش ليفدى به وإنما قال وقديناه إسناده للفداء إلى السبب الذى هو الممكن من الفداء بهته (فإن قلت) فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو التخليص من الذبح يبدل (قلت) قد علم منع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فرى الأوداج وإنهار الدم فوهب الله له الكيش لقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل ولكن في نفس الكيش بدلا منه (فإن قلت) فأى فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه قبله حتى يكمل منه الوفاء بالنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه • (فإن قلت) لم قبل ههنا (كذلك) نجزى المحسنين وفى غيرها من النقص إنا كذلك (قلت) قد سبقه في هذه القصة إنا كذلك فكأنما استغنى بطرحه اكتشافه بذكره مرة من ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فإن قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول ، والخلود غير موجود معها فقدترى مقدرين الخلود فكان مستقيا وليس كذلك المبشر به فإنه مضموم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لأن الحال حلية وأهلية لا تقوم إلا بالتحلى وهذا المبشر به الذى هو إسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وإن لم يكن صفته عند دخول الجنة فتقديرها صفته لأن المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فإنه لا سبيل

سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطعيا ومجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو أن الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه انتهى كلامه (قلت) كل ما ذكره ددنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل لجاز رفضه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لامتداده ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل أفضل ما تقرر ونسخ قبل التمكن بدليل العول إلى الفداء فمن ثم تحوم الزعمشوى على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه وإنما امتنع بأمر من الله تعالى ورضه بذلك أحد أمرين إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقتضات الذبح وقد حصلت لابن الذبح أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الأمرين لا يخلصه آثار قوله أمر بمقتضات الذبح فبالباطل بقوله إلى أن أذبحك وقوله أفضل ما تقرر وأما قوله لم يتمكن لأن الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح لخاصه أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ إذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم خلاص لما بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يتعم وهو باطل لا ثبوت له وسياق الآية يخل دعواه ويقل ثبائه

(قوله عند دخول الجنة فتقديرها صفته) لعله فتديره

وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا حَسَنٌ وَظَلَمَ لِنَفْسِهِ مِيقَةً ۖ وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَبَجَيْنَهُمَا
وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُوا أُمَّ الْغَلِيينَ ۖ وَأَعَاتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَهَدَيْنَهُمَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ
لَهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ
أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۖ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ

إلى أن تكون موجودة أو مفقودة وقت وجود البشارة بإسحق لادم إسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك
والذي يحل الإشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود إسحق نيا أي بأن يوجد مقدرة
نبوته فالمعامل في الحال الوجود لأفضل البشارة وبذلك يرجع نظيره قوله تعالى فأدخلوها خالدين (من الصالحين) حال
ثانية ورودها على سبيل الثناء والتعظيم لأن كل نبى لابد أن يكون من الصالحين وهن قادة بشره الله بنبوة إسحق بعد
ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول النذبح إسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه بإسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره
الله بولده ونبوتهما لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نيا (وباركننا عليه وعلى إسحق) وقرئ وباركننا
أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقولنا آتينا أجره في الدنيا وإن في الآخرة من الصالحين وقيل باركننا على إبراهيم
في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذنبني قال لا يزال
عهدي الظالمين وفيه تنبيه على أن الحب والطيب لا يجري أمرهما على العرق والنصر فقد بدد البر الفاجر والفاجر البر
وهذا ما يهدم أمر الطبايع والناصر وعلى أن الظلم في أهقاهما لم يعد عليهما يعيب ولا ينقصه وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله
ويعاتب على ما جرت به عادته لا على ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من الفرق أو من سلطان فرعون وقوم غشهم
(ونصرناهم) الضمير لهم وقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب المستقيم) المبلغ في يانه وهو التوراة كما قالوا إنا أنزلنا
التوراة فيها هدى ونوره وقال من جواز أن تكون التوراة عربية أن تشق من وري الزند فوعده على أن التاء مبدلة
من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المنضوب عليهم والاضالين ۖ
قرئ إلياس بكسر الميمزة والياس على اللفظ الوصل وقيل هو إدريس التي وقرأ ابن مسعود وأن إدريس في موضع إلياس
وقرئ إدريس وقيل هو إلياس بن ياسين من نولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتبدون بعلا وهو لم يصنم كان ثم كناه
وهل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتوا به عظموه حتى أخدموه أربعة أربعة أربعة أربعة أربعة
فكان الشيطان يدخل في جوف بل ويتكلم بشرية الضلالة والسدة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد
الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلفظة اليون يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتبدون بعض البيول
وتزكون عبادة الله (الله بكسرة وباء) قرئ بالرفع على الابتداء بالنصب على البدل وكان حزة إذا وصل نصب وإذا وقف
رفع ۖ وقرئ على الياسين وإدريس وإدريس وإدريس على أنها لثلاث في إلياس وإدريس ولعل زيادة الياسين في السريانية
معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم الخيرون والمهلون (فإن قلت) فهل حكمت على
هذا الياسين على القطع وأخواته (قلت) لو كان جمعا لعرف بالآلف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فلي أن ياسين

(قوله وغشهم) في الصحاح التشم الظلم (قوله أن تشق من وري الزند) لعله يجوز أن تشق

وَأَنَّ لَوْطًا مِّنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ جَمَعْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ وَنَاكَحَ الْمُتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ وَبَالٍ أَقْبِلًا تَتَقُولُونَ وَإِنَّ يُونُسَ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَامَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَاتَّقَمِ الْحَوْتَ وَهُوَ مَلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَنُفِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْثَيْنَا عَلَيْهِ خَمْرًا مِّنْ يَّقُطِنُ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَكَانُوا قِسْمَتِيهِمْ إِلَى حِينٍ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبْكَ الْبَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنَّا وَمِ

اسم أبي الياس أخيف إليه الآل (مصباح) داخلين في الصباح يعني تمزجون على منازلهم في منازلهم إلى الشام بلانهاراً فما فيكم عقول تعتبرون بها قرئ يونس يعض الثون وكسرهما وسمى هربه من قومه بغير إذن ربه بإفاعة طريقة المجاز والمسامحة المقارعة ويقال استهم القوم إذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق من مقام الظفر والغلبة روى أنه حين ركب في السفينة وقت قالوا هنا عبد أبي من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تبحر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فاتقمه الحوت وهو ملهم) داخل في الملازمة يقال رب لا تم ملهم أي يلوم غيره وهو أحق منه بالوم وقرئ ملهم بفتح الميم من لم فهو ملهم كما جاء مشيب في مشوب مبيأ على شيب ونحوه مدعى بناء على دعى (من المسبحين) من الغاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتفديس وقيل هو قوله في بطن الحوت إلا أنه أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعز ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرعاء قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكاً وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وأقبله على عبادته وجمع همه لتقيد نعمته بالشكر في وقت المهلة والنسبة لينفذه ذلك عنده تعالى في المنايا والقدائد (لبيك في بطنه) الظاهر لبيك فيه حياً إلى يوم البعث وعن قتادة لبطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت: إني جعلت بطنك له ميماً ولم أجعله لك طعاماً واختلف في مقدار لبيك فمن الكلي أربعون يوماً وعن الضحاك عشرون يوماً وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي انتم فيه وروى أن الحوت سار مع السفينة وأفاض رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالماً لم يغيره من شيء فأسلوا وروى أن الحوت قد فزع بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغليه (وهو سقيم) احتل بساحل بهو روى أنه عابدينه كبدن الصبي حين يولد والبطيخ كل ما يسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة الباطيخ والقتاء والحنظل وهو يفعل من فعل المكان إذا أقام به وقيل هو الدباء فائدة الدباء أن الدباب لا يجتمع عنده وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغني بورقها واستظل بأغصانها وأطرد على تجارتها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تحنط إليه فيهرب من لبنا وروى أنه مر زمان على الشجرة فيست فبكي جزعاً فأوحى الله إليه بكيت على شجر فقولاً بكيت على مائة ألف فيبد الكافر (فإن قلت) ماضياً وأنت عليه شجرة (قلت) أنت ما فوقه مظلة كما يطب البيت على الإنسان (وأرسلناه إلى مائة ألف) المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال نال بعد ما جرى عليه إلى الأولين وإلى غيرهم وقيل أسلوا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقياً فيهم وقال لم إن الله باعك إليكم نبياً (أو يزيدون) في مرأى الناظر أي إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والترض الوصف

(قوله وكانت وعلة) يقال هي شاة جبلية

شَهِدُونَ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۚ وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكُذُوبٌ ۚ أَصْطَقَ الْبَنَاتُ عَلَى الْبَيْنِ ۚ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۚ فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا ۚ وَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمَحْضُرُونَ ۚ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۚ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۚ فَإِنَّكُمْ

بالكثرة (إلى حين) إلى أجل مسمى قرئ وي زيدون بالواو وحتى حين (فاستستم) معطوف على مثله في أول السورة وإن تابعت بينهما المسافة أمر رسوله باستنفاد قرئش عن وجه إنكار البعث أولاً ثم ساق الكلام موصلاً لبعضه ببعض ثم أمره باستفائهم من وجه القسمة الضري التي قسموها حيث جعلوا هذه الإناث ولا قسمهم المذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لمن ووأدهم واستنكاههم من ذكرهن ولقد ارتكبا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدهما التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجناس والثاني تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضاع الجفسيه له وأرضعها لهم كما قاله وذابشر أحدهم بما ضرب للرحن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ۚ أو من يشأن الحليوه في الحفصام غير مبين هو الثالث أنهم استهوا بأكرم خلق الله عليه وأقرهم إليه حيث أثوم ولوقيل لأظهم وأدانهم فيك أنوة أو شكك شكل النساء ليس لقائه جلد الفرو ولا تقلبت حاليقه وذلك في أمأجهب بين مكشوف فكزراه سبحانه الأنواع كلها في كتابه مزارت ودل على فظاعها في آياته وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ۚ لقد جئتم شيئاً إذاً تكاد السموات يتفطرن منه ۚ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ۚ وقالوا اتخذوا ولداً سبحانه بل لمأ في السموات والارض ۚ وبيدع السموات والارض أن يكون له ولده ۚ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولداً لله ۚ وجعلوا لمن عباده جزءاً ۚ ويحفلون به البنات سبحانه ولم يمشهون ۚ أم له البنات ولكم البنون ۚ ويحفلون لله ما يكرهون ۚ أصطقي البنات على البين ۚ أم اتخذنا مخلق بنات وأصفاً كالبين ۚ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ۚ (أم خلقنا الملائكة إناثاً هم شاهدون) (فإن قلت) لم قالهم شاهدون لخص علم المشاهدة (قلت) ما هو إلا استزاههم ونجھيل وكذلك قوله ۚ أشهدوا خلقهم ۚ ونحو قوله ۚ ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ۚ وذلك أنهم كالم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله عليه في قلوبهم ولا بإخبار صادق لا بطريق استدلال ونظروهم جرداً أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالتقال قولاً عن نبيج صدور طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم ۚ وقرئ ولداً أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى (فإن قلت) (أصطقي البنات) بفتح الهززة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف سمعت قراءة أبي جعفر بكسر الهززة على الإثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم ولده الله وقد قرأها جزة والأعشى رضى الله عنهما وهذه القراءة وإن كان هذا عملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الإنكار قد كتف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله ولهم لكدوبون (مالك كيف تحكمون) فن جعلها للإثبات قدأوقها دخلة بين نسيين ۚ وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أي حجة نزل عليكم من السماء وخبر أن الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابكم) الذي أنزل عليكم في ذلك كقوله تعالى ۚ أنزلنا عليهم سلطاناً فاهو يتكلم بما كانوا به يشركون ۚ وهذه الآيات صادرة من محط عظيم وإنكار قطع واستبعاد لا قلوبهم شديد وما الأساليب التي وردت عليها لإلا ناطقة بنفسه أحلام قرئش وتجميل نفوسها واستركاء عقولها مع استزاه وتكميم تصجب من أن يتخطر خطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفساً أضلأن يحمله معتقداً وظاهريه مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نبا) وهو زعيمهم أنهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة لهو للملائكة (فإن قلت) لمسى الملائكة جنه (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من حيث من الجن ومرد وكان شرأكله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً له فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وإيماد ذكرهم بهذا الاسم وضما منهم وتقصير أبعهم وإن كانوا مستظلين في أنفسهم أن يبلغوا

(قوله ولا تقلبت حاليقه) في الصحاح حلاق العين ياطن أضافها الذي يسوده الكحل اه

وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٌ الْجَحِيمِ . وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ . وَإِنَّا نَحْنُ
الْصَّافُونَ . وَإِنَّا نَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ . وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ . لَوِ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ

منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب
من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقره فيقول لك أنسوى بيني وبين عبدى وإذا ذكره
في غير هذا المقام قرره وكناه . والضمير في (إنهم محضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقدمهم للملائكة
أنهم في ذلك كاذبون مقفرون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين
ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله الشيطان أخوان وعن الحسن أشركوا الجن
في طاعة الله ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في (إنهم محضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار
ويعذبهم ولو كانوا مسبيين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم (العباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه
ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه يجوز أن يقع الاستثناء من الواو فيصفون أى يصفه
هؤلاء بذلك ولكن المخلصون يرأى من أن يصفوه به . والضمير في (عليه) لله عز وجل ومعناه فإنكم معبودكم ما أنتم بهم جميعاً
بفاتين على الله (الاحباب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فإن قلت) كيف يقتضونهم على الله
(قلت) يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليم وخيها عليه .
ويجوز أن يكون الواو في وما تعبسون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيمته فسكا جاز السكوت على كل رجل وضيمته
وأن كل رجل وضيمته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبسون لأن قوله وما تعبسون ساذ مسد أخير لأن معناه فإنكم
مع ما تعبسون والمعنى فإنكم مع الله فكأنكم قرئناهم وأصحابهم لا يبرحون تعبسون ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبسون
(بفاتين) يعاتبين أو حاملين على طريق التثنية والإضلال (إلا من هو) ضال مثلك أو يكون في أسلوب قوله

فإنك والكتاب إلى على . كدابة وقد حلم الأديم

وقرأ الحسن صال الجميع بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوهُ لائقاء الساكنين هي ولام
التعريف (فإن قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو . قلت من موحد اللفظ بجمع المعنى لحمل هو على لفظه والصالون
على معناه كما حل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون أصله صائل على القلب
ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الإعراب على حته كما حذف
من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كفاية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنة دان وله الحوار
المفصّل يجره الإعراب على العين (وامنا) أحد (إلا له مقام معلوم) لحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه
كقوله ه أنا ابن جلا وطلاح التثنية . بكنى كان من رأى البشر . مقام معلوم مقام المبادء والانتباه إلى أمر الله مقصور
عليه لا يتجاوز كما روى فقههم رابع لا يقيم حبله وساجد لا يرفع رأسه (نحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة
أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما تؤمر وقبل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للؤمنين وقبل إن المسلمين إنما اصطفوا
في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المزمعون
أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحانه الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتمل بدكرهم في قوله
ولقد علت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مقفرون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان
الله فزهمه عن ذلك واستنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآهكم لا تقدرون
أن تفتنوا على أحد من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم بمن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول

(قوله بكنى كان من رأى البشر) لله وقوله بكنى الخ

الْمُخْلِصِينَ . فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ . وَقَوْلُ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُصِرُونَ . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ .

الظالمون علواً كبيراً . إنهم من أهل النار وكيف تكون مناسين لرب العزة وبجعتنا وإياه جنسية واحداً منّا نحن للإعبد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفراً خشوعاً لعظمته وتواضعاً لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنتنا مذعنين خاضعين ساجدين ومجدين وكما يجب على العباد لهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن ينصرك ربك مقاماً محموداً ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه بما يضيف إليه من لا يفرقه عما لا يجوز عليه . هم مشرك قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكراً) أى كتاباً (من) كتب (الآذنين) الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبوا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا لجامهم الذكر الذى هو سيد الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلجامهم نذير ما زادهم إلا نفوراً أنسوف يعلمون مغية تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام . وإن هي الخففة من الثقل في اللام هي الفارقة وذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكمن بين أول أمرهم أخره . الكلمة قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدة لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة . وقرئ كلما تناول المراد الموعد بعلومه على عدوم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلومهم في الآخرة كما قالوا والذين اتقوا فوهم يوم القيامة ولا يلزم انهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولم يعدم في العاقبة وكفى عشاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلاً بحسن عليها وعبراً . يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلبني في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم والغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة . وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على قضيتين سبقت معنى حقت (قول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذام (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي إلى يوم بدر وقيل الموت وقيل إلى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يصرونك وما يقضى لك من النصر والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعدة الدلالة على أنها كاتمة واقعة لا محالة وأن كينيتها قريبة كأنها قدام ناظر يك وفي ذلك تسلية له وتفيس عنه وقوله (فسوف يصرون) للوعيد كما سلف لا لتبديد . مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأذكروه بجيش أنذر هجومه قومه بعض نصائحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخفوا أهبتهم ولا دبوا أمرهم تديراً ينجم حتى أنابهم بفنائهم بنته فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاورهم أن ينعينوا صباحاً فسميت الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحبس بها ويروق موردها على نفسك وطبعك إلا ليجبها على طريقة التثليل . وقرأ ابن مسعود فبس صباح . وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجور كقولك ذهب يزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس

(قوله لا لتقديره وإرادته تعالى) مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يقدر الشر ولا يريده وقال أهل السنة إن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره كما بين في التوحيد (وقوله وكما يجب على العباد ربهم) لعله كما يجب كبرارة النفس (قوله ولا يلزم انهم) أى لا يرد تقضا للقلبة والنصر (قوله وأغض على أذام) في الصباح الإغضاء إدناء الجفون (قوله ونزل على ونزل العذاب) لعله على نزل العذاب فيكون بياناً لقراءة نزل بالتشديد مبنياً للفعول

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْتَدِينَ . وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَابْصُرْ فَسَوْفَ يَصِيرُونَ . سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

سورة ص مكية

وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

من أنذروا لأن ساء يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا غارجين إلى مزارعهم ومعهن المساحي قالوا محمد والحسين ورجعوا إلى حننهم فقال علي الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . وإنما أتى (وتول عنهم) ليكون تسلياً على تسليته وتأكيذاً لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقيد بالمفعول وأنه يصبر وهم يصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالأخر عذاب الآخرة . أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه مامن هزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها كقولهم تعالى نزع من نساء . واشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم غنمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قبض لهم من حسن العواقب والفرص تعلم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يظنوا به ولا يفتلوا عن مضمات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأولي من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين

(سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح واللقاء الساكنين ويجوز أن يتصحب بحذف حرف القسم وإيصال فله كقولهم الله لأفعلن كذا بالنصب أو بإظهار حرف القسم والفتح في موضع الجز كقولهم الله لأفعلن بالجز وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجز والتورين على تأويل الكتاب والتزويل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الإمكان الحالية من الأجسام الصلبة ومعناه ما عارض القرآن بعملك فاعل بأوامره وأتته عن نواهي (فإن قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فإوجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبية على الإيجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم بحرف الجواب لدلالة التحدى عليه كما قال والقرآن ذى الذكر أنه لكلام معجز والثاني أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه

قِيلَ لَهُمْ مَنْ قَرَنَ فِتَادُوا وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ ۚ وَيَعْبُورُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ

السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم واقهره بهذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في هزة واستكبار من الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جازلك أن تريد بالقرآن التanzil كله وأن تريد السورة بينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وإنه ذكر لك ولقولك أو الذكري والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتذكير في عزوق شقاق للدلالة على شدتها وتفاقمها وقرئ في غزة أي في غلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكتنا) وعيد لنوى العزة والشفاق (فتادوا) فدهوا واستنأوا وعن الحسن فتادوا بالتوبة (ولات) هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحياء ولم يرد إلا أحد مقتضيها إنما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزها جميعا وهذا مذهب الجليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا تأنى للجنس زيدت عليها التاء ونحست بنى الأحياء و (حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي لا يرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كأنهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصل لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زيد الطائي طلبوا صلحنا ولات أوان ۚ فأجبا أن لات حين بقاء

(فإن قلت) ما وجه الكسر في أوان (قلت) شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح فإنه زمان قطع منه المضاف إليه وعرض التورين لأن الأصل ولات أوان صلح (فإن قلت) فاقول في حين مناص والمضاف إليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل توريته عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا إلى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء بغير (فإن قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستنباده بأن التاء ملزمة بحين في الإلام لا متشبدة به فكيف وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناس والمنا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا قامته واستأنص طلب المناس قال حارثة بن بدر: غمر الجراء إذا قصرت هئانه ۚ يدي استأنص ورام جرى المسحل (منذرهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا إظهار الغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يمسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر أنهم يمكن في التي الذين قالهم أولئك هم الكافرون حقوا ولم ترى كفرا أعظم جهلا يبلغ من أن يسبوا من صدقه الله بوجه كاذبا وينعجوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا ينعجوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته ۚ روي أن إسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قرش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم مشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد فعلت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وبنائك لتقتضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا أرفضنا وارفضن ذكر آلهتنا وتدعك وإليك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتهم أعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشر أي نعطيكمها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله

(قوله ورام جرى المسحل) في الصالح الحمار الوحشي (قوله يسألونك السؤال فلا تل) لعله السواء كافي عبارة النسق

لَهُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ • جُنْدُ مَا هَٰئِلِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ • كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ • وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ •

إلى قصديقه (أم عتدهم خزان رحمة ربك) يعني ما بما لكي خزان الرحمة حتى يصيبوها من شأوا ويصرفوها عن شأوا ويتخبروا النبوة بعض ضانديهم ويتصرفوا بها عن محمد عليه الصلوة والسلام • وإنما الذي ملك الرحمة وخزانتها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بهم أوقتها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعده كما قال أم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشع هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض) حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي تخص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عتدهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإتياء النبوة دون من لا يتحق له (فليرتقوا في الأسباب) فليصعدوا في الماراج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوته الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثم ختام خسارة عن ذلك بقوله (جند ما هائل مَهْزُوم من الأحزاب) يريد ما لا جيش من الكفار المتحزبون على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثر لسانهم بهذين وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره • إلا أنه على سبيل الهزء وهائل إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب مثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن يتدب لأمر ليس من أهله لست هناك (ذو الأوتاد) أصله من ثبات البيت المظن بأوتاده قال

والبيت لا يتيق إلا على عمد • ولا عمار إذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العزم والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يشيح المذهب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه المقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (أولئك الأحزاب) قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب • ولقد

لهم مقتضاها قول المخ الفاعل المنى وتوقع وجوده ألا تراك تقول الحجر لا يتكلم ولوقت الحجر لم يتكلم لكان ركيكا من القول لإفهامه بقوله للكلام • قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (قال) ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عتدهم المعرفة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإتياء النبوة دون من لا يستحق فليرتقوا في الماراج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوته تعالى وينزلوا الوحي على من يختارونه قال ثم ختام بقوله جند ما هائل مَهْزُوم من الأحزاب معناه إن هؤلاء إلا جند متحزون على النبي صلى الله عليه وسلم عاقيل يهزمون ويولون الأدبار اه كلامه (قلت) الاستواء المنسوب لله ليس بما يتوصل إليه بالصدود في الماراج والوصول إلى العرش والاستقرار عليه والتمسك فوره لأن الاستواء المنسوب إلى الله تعالى ليس استواء استقرار بجسم تعالى الله عن ذلك وإنما هو صفة فعل أي فعل فيه فلا سماه استواء هذا تأويل القاضي أبي بكر وليست عبارة الزمخشري في هذا الفصل مطابقة للفصل على جاری عاداته في تحرير العبارة على مراده • قوله تعالى أولئك الأحزاب (قال في قصديقه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد التكذيب منهم اه كلامه) قلت وفي تكرار تكذيبهم قائمة أخرى وهي

(قوله ثم خسام خساة) في الصحاح خسأت الكلب خسا طردته وخسا بنفسه يعمدى ولا يتعدى (قوله وقيل كان يشيح المذهب) أي يمد آفاده الصحاح

إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ لَحَقَّ عِقَابٌ . وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْلَمًا مِنْ فِرَاقٍ . وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ
لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ . أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يَسْبَحُنَ بِالْمُعْتَى وَالْإِشْرَاقِ . وَالطُّيُورُ عَشُورَةٌ كُلُّ لَهَا أَوَّابٌ . وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَعَازَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ

ذكر تكذيبهم أولاً بالجملة الخبرية على وجه الإيهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضح فيها بأن كل واحد من الأحزاب
كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبهم جميعاً وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إيهامه والتنويع
في تكريره بالجملة الخبرية أولاً والاستثنائية ثانياً وما في الاستثنائية من الوضع غل وجه التوكيد والتخصيص أنواع من
المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب ألغنه ثم قال (لحق عقاب) أي فوجب العقاب لذلك أن أعاقبهم حتى عقابهم (هؤلاء)
أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أولاً ثم للحضور عند الله . والصيحة الصفة
(وما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلق الحالب ورضعى الراضع يعني إذا جاء
وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع
وترداد من أفق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع البزال ضرعها يريد أنها نفخة واحدة لحسب
لا تثنى ولا تردد . القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه وقال لصحيفة الجائرة قط لأنها قطعة من
القرطاس وقد فسرهما قوله تعالى (عجل لنا قِطْعًا) أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستجلبونك بالعذاب
وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل المزج عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة
أعمالنا ننظر فيها (فإن قلت) كيف قطعت قوله (أصبر على ما يقولون) وقوله (وذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما
على صاحبه (قلت) كأنه قال ثلثه عليه الصلاة والسلام أصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أمهين بذكر قصة
داود وهو أنه نبى من أنبياء الله تعالى قد أولاد ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وذلفته لديه ثم لم زلة فبعث
إليه الملائكة ووجه عليها على طريق التثليل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من
بكاؤه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر إليها والندم عليها فإ الظن بكم مع
كفركم ومعاصيكم أو قاله صلى الله عليه وسلم أصبر على ما يقولون ومن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من
مصابرتهم وتحمل أذاهم وادكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فإني من توبخ الله وتظليمه
ونسبه إلى البنى مآلتي (ذا الأيد) ذا القوة في الدين المضطلم بمشاقه وتكاليفه كان على نبوهه بأعباء النبوة والملك
يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذوايد وذو آد وأياد كل شيء ما يتقوى
به (أواب) تواب رجاء إلى مرضاة الله (فإن قلت) ما ذلك على أن الأيد القوة فالدين (قلت) قوله تعالى إنما أواب
لأنه تعليل لدى الأيد (والإشراق) وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت
الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بوضوء فقرأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاووس عن ابن عباس قال هل

أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كمر ذلك مصحوباً
بالزيادة المذكورة ليل قوله تعالى لحق عقاب على سبيل النظرية المعتادة عند طول الكلام وهو كاقدمته في قوله وكذب موسى
حيث كرر الفعل ليعتبر بقوله فأقبلت الكافرين . قوله عز وعلا . يسبحن بالنعى والإشراق (قال) الإشراق حين تشرق
الشمس أي يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن

تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا قرأنا سحرنا له الجبال معه يسبحن بالمشي والإشراق وقال كانت صلاة يصلها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفس من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالمشي والإشراق وكان لا يصل صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إني لأجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى تأخذهم الصبحه مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانه بالشروق • ويسبحن في معنى ومسبحات على الحال (فإن قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا للدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء • وحالاً بعد حال وكان السامع حاضر تلك الحال يسمعا تسبح ومثله قول الأعشى • إلى ضوء نار في ضاع تحرق • ولوقال عروة لم يكن شيئاً وقوله (محشورة) في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء • جى به اسماً لافضل وذلك أنه لو قيل وسحرنا الطير يحشرون على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء • والحشر هو الله عز وجل لكان خطأ لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا أصبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فبصحت فذاك حشرها • وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أبواب) كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الآواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع وإما لأن الآواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من • عاده أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير • الله أبواب أى أصبح مرجع التسبيح (وشدنا ملكه) قزيه قال تعالى مستند هضدك وقرئ شدنا على المبالغة قيل كان بيت حول عماره أربعون ألف مستتم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومها ليهية أن رجلا دعى عنه على آخر بقرة وعجز عن إقامة

عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بشروق الشمس أه كلامه (قلت) الوجه الثاني يفرق بين المشي والإشراق فإن المشي • ظرف بلا إشكال فلو حل الإشراق على الدخول في وقت الشروق لكان مصدراً مع أن المراد به الظرف لأنه فعل الشمس وصفها التي تستعمل ظرفاً كالطلوع والغروب وشبهها • عاد كلامه إلى قوله تعالى يسبحن (قال فيه إن قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالاً وأجاب بأن اختيارهما لمخبر وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء كأن السامع حاضرهما فيسمعا تسبح ومنه قول الأعشى • إلى ضوء نار في ضاع تحرق • ولوقال عروة لم يكن شيئاً) قلت ولهذا التكتة فرق بين من أصحابها بين أنحرهم يوم أفضل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرهم بصيغة المضارع فرأى أن المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرماً بوجود صيغة التعليل ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فإنه لا يكون محرماً حتى يحرم ويقال له أحرهم فكانه رأى أن صيغة الفعل خصوصية في الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وإن كان متأخراً وأصحابنا اختلفوا في معنى قول بين من أصحابها في اسم الفاعل يكون محرماً يوم يفعل فهم من قال أراد الفور فيئتي إحراماً ومنهم من قال يكون محرماً في الحال بالتطبيق الأول ولا يحد شيئاً ومنه مالك التسوية بين صيغتي اسم الفاعل والفعل في هذا المقام والله أعلم وحقق الزعزعي هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل في قوله • والطير محشورة كل • له أبواب • فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القدرة لم يكن لاستعمال الفعل البالد على الحدوث شيئاً فشيئاً معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الأول

(قوله أشرق ثبير) كانوا يقولون أشرق ثبير كذا غير كافى الصحاح (قوله نار في ضاع تحرق) في الصحاح الفاع ما ارتفع من الأرض (قوله أربعون ألف مستتم يحرسونه) أى لابس الأمانة وهى الدرع أفاده الصحاح

الْحَطَابِ . وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْحُرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَرَّعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَاتَخَفْ خَصَائِنَ

البيت فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقل المدي على فقال هذا منام فأيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله عز وجل لم يأخفني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أباها غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه فقتله فها هو (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة . الفصل التمييز بين الشيعين وقيل الكلام البين فصل بمعنى الموصول كضرب الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط قليل في قبضه فصل أى موصول بعضه من بعض فبنى فصل الخطاب البين من الكلام المختص الذي يبينه من يخاطب به لا يتبس عليه ومن فصل الخطاب مخلصه أن لا يختلط صاحبه مظان الفصل والرسل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للصليين إلا موصولاً بما بعده ولا والله يعلم وأتم حتى يسهل بقوله لا تملون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركوا الإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاعل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاعل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو قوله البيت على المدي والعين على المدي عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أتأيد بقوله أتأيد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار وعمل ولا إشباع على ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا ندرو ولا ندر . كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له من أمر أنه فيزوجه إذا أعجبتك كانت لهم عادة في المراساة بذلك فداعدوا هو قدروا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحس أنه النزل له عنها فاستحيا أن يرده فقبل فزوجهما وهي أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزل بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وهجر نفسك والعبر على ما تمتحت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثروا أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المأثور مع كثرة نسائه وأتما ما يذكر أن داود عليه السلام تخنى منزلة آباءه إبراهيم وإسماعيل ويعقوب فقال يارب إن آباءي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه أنهم ابتلوا ببلاء فاصبر وأعلينا قد ابتلى إبراهيم بنمروذ وذبح ولده وإسماعيل بذبحهم وذهب بصبره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل لا تبلاء فأوحى إليه إنك لبتلى في يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل عمر أبو أغلق بابو جعل يصلي ويقرأ الزبور لجلاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فقبده ليأخذها لابن له صغير فطارته فامتد إليها فطارته فوقت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغلبى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البقاء فكتب إلى أوريا بن صور ما هو صاحب بعث البقاء إن أبعث أوريا بوقدمه على التابوت وكان

ه قوله تعالى . وهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْحُرَابَ (ذكر) في تفسيرها فصلاً أسرده على الاختصار والإيجاز لتدرج حقاً في فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً النزل له من أمر أنه إذا أعجبتك فيزوجهما وقد روى مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فداعدوا هو قدروا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة أوريا فأعجبت فساله إثاره بها ليزوجهما فاستحيا من فعله عنها فزوجهما وأولدها سليمان فقيل له إنك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزل عنها وكان الأفضل هجر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج في الخطاب على خطبة أخيه وأتما ما يذكر أن داود تخنى منزلة آباءه إلا نبياً فقيل له إنهم ابتلوا بآصبر وأسأل الابتلاء ليصبر فقيل له إنك تتبلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه ربه فمتمل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فقبده ليأخذها ولصغير فطارته فتبعها فرأى المرأة قد نقضت شعرها فبعث إلى أوريا صاحب بعث البقاء أن قدم أوريا إلى التابوت وهو من غزاة البقاء وكان المتقدم

(قوله من غزاة البقاء) في الصحاح مدينة بالشام

من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فتفتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأثاه خير قله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهيد وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقع أن يحدث به عن بعض التسمين بالصالح من أئمة المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحريث الأعرابي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فإني أنيئس بخلافها أعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عناسرا على نبيه فإني أنيئس بظهارها عليه فقال عمر لسامعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله قصته عليه السلام ليس لإظهاره إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها حجب (فإن قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض كان أوقع في نفسه وأشد تمكن من قلبه وأعظم أثر فيه وأجلب لاحتمامه بحياته وأدعى إلى التنبه على الخطيئة من أن يبادر به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة الأتري إلى الحكاء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة أن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استمع حال صاحب الحكاية فاستمع حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينسب ذلك مثلا لحاله ومقاسا لشأنه فيصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين والده والولد من حجاب الحشمة (فإن قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون عجرجا بحكمة ومعرفة على نفسه بظلمه (وهل أتاك بناء الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء المجيبة التي سحها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والحسم الحسم وهو يقع على الواحد والجمع كالغيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصيا كما تقول ضافه ضيفا (فإن قلت) هذا جمع وقوله خصيان تنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصيان فريقان خصيان والدليل عليه قراءة من قرأ خصيان بنى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذا خصيان اختصموا في ربهم (فإن قلت) فاستصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فإن قلت) فقد جاء في الرواية أنه تبع إليه ملكان (قلت) معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن

إليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم فسلم فأمر بتدبيره مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهيد وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقع الحديث به عن متهم بصلاح من أحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال من حدثكم قصة داود كما يرويه القصاص جلده مائة وستين حد الفرية مضاعفا روى أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث بذلك وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فالتمس خلافها فيروى أن كانت على ما ذكرت وكف الله عناسرا لثبته عليه السلام فإني أنيئس بظهارها عليه الله تعالى قال عمر بن عبد العزيز سامعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس قال عمر بن عبد العزيز والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله قصته ليست لإظهاره إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها حجب ثم به الإختصاري على عجي والإنتكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع إلى التأمل والتنبه لوجه الخطيئة مافيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار والتوبيخ وأثاه بطريق التمثيل ليستقيم ذلك من غيره فيجعله مقاسا لاستيقاظ ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى الحكاء بذلك في سياسة الولد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قال وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فقوم الحجة عليه بحكمة قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبها على أن هذه قصة عجيبة من سحها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا

(قوله يحدث به بعض التسمين بالصالح الخ) لعله من بعض أوله يحدث من بعض وفي الصحاح يقال هو من أئمة الناس إذا لم يعلم ممن هو وبعبارة النسفي بدل قوله فهذا ونحوه الخ فلا يليق من التسمين الخ

بني بعضاً على بعض فأحكم بيننا الحق ولا تشطط وأهدنا إلى سواد الصراط . إن هذا أخي له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظنك بسؤال نجيك إلى

يصحبهما آخرون (فإن قلت) فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف ساهم جميعاً خصياً في قوله بأالحصم وخصيان (قلت) لما كان محب كل واحد من المتحاكين في صورة الحصم محت التسمية به . (فإن قلت) بم انتصب (إذ) لا يتخلوا من يتصب بأنك أرباباً أو بمحذوف فلا يصح انتصابه بأنك لأن إتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لافي عهد داود ولا بالنبا لأن النبا الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسولاً صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصباً في أن يتصب بمحذوف وتقديره وهل أنك نأ تحاكم الحصم ويجوز أن يتصب بالحصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل من الأولى (تسوروا الخراب) قصصوا سورهم وزلوا إليهم السور الحائط المرفوع ونظيره في الآية تسمنه إذا هلا سنامه وتذرا إذا علا ذنوبه روى أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلب أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنهما الخرس فسورا عليه الخراب فلم يشعر إلا وهما يديه جالسان (فزع منهم) قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما بجمع بني إسرائيل فيمظلمهم ويكيم لجأوه في غير يوم القضاء فزع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (خصيان) خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصيان (ولا تشطط) ولا تخرج وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق و (سواد الصراط) وسطه ومحيطه ضربه مثلاً لعين الحق ومحضه (أخى) بدل من هذا أو خبر لأن المراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والآفة أو أخوة الشركة والخطة لقوله تعالى وإن كثيراً من الخطباء وكل واحدة من هذه الأخوات تدل بحق مانع من الاعتداء والظلم . وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونجمة بكسر التون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقتها أجملي أكفلها كما أكفل ماتحت يدى (وعزني) وغلبنى يقال عزه نمزه قال قطاة عزها شرك فباتت . تجاذبه وقد حلق الجناح

يريد جاني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما رده به وأراد بالخطاب مخاطبة الحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبتي خطاباً أي غالبتي في الخطبة فنلتني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من الممازة وهي المفالة وقرأ أبو حيرة وعزني بتخفيف الراي طلباً للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فإن قلت) ما معنى ذكر الحاج (قلت) كأن تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا ولتنبه على أمر يستحي من كشفه فيكن عنه كما يكنى عما يستسج الإفضاح به والستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثل قصه أوريا مع داود بقصة رجل له نجمة واحدة ولخيلته تسع وتسعون فأراد صاحبه تسمية المائة

إلى سماعها أيضاً . وقال في قوله هذا أخى الآخرة كيف ما كانت إما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخطبة تدل بحق مانع من الاعتداء والظلم لذلك قال إن هذا أخى . وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة معناه أثنائي بما لم أقدر على رده من الجدل ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أي خطبت تخطب على خطبتني فنلتني والمفاعلة لأن الخطبة صدرت منهما جميعاً . وقال في ذكر الحاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلاً وكلامهم أيضاً تمثيلاً لأنه أبلغ لما تقدم ولتنبه على أن هذا أمر يستحي من التصريح به وأنه مما يكنى عنه مماجة للإفضاح به والستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثل قصه أوريا بجل له نجمة واحدة ولخيلته تسع وتسعون فأراد أن تسمائة بالعجة المذكورة ثم قال

(قوله نحو نطع ولقوة لقوة) في الصحاح الطلع فيه أربع لغات وفيه اللقوة قداء في الوجه الناقة السريعة الفلاح والعقاب الآتي والقوة بالكسر مثله (قوله قطاة عزها شارك) لعله عزه بزمه ويعزه

فَعَاجِهَ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ

فقطع في نسيجه خطيه وأراد على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك عجاة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيراً من الخطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى القرض بذكر النسيجة (فإن قلت) إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرت بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجمل النسيجة استمارة عن المرأة كما استماروا لها الشاة في نحو قوله

يا شاة ما قص لمن حلت له • فرميت غفلة عنه من شاته

وشبها بالنسيجة من قال كنعاج الملائكة فمن لملا لولا أن الخطاء تأباه إلا أن يضرب داود الخطاء ابتداء مثلاً لهم ولقصصهم (فإن قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يتخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للسؤال فرض لما ضروروا في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير المسائل زيدها أربعون شاة وعمرها إلى أربعين شاة وتشير إليها بخطاها وحال عليها الحلول كما يجب فيها وما زيد وعمرها سبب ولا بد وتقول أيضاً في تصويرها إلى أربعين شاة وأربعين خطاها ومالكاً من الأربعين أربعين أربعين أربعين (فإن قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود في نسيجة أثى (قلت) يقال لك امرأة أثى الحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالمرآة في لين الأنوثة وقورها وذلك ألمح لما أريد في تكسرها ونثنها ألا ترى إلى وصفهم بما بالكسول والمكسال وقوله قور القيام قطع الكلام وقوله ثم يربو بتكاد تنعرف (لقد ظنك) جواب قسم مخوف وفي ذلك استنكار لفعل خطيه وتهجين لطمه • والسؤال مصدر مضاف إلى المقعول كقوله تعالى من دعاء الحفير وقد ضمن معنى الإضاعة فندى تمديتها كأنه قيل بإضافة (نميتك) إلى نعاجه) على وجه السؤال

فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حيث أن تجعل النسيجة استمارة للمرأة كما استماروا لها الشاة في قوله • يا شاة ما قص لمن حلت له • إلا أن لفظ الخطاء يأباه اللهم إلا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستمارة أنه على التمثيل يكون الذي سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم انتقل بواسطة التثنية إلى فهم أنه تمثيل لحاله وعلى الاستمارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهم بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك • قال فإن قلت لم صح من الملائكة الإخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشيء منه وأجاب بأن ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول في تصوير المسألة زيد له أربعون شاة وعمرها أربعين خطاها فإذا يجب عليها من الزكاة وتقول أيضاً إلى أربعين شاة ولك أربعين ومالك ولا له من الأربعين أربعة ولا ربيها فإن قلت فما وجه قراءة ابن مسعود في نسيجة أثى وأجاب بأنه يقال امرأة أثى الحسناء الجميلة ومعناه وصفها بالمرآة في لين الأنوثة وقورها وذلك ألمح لما أريد في تكسرها ونثنها ألا ترى إلى وصفهم بإيها بالكسول والمكسال كقوله :

• قور القيام قطع الكلام • أه كلامه (قلت) ولكن قوله في نسيجة إنما أوردته على سبيل التقليل لما عاهدته والتحقيق ليستعمل على خصمه بالني لطلبه هذا التقليل الحقيق وعنده الجم التغير فكيف يليق وصف ماعنده والمراد تقليل بعصه الحسن التي توجب إقامة عذرها خصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاختصار على ذكر النسيجة وتأكيدها بقوله واحدة فهذا إشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بأن القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا الممثلة بالنسيجة فيها مشهورة بالحسن وصفها لما في قصة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق لتأكيد التثنية على أنه هو المراد بالتمثيل ثم

(قوله لمن حلت له فرميت) لعل قوله فرميت (قوله كنعاج الملائكة من لملا) في الصحاح الملائكة الصغرى ويرى القائل وهو جمع فلا توهى المنازاة كذا في الصحاح (قوله وما زيد وعمرها سبب ولا بد) في الصحاح ما له سبب ولا بد أي لا قليل ولا كثير والسبب من الشعر والبد من الصوف

وَقَدْ دَاوُدَ أَمَّا قَسَمْتُ رَّبِّي وَخَرَّ رَأْيَا كَمَا وَأَنَابَ هَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لِرَأْيِي وَحَسَنَ مَنَابِ

والطلب (فإن قلت) كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم ويرى أنه قال أنا أريد أن أخضع منه وأكل ناعجي مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأخصو الجبهة فقال باء داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحداً صرف ما وقع فيه (الخطأ) الشركاء الذين خطوا أموالهم الواحد خيط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافي رحمه الله يتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحمهما ومساقمهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والنعوة مختلطة فهما يركبان زكاة الواحد فإن كان لهما أربعون شاة فليهما ماشاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فليعلم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخلطة والمفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فإن قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النجعة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافي رحمه الله وعند أبي حنيفة لا شيء عليه (فإن قلت) ما إذا أراد بذكر حال الخلطة في ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إثبات عادة الخلطاء الصالحين الذين حكم لهم بالقلعة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسئل المظلوم عما جرى عليه في خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبي يفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله هاضب عنك الموم طارقيها ه وهو جواب قسم محذوف وليغ بحذف الياء اكفاه منها بالكسرة وما في (وقليل مام) للإجماع وفيه تعجب من قلمهم وإن أردت أن تتحقق قائلتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى له معنى قط لما كان الظن الغالب بذات العلم استبر له ومناه وعلم داود وأيقن (أما فتاه) أنا ابتلياه لعلنا بإمرة أوريامل ثبت أوزل وقرئ فتاه بالتشديد للبالغة وأفتاه من قوله لئن فتيتني بالأسأفت فتاه وفتاه على أن الألف ضمير الملكين وهرب بالواو كع عن الساجد لأنه ينحن ويضع كالساجد

قال فإن قلت لما سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بأن ذلك كان بعد اعتراف خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم أنه كلامه (قلت) ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل القرض والتقدير أي إن صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلاً وإنما كانت من البشر إما خليطين في النعم حقيقة وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهاجر والسراير والثاني مصرأوماله لإمرأة واحدة فاستزله عنها وفزع داود وخوّه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء وما كان ذنب داود إلا أنه صتق أحدهما على الآخر ونسب إلى الظلم قبل سألته أه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل تزيه داود عن ذنب يبعث عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى المجبة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التباين الغضب وكرهية أخف عما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عنيها وصية لداود عليه السلام يادود إناجلك خليف في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فاجرت الناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه أن لا يؤاخذ منه من قيل ما وقع له في الحكم بين الناس وقد ألزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع في صفات الذنوب مبررون من ذلك واتقوا المحامل الصحيحة لأنثال هذه القصة وهذا هو الحق الأبلغ والسييل الأبرج إن شاء الله تعالى

(قوله لي بأفس أفتنت يروي فهي وبقي البيت : سعيداً فأسمى قد ملا كل مسلم . أفاده الصحاح

يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّ النَّارَ لَمْ يَجْعَلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لأنه لا يكون ساجدا حتى كعب ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركني الاستغفار والإجابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة (وأنا ب) ورجع إلى الله تعالى بالثبوت والتصل وروى أنه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يرفع رأسه حتى تبت الشب من دمه إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا ولثاء دمع وجهه نفسه راغبا إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له إيشا على ملكه ودعا إلى نفسه واجتمع إليه أهل الزبغ من بني إسرائيل فلما غفر له حاربه فخرمه وروى أنه نقش خطبته في كفه حتى لا ينساها وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الفتم وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاجر والسراري والثاني معسرا ماله إلا امرأة واحدة فاستزله عنها وإغافوع لدخولها عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا متنائين وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظله قبل مسئته (خليفة في الأرض) أي استخلفناك على الملك في الأرض كن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويمسكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو جعلناك خليفة عن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أي يحكم الله تعالى إذا كنت خليفة (ولا تتبع) هوى النفس في فضائلك وغيره مما تصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (يفضلك) الهوى فيكون سببا لفضلك (من سبيل الله) عن دلالته التي نصبا في العقول وعن شرائعه التي شرعا وأوحى بها (ويوم الحساب) متعلق بنسوا أي بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أي لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمري بن عبد العزيز أو الزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لفرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عاين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عيين ما خلقناهما إلا بالحق . وتقديره ذوى باطل أو عاين موضع باطلا موضعه كإدخالها موضع المصدر وهو صفة أي ما خلقناهما وما بينهما للعب ولكن الحق المبين وهو أن خلقناهما نفوسا أو دعائنا العقل والقياس ومنعناهما التمكن وأزحنا عليهما ثم عرضناهما للنافع العظيمة بالتكليف وأعدنا لها عقابا جزاء على حسب أعمالهم و (ذلك) إشارة إلى خلقها باطلا . والظن بمعنى الظنون أي خلقها للعب لا للحكمة هو مذهبون الذين كفروا (فإن قلت) إذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض وما بينهما بذليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فم جعلوا ظانين أنه خلقها للعب لا للحكمة (قلت) لما كان إنكارهم للعب والحساب والثواب والعقاب مؤيدا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذي سيق إلى الحكمة في خلق العالم من رأسها فن جعده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره بكونه خالقا كالا إقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستهزاء فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد وانق وجر ومن سوى بينهم كان سفيا ولم يكن حكما

(قوله وهو أن خلقنا نفوسا) عبارة النسب وهو أنا خلقنا نفوسا

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَحْمِلُ الْمُنْفِقِينَ كَالْفُجَّارِ ۚ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبُوا ۖ وَيَتَذَكَّرُوا أُولَئِكَ
الْأَلْبَابُ ۚ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدَ إِنَّه أَوَّابٌ ۚ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بَالِشَى الصَّفْصَفُ الْجِيَادُ ۚ قَالَ إِنِّي
أُحِبُّ حَبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۚ رَدُّهَا عَلَى فَطْلِقٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ ۚ

وقرى مباركا وليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التضرع فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة
ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمغاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتن لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله
كثل من له لقعة درور لا يحلها ومهرة ثور لا يستولعها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عييد وصيان لاعم لم يتأوله
حفظا حروفه وضميما حدوده حتى إن أحدهم يقول والله لقد قرأت القرآن فاستقطت منه حرفا وقفاؤه أسقطه
كله ما يرى القرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو يحفظ حروفه وإضاعة حدوده واقفا ما هو لا بالحكمة ولا الورعة
لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعدنا من القراء المتكبرين ۚ وقرى نعم العبد على
الأصل والمخصوص بالمدح مخوف ۚ وعمل كونه مدوحا بكونه أو بارجاعا إليه بالتوبة أو مسجعا مؤثما للتيسير
مرجعا له لأن كل مؤثم أو ذاب ۚ والصاف الذي في قوله ألف الصفون فإزال كانه ۚ مما يقوم على الثلاث كثيرا
وقيل الذي يقوم على طرف سنك يدأو رجل هو المنعم وأما الصاف فأنى يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار أى واثنين كاخدم الجارية (فإن قلت) مامنى وصفها
بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون في المجهن وإنما هو في العراب الخالص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع
لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى إذا وقتت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعا خففا
في جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها
أبوه من العاقلة وقيل خرجت من البحر لما أجنحة فهدى بما صايل الأولى على كرسى واسترضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وأوعن ورد من الذكر كان له وقت المشى وتبويه فلم يطويه فأغتم لما فاته
فاستركها وعقرها مقربا لله وفى مائة فأتى في أيدي الناس من الجياد فن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها
وهى الرمح تجري أمره (فإن قلت) مامنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربى) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يمدى
بمن كانه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى أو جعلت حب الخير مجزيا أو مضيا عن ذكر ربى وذكر أبو الفتح الممداني
في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لومت من قوله مثل بعير السوء إذ أحيا وليس بذلك والخير المال كقوله إن ترك
خيرا وقوله وإنه لحب الخير لشديد والمال الخيل التى شغله أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير تملق الخير بها قال

ۚ قوله تعالى الصافات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للتنخيم والصاف الذى
يجمع بين يديه قالو وصفها بذلك لأنه لا يكون في المجهن غالبا وإنما يكون في العراب الخالص أو وصفها ليجمع لها وصفين
المحمودين جارية وواقفة فوصفها في جريها بالجودة والسرعة وفى وقوفها بالسكينة والعلمانية لأن ذلك من لوازم الصفون غالبا

(قوله لم يحل منه بكثير طائل) في الصحاح قولهم لم يحل منه بطائل أى لم يستفد منه كثيرا فاندقوفه اللقح بالكسر الإبل بأعيانها
الواحدة لقوح وهى الحلوب مثل قلو ص وفلاص واللقحة اللقوح والجمع بفتح مثل قرة قربوفه ناقه درور أى كثيرة اللبن
وفيه الثور أى كثيرة الولد (قوله ولا الورعة) جمع وازع وهو الذى يكف عن الضرر والذى يتقدم الصف فيصلحه
بالقديم والتأخير فأده الصحاح (قوله وقرى نعم العبد على الأصل) لعله بفتح النون وكسر العين كما يفيد الصحاح
(قوله بد ما صلى الأولى على كرسى) عبارة النسخ على الظهر (قوله وعقرها مقربا لله) عبارة النسخ قربا

وَأَمَّا فَتَى سَلِيمَانَ وَالْقِيَامَةَ عَلَى كُرْسِيِّ جَدِّهِ ثُمَّ أَنَابَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِيلَ مَعْقُودَةً بِوُصْطِهَا الْخَيْرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ فِي زَيْدِ الْخِيلِ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ وَأَسْلَمَ
مَا وَصَفَى لِي رَجُلٌ فَرَأَيْتُهُ إِلَّا كَانَ دُونَ مَا بَلَغَنِي إِلَّا زَيْدَ الْخِيلِ وَسَمَاءُ زَيْدِ الْخَيْرِ وَسَأَلَ رَجُلٌ بِلَالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْمٍ
يَسْتَقِرُّونَ مِنَ السَّابِقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَرَدْتَ الْخِيلَ فَقَالَ وَأَنَا أَرَدْتُ الْخَيْرَ . وَالتَّوَارِي
بِالْحِجَابِ بِجَازٍ فِي غُرُوبِ الشَّمْسِ عَنْ تَوَارِي الْمَلِكِ أَوْ الْخِيَامَةِ بِحِجَابِهَا وَالَّذِي دَلَّ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ لِلشَّمْسِ مَرُورُ ذِكْرِ
الْمَعْنَى وَلَا بَدَ لِلضَّمِيرِ مِنْ جَرَى ذِكْرِ أَوْ دَلِيلِ ذِكْرِ وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِلصَّافَاتِ أَيْ حَتَّى تَوَارَتْ بِحِجَابِ اللَّيْلِ بَيْنَ الظَّلَامِ
وَمِنْ يَدْعُ التَّغَايِيرَ أَنَّ الْحِجَابَ جَلُّ دُونَ قَافٍ بِمَسِيرَةِ سَنَةٍ تَقَرَّبَ الشَّمْسُ مِنْ وَرَائِهِ (فَطْلُقْ مَسْحًا) لِيَجْعَلَ يَمْسَحُ مَسْحًا
أَيْ يَمْسَحُ بِالسَّيْفِ يَسُوقُهَا وَأَعْنَاهَا يَبْنِي يَقْطَعُهَا بِقَالَ مَسَحَ عِلَاوَتُهُ إِذَا ضَرَبَ ضَرْفَهُ وَمَسَحَ الْمَسْفَرُ الْكِتَابَ إِذَا قُطِعَ
أَطْرَافُهُ بِسَيْفِهِ وَعَنِ الْحَسَنِ كَيْفَ هَرَأَقَهَا وَضَرَبَ أَعْنَاهَا أَرَادَ بِالْكَسْفِ الْقَطْعَ وَمَعَ الْكَسْفِ فِي الْغَابِ الرَّحَافُ فِي
الْمَرُوضِ وَمَنْ قَالَ بَالشَّيْنِ الْمَجْمُوعَةَ فَصَحَّ وَقِيلَ مَسْحَاهُ يَدِ اسْتِحْسَانًا لَهَا وَإِعْجَابًا بِهَا . (فَإِنْ قُلْتَ) بِهَمْ تَصَلُّ قَوْلُهُ رَدُّوْهَا
عَلَى (قُلْتَ) بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُ مَقَالَ رَدُّوْهَا عَلَى فَأَضْرَ وَأَخْضَرَ مَا هُوَ جَوَابُهَا كَانَ قَاتِلًا قَالَ فَإِذَا قَالَ سَلِيمَانُ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ
مَقْعَدِ السُّؤَالِ اقْتِضَاءُ ظَاهِرًا وَهُوَ اشْتِغَالُ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيََاءِ اللَّهِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا حَتَّى يَنْقُضَ الصَّلَاةَ هَزُوْقَهَا . وَفَرَّقَ بِالسُّؤَالِ
بِهِمْ الزَّوَالَ لِعِظْمَتِهَا كَأَنِّي أَذْهَبُ وَنَظِيرُهُ الْغُورُ فِي مَعْدَرِ غَارَتِ الشَّمْسِ وَأَمَامِنِ قَرَأَ بِالسُّؤَالِ فَتَجِدُ الضَّمِيرَ فِي السَّيْنِ كَأَنَّهَُا
فِي الزَّوَالِ لِلتَّلَاصُّقِ كَأَقِيلِ مَوْسَى وَنَظِيرِ سَاقٍ وَسُوقٍ أَسَدٍ وَأَسَدٍ وَفَرَّقَ بِالسَّاقِ اكْتِفَاءً بِالوَاحِدِ عَنْ الْجَمْعِ لَامِنِ الْإِبْلَاسِ
قِيلَ فَنَ سَلِيمَانُ بَعْدَ مَا دَلَّ عَشْرِينَ سَنَةً وَمَلِكًا بَعْدَ الْفَتْنَةِ عَشْرِينَ سَنَةً وَكَانَ مِنْ فَتْنَتِهِ أَنَّهُ وَلَدَهُ ابْنٌ فَقَالَ الشَّيَاطِينُ إِنَّ غَاشِلِمَ
نَتَفَكَّ مِنَ السَّخَرَةِ فَسَيَلِمَانُ أَنْ تَقْتُلَهُ أَوْ تَغْلِبَهُ فَلَمْ يَكُنْ يَنْقُضُهُ فِي السَّحَابَةِ فَرَاغَهُ إِلَّا أَنْ أُنْتَبِى عَلَى كُرْسِيِّهِ مِثْلَ تَقْبِضِهِ عَلَى
خَطْمِهِ فَنَزَلَ بِأَنْ يَتَوَكَّلَ فِيهِ عَلَى رُجُوهِ فَاسْتَغْفَرَهُ وَتَابَ إِلَيْهِ وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَلِيمَانُ لَا طُوفَانَ لِلْيَلَةِ عَلَى سَبْعِينَ
أَمْرًا كُلِّ وَاحِدَةٍ تَأْتِي غَارِسًا بِجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلْ لِي أَنْ شَاءَ اللَّهُ فَطَافَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَجْعَلْ إِلَّا أَمْرًا وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشَقِّ رَجُلٍ وَالَّذِي
نَفْسُ يَدِهِ وَقَالَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَسَانًا أَوْ جَمْعًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ تَنَاسَلْتُمُوهُنَّ) وَهَذَا نَحْوُهُ بِاللَّاسِ بِهِ
وَأَمَّا مَا يَرَى مِنْ حَدِيثِ الْخَاتِمِ وَالشَّيَاطِينِ وَعِبَادَةِ الْوُثْنِ فِي بَيْتِ سَلِيمَانَ فَهُوَ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهِ حُكْمًا أَنْ سَلِيمَانُ بَلَّغَهُ خَيْرُ صِدْقٍ
وَهُوَ مَدِينَةُ فِي بَعْضِ الْجَزَائِرِ وَأَنَّ بِهَا مُلْكًا عَظِيمًا لَاقَى عَلَيْهِ لِحَصْنَهُ بِالْبَحْرِ نَجَحَ إِلَى تَحْمِيلِهِ الرِّيحَ حَتَّى أَنْخَبَهَا بِجَنُودِهِ
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَتَلَ مُلْكَهَا وَأَصَابَ بِتَأْلُفِ اسْمِهَا جَرَادَةً مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجِئًا فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ وَأَسْلَبَتْ وَأَحْبَبَتْ
وَكَانَتْ لَا يَرْقَادُ مَعَهَا حَزَنًا عَلَى أَيْهَا فَأَمَرَ الشَّيَاطِينُ فَتَلَّوْا لَهَا صُورَةَ أَيْهَا فَكَشَتْهَا مِثْلَ كِسْوَتِهِ وَكَانَتْ تَقْدِرُ إِلَيْهَا وَتَرُوحُ
مَعَ وَلَا تَمْنَعُ يَسْجُدَنَّ لَهُ كَمَا دَنَتْ مِنْ مُلْكِهِ فَأَخْبَرَ أَسْفَ سَلِيمَانُ بِبُذَلِكَ فَكَسَرَ الصُّورَةَ وَعَاقَبَ الْمَرْأَةَ ثُمَّ خَرَجَ وَحْدَهُ إِلَى
فَلَاةٍ وَفَرَسَ لَهُ الرِّمَادَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ تَائِبًا إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَكَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا أَمِينَةُ إِذَا دَخَلَ لِلطَّهَارَةِ أَوْ لِإِسَابَةِ
أَمْرًا وَضَعُ غَاثَتَهُ هُنَا وَكَانَ مُلْكُهُ فِي خَاتَمِهِ فَرَضَهُ هُنَا بِوَمَا وَأَنَامَا الشَّيْطَانُ صَاحِبَ الْبَحْرِ وَهُوَ الَّذِي دَلَّ سَلِيمَانُ
عَلَى الْمَاسِ حِينَ أَمَرَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَاسْمُهُ صَخْرٌ عَلَى صُورَةِ سَلِيمَانَ قَالَ بِأَمْنَةِ عَاتِمَتِي فَخَضَمَ بِهِ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ
سَلِيمَانَ وَعَكِضَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَغَيْرُ سَلِيمَانَ عَنْ هَيْئَتِهِ فَأَتَى أَمِينَةُ لَطْلُبَ الْخَاتَمِ فَأَتَكَرَتْهُ وَطَرَدَتْهُ فَعَرَفَ
أَنَّ الْخَطِيئَةَ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَكَانَ يَدُورُ عَلَى الْبُيُوتِ يَتَكَيَّفُ فَإِذَا قَالَ أَنَا سَلِيمَانُ حَتَّى أَلِغَ عَلَيْهِ التَّرَابَ وَسُوبَهُ ثُمَّ عَمِدَ إِلَى السَّيِّائِ كَيْفَ
يَنْقَلُ لَمْ يَسْمَعْ فَيَعْطُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ يَمَكَّتَيْنِ فَكَشَتْ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعِينَ صَبَا سَاعِدًا عَمِدَا عَدَا الْوُثْنِ فِي بَيْتِهِ فَأَتَكَرَ أَسْفَ وَعَظَاهُ

(قَوْلُهُ وَمَسَحَ الْمَسْفَرُ الْكِتَابَ) الَّذِي فِي الصَّحَاحِ مَسَرَتْ الْكِتَابَ أَسْفَرَهُ سَفَرًا وَسَفَرَتْ الْمَرْأَةُ كَشَفَتْ عِزَّ وَجْهَهَا وَأَسْفَرَ
الصَّبْحُ أَيْ إِخْرَاجُ وَأَسْفَرَ وَجْهَهُ حَسَنًا أَيْ أَشْرَقَ فَيُحَرَّرُ (قَوْلُهُ فَكَانَ يَنْقُضُهُ فِي السَّحَابَةِ) فِي الصَّحَاحِ غَادَاهُ أَيْ غَدَا عَلَيْهِ
فَلَمَّا عَابَرَةَ الْكِتَابَ بِالْذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ فِي الصَّحَاحِ غَنَوْتُ الصَّبِيَّ بِاللَّيْنِ أَيْ رِيَّتَهُ بِهَا فَاعْتَذَرْتُ وَجَاهَرَةَ النَّفْسِ يَنْقُضُهُ بِالْمَجْمُوعَةِ

بَعْدَى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ۖ حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
وَعَوَاصٍ ۖ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل أصف نساء سليمان فقلنا ما يدع امرأة منا في دمه ولا يقتل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا اثنين ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فختم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والراس وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتناكس فيها فقال له أصف إنك لمفتون بذنك والخاتم لا يقرب يدك فقب إلى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتكلمون من مثل هذا لا تأجيل وتسلط الله إياهم على عباده حتى يقموا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهم قبيح وأما اتخاذ الصائيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من عاريب وتمانيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان ينير عليه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسيه جسداً) ناب عن إعادة معنى إنباء الشيطان منابه تزأراً ظاهراً ۖ قدم الاستفغار على استيباب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديم أمر دينهم على أمور دنيائهم (لا ينبغي) لا تسهل ولا يكون ۖ ومعنى (من بعدى) دوني (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لها فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الله ملكاً زائداً على الملكا زيادة عارضة للعادة بالنسبة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلاً على قوته قاهر البعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يفرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدى وقيل كان ملكاً عظيماً خاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ۖ لكا لأساساً ولا يقيم غيري فيه مقامى كما سابه مزة وأقيم مقامى غيري ويجوز أن زال علم الله فيها اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يعطى لأحد غيره وأوجبت الحكمة استنباه فأمره أن يستوجه إياه فاستوجهه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يعطى عليها إلا له وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكاً عظيماً فقال لا ينبغي لأحد من بعدى ولم يقصد بذلك إلا أعظم الملك وسعته كما تقول فلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان الناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحاجاج أنه قيل له إنك حشود فقال أحسبني من قال هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكى عنه طاهتا أوجب من طاعة الله لا تشرط في طاعته فقال فاقنوا الله ما استطعتم ، وأطلق طاعته فقالوا وأولى الأمر منكم ۖ قرئ الريح والرياح (رخاء) ليناً طيبة لا تزعزع وقيل طيبة لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤية أن رجلين من أهل اللغة تصاد ليلسأله عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصبيان فقالا هذه طلبتا ورجما ويقال أصاب الله بك خيراً (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ماشاء من الأبنية ويفوضون له فيستخرجون الثول وهو أول من استخرج الثور من البحر وكان يقترن مرده الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغلولين في الجوامع والصفقات يدعى به الطاء لأنها تباطل للنجم عام منه قول علي رضي الله عنه

(قوله وجاب صخرة لصخر) أى خرق أو قطع أفاده الصحاح (قوله في الجوامع والمفرد) في الصحاح الجامعة الثقل لأنها تجمع الدين إلى المتق

لَزَنِي وَحَسَنَ ثَابٍ ۖ وَادَّكَرَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ أَرِكَضَ بَرَجَكَ
هَذَا مُقْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۚ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَ لَنَا أُولَىٰ الْأَلْبَابِ ۚ وَخَذَ بِيَدِكَ

من برك قد أسرك ومن جفاك قد أطلقك ومنه قول القائل ۚ غل يدا مطلقها وأرق ربة معتقها ۚ وقال حبيب إن المطاء
إسار وتبه من قال ۚ ومن وجد الإحسان قيدا وتقيدا ۚ وفقرنا بين الفعلان فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده
وأوعده أي (هذا) الذي أعطيتك من الملك والمال والبسة (عطاؤنا) بغير حساب يعني بما كثيرا لا يكاد يقدر على حبه
وحصره (فأمن) من المنة وهي المطاء أي فأعط منه ما شئت (أو أسك) مفعضا إليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود
هذا فأمن أو أسك عطاؤنا بغير حساب وهذا التسخير عطاؤنا فأمن على من شئت من الشياطين بالإطلاق أو أسك من شئت
منهم في الوفاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (أيوب) عطف بيان و(إذ) بدل اشتغال منه (أني مسني) بأن مسني
حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال بأنه مه لأنه لا غائب قرئ بنصب بضم النون وفصحها مع سكن الصاد
وبفتحها وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل ونصب والمعنى واحد
وهو التبع والمخقة ۚ والعذاب الآلم يرد مرهوما كان يقاضى فيه من أنواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب
الأهل والمال (فإن قلت) لم ينسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلط الله على أنبيائه ليقضي من أماتهم وتذليلهم وطره ولوقدر
على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكفر بالقرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة (قلت) لما كانت
وسوسته إليه وعاطفه له فيما وسوس سببا في إمامه الله به من النصب والعذاب نسب إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث
لم ينسبه إلى الله فدعاه مع أنه قاعله ولا يقدر عليه إلا هو وقبل أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به
من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده
بالصبر الجليل وروى أنه كان يعود ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسألته فقيل إنني إليه الشيطان إن الله لا يبتلي الأنبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم ظم يفته وقيل كانت مواشيه ناحية ملكه كافر فادعاهم لم يفزه
وقيل أعجب بكثرة ماله (أركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الأرض وعن قتادة هي أرض
الجالية فضر بها فبعت عين فقيل (هذا مقتسل بارد وشراب) أي ماء مقتسل بغير شرب منه فبدا بطنك وظاهره وتقلب
ما بك قلة وقيل نعمت له عيانا فاعتسل من أحدهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه ياذن الله وقيل
ضرب برجله اليمنى فبعت عين حارة فاعتسل منها ثم اليسرى فبعت باردة فشرب منها (رحمة ما ذكرى) مفعول لما المعنى
أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعم الله عليه لصبره ونعيمه في الصبر على البلاء وعاقبة
الصابرين وما يغفل الله بهم (وخذ) مطروف على أركض والضئف الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك رعن
ابن عباس قبضة من الشجر كالخلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ أغفل الله بينه بأهون شيء عليه وعلى الحسن خدمتها
إياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن أبي صلي الله عليه وسلم أنه أتى بخبث بأمة فقال خلوا عنها شكالا في مائة
شراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إنما أطرافها قائمة وإما أعراسها مبسوطة مع
وجود صورة الضرب وكان السبب في بيته أنها أبطلت عليه ذميمة في حاجة ففرج صدره وقيل باعت ذؤابتها برغيفين وكانت
متعلق أيوب إذا قام وقيل قال لها الشيطان أيجدي لى بحجة فأرد عليك ما لك أو لادكم همت بذلك فأدركتها المعصمة فذكرت

(قوله من أنواع الوصب) في الصحاح الوصب المرض (قوله هي أرض الجالية) مدينة بالشام كما في الصحاح (قوله وتقلب
ما بك قلة) في الصحاح القلاب بداءيا أحد البعير وقولهم ما به قلة أي ليست به علة (قوله إنه أتى بخبث) الخاج القصان
وأخذت الناقة إذا جامت بولدها ناقص الخلق وإن كانت أيامه تامة فهي مخدج والولد مخدج كذا في الصحاح

صَغَفَا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَتِمَّ الْعَبْدَانِهُ أَوَّابٌ ۖ وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ۚ إِنَّا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالَصَةِ ذِكْرَى الْبَارِ ۚ وَلَهُمْ عِنْدَنَا مِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ۚ وَأَذْكُرْ
إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۚ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ ۚ جِئْتَ عَدْنَ مِفْتَاحِ

ذلك له خلف وقيل أو معهما الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر أضرمت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بئناق
(وجدناه صابراً) عناه صابراً (فان قلت) كيف وجدناه صابراً وقد شكاليه ما به واسترحه (قلت) الشكوى إلى الله عز وجل
لا تسمى جزوا ولقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك
أن أصبر الناس على البلا لا يخلو من ثني العافية وطلبها فإذا صح أن يسي صابراً مع ثني العافية وطلب الشفاء فليس
صابراً مع اللجأ إلى الله تعالى والدعاء بكشف ما به ومع العلاج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب
الشفاء خيفة على نفسه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نيا لما ابتلى بمثل
ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب والسان ويروي أنه قال في مناجاته إلى
قد علمت أنه لم يخالف لسان قلبي ولم يبق قلبي بصرى ولم يبق مملكت يميني ولم أكل إلا لومي يميني ولم أبت شيعة
ولا كاسيا ومعنى جئته أو عريان فكشف الله عنه (إبراهيم وإسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبداً جمل
إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبداً وهي إسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس وإلهيك إبراهيم وإسماعيل
وإسحق ۚ لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدى غلبت قليل في كل عمل هذا مما علمت أيديهم وإن كان عملاً لا يتأتى
فيه المباشرة بالأيدى أو كان العمال جزءاً لا يبدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وجل (أولى الأيدي والأبصار) يريد
أولى الأعمال والفكر كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوى الديانات
ولا يستبصرون في حكم الزماني الذين لا يقتضون على أعمال جوارحهم والمسلوب العقول الذين لا استبصار بهم وفيه
تعريض بكل من لم يكن من عا، الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم
ممكنين منها وقرئ أولى الأيدى على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولى الأيدى على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة
وتفسيره بالأيدى من التأييد قلبي غير ممكن (أخلصناهم) جعلناهم عاصين (بخالصة) بخالصة خالصة لا شوب فيها ۚ ثم فرها
بذكرى البار شهادة لذكرى البار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الإضافة والمعنى بما خلص من
ذكرى البار على أنهم لا يشوبون ذكرى البار بهم آخر إنما همهم ذكرى البار لا غير ومعنى ذكرى البار ذكر البار ذكرهم
الآخرة دائماً ونسيانهم إليها ذكر الدنيا أو تذكريهم الآخرة وتزغيبهم فيها وتزهدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء ودينتهم
وقيل ذكرى البار التاء الجبل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لتزهدهم (فان قلت) ما معنى أخلصناهم بخالصة (قلت)
معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة بأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لما والطف بهم في اختيارها وتمتعوا الآزل
قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم (والأخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالأموات
في جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ واليسع كأن حرف التعريف دخل على
ليسع فيمل من اليسع والتتوين (وكل) عوض عن المضاف إليه معناه وكلهم من الأخيار (هذا ذكر) أي هذا نوع
من الذكر وهو القرآن لما جرى ذكر الأنبياء وأتته وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر
على عقبه باباً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وإن للمتقين) كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم

قوله تعالى هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (قال فيه إنما قال هذا ذكر ليدرك عقبه ذكر آخر وهو ذكر الجنة

قوله ولم يبق مملكت يميني) أي لم ينشطني ولم يهيجني من هبت الريح أي حاجت وهب البعير أي نشط كما في الصحاح

لَهُمُ الْآبُوبُ هُ تَسْكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِكُفَّهِ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ه وَعَدْنَهُمْ قَصْرَاتُ الْأُطُرِفِ آتْرَابُ ه هَذَا مَا تَدْعُونَ لِيَوْمٍ هَلْ يَنْصَابُ ه إِنْ هَذَا لَرِزْقًا مَالَهُ مِنْ تَفَادٍ ه هَذَا وَإِنَّ الطَّاغِينَ لَشَرُّ مَتَابٍ ه جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ه هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ه وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَامْرَجًا بِهِمْ إِنْهُمْ صَلَّوْا النَّارَ ه قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَامْرَجًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَعْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ه قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا

يشرع في باب آخر ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتى ذكر أهل الجنة وأراد أن يقبض ذكر أهل النار قال هذا وإن الطَّاغِينَ وقيل معناه هذا شرف وذكروا به أبداً وعين عباس رضي الله عنه هذا ذكر من معنى من الأنبياء (جنات عدن) مرة قوله جنات عدن التي وعد الرحمن واتصافها بل أنها عطف بيان لمن مآب (ومفتحة) حال والمعامل فيها مآب للثنتين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتغال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة فلم كأن اللغات سميت أتراباً لأن الأتراب مسهون فوقها واحد وإنما جعل على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أتراب لا زاجهن أسنانهن كآسانهم قرئ يهودون بالياء (ليوم الحساب) لأجل يوم الحساب كما قول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله لم من جهنم مهاده ومن فهمهم غواش شبه ما تمنعهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم أي هذا حميم فليذوقوه وألذاب هذا فليذوقوه ثم ابتداء فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإيادى قاربهون أي ليزوقوا هذا فليذوقوه والنساق بالتخفيف والتشديد ما ينسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بجزءه والغساق يحرق بجرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لثقت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لثقت أهل المشرق وعن الحسن رضي الله عنه النساق عذاب لا يملأه إلا الله تعالى إن الناس أخفوا الله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا مصيبة ما أخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوقات آخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضرباً أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الفنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في محنتكم وقرآنكم والاقترام ركوب الشدة والدخول فيها والفتحة الشدة وهذه حكاية كلام الطَّاغِينَ بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامرجا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعوه له مرجا أي أتيت رجاء من البلاد لأضيافاً أو رجيت بلادك رجاء ثم تدخل عليه لافي دعاء السوء وهم يابن للدعوى عليهم (إنهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولامرجا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قَالُوا)

وأهلها كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر) قلت وكما ما يقول الفقيه إذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الأول هذا دليل ثان كذا وكذا إلى آخر ما في نفسه ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال هذا

(قوله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة) أي في الشكل بمعنى المثل (قوله وأما الفنج فبالكسر لا غير) في الصحاح الفنج والفنج الشكل وقد غنجت الجارية وتنجحت فهي غنجة وفيه الشكل بالفتح المثل والكسر الدل يقال امرأة ذات شكل

فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ . وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُ مِنَ الْأَشْرَارِ . أَخَذْتُمُوهُ سَجْرًا أَمْ زَاغَتْ عَيْنُهُ الْبَصِيرُ . إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . رَبُّ

أَيِّ الْآتِبَاعِ (بل أنتم لأمرجابكم) يريدون البطء الذي دعوتهم به علينا أنتم أحق به وعلا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للذاب أو لصليهم (فإن قلت) ما معنى تقديمهم المذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قبل أنتم قدمتموه لنا لجل الرؤساء المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم لجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لارؤساءهم والعمل هو المقدم لاجزاؤه (فإن قلت) فالذي جعل قوله لأمرجابهم من كلام الخنزرة ما يصنع بقوله بل أنتم لأمرجابكم والمخاطبون أغنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جواباً لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخنزرة أنتم يارؤساء أحق به منا لإغرائكم إيانا وتسيك فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كالذين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقبل للذين أخزى الله هؤلاء مأسواً فعلهم قال المزين لهم للذين بل أنتم أولى بالخزى متافولاً أنتم لم ترتكب ذلك (قالوا) هم الآتباع أيضاً (فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أي مضاعفاً ومعناه ضاعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذاباً ضعفاً حيات وأقاعى (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالاً) يمتنون قراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جنوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكأولئك أشراراً (أَخَذْتُمُوهُ سَجْرًا) قرئ بلفظ الإخار على أنه صفة لرجل مثل قوله كُنَّا نَعُدُّهُ مِنَ الْأَشْرَارِ وهيمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستخغار منهم وقوله (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُ الْبَصِيرُ) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لآثرهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغَتْ عنهم أي صاروا فافلازهم فيها فسوا أمرهم بأن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باخذهام سَجْرًا إيمان تكون أم متصلة على معنى أي الضلعين فلما بهم الاستخغار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تملوهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سَجْرًا وزاغت عنهم أبصارهم عقرة لهم وإيمان تكون منقطعة بعد معنى اتخذناهم سَجْرًا على الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لابل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر هزمة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همرته لأن أم تدل عليها فلا تفرق القراءتان إثبات هزمة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فيوقالوا لصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباهم . وقرئ سَجْرًا بالضم والكسر (إن ذلك) أي الذي حكينا عنهم (لحَقٌّ) لا بد أن يتكلموا به ثمين ما هو فقال هو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس (فإن قلت) لم سمي ذلك تخاصماً (قلت) شبه تناولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن

وإن الطاغين لشر مآب فذكر أهل النار . قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً مضاعفاً وقال في موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبراً . والقصة واحدة (قلت) وفيه دليل على أن الضمفين اثنان من شيء واحد خلافاً لما قال غير ذلك لأنه في موضع قال فزده عذاباً مضاعفاً والمراد مثل عذابه فيكونا عذابين وقال في موضعين ضعفين والمراد إذا عذابان . قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) إن قلت لم سمي ذلك تخاصماً قلت شبه تناولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لأمرجابهم وقول اتباعهم بل أنتم لأمرجابكم (قوله هو جامع للتفسير عذاباً) عبارة الخازن قال ابن عباس حيات وأقاعى (قوله وتأنيب لها) أي تعنيف ولوم أقاده المصالح

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۖ قُلْ هُوَ تَوَّعُظٌ عَظِيمٌ ۚ أَتُمُّ عَنْهُ مُرْضُونَ ۚ مَا كَانَ لِمَنْ عَلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۚ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۚ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ فَسَجَدَ الْمَلَأُ كُلُّهُمِ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ ۖ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۚ

قول الرؤساء لأمراء جبابهم وقول أتباعهم بل أنتم لأمراء جبابكم من باب الخصومة فسمى التناول كله تخصما لاجل اشتباهه على ذلك (قل) يا محمد لشركي مكة ما أنا إلا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن إلإه إلا الله (الواحد) بلائذ ولا شريك (الفهار) لكل شيء ۚ وأن الملك والروبيقة في العالم كله وهو (العزير) الذي لا يظلم إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الفهار) لذنوب من التجأ إليه ۚ وأولهم ما أنا إلا من ذلك ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرعى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أي هذا الذي أنبأتكم به من كوفي رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ۚ ثم احتج لصحة نبوته بأن ما يفي به عن الملا الأعلى واختصاصهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمهم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقرأة الكتب فعلم أن ذلكم يحصل إلا بالوحي من الله (إن يوحى إلى إلا أنا أنأذير) أي إنما أنا نأذير ومعناه ما يوحى إلى إلا لا أنذار لحذف اللام وانتصب بإضمار الفعل الفعل إلى يوحى ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا إفراط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلى غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نأذير مبين ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة (فإن قلت) هم يتعلقون إذ يختصمون (قلت) بمحذوف لأن الله ما كان من علم بكلام الملا الأعلى وقت اختصاصهم (وإذا قال) بدل من إذ يختصمون (فإن قلت) ما المراد بالملا الأعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التناول بينهم (فإن قلت) ما كان التناول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لهم وقالوا فأنتم بين أمرين إيمان تقول الملا الأعلى هؤلاء وكان التناول بينهم ولم يكن التناول بينهم وإيمان تقول التناول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الأعلى (قلت) كانت عقوبة الله سبحانه بواسطة ملك فكان الماؤلى في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التناول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملا الأعلى والمراد بالاختصاص التناول على ماسبق (فإن قلت) كيف صح أن يقول لهم (إني خالق بشرأ) وما عرفوا بالبشر ولا عبادوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فإذا سويته) فإذا أتممت خلقه وعده (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وجعله حساسا متفصلا (فقعوا) فثروا كل الإحاطة وأجمعون للاجتماع فأقاربا معا أنهم سجودوا عن آخرهم ماني منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (فإن قلت) كيف ساغ السجود لعن الله (قلت) الذي لا يسوغ هو السجود لعن الله فعل السجود وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا ياباه العقل إلا أن يعلم الله فيفسده فينبى عنه (فإن قلت) كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن (قلت) قد أمر بالسجود معهم فقبلوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى إبليس من الواحد منهم استثناء متصلا (وكان من باب الخصومة) (قلت) هذا يتحقق أنا خاتم من قوله لأمراء جبابهم إنهم صالوا النار من قول المتكبرين الكفار وقوله تعالى بل أنتم لأمراء جبابكم من قول الأتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا لمن قال إن الأول من كلام خزنة جهنم والثاني من كلام الأتباع فإنه على هذا التقدير إنما تكون الخصومة من أحد الفريقين

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً لأن كان مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأبها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله (فإن قلت) ما وجه قوله (خلقت يدي) (قلت) قد سبق لنا أن ذا الدين يباشر أكثر أعماله بيديه فقلب العمل بالدين على سائر الأعمال التي يباشر بنهرها حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل من لا يدي له يداك أو كذا وفوك فنع وحي لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملت يداك منه قوله تعالى مما عملت أيدينا وما خلقت يدي (فإن قلت) فاسمى قوله ما منكم أن تسجد لما خلقت يدي (قلت) الوجه الذي استنكره إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه يجوز لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون يعبدونه لنهر الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى النار فضلاً على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزلّ عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعزّ عباده عليهم وأفرجهم منه زلّوا وهم الملائكة وهم أحق بأن يذبحوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضعيل ويستنكفوا من السجود لهم من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد المسجود له تعظيماً لأمرهم وإجلالاً لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حراً بأن يقتدى بهم هو يقتدى أنهم في السجود لمن هو دونهم بأمره أوغل في هباته منهم في السجود له ما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح قليل له ما منكم أن تسجد لما خلقت يدي أي ما منكم من السجود لشيء هو كما قول مخلوق خلقت يدي لا شك في كونه مخلوقاً امتثالاً لأمرى وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر الملة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه الملة وقد أمر الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه الملة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منكم أن تتواضع لمن لا ينبغي على سقوطه يريد بهلاً اعتبرت أمرى وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه أني خلقت يدي فأنأمل بحالهم مع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا لله لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالكرمة

فالتفسير الأول أمكن وأثبت هو قوله تعالى ما منكم أن تسجد لما خلقت يدي (قال) فيه ما كان ذوالدين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل بالدين على سائر الأعمال التي يباشر بنهر الدين حتى قيل في عمل القلب هذا مما عملت يداك ومعناه أن الوجه الذي استنكره إبليس السجود لآدم واستنكف بسببه أنه يعبد مخلوق مع أنه دون الساجد لأن آدم من طين وإبليس من نار فأرى النار فضلاً على الطين وزلّ عنه أن الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأفرجهم منه وهم الملائكة أن يسجدوا لهذا البشر لم يمتنعوا ولم يذبحوا بأنفسهم إلى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم حتى قيل له ما منكم أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق يدي كما وقع لك مع أنه لا شك أن في ذلك امتثالاً لأمرى وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له الملة التي منعه من السجود وقيل له ما حلك على اعتبار هذه الملة دون اعتبار أمرى ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منكم أن تتواضع لمن لا ينبغي على سقوطه يريد بهلاً اعتبرت أمرى وخطابي وتركت اعتبار سقوطه انتهى المقصود من الآية بعد تطويل وإطباب وإكثار وإسهاب (قلت) إنما أطال القول هنا ليفتر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية هو أحدهما أن الدين من صفات الذات أفتبها السمع هذا مذهب أبي الحسن والقاضي بعد إبطالهما حل الدين على القدرة فإن قدرة الله تعالى واحد والديان مذكورتان بصفة الثنية وأبطلاهما على النعمة بأن نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالثنية وغيرهما من أهل السنة كإمام الحرمين وغيره يجوز حلها على القدرة والنعمة ويجب ذكرها بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحق تخصيصه على إبليس إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيراً والمتخذ الثاني أن النبي أفضل من الملك والوخشي شديد العصية في هذه المستقوى الإنكار على من قال

(قوله يداك أو كذا) والصحيح أوكى على ما وصفته إذا شئ به الوكاه (قوله حين أمر به أعز عباده) مبنى على مذهب المعتزلة أن الملك أفضل من البشر وعند أهل السنة البشر أفضل من الملك

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۚ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۚ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۚ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُمْشُونَ ۚ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۚ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۚ قَالَ فَبِعِمَّنْ تَكُنَّ لِأَعْرَابِهِمْ أَجْمَعِينَ ۚ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۚ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ۚ لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ

السنة وابتلاء للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت يدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ يدي كقرئ بصرخي وقرئ يدي على التوحيد (من العالمين) من علوت وقت فأجاب بأنه من العالمين حيث (قال أحميرته) وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لأن أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار ۚ هذا على سبيل الأولى أي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثل فكيف أجد لمن هو دني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجله الثانية من الأولى وهي (خلقتني من نار) مجرى المملوك عطف البيان من المملوك عليه في البيان والإيضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلق التي أنت فيها لأنه كان يفخر بخلقه فقارقه خلقة فأسودت ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا ۚ والرجيم المرجوم ومعناه المملوك كما قيل للمذموم والملعون لأن من طرد رمى بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة أو لأن الشياطين يرجون بالشبه (فإن قلت) قوله (لعلني إلى يوم الدين) كأن لعنة إبليس غابتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعة ما ينسى عنده اللعة فكأنها انقطعت (فإن قلت) ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم (قلت) الوقت الذي تقع فيه الفضة الأولى ويومه اليوم الذي وقت الفضة جزء من أجزاء معنى المعلوم أنه معلوم عنده ميعاد لا يستقدم ولا يستأخر (فبعتك) أقسام بقرآنه تعالى وهي سلطانه وقهره ۚ قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الأول مقسم به كالله في أن عليك الله أن تابعا وجوابه (الأملاّن) والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إنا اسمه عز وجل الذي في قوله إنا لله هو الحق المبين أو الحق الذي هو تقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمر كأي فالحق قسمي لأملاّن والحق أقول أي أقوله كقوله كله لم أصنع ومجربون على أن الأول مقسم به قد أضر حرف قسمه كقوله الله لأفعلن والحق أقول أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الأول وجزءه مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين

بذلك من أهل السنة لاجرم أنه أجرم في بسط كلامه على آدم عليه السلام فثل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة يقول الملك لوزيره زر بعض سقاط الحشم لجعل سقاط حشم الملك مثالا لآدم الذي هو عصر الانبياء عليهم السلام وأقام لإبليس عذره وصوب اعتقاده أنه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وإنما غلظه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ عجبوا له على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المزية وجعل قوله تعالى لما خلقت يدي إنما ذكر تقريراً لليلة التي نمت إبليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نسال الله العصمة المراد منه ضد ما فهم الزخري وإنما ذكر ذلك تعظيماً لمصية إبليس إذ امتنع عن تعظيم من عظمه الله إذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لاتصغير منه ويدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة إذ يقول له الناس عند ما يقبلونه فيها أنت آدم أبا البشر خلقك أقيده وأبعدك ملائكته وأسكنك جنته فإنا يذكرون ذلك في سياق تعديد كراماته وخصائصه لأنما يحط منه معاذ الله وإياه نسال أن يعصمنا من مهاوى الهوى ومهالكه وأن يرشدنا إلى سبيل الحق ومسالكه إنه ولي التوفيق والإجابة حقيق

أَجْمِينَ • قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ • إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ • وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

سورة الزمر مكية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • آلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ • إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ • لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا

(ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (فإن قلت) (أجمعين) تأكد لماذا قلت لا يتخلون أن يؤكده الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لا ملأ من جهن من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً أولاً ملأها من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم (عليهم أجر) الضمير للقرآن أو لدحي (وما أنا من المتكلمين) من الذين يصنعون ويتحلون بما ليسوا من أمه وما عرفتموني فقط متصفاً ولا مدعياً ما ليس عندي حتى انتحل النبوة وأتقوا القرآن (إن هو إلا ذكر) من الله (للعالمين) للتلحين أوحى إلي فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للتكلف ثلاث علامات يتنازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلن نبأه) أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وضوءه من محبة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل يحضره الله لباود عشر حسنات وعصمه أن يصير على ذنب صغير أو كبير

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

(وقال ثمان وسبعون آية إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبره بالظرف أو خبره مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عنده أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزمر (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة (خلاصه الدين) محضه له الدين من الشرك والرياء والتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ غلظاً بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطاق قوله إلا الله الدين الخالص والخالص والخالص واحد لأن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شرعاً وأماناً جعل غلظاً حالاً من العابد وله الدين مبتدأ وخبراً قد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قوله الدين إلا الله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدرا لإطلاعه على التوب والأسرار ولأنه الحقيقي بذلك لخصوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قيادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام (والذين اتخفوا) يمتثل المتخفين وهم الكفرة والمتخفين يوم الملائكة وعيسى واللات والعزى • عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخفوا على الأول راجع إلى الدين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً والراجع إلى الذين عذفوا والمعنى والذين اتخفوا المشركون أولياء والذين اتخفوا في موضع الرفع على الابتداء (فإن قلت) فالجبر ما هو (قلت) هو على الأول إما (إن الله يحكم بينهم)

لَا صَاطِيَّ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بُكُورًا لَّيْلًا

أو ما أخر من القول قبل قوله ما نبدعهم وعلى الثاني أن الله يحكم بينهم (فإن قلت) فإذا كان الله يحكم بينهم الخير فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود يظهار القول قالوا ما نبدعهم وفي قراءة أبي ما نبدعكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لمساخطوا به آلتهم ۝ وقرئ نبدعهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهزنة في الأمر والتون في عذاب أركض والضمر في بينهم لهم ولأولياتهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وهنسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي تحتوها وعدوهم من دون الله يعذبهم بها حيث يحلهم ولما حسب جهنم ۝ واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلني وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تبدون الأصنام قالوا ما نبدعهم إلا ليقربونا إلى الله زلني فالضمر في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ۝ والمراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من المالكين ۝ وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذا من دون الله أولياء بنات الله وذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أنت بهطاني من خلقه بعضه ويختصم ويقرهم كما يختص الرجل ولده ويقر به وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنم به وغرهم اختصاصه بإمام فزعهم أنهم أولاده جهلا منهم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يرد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنك لجعلهم به حسب اصطفاؤهم اتخذهم أولادا ثم تماديت في جعلهم وسفهم فجاءتهم بنات فكنتم كذا بين كفارين متباينين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال (سبحانه) فزه ذاته من أن يكون له أحد مانسبوا إليه من الأولاد والأولياء ۝ ودل على ذلك بما بنافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ۝ وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء ألهمهم فهو يعلمهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء ۝ ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوك على الآخر وتسخير التيرين وجريهما لأجل مسمى وبث اللبس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يبالغ ۝ والتكوير اللغو إلى يقال كالأعمام على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلقه يذهب هذا وينشئ مكانه هذا وإذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللباس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تولى الثنايا بأحقها حواشيه ۝ لى الملا بأبواب التفاريج

(القول في سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلبط بهم وأنه في علمه من المالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فإن معتقدهم أن معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه ومعنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفًا يؤمن عنده طائفا خلافا للقدرة وغرضنا

(قوله متباينين في الافتراء) لعله متباينين (قوله غالين في الكفر) لعله غالين (قوله بأحقها حواشيه) في الصحاح الحق الإزار وثلاثة أحق وأهل أحق على أفضل غنظ وأبدلت عن الضمة الكسرة فصار آخره مكسورا ما قبلها فكان بمنزلة التافى والتارى وفيه الامة بالضم عمودا ليطه والجمع ملا وفيه الرطة والملا إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفتتين

النَّارِ وَيُكَوِّرُ النَّارَ عَلَى الْإِبِلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى الْأَوَّلُ الْعَزِيزُ الْمُتَعَزِّزُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَآتَاكُمْ مِنْ أَلْفِ نَسَمٍ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ خَلَقَكُمْ فِي بَطُونٍ أَمَهْتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَدَنٍ خَلَقِي فِي ظِلِّكَ ثَلَاثَ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تَصَرُّفُونَ . إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِي عَصَكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَتُوبُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ

ومنها أن كل واحد منها ينبى الآخر إذا طرأ عليه فقهه في فنيه إياه بشئ ظاهر لف عليه ماغيه من مطاع الأبصار ومنها أن هذا يكره هذا كروا متابعا فقهه ذلك بتابع أكرار العامة بعضها على أثر بعض (الأو هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصيرين (الفقار) لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يماجلهم بالمعقوبة ويحول عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الخلق منهم مغفرة . (فإن قلت) ما وجه قوله (ثم جعل منها زوجا) وما يعطيه من معنى التراخي (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشييب هذا الخلق الفاتت للصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيره إلا أن إحداها جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجربها المادة ولم تخلق أثني غير حواء من قصيري رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لمحب السامع فطعنها بشئ على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيا عنها فبما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمزلة لأن التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدث ثم شفعا الله بزواج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لأن قضاءه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تميش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزله وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرنا وأثنى من الإبل والبقر والضان والمهر والزواج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى ليجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (خلقنا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد معضغ من بعد علق من بعد نطف . والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذي هذه أفضاله هو (الله ربكم) فأتى تصرفون فكيف يبدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره (فإن الله غفى عكم) عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستمراركم بالكفر واستغنائكم بالإيمان (ولا يرضى لعباده الكفر) وحملهم لأنه يوقعهم في الهلكة (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإن ما ذكره كفركم ولا يرضى شكركم إلا لكم ولصالحكم لأن منفعة

التيه على مذهب أهل الحق لا غيره . قوله تعالى الأو العزيز الفقار (قال أى لذنوب التائبين انتهى كلامه) قلت الحق أنه تعالى غفار للتائبين ولم ينسأ من المصيرين على مادون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الرخصى الآية بما ترى . قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجا (قال فيه فإن قلت ما وجه العطف بشئ من قوله ثم جعل وأجاب بأنهما آيتان الخ) قال أحد إنا منته من حمل ثم على التراخي في الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو منته على الذرية فضلا عن كونه متراخيا عن خلق الذرية فلم يستعملهما على تراخي الوجود لما جعلها في الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجا يبنى شفعا بزواجها فكانت ههنا على بابها لتراخي الوجود والله سبحانه وتعالى أعلم . قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (قال إنا جعلها منزلة لأن قضاءه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ) قال أحد ومن هذا الخطب بعينه قول الراجز أسئمة الآيات في صحابة . قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الإرادة والعباد على

فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ نَّسِي مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لَهُ آتِدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ

ترجع إليه لأنه النفي الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تحمل بعض الفتوة ليثبت لله تعالى ما فاض عنه ذاته من الرضا العبادي الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد للإعباد الذين عنام في قوله إن هادى ليس لك عليهم سلطان يريد المصومين كقوله تعالى هينا يشرب بها عباد الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجيم أهطل فلم يخل ولم يخل • كرم الذرى من خول الخول وفي حقيقته وجهان أحدهما جملة غائل مال من قولهم هو غائل مال وخال مال إذا كان متعهداً له حسن القيام به ومنه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثاني جملة يغفل من خال يغفل إذا اختلف واختار وفي معناه قول العرب • إن النفي طويل الذيل مياس • (ما كان يدهو إليه) أى نسي الضر الذي كان يدهو الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذي كانت يتضرع إليه ويتهل إليه وما معنى من كقوله تعالى وما خلقنا الذكر والأنثى • وقرئ ليضل بفتح الياء وضما بمعنى أن نتيجة جملة الله أندادا ضلاله من سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخيلة كأنه قيل له إذ قد آيت قبول ما ألمت به من الإيمان والطاعة فمن حرك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه بمالفة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا بمالفة في الخذلان لأن أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله تمنع قليل ثم ما أومأ جهنم قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال حمزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال اham عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف دلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون وقبل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهدأ أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والثابت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو

العموم الخ قال أحمد إن المصر على هذا المعتد على قلبه رين أو في ميزان عقله غين أليس يدعى أو يدعى له أنه الخريت في مفاتيح العبارات وبديع الزمان في صناعة البديع فكيف نابغ جادة الإجابة فهما وأعار منادى الحذاقة أذا صما اللهم إلا أن يكون الموى إذا تمكن أرى الباطل حقا وغطى سني مكشوف العبارة فسحقا بحق أليس مقتضى العربية فضلاع القوانين العقلية أن المشروط مرتب على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلا ولا مضيه واستقبال الشرط لغوه عقلا واستقر باتفاق الفريقين أهل السنن وشيعة البدعة أن إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلا مقدمة على وجود الشكر منهم فيثبت كيف ساخ حل الرضا على الإرادة وقد جعل في الآية مشروطا وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطا وجزءا واللازم من ذلك عقلا تقدم المراد وهو الشكر على الإرادة وهي الرضا لولة تقدم المشروط على الشرط والرخشى أخص من قال إن المشروط متى كان ماضيا محضا لزمته الفاء وقد كقولك إن تكرمى فقد أكرمك قبل وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين على أنه لا بد من تأويل يصح الشرطية مع ذلك فإذا ثبت بطلان حل الرضا على الإرادة عقلا وتلا تعين التماس الحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضى عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم وإن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضى عنه ولا شك أن المجازاة مستقبلة بالنسبة إلى الشكر تجرى الشرط والجزاء على مقتضاها لغة وانتظم ذلك بمقتضى الأدلة العقلية على بطلان تقدم المراد على

(قوله ليثبت لله تعالى) إنما يتم لو كان الرضا بمعنى الإرادة وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة هو غيرها فكفر الكافر مراد غير مرضى وعند المعتزلة غير مراد ولا مرضى

مَنْ أَحْسَبَ النَّارَ ۖ أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ ۖ إِنَّا نَأْتِي السَّاجِدَ وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ۖ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ قُلْ يَبَادِلُ الَّذِينَ دَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلّي قائماً (ساجداً) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين ۚ وقرئ ويحذر عذاب الآخرة ۚ وأراد بالذين يعلمون العالمين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كالأيتوس المألون والجاملون كذلك لا يستوي القانتون والداصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي حذيفة ابن المغيرة الخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتأذى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمت وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية ۚ وقرئ وإنما يذكر بالإدغام (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتوبة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فإن قلت) إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان يائناً لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفاً ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف المهم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلادهم كثيرة فلا يجتمعوا مع المعجز ويحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو الذين كانوا في بلد المشركين فأمرهم بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقبل هي أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجزع القصص واحتيال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يعرف لهم غرقاً وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم نصب الله الموازين يوم القيامة فيوزن بأهل الصلاة فيوزن أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوزن أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوزن أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاد فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصعب عليهم الأجر صعباً قال الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى تمتلئ أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب أهل البلاد من الفضل (قل إنني أمرت) بإخلاص الدين (وأمرت) بذلك لأجل (أن أكون أول المسلمين) أي مقدمهم وسابقتهم في

الإرادة عقلاً ومثل هذا يقدر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يجازى غير الكافر مجازاة المفضوب عليه من الكمال والعقوبة ۚ قوله تعالى أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ ۖ إِنَّا نَأْتِي السَّاجِدَ وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال مثل الحسن عن أبيه) على المعاصي ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضي الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزعزعي بقرينة حاله فإن الحسن أراد أن المتأذى على المعصية ۚ صر أليها غير نائب إذا غلب رجاءه خوفه كان متمنياً لأن الالتئ بهذا أن يلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن إقاط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاهو أمافرتة حال الزعزعي فإنها تم على ما أخرجه من إيراد هذه المقالة بأن معتقده أن مثل هذا المعاصي وإن كان موحداً يجب خلوده في نار جهنم ولا ملامة لرجائه ولنتيجه صحة هذا المعتقد وأورد مقالة الحسن كالإزام إلى تميم هذه النزعة وعماسليل يقرع صممه ما أنباء هذه

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خُصْلًا لَهُ دِينِي * فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ * لَمْ يَنْفَعِهِمْ ظُلْمُ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ قَاتِلِينَ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

الدنيا والآخرة والمعنى أَنَّ الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقاً (فإن قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتهما وذلك أَنَّ الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به نصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجهما الشيء وصفناه بنزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفضل ولاتزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يوم مقامه كما عوض السنين في أسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيء بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زمان ومن قولى لأنه أول من خالف دين آباءه وخلع الأصنام وطمعها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام وإسلاماً وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لا كون مقتدى بي في قول وفعل جميعاً ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرهم بما لا يفعلون وأن أفضل ما استحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أَنَّ الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحي * فإن عصيت ربي بخلافه للدليلين استوجبت عذابه فلا أصعبه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آباءه (فإن قلت) ما معنى التكرير في قوله قل إنني أمرت أن أعبد الله خُصْلاً له الدين وقوله (قل الله أعبد خُصْلاً له ديني) (قلت) ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأثور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته خُصْلاً له دينه ولذلك أنه على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فأعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلي على ما حققت فيه القول مرتين قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها فيهلك لاهلك بعدها (و) خسروا (أهلهم) لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا يرجع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهلهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسارتهم بنهاية القطاعة في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف المخلص صدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعت بالمبين (ومن تحتمهم) أطباق من النار هي (ظلال) الآخرين (ذلك) العذاب هو الذي يتوعد الله (بعبادته) ويخوفهم ليجنبوا ما يورثهم فيه (يعبدوا قاتلون)

السورة * قوله تعالى « قل إنني أمرت أن أعبد الله خُصْلاً له الدين وأمرت أن أكون أول المسلمين » إلى قوله « قل الله أعبد خُصْلاً له ديني » (قال فيه) فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير (الخ) قال أحمد ولقد أحسن في تقوية هذا المعنى في هذه الآية بقوله فأعبدوا ما شئتم من دونه فإن مقابلة بدم الحصر توجب كونه للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى لقطاعة خسارتهم فقال استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعت بالمبين وبين في تسمية الشيطان طاغوتاً وجوها ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان الثاني بناؤه على فلول وهي صيغة مبالغة كالرحوت وهي

(قوله وخسروهم لأنهم لم يدخلوا) لعله خسروهم بدون ولو

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ
أَفَئِنَّ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تَقْدِمُ فِي النَّارِ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ غُرْفًا مِّنْ فَوْقَ غُرْفٍ مَّبْنِيَةٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيثَاقَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَ سَبِيلًا بِالنَّارِ

ولا تميزوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ بإعداد (الطاغوت) فعلمت من الطغيان
كالملكوت والرحوت إلا أن فيها قليلاً بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدر أو فيها لغات
وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحوت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط
والقلب وهو الاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمآدبها هنا الجمع وقرئ الطراغيت (أن يبدوها) بدل من الطاغوت
بدل الاشتغال (لم البشرية) أي البشارة بالثواب كقوله تعالى «لم البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة» الله عز وجل يبشرهم
بذلك في وجهه على السنة رسوله وتقاض الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يمضون قال الله تعالى «يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرا كم اليوم جنات» وأراد إبعادهم (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)
الذين اجتنبوا أو أتوا بالغيرهم وإنما أرادهم أن يكونوا مع الاجتناب والإجابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير
وأراد أن يكونوا نقاداً فالذين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اغترضهم أمران واجب وندب
اختروا الواجب وكذلك المباح والتدبير صراحاً على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها
على السبيل وأقروا عند السير وأينها دليلاً أو أماراً وأن لا تكون في مذهبه كما قال القائل :

ولا تكن مثل عير قيد فاقاد ۚ يريد الله قيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أو امرأته
فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبادة والإخفاء لقوله تعالى «وأن تغفوا أقرب للتقوى
وإن تحفوا ما تؤثروا الفقراء» فهو خير لكم عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه أحسن
ومسار فيحدث بأحسن سامع وكيف عاصوا ومن الوقفة من يقف على فيشرع يدي ويتبذّر الذين يستمعون يرفعه
على الابتداء وخبره (أولئك) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنفذه جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار
والفاء فالجزء ثم دخلت الفاء التي في أولها السلف على محنوف يدل عليه الخطاب تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه
العذاب فأنت تنفذه والهمزة الثانية هي الأولى كزرت لترك معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير
فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفن حق عليه العذاب فأنت تخلصه فأنت تقدم في النار
وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن فأنت تفيد بدل عن لست استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إقامتهم من النار وقوله فأنت تنفذ يفيد أن الله تعالى
هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنفذ الداخل في النار من النار لا تقدر
أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه (غرف من فوقها غرف) علل ببعضها فوق بعض (فإن قلت)
مامعنى قوله (مبني) (قلت) معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها (تجري من تحتها الأنهار)
كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعنده) مصدره مؤكل لأن قوله لم عرف في معنى وعدهم الله ذلك

الرحمة الواسعة والملكوت وشبه الثالث تقديم لامة على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية ۚ قوله تعالى
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أثبتها على السبيل وأقروا عند السير الخ)
قال أحد لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الردية والمعتقدات الفاسدة حتى حققت من كلامه
هذا أن ذلك التصميم كان متمكناً من فواده الصميم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يبيح قمره مصفراً ثم يجعله حطماً إن في ذلك لذكرى لأولى الأبصار
 أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال
 مبين ه الله زل أحسن الحديث كتبها مثاني تفشيع منه جلود الذين يحشون ربه ثم تلين جلودهم

(أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله
 ونظمه (ينابيع في الأرض) عيوناً ومساكن ويجارى كالمرور في الأجساد (مختلفاً ألوانه) هيئته من خضرة وحمرة وصفرة
 وياض وغير ذلك وأصنافه من بر وشعر وحسم وغيرها (يبيح) يتم جفافه عن الأجسمي لأنه إذا تم جفافه سأل أن يثور
 من مثابته ويذهب (حطاماً) فئاتا ودربنا (إن في ذلك لذكرى) لذكراً كبيراً وتنبها على أنه لابد من صانع حكيم وأن ذلك كان
 عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلاً للدنيا كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا بخراب ميثم مثل الحياة الدنيا
 وقرئ مصفراً (فن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلفظ به حتى أنشرح صدره للإسلام ورغب فيه قبله كمن لا لطف له فهو
 حرج الصدر قاسى القلب ه ونور الله وطلعه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قبل يارسول الله كيف أنشراح الصدر
 قال إذا دخل النور القلب أنشرح فأنفخ فقيل يارسول الله فإشارة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار
 الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله آمن هو قالت في حذف الخير (من ذكر الله) من أجل ذكره
 أى إذا ذكر الله عديم أو آياته أشأروا وازدادت قلوبهم فسادة كقوله تعالى فزادتهم رجساً إلى رجسهم وقرئ عن
 ذكر الله (فإن قلت) ما الفرق بين من وعن في هذا (قلت) إذا قلت قسافيه من ذكر الله فالمني ماذكرت من أن القسوة
 من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمني غلظ عن قول الذكر وجها عنه ونظيره سقاء من البسمة أى
 من أجل عطشه وسقاء من البسمة إذا أرواه حتى أبعدته عن العطش عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لمواصلة فقالوا له حدثنا فزلت وإيقاع اسم الله مبتداً وبناء نزل عليه فيه تنعيم لأحسن الحديث
 ورفع منه واستشهاد على حسنة وتأكد لاستناده إلى الله وإنه من عنده وإن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبه على
 أنه وحى معجز مبين لسائر الأحاديث و(كتاباً) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالاً منه (ومتشابهاً)
 مطلق في مشابهة بعضه بمضا فكان متناولاً لتشابه ممانيه في الصفة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق
 وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخيير والإحابة وتجابوب نظمها وتآليفه في الإعجاز والنبكيت ويجوز أن يكون (مثاني)
 بياناً لكونه متشابهاً لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مررد ومكرر لمثنى من قصصه
 وأبناؤه وأحكامه وأوامره ونواهي وعده وعيده ومواعظه وقيل لأنه بثى في التلاوة فلا عمل كاجاء في وصفه لا يتفه
 ولا يتشأن ولا يتخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التمية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى
 ثم أرجع المر كزتين بمعنى كزة بعد كزة وكذلك ليك وسعديك وحنانيك (فإن قلت) كيف وصف الواحد بالجمع
 (قلت) إنما صرح بذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملة لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع
 وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ ومكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق
 وأصصاب لأنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أشجار
 وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون متصفاً على التميز من متشابهها كما تقول رأيت رجلاً حسناتماثل
 والمثنى متشابهة مثانيه (فإن قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أفر شيء عن حديث الوظ والصيحة فإلم

(قوله فتاتاودربنا) في الصحاح الذين خطام المرعى إذا قدم وهو مائل من الحشيش
 (قوله لا يتفه ولا يتشأن) في الصحاح تنافه الحفير اليسير وفيه تشات القرية أخفقت وتشان الجلا يدس وتفتج

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكُمْ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَسَاءَ مَا يَدَبُ أَفَنَ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ
سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَاذَاهُمُ اللَّهُ الْحَزَنَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝

يكرر عليها عودا عن يده لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم
ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويفرسه في صدورهم اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا
وتركيه من حروف القشع وهو الاديم البابس مضموما لها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى
زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه القليل تصويراً
لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم
ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فإن
قلت) ما رجه لعدية لأن يلى (قلت) ضمن معنى فعل متد بالى كأنه قيل سكنت أو أطمأنت إلى ذكر الله لئنه غير متقبضة
راجية غير غاشية (فإن قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لأن أصل أمره الرحمة والرافة ورحمته
هى سابقة غضبه فلا صلاة ورحمته إذا ذكر لم يحظر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤفاً رحيماً (فإن قلت)
لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً (قلت) إذا ذكرت الخشية التى عملها القلوب فقد ذكرت
القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعد ونخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله وبني أمره على الراء
والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لئنا في جلودهم (ذلك) إشارة إلى الكتاب وهو (هدى الله يهدى
به) يوفق به من يشاء ببنى عباده المتقين حتى ينخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضل
الله) ومن يضلله من الفساق والتجيرة (فأله من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أى أثر هداة وهو
لطفه فساه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدى به هذا الأثر من يشاء من عباده ببنى من صحب أولئك ورآهم غاشين
راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقهم ومن يضل الله ومن لم يؤثر فيه الطاعة لقسوة قلبه
وإصراره على لجوئه فسأله من هاد من مؤثر فيه بشيء قط يقال اتقاه بقرته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتناه
بيده وتقديره (أفنى يتقى بوجهه سوء العذاب) كن آمن العذاب فحفز الخبر كما حلف في نفاظه وسوء العذاب شدته
ومعناه أن الإنسان إذا لقي غموا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لأنه أهر أعضائه عليه والذى يلقى
في النار يلقى مغلوله يده إلى عنقه فلا يتربأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له وحمالة عليه
وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبى جهل وقيل لم خزنة النار (ذوقوا) وبأل (ما كنتم تكسبون) من حيث
لا يشعرون من الجهة التى لا يحسبون ولا يحيط بها لهم أن الشر يأتهم منها بينما هم آمنون راضون إذ فوجئوا من مأثمهم
والخزى الذل والحصار كالشمس والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة

• قوله تعالى أفنى يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه مداه كن هو آمن فحفز الخبر أسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى في
الآثار والياد بالله لم يقصد الاتهام بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد جعل قلبها بوجهه كانت حاله حال

(قوله من الخوف وقف شعره) أى قام من الفزع كذا في الصحاح (قوله ومن يضلله من الفساق) تأويل الضلال بذلك
مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يخلق الشر وعند أهل السنة أنه يخلق له كالخير فالإضلال خلق الضلال في القلب

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ وَرَجُلًا سَلِمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ • قُلْ أَظْلَمُ مِنْ كَذِبِ

كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينصب على المدح (غير ذي عوج) مستقيا برأى من التناقض والاختلاف (فإن قلت) فلا قيل مستقيا أو غير موع (قلت) فيه قاعدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج يختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد وقد أتاك يقين غير ذي عوج • من الإله وقول غير مكذوب

واضرب لقومك مثلا وقل لم ماتقولون في رجل من المالك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه هدم فهم يتجادون ويتناوون في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة تدافعو فهو متخير في أمره سادر قد نقيمت الموعوم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضى بخدمة وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهم واحد وقله يجتمع أي هذين العبدان أحسن حالا وأجل شأنا والمراد تمثيل حال من ثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته وينشأ كسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلنا بعضهم على بعض وهم متحيرا ضائما لا يدري أيهم يعبد وعلى روية أيهم يعتمد ومن يطلب رزقه ومن يتمس رقه فهم شماع وقله أوزاع وحال من لم يثبت إلا لها واحدا فهو قائم بما كلمه عارف بما أرضاه وما أعظمه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله و(فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشا كبر والتشاخص الاختلاف تقول تشا كست أحواله وتشاخست أسنانه (سالمنا) لرجل (غالصا) وقرئ سلما بفتح الفاء واللين وفتح الفاء وكسرهما مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي داخل من له من الشركة من قولهم سلت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفضل لما شق به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التخيير والمعنى هل يستوي صفتهما وحالهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثليين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كني بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة قد ثبتت أنه لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره كانوا يترصون رسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للترصيص وشامة الباقي بالفاني وعن قتادة نبي إلى نبيه نفسه ونبي إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين المائت والمائت أن المائت صفة لازمة كالسيد وأما المائت صفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود

المتى يورجه فغير عن ذلك بالاتهام من باب المجاز التمثيل ولعله أعلم • قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون (قال فيه قرئ إنك ميت ومائت الخ) قال أحدنا استعمال ميت مجاز إذ الخطاب مع الأحياء واستعمال مائت حقيقة إذ لا يعطى اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها يعني توفى الموت والتوفى تمت في صفاتها أي بتوفيقها حين الماتم تقيها للنوم بالموت كقوله وهو الذي يتوفى بالليل فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يرد لها في وقتها ويرسل الأخرى أي السائمة إلى الأجل الذي سماه أي قدره لموتها الحقيقي هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية واه أعلم

(قوله في أمره سادر) في الصحاح السادر المتخير (قوله فهم شماع) بالفتح أي متفرق وقولهم بها أوزاع من الناس أي جماعات كذا في الصحاح (قوله ونبي إليكم أنفسكم) لعله إليهم أنفسهم

عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۚ ثُمَّ مَا يَأْشَؤُنَّ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۚ يُكْفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا
وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

وإذا قلت زيد ميت فكذا تقول حي في قبضته فيما يرجع إلى الزوم والثبوت والمعنى في قوله (إنك ميت وإنهم ميتون)
إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأتيت في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكان قد كان (ثم إنكم) ثم إنك وإياهم فقلت ضمير
المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلهذا في العناد
ويتعدون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وقول السادات أغرتنا الشياطين وآبأونا الأقدمون
وقد حمل على اختصاص الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لم لا تختصموا الذي والمؤمنون الكافرين
يكتنزون بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه
الآية أرسلت فينا وفي أهل الكتاب قلنا كيف تختصم وتيناوا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب
وجوه بعض بالسيف ففرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد
فها هذه الخصومة فلما كان يوم صفين شتد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم التيمي قالت
الصحابه ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا ومن أي العالیه نزلت في أهل القبلة
والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله تعالى فن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) اقترى عليه إضافة الولد
والشريك إليه (وكذب بالصدق) بالأمر الذي هو الصدق بينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (إذ جاءه) فاجأه
بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية وإعتمام تبيين بين حتى وباطل كايضل أهل النصفه فيما يسمعون
(مثنوى للكافرين) أي هؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام للكافرين إشارة إليهم (والذي جاء بالصدق
وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كأراد موسى إياه وقومه
في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يتهدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون) لأن هذا في الصفة وذاك في الاسم
وبجوز أن يريد الفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق ومحابهة الذين صدقوا
به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم
به يعني أداه إليهم كائنزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من
الحكيم الذي لا يغفل القبيح لمن يجربها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا لصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ
وصدق به (فإن قلت) ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) أما الإضافة
فأما من إضافة أفضل إلى الجنة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك
الأشجع أعدل بني مروان وأما التفضيل فلإدراك أن السوء الذي يفرط منهم من الصفات والزلات المكفرة هو عديم
الأسوأ لاستقامتهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ
وحسنهم بالأحسن وقرئ أسوأ الذي عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت حمزة الإنكار على كلمة النبي
فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء
وذلك أن قریشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تحبلك آملتنا وإنا نخشى عليك معرفتنا ليعك

(قوله وإنا نخشى عليك معرفتنا) أي أئمتنا أفاده الصحاح

يُضِلُّ اللَّهُ قَوْمَهُمْ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ قَوْمَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مِثْلٍ لَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ . وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ
هَلْ مِنْ كَاشِفٍ ضَرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ مِنْ مُعْكِتٍ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .
قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ لِيْ عَمَلٌ قَسُوفَ تَعْلَمُونَ . مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ .
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

إِذَا هِيَ وَرَوَى أَنَّهُ بَعَثَ خَالِدًا إِلَى الْعَزَى لِيَكْرِهَهَا فَقَالَ لَهُ سَادَتُنَا أَخَذَرَكُنَّهَا بِأَخْلَادِنَا لَهَا لَشِدَّةٌ لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ فَمَعِدَ
خَالِدًا إِلَيْهَا فَهَضَمَ أَهْلُهَا فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أَنَّ يَعْصِمَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَيُدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ بَلَاءٍ فِي مَوَاطِنِ
الْخَوْفِ وَفِي هَذَانِ كَيْفَ يَهْتَمُّ بِهِمْ لَأَنَّهُمْ خَوْفُهُ مَا لَا يَدْعُرُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا ضَرُّ أَوْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَقَدْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَحْتَكَافُكُمْ فَكَيْفَ
أَعْلَمُ ذَلِكَ قَوْلُ قَوْمِ هُودٍ إِنْ نَقُولُ إِلَّا عَرَاكُنَا بَعْضُ أَلْهِنَا بِسُوءٍ وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْعَبْدَ وَالْعَبَادَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ
فِي الشَّدَائِدِ وَكَافِلُ مَصَالِحِهِمْ وَقَرِئَ بِكَافٍ عِبَادَهُ عَلَى الْإِضَافَةِ وَيَكْفِي عِبَادَهُ وَيَكْفِي يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَهْمُوزٍ مُفَاعَلَةٍ
مِنَ الْكَفَايَةِ كَقَوْلِكَ بِجَازِي فِي بَحْرِي وَهُوَ أَجْلُغٌ مِنْ كُنِيَ لِيَنَاهَهُ عَلَى لَفْظِ الْبَالِغَةِ وَالْمُبَارَاةِ أَنْ يَكُونَ مَهْمُوزًا مِنَ الْمَكْفَاةِ
وَهِيَ الْجَازَاةُ لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ وَيَجْزِيهِمْ أَجْرُهُمُ (بَالِذِينَ مِنْ دُونِهِ) أَرَادَ الْأَوَّانَ الَّتِي تَأْخُذُوهَا أَلْهَةٌ مِنْ دُونِهِ (بِعِزِّ)
بِنَابِلٍ مُنْبَعٍ (ذِي انْتِقَامٍ) يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَفِيهِ وَعِدَ لِقَرِيشٍ وَوَعَدَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ يَنْتَقِمُ لَهُمْ مِنْهُمْ وَيَنْصَرِّمُ عَلَيْهِمْ قَرِئَ
كَاشَفَاتِ ضَرَّهُ وَمِصْكَاتِ رَحْمَتِهِ بِالتَّوْنِ عَلَى الْأَصْلِ وَبِالْإِضَافَةِ لِلتَّخْفِيفِ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ يَفْرَضِ الْمُسْتَلْ فِي نَفْسِهِ دُونَهُمْ
(قُلْتَ) لِأَنَّهُمْ خَوْفُهُ مَعَزَةُ الْأَوَّانِ وَتَخْفِيلُهَا فَأَمَرَ بِأَنْ يَنْقَرَهُمْ أَوَّلًا بِأَنَّهُ خَالِقُ الْعَالَمِ وَهَؤُلَاءِ وَحْدَهُ ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ بَعْدَ التَّعْرِيرِ
فَإِذَا أَرَادَنِي خَالِقُ الْعَالَمِ أَفَرَأَيْتُمْ بِي بَصَرٍ مِنْ مَرَضٍ أَوْ قَرٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّوَالِزِ أَوْ بِرَحْمَةٍ مِنْ مَحْضَةٍ أَوْ غَنَى أَوْ غَرَمًا
هَلْ هَؤُلَاءِ إِلَّا خَوْضُومِي إِيَّاهُمْ كَاشَفَاتِ عَنِّي ضَرَّهُ أَوْ مِصْكَاتِ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْبَمَهُمُ الْحَجَرَ وَطَعْلَهُمْ حَتَّى لَا يَجِيرُوا
بِبَنَتِ شَقَّةٍ قَالَ (حَسْبِيَ اللَّهُ) كَافِيًا لِمَعَزَةِ أَوْثَانِكُمْ (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) وَفِيهِ تَهْكِيمٌ وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَأَلَهُمْ فَسَكَنُوا فَنَزَلَ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ يَقِيلْ كَاشَفَاتِ وَمِصْكَاتِ عَلَى التَّأْنِيثِ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَيُخَوِّفُوكُمْ بِالَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ (قُلْتَ) أَتُنْهِنُ وَكُنْ إِيَّانَا وَهَنْ اللَّاتِ وَالْعَزَى وَمَنَاةٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعَزَى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى
أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْآسَاءُ لِيُضْمِنَ وَيُجِيرَهَا بِزَادَةِ تَضْعِيفٍ وَتَجْزِيٍّ عَمَّا طَالِبُهُمْ بِهِ مِنْ كَشْفِ الضَّرِّ وَإِمْسَاكِ الرَّحْمَةِ لِأَنَّ
الْأَوْتُونَ مِنْ بَابِ اللَّيْنِ وَالرَّخَاوَةِ كَمَا أَنَّ الذِّكْرَةَ مِنْ بَابِ الشَّدَةِ وَالصَّلَابَةِ كَأَنَّهُ قَالَ الْإِنَاثُ الْإِنَاثُ الْإِنَاثُ مِنَ اللَّاتِ وَالْعَزَى
وَمَنَاةٍ أَضْعَفُ مِمَّا تَدْعُونَ لَهُنَّ وَأَعْجَزُ وَفِيهِ تَهْكِيمٌ أَيْضًا (عَلَى مَكَاتِبِكُمْ) عَلَى حَالِكِ الَّتِي أَتَمَّ عَلَيْهَا وَجْهَتِكُمْ مِنَ الْعِدَاوَةِ الَّتِي
تَمَكَّنْتُمْ مِنْهَا وَالْمَكَاتِبُ بِمَعْنَى الْمَكَانِ فَاسْتَعْرِضَتْ عَنِ الْعِزِّ لِبُعْثِ كَمَا يَسْتَعَارُ هُنَا وَجْهٌ لِلزَّمَانِ وَهِيَ لِلْمَكَانِ (فَإِنْ قُلْتَ)
حَقِّ الْكَلَامِ فَإِنَّ عَامِلَ عَلَى مَكَاتِبٍ قَدْ حُذِفَ (قُلْتَ) لِإِخْتِصَارِهَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ الْوَعِيدِ وَالْإِبْذَانِ بِأَنَّ حَالَهُ لَا يَحْتَفِزُ
وَيَتَزَادُ كُلَّ يَوْمٍ قُرَّةً وَشِدَّةً لِأَنَّ اللَّهَ حَاصِرُ مَعِينِهِ وَمُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ لَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ (سُفُوفَ تَعْلَمُونَ مِنْ بَأْسِهِ)
كَيْفَ تَوَعَّدُهُمْ بِكُوفِهِ مَتَصَوَّرُوا عَلَيْهِمْ غَالِبًا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَنْهَمُ الْخَوْفِ وَالْعَذَابِ فَذَلِكَ عَزَهُ وَغَلَبَتِهِ
مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْغَلْبَةَ تَمَّ لَهُ بِعِزِّهِ مِنْ أَوَّلِيَّاتِهِ وَبِذَلِّهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (يُخْزِيهِ) مِثْلُ مَقِيمٍ فِي وَقْعِهِ صِفَةُ الْعَذَابِ أَيْ
عَذَابِ غَزَلِهِ وَهُوَ يَوْمٌ يَوْمٌ يَوْمٌ يَوْمٌ وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ وَقَرِئَ مَكَاتِبِكُمْ (لِلنَّاسِ) لِأَجْلِهِمْ وَلِأَجْلِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ
لِيُبْشِرُوا وَيَنْذَرُوا فَتَقَوَّى دَوَاعِيهِمْ إِلَى اخْتِيَارِ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّمَا الْفَتْحُ فِي اخْتِيَارِ الْهُدَى قَدْ
نَفَعَهُ وَمِنْ اخْتِيَارِ الضَّلَالَةِ قَدْ ضَرَّهَا . وَمَا وَكَلْتُ عَلَيْهِمْ لِيَجْبِرَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَإِنَّ التَّكْلِيفَ مَبْنِي عَلَى الْإِخْتِيَارِ دُونَ

يُوكِلُ ۚ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۚ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۚ قُلْ هَٰذَا الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ۚ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ

الإيجار (الأنفس) الجمل كما هي وتوفيها إمامتها وهوان يسلب ما هي به حيث حساسة ذراكه من محبة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصفة كأن ذاتها قد سلبت (والتي لم تمت في منامها) يريد بتوفي الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تمام تشبها للتأمين بالموت ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يبينون ولا يصرفون كما أن الموت كذلك (فيمسك) الأنفس (التي قضى عليها الموت) الحقيق أي لا يردها في وقتها جنة (ويرسل الأخرى) النائمة (إلى أجل مسمى) إلى وقت ضربها لموتها وقبل بتوفي الأنفس يستوفيها ويقضيها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة وتوفي الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس النميز قالوا فالتى توفي في النوم هي نفس النميز لأن نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فانفس التي بها العقل والقيز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام المبدقض الله نفسه ولم يقض روحه الصحيح ما ذكرت أولا لأن الله عز وجل خلق النفوس والموت والنام جميعا بالأنفس وما هو بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والقيز غير متصف بالموت والنوم وإنما الجملة التي تموت وهي التي تمام (إن في ذلك) إن في توفى الأنفس ماتت وتامة أو ما كها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجولون فيه أفكارهم ويعتبرون ۚ وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والمهزلة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاءنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه الأثرى إلى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وهنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيئا ولا يعقلون) أي لو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكو الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والأرض) تقرير لقوله تعالى لله والشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فإن قلت) بم يعمل قوله (ثم إليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا لله فلا ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده أي إذا أقرده الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشأوا أي قروا واتقضوا (وإذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أولم يذكر استبشروا لاقتنائهم بها ونسيانهم حتى الله إلى هوام فيها وقيل إذا قيل لإله إلا الله وحده لا شريك له قروا لأن فيه نفيآ آلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشتزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يعتلى قلبه سرورا حتى تبسط له بشرة وجهه وتهلل والاشتزاز أن يعتلى غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه (فإن قلت) ما العامل في إذا ذكر (قلت) العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا

(قوله وقت الاستبشار بل رسول الله) في الصحاح بل الرجل بالكسر أي دمش (قوله وعن الربيع بن خثيم)

في النسق خثيم

وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّلَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ قِتَّةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قَدْ قَالُوا

وقت الاستبشار بل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيبتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فهم وفيه وصف لحالم وإعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبة له ووعد لم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد ضلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس في حجره ويضع قامعي فيه (وبدله من الله) وعيد لم لا كنه لفظاته وشدة تمهوه نظير قوله تعالى في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمخفى ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل علوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المسكندر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأما أخشى أن يبدلني من الله ما لم أحسبه (وبدله من سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحتهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فيها ما سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأساط جزاء هزيمهم . التحويل مختص بالفضل يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أي على علم مني أني أسأله لما في من فضل واستحقاق أو على علم من الله في وباستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قاريون على علم عندي (فإن قلت) لم ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذمابه إلى المعنى لأن قوله نعمة من شيء من التمس وقسا منها ويحتمل أن تكون ما في إنما موصولة لكافة فيرجع إليها الضمير على معنى أن الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) إنكار لقوله كأنه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أن تفسد أم تكفر (فإن قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنه (قلت) حلا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرأ ولأن الخبر لما كان مؤثرا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لأجله لأنه في معناه كقولهم ماجات ساجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته (فإن قلت) ما السبب في حذف هذه الآية بالقلم وحذف مثلها في أول السورة بالواو (قلت) السبب في ذلك أن هذه وقت مسية عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشتملت على معنى أنهم يشتمون عن ذكر الله ويستشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعاهم اشتماء من ذكره دون من

ه قوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة (قال في معناه على علم من الله في وباستحقاق الخ) قال أحد كذلك يقول على قدرى تمنى على الله أن يبييه في الآخرة أن الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة أن حمد الدنيا واجب على العبد لأنه على نعمة متفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لأنه على نعمة واجبة على الله عز وجل ولقد صدق الله إذ يقول وهي فتنة إنما سلم منها أهل السنة إذ يعتقدون أن الثواب بفضل الله وبرحمته لا باستحقاق ويتبنون في ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بمعملة قبل ولا أنت يا رسول الله قال ولأننا إلا أن يتنعمني الله برحمته فما أحق من من نفسه وركب رأسه وطمع أنه يستحق على الله الجنة (قال فإن قلت لم عطفت هذه الآية على التي قبلها بالفاء والآية التي قبلها في أول السورة بالواو وأجاب بأن هذه الآية مسية من قوله وإذا ذكر الله الخ) قال أحد كلام جليل فافهم فضلا عن شبه قليل

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَسَا آفَتُهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّصِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَهُمْ بِمَعْجِرَاتِهِ هَلَّاسُونَ . أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . قُلْ يَحِبَّادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى دَبْكُمْ وَأَسْلُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ .

استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض (فإن قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) مافي الاعتراض من دماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحمك بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشترازم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لإحکم بيني وبين هؤلاء الذين يمترون عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت وقوله ولو أن الذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقاً أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل ولو أن هؤلاء الظالمين مافي الأرض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذا الأسرار والتكت لايرزها إلا علم النظم والابقيت محجبة في أكامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسيبة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فطفت عليها بالواو وكقولك قام زيد وقصد عمرو (فإن قلت) من أي وجه وقعت مسيبة والاشتزاز عن ذكر الله ليس بمقتضى لالتجأهم إليه بل هو مقتضى لصدوهم عنه (قلت) في هذا التسبب لطف ويانه أنك تقول زيد مؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا التسبب ظاهر لالابس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فتجيء بالفاء مجتئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ويجري به مجراه في جملة سيئات في الالتجاء فأنت تحمك ما عكس فيه الكافر الأثرى أنك قصد بهذا الكلام والإنكار والتعجب من فعله . الضمير في (قالها) راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول . وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوا هو ويجوز أن يكون في الأمم الحالية آخرون قائلون مثلاً (فا أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من منافع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركي قومك (سبيصهم) مثل ما أصاب أولئك قتل صناديدهم يدر وحسب عنهم الرزق قسحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا) أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح التون وكسرهما وضما (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكته وعدله للملك وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالى ونظير في المبالاة نفي الخوف وقوله تعالى لا يخاف فيهاها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبداً أو ثانياً وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم يهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فزلت وروى أنه أسلم عياش بن أثير يفتي الوليد بن الوليد فترغمها ثم عذبوا عذبوا فافتقروا فكانوا يقول لا يجبل الله لم صر فالو لا عدلاً أبداً فزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم فأسلوا وهاجروا وقيل زلت

(قرنه المعترض بينه وبينه) لمل قوله وبينه مزيد من بعض التامنين (قوله لصدوهم عنه) أي إعراضهم فأفاده الصراح (قوله يعني بشرط التوبة) عند التوبة فالعموم شامل للشرك وعند عددها فلا يغفران للكبار عند المعتلة ويجوز بالشفاعة ويجزى بالفضل عند أهل السنة «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» كما تقر في علم التوحيد فأرجع إليه

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتُنِي

في وحشي قاتل حزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن أنزل الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث ميزات (وأنيبوا إلى ربكم) وتوبوا إليه (واسألوا له) وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللالة على أنها شرط فيها لازم لا يحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيستمعون أحسنه (وأنتم لا تشعرون) أى ينجوكم وأنتم ظافلون بأنكم لا تحسبون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فإن قلت) لم تكتر (قلت) لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بمذاب عظيم ويجوز أن يراد التكسير كما قال الأعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه . أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجهم الكرام يصبرونه لا كرموا واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب يطل قارعت وقد اغتسل الطعنة ولا يقصد إلا التكسير . وقرئ ياحسرق على الأصل وياحسر تاي على الجمع بين العوض والمعوذ منه والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لئن الجانب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربرى

أما تتقين الله في جنب وائق . له كبد حزى عليك تقطع
وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت فيه الأثر إلى قوله :

إن السباحة والمروءة والسدى . في قبة ضربت على ابن الحنجر

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لا جلك وفي الحديث من الشرك الخبي أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذان جهنم فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الفرض بين ذكر المكان وتركه (فرطت في جنب الله) على معنى فرطت في ذات الله (فإن قلت) فرجع كلامك إلى أن ذكر الجانب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها فإنه قيل فرطت في الله فقامت فرطت في الله (قلت) لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجانب أو لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وحرف عباده وحصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في عبارات (وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى يحرم من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت في حال سخرى وروى أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه فسرق وأناه إبليس وقال له تتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه في القصور فأناه ملك الموت في أنفاهما كان فقال يا حسر تاي على ما فرطت في جنب الله ذهب عمرى في طاعة الشيطان وأخطت وفي قدم حين لم ينفعه الندم فأقول الله خبره في القرآن (لو أن الله هداني) لا يخلو إمام أن يريد الهداية

(قوله لو هتفت بجوه أتاني كريم) في الصباح الخو القطعة من الأرض فيما غلظ وما اتسع من الأودية وما بين السماء والأرض وفيه القيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى وأما الخو بالهاء المهمة فلهذا كره فيهم ذكر الحقوة بمعنى سواد مشوب بحمرة (قوله لا يخلو إمام أن يريد الهداية) تحمل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة ولكن خلق الهداية لا يصل إلى هذا الإلزام لأنه لا يسلب الاختيار عند أهل السنة كخلق التقوى والطاعة وغيرهما من الأفعال الاختيارية لما أثبتوه للعباد من الكسب فيها وإن كان فاعلها في الحقيقة هو الله تعالى كما تنور في التوحيد

فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ • وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ • وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغَارِهِمْ لِيَمْسَهُمُ السُّرَّةُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ •

بالإجماء أو بالإلطف أو بالوحى فالإجماء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الإلطف فليطف به أما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم ينسبه حتى يهتدى وإنا نقول هذا تعبيراً فى أمره وقملاً بما لا يحصى عليه كما حكى عنهم التعليل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدا الله هدىناكم وقوله (على قدسها تلك آياتى) رد من الله عليه معناه على قدهدته بالوحى فكذبت به واستكبرت عن قبوله أو نرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على غلبة النفس (فإن قلت) هل اقترن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانا لولا فضل بينهما بآية (قلت) لأنه لا يغفلوا أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهما وإما أن توخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لمسايقه من تنبيه النظم بالجمع بين القرائن وأما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفریط فى الطاعة ثم التعليل بفقد الهداية ثم تنبى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فإن قلت) كيف صرح أن تقع على جوابا لغير منى (قلت) لو أن الله هدانا فيه معنى ما هدته (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا قالوا لواء الرحمن ما عبدناهم قالوا فإني أرى أن لا يعبدكم قوم يسفهونكم بفعل القبائح وتجوز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم بالامرض بتكليف مالا يطاق ويحسمونه بكونهم رايما منا مدركا بالحاسق ويثبون له يدأ وقدموا جنباً مستترين بالكسفة ويجعلون له أعداء يأتياهم معه قدما (وجوههم مسودة) جملة فى موضع

• قوله تعالى • ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة • (قال فيه يعنى الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحد قديمي القصة لمريض فى قلبه لادواء له إلا التوفيق الذى حرمة ولا ينافيه من إلا الذى قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسقيم عليه حذارة لأنه قد أبدى صفحته ولولا لشرط الكتاب لأضر بنا عنه صفحا ولو ناعن الانفات إليه كشعاباقة التوفيق فنقول أنما تعرضه بأن أهل السنة يمتقون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجعه باعتقادهم المشار إليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة والله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، أما العنشى وإخوانه القدرية فيغترون فى وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شيء لأن القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا أنهم زهوا وإلما أشركوا وأما تعرضه لهم فى أنهم يجوزون أن يخلق خلقا لا لغرض فذلك لأن أفعاله تعالى لا تامل لأنه الفاعل لما يشاء وعند القدرية ليس فضلا لما يشاء لأن الفعل إنما منطو على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعلهم عديم وإما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعلها فإن أثر المشيئة إذا • وأما اعتقاده أن فى تكليف مالا يطاق فظن أن الله تعالى فاعتقاد باطل لأن ذلك إنما ثبت لازما لاعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبده فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقا لهم والقاعدة الأولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم إلا التصرف فى ملك الغير بنسب إذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وأما تعرضه بأنهم يجوزون أن يؤلم بالامرض فيقال له ما قولك أيها الظنين فى إيلام البائهم والأطفال ولأعراض لها وليس مرتبا على استحقاق سابق خلافا للقدرة إذ يقولون لا بد

(قوله وقرئ بكسر التاء على غلبة) لعل من كسرهما كسر الكاف أيضا (قوله تعالى قوم يسفهونكم بفعل القبائح) يريد بهم أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد ولو ماصى وأن فصله لا لغرض بل لحكمة وإلزام الأطفال لا يستوجب عليه عروضا وتعليمة نسبة إلى الظلة بتجوز تكليف المحال كما فى علم الأصول وجوزوا عليه الرؤية وهى غير مختصة بالأجسام عديم وجوز السلف أن يكون له يد ونحوها لكن لا كالأيدى وأراد بالقدماء صفات المصان كالقدرة والإرادة حيث قال أهل السنة إنها موجودة بوجودات زائدة على وجود الذات وتحقيق ذلك فى التوحيد والأصول فافهمه والبلكة فتر لهم بلا كيف

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ثَبَاتُ اللَّهِ

الحال إن كان - ي من رؤية البصر ومفعول ثانٍ إن كان من رؤية القلب • وقرئ ينجى وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله (لا يسهم السوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل ما مفازتهم فقيل لا يسهم السوء أى ينجمهم بنى السوء والحزن عنهم أو يسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متى مفازة (فإن قلت) لا يسهم ماعله من الإعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثانى فتحله التصب على الحال (له مقاليد السموات والأرض) أى أموالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزان ومدير أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان أقيت إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال يقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فإن قلت) ما للكتاب العربى المبين والفارسية (قلت) التريب أحاطها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملًا • (فإن قلت) بما أنصّل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجى الله الذين آمنوا أى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيم عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلاً بما يليه على أن كل شيء فى السموات والأرض فاعله خالقهم فأتى به والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال بائعان ما سألني هنا أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله وأكبر وسبحان الله ومحمد وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن يده الخير يحمي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن الله هذه الكلمات بوحدها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تمكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات

فى الآلём من استحقاق سابق أو عوض • وأما اعتقاده أن تجوز رؤية الله تعالى يسئلزم اعتقاد الجسمية فإنه اغترار فى اعتقاده بأدلة العقل المجوزة لتلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر أنه يقابل بداية قول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام إنكم سترون ربكم قالتمز ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فهذا النص الذى ينبوع التأويل ولا يردع المتمسك به شيء من التأويل وأما قوله إنهم يسترون باليكفة فعنى به قولهم بلا كيف أجل إنما لست لآتهمك يد الباطل البتراء ولا تبع عن الهدى عين الضلال العوراء وأما تريضه بأنهم يحملون الله أنداداً بإبائهم معه قدام فنى لإبائهم صفات الكيان كلا والله إنما جعل الله أنداداً التقديرية إذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا إن ما شاءه كان وما شاء الله لا يكونوا أهل السنة فلهذا يدوا على أن اعتقدوا أن الله تعالى علما وقدره وإرادته وسما وبصره وكلاماً وحياة حسباً دلت على العقل وورد به الشرع وأى غلص للقدري إذ اسع قوله تعالى وسع ربنا كل شيء علماً إلا اعتقاد أن الله تعالى علماً أو جحد آيات الله وإطفاء نوره وبأى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأما قوله إنهم يثبتون لله تعالى بداً وقداماً وذلك فرية عافيا مربة ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وإنما أثبت القاضي أبو بكر صفات سمعية وردت فى القرآن البان والعيان والوجه ولم يتجاوز فى إثباتها ما وردت عليه فى كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل الدين على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب هذا نصف من هذه المباحة بحال من بحث بظنه عن حقه وتريضه معتقده القاسد لملكه ستره وكشفه إنما حلقى على غلاظ مخاطبة الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فإنه قد أساء عليهم الأدب ونسبهم بكذبه إلى الكذب

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . قُلْ أَفْتَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْدِيأُ الْجَاهِلُونَ . وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بَلْ اللَّهُ فَاعِدٌ وَكَفَى مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

افعلوا كل ما توحى من حيد ومجده أولئك هم الخاسرون (أفتر الله) منصوب بأعبدوا (تأمروني) اعتراض ومعناه أفتر الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا وتو من يملك أو نصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لا نه في معنى تعبدوني وتقولون لي أعبد والأصل تأمروني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله . ألا أيذا الزاجري أحضر الرغي . ألا تراك تقول أفتر الله تقولون لي أعبد وأفتر الله تقولون لي أعبد فكذلك أفتر الله تأمروني أن أعبد وأفتر الله تأمروني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب . وقرئ تأمروني على الأصل وتأمروني على إدغام التين أو حذفها . قرئ ليحطن عملك وليحطن على البناء للمفعول ولحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشركه . (فإن قلت) الموحى إليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله وأوحى إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا (فإن قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الأولى موطة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساذ مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط (فإن قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لاستتاع الداعي إلى الوجود الصارف عنه . (فإن قلت) ما معنى قوله ولتكون من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكون من الخاسرين بسبب جحوظ العمل ويحتمل ولتكون في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى إذا لذتلك ضعف الحياة وضعف المات (بل الله فاعيد) رد لما أمروه به من استسلام بعض أمتهم كأنه قال لا تعبد ماأمرك بعبادته بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله لحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه (وكن من الشاكرين) على ماأنتم به عليكم به أن جعلكم سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعيد . لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وماقدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم منهم على عظمتهم وجلالة شأنهم على طريقة التخييل فقال (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) والسموات مطويات بيمينه) والفرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بحملته وبمجوعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلالة لاغير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى

وأما المرعده قوله تعالى بل الله فاعيد (قال فيه أصل الكلام إن كنت عادداً فاعيد الله لحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه أم كلامه) قلت مقتضى كلام سيوطي في أمثال هذه الآية أن الأصل فيه فاعيد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً فلما وقعت الفاء أول استكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه قدموا المفعول وصارت متوسطة لفظاً ودلالة على أن ثم عذوقاً اقتضى وجودها وتعلطف عليه ما يندمها ويضاف إلى هذه النابة في التقديم فائدة المحسر كما تقدم من إشاراً التقديم بالاختصاص . قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (قال) فيه الفرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلالة من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبراً

أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزمن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال ثم قرأ تصديقاً له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفسح العرب صلى الله عليه وسلم وتجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير قصور إفساح ولا أصعب ولا هو ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة فإن الأفعال العظام التي تنحيز فيها الأفعال هو الأذهان ولا تكتسبها إلا وهام حيلة عليه هو أن لا يصل السامع إلى الوقوف عليها إلا لإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل ولا ترى باقي علم البيان أدق ولا أقوى ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعم على تمامي تأويل المشبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليه تغيّلات قد زلت فيها الأقدام قديماً وما أتى الزالون إلا من فلة غايبهم بالبحث والتفتير حتى يعلوا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدره حق قدره لما غنى عنهم أن العلوم كلها مفترقة إليه ويحال عليه إذ لا يعمل عقدها المؤثرة ولا يفلح قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضم وسم الحسف بالتأويلات الغثة والوجه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا تفي ولا يعرف قبلاً منه من دير والمراد بالأرض الأربعة السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جبرائيل وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجمع أتبع الجمع مؤكداً قبل مجيء الخبر ليبلغ أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلها والقبضة المرة من القبض وقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضاً أعطى قبضة من كذا تريد معنى القبضة نسبة بالمصدر كما روى أنه نهي عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعاً قبضته أي ذوات قبضته قبضته واحدة يعني أن الارضين مع طغيانهم وبسطهم لا يلبس إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجوزو أكلة لفيان والقلة جعرت أي ذات أكلته وذات جعرت تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجعرة فردة من جرمانه وإذا أردت معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الارضين بجمليتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفاً مشبهاً للوقت بالمهم * معطويات من العلى الذي هو ضد النحر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب وعادة طوى السجل أن يطويه يمينه وقيل قبضته مملكة بلا مدافع ولا منازع ويمينه بقدرة وقيل معطويات

جاء إليه فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزمن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الخبر ثم قرأ هذه الآية تصديقاً له وإنما ضحك أفسح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصوير إفساح ولا هو ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يصل السامع إلى الوقوف عليها إلا لإجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخيل ثم قال وأكثر كلام الأنبياء والكتب السماوية عليها تغيّلات قد زلت في الأقدام قديماً أه كلامه (قلت) إنما غنى بما أجراه هنا من لفظ التخيل التمثيل وإنما العبارة موهمة منكورة في هذا المقام لا تلحق به بوجه من الوجوه والله أعلم

(قوله أن جبريل جاء إلى رسول الله) قيل الصواب أنه خبر من أخبار اليهود لا جبريل ويدل عليه ما في البخاري ومسلم والترمذي كذا يهاشم ويؤيده أن أبا القاسم عادة اليهود في ندائه صلى الله عليه وسلم (قوله وعليه تغيّلات) أي مظلمة (قوله وما أتى الزالون) أي أجبروا (قوله بالتأويلات الغثة) في الصحاح الغث نبت يختبئ حبه ويؤكل في الجوبوت تكون خبزه غليظة شبيهة بجذبة الملة (قوله قبلاً منه من دير) في الصحاح القليل ما قبله المرأة من غزلها حين تفتلوه في الدير ما تدبره به المرأة من غزلها حين تفتله ومنه قيل فلان ما يعرف قبلاً من دير (قوله نهي عن خطفة السبع) أي والمراد مخطوبة

يُشْرَكُونَ ۚ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَقَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ يَقَامُونَ ۚ وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ هَؤُلَاءِ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

بينه منيات بقسمه لأنه أقسم أن يضربها ومن اشتد راحة من علينا هذا فليمرض عليه هذا التأويل يليق بالمعجب منه
ومن قاله ثم يبيح حية لكلام الله المعجز فصاحته وامني من به أمثاله وأقل منه على الروح وأصدق الكبد تدوين
الملاء قوله واستصانهم له وحكاية على فروع المنابر واستجلاب الامتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم
السماوات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه قدرته
وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء (فإن قلت) (أخرى) ما جعلها من الإعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب
أما الرفع فلي قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فلي قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور
نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإما حذف لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما
ينظرون يقبلون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام
بمعنى الوقوف والجلود في مكان لحريم ۚ قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل
وهذا من ذلك والمعنى (وأشرفت الأرض) بما يقيم فيها من الحق والعدل ويسطه من القسط في الحساب ووزن
الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار إضافة إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يربها
حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أذن للباطل من العدل ولا أعز لها
منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وإنما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على أشراق الأرض
من وضع الكتاب والمحجي بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وتري الناس يقولون للملك العادل
أشرفت الآفاق بمدلك وأضأت الدنيا بقسطك كما تقول أغلظت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظلم ظلمات يوم القيامة وكافح الآية بإثبات العدل ختمها بنبي الظلم وقرئ وأشرفت على الباء للفعل من شرقت بالضوء
تشرق إذا امتلأت به واعتصمت أشرقها كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا (الكتاب) محامد الأعمال ولكننا كنفي
باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للأمام وعليهم من الحفظة والأخبار وقيل المستشهدون في سبيل الله
المرء الأبرار المتفرقة بعضها في أربعض وقد ترمزوا قال حتى أحرزت زمرا بعد زمروا قيل في زمرا الذين اتقوا الطبقات المختلفة
الشهداء والزهاد والملاء والقراريغ وغيرهم ۚ وقرئ نذر منكم ۚ (فإن قلت) لم أحيف إليهم اليوم (قلت) أرادوا لقامرتكم
هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا في أوقات الشدة (قالوا بلى) أنونا
وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لا ملائ جهم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا

(قوله وامني من به أمثاله) أي ابتلي (قوله أما الرفع فلي قوله فإذا نفخ) أي في الحاقة وقوله من قرأ أي هناك وقوله
حذفت أي هنا (قوله بمعنى الوقوف والجلود) (قوله وقد ترمزوا) وفي نسخة أخرى تزامروا وفي الصحاح
أحرزت الإبل في السير ارتفعت

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُنَّ بِمَوْتِي الْمُتَكَبِّرِينَ ۖ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَ هُوَ مَا وَفَّقَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۖ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

عملهم المرجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال ۝ اللام في المتكبرين للجنس لأن (موتى المتكبرين) فاعل بس وموتى فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالدم محذوف تقديره فبش موتى المتكبرين جهنم (حتى) هي التي تحكي بعدها اجل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف حتى موقفه ما بعد خالدين وقيل حتى إذا جاءها جازها وفعت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتفتح فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاءها وقد فتحت أبوابها (فإن قلت) كيف عبر عن الذهاب بالفرضين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحيثما أسراهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فستان ما بين السوفين (طبتهم) من دنس المعاصي وطهرتهم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسيا عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين وموتى الطاهرين لأنها دار طهرها أقم من كل دنس وطيبها من كل قدر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالها من تلك المناسبة وما أضف سعيا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يجب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتطيب وضرهه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود (الأرض) عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه وانخفوه مقرا ومتبورا وقد أوردوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبها بحال الوارث وتصرفه فيها يرثه وأنساعه فيه وذهابه في إغناقه طولاً وعرضاً (فإن قلت) مامعنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوا أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيقبأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره (حافين) محققين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله تملذذين لامتعبدين (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق (فإن قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم إمام جمع العباد وإمام الملائكة كأنه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإزال كل منا منزله لقيى حقه ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر

سورة غافر مكية

إلا آتيت ٥٦ و ٥٧ فدينان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

(سورة المؤمن مكية)

(قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة ، وقد قيل في الحواميم كلها

أنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية ، وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قرئ بإمالة ألف حا وتضميها الميم وبسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإثارة أخف الحركات نحو أين وكيف أو ألنصب بإضمار أقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أحمى نحو قایل وهایل . التوب والتوب هو الأوب أخوات في معنى الرجوع والطول والفضل والزيادة يقال فلان على فلان طول والإفضال يقال طالع عليه وتطول إذا تعطل (فإن قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتكثيراً والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف (قلت) أتاغافر الذنب وقابل التوب فمرتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جملة الزجاج بدلا وفي كونه بدلا لاجده بين الصفات بنو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه التكررة الواحدة قد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت فتعاطيها كلها على مستغفلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعل كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليرادج ما قبله وما بعده لفظاً قد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف بمحاذيه من عناديه فتروا ما هو وتزلاجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل أنه على نية الألف واللام كما كان الجاء الخفي على نية طرح الألف واللام وما سهل ذلك الأمن من اللبس وسهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعدد تكثيره وإيهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى حاله شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز

(القول في سورة غافر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى «غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب» الآية (قال) فيهن قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتكثيراً والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف وأجاب بأن غافر الذنب وقابل التوب مترقان لأنها صفتان لازمتان وليستا لحادث الفعل حتى يكونا حالا أو استقبالا بل إضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلاشك في أن إضافته غير حقيقية يريد لأنه من الصفات المشبهة ولا تكون إضافتها محضة أبداً . عاد كلامه قال وجهه الزجاج بدلا وحده واخراد البذل من بين الصفات فيه بنو ظاهر والوجه أن يقال أن جميعها أبدال غير أوصاف لوقوع هذه التكررة التي لا يصح أن تكون صفة كما لو جاءت قصيدة فتعاطيها كلها على مستغفلن قضى عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعل كانت من الكامل (قلت) وهذا لأن دخول مستغفلن في الكامل يمكن لأن متفاعل يصير بالضمير إليه مستغفلن وليس وقوع متفاعل في الرجز ممكناً إذ لا يصير إليه مستغفلن التة فما يقضى إلى الجمع بينهما فإنه يتعين وهذا كما يقضى الفقهاء بالخاص على العام لأنه الطريق في الجمع بين الدليلين وأجاز فيموجهاً آخر وهو

الْعَقَابُ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ مَا يَجِدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْفِرُكَ تَقْلِبُهُ
فِي الْبَلَدِ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ه وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِرَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

أن يقال هذه التكنة هي الفاعية إلى اختيار البذل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال (فإن قلت) ما بال الواو
في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهي إعادة الجمع للذنب النائب بين رحمتين بين أن يقبل توبه فيكتبها له
طاعة من الطاعات وأن يجعلها عمدة للذنوب كأن لم يذنب كأه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضي الله عنه
افتقد رجلا ذابا سديدا من أهل الشام فقبل له فتابع في هذا الشراب فقال عمر لكانه أكتب من عمر إلى فلان سلام عليك
وأما أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو وبسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إلى المصير وختم الكتاب وقال الرسول لا تدفعه
إليه حتى تجده صاحباً ثم أمره من بعده بالعداء بالتوبة فلما آتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرتني
عقابه فلم يرحرر من رده حتى يكتم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحداًكم
قد زلّ زلة فسددوه ووقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعرافاً للشياطين عليه ه يحمل على المجادلين في آيات الله
بالكفر والمراد الجدال بالباطل من العلم فيها والتقصّد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دلّ على ذلك في قوله وجادلوا
الباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقابلة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل
الريغ بها ومنعهم من إغواض جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدلاً في القرآن كفر وإن جدلاً في القرآن كفر وإن جدلاً
تتميز منه بين جدال وجدال (فإن قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغفر لك) ما قبله (قلت) من حيث أنهم لما كانوا مشهوداً
عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لأحد أشق منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا يرجع أحوالهم في عينه ولا يغفره
إفباهم في دنياهم وتقليبهم في البلاد بتجارته النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولم
الأموال يتجرون فيها ويرتبحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد ه ثم ضرب تنكيدهم وعداوتهم
لرسل وجدالهم بالباطل وما أذخرهم من سوء العاقبة مثلاً ما كان من تحذرك من الأمم وما أخذهم بمن عقابه وأهله بساحتهم
من انتقامه ه وقرئ فلا يغفر (الأحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم وهم عادون نودون فرعون وغيرهم (وهمت كل أمة)
من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه من الإيقاع به وإصابته بما
أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال لا تسير أعينهم (فأخذتهم) يعني أنهم قصصوا أخذهم فجلست جزاءهم على إرادة أخذهم إن أخذتهم

أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب عنوف الآف لجنانس ما قبله وذلك مثل قولهم ما يعرف سجادله
من عناديه فتوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قد قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك
وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا أنه على نية الآف واللام كاجاء الجاء التغير على نية حذف الآف واللام
مضافاً إلى ما سهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة ه وأجاز وجهاً آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيدها لما في
الإيهام من الدلالة على فرط الشدة ه قال ولعل هذه التكنة هي الباعية إلى اختيار البذل على الوصف إذا سلكت طريقة
الإبدال ه قال فإن قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جليلة وهي إعادة الجمع بين رحمتين مغفرة
الذنب وقبول التوب ه قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لإدحاض
الحق وقصد إطفاء نور الله قد دلّ على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لإيضاح
ملتبسها وحل مشكلها ومقابلة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الريغ عنها فأعظم جهاد في سبيل الله تعالى وهى
هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام إن جدلاً في القرآن كفر ولهذا أوردته منكراً للتمييز بين جدال وجدال

النَّارِ • الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

(فكيف كان عقاب) فإنكم ترمون على بلادهم ومساكنهم فتمانيون أثر ذلك وهذا اقرب ربه معنى المجيب (أنهم أصحاب النار) في عمل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كإوجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم في الآخرة أوفى على الصب بخلف لام التعليل وإيصال الفعل • والذين كفروا فريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأسم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علوق واحدة تجتمعهم أنهم من أصحاب النار • قرئ كلمات • روى أن حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرفت العرش وشوم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تنفكروا في عظم ربكم ولكن تكسروا فيخلق الله من الملائكة فإن خلفا من الملائكة يقال له إسرائيل زاوية من زوايا العرش على كامله وقدماء في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليعتدل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضوع وفي الحديث إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يندبوا ويروحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين الغائمتين من قوائمه خفافا الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة يطوفون به مائة مائة مكبرين ومن وراءهم سبعون ألف صنف قيام قد وضعوا أيديهم على رقابهم رافعين أصواتهم بالليل والتكبير ومن وراءهم مائة ألف صنف قد وضعوا الإيمان على الشمايل مائتهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر • وقرا ابن عباس العرش بضم العين (فإن قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) لا يخفى على أحد أن حلة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كأوصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصالح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وقائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حلة العرش ومن حوله مشاهدين معانيين ولما وصفوا بالإيمان لأنه بما يوصف بالإيمان العائب قلبا وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزّه عن صفات الأجرام وقد روي التناسب في قوله (ويؤمنون به) (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل يؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدمى شيء إلى الصيحة وأبمته على إحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجاس وتباعدت الإيمان

• قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية (قال) فيه إن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حلة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بأن فائدته إظهار شرف الإيمان كأوصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصالح لذلك وكأعقب أفعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وقائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما يقول المجسمون لكان حلة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالإيمان لأنه بما يوصف بالإيمان العائب قلبا وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا • قال وفيه تنبيه على أن الاشتراك في وصف الإيمان يجب أن يكون أدمى شيء إلى الصيحة وأبمته شيء على إحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجاس وتباعدت الأماكن فإنه لا تخاف بين ملك ويشروع ذلك لما اشتراكا في صفة الإيمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقي والتناسب المجنسي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض اه كلامه (قلت) كلام حسن إلا استدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا لا يدل لأن الإيمان هو

(قوله حتى يصير كأنه الوضوع) طائر أصفر من المصفر (قوله كما تقول المجسمة) يريد أهل السنة لأنهم لما جئوزوا رؤيته تعالى ممانية لزمهم القول بأنه تعالى جسم ولكن الرؤية لا تستلزم المجسمة خلافا للبعثرة كما بين في علم التوحيد

وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ

الإيمان فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوى وأرضى قط تم لها جاء جامع الإيمان جامعة التجانس الكلى والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن فى الأرض • أى يقولون (ربنا) وهذا المضر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فإن قلت) تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء فى المعنى والأصل وسع كل شيء رحنك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التغير للإغراق وفى صفة بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسمان كل شيء (فإن قلت) قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتقاً على حديثهما جميعاً وما ذكر إلا الغفران وحده (قلت) معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التى نهجها لعباده ودعا إليها (إنك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لا يغلّب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تنى بوعذك (وقهم السيئات) أى العقوبات أو جزاء السيئات لحذف المضاف على أن السيئات هى الصغائر أو الكبائر المتوابع عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فإن قلت) ما الفائدة فى استغفارهم ولم وهم ثابتون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يتخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بعضهم اللام والفتح أصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صلح وذريتهم أى ينادون يوم القيامة فيقال لهم

التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل محتمل لإطلاق الإيمان بالآيات مع أنها مشاهدة كالتفريق القمر وقلب المعاصية وإنما تقب الزعشرى هذا التكلف عما فى قلبه من مرض لكنه طاح بعيداً عن الفرض فقرر أن حلة العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لأن معنى الإيمان عنده التصديق بالغائب ثم يأخذ من قولهم غير مشاهدين أن البارى عز وجل لو سمعت رؤيته لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى عمالاً بصحة العقل وقد أبطلنا ما ادّعى من أن الإيمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه فلا نسلم أنه يلزم من كون حلة العرش مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة الانتاج لأن الرؤية عبارة عن إدراك يخلق الله تعالى هذا الإدراك لحلة العرش إلا أن يذهب بالزعشرى الزوم إلى أن مصحى الرؤية يعتقدون الجسمية والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حلة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة ومصحى الرؤية من ذلك قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فإن قلت قد ذكر أولاً الرحمة والعلم ثم ذكر ما توجبه الرحمة وهو الغفران فأين موجب العلم وأجاب بأن معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك • قال وقوله إنك أنت العزيز الحكيم معناه الملك الذى لا يغلّب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تنى بوعذك ثم قال ومعنى السيئات العقوبات التى هى جزاء السيئات أو على حذف مضاف على أن السيئات هى الصغائر أو الكبائر المتوابع عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم قال فإن قلت ما الفائدة فى استغفارهم وهم ثابتون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يتخلف الميعاد وأجاب بأن هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه

(قوله سبيل الحق التى نهجها لعباده) آياتها وأوصفها أفاده الصحاح

وَمَنْ قَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ
مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا آيَاتِنِ وَأَحْيِنَا آيَاتِنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا

(لمقت الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذلك عما فرغوا (إذ تدعون) منصوب بالمقت الأول
والمنى أنه يقال لم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأماره بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان
فأبون قبوله وتفتارون عليه الكفر أشد ما تمقتون اليوم وأتم في الآثار إذ أوفقتكم فيها مانعكم هواناً وعن الحسن
لما رأوا أعلم الخيفة مقفوا أنفسهم فودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم بعض
كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويعلم بعضكم بعضاً وإذ تدعون لتبيل وللمقت أشد البض وضع في موضع أبلغ
الإنكار وأشدّه (ائتني) إمامتين وإحياءتين أو موتيتين وحياتين وأراد بالإمامتين خلقهم أمواتاً أولاً وإماتتهم عند
انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياء الأولى وإحياء البعث وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى وكنت أمواتاً فأحيأك
ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا من ابن عباس رضى الله عنهما (فإن قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتاً إمامة (قلت)
كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحمار ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وليس
ثم قل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء
على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر جاران معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما وكذلك
الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجارين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائر الآخر
لجعل صرفة عنه كقوله منه ومن جعل الإمامتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات
وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتحمل فيجعل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبر وتستر

هنا عشو بأشواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعي الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد أن اجتناب
الكبائر يكفر الصغائر وجوباً وإن لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التي لم يقب منها ومنها اعتقاد وجوب
قبول التوبة على الله تعالى ومنها جحد الشفاعة واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وأنه يجوز
أن يعذب على الصغائر وإن اجتنب الكبائر وأنه يجوز أن يغفر الكبائر ماعدا الشرك وإن لم يقب منها وأن قبول
التوبة بفضلته ورحمته لا بالوجوب عليه وأنها تنال أهل الكبائر المصيرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسال الله
تعالى أن يبلد عقائلنا بها إلى الحاققة وأن لا يجرمنا الظلمة ومراحمه آمين وجميع ما يحتاج إلى تزيينه مما ذكره على
قواعد الاعتزال في هذا الموضوع قد تقدم غير أنه جدد هنا قوله إن قاعدة الاستغفار كقائمة الشفاعة وذلك مزيد
الكرامة لا غير يريد أن المغفرة للثائب واجبة على الله فلا تستل وهذا الذي قاله مما يجعل نفسه فيه الفضيلة زادت على
بطلان هذه الآية بالأسس الفصيحة كيف يجعل المسؤول مزيد الكرامة لا غير ونفس الآية فاعفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجميع فهي ناطقة بأنهم يسألون من الله تعالى المغفرة للثائب وقاية عذاب الجميع وهو الذي أنكر الوعشى
كونه مسؤولاً قوله تعالى آتينا اثنتين وأحيينا اثنتين (قال) فيه إحدى الإمامتين خلقهم أمواتاً أولاً والأخرى إماتتهم عند
انقضاء آجالهم ثم قال فإن قلت كيف سمي خلقهم لم أمواتاً إمامتوا أجاب بأنه كما يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر
جسم الفيل وكما يقال للحمار ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر إلى كبر ولا عكسه ولا من ضيق
إلى سعة ولا عكسه وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الكبر والصغر جاران معاً على
المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجارين وهو متمكن من الآخر جعل صرفاً عن
الآخر وهو متمكن منه ألامه (قلت) ما أسد كلامه هنا حيث صادق التمسك بأذيال نظر مالك رحمه الله في مسألة
ما إذا باه إحدى وزنتين ميتين على الزنوم لإحداهما والخيرة في عينا فإنه منع من ذلك لأن المشتري لما كان

فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ • ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ اللَّهُ الْعَلِيمُ
السَّكِيمُ • هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مِنْ يُنِيبٍ • فَادْعُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها وبعدهم في المستبين من الصفة في قوله تعالى إلا من شاء الله (فإن قلت) كيف تسبب
هذا لقوله تعالى (فاعترفوا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من لم
يخش العاقبة تخفق في المعاصي فلا رأوا الإمانة والإحياء قد تكررنا عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على
الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) أي إلى نوع من
الخروج سريع أو بطيء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب
عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تمللا وتحميراً ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أي ذلكم
الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به (فاعلموا) حيث حكم
عليكم بالعذاب السرمه وقوله (العلل الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو
الذي يطابق كبريائه ويناسب جبروته وقيل كان المحرورية أخذوا قولهم لاحكم إلا الله من هذا (يرىكم آياته) من الريح
والسحاب والعدو البرق والصواعق ونحوها • والرزق المطر لأنه سببه (وما يتذكر إلا من ينيب) وما يتنظ وما يتعبر بآيات
الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المائد لا سبيل إلى تذكره أو اعطاه ثم قال للنبيين (فادعوا الله) أي اعبدوه مخلصين
له الدين من الشرك • وإن غاظ ذلك أعداءكم من ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة
أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذي يرىكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفاً وتشكيكاً وقرئ رفيع الدرجات
بالنصب على المدح ورفع الدرجات كقوله تعالى ذى المارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على
هزته وملكوته وهن ابن جبر سماء فوق سماء العرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفة شأنه وعلو سلطانه كما أن
ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها أوليائه في الجنة (الروح من أمره) الذي هو سبب الحياة
من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير ويمنع عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه

تمتكن من تعيين كل واحدة منهما على سواء فإذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله عن الأخرى وقد كان متمكناً
منها منزلة اختيارها أو لا ثم الانتقال هنا إلى هذه فإذا آل إلى بيع أحدهما بالأخرى غير معلوم في القاتل وهولدى لحصه
أصحابنا في قولهم إن من خير بين شيئين فاختار أحدهما عد متقلاً وقد سبقته هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم
• قوله تعالى فهل إلى خروج من سبيل (قال) أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تمللا وتحميراً ولهذا
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم معناه أن اعتياض السبيل إلى خروجكم
من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالإشراك به كلامه (قلت) وعلى هذا الخطب بنى الشمرام مثل قولهم
هل إلى نجد ووصول • وعلى الخيف نزول وإنما قصد أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

(قوله تخفق في المعاصي) في الصحاح يقال هو يتخفق في السخاء إذا توسع فيه (قوله المحرورية) في الصحاح أنها
طائفة من الخوارج تنسب إلى حرور اسم قرية وكأنه يريد أهل السنة فإنهم الذين اشتهر عنهم هذا القول خلافاً للمعتزلة في قولهم إن
الفعل قد يدرك الحكم قبل ورود الشرع كما بين في الأصول

عِيَادَهُ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ • يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ • لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ • وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزَةِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ • مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا لَشَفِيعٍ يُطَاعَ • يَعْلَمُ خَائِفَتَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ • وَاللَّهُ

(لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتندري لتندري الروح لأنها توثق أو على خطاب الرسول • وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للفعول (يوم التلاق) يوم القيامة لأن الخلائق تلقى فيه وقيل فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل المعبود والمعبود (يومم بارزون) ظاهرون لا يستترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صاف ولا عليهم ثياب وإنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فإن قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فاسمناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتبرزون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لملهم أن الناس يبدونهم وظهرهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله برزوا لله الواحد القهار (لن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادى مناد فيقول لن الملك اليرم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة فيصيدوا به بأرض يضاء كأنها سيكة فضة لم يصب الله فيها قط ما يؤلف ما يتكلم به أن ينادى مناد لن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضى أن يكون المنادى هو المنيب • لما تقرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للمبيد وأن الحساب لا يطع لأن الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها • الآية القيامة سميت بذلك لأزوها أي لقرنها ويجوز أن يريد يوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفهم دخول البارقة ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويقروحو ولكنها ممتحنة كالشجاء قال تعالى فلما أراه زلعة سيئت وجوه الذين كفروا • فإن قلت (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال من أحبب القلوب على الملقى لأن الملقى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حاله أن القلوب برأت القلوب كاظمة على غم وكره فيها مع ابوغها الحناجر وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أقوال العقلاء كما قال تعالى أيتها لن ساجدين وقال فظلت أعضائهم لها خاضعين وتعضده قرأة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حاله أن قوله أنذرهم أي وأنذرهم مقدرين أو مشارين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين • الحميم المحب المشفق • والمطاع مجاز في المشفق لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فرقك (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفعيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول التي الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل في البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تتبعه ونفسهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجر يريدني الضب وانجباره

• قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفعيع يطاع (قال فيه يحتمل أن يكون المني الشفعيع الذي هو الموصوف وصفته وهي الطاعة ويحتمل أن يكون المني الصفة وهي الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت إنما جاء الاحتمال

(قوله لم يقل أهل الجنة إلا فيها) من قال يقبل في قوله

يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ هـ أَوَّلُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَاقْضِهِمُ اللَّهُ بِتُوبِهِمْ

(فإن قلت) فلي أي الاحتمالين يجب حله (قلت) على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله
لا يعنون ولا يرضون إلا من أحب الله ورضيه وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحضرونهم وإذا لم يحضروهم لم ينصروهم ولم يشفعوا
لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لا تكون إلا بزيادة التفضل
وأهل التفضل وزادته وإنعام أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويربدهم من فضله وعن الحسن رضى الله عنه والله
ما يكون لهم شفيع التة (فإن قلت) الفرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فإ الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت)
في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تأتي بدون
موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عويت على القعود عن القعود والفرق قلت مالى فرس أركبه
ولامعى سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وقدر السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف تأتى
فى الركوب والمحاربة ولا فرس لى ولا سلاح معى فكذلك قوله ولا شفيع بطاع معناه كيف تأتى التشفيع ولا شفيع
فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتية بعدم الشفيع وضما لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المشكر
الذى لا ينبغي أن يتوهم خلافه هـ الحائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الحيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر
إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الرب ولا يحسن أن يراد الحائنة من الآعين لأن قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه (فإن
قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الآعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذى يريدكم مثل باقى الروح ولكن
باقى الروح قد علم بقوله ليزدر يوم التلاق ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع بطاع فبعد لذلك
عن أخواته (واقه يقضى بالحق) يعنى الذى هذه صفاته وأحواله لا يقضى إلا بالحق والعدل لاستنائه عن الظلم هـ وألمنكم
لا يقضون شىء وهذا تنكم لهم لأن ما لا يوصف بالقدر لا يقال فيه يقضى أولا يقضى (إن الله هو السميع البصير)
تقرير لقوله يعلم خائنة الآعين وما تخفى الصدور ووعدهم بأنه يسمع ما يقولون ويصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه
وتعرض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر هـ وقرئ يدعون بالياء هـ فى (كانوا هم أشد منهم)
فضل (فإن قلت) من حق الفصل أن لا يقع الإييين معرفتين فباله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت)
قد ضاع المرفة فإله لا تدخله الآلف واللام فأجرى مجراما هـ وقرئ منكم وهى فى مصاحف أهل الشام (وأثارا)

من حيث دخول التنى على مجموع الموصوف والصفة ونفى المجموع كما يكون بنى كل واحد من جزئيه وكذلك يكون
بنى أحدهما على أن المراد هنا قال نفي الأمرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالل دليل على نفي الصفة لأنه إذا اتفق
الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكان نفي الصفة مرتين من وجهين مختلفين هـ قوله تعالى يعلم خائنة الآعين (قال الحائنة
إما صفة للنظرة وإما مصدر كالعافية قال ولا يحسن أن يراد الحائنة من الآعين لأنه لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفى الصدور
انتهى كلامه) قلت إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الآعين على هذا التقدير معناه الآعين الحائنة وإنما يقال الآعين
الصدور لا مانع فيه الصدور بخلاف التأويل الأول فإن المراد به نظرات الآعين فيطابق خفيات الصدور

(قوله لا تكون إلا بزيادة التفضل) هذاعند المعتزلة أماعد أهل السنة فتكون في الخروج من النار أيضا كما تقررو
التوحيد وحدث الشفاعة مشهور نعم الكفار لا يخرج لهم من النار (قوله موضع الأمر المعروف) أى الذى يعرفه
السامع ويسله كما هو شأن الشاهد على الدوى وإذا كان انتفاء الشفيع معروفا فلا يفتنى أن يتوهم وجوده وبهذا يتبين قوله
فيا سبق فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْعِهِ وَقُرُونِ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

يريد حصونهم وقصورهم وعددهم ما يوصف بالشدّة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متفاديا ورعيا (وسطان مبین) وحجة ظاهرة وهي المعجزات قالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبین سحرا وكذابا (فلما جاءهم بالحق بالآية) (فإن قلت) أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولد الذي أنزله الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حيثن وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيادهم عليهم القتل كالذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول (في ضلال) في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم وقد قضاه الله بإظهار من خافه فابقى عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كلف من قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحقا وظانما أنه يصددهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيدهم ضائع في الكرتين جميعا (ذروني أقتل موسى) كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون إذا قتله أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد مجزئت عن معاوضته بالحجة والظاهر أن فرعون لمعه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاءه آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجريزة وكان قتالا سفاكا للدماغ في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يبل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل به الهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق هل فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمجيدا على قومه وإيهاما بأنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما تم عليه وكانوا يبدلونه ويعبدون الأصنام بدليل قوله ويذركوا آلهتك ۚ والفساد في الأرض التفان والتفارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياحا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم يدعوكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا ۚ وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظا والماء من تظهر بمعنى تظاهر أي تابع وتعاون ۚ لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (إني عذت) بالله الذي

ۚ قوله تعالى حكاية عن فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا إذا هم بقتله كفوه عنه بقولهم ليس هذا من يخاف وإنا هو ساحر لا يقاومه إلا مثله وقته وقع الشبهة عند الناس أنك إنما قتله خوفا وكان فرعون لمعه الله في ظاهر أمر مواله أعلم عالما أنه نبي خائفا من قتله مع رغبت في ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتف خوفه من قتله بأن يقول لهم ذروني أقتله ليكفوه عنه فينسب الانكشاف عن قتله إليهم لا إلى جزعهم خوفا ويولد على خوفه منه لكونه نيا قوله وليدع ربه هو هذا من تمجيداته المحروقة (قلت) هو من جنس قوله إن هؤلاء لشر ذمة فليولون وإنهم لنا لنا قتلون وإنما جميع حادرون قد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلعا احتفاله

(قوله وقرئ يظهر من أظهر) يفيد أن القراءة المشهورة يظهر من ظهر والفساد مرفوع

فَرَعُونَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبَ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ يَصِيبَكُمْ لَعْنُ الَّذِي يَكْفُرُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ

هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بحث لم نأمن أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياده ويتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استماتة فرعون وغيره من الجأرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أفضح استكبار وأدله على ذنابة صاحبه ومهابة نفسه وعلى فرط ظله وصفه وقال (لا يؤمن يوم الحساب) لأنه إذا اجتمع في الرجل النجس والكذب بالجزء أو قلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالإدغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عتد في عتد وكان قطييا ابن عم لفرعون آمن موسى سرأ وقيل كان إسرائيليا (من آل فرعون) صفة لرجل (أو صفة ليكنتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سحمان أو حبيب وقيل خريل أو حزيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فإنه المؤمن من بني إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه ينصح لقومه (أن يقول) لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكت شديد كأنه قال أترى تكون القملة الشنقاء التي هي قتل نفس محرمة ومالك علة قط في ارتكابه إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله (ربي الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لأربه وحده وهو استدراج لم إلى الاعتراف به ولين بذلك جماهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضاعفا محضوفا أي وقت أن يقول والمحق اقتلوه ساعة ستمت منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره وقوله (البيئات) يريد بالبيئات العظيمة التي عهدتوها وشهدتوها ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا ينخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وإن يك صادقا يصيبكم بعض) ما يصدكم إن تزمت له (فإن قلت) لم قال بعض (الذي يصدكم) وهو نبي صادق لا يبدل يصدكم أن يصيبكم كله لا بعضه (قلت) لأنه احتاج في مقابلة خصوم موسى ومناكره إلا أن يلاصقهم ويدارهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأنيبهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم

بهم ويومهم أن قتاله لم ليس خوقا منهم ولكن غيظا عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة في الملاحظة على حوزة المملكة لأن ذلك خوف وملح لقد كذب إنما كان فواده مملوءا أرجاء ۝ قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه الآية (قال) الظاهر أن الرجل من آل فرعون وقيل إنه من بني إسرائيل ومن آل فرعون متعلق بيكنتم تقديره يكتم إيمانه من آل فرعون وهو بعيد لأن بني إسرائيل كان إيمانهم ظاهرا فأشياء ولقد استدريجهم هذا المؤمن في الإيمان باستمهاده على صدق موسى بإحضاره عليه السلام من عند من نسب إليه الربوبية بينات عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة معناه البيئات العظيمة التي شهدتوها وعرفتوها على ذلك ليين بذلك جماهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا ينخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فإن يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصيبكم إن تزمت له بعض الذي يصدكم ۝ قال وإنما ذكر بعض مع تقديره أنه نبي صادق والتي صادق في جميع ما يصد به لأنه سلك معهم طريق المناصحة والمداواة فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم وأدخل في تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه محته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يصد به ولكنه أرفده بصيكم بعض الذي يصدكم ليعضه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وأتى عليه فضلا عن أن يكون متعصبا له

(قوله إلى أن يلاصقهم ويدارهم) في المصاحف فلان يلاصق الشجر أي ينظر كيف يأتيها لقلعها

الْيَوْمَ ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ قَدْ يَصْرُفُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ . وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ يَقَوْمِ لِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ بَاطِلِ الْأَقْرَابِ . مِثْلَ دَابِ قَوْمِ

منه فقال وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يمدكم وهو كلام المصنف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يرتدوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يمد ولكنه أردفه بصيغ بعض الذي يمدكم لبعضه منه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وإفياً فضلاً أن يتصعب له أو يرى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضاً من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (فإن قلت) فمن أي عبيدة أنه يفسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد ترك أمكنة إن لم أرضها . أو يرتبط بعض النفوس حماها (قلت) إن سمعت الرواية عنه فقد حقي فيه قول المأزني في مسألة العلق كان أجنبي من أن يفقه ما أقول له (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه إن كان مسرفاً كذاباً خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للثبوت ولما عاضده بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع رداه فقالوا له أنت الذي تنهاها عما كان يبعد أبائونا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأماماً صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرّاً وأبو بكر قاله ظاهراً (ظاهرين في الأرض) في أرض مصر عاين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علمت الناس وقهرتمهم فلا تحسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (يصرنا) وجادنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مستم لهم فيه (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قله يعني لأستصوب إلا قله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهدىكم) هذا الرأي (الأسيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما عليكم إلا ما أهل من الصواب ولا أضر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجملد لولا استشهاده لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة . وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كبداد وقيل هو من أرشد كجار من أجبر وليس بذلك لأن فعالاً من أهل لم يجر إلا في عدة أحرف نحو دراك وسار وقصار وجار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون

ه قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لأسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد أمانة صدقها على أمانة صدق يوسف وإن كان الصادق هو يوسف دونها لرفع التهمة وإبعاد الظن وإدلالاً بأن الحق معه ولا يضره التأخير لهذه الفائدة ه وقريب من هذا التصرف لإبعاد التهمة ما في قصة يوسف مع أخيه إذ بدأ بأوعيتهم قبل إعطاء أخيه حتى قيل إنه لما انتهى إليه قال اللهم ماسرقة هذا ولا هو بوجه سارق فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف أن يكون قصد ذلك فقالوا والله لنفثته فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل إن ما لقيه أبو بكر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم أشد مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع رداه وقالوا أنت الذي تنهاها عما كان يبعد أبائونا فقال عليه السلام أنا ذاك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأماماً صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال إن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرّاً وقاله أبو بكر جهراً قالوا قال مؤمن آل فرعون فمن يصرنا من بأس الله إن جاءنا ليعلمهم أنه يسامهم فيه فيتحقوا نصيحهم

نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدٍ ظَلِمًا لِلْعِبَادَةِ وَيَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُولُونُ مَدْيَنَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مَنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَارِئْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهٍ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ

نسبة إلى الرشد كمواج وبنات غير منظور فيه إلى فعل (مثل يوم الأحزاب) مثل أيامهم لأنه لما أخافه إلى الأحزاب وفسرهم يقوم نوح وعاد وثمرود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجميع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله «كَلُوا فِي بَعْضٍ بِطَنِكُمْ تَعْفُوا» وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء ذويهم في علمهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائماً دائماً منهم لا يفترقون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاءهم (فإن قلت) بما انتصب مثل الثاني (قلت) بأنه عطف بيان للأول لأن آخر ما تناوله الإضافة قوم نوح ولولت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمرود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناوله الإضافة (وما الله بريد ظالم للعباد) يعني أن تدميرهم كان هدلاً وقسطاً لأنهم استوجبه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى «وَمَارِيكَ بظلامٍ للعبيد» حيث جعل النفي إرادة الظلم لأن من كان من إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفي أن يريد ظلاماً للعباد ويجوز أن يكون معناه كمنى قوله تعالى «ولا يرضى لعباده الكفر» أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه قد تدمر لأنهم كانوا ظالمين «التنادى ما حكي الله تعالى في سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور «وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم فرم المرء من أخيه» وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار تدواهم با فلا يأتون قطراً من الاقطار إلا وجدوا ملائكة صفوا فيناهم موج بعضهم في بعض إذا سمعوا نادياً أقبلوا إلى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد قارئ من النار غير معجزين «هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن نوح وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر ونجمه بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فكسبتم فيها لم تزلوا شاكين كافرين (حتى إذا) قبض (قلتم) لن يبعث الله من بعده رسولا (حكما) عند أنفسكم من غير برهان وتقديم عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتمو كذبتم بناء على حكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتدقيق رسالة يوسف وكف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب رسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رساله موثق بأن يبعث الله على إدخال هزيمة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضنا في البعث «ثم قال (كذلك يضل الله) أي مثل هذا الخذلان المبير يخذل الله كل مسرف

«قوله تعالى وما الله بريد ظالم للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وماريك بظلام للعبيد وهذا أبلغ لأنه إذا لم يرد الظلم كان عن فعله الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كأنه نفي أن يريد ظلاماً للعباد قال ويجوز أن يكون معناه كمنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون المعنى أن الله لا يريد لعباده أن يظلموا لأنه قد مضى على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الأول وقد

(قوله كمواج وبنات) أي صاحب العاج والعاج عظم العيل والبنات الذي يبيع البتوت أو يعملها والبت العيلسان من الخمر كذا في الصحاح (قوله كأنه نفي أن يريد ظلاماً للعباد) يجوز هذا على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريد «وأن الإرادة بمعنى الرضا وعند أهل السنة أنه تعالى يخلق الشر ويريد الخير ولا يرضى الشر فالرضا غير الإرادة عندهم كاتفر في التوحيد (قوله وقيل هو يوسف بن إبراهيم) عبارة النفس أفرأيت (قوله أي مثل هذا الخذلان المبير) المعنوية وتولون الإضلال بالخذلان والترك بناء على مذهبهم أن الله لا يخلق الشر وأهل السنة يفسرونه بخلق الضلال في القلب بناء على أنه تعالى يخلق الشر كالخير كما بين في التوحيد

هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ • الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ • وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنِي صِرَاحًا لِّئَلَّا أَبْلَغَ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابُ
السَّمَوَاتِ فَاطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا • وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ

في عصيانه مرتاب في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فإن قلت) كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد
(قلت) لأنه لا يريد مسرفاً واحداً فكأنه قال كل مسرف (فإن قلت) فافاهل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فإن قلت)
أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بل هو جمع في المعنى وأما اللفظ فوجد حمل البديل على معناه
والضمير الراجع إليه على لفظه وليس يبعد أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون
على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقنا
ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أناهم خبراً وفاعل كبر قوله (كذلك) أي كبر مقنا مثل ذلك
الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقنا عند الله جدالم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقنا
ضرب من التمجيد والاستعظام لجدالم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبار • وقرئ سلطان بضم اللام
وقرئ قلب بالتثنية ووصف القلب بالكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبهما كما تقول رأيت العين وسمعت الأذن ونحوه
قوله عز وجل فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر يجعل
الصفة لصاحب القلب • قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا ينفق على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر
(وأسباب السموات) طرفها وأبوها وما يؤدى إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالشراش ونحوه (فإن قلت)
ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعل أبلغ أسباب السموات لأجراً (قلت) إذا بهم الشيء ثم أوضح كان تخفيفاً لشأنه
فلما أراد تخفيف ما أمل بلوغه من أسباب السموات أجهما ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمراً عجيباً أراد أن يورده
على نفس مثقولة إليه ليعطيه السامع حقه من التمجيد فأجهمه ليصرف إليه نفس هاما ثم أوضحه • وقرئ فاطلع بالنصب
على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتجى • ومثل ذلك التزيين وذلك الصّد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل)
والزين إما الشيطان يوسوسه كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصد عن السبيل أوقع تعالى على وجه التسيب لأنه مكن

تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بإرادة الله تعالى خلافاً لهذا وأشباهه • قوله تعالى كذلك يضلل الله من هو مسرف
مرتبات الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقنا عند الله وعند الذين آمنوا (قال) في إعرابه الذين يجادلون بدل
من من هو مسرف لأن المراد كل مسرف وجاز إبداله على معنى من لعل لفظها قال فإن قلت ما فاعل كبر وأجاب بأنه ضمير من
هو مسرف فحمل البديل على المعنى والضمير على اللفظ وليس يبعد أنه كلامه (قلت) فيأذ كره معاملة لفظ من بعدمعاملة معناه
وهذا ما عرفت أن أهل العربية يستنبطونه والأولى أن يحتج في إعراب القرآن فإنه إجماعاً بعد إيضاح والمعهود في قراءة
البلاغة عكسها الصواب أن يجعل الضمير في قوله كبر واجمالاً مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالم مقنا
ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون في آيات الله الضمير في قوله كبر مقنا عائداً إلى الجدال
المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجمعتم سقابة الحاج وعمارة المسجد الحرام
كن آمن بالله على أحد تأويله ومثله كثيراً في سوي ذلك من الوجوه السالمة عما يتطرق إلى الوجه المتقدم فالوجه الدول عنه

(قوله وقرئ فاطلع بالنصب على جواب) يفيد أن القراءة المشهورة بالرفع على المصطف (قوله على وجه التسيب لأنه مكن) أول
هذا لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيخلق كالتحير فلا حاجة إلى هذا التأويل وتبقى الآية على ظاهرها

فَرَعُونَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۚ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ اتَّبَعُونَ أَهْدَكُم سَبِيلَ الرَّشَادِ ۚ يَتَوَمَّ إِعْمَاهُ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۚ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۚ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَرٍ ۚ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَيَتَوَمَّ مَا لِيَ أَدْعُوَكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُوَنِي إِلَى الدَّارِ ۚ تَدْعُونِي لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي

الشیطان وأمله ومثله زينا لهم أعمالم فهم يعمهون وقرئ وزن له سوء عمله على البناء للفاعل والمفعول الله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصنعت الصاد وضما وكسرهما على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل في التباب الخمران والهلاك وصنعت مصدر مطوف على سوء عمله وصنوا هو وقومه ۚ قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجل لهم ثم فسر فافتتح بدم الدنيا وتصغير شأها لأن الإخلاق إليها هو أصل الشر كله ومنه يتنصب جميع ما يؤدى إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثى بتظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبت عما يتلف وينشط لما يرفق ثم وزن بين الدعوتين دعوة إلى دين الله الذي أمرته البجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبه النار وحذروا وأذروا اجتهد في ذلك واحتشد لاجرم أن الله استثناء من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للعتبين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيأت ما مكروا وحاق بالفرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد يقبض الثنى وفيه تريض شبيه بالصرخ أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الثنى (فلا يجزى إلا مثلاً) لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنه لحسنه لأنها فضل ۚ قرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع في مقابلة إلا مثلاً يعنى أن جزاء السيئة لها حساب وتقدير ثلاثا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ۚ (فإن قلت) لم كررنداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني (قلت) أما تكرير النداء فيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيها يوقههم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لا ينهموه فإن سرورهم سرورهم وغمهم غمه وينزلوا على نصيحته لم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه يابن وأما الجيء بالواو الماطفة لأن الثاني داخل على كلام هويان للجمل وتفسيره فأعلى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بذلك المثابة ۚ يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له (ماليس لي به علم) أى برؤيته والمراد بنى العلم نقي المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم لها (لاجرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لآراء المداعاة إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع مافى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تمتدوا أى كسب ذلك النداء إليه بطلان

قوله تعالى تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم (قال المراء بنى العلم نقي المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم لها) قلت وهذا من قبيل ۚ على لاحب لا يهتدى بمناره ۚ أى لا نمار له فهتدى به وكلام الزمخشري هنا أشد من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ماعلت لكم من إله غيري قوله تعالى لاجرم أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة (قال فيه) سياق لاجرم عند البصريين أن يكون لآراء المداعاة إليه قومه وجرم بمعنى كسب أى وكسب دعاؤهم إليه بطلان دعوته أى ما حصل من ذلك لإظهار بطلان دعوتهم ويجوز

(قوله وقرئ وزن له سوء عمله) أى يدل قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله

إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دُعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسْتَكْرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَآمَكْرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُرْمَضُونَ عَلَيْهَا غُذُوءًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِذْ يَتَحَايَوْنَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضَّعِيفُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قُلْ أَتُمْ مَعْنُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ

دعوته على معنى أنه محصل من ذلك الإظهار بطلان دعوته ويجوز أن يقال أن لاجرم نظير لا بدفع من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبدد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك لاجرم أن لم النار أى لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطان دعوة الأصنام أى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فيقلب حقا وروى عن العرب لاجرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزة بد وفعل وفعل أخوان كشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ما تدعوتى إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهارا لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لصح من دعائكم وقوله (في الدنيا ولا في الآخرة) يبنى أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دماء وغيره وفي الآخرة إذا أنشأ الله حيوانا تبرا من الدعاة إليه ومن عبده وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لاستجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كادى تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ (المسرفين) وعن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدهاء بغير حلها وقيل الذين غلب شرم غيرهم هم المسرفون وقرئ فسند كرون أى فسند كرون بعضكم بعضا (وأفوض أمرى إلى الله) لأنهم توعده (فوقاه أفسيتات مامكروا) شذات مكرم وما هو به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) مامهاو به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كديم (النار) بدل من سوء العذاب وأخبر مبتدأ مخوف كأن قاتلا قال ماسوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يرمضون عليها) وفي هذا الوجه تعظيم النار ونهول من عذابها وعرضهم عليها لإحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهى تمضد الوجه الأخير وتقديره يدخلون النار يرمضون عليها ويجوز أن يتصب على الاختصاص (غذوا وعشيا) في هذين الوقتين يمدحون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فإذا أن يمدحوا بجس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدا وعشيا عبارة عن العوام هذا مادامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لم (ادخلوا) يا آل فرعون أشد عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لحزرة جهنم أدخلوهم (فإن قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم مامهاو به من المكسر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا فإذا فرس سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرم راجعا عليهم لأنهم لا يمدحون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الإنسان بأن يفرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حقا لأنه ميسر فأصابه ما يقع عليه اسم سوء ولا يشترط في الحق أن يكون الحاق ذلك سوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفضل نحو ما قبل نمرود يمدحهم بالنار لحق به مثل ما أخرجه وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون (تبعا) تباعا كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع

أن يكون لاجرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لا بد لك أن تفعل والبد من التبدد الذى هو التفريق ومعناه لا مفارقة لك من فعل كذا فكذلك لاجرم معناه لا انقطاع لبطان دعوة الأصنام بل هى باطلة أبدا

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ . وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ خُزْنَةٌ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ . قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا رَبَّكُمْ بِالْبَيْتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا قَادَعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَلٍ . إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ . وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَٰهِيلَ

أو وصفا بالمصدر وقرئ كلا على التأكيـد لاسـم إن وهو معرفة والتون عوض من المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا فيها (فإن قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها (قلت) لا لأن الطرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الطرف متقدمة تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (خزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فإن قلت) فلا قيل الذين في النار خزنتها (قلت) لأن في ذكر جهنم تهويلا ونظيما ويحتمل أن جهنم هي أبعاد النار قرأ من قولهم بشر جهنم بعيدة القعر وقولهم في النابتة جهنم تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على لسان المنتسب إليه فهو بعيد النور في علـه بالشعر كما قال أبو نواس في خلف الآخر فليدغم من العالـيم الخسوف فيها أغنى الكفار وأطعمهم فلمل الملائكة الموكلين بمذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قهرهم من الله تعالى فلهاذا تقدم أهل النار يطلب الدعوة منهم (أو لم تكن تأتيتكم) لإلزام الصحة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أتم فإننا لا نتجرتى على ذلك ولا نضع الإبرطين كون المشفوع له غير ظالم والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم قادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الحية فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أى في الدنيا والآخرة يعنى أنه ينظمهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحيان امتحان من الله تعالى لهم ويتبع الله من يقتص من أهدائهم ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني يدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم العنة) البعد من

قوله تعالى وقال الذين في النار خزنة جهنم (قال) فإن قلت فلا قيل خزنتها وأجاب أن في ذكر جهنم تهويلا ونظيما ويحتمل أن جهنم هي أبعاد النار قرأ من قولهم بشر جهنم بعيدة القعر وكان النابتة يسمى الجنان لبعـد غورها في الشعر اه كلامه (قلت) الأول أظهر والفتنم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذى أشار إليه والثاني ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أظن منه لأن جهنم أظن من النار إذ النار مطلقة وجهنم اشتدما . قوله تعالى قَالُوا قَادَعُوا (قال في معناه أنهم لما ألزمهم الحجة بقولهم أو لم تكن تأتيتكم برسلكم بالبينات واعتروا بذلك وكان في ضمن ذلك أنهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الإجابة وراهم قَالُوا لَمْ يَدْعُوا أَنَّهُمْ لَا يَجُزُّ أَنْ نَدْعُو لَكُمْ قَادَعُوا أَنَّهُمْ وَلَيْسَ قَوْلُهُمْ قَادَعُوا تَرْجِيَةً لِلْكَفَّارِ وَلَكِنْ تَطْمَأْنِنَةً لِرَجَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دَعَاءَ الْمَلِكِ الْمُقَرَّبِ فَكَيْفَ يَسْمَعُونَ دَعَاءَ الْكَافِرِ قَوْلُهُ تَعَالَى يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ (قَالَ فِيهِ يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ بِمَعْذَرَةٍ لَكِنَّا لَا نَتَقَبَّحُ لَأَنَّهُ بَاطِلَةٌ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَدْرِيُونَ وَلَوْ جَاؤُوا بِمَعْذَرَةٍ لَمْ تَكُنْ مَقْبُولَةً أَنَّهُمْ كَلَامُهُ) قُلْتُ هَذَا لِحَاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ

(قوله بشر جهنم بعيدة القعر الخ) في الصحاح بكسر الجيم والماء وفيه التقليل البئر الغزير وفيه العلم الركة الكثيرة لما وفيه الخسيف البئر التي تحضر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجبع خسف (قوله ويتبع الله من يقتص) أى يقتدر

الْكِتَابَ • هُدًى وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ • فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ • إِنَّ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيًا سُلْطَانًا أَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَأْمُومٌ يَلْبِغُهُ فَاسْتَفْزِ بِالْقَهْرِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَافِقِينَ قَلِيلًا

رحمة الله (ولهم سوا الفناء) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ قوم ولا تنفع البقاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على بنى إسرائيل من بعده (الكتاب) أى التوراة (هدى وذكرى) إرشادا وتذكرا واتصافهما على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العالمون بما فيه (فاصبر) إن وعد الله حق (يعنى أن نصرة الرسل فى ضياع الله وضمان الله لا يخفق واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإخاء آثار هدهاء فى بنى إسرائيل والله ناصرك كما نصرهم وهو مظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجزئك قومك من النقص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرط بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثبات عليه) بالعشى والإبكار (وقيل هما صلاتا العصور والفجر) (إن فى صدورهم إلا كبر) إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى ولو كان غيرا ما سبقونا إليه، أو إرادة دفع الآيات بالجدال (مأْمُومٌ بآيائه) أى يالئى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق لإرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون التجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك ففسى الله تنهيم ذلك كبرا ونفى أن يلبغوا متناهم (فاستفزى بالقهر) فالجئى إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعلمون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (فإن قلت) كيف اتصل قوله (خلق السموات والأرض) بما قبله (قلت) إن مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومصدرها جحرا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنما خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين فن قدر على خلق الإنسان مع مهاتة أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفظة الثقة عليهم واتباعهم أموامهم • ضرب

تعالى ولا شفيح يطاع ولكن بين الموضعين فرقا يصير أحدهما مع عكس الآخر وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون المراد أنهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفى صفة المعذرة وهى المنقطة التى لما تراد المعذرة فطعمار جهاتهم كى لا يتفوتوا البتة كأنه قيل إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع مالا ثمرة له وفى الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بتا لنفى الصفة ولهذا أولى التنى فى هذه الآية الفعل وفى المتقدمة أولى التنى الذات المنسوب إليها الفعل قوله تعالى خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس (قال فيه) فإن قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والأرض بما قبله وأجاب بأن مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومصدرها جحرا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنما خلق عظيم خلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين فن قدر على خلقها مع عظمها كان على الإنسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الأولى فى هذا الاستشهاد ثابتة

مَاتَدَّ كُرُونَهُ . إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لِأَرْبَابِهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ . وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ

الأمي والبصير مثلاً للحسن والمسي . وقرئ بتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لأربابها) لابتدأ من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لابد من جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعوني) اعبديني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الإجابة وفي تفسير مجاهد اعبديني أتيكم وعن الحسن وقد سئ عنها اعلوها وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات يريد من فضله وعن الثوري أنه قيل له ادع الله فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث إذا شغل عبدي طاعني عن الدعاء أعطيت أفضل ما أعطى السائلين وروى الثمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدق قول ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعلی الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبيا مرسلًا كان يقول لكل نبي أنت شاهد على خلقي وقال هذه الأمة لتكونوا شهودا على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحديث آخر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالوحيد (داخريين) صاغرين (مبصرًا) من الإسناد المجازي لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النار (فإن قلت) لقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهما كائنا حالين أو مفعولا لما فیراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروافيه فانت النصحاة التي في الإسناد المجازي ولوقيل ساكنة والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا راج فيه لم تبصر الحقيقة من المجاز (فإن قلت) فلو قيل لفضل أو لمفضل (قلت) لأن الفرض تكثير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوي بالإضافة (فإن قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكروه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشارك فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو) أخبار مترادة أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق

بدرجتين أحدهما ما ذكره من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلهم كانت في البعث وهو الإعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبر من الإعادة فإذا كان ابتداء خلق العظيم يعني السموات والأرض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعني الناس أدخل تحتها وإعادة أدخل من ابتداءه فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما عترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين وإلى هذا الترتيب وقعت الإشارة بقوله تعالى في ألم غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والأرض هو بأمره أى خلقها من آياته فكيف بما هو أحط من قياما بدرجتين وهو إعادة البشر أمرون عليه من الابتداء ليتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أمرون عليه وإذا تأملت الذى ذكرته متسويا لما ذكره الزمخشري علمت أن ما ذكره هو لباب المراد لجدة عهده إن لم تعلم ذلك . قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بأن في التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكروه إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلم كفار

شَيْءٌ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تَوَفَّكُونَ . كَذَلِكَ يُرْثُكَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَ اللَّهَ يَجْحَدُونَ . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَادِعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قُلْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَحْنُ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ عَنِ الْبَيْتِ مِنْ رَبِّي وَأَمْرٌ أَنَّ أَسْمَلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا أَسْيُوفًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَكُمْ تَعْلُونَ . هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحداية لا تأتي له (فإن توفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان ؟ ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يأملها ولم يكن فيه ممة طلب الحق وخشية العقابة أفك كما أفكوا . وقرئ عاق كل شيء نصبا على الاختصاص وتوفكون بالباء والياء هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقرا (والسما بناء) أي قبة ومنه أبنية العرب لمضارعهم لأن السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض (فأحسن صورك) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في أحسن تقويم (قادعوه) فأعده (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والزياد قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله قليل على أثرها الحمد لله رب العالمين . (فإن قلت) أمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشياء ذلك من التنبية على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لأدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل عذوف تقديره ثم يفيقكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسما) فقناه وتضل ذلك لتبلغوا أجلا مسما وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة .

ه قوله تعالى قل إن نيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي (قال فيه) فإن قلت التنبية الصلاة والسلام قد انضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجيئ الوحي فعلم تحمل الآية وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن البينات مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشياء ذلك من التنبية على أدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أمامرة الله تعالى ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الأصنام آلهة فستفاد من أدلة العقول وقد ترد الأدلة العقلية في مضامين السمعية وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الأصنام لحكم شرعي لا يستفاد إلا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا السؤال وقوله تعالى إن نيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله إنما أريد به وإقناعهم تحريم عبادة غير الله فهذا لا يستفاد إلا من نهي الله تعالى عن ذلك لا من العقل لكن قاعدة العشرة تقتضي أن تحريم عبادة غير الله تعالى تلقى من العقل قبل ورود الشرع إذ العقل عنده حاكم بمقتضى التحسين والتفويض ولهذا أورد الإشكال عليه واحتاج إلى الجواب عنه ثم قوله في الجواب أن أدلة الشرع مقوية لأدلة العقل ضعيف مع اعتقاده أن العقل يدل على الحكم قطعا وما دل قطعا كيف يحتمل

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفُوهُ . الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا
أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسُوفَ يُعَذِّبُهُمْ . إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَرِّ نَمَّ فِي النَّارِ يَسْجُرُونَ .
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَاتُمْ ثُمَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْ بَلْ لَمْ تَكُنْ دَعَاؤًا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ . ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ . ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ . قَاصِرٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ

وقرى شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقصر على الواحد لأن الفرض
بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقلا (ولمكم تقولون) ما في ذلك من
العبر والجميع (فإذا قضى أمرا) فأنما (يكونه من غير كلفة ولا ماعاة جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة
وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء
وأمره (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلا) من الكتب (فإن قلت) وهل قوله (فسوف يعملون إذا الأغلال
في أعناقهم) إلى مثل قوله سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله
تعالى مبنية مقطوعا بها عينا بلطف ما كان وجد والمعنى على الاستقبال . وعراين عباس والسلاسل يسحبون بالنصب
وتقع الياء على عطف الجملة الفعلية على الإسمية وعنه السلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذا أعانهم
في الأغلال مكان قوله إذا الأغلال في أعانهم لكان صحيحا مستقيا فلما كانتا عاريتين متفتحتين حل قوله والسلاسل
على العبارة الأخرى ونظيره مشائم ليسوا مصلحين مشيرة . ولا ناعب إلا بين غرابها

كأنه قيل مصلحين وقرئ بالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من يجر التور إذا ملاه بالوقود ومنه السجرك أنه
يجر بالحلب أى ملغ ومعناه أنهم في النار فهي محطه بهم وهم مسجرون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار
الله الموقدة التي تطلع على الأشددة اللهم أجرتنا من تارك فلما عاتلونا بجوارك (ضلوا هنا) غابوا عن عيونا فلا نراهم
ولا ننتفع بهم (فإن قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم أنهم مقررون بأنهم
فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبغوا وقيل لم أينما كنتم تشركون من دون الله
فيغيثوكم ويشفعوا لكونهم في أعانهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون
عنهم (بل لم تكن دعوا من قبل شيئا) أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبك أن فلانا شيء
فإذا هولى بشيء إذا خبرته فلم ترعده خبراً (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال الله عنهم بضلهم عن اللهتهم
حتى لو طلبوا الألهة أو طلبتهم الألهة لم تصادفوا (ذاك) الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق)
وهو الشرك وعبادة الأوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى فاصبغة أبواب لكل باب منهم
جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مَثْوًى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثوا كم أو جهنم (فإن قلت)

الزيادة والبأكيد والتعطيات لا تمارت في ثبوتها . قوله تعالى «ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مَثْوًى المتكبرين»
(قال فيه) فإن قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فعمم المزار وأجاب بأن

(قوله ومنه السجرك كأنه يجر) في الصالح يجر الرجل صفيه وخليه والجمع السجراء (قوله في سائر الأوقات) أى
باقى الأوقات بعد وقت التوبخ

أَوْ تَوَفِّيكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَنُفِضَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ .
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ

الليس قياس النظم أن يقال فبمس مدخل المتكبرين كما تقول زريت الله فنعيم المزار وصل في المسجد الحرام فنعيم المصل (قلت) الدخول الموقت بالخلود في معنى التواء (فإننا نريك) أصله فإن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحق التوب بالفضل الأتراك لا تقول إن تكرمي أكرمك ولكن أما تكرمي أكرمك (فإن قلت) لا يخلو إيمان أن تعطف (أو توفيك) على نريك وفسركما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فإننا يرجعون) فقولك فإذا نريك بعض الذي نعدم فإننا يرجعون غير صحيح وإن جعلت فإننا يرجعون مخصصاً بالمعطوف الذي هو توفيك في المعطوف عليه بغير جزاء (قلت) فإننا يرجعون متعلق بتوفيك وجزاء نريك مخوف تقديره فيما نريك بعض الذي نعدم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذلك أن توفيك قبل يوم بدر فإننا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى . فإذا نذهبن بك فإننا منهم منتقمون أو نريك الذي وعدناهم فيما عليهم مقتدرون (ومنها من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه أن الله تعالى بعث نبياً أسود فهو من لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عناداً يعني أنا قد أرسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية إلا بإذن الله) فزيلي بأن أتى بآية مما تقرحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها (فإذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة (المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسبوا سحراً . الانعام الإيل خاصة (فإن قلت) لأم (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولتأكلوا منها وتصلوا إلى منافع وأهلا قال منها تركبونها منها تأكلونها وتبلغونها عليها حاجة في صدوركم (قلت) في الركوب الركوب في الحج والتمزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية إنا واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس

الدخول الموقت بالخلود في معنى التواء . قوله تعالى فيما نريك بعض الذي نعدم أو توفيك فإننا يرجعون (قال فيه المصحح للحاق التوب المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يجوز دخولها) قلت وإنما كان كذلك لأن التوب المؤكدة حقها أن تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب إلا أنه إذا أكد قوياً إلهامه ففترقه فتره الإلهام من غير الواجب فيساق دخول التوب فيه . ثم قال وقوله تعالى أو توفيك إما أن يشرك مع الأول في الشرط ويكون قوله فإننا يرجعون جزاء مشركاً بينهما فلا يستقيم المعنى على فيما نريك بعض الذي نعدم فإننا يرجعون وإن جعل الجزاء مخصصاً بالثاني في الأول بغير جزاء . وأجاب بأنه مخصص بالثاني وجزاء الأول مخوف تقديره فيما نريك بعض الذي نعدم وهو ما حل بهم يوم بدر فذلك أو توفيك فإننا يرجعون فننتقم منهم اه كلامه (قلت) وإنما حذف جواب الأول دون الثاني لأن الأول إن وقع فذلك غاية الأمل في انتكأهم فالتأت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسليم وتطمين النفس على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه . قال ومثله قوله تعالى فيما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون أو نريك الذي وعدناهم فإننا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الأول مخوف بذكر هذه الآية . قوله تعالى . لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم . (قال فيه) فإن قلت هلا قيل

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ نَاحِلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاتَى آيَاتُ اللَّهِ تُسَكَّرُونَ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَعَزَّ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا

المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك ناحلون) وعلى الأنعام وحدها لا يحملون لكن عليها وعلى الفلك
في البر والبحر (فإن قلت) هاتين وفي الفلك كما قال قلنا حل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الإيلاء ومعنى الاستعلاء
كلهما مستقيم لأن الفلك وعامه أن يكون فيها حوله ليستعليها فلما صحت المعنيان صحت العبارة وأنوا أيضا فليطابق قولهم وعليها وبرأوجه
(فأى آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقوله فآية آيات الله قليل لأن الفقرة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات
نحو حمار وحماره غريب وهي في أى أغرب لإيائهما (وآثاراً) قصورهم ومصانهم وقيل مشبه بأرجلهم لعظم أجرامهم
(فما أغنى عنهم) ما فانية أو مضنة معنى الاستفهام وعليها النصب والثانية موصولة أو مصدرية وعليها الرفع أى بنى شيء أغنى
عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنما زاد العلم الوارد على طريق التكميم في قوله تعالى
بل أدراك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نلعب وما ظن الساعة قائمقون لأن رجعت
إلى الدنيا إن شاء الله الحسن وما ظن الساعة قائمقون لأن رجعت إلى الدنيا لا يجدن غيرها متقبلا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون
به الديارات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والديهرين من بني يونان
وكانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصرفوا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه
وقيل له هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم
ولا علم عندهم التمسع موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحى الموجب لالتصق الفرح والمسرعة مع تكميم
بفرط جملهم وخلوهم من العبادات ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستنزه به كانه قال استنزهوا
بالينيات وبما جاوز به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها أن يجعل
الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جملهم المتأذى واستهزأ بهم بالحق وعلوا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
على جملهم واستهزأ بهم فرحوا بما أتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جملهم واستهزأ بهم ويجوز
أن يريد بما فرحوا به من العلم بلعلمهم بأمور الدنيا ومعرفة تدميرها كما قال تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم قلنا جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم ليشغل رفض الدنيا والظالم

لتركبوها منها ولأنها كوادنها وتلبغوا منها ومنها تكون ومنها تاكلون وعليها تلبغون وأجاب بأن في الركوب الركوب في الفرو
والحج وفي بلوغ الحاجة المعجزة من بلد إلى بلد إقامة دين أو علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوبة عما يتعلق به
إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الإرادة اه كلامه (قلت) جواب متداع السقوط
مؤسس على قاعدة واهية وهي أن الأمر راجع إلى الإرادة فالواجب والمنسوب مرادان لأنها متدرجان في الأمر والمباح
غير مراد لأنه غير مأمور به وهذان هيات المعترلة في إنكار كلام النفس فلا تظليل فيه النفس وقاعدة أهل الحق أنه لا ربط
بين الأمر والإرادة فقد يأمر بخلاف ما يريد ويريد بخلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح إذا أن المقصود ما لهم من الأنعام
والمنفعة المشهورة فيها إنما هي الركوب وبلوغ الحاجات عليها بواسطة الأسفار والانتقال في ابتغاء الأوطان فلذلك ذكرها
هنا مقارنين باللام الدالة على التعليل والنقض وأما الأكل وبقية المنافع كالأصواف والأوبار والألبان وما يجرى مجراها

(قوله المباح الذي لا يتعلق به) مبنى على مذهب المعتزلة أن الإرادة بمعنى الأمر فلا تتعلق إلا بالمطلوب وعند أهل السنة
هى صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه فتعلق بجميع الممكنات كما قرر في علم التوحيد
(قوله قلت معنى الإيلاء) في الصحاح أوعيت الزاد والمتاع إذا جملة في الرعاة
(قوله على رفض الدنيا والظالم) في الصحاح ظلفقت نفسى عن كذا بالكسر تظلف ظلفاً أى كفت

يَكْسِبُونَ • فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ •
فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ • فَلَمْ يَكْ يَنْفَعِهِمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا
بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ •

سورة فصلت مكية

وآياتها ٤٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • حم • تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ

عن الملاذ الشهورات لم يلتفتوا إليها وصغروا واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم لأفع وأجل للقرآن من علمهم ففرحوا به •
البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب نيس (فإن قلت) أي فرق بين قوله تعالى (قل يك ينفعهم إيمانهم) وبينه
لوقيل فلم ينفعهم إيمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن
ينفعهم إيمانهم (فإن قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فأغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا
أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلكم بالبينات فجاءهم إيمانهم (قلت) أي فرق بين قوله تعالى (قل يك ينفعهم إيمانهم) وبينه
زيد المال فنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رَأَوْا بَأْسَنَا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما
رَأَوْا بَأْسَنَا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رَأَوْا بَأْسَنَا (سنت الله) بمنزلة عداقه وما شابهه
من المصادر المؤكدة و (هناك) مكان مستعار الزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك
المطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضى الحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق • من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له
(سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) إن جملة (حم) إما للسورة كانت في موضع المتبدا (تنزيل) خبره وإن جعلها تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر المتبدا محذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز
الرجاج أن يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوع مبتدا (فصلت آياته) مبتد
وجملت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ و وعد ووعد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت

فهي وإن كانت حاصلة منها فقير خاصة بها خصوص الركوب والخل وتوابع ذلك بل الأكل بالفتح خصوص العنان أشهر فلذلك
اخترت الضمها بأمنا على الفتح فلذلك جردت هذا المتافع بالإخبار عن وجودها في غير مقرونة بما يدل على أنها المقصودة قوله تعالى
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رَأَوْا بَأْسَنَا (قال) فإن قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لوقيل فلم ينفعهم وأجاب
بأن معنى كان معناها في قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد بمعنى فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم اه كلامه (قلت)
كان الذي ثبت التصرف فيها بإجراء نونها بجري حروف اللة حتى حذفت للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر
دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالخلف بل هي مثل صان وحنان في اللة
فالأولى بقاؤها على بابها المعروف وقائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل النابغة عليه بتعدد جهة
فيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية مثلا فكأنه نفي مرتين والله أعلم

يَعْلَمُونَ بِشِيرٍ وَنَذِيرٍ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۖ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا مَا عَمِلُوا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ

بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرأنا عريا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب الفصل قرأنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أى فصلت آياته في حال كونه قرأنا عريا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات الفصل المدينة بلسانهم العربى المين لا يتبس عليهم شئ منه (فإن قلت) سم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتزليل أو بفصلت أى تزليل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أى قرأنا عريا كالتأنيدي قوم عرب لثلا يفرق بين الصلات والصفات ۖ وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يعطون من قولك تشفتت إلى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعته ولكنه لما لم يقبله ولم يعلم بمقتضاه فكأنه لم يسمعه ۖ والأكنة جمع كنات وهو الغطاء ۖ والقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تشبيلات لتبوءهم من تقبل الحق واعتقادهم كآنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذ فيها كقوله تعالى وقالوا قلونا غلف وجمع أسماعهم له كأنها صمغته وتباعد المذهبن والدينين كان بينهم ومأم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا سائرا وحاجزا منيا من جبل أو نحوه فلا تلاق ولا ترائى (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) أى هل ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك وقرئ إنا عاملون ۖ (فإن قلت) هل زيادة من قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لأنه لول ول بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط المجتنب وأما زيادة من فاعمل أن حجابا ابتداء منا وابتداء منك فالحاجة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فإن قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد

(القول في سورة فصلت)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة عما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقْر ومن بيننا وبينك حجاب الآية (قال فيه) فإن قلت فائدة من قوله ومن بيننا وبينك حجاب وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتداء الحجاب ومن جهته أيضا ابتداء حجاب فيلزم أن المسافة المتوسطة بينهما معلومة بالحجاب لا فراغ فيها ولولا ذكر من فيها لكان المعنى على أن في المسافة بينهما حجابا فقط اه كلامه (قلت) لا ينك المعنى بدخول من عما كان عليه قبل ولو كان الأمر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية لأنه جعلها مفيدة للإبتداء في الثانية كما هي مفيدة للإبتداء في الأولى فيكون التقدير إذا ومن بيننا وبينك حجاب وهذا يحل معنى بين إخلالا بينا فإنها تأتي تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لأن تكرار العامل يصيرها داخلة على مفرد فقط ويقطعه من قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لأن في ضمير معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا فجعل بين الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هي الثانية بينهما وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضامين وتكرارها إنما كان لأن المحطوف مضمير محفوف فوجب تكرار حافظه وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت بالحق بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وإنما كان ذكر هاتين الظاهرتين مع المضمير وجوبا لما بيننا فإذا وضع ذلك فالظاهر والله أعلم أن موقع من هاهنا كرمقها في قوله تعالى وجلعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وذلك للإشارة بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير وجود من قريب من عدوها ألا ترى إلى آخر هذه الآية كيف لم تستعمل فيها من وهي قوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجلعلنا

إِلَهُ وَاحِدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلشَّارِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفُورُونَ ۝
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ قُلْ أَنتُمْ تَسْكُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ

(قلت) هو على نخط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلبونا في أكلة وعلى قلبونا أكلة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكلة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكلة لم يختلف المعنى وترى المطابع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني (فإن قلت) من أين كان قوله (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) جواباً لقولهم قلبونا في أكلة (قلت) من حيث أنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر بنوؤنا وصحت بنوؤي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إلى أن إلهكم إله واحد (فاستقيموا إليه) فاستموا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين بيننا ولا شائلا ولا ملتفتين إلى ما يستول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وتوبوا إليه) بما سبق لكم من الشرك (واستغفروا) ۝ وقرئ قال إنما أنا بشر ۝ (فإن قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طوبته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم أى يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإفناق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بملظة من الدنيا ففرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بئع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجردوا وفيه بئع للؤمنين على أداء الزكاة وتخفيف شديد من منها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قرش بطمعون الحاج ويمرون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكرهون به أزكياه وهو الإيمان بالمنون المقطوع وقيل لأنهم عليهم لأنه إنما عين التفضل فأما الأجر فحق أدائه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والمرضى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كاصح ما كانوا يعملون (أنتم) همز تين

على قلوبهم أكلة أن يفة هو وفي آذانهم وقرا وكلام الرعشرى هذا إذا امتحنه بالتحقيق الذى ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفي هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق أن ينتظم إلا في درر الكتاب العزيز فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متواليه كل واحد منها كاف في فنه فأولها الحجاب الحائل الخارج وبه حجاب الصمم وأصاها الحجاب الذى أكن القلب والعياذ بالله فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتجياً إلا أسبلته ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطعماً ولا صريحاً إلا أسبلته فنسأل الله كفايته قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فإن قلت كيف كان هذا جواباً لما تقدمه (أجاب) بما تلخصه فنقول لما أبوا القول منه عليه الصلاة والسلام كل الإياد بدأهم بإقامة الحججة على وجوب القول منه فإنه بشر مثله لا قدره على إظهار المعجزات التى ظهرت وإنما القادر على إظهارها هو الله تعالى تصديقاً له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحججة عليهم أهم ما بئع به وهو التوحيد واندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع ونعم ذلك يبادرهم على ترك القول بالويل الطويل ۝ قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فإن قلت لم خص الزكاة وأجاب بأن أحب الأشياء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداقاً لاستقامته ونصوع طوبته وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بملظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا إلا بئع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجردوا اه كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلفة فإن استعماله الخداع غير لائق لأنهم إنما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الإيمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة ومانعاً هذا النحو

(قوله الطباق والملاحظة) لعله والملاحظة (قوله إلا بملظة من الدنيا) في الصحاح لظ إذا تبع لسانه بقية الطعام في فنه اه فله ظه

بمعنى ملووظ كضفة بمعنى مضموغ (قوله أنتم همز تين) لعله قرئ همز تين الخ

وَيَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْأَسَاثِينَ ۝ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا

الثانية بين بين وآ إنكم بالف بين مرتين (ذلك) الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو (رب العالمين ۝ رواسي) جبالاً ثوابت (فإن قلت) مامع قوله (من فوقها) وهل اختصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي وجعل لها رواسي (قلت) لو كانت تحتها كالأساطين لما تستقر عليها أو مركوزة فيها كالسمامير لثمت من الميدان أيضا وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المافع في الجبال معرضة لطالبها حاضرة محصلها وليصر أن الأرض والجبال أطفال على أفعال كلها مفتقرة إلى عسك لا بد لها منه وهو عسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأعمها (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعاشهم وما يصلحهم وفي قرارة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (في أربعة أيام سواء) فذلك لمة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قبل خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الإثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج في أربعة أيام في تمة أربعة أيام يريد بالتمة اليومين وقرئ سواء بالحرركات الثلاث الجر على الوصف والصب على استوت سواء أى استواء والرفع على هي سواء (فإن قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا المحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها أو يقدّر أى قدرتها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج (فإن قلت) هل قبل في يومين وأى فائدة في هذه الفضلك (قلت) إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين علم أن ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن نقول في يومين وأن نقول في أربعة أيام سواء فكانت في أربعة أيام سواء فائدة ليست في يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى إلى السماء) من قولك استوى إلى مكان كذا إذا

قوله تعالى أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين ونجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) إن قوله في أربعة أيام فذلك بمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال وقدر فيها أقواتها في يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء وقال ومعنى سواء كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج أن معنى الآية في تمة أربعة أيام يريد بالتمة اليومين ثم قال فإن قلت بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بأنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا المحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها أو يقدّر أى قدرتها الأقوات لأجل السائلين المحتاجين إليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الأول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الأول أن قوله في أربعة أيام فذلك ومن شأنها الوقوع في طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بمقدّر لزم وقوع الفضلك في حشو الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فإن الأربعة على قوله من تمة الأول وهى متعلقة بمقدّر على تأويل حذف التمة تعلق الظرف بالمظروف ليلام ذلك إتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الأقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرحم فإنه يشتمل على ذكر مدة خلق الأقوات بالتأويل القريب الذى قدروا مضمّن لما يقوم مقام الفضلك إذ ذكر جملة العدد الذى هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزمخشري تكون الفضلك مذكورة من غير تقديم تصريح بحملة تفاصيلها فإنه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفضلك أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتى هى على الجملة كقوله فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ۝

أَتَيْنَا طَائِفَيْنِ ۖ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصِيحٍ

توجه إليه توجه لا يبلو على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الازواج وعنده قولهم استقام إليه وامتد إليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بخلق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان مرثه قبل خلق السموات والأرض على الماء فأخرج من الماء دغانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأبس الماء لجلته أرضا واحدة ثم ففها لجلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ۖ ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتاعهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانت في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخيلا وبين الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما اتبيا شئنا ذلك أو أيتناه فالتا اتبنا على الطوع لاعل الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب وعنه قول القائل قال الجدار للوئد لم تنقني قال الوئد أسأل من يدقني فلم يتركني وراقى الحجر الذي وراقى (فإن قلت) لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء يومين (قلت) قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحها بما بعد خلق السماء كما قال تعالى ۖ والأرض بعد ذلك دحها ۖ فالعنى اتبيا على ما ينبغي أن أتبيا عليه من الشكل والوصف اتى يارض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك واتى يساءا مقببة سقفا لم ومعنى الإتيان الحصول والوقوف كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منك صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وأتينا من المواتا وهي الموافقة أى لتأت كل واحدة أختها ولترافقها قالتا واقتنا وساعدنا ويحتمل واقنا وأمرى ومشيتي ولا تنتما (فإن قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل لزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لنفعلن هذا شئت أو أبيت ولنفعلن طوعا أو كرها واتصبا على الحال بمعنى طائفتين أو مكرهتين (فإن قلت) هلا قيل طائفتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيات ووصفن بالطوع والكره قيل طائفتين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين (ففضاضن) يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء

قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض اتبيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائفتين (قالبه) إنما أن يكون هذا من مجاز التمثيل كان عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع إذا ورد عليه الأمر المطاع فهذا وجه وإنما أن يكون تخيلا فينبى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السموات والأرض فأجابتاه والغرض منه تصوير أثر القدرة في المقدور من غير أن يحقق شيئا من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوئد لم تنقني فقال الوئد أسأل من يدقني لم يتركني وراقى الحجر الذي وراقى اه كلامه (قلت) قد تقدم إنكارى عليه إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فإن معنى هذا الإطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التمييز عنه بهذه البارة لما فيها من إلهام وسوء أدب والله أعلم ۖ قوله تعالى ۖ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض اتبيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائفتين ۖ الآية (قال) فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان معها والأرض مخلوقة قبل السماء يومين وأجاب بأنه قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحها بما بعد خلق السماء كما قال والأرض بعد ذلك دحها فالعنى اتبيا على ما ينبغي من الشكل اتى يارض مدحوة قرارا ومهادا واتى يساءا مقببة ۖ ثم قال فإن قلت ما معنى طوعا أو كرها وأجاب بأنه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده افعل هذا شئت أو أبيت ۖ ثم قال فإن قلت هلا قيل طائفتين على اللفظ وطائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون وأجاب بأنه لما جعلن مخاطبات

(قوله فعل الأمر المطاع) لعله أمر الأمر (قوله تصوير أثر قدرته) لعله تأثير

وَحَقَّقًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۖ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۚ إِذْ جَاءَهُمْ
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَنَّا بِأَرْسِلَتْهُمْ بِهِ

على المعنى كما قال طائفتين ونحوه أمجاز نخل غايوة ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً بسبع سموات والفرق بين الصبين
أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قبل خلق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر
ساعة من يوم الجمعة خلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من أنه لو قيل في يومين
في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنها يومان كاملان أو ناقصان (فإن قلت) فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين
وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذي أورده سبحانه وأخصر وأصح
وأحسن طباقاً لما عليه النزول من مناصاة الفرائخ ومصاك الركب لتمييز الفاضل من الناقص والمتقدم من التأخر
وترفع الدرجات وينصاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنبيرات وغير ذلك أو شأنها
وما يصلحها (وحفظاً) وحفظاً ما حفظاً يعني من المسترفة بالتواقب ويجوز أن يكون مفصولاً على المعنى كأنه قال وخلقنا
المصاييح زينة وحفظاً (فإن أعرضوا) بدماء تلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته ۚ فحذرهم أن تصيبهم صاعقة
أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ۚ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المزة من الصعق أو الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعفاً فصق صعفاً وهو من باب فعله ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم
وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الموت والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لأنهم من بين أيديهم ومن
خلفهم يعني لأنهم من كل جهة ولأعلن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن

وجيأت وموصوفات بالطوع والكراهة ۚ قيل طائفتين في موضع طائفتان نحو قوله ساجدين اه كلامه (قلت) لم يحقق
الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن في ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهي مؤنثة وهذا هو السؤال الذي أورده
الثاني أتى بها على جمع العقلاء وهي لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذي ذكره مختص بالسؤال الذي لم يذكره ولهذا
نظره بقوله ساجدين فإن تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء فأما السؤال الآخر فلا لأن
الكلام راجع إلى الكواكب وهي مذكرة والشمس وإن كانت مؤنثة إلا أنه غالب في الكلام المذكور على المؤنث على
المنهاج المعروف فأما هذه الآية فتريد على تلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والأرض
مؤنثة فيقال أولاً لم ذكرها وثانياً لم أتى جمعها المذكور على نعمت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال والجواب والطوع
اللاتي تختص بالعقلاء لا بها ولم يوجد في جمع المؤنث عدول إلى جمع المذكور لوجود الصيغة المرشدة إلى العقل فيه فتمت
الفائدة بذلك على تأويل السموات والأرض بالأفلاك مثلاً وما في معناه من المذكور ثم يذلل المذكور على المؤنث ولا
يعدم مثل هذا التأويل في الأرضين أيضاً ۚ قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين، (قال فيه) قبل أن الله تعالى
خلق السموات وما فيها في يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم في تمامه اليوم وفيه تقوم
القيامة ثم استدلل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنها يومان كاملان
أو ناقصان اه كلامه (قلت) كأنه يستدل بإتمام اليومين عن التأكيده حيث لم يكن خلق السموات بما فيها في جملة
اليومين على أنه إنما فذلك أيام خلق الأرض بما فيها لأنه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يومين
منها بل كان يجوز أن يكون الخلق في أحد اليومين وبعض الآخر كما كان في هذه الآية على النقل الذي ذكر وهذا لا يتم
له منه غرض فإن للقاتل أن يقول إنما كان خلق السموات بما فيها في يومين كاملين لأن آدم لم يكن في السموات

(قوله من مناصاة الفرائخ ومصاك الركب) أي أمكنة النوص على التثنية وأمكنة اصطلاك الركب

كُفَرُوا ۖ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۖ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حضروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه إذا جاءهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فإن قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل من جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن بعدهم أي من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل جميعاً قد جاؤهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم ۖ أن في (أن لا تعبدوا) معنى أي أوخضت من الثقلية أصله أنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لك لا تعبدوا ۖ ومفعول شاء محذوف أي (لوشاء ربنا) إرسال الرسل (لا تزل ملائكة إنا بما أرسلتم به كافرون) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة إنا لاؤم من بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو اتسم لنا رجلاً عالمًا بالشعر والكهانة والسحر فلكمه ثم أنانا بيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلت من ذلك علماً وما يخفى عليّ فأناه فقال أنت يا عبد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فم تسم آلهتنا ونصلها فإن كنت تريد الرأسة عقدنا لك اللواء فكننت ريتنا وإن تك بك البائة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جملناك من أمواتنا ما تستخني به ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم سم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد ثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فنضب وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً ثم قال والله لقد كنت فأجاني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمرود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب غفلت أن ينزل بك العذاب (فاستكبروا في الأرض) أي تمظفوا فيها على أهلها بما لا يستحقون به النظم وهو القوة وعظم الأجرام أو استلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصحرة من الجبل فيقتلها بيده (فإن قلت) القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقبضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصفة بنية وهي نقبضة المعجزة وبقائه سبحانه وتعالى لا يرفص بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صحّ قوله (هو أشد منهم قوة) وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضوعين شيء واحد بالقدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صحّ

حيث لا يخلقه كل يومان على مقتضى ما نقله فأمله ۖ قوله تعالى ألو يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة في البنية ونقبضتها الضعف والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل وهي نقبضة المعجزة فإن وصف الله تعالى بالقوة فذلك معنى القدرة وليس القوة على حقيقتها فكيف صحّ قوله هو أشد منهم قوة ولابد أن يراد بالقوة في الموضوعين شيء واحد أو أجاب عنه بأن القدرة في الإنسان صحة البنية والاعتدال والشدة والقوة زيادة القدرة فكما صحّ أن يقال أقدّر منهم صحّ أن يقال أقوى

(قوله من تميز بذات أو لصفة بنية) هذا كقوله الآتي إنه يقدر لذاته تحمل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة على أنه تعالى قادر بذاته لكن مذهب أهل السنة أنه تعالى قادر بقدره قائمة بذاته وكذا بقية الصفات كما في التوحيد

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أُخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۚ وَأَمَّا يُعَذِّبُهُمْ فَلَسْتَ تَعْلَمُ عَلَىٰ الْهَدْيِ
فَأَخَذْتَهُمْ صَافَةً الْعَذَابِ الْمُؤَنِّ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ وَبِجَنَّةِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۚ وَيَوْمَ يُبْشِّرُ أَعْدَاكَ

أَنْ يَقَالَ اللَّهُ أَفَرَأَيْتُمْ مِنْهُمْ جَزَاءَ أَنْ يَقَالَ أُخْرَىٰ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَعْنَى أَنَّهُ يَقْدِرُ لِدَاخِلِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِازْدِيَادِ قُدْرَتِهِ (يُجْحَدُونَ)
كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهُاتُ وَلَكِنْهُمْ جَعَلَهَا كَمَا يَجْعَدُ الْمَوْجِعُ الْوَدِيعَةَ وَهُوَ مَعْلُوفٌ عَلَى فَاسْتَكْبَرُوا أَيْ كَانُوا كُفْرًا فَسَقَهُ ۚ
الصَّرَصُ الْمَاصِفَةُ الَّتِي تَصْرِصُ أَيْ تَصَوِّتُ فِي هَوْبِهَا وَقِيلَ الْبَارِدَةُ الَّتِي تَحْرِقُ بِشِدَّةِ بَرْدِهَا تَكْرِيرًا لِبَيَانِ الصَّرَصِ وَهُوَ الْبَرْدُ
الَّذِي يَصِيرُ أَيْ يَجْمَعُ وَيَقْبِضُ (نَحْسَاتٌ) فَرَأَى بِكُسرِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا وَنَحْسٌ نَحْصًا نَقِيبُضُ سَعْدًا سَعْدًا وَهُوَ نَحْسٌ وَأَمَّا
نَحْسٌ فَإِنَّمَا تَخَفُّفُ نَحْسٍ أَوْ صِفَةُ هَلٍ فَمِلَ كَالضَّخْمِ وَشَبَّهَ أَوْ وَصَفَ بِمَصْدَرٍ ۚ وَفَرَّقَ لِتَذْيِيقِهِمْ عَلَى أَنَّ الْإِذَاتَةَ لِلرَّيْحِ
أَوْ لِلْأَيَّامِ النَّحْسَاتِ ۚ وَأَضَافَ الْعَذَابَ إِلَى الْخُرَى وَهُوَ الذَّلِيلُ وَالِاسْتِكْنَاءُ عَلَى أَنَّهُ وَصَفَ لِلْعَذَابِ كَأَنَّهُ قَالَ هَذَا خَزْ
كَ تَقُولُ فَمِلَ السُّوءَ تَرِيدُ الْفَعْلَ السَّيِّئَ ۚ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أُخْرَى) وَهُوَ مِنَ الْإِسْنَادِ الْجَائِزِ
وَوَصَفَ الْعَذَابَ بِالْخُرَى أَبْلَغَ مِنْ وَصْفِهِ بِهِ أَلَّا تَرَى إِلَى الْبُيُونِ بَيْنَ قَوْلِكَ هُوَ شَاعِرٌ وَلَهُ شِعْرٌ شَاعِرٌ ۚ وَفَرَّقَ ثَمُودَ
بِالرَّافِعِ وَالنَّصَبِ مَتَوْنًا وَغَيْرَ مَتَوْنٍ وَالرَّافِعُ أَفْضَحُ لَوْ قَوَّعَهُ يَمْدُ حَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ وَفَرَّقَ بَيْنَ التَّاءِ (فَهْدِيَانَهُمْ) فَذَلَّلْنَاهُمْ عَلَى
طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَهْدِيَانَهُ لِلْجَدِيدِينَ (فَاسْتَجَبُوا أَمْرِي عَلَى الْهَدْيِ) فَاسْتَخَرُوا الدَّخُولَ فِي الضَّلَالَةِ عَلَى
الدَّخُولِ فِي الرُّشْدِ (فَإِنْ قُلْتَ) أَيْسَ مَعْنَى هَدِيَّتِهِ حَصَلَتْ فِيهِ الْهَدْيُ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُكَ هَدِيَّتَهُ فَاعْتَدَى بِمَعْنَى تَحْصِيلِ الْبَنِيَّةِ
وَحُصُولِهَا كَمَا نَقُولُ رَدَعَتْ فَارْتَدَعَ فَكَيْفَ سَاخَ اسْتِمَالَهُ فِي الدَّلَالَةِ الْمُجْتَرَدَةِ (قُلْتَ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ مَكْنَهُمْ وَأَزَاحَ عَلَيْهِمْ
وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عَذْرًا وَلَا عِلَّةً فَكَأَنَّهُ حَصَلَ الْبَنِيَّةُ فِيهِمْ بِتَحْصِيلِ مَا وَجَّهَ وَيَقْتَضِيهَا (صَاعِقَةُ الْعَذَابِ) دَاخِيَةُ الْعَذَابِ وَقَارَعَةُ
الْعَذَابِ ۚ وَ (الْمُؤَنِّ) الْهَوَانُ وَصَفَ بِهِ الْعَذَابَ مِثْلَهُ أَوْ بَدَلَهُ مِنْهُ وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ حِجَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّذِينَ هُمْ
يُجْرَسُونَ هَذِهِ الْأَمَّةَ بِشَهَادَةِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنِيَ بِهِ شَاهِدًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ لَكُنِيَ بِهَا حِجَّةٌ ۚ فَرَأَى يَحْشُرُ عَلَى الْبَنَاءِ

مِنْهُمْ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَقْدِرُ لِدَاخِلِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِازْدِيَادِ قُدْرَتِهِمْ أَنْتَهَى كَلَامَهُ (قُلْتَ) فَسَرَّ الْقُدْرَةَ عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ
فِي اعْتِقَادِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَإِنْ سَلَّمَهُ مِنْ حَيْثُ الْفَتْةُ فَقَدْ نَكَّصَ عَنْهُ إِلَى حُلِّ الْقُدْرَةِ فِي الْآيَةِ عَلَى مَقْتَضَاهَا فِي فَنِّ الْكَلَامِ وَجَعَلَ
التَّفْضِيلَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ لِدَاخِلِهِ أَيْ بِالْقُدْرَةِ وَالْمَخْلُوقُ قَادِرٌ بِقُدْرَةِ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْقَائِدَةِ الْقَائِدَةِ وَتَفْظِيرُ هَذَا
التَّفْظِيرُ فِي الْفَسَادِ تَفْسِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ زَيْدًا أَعْلَمَ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ صَفَةُ الدَّلِيلِ لِلْفَضُولِ وَسُلْبُهَا بِالْكَلْبَةِ عَنِ الْأَفْضَلِ وَهَلْ هَذَا الْإِعْتِمَادُ
فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى وَهَمَّ فَالْحَقُّ أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْقُدْرَةَ الثَّابِتَةَ لِلْمُبْدِيَّةِ قَدْرَةُ مَقَارِفَةِ لِفَعْلِهِ مَعْلُومَةٌ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ مَفْقُودَةٌ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ
فِي الْعَقْلِ الرَّاجِعِ فِي عِلْمِهَا فَضْلًا عَنِ تَجَاوُزِهَا إِلَى غَيْرِهِ وَقُدْرَةُ اللَّهِ جَعَلَتْ قُدْرَتَهُ مَوْجُودَةً فِي الْقُدْرَاتِ مَوْجُودَةً أَوْ لَا وَأَبْدَاعُهُ
الَّتِي بِمَجْمَعِ الْكَاتِمَاتِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ هَذَا هُوَ النُّورُ الَّذِي لَا يُلَوِّحُ إِلَّا بِمَنْ ثَابِتَاتِ عَقَائِدِ السَّنَةِ لَمْ يَسْقُتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْمُنَّةُ
ۚ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ (قَالَ فِيهِ) فَذَلَّلْنَاهُمْ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدَ ۚ ثُمَّ قَالَ فَإِنْ قُلْتَ أَيْسَ مَعْنَى هَدِيَّتِهِ حَصَلَتْ
لَهُ الْهَدْيُ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُكَ هَدِيَّتَهُ فَاعْتَدَى بِمَعْنَى تَحْصِيلِ الْبَنِيَّةِ فِيهِمْ بِتَحْصِيلِ مَا وَجَّهَ وَأَجَابَ بِأَنَّهُ مَكْنَهُمْ وَأَزَاحَ عَلَيْهِمْ
وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عَذْرًا وَلَا عِلَّةً فَكَأَنَّهُ حَصَلَ الْبَنِيَّةُ فِيهِمْ بِتَحْصِيلِ مَا وَجَّهَ ۚ ثُمَّ قَالَ وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ حِجَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّذِينَ
هُمْ يَجْرَسُونَ هَذِهِ الْأَمَّةَ بِشَهَادَةِ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكُنِيَ بِهِ شَهِيدًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ لَكُنِيَ بِهَا حِجَّةٌ أَنْتَهَى كَلَامَهُ (قُلْتَ)

(قَوْلُهُ وَهُوَ مَعْلُوفٌ عَلَى فَاسْتَكْبَرُوا) أَيْ قَوْلُهُ تَعَالَى وَكَانُوا الْخُجْرَاءُ (قَوْلُهُ حِجَّةٌ عَلَى الْقُدْرَةِ الَّذِينَ هُمْ يَجْرَسُونَ) يَرِيدُ أَهْلَ
السَّنَةِ سَامَهُ الْمُتَمَثِّلَةَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ جَمِيعُ الْحَوَادِثِ خَيْرٌ كَانَتْ أَوْ شَرًّا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ الْإِخْتِيَارِيَةِ أَوْ غَيْرِهَا فَهِيَ بِقَضَاءِ
اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَةِ خِلَافًا لِلْمُتَمَثِّلَةِ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْأَفْعَالِ الْإِخْتِيَارِيَةِ لَيْسَتْ بِقَضَائِهِ تَعَالَى وَقُدْرَةِ وَلَا تَأْثِيرَ لَهُ فِيهَا
أَصْلًا وَهَذَا أَحَقُّ بِالتَّقْيِصِ الَّذِي يَفِيدُهُ الْحَدِيثُ وَفَسَّرُوا الْإِضْلَالَ وَالْهَدْيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ۚ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ
بِخَلْقِ الضَّلَالِ وَخَلْقِ الْإِهْتِدَاءِ خِلَافًا لِلْمُتَمَثِّلَةِ حَيْثُ فَسَّرُوا الْإِضْلَالَ بِالْخُذْلَانِ وَتَرْكِ الْعِبْدِ شَأْنَهُ وَالْهَدْيَ بِالْيَأْنِ وَتَقْلِ

اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَمَنْ يَرْجِعُونَ • حَتَّى إِذَا مَاجَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لَوْلَا جُودُكُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ • وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ • فَإِنْ بَصُرُوا النَّارَ آنفَى لَهُمْ وَأَنْ

للفعل ونحشر بالنور وضئ الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أى يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من الأولين والآخرين (يرجعون) أى يحبس أولهم على آخرهم أى يستوفى سوابقهم حتى يلحق بهم نوابهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجبرنا منها بسعة رحمته • (فإن قلت) ما فى قوله (حتى إذا ماجاها) ما فى (قلت) مزيدة لتأكيد معنى التأكيدي فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها مثله قوله تعالى أم إذا ما وقع آمنهم أى لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم بشهادة الجلود بالماسسة للحرام وما شبه ذلك مما يفيض إليها من الحزومات (فإن قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الصخرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هى كناية عن الفروج أراد بكل شئ من الحيوان كما أراد به فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير كل شئ من المقدرات والمعنى أن نطقنا ليس بمعجب من قدرة الله الذى قدير على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشاءكم أول مرة وعلى إعادةكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لم (لم تشهدتم علينا) لما تعاملهم من شهادتها وكبر عليهم من الإفصاح على السنة جوارحهم • المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عاينين بشهادتها عليكم بل كنتم جاهدين بالبعث والجزاء أصلا ولكم (إنما استترتم لأنفسكم) (أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون) وهو الحقيقتان من أعمالكم وذلك لأنهم هو الذى أهلككم وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كائنه ورقيبا مهيمنا حتى يكون فى أوقات خلواته من ربه أهيى وأحس استشاما وأورف تحفظا وقصوانا مع الملا ولا يتبسط فى سره مراقبة من تنبئه هؤلاء الظانين وقرئ (ولكن زعمتم) (وذلكم) رفع بالابتداء (وظنكم) (وآرداكم)

قد أنطقه الله الذى أنطق كل شئ • بأن القدرية يجوز هذه الآفة بشهادة التى صلى الله عليه وسلم وقد شهد بحبه الأكرمون أن الطائفة الذين قضا الرخصى أئرم القدرية للتمسجة الذين أديانهم بأدناس الفساد متمسجة بهم أول متخرف على هذا السلك والمنهبط فى مهواة هذا الهلك • ولترجع إلى أصل الكلام فتقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة هو خلق الهدى فى قلوب المؤمنين وبالإضلال خلق الضلال فى قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازا وأتساعا نحو هذه الآية فإن المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقة كاسره الرخصى وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال الهدى ههنا مجاز ثم إن أهل السنة يحملونه على المجاز فى جميع موارد فى الشرع فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون وأى دليل

الذى عن ابن منصور المستريدى أن الهدى المضاف للخلق يكون تارة بمعنى البيان كما فى هذه الآية وتارة بمعنى خلق الاهتمام كما فى قوله تعالى «يضل من يشاء ويهدي من يشاء» والمضاف للخلق بمعنى البيان فقط ويحتمل أن يكون هدى ثمود بمعنى خلق الاهتمام فهم وأنهم آمنوا قبل عقر الناقة ثم كفروا وعقروها • (قوله لأن يخلو منهم) لعله منها (قوله كما أنطق الصخرة) على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى عليه السلام هو خلقه الكلام فى الشجرة التى كانت عند الطور وعند أهل السنة هو بأن كشفه عن كلامه القديم وأسمه إياه كما بين فى محله (قوله وذلك الظن هو الذى أهلككم) لعله وذلك (قوله فى سره مراقبة من التنبيه) أى عظة كما أفاده الصحاح

يَسْتَعِينُوا قِسْمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاقِضْتُمْ قَرْنَاءَ قُرَيْشُوا لَهُمْ مَا يَنْدِبُهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنُّفُورُ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَلْيَذِيقْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ

خبرنا ويجوز أن يكون ظنك بدلا من ذلك وأرادكم الخبر (فإن يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفعوا به من التواء (إن يستعینوا) وإن يسألوا العتيق وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزاء ما هم فيه لم يستعینوا لم يعطوا العتيق ولم يجابوا إلى ما يحبون قوله عز وجل أجزأنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعینوا فاقم من المؤمنين أي إن استلوا أن يرضوا بهم فاقم فاعلون أي لاسيل لهم إلى ذلك (واقضتكم قرناً) وقدرنا لهم يعني لشركي مكة يقال هذان ثوبان قبضان إذا كان متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أعداءنا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى «ومن يش عن ذكر الرحمن فيضله شيطاناً فهو له قرين» (فإن قلت) كيف جاز أن يقض لهم القرناء من الشياطين وهو ينههم عن اتباع خطوهم (قلت) معناه أنه أخذهم ومنهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يش يقض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا يبت ولا حساب (وحق عليهم القول) يعني كلمة العذاب (في أمر) في جملة أمر ومثل في هذه ما في قوله :

إن تلك عن أحسن الصنعة ما ۝ فوكا في آخرين قد أفكوا

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عدد آخر بنسبت في ذلك بأوحد (فإن قلت) في أم ما خلفه (قلت) محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حتى عليهم القول كالتين في جملة أم (إنهم كانوا عاصرين) لتليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم ولأنهم قرئ والتوفيق بفتح التين وخمها يقال لغني ولغني ولغنيو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل منه قال من التناور فغنى التكلم والغنى لا سمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قرأته بغير الأصوات بالخرافات والمذيان والزمل وما شبه ذلك حتى تخطوا أصل القارئ وتشوشوا عليه وتعلبوا على قرأته كانت قرأته بغير معنى بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يراد بالذين كفروا هؤلاء اللاعنين والأمير بهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطو تحت ذكرهم وقد كرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس (هذا شديد) يوم بدر ۝ (أسوأ الذي كانوا يعملون) في الآخرة (ذلك) إشارة إلى الأسوأ ويجب أن

في هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة حتى يربهم بما ينمكس إلى تحريمه وبذقه وبال أمره ۝ قوله تعالى واقضتكم قرناء (قال) فيه كيف جاز أن يقض لهم قرناء من الشياطين وهو ينههم عن اتباع خطوهم وأجاب بأن معناه أنه أخذهم ومنهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يش عن ذكر الرحمن فيضله شيطاناً أن الله تعالى انتهى كلامه (قلت) جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة أن الأمر على ظاهره فإن قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهي عما يريد وقوه يأمر بما لا يريد حصوله وبذلك نطق هذه الآية وأخواتها وإنما أولها الزمخشري ليعتبرها هو الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهي عما يريد وإن وقع النهي عنه فعلى خلاف الإرادة تعالى الله عن ذلك وبه نستفيد من جعل القرآن تبعا للهوى وحيداً فتقول لولم يكن في القرآن حجة على القدرة الذين هم مجوس هذه الآية بشهادة نبينا عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكني بما نفذا موضع هذه المقالة التي أنطقه الله بها الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه

(قوله قرناء أعداءنا من الشياطين) أي أصدقاء أعداءه الصحاح (قوله قلت معناه أنه أخذهم) هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يقدر الشر أماعلى مذهب أهل السنة أنه تعالى يقدره كالخير فلا داعي إلى هذا التكلف قال تعالى ۝ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين ۝ الخ (قوله والمذيان والزمل) الذي في الصحاح لا زمل الصوت والأزملة بالنغم المصوت من الوعول وغيرها

جَزَاءُ عَذَابٍ أَلَّهَ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتِيَانِ بِمُحْجَدُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لِيَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ . إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا سَتُنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتُ الْأَنْخَافُ وَلَا يَخْزَوْنَ وَلَا أَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلَیَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ . نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

يكون التقدير أسوأ أجزا الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارات (النار) عطف بيان للجزاء وأخبار مبتدأ مخضوف (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (لم يهادار الخلد) (قلت) معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت نقي الدار بعينها (جزاء) كانوا يأتينا بمحجودين أي جزاء بما كانوا يفعلون فيها ذكر الجحود الذي هو سبب اللغو (الذين أضلنا) أي الشيطانين الذين أضلنا (من الجن والإنس) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق . وقرئ أرونا يسكنون الزاء لثقل الكسرة كما قالوا في غنغنه وقيل معناه أعطنا الذين أضلنا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرى ثوبك بالكسر فاعلمني بصره وإذا قلته بالسكون فهو استعظام معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتها الإتياء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار (ثم) لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفصلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استفاموا فعلا كما استفاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذبوا قال حلتهم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استفاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثمالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت يا رسول الله أخبرني بأمر اعتصم به قال قل ربني الله ثم استقم قال قلت ما أخوف ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لسان نفسه فقال هذا (تنزل) عليهم الملائكة عند الموت بالبرى وقبل البرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم (الأنخافوا) أن بمعنى أي أو مخففة من التثنية وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تدوروه أبدا وقيل لا تخافوا ما تدعون عليه ولا تخمضوا على ما خلتكم . كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المؤمنين وأجوازهم في الدارين (تدعون) تمنون . والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانصابه على الحال (عن دعا إلى الله) عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نخلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤمنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدًا معتمد الدين الإسلام عاملا بالخير داعيا إليه ومأمرا لإطاعة المالكين العالمين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله (وقال إنني من المسلمين) ليس الفرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام

(قوله العالمين من أهل العدل والتوحيد النواة) إن أراد بهم المعتزلة سوا أنفسهم بذلك فلا وجه للتخصيص

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۚ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُوحَضًى
عَظِيمٌ ۚ وَإِنَّمَا يَنزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ وَمَنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۚ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا
فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۚ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنَّا تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا
أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُتَوَّى ۚ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ

مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه ۚ يعني أَنَّ الحسنة والسيئة متفاوتان في أنفسهما فخذ بالحسنة
التي هي أحسن من أختها إذا اعتزتك حستان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل
أساء إليك إساءة فالحسنة أن تغف عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل
ولذلك فقتدى ولده من يدعوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مضافة لك ۚ ثم قال وما يليق
هذه الخليفة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر ۚ والإرجل خير وفق لحظ عظيم من التحير (فإن قلت)
فهل لا يقل فادفع بالتي هي أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن ۚ وقيل لا مزيدة والمعنى
ولا تستوي الحسنة والسيئة (فإن قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة (قلت) أجل ولكن موضع
التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنة هان عليه الدفع بما هو دونها ومن ابن عباس
رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجمل والغفوة عند الإساءة وفسر المظ بالثواب وعن الحسن رحمه
الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً قديماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار لولا
مصافيه التزغ والنسخ بمعنى وهو شبه النفس والشيطان يزغ الإنسان كأنه يخسه يعيش على ما ينبغي وجعل التزغ نازعاً كقيل
جد جده أو أريد وإما ينزغك بازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من
الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وأضر على شأنك ولا تقطعه الضمير في (خلقهن) الليل والنهار والشمس
والقمر لأن حكم جماعة مالا يعقل حكم الاثنى أو الإثبات يقال الأقلام يربتها وبريتن أو لما قال ومن آياته كن في
معنى الآيات قبل خلقهن (فإن قلت) أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعي رحمه الله تعالى (تعبدون) وهي رواية
مسروقة عن عبد الله ذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن
عمر وسعيد بن المسيب لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصائتين في عبادتهم الكواكب ويرعون أنهم
يقصدون بالسجود لها السجود لله فتها عن هذه الوسطة وأمرنا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً إن كانوا
إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فإن استكبروا) ولم يمتثلوا أمروا به وأبوا إلا الوسطة فدفعهم وشأنهم
فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد
وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلز والمكامة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الهمزة والميم والخاء فاستمير
لحال الأرض إذا كانت حقة لآيات فيها كما وصفها بالعمود في قوله تعالى وتري الأرض هامدة وهو خلاف وصفها
بالاعتزاز والريز وهو الانتفاخ إذا أخضبت وتزخرت بالنبات كما يمتزج لها الخصال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف
البال في الظلم الرنة وقرئ وريبات أي ارتفعت لأن التبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ۚ يقال الحد الحافر
والحد إذا مال عن الاستقامة فخر في شق فاستمير للانحراف في أوائل آيات القرآن عن جبة الصحة والاستقامة وقرئ

(قوله في الظلم الرنة) في الصحاح الطمر الثوب المحرق والجمع الظلم

فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي - ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كَرَّمَا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۚ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُونُ مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۚ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۚ أَعْجَبِي وَعَرَبِي ۚ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ قُرْءَانَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مَن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

يلحدون ويلحدون على اللتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (فان قلت) هم اصل قوله (إن الذين كفروا بالذکر) (قلت) هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذکر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحزفوا تأويله (وإنه لكتاب عزيز) أي منيع محي بحماية الله تعالى لآياته الباطل من بين يديه ولأن خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به فإن قلت أما طعن فيه الطاعون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم عن حمايته عن تعلق الباطل به بأن يقض قوما عارضونهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقوالهم فلم يخلو طعن طاعن إلا محوقا ولا قول مبطل إلا مضطجرا ونحو قوله تعالى (نا نحن نزلنا الذکر وإنا لخالطون ما يقال لك أي ما قول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسول كفار قومهم من الكلمات المؤذية للطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة لا يئيبانه (وذو عقاب) ولعادتهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسول من قبلك والمقول هو قوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخفه أهل ممصيته والفرض تخويف العصاة كانوا لئن لم يقولوا من هذا القرآن بلغة العجم قليل لو كان كما يفترون لم يتركوا الاعتراض والتفت وقالوا (لولا فصلت آياته) أي ينتهت ولخصت لسان فقهاء (العجمي وعربي) الحمزة حمزة الإنكار يعني لأنكروا وقالوا أفر أن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي ورفي أعجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب إلى أمة العجم وقراءه الحسن أعجمي بغير حمزة الاستهزاء على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي والمعنى أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متنتا لأن اللوم غير طالبن للحق وإنما يقيمون أهواهم ويجوز في قراءه الحسن فلا فصلت آياته تفصيلا لجمل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في إنكار المكرو لو رأى كتابا عجيبا كتب إلى قوم من العرب يقول كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تناقض حالي الكتاب والمكتوب إليه لاعتق أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سبق إليه من الفرض ولا يوصل به ما يخلف عرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللباس قصير ولو قلت واللباس قصيرة جئت بما هو لكنه وفضل قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللباس وأنونه إنما وقع في غرض وراهما (هو) أي القرآن (هدى وشفاء) إرشاد إلى الحق وشفاء (لما في الصدور) من الظن والشك (فان قلت) (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه علقا على ما عين وإن كان لا يخفى بجمده وإنما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر

• قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ولذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى (أجاز) في الوارد في هذه الآية وجهين أحدهما أن تكون الواو لطلب الذين على الذين وقر على هدى وشفاء ويكون من المطف على

مُوسَى الْكَتَبَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ هـ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ هـ إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ قَالُوا إِذْ ذُنُوبُنَا ذَمُّنَا مَنْ شَهِدَ هـ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ هـ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَا الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُوسِسْ قَنُوطٌ هـ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ حُرِّ آتٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعنى كقوله تعالى فصببت عيكم (ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لا يقبلونه ولا يهرونه اسماعهم فثلثم في ذلك مثل من يصيح بمن ساقه شاة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامه وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا قاله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرون إلى أجل مسمى (فنفسه) نفسه تقع (فصلها) نفسه ضر (ومار بك بظلام) فيعذب غير المسىء (إليه) يرد علم الساعة أى إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكبر الكفاف وعاء الثرة بكف الظلمة أى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضح والإو هو علم به يعلم عدداً بأم الحبل وساعاته وأحواله من الخداج والقيام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركائى) أضافهم إليه تعالى على زعمهم ويأنه في قوله تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقرع (آذناك) أعلنك (ما نمان من شهيد) أى ما نمان أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعا نشهد بأنهم شركاؤك أى ما نمان إلا من هو مودعك أو ما نمان من أحد يشاهدكم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم ألتهم لا يصبرونها في ساعة التوبخ وقيل هو كلام الشركاء أى ما نمان من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلأهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا يفتونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا والمحيص المهرب (فإن قلت) آذناك إخبار بإيدان كان منهم فإذا آذنوا فلم ضلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائى إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى أنك عدت من قلوبنا وعقائدنا الآن أما لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلوه ويجوز أن يكون إنشاء الإيدان ولا يكون إخبار بإيدان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء الخير (وإن مسه الشر) أى الضيقة والفقير (فيوس قنوط) يولع فيه من طريقتين من طريق بناء فصول من طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيضال ويتكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون هـ وإذا فرجتنا عنه بصحة بعد مرض أوسمة بعد ضيق قال (هذالى) أى هذا حق وصل إلى لآنى استوجبه بما عدى من خير وفضل وأعمال برّ أو هذا لى لا يزول حتى ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله تعالى (وما أظن الساعة تأتيه) إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين يردو ما أظنها تكون بل إن كانت على طريق النوم

عالمين قال وإنما أن يكون والذين مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه وقرأه (قلت) أى وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدأ

(قوله وقرئ من ثمرات من أكمامهن) يفيد أن القرءاء المشهورة من ثمرة من أكمامها والذى في النسب من ثمرات من أكمامها ومن ثمرة من أكمامها وأثام من ثمرات من أكمامهن فهي المزيدة من الحور (قوله تاحوله من الخداج والقيام) أى نقصان كما في الصحاح

وَلَكِنْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ الْحَسَنَىٰ فَلَنُبَيِّنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمَلُوا وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۚ
وَإِذَا أَلْمَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۚ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ

(ان لي) عند الله الحالة الحسنی من الكرامة والنعمة قالنا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكفار
أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى ربِّي إن لي عنده الحسنی ويقول في الآخرة ياليتي كنت ترابا وقيل
نزلت في الوليد ابن المغيرة فلنخبرهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنصرهم عكس ما اعتقدوا
فيها أنهم يستجوت عليها كرامة وقرية عند الله وقدما إلى ما عملوا من عمل لجلعناه بهاء منشورا وذلك أنهم
كانوا ينفقون أموالهم رياء الناس وطبعا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب النجاة
والصحة وأنهم يحقون بذلك هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبهرته النعمة وكأنه
لم يلق يوما قط ففسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه وتكبر وتعلمه وإن مسه الضرر
والفقر أقبل على دوام الداء وأخذ في الإتهال والتضرع وقد استعير المرض لكثرة الداء ودوامه وهو من صفة
الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلط بشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإنباع
وناء على القلب كإقاروا راء ذراى (فإن قلت) حقق لي معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع
جانبه موضع نفسه كإذ كرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنبه الله أن مكان الشيء وجهه يزدل منزلة الشيء نفسه ومنه
قوله ونفيت عنه مقام الذنب يريد ونفيت عنه الذنب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرت فلان
وجلسه وكتبت إلى جهة وإلى جانبه المزبر يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في التكبر ذهب بنفسه
وذعبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار
كأقالوا ثنى عطفه وتولى بركته (أرأيتم) أخبروني (إن كان) القرآن (من عند الله) يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن
وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلت منها على اليقين وثالث الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل
أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تظنوا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون
حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضلّ منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم
وقوله تعالى (من هو في شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتمهم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)
يعني ما يراه عز وجل لرسله صلى الله عليه وسلم وللخطفاء من بعده ونصاردينه في آفاق الدنيا وبلاذ المشرق والمغرب
عروما وفي باحة العرب خصوصا من الفتح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على
الجباية والأكاسرة وتقلب قلوبهم على كثيرهم وتسلط ضعافهم على أقربائهم وإجرائهم على أيديهم أمورا خارجة من
المهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصها والاستقرار بطلعكم في التواريخ
والكتب المدونة في مشاهد أمم وأيامهم على عجائب لا ترى وقمة من وقائمهم إلا لعلنا من اعلام الله وآية من آياته بقوى
مهما اليقين ويزداد بها الإيمان ويثبت أن دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحمده عنه إلا مكاره حسه مغاظه نفسه
ومال الثبات والاستقامة لإصافة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة القرية والزور وأن الباطل ربما تخفى

(قوله ونفيت عنه مقام الذنب) في الصحاح الرجل اللعين شيء ينصب وسط الزرع تسقط به الوجوب قال الشماخ
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين (قوله وفي باحة العرب) أي ساحتهم أفاده الصحاح (قوله
وأن الباطل ربما تخفى) لعله ربح أوله وأن الباطل ربما

لَهُمَّ اللَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفُ بِرَبِّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا لَهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمُ الْإِلَٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَاجِلٌ ۝

سورة الشورى مكة

إِلَّا الْآيَاتِ ٢٣ وَ ٢٤ وَ ٢٥ وَ ٢٧ فَدُنِيَّةً وَأَيَّاتُهَا ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ - إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ

ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (ربك) في موضع الرفع على أنه فاعل كنى و(أنه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره
أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيدينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم اليبس الذي هو على كل شيء شهيد أى مطلع مبين يستوى عنده غيبه وشهادته
فيكفهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة
وقرئ في مرة بالضم وهي الشك (عجبت) عالم يحمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم
وهو مجازيلهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله
بكل حرف عشر حسنة

(سورة حم عسق مكة وهي تسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق (كذلك يوحى إليك) أى مثل ذلك
الوحي أو مثل ذلك الكتاب إليك وإلى الرسل (من قبلك الله) يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المبادئ قد أوحى الله
إليك مثله في غيرها من السور أو أحاط من قبلك إلى رسلك على معنى أنت الله تعالى كرر هذه المبادئ في القرآن في جميع
الكتب السماوية لمأفها من التنبيه والبلغ والالطاف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على
لفظ المضارع ليدل على أن إحياء مثله عادته ۝ وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول (فإن قلت) فما رافع اسم الله على
هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى قيل الله كقراءة السلى وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاتهم على معنى زين لهم شركاؤهم (فإن قلت) فما رافعه فيمن قرأ
نوحى بالنون (قلت) يرفع بالابتداء ۝ والعزير وما بعده أخبار والعزير الحكيم صفات والظرف خبر ۝ قرئ تكاد
بالياء وينفطرن وينفطرن وروى يونس عن أبي عمر وقراءة غريبة تنفطرن بتارين مع النون ونظيرها حرف
نادر روى في نوادر ابن الأعرابي الأبل تسمعن ومعناه يكندن ينفطرن من طوشان الله وعظمت يدل عليه مجيء بعد
اللى العظيم وقبل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات ينفطرن منه ۝ (فإن قلت) لم قال من فوقهن (قلت)
لأن أعظم الآيات وأدعاهل الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح
والتقديس حول العرش ومالا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أى
يبتدىء الانفطار من جهنم الفوقانية أو لأن كلة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن
من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكندن ينفطرن
من الجهة التي فوقهن دح الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عزّ وعلا يصب من فوق رؤسهم الجيم يصبر به

(قوله تكاد السموات ينفطرن منه) لعله ينفطرن وهما قرأتان

يَسْجُونَ بِعَذَابِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ . وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا تَتْلُوهُ أَمْ الْقُرْآنَ مِنْ
حَوْثًا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

ما في بطونهم لجل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهم من فرق الأرضين . (فإن قلت) كيف صحن أن
يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون
لائين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن في الأرض) يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم
فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأوليائهم وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم
الآتري إلى قوله تعالى في سورة المؤمن . ويستغفرون للذين آمنوا . وحكاية عنهم « غفر للذين آمنوا وأتبعوا سبيلك »
كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله تعالى « وإن الله يسلك السموات والأرض
أن تزولا إلى أن قال إنه كان حلما غفورا ، وقوله تعالى « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » والمراد الحلم عنهم
وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فإن قلت) قد فسرت قوله تعالى وتكاد السموات ينفطرن بتفسيرين فما وجه
طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكأنه قبل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه
والملائكة الذين هم مل السبع الطياق وسافرون حول العرش صفوا بعد صفوف يداومون خضوعا لظلمته على عبادته
وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من
إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله ويذوهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها
إليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من العطفة التي علم أنهم هندها يستصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون
للمؤمنين أهل الأرض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون إلى ربهم أن يعلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم
بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والقساقي
منهم (والذين اتخذوا من دونه أربابا) جعلوا الهة كأمواتهم (الله حفيظهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته مناشئ
وهو محاسبهم عليها ومصافهم لأربابهم (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا فوض إليك أمرهم ولا قسرم على
الإيمان إنما أنت منذر لحجب . ومثل ذلك (أوحينا إليك) وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما
أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جملة الكواكب مفعول به لا وحيانا (قرأنا عريبا) حال
من المفعول به أي أوحينا إليك وهو قرآن عربي بين الناس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حذرا ولا تفرح بجزء أن يكون
ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيماء بالبين المفهوم أوحينا إليك قرأنا عريبا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته
كذا وأنذرته بكذا وقد عدى الأول أغنى لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى
المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واستل القرية (ومن حو لها) من العرب . وقرئ لينذر بالياء
والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين
الأرواح والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله (ولا ريب فيه) اعتراض لاجل أنه قرئ فريقين وفريق بالرفع والنصب
فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي
متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ ينفذون (فإن قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة

(قوله ولا ريب فيه اعتراض لاجل أنه قرئ لاجل أنه من الإعراب)

يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كُنْهٌ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هـ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

أزواجاً ومعناه وخلق الأنعام أيضاً من أنفسهم أزواجاً (يذروكم) يكثر كم يقال ذرأ الله الخلق بينهم وكثرهم والذروا الذر والذرة أخوات (فيه) في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام متلجأ فيه المخاطبون المغلقة على التيب بما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلتين (فإن قلت) مامعني يذروكم في هذا التدبير وهلا قيل يذروكم (قلت) حمل هذا التدبير كالمسبح والممدن البث والتكثير الأتراك تقول الحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة هـ قالوا مثلك لا يبخل فقوا البخل عن مثلهم يريدون فيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريق الكناية لأنهم إذا قوه عن بسط مدعوهم هو على أخص أوصافه فقد قوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر النعم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لدائه وبلغت أترابه يريدون إغضاه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صبي في سقيا عبد المطلب الأوفهم الطيب الطاهر لدائه والتقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كانه شيء وبين قوله ليس كنه شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنها عبارتان معتنيتان على معنى واحد وهو نفي المائلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يدها ميسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لما لأنها وقتت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى أنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كزرت للتأكيد كما كزرها من قال وصاليات ككبا يؤثفين ومن قال هـ فأصبحت مثل كصف ما كول هـ وقرئ ويقدر (إنه بكل شيء عليم) فإذا علم أن الفتي خير للعبد أغناه ولا أقهره (شرع لكم من الدين) دين

ذات العلتين انتهى كلامه هـ قلت الصحيح أنها حكاية متباينان غير متداخلين أحدهما مجيء على نعت خير العلاء أم من كونه مخاطباً أو غائباً والثاني مجيء بعد ذلك على نعت الخطاب فالأول لتغليب العقل والثاني لتغليب الخطاب هـ قوله تعالى وليس كنه شيء هـ (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يبخل فيغنون البخل عن مثله والمراد نفسه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر النعم ومنه قولهم قد أيفعت لدائه وبلغت أترابه وفي حديث رقيقة بنت صبي في سقيا عبد المطلب الأوفهم الطيب الطاهر لدائه تريد طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كانه شيء وبين قوله ليس كنه شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ونحوه قوله تعالى بل يدها ميسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لأنها وقتت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى أنهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كزرت للتأكيد كما كزرت في قول من قال وصاليات ككبا يؤثفين هـ ومن قال هـ فأصبحت مثل كصف ما كول هـ انتهى كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى وذلك أن الذي يليق هنا تأكيد نفي المائلة والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المائلة وقرئ بين تأكيد المائلة المنفية وبين تأكيد نفي المائلة فإن نفي المائلة المهمله عن التأكد أبلغ وآكد في المعنى من نفي المائلة المقترنة بالتأكد إذ يلزم من نفي المائلة الغير المؤكدة من كل مائلة ولا يلزم من نفي مائلة محققة تأكيد مائلة نفي مائلة دونها في التحقيق والتأكد وحيث وردت الكاف مؤكدة للمائلة وردت في الإثبات فأكدته فليس النظر في الآية بهذين النظرين مستقيماً والله أعلم بما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للفتن أن يقول ليس زيد شيئاً يعمره لكن مشبهاً له ولو عكس هذا لم يكن صحيحاً

(قوله لا تخفر النعم كان أبلغ) في الصحاح أخفرت إذا أنقضت عهده وغدرت به وفيه أجمع العلام أي ارتفع وهو يافع ولا تقول موقع وقوله كان أبلغ لعل تقديره فإن قلت لذلك كان أبلغ (قوله وصاليات فكبا يؤثفين) أي أحجار تلاق النار ويؤثفين أي يجعلان أثافي للقدر وهي الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۚ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيضٌ ۚ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنْ كُتُبٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالٌ وَلَكُمْ أَعْمَالٌ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۚ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين ولا تفتقروا فيه) والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متغيرة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إمانصب بدل من مفعول شرع والمعطوف عليه ولما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هي إقامة الدين ونحوه قوله تعالى أن هذه آتاكم آفة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (يجتبي إليه) يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء) من ينفع فهم توفيقه ويجري عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنباءهم (إلا من بعد) أن علوا أن الفرة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي عدة الأخير إلى يوم القيامة (لفضي بينهم) حين أفرقوا العظم ما تفرقوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك) من كتابهم لا يؤمنون بحق الإيمان وقيل كان الناس آفة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للنبي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل وقرئ وزنوا وورثوا (فذلك) فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً (فادع) إلى الاتفاق والاتلاف على الملة الخفية القديمة (واستم) عليها وعلى الدعوة إليها كما أمر الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب أي كتاب صحت أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقاً (لأعدل بينكم) في الحكم إذا تخاضعت فحقاً كنتم إلى (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاكمة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يوردونها حجة وهذا حجة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينفصل لنا منكم وهذه حجة ومثارة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام (فإن قلت) كيف حو جزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء (قلت) المراد عاجزتهم في مواقف المناقاة لا المناقاة (يحاجون في الله) يحاضرون في دينه (من بعد) ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليرتدوا إلى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من

وما ذاك إلا أنه يلزم من نفي أدنى المشابهة نفي أعلاها نفي أدناها فني أكد التشبيه فصرع المبالغة والوجه الأول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده وأنى بطلية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله ولك أن تزعم قائلهم

مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِكُ لَمَلِ السَّاعَةِ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفَعُونَ مِنْهَا وَيَمْلَأُونَ فِيهَا الْحَقُّ إِلَّا الَّذِينَ يُبَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَنِي ضَلَّلَ بَعِيدٌ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّيَ بِهِمْ وَإِنَّ

بعد إيمانكم كفاراً كان اليهود والنصارى يقولون للذين آمنوا قبل كتابكم ونيان قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام (داحضة) باطلقة (أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى أنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل الذى يوزن به ۝ بالحق ملتبساً بالحق معترفاً به بعد ما لم يطل أو بالنقض الصحيح كاقضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحرير وغير ذلك (الساعة) فى تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجيئها الساعة قريب (فإن قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع أنزال الكتاب والميزان (قلت) لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قبل أمر كاته بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذى يحاسبكم فيه يوزن أعمالكم ويوفى لمن أوفى ويوظف لمن وظف ۝ المارة الملاحة لأن كل واحد منهما يرى ما عند صاحبه (لنى ضلال بعيد) من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولذلك لا لالة الكتاب المعجز على أنها آية لا ريب فيها والشهادة المعقولة على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) يزيل عجزهم (لطيف بعباده) يزيل عجزهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغونه أحد من كليهما وجزئياته (فإن قلت) فامتنع قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بزه إلى جميعهم (قلت) كلهم مجبورون لا يختار أحد من بزه إلا أن البز أضاف له أو صاف والقسم بين العباد تفاوتات على حسب تفاوت صفاتها بالحكمة والتدبير فيغير لبعض العباد صنف من البر لم يطرح مثله الآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فنقسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذى أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الآخر ولداً دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع الذى لا يفلب سعى ما يعمل العامل عما يبنى به الفائدة والركاء حراً على المجاز وقرن بين عملى العاملين بأن من عمل الآخرة وفق في عمله وضوحت حسناته ومن كان عمله الدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريد ويبتيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو يصده من زكاه عمله وفوزه في المآب معنى الحمزة في (أم) التقرير والتفريع ۝ وشركاؤهم شياطينهم الذين ينزلونهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غير ما هو الدين الذى شرع لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به

۝ قوله تعالى ومن كان يريد حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ومن كان يريد حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وله في الآخرة نصيب ۝ (قال فارق بين عملى العاملين بأن من عمل الآخرة وفق في عمله وضوحت حسناته ومن كان عمله الدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريد ويبتيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وما له نصيب ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو يصده من زكاه عمله وفوزه في المآب

(قوله ونحن خير منكم وأولى بالحق الخ) لعله من كناية التنقي (قوله الملاحة لأن كل واحد) بالجميع التقادى في الخصومة ويرمى أى يستخرج كذا في الصحاح

الظلمين لهم عذاب أليم • ترى الظلمين مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ • ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّدَلْهُ فِيهَا حُسْنًا

وقيل شركاؤهم أو أناتهم وإنما أضفيت إليهم لأنهم متخفون شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملازمة وتارة إلى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتانهم جعلت شارة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه لإنهم أضلن كثيرا من الناس (ولو لا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولو لا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولو لا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا (ترى الظالمين) في الآخرة (مشفقين) خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) يريد ووباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا • كأن روضة الجنة المؤمن أطيب بقعة فيها أنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف لا يشقون • قرئ يشر من بشره ويشر من أبشره ويشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده لحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله تعالى هذا الذي بعث الله رسولا أودك التبشير الذي يبشره الله عباده روى أنه اجتمع المشركون في مجمع لم يقال بعضهم لبعض أن موحدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فزلت الآية (إلا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لأسألكم أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلته لهم لازمة لهم في المودة ويجوز أن يكون منقطعا أي لأسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تودوهم (فإن قلت) ملائيل لإلمودة القربى أو إلا المودة للقربى ومعنى قوله إلا المودة في القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة وقرأ لها كقولك لى في آل فلان مودة ولى فهم هوى وحب شديد تريد أحبههم وهم مكان حي وعله وليس في صلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى وتمكنة فيها والقربى مصدر كالزنى والبشرى بمعنى قرابة والمراد في أهل القربى وروى أنها لما زلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روى عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا من إيماننا وشيئنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجاز به عليا فأنا أجاز به عليا غدا إذا لقيني يوم القيامة وروى أن الأنصار قالوا فعلنا وقتلنا كأنهم اقتضوا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنام في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فآمركم الله في قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا أضلالا فهذاكم الله في قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تحبسوني

• قوله تعالى إلا المودة في القربى (قال فيه) إن قلت هلا قيل إلا المودة القربى أو إلا المودة للقربى وأجاب بأنهم جعلوا مكانا للمودة ومترا لها كقولك لى في آل فلان هوى وحب شديد وليس في صلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى وإنما هي متعاقبة بمحذوف تقديره إلا المودة ثابتة في القربى وتمكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذي قصد بقوله في الآية التي تقدمت إن قوله يذكروكم فيه إنما جاء عوضا من قوله يذكروكم به فافهم

إِنَّ اللَّهَ غَوُورٌ شَكُورٌ ۖ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَحْمِلْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحَ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ

قالوا ما نقول بارسول الله قال لا تقولون ألم يخرجك قومك فآذيناك أو لم يكذبوك فصدقاك أو لم يخذلوك فصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا فهو لرسوله فزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات نائبا لألوم مات على حب آل محمد مات مؤثما مستكبرا الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يرف إلى الجنة كما ترف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بعض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بعض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بعض آل محمد لم يمش راحة الجنة وقيل لم يكن بمن بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرى فلا كذبوه وأبوا أن يابمعه نزلات والمعنى إلا أن تودوني في القري أي حتى القري ومن أجلاها كما تقول الحب في الله والبعض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنك توفى وأستحق من أجباني وأطاعني فإذا قد أتيتم ذلك فاحفظوا حق القري ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل أنت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوهم وقالوا يا رسول الله قد هذان الله بك وأنت ابن أختنا وأمرنا نؤاتك ونؤاتك وحقوق ومالك سمة فاستعن بهذا على ما نبوك فزلت ورده وقيل القري التقرب إلى الله تعالى إلى أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا المودة في القري (ومن يقترب حسنة) عن السدى أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم زلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القري دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولاً أولاً كأن سائر الحسنات لها توابع ۝ وقرئ يرد أي يرد الله وزيادة حسناتها من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبرى ۝ الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على الثواب (أم) منقطعة ومعنى المودة فيه التويخ كأنه قيل يتالكون أن ينسبوا مثله إلى الاقتراء ثم إلى الاقتراء على الله الذى هو أعظم القرى وأحبها (فإن يشأ الله يحتم على قلبك) فإن يشأ الله يجعلك من المختمين على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على اقتراف الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤذاه استبعاد الاقتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في حجة المختمين على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمانة فيقول لعل الله خذني لعل الله أحمي قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعي القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والنتيجة على أنه ركب من تخونه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يحمو الباطل ويثبت الحق (بكلماته) بوجه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه يعني لو كان مفترياً كما زعمون لكشف الله أفواههم ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويحجز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يحمو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم إن الله عليم بما فى صدوركم وصدورهم فيجزي الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يحتم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعني لو اقترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يحتم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أدام (فإن قلت) إن

(قوله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) لعله مكتوباً (قوله ومعنى المودة فيه التويخ) لعله فيها (قوله من البهت والتكذيب) أى اتهام الإنسان بما ليس فيه

مَاتَفْعَلُونَ ۚ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۚ
وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بَقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۚ وَهُوَ الَّذِي
يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

كان قوله ويمع الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط (قلت) كما سقطت في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر وقوله تعالى ستدع الربانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف يقال قلت منه الشيء وقلته عنه فعني قلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ بقولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزله عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع من الفسح والإخلال بالواجب بالنعم عليها والعزم على أن لا يباود لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حتى لم يكن بد من التنصيص على طريقته وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني استغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوتيك تحتاج إلى التوبة فقال يأمر المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان في الماضي من الذنوب الندامة وتضييع الترائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة بما ربيتها في المعصية وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أدقها حلالة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويغفر عن السيئات) عن الكبرياء إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبرياء ويعلم ما يفعلون قرئ بالتاء والياء أى يعلمه فيقبض على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين آمنوا) أى يستجيب لهم بخلاف اللام كاحذف في قوله تعالى وإذا قالوا هم على ما يشبههم على طاعتهم يزيدهم على التواب تفضلاً وإذا دعوهم استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلبهم وقيل الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها (يزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم ينجيهم إذا دعاهم وعن إبراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالنا ندهو فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم ينجيهم ثم قرأ الله يدعو إلى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (البغوا) من البنى وهو الظلم أى ابنى هذا على ذلك وذلك على هذا لأن البنية مطبوعة مشادة وكفى بحال قارون عبدة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرة ما لبعض العرب وقد جعل الوسمى يفت بيننا وبين بنى رومان نياماً وشوحطاً يبنى أنهم أحبوا أخذوا أنفسهم بالبنى والتفاتن أومن البنى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا في الأرض وفعلوا ما يتبع الكبر من الملوغيات والفساد وقيل زلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا زلت وذلك أنا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والضير وبني قينقاع فتمنيناها (بقدر) بتقدير يقال قدره قدرنا وقدرنا (خير بصير) يعرف ما يؤل إليه أحواله فيقدر لهم ما هو أصح لهم وأقرب إلى جمع شملهم فيفقدون غنى ويغن ويعلو ويقضو بسط كما توجه الحكمة الربانية ولو أغنام جميعاً لبغوا ولو أقفرهم لهلكوا (فإن قلت) قد نرى الناس يبنى بعضهم على بعض ومنهم ميسرط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبنون فلم يسرط لهم فإن كان المقبوض عنهم يبنون فقد يكون البنى بدون البسط فلم شرطه (قلت) لا شبهة في أن البنى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البنى والإحجام عنه فلو عزم البسط لغب البنى حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن قرئ قطوا بفتح التاء وكسر الميم (ويشتر رحمة) أى بركات النيث ومنافعه وما يحصل به من الخصبوه عن رضى الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقط الناس فقال مطروا وإذا أراد هذه الآية يجوز أن يرد رحمة في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي النيث وينشر غيرها من رحمة الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده بإحسانه (الحمد) المحمود على ذلك بحمده أهل طاعته (ومايت) يجوز أن يكون مرفوعاً

(قوله مطرة مشادة) في الصحاح الأشتر البطر (قوله وقد جعل الوسمى الخ) مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات والنبع والكوشط نوعان من شجر الجبال تخدمنهما القسي كذا في الصحاح (قوله عكس ما عليه الآن) لعله ما هو عليه

فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُحْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۚ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي

ومجوروا يحمل على المضاف إليه والمضاف هـ (فإن قلت) لجاز فيها من دابة) والدواب في الأرض وحدها (قلت) يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو نعيم فهم شاعر مجيد أو شجاع بطال وإنما هو في لغز من أغاذهم أو فضيلة من فضائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نوبس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون لللائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالديب كما يوصف به الأناسي ولا يبعد أن يتخلف في السموات حيواتنا مشى فيها مشى الأناسي على الأرض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق هـ إذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا ينشئ ومنه (إذا يشاء) وقال الشاعر
وإذا ما أشاء أبعت منها هـ آخر الليل ناشطا مذمورا

هـ في مصاحف أهل العراق (فما كسبت) بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط في مصاحف أهل المدينة بما كسبت بفروا على أن ما مبتدأ وهـ أكسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط الآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأنما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين هؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خشع هود ولا نكة حجر إلا يذهب ولما يفوق الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب بكتابه وأن ما عايناه من مولاة أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم الجنابات في كل أوان وجناباته في طاعته أكثر من جناباته في معاصيه لأن جنابة المصيبة من وجه وجنابة الطاعة من وجوه والله يظهر عبده من جناباته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لمك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفته من عني عنه في الدنيا عني عنه في الآخرة ومن هورق في الدنيا لم تن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للؤمنين في القرآن (بمجرمين)

هـ قوله تعالى وما بث فيها من دابة (قال فيه فإن قلت لجاز فيها من دابة والدواب في الأرض وحدها) وأجاب بأنه يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح الخ قال أحمد إطلاق الدواب على الأناسي بعيد من عرف اللغة فكيف في إطلاقه على الملائكة والصواب والله أعلم هو الوجه الأول وقد جاء مفسرا في غير ما آية كقوله إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ثم قال وما أنزل الله من السماء من ماء فأجابه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة يخص هذا الأمر بالأرض واقفا أعلم هـ قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيدكم ويعفو عن كثير (قال فيه الآية مخصوصة بالمجرمين الخ) قال أحمد هذه الآية تنسكس عندما القدرة ولا يمكنكم ترويح حيلة في صرفها عن مقتضى نفعها فإنهم حملوا قوله تعالى ويعفو مادون ذلك إنما يشاء على التائب وهو غير ممكن منها فإنه قد أثبت التبعيض في العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هاتمقرونا بالتوبة فإنه يلزم تبعيض التوبة أيضا وهي عندهم لا تبعيض وكذلك نقل الإمام عن أبي هاشم وهو رأس الاعتزال والذي تولى كبره منهم فلا يحمل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه وهو مرة الصفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة قول الخشعي إن الآلام التي تصيب الأطفال والمجانين لها أعراض إنما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق متقدمو قد أخطأ على الأصل والفرع لأن المعتزلة وإن أخطأت في إيجاب العوض فلم تقل بإيجابه في الأطفال والمجانين ألا ترى أن القاضي أبا بكر ألهم قبح إبلام البهائم والأطفال والمجانين فقال لأعراض لها وليس مقربا على استحقاق سابق فيحسن فإنما يتم إلزامه بموافقتهم له على أن لا أعراض لها

(قوله لغز) المشاير أظنها التخذ وفرة البطن ثم المارة ثم التفصيلة ثم القبيلة ثم الشعب فهو أكثرها أفاده الصحاح

الْبَحْرُ كَالْأَعْلَمِ ۚ إِنَّ يَشَاءُ يَسْكُنَ الرِّيحَ فَيَظْلُنَ رَوْادَ كَدِّ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ
أَوْ يَوْبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيُفَعِّلَ عَنْ كَثِيرٍ ۚ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُحْدِلُونَ فِي عَاقِبَتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحْصٍ ۚ فَا أَوْتِنَهُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَتَقَعَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَلَئِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ
كَسْبَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَآغِصُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۚ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

بفائين ما قضى عليك من المصائب (مزولي) من متول بالرحمة (الجواري) السفن وقرئ الجوار (كالاعلام) كالجبال
قالت الحنفية كأنه لم يقرأ منه ناره ۚ وقرئ الرياح فظن بفتح اللام وكسرهما من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل
ويضل (رواكذ) ثواب لا تحرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعماته ومحاسنها
المؤمن الخاص بها كناية عنه وهو الذي وكل همه بالنظر في آيات الله فهو يستعمل منها العبر (يوقهن) يهلكهن والمعناه
إن يَشَاءُ يَبْلِيْ الْمَافِرِينَ فِي الْبَحْرِ بِأَحْدَى بَلِيَّتَيْنِ أَمَا أَنْ يَسْكُنَ الرِّيحَ فَيَرْكُدُ الْجَوَارِيُّ عَلَى مَتْنِ الْبَحْرِ وَيَمْتَنِعُ مِنَ الْجَرَى
وَأَمَّا أَنْ يَرْسِلَ الرِّيحَ صَافَةً فَيَهْلِكُنْ إِغْرَاقًا ۚ بِسَبَبِ مَا كَسَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ (ويصف عن كثير) منها (فإن قلت) علام
عصف يوقهن (قلت) على يسكن لأن المعنى إن يَشَاءُ يسكن الرِّيحَ فَيَرْكُدُنْ أَوْ يَمْتَنِعُهَا فَيَفِرُقُ بِعَصْفِهَا (فإن قلت) فما
معنى إدخال الدعوى فيكم الإيادي حيث جزم جزمه (قلت) معناه أَوْ إِنْ يَشَاءُ يَهْلِكُ نَاسًا وَيُجِزُّ نَاسًا عَلَى طَرِيقِ الْغُفْوِ مِنْهُمْ
(فإن قلت) فمن قرأ ويغفر (قلت) قد استأنف الكلام ۚ (فإن قلت) فإوجوه القراءات الثلاث (في ويظلم) قلت أما
الجزم فلي ظاهر العطف وأما الرفع فبلى الاستئناف وأما النصب فللمطالع على تليل محذوف تقديره لينقم منهم ويعلم
الذين يجادلون ويحجوه في انطلق على التليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى وتلجمله آية للناس وقوله تعالى
وخلق الله السموات والأرض بالحق وتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها
جزاء قول ما صنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأما أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما فبه
نظر لما أورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتي أنك وأعطيك ضعيف وهو نحو
من قوله والحق بالبحر فأسقرحها فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس
بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلا ضارح الذي لا وجهه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه
أه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اختلف
سبويه فيها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشككة (فإن قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه
قال وإن يَشَاءُ يَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ هَلَاكُ قَوْمٍ وَنَجَاةُ قَوْمٍ وَتَحْذِيرُ آخِرِينَ (من محص) من عجد عقابه ۚ ما الأولى
ضمنت معنى الشرط جاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن على رضي الله عنه اجتمع لآبي بكر رضي الله عنه مال
فصدق به كذا في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين ينجون) عطف على الذين آمنوا
وكذلك ما بعده ومعنى (كأثر الإثم) الكبار من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه كبير الإثم
هو الشرك (هم يغفرون) أي هم الإحصاء بالفران في حال الغضب لا يقول الغضب أحلامهم كما يقول حلول الناس والمجيء بهم

ۚ قوله تعالى إن يَشَاءُ يسكن الرِّيحَ فَيَظْلُنَ رَوَادَ كَدِّ عَلَى ظَهْرِهِ (قال في معناه ثواب لا تحرى على ظهر البحر قال أحد
وهم يقولون إن الرِّيحَ تَهْرُدُ فِي الْقُرْآنِ لِإِعْدَابِهَا بِخِلَافِ الرِّيحِ وَهَذِهِ آيَةُ تَحْزِمُ الْإِطْلَاقَ فَإِنَّ الرِّيحَ الْمَذْكُورَةَ هُنَا نَمَّة
ورحمة إذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا ينكر أن الغالب من ورودها مفردة
ما ذكره وأما أطرافه فلا وما ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلاجل الغالب في الإطلاق والله أعلم

شورى بينهم وما رزقهم ينفقون • والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون • وجزاؤ سيئة سيئة مثلها • فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين • ولمن انتصر بعد ظنه فأولئك ما عليهم من سبيل • إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم • ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور • ومن يضلل الله فلا من ولا من بعده وتري الظالمين لما رأوا

ولقائه مبتدأ وإنساد ينفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس • وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأنتى الله عليهم أن لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا الأرشد أمرهم • والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى وكذلك قوله ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى • هو أن يقتصروا في الانتصار على ما حمله الله لهم ولا يتعدوا وعن النخعي أنه كان إذا قرأ ما قال كانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فيجئى عليهم الفساق (فإن قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لأن من أخذ حقه غير متعدي حذاه وما أمر به فلم يسرف في القتال إن كان ولياً لم أورد على سفيه عمامة على عرصة ورد له فهو مطيع وكل مطيع محمود • كلنا القمطين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها لسوء من تنزل به قال الله تعالى «وإن قصمت سيئة يقولوا هذه من عندك» يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قولت الإساءة أن تقابل بمثله من غير زيادة فإذا قال أخراك الله قال أخراك الله (فمن عفا وأصلح) يتعبرون خصمه بالعرفو الإغضاء كما قال تعالى «فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله (إنه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئ والاعتداء خصوصاً في حال الحرد والتهاب الحية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى منادى كان له على الله أجر فلقيم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة ياذن الله (بعد ظله) من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) إشارة إلى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للعاقب ولا للعاقب والغائب (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يتتبعونهم بالظلم (ويغفون في الأرض) يتكبرون فيها ويملون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم يذصر وقوض أمره إلى الله (إن ذلك) منه (لن عزم الأمور) وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قوله السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فمسح العرق ثم قام قائلًا هذه الآية فقال الحسن عقلاً والله فهمها إذ ضيها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم الأمر قد ينسكى في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه وذلك إذا احتج إلى كفى زيادة البغى وقطع مادة الأذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان بينهما فلا تنهى فقال اماتسى دوزك فانهرى

• قوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد • ومن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظالم فيشقى دليل السائل

الْعَذَابِ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۚ وَتَرْهَقُهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشَعَيْنَ مَنِ الدَّلَّ يَنْظُرُونَ مِّنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ
وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۚ
وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَنَمَّ يَضِلُّ اللَّهُ قَوْلَهُ مِّنْ سَبِيلٍ ۚ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِي يَوْمَ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ مُّجِبٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ ۚ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَنَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

(ومن يضل الله) ومن يخذل الله (فأله من ولي من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين)
متضامتين متقاربتين بما يلحقهم (من الدل) وقد يعلق من الدل ينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفي)
أى يبتدئ نظره من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارعة كاترى المصور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكروه
لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها لئلا عينه منها كايضل في نظره إلى الحجاب وقيل يحشرون عيا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك
نظر من طرف خفي وفيه تسف (يوم القيامة) إيمان يعلق يحشرون ويكون قول المؤمنين وأصاف الدنيا وإما أن يعلق
يقال أى يقولون يوم القيامة إذا رآهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة بأتى
أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده ۚ والتكثير الإسكار أى مالكم من مخلص من العذاب ولا تقدر أن تسكروا
شيأ ما فرقموه ودون من محائف أعمالكم ۚ أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن نصيبهم سيتوالم يرد إلى الجرمين لأن إصابه
السببة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم ۚ والرحمة النعمة من الصحة والنقوى والأمن ۚ والسببة البلاء من المرض والفقر والخوف ۚ
والكفور البالغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران التمس كإقال إن الإنسان لظالم ككفران
الإنسان له بذلك ودو المعنى أنه يذكر البلاء وينسب التمس ويغضها ۚ لما ذكر إذا ذلة الإنسان الرحمة وإصابته بضمتها أتبع ذلك
أن له الملك وأنه يقسم النعمو البلاء كيف أراد ويجب لمباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئة فيض بعضا بالإناث وبعضا
بالذكور وبعضا بالصفين جميعا ويعتم آخرين فلا يلبم ولدا قط (فإن قلت) لم تقدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم
عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث (قلت) لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران
الإنسان بنسابة الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئة وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام
أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث الثلاثى من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أم والأهم واجب التقديم
وليل الجنس الذى كانت العرب تسمه بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاه
بالقديم بتعريفهم لأن التعريف توبه وتشهير كأنه قال ويجب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورون الذين لا يخفون
عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهم لم يكن لتقدمهم ولكن لمقتضى

ويحصل منه على كل طائل ۚ ومن هذا الخط والله الموفق قوله تعالى ۚ وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن
نصيبهم سببة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ۚ (قال فيه لم يقل فإنه كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم
بكفران التمس الخ) قال أحـ وقد أهمل هذه التكنة بعينها في الآية التى قبل هذه وهى قوله تعالى (وقال الذين آمنوا إن
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۚ فوضع الظالمين موضع الضمير
الذى كان من حقه أن يعود على اسم إن فيقال ألا إنهم في عذاب مُّقِيمٍ فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بلسان ظلمهم

(قوله ومن يخذل الله فآله من ولي) تأويل على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق الشر وعند أهل السنة يخلقه كاخير
قال لاضلال خلق الضلال ومن بعده أى من بعد إضلاله (قوله كما ترى المصور ينظر إلى السيف) أى المحبوس القتل
أفاده الصحاح (قوله وينسب التمس ويغضها) يطرها ويحفرها أفاده الصحاح

إِنَّ عَلَيْكَ الْإِلْبَاحَ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَنَ رَحْمَةٍ مِّنَّا رَحِمَةً جَعَلُوا مِنْهَا حُجْرًا يَأْمُرُ أَنْ يُكْفَرْهُ اللَّهُ مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا بِمَا يَشَاءُ عَلِيمٌ وَأُوْنِ يَرْوِيهِمْ ذِكْرًا وَإِنَّا وَجَّعْنَا لَهُمْ فِي سَبِيلِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأَمْرِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّكَرَّمٍ وَكَذَلِكَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ

آخر فقال (ذكرنا وإنا) كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقبل نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط وإنا وإبراهيم ذكور ولهم ذكورا وإنا وجعل يحيى وهيسى عقيمين (إنه علم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وما صبح لاحد من البشر (أن يكلمه الله) على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله إليهم إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد ابن الأبرص

وأوحى إلى الله أن قد تأمروا • يا بل أبي أوفى قممت على رجل

أي أوحى في قلبي وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلفه في بعض الأجرام من غير أن يصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي وقوله (من وراء حجاب) مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وأما على أن يرسل إليهم رسولا من الملائكة فيوحى إليهم الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أي نيا كما كلم أمم الأنبياء على الاستبتم ووحيا وأن يرسل مصدران واقفان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسال ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صبح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو سمعا من وراء حجاب أو مرسلًا ويجوز أن يكون موحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما نقول لا أكله إلا جهرا وإلا خفنا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت فلان كذا وإنما قاله وكيف أرسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسما من وراء حجاب ومن جعل وحيًا في معنى أن يوحى وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي إلا بأن يوحى أو بأن يرسل فله أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرًا بطاقيهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلًا عطفًا على وحيًا في معنى موحيا وروى أن اليهود قالت للبي صلى الله عليه وسلم ألا تنكم الله وتظر إليه إن كنت نيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تقل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن سمحدا رأى به قد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسموا بهم يقول قلت هذه الآية (أعنى) (عن صفات المخلوقين) (حكيم) يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطأ (روحا من أمرا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق ينجون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح • (فلان قلت) قد علم أن رسول الله صلى الله

قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان (قال فإن قلت قد علم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يدري

(قوله لأنه في ذاته غير مرئي) أي لا يجوز رؤيته وهذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فتجوز كما تنزه في حله (قوله أو أن يسمع من وراء حجاب) لله أو بأن

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ •

سورة الزخرف

إِلَّا آيَةٌ ٤٤ قُذِنَتْ وَأَيَاتُهَا ٨٩ نَزَلَتْ بَعْدَ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • هَمَّ • وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ • إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • وَإِنَّ فِي

عليه وسلم ما كان يدرى ما القرآن قبل نزوله عليه فاما معنى قوله (ولا الإيمان) والأنياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا مصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصنائع التي فيها تنفير قبل المبحث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع ففني به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بمض ما يتناوله الإيمان (من نشأ من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه (صراط الله) بدل • وقرئ لتهدى أي يهديك الله وقرئ لتدعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عنك كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

(سورة الزخرف مكية)

وقال مقاتل لإلا قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) • أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا جواباً للقسم

الكتاب قبل الوحي الخ) قال أحد لما كان معتقد الزخرفي أن الإيمان اسم التصديق مضافاً إليه كثير من الطاعات فلا وتركها حتى لا يتناول الموحد العاصي ولوبكيرة واحداً قسم الإيمان ولا يأناله وهذا المؤمن وقطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية عدداً فرصة لينتهزها وغنيمة ليرزها وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجب عنه بمقتضى معتقده فكأنه يقول لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق كاقول أهل السنة للزم أن ينفي عن النبي عليه الصلاة والسلام قبل المبحث بهذه الآية كونه مصدقاً ولما كان التصديق ثابتاً للنبي عليه الصلاة والسلام قبل المبحث باتفاق الفريقين لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته وحيث يتعين صرفه إلى مجموع أشياء من جعلها التصديق ومن جعلها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي وحيث يستقيم نفيه قبل البعث وهذا الذي طمع فيه بخزط الفناء ولا يبلغ منه ما أراد وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقاً يخصصون التصديق بالله وبرسوله فالتب عليه الصلاة والسلام مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه كما أن أمته خاطبون بتصديقه ولاشك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله وما علم ذلك إلا بالوحي وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله ولم يكن هذا المجموع ثابتاً قبل الوحي بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة والله أعلم

(القول في سورة الزخرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) • حم والكتاب المبين إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ الآية (قال فيه أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا جواباً للقسم الخ) قال أحد تنبيه حسن جداً ووجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن وإلحاً يقسم بغيره ثم جعل القسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربي مرجح به أن يعقل به العالمون أي يتفعلوا آيات الله تعالى

أَمْ الْكِتَابَ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ أَفَضْرُبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ . وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ . وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَاهْلِكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا . وَمَعَى مِثْلُ الْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا . وَجَعَلَ

وهو من الإيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إننا إغريض (المين) الذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليهم وقيل الواضح للتدبرين وقيل المين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة (جملناه) بمعنى صيرناه معنى إلى مفعولين أو بمعنى خطئه معنى إلى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و (قرأنا عربيا) حاله ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أى خلقناه عربيا غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولشلا يقولوا لولا فصلت آياته . وقرأ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمى بأم الكتاب لأنه الأصل الذى أثبت فيه الكتب منه نقل وتستسخ على رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينا (حكيم) ذو حكمة بالغة أى منزله عند منزلة كتابهما صفاته وهو مثبت في أم الكتاب هكذا (أفضرِبُ عنكم الذكر صفحا) بمعنى أفتحنى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الفرائض عن الحوض ومنه قول الحجاج ولا ضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرقة

اضرب عنك الموم طارقه . ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره أنه لم يضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما تقدم من إزاله الكتاب وخلفه قرأنا عربيا ليعلموا ويعلموا بما أجابوا صفحا على وجهين أما صدره من صفحه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفتحنى عنكم إزال القرآن والإمام الحجة بإعراض عنكم وإتمام معنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفحه وجهه وصفح وجهه على معنى أفتحنى عنكم جانبا فيتنصب على الطرف كما تقول ضمه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفحه جمع صفوف ويتنصب على الحال أى صالحين معرضين (إن كنتم) أى لأن كنتم وقرأ أن كنتم وإذ كنتم (فإن قلت) كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البتة (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوقى حق وهو عالم بذلك ولكنه يخجل في كلامه أن يفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجلالاه (وما يأتينهم) حكاية حال ما ضمه مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به الضمير (أشد منهم) للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره عنهم (ومعنى مثل الأولين) أى سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم المعية التى خففوا أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه (فإن قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سدر من الأوصاف عقبيه إن كان من

فكان جواب القسم مصححا للقسم وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا وإنما يقسم الشعراء بمثل هذه الأشعار يانه في غاية الحسن ثم جعل المقسم عليه كونها في نهاية الحسن لأنها هى إغريض وهو من أحسن تشبيهات الثنايا لجعل المقسم عليه مصححا للقسم والله أعلم . عاد كلامه إلى قوله تعالى ولعلكم تعقلون . (فسره بالإرادة) وقد بينا فساد ذلك غير مازمة . قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهذا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا . الآية (قال فيه) فإن قلت قوله ليقولن خلقهن

(قوله لئن إغريض) في الصحاح الإغريض والفريض الطلع وكل أبيض طرى (قوله لتلاحظ معناها) لعله للاحظ (قوله ومعنى الترجي) لعله ومعنى (قوله قونس الفرس) العظيم الناقى بين أذنى الفرس كذا في الصحاح (قوله عن المدل بصحة الأمر) أى الواثق أفاده الصحاح

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نَخْرُجُوهَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لَتَسْتَوِيَ أَعْيُنُ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ

قوله فما تصنع بقوله فأنشَرنا به بلدة ميتة كذلك نخرجون وإن كان من قول الله فاجعله (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي هو من صفته كيت وكيت لينسب خلقه إلى الذي هذه أوصافه وليستدنه إليه (يقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا و(الأزواج) الأصناف (ما تركبون) أي تركبونه (فإن قلت) يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنتين فكيف قال ما تركبونه (قلت) غلب المتعدى بغير واسطة لقوله تعالى المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ۝ ومعنى ذكر نعماته عليهم أن يذكروها في قلوبهم معتزين بها مستظمين لها ثم يحمدوا عليها بالستيم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحانه الذي سخر لنا هذا إلى قوله لنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب

العزيز العليم وماسر من الأوصاف عقبه إن كان من قولهم الخ) قال أحمد الذي يظهر أن الكلام مجزا فيعنه من قولهم وبعضهم من قول الله تعالى فأنذى هو من قولهم خلقهن وما يبعد من قول الله عز وجل وأصل الكلام أنهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله في الآية الأخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما سبق الكلام كله سياقه وحذف الموصوف من كلامهم أقيمت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا أن تقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمني زيد فتقول أنت وأصفاء للذكور الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الانتان في البلاغة فجاء أوله على لفظ النية وآخره على الانتقال منها إلى التكلم في قوله فأنشَرنا كل ذلك انتان في أثنان البلاغة ۝ ومن هذا النظم قوله تعالى حكاية عن موسى ۝ قال عليها عند ربّي في كتاب لا يبضل ربّي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ۝ جاء أول الكلام حكاية عن موسى إلى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى إلى كلام الله تعالى فوصف ذاته أوصافا متصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام واحد وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ النية إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر إلى تحقيق التطبيق بين الآيتين تر العجب والله الموفق ۝ قوله تعالى ۝ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ۝ الآية (قال فيه يقال ركب الدابة وركبت في الفلك إلى آخره) قال أحمد لم يميز البارة في هذا الموضع فإن قوله غلب المتعدى بغير واسطة على المتعدى بنفسه يوهم أن بين الفعلين تباينا وليس كذلك فإن المتعدى إلى الأنام هو عين الفعل المتعدى إلى السفن غاية ما أمّن أن العرب خصت باعتبار بعض مفاعله بالواسطة باعتبار بعضها بالتعدى بنفسه والاختلاف بالتعدى والقصور أو باختلاف آلات التعدى باختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف في المعنى فمن ثم يمتدون الفعل الواحد مرة بنفسه مرة بواسطة مثل سكرت وأخراهم يمتدون الأفعال المترادة بآلات مختلفة مثل دهرت وصليت فإنك تقول صلى النبي على آل أبي أوفى ولو قلت دعا على آل أبي أوفى لأفهم عكس المقصود ولكن دعا آل أبي أوفى ويمتدون بعضها إلى مفعولين ومراحده إلى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدى والقصور الاختلاف في المعنى فأنذى يميز من هذا إن ركب باعتبار القيلين معناه واحد وإن خص أحدهما باقتراح الواسطة الآخر بسقوطها فالصواب أحد الأمرين أما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو اضردا فكان التقدير ما تركبونه وتركبون فيه والأقرب لتعليقه باعتبار المتعدى بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى ۝ فأجمعوا أمركم وشركائكم ۝ على أحد التأويلين فيه فإن التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعني أجمع على الأمر وجمع الشركاء ولكن لما تواربا غلب أحدهما على الآخر ثم جعل التغلب هو المتعدى بنفسه والله أعلم

إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّرِينَ • وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ • وَجَعَلُوا اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنْسَانِ لَكَفُورٌ مِّمَّنْ • أَمْ أَخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ • وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ

في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يركب
دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أهدأ أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمته بكم كان قد أغفل التحميد
ففيه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لأداب الله ومخافتهم على دقيقتها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين
بسيرتهم فالحسن بالماثل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات (مقرنين) مطيعين يقال أقرن
الشيء إذا أطاعه قال ابن مرة وأقرنت ما حلتى ولقلسا • يطلق أحياناً الصديع دعد والهجور

وحقيقة أقرنه وجده قريبته وما يقربن به لأن الصمب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقربن
به الصلبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فإن قلت) كيف انفصل بذلك قوله • وإنا إلى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب
دابة عثرت به أو شست أو قحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان
الركوب مباشرة أمر عطر واتصالاً بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد انفصل بسبب من أسباب التلف
أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لعلامة فتنقلب إلى الله غير منقلب من قضاياه ولا يدع ذكر ذلك قبله ولسانه
حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه والخير من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل
عنه ويستعين بالله من مقام من يقول لقربانه تعالوا تنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم
أواني الخمر والمعاذف فلا يزالون يسبقون حتى تميل طلامهم على ظهور النواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم
لا يدركون إلا الشيطان ولا يتناولون إلا أوامره وقد بلغت أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما
مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما طامأت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكف بين فعل أولئك الراكبين وبين
ما أمره الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنابة (وجعلوا له من عبادته جزءاً) متصل بقوله ولئن
سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عبادته جزءاً
فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عبادته جزءاً إن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوا جزءاً له وبعضنا مع ما يكون الولد
بعضه من والده وجزأه له ومن بدع التفسير تفسير الجزء بالإنات وأدعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإنات وما هو
إلا الكذب على العرب ووضع مستحدث متحول ولم يضعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزاء المرأة ثم صنعوا بيتاً وبيتاً

إن أجزاء حرة يوماً فلا عجب • زوجتها من بنات الأوس مجزئة

وقرئ جزءاً بضمتين (لكفور ميم) لجحود النعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفروا بالكفر أصلاً لكفران كله
(أَمْ أَخَذَ) بل اغتذوا الهزيمة للإنكار تغيها لهم وتنجيها من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا له من عبادته جزءاً حتى جعلوا ذلك
الجزء شراً لجزأين وهو الإنات دون الذكور على أنهم أنكر خلق الله عن الإنات وأمقتهم لمن ولقد بلغ بهم المقت إلى
أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضاً وتميلاً أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم

• قوله تعالى أَمْ أَخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (قال فيه كأنه قيل هبوا أن إضافة الولد إليه جائزة فرضاً وتميلاً
أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعاء أنه أثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول أن كل

(قوله أو شست أو قحمت) في الصحاح شمس الفرس شمساً وشماساً منع ظهره وفيه التحمة بالضم المهلكة وقمع
الطريق مصاعبه اه فقمع الدابة براكبها غرضها به في قمته (قوله حتى تميل طلامهم) في الصحاح الطلي الأعناق قال
الاصمعي واحدها طلبة وقال أبو عمرو والقراء واحدها طلالة

بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوْ مَنْ يَشْفُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ

أنه أترككم على نفسه بخير الجزأين وأعلامها وترك له شرهما وأدناها ۝ وتكثير بذات وتعرف البنين وتقديهن في الذكور عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يجب لمن يشاء إنا ما يجب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شياً لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً منه وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومثاله لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغنم واربد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو علوه من الكرب وعن بعض العرب أن امرأتهم وضعت أثني هجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

شبه بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعاً لدليل العقل وتصديقاً لنص النقل في أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء. وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح إلا تمهيداً ولا تنقيحاً ولا تصويباً وتسديداً فتقول إذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حتى أراد بها باطلاً أما كونها كلمة حتى فغامدها وأما كونه أرادها باطلاً فراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله توها أنه يلزم من مشيئة الله تعالى للضلالة من ضل أن لا يماقيه على ذلك لأنه إنما قل مقضى مشيئته كما توهم القدرية إخوان الوقتية ذلك فأشركوا بربهم واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لأن هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية في ملك ربهم التوحيد بالربانية جلّ وعلا فإذا وضع ما قلناه فأما رداقه عليهم مقاتلهم هذه لأنهم توهموا أنها حجة على الله فحجبتهم وأكذب أمانيهم وبين أن مقاتلهم صادرة عن ظن كاذب وتخبر عن بعض قتالهم بذلك من علم إنهم لا يخفون وإنهم لا يظنون وقد أفصحنا أخت هذه الآية مع هذه الآية من هذا التقدير وذلك قوله تعالى في سورة الأنعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا أحلامنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تبعوا إلا الظن وإن أتىهم إلا يخفون فبين تعالى أن الحامل هؤلاء على التكذيب الرسل والإشراك بالله اغترافهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فنبه تعالى حالهم في الاعتقاد على هذا الخيال بحال أراهم ثم بين أنهم لم يمتنعوا عن ظن خلب وخيال مكذب فقال إن تبعوا إلا الظن وإن أتىهم إلا يخفون ثم لما أبطل أن يكون لهم في مقاتلهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فله الحجة البالغة ثم أوضح في الرد عليهم ليس إلا في احتجاجهم على الله بذلك لا لأن المقالة في نفسها كذب فقال لو شاء لهذاكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء ما أشركنا من حيث أن لو مقتضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة فدلّت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالتهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللامع والنتج الواضح والذي يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقرع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للهدى تائبا ويسيراً للهداية وغيرها من الأفعال الكسبية حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينهما وبين العوارض القسرية فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحيية ولما كانت قرعة دقيقة لم تنتظم في سلك الأنعام الكشيفة فلا جرم أن أهمهم تبددت وأفكارهم تبدلت فقلت طائفة القدرية واعتقدت أن العبد ضال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وجازت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار أما أهل الحق فتحهم الله من هدايته قسلاً وأرشدهم إلى الطريق الوسطى فاتبعوا سبيل السلام وساروا ورائد التوفيق لهم إمام مستنيرين بأقوال العقول المرشدة إلى أن جميع الكائنات بقدره الله تعالى ومشيته ولم ينب عن أهمهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقصورة لما وجبوه من التفرة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لكنها مقصورة لقارن بلا تأثير وتميز بين الضروري والاختياري في التصور فهذا هو التحقيق والله ولي التوفيق

(قوله واربد وجهه غيظاً) تغير إلى الغيرة من الغضب أفاده الصحاح

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ. وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَأْلَمٌ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمِ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ. أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَمِنْ هُمْ مُسْتَسْكِنُونَ

مَا لَآيَ حِرَّةٍ لَا يُبَيِّنُهَا . يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَلَيْنَا . غَضَبَانُ أَنْ لَا تَلْبِسْنَا لَيْسَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا شِئْنَا . وَإِنَّمَا تَأْخُذُ مَا أَعْطَيْنَا .

والظلول بمعنى الصمورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمنها وقرئ مسود ومسود على أن في ظل خير المشرق ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الخلية) أي يربي في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثمة الخصوم ومجاعة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي برهان يحتاج به من خصامه وذلك لضعف عقول النساء وقصائصهن عن فطرة الرجال يقال فلما تكلمت امرأة فأرادت أن تكلم بجنتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل للنساء في الزينة والنعمة من الهامب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فلي الرجل أن ينجذب ذلك ويأف منه ويربأ بنفسه عنه ويمش كال قال عمر رضي الله عنه اخشوشوا واخشوشوا وتمعدوا وإن أراد أن يرين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ وينشأ ونظير المنشأة بمعنى الإنشاء المغالة بمعنى الإغلاء قد جموا في كفر ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس التوعين وجملوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحترقوا وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعبد الرحمن وهو مثل لولقاهم واختصاصهم وأناثا وأثا جمع الجعجوع ومعنى جعلوا سموا وقالوا أنهم آثاء وقرئ أشهدوا وأشهدوا بهذين مفتوحة ومضمومة وأشهدوا بألف بينهما وهذا تكلم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا من هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويستلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وستكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهادتهم ويسألون على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) ما كفران أيضا مضمومان إلى الكفريات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة (فان قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنه ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصافهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين أناثا وأنهم عبدوه وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين به على طريق المزور لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان هذه لوجئوا في النطق به مدحا لم من قبل أنها كلمات كفر لنطقوا بها على طريق المزور فيق أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا يجعل هذا الأخير

(قوله إلى مجاثمات الخصوم) مفاعلة من جثا بجثا إذا برزك على ركبته أفاده المصباح (قوله يحتاج به من خصامه) لعله على من خصامه أوله يهيج به من خصامه أي يقبله في الخصام (قوله هم أكرم عباد الله على الله) هذا عند المعتزلة أمأهل السنة فيض البشر أكرم عندهم من الملك (قوله المجبرة فإن قلت ما أنكرت على من يقول) يريد أهل السنة حيث قالوا أنه تعالى يريد البشر كالخير لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد لكن هذا لا يستلزم الجبر ولا ينافي اختيار العبد لماله في أفضاله من الكسب وإن كانت مخلوقة له تعالى في الحقيقة بل الجبر إنما يكون لو كان العبد لا دخل له في أفضاله أصلا كالريشة في الهواء كما قالت المجبرة الحقيقة وإنما ذم الله تلك المقالة من الكفار لأنهم قالوها استهزاء وعنادا لإقرارا واعتقادا والدليل على ذلك إجماع سلف الأئمة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله لكان النطق بالمحكيات الخ ممنوع وكنا ما يمدد والمعتزلة قالوا لا يريد الشرباء على أن الإرادة هي الأمر وهو ممنوع وعنا الله عن صاحب الكتاب في بذأ لسانه على أهل السنة وجمعهم إخوان الكفار

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ . قُلْ أُولَئِكَ جُمُوعٌ بَاهِيَةٌ يُمَارِجُونَ عَلَيْهِمُ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَاتَّقِنَا مِنْهُمُ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّينٌ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ

وحده مقولا على وجه الجزء دون ماقبله فاسمهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية معذرتهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق لفظقوا بها هرا لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الجزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جازا كان أو هازئا (فإن قلت) ماقولك فيمن يضر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لافي تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تجعل بطل وتحريف مكابرو نحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم . الضمير في (من قبله) للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم أفسقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قاله غير مستند إلى علم ثم قال أم آياتنا كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبايح إلينا لخصلم علم بذلك من جهة الوحي فامتسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لاحجة لم يستمسكون بها إلا قولهم (إننا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على أمة بالكسر وكنائها من الأم وهو التقصد فالأمة الطريقة التي ترمي أي تقصد كالرحلة للرحول إليه والأمة الحالة التي يكون عليها الأم وهو القاصد وقبل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون (متفرغها) الذين أترقتهم النعمة أي أبطلتهم فلا يجنون إلا الشهوات والملاهي ويمافون مشاق الدين وتكاليفه . قرئ قل وقال وجستم وجستم أي أتبعون آباءكم ولو جستم بدين أهدى من دين آباءكم قالوا إننا ثابتون على دين آبائنا لا نتفك عنه وإن جتتنا بما هو أهدى وأهدى . قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ برئى وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كطما ولذلك استوى فيه الواحد والاثنتان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذي فطرني) فيه غيوجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إني براء مما تعبسون إلا من الذي فطرني (فإن قلت) كيف تبطله بدلا وليس من جنس ما يعبدون ومن وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع النوات فكانت مخالفة للنوات ما يعبدون والثاني أن الله تعالى غير معبود بينهم والأول ثان معبودة (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع آباءهم وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون موصوفة بقدره إني براء من آله تعبسون غير الذي فطرني فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (فإن قلت) ما معنى قوله (سيدين) على التسوية (قلت) قال مرة فهو يدين ومرة فإنه سيدين فاجمع بينهما وقد كأنه قال هو يدين وسيدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إني براء مما تعبسون إلا الذي فطرني (كلمة باقية في عقبه) في خبرته فلا يزال فيهم من يوحدها فهو يدعو إلى توحيدهم لمن أشرك منهم يرجع بدعاه من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنوه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف

(قوله ماقولك فيمن يضر ما لهم بقولهم) لعله يضر ما لهم بذلك بقوله ما لهم بقولهم الخ (قوله نحو كريم وكرام) في الصحاح الكرام بالضم مثل الكريم

الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيعَشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَسَبَّحُوا

وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أي فمن عقبه أي خلفه (بل تمتع هؤلاء) يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمدى العمر والنعمة فافترسوا بالهيلة وشغلوا بالتمتع واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حق جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسل مبین) الرسالة واضمحها بمسامحه من الآيات البينة فكذبوا به وسوءه ساحرا وما جاء به بحر أولم يوجد منهم ما رجاء إبراهيم وقرئ بل متنا (فإن قلت) لها وجه قراءة من قرأ تمتع بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل تمتعهم بما تمتعهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطراب في تمييزهم لأنه إذا تمتعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثناء على التوحيد والإيمان لأن يشركوا به ويعملوا له أندا فتأله أن يشكر الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسمى لا تشيع فعله (فإن قلت) قد جعل بحج الحق والرسول غاية التنبع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فإطريقه هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالاتباع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وجل بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين غيل هذه الغاية أنهم تنبهوا عندنا عن غفلتهم لاقتضاها إليه ثم ابتداء فقصتهم عند بحج الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضمروا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتابات الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تغيير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهي الغاية في قصوره صورة أمرهم قرئ على رجل يسكون الجهم من القريتين من إحدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلى القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عبد المطلب عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد المطلب وهما قنادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن على أوعلى أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية هروة بن مسعود مازالوا يسكرون أن يبعث الله بشرا رسولا لما علوا بتكرار الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجلا من أهل البرى جاؤا بالإنكار من وجه آخر وهو تحكيمهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له لى وجه الاستهانة به وأرادوا يعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وهرب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعصيب من اعتراضهم وتحكيمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يترها إلا هو

• قوله تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) (قال فيه فإن قلت قد جعل بحج الحق والرسول غاية التنبع ثم أردفه إلى آخره) قال أحد كلام نفيس لا مزيد عليه إلا أن قوله غيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها إطلاق ينبغي اجتنابه والله أعلم وما أحسن بحج الغاية لى هذا التحويجي الإضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا وليس المراد بها أن العمل المذكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيداته فكان تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كذلك الإضراب في مثل قوله تعالى بل أذكركم عليهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم عنها معون وهذه الإضرابات ليست على معنى أن الثاني منها ردة للأول بل ثانيا أكد من أولها وجاء الإضراب مع التوافق والزيادة للإشمار بأن الثاني لما زاد على الأول صار باعتبار زيادته نقصان الأول كأنهما شيان متباينان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله التوفيق • قوله تعالى

بعضهم بعضاً محزناً ورحمت ربك خير مما يجمعون • ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم سفكاً من فضة ومعارج عليها يظهرون • وليوثهم أبرأاً وسراً عليها يتكئون • وزخرفاً وإن كل ذلك لما متع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للنافعين • ومن يش عن ذكر الرحمن فبقض له شيطاناً

بأمر قدرته وبالغ حكته ثم ضرب لهم مثلاً قائل أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أسرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عزّ وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسؤ بينهم ولكن قاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أغنياء وضعفاء وأغنياء وعاجوز وموالى وخدماً ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدمونهم في مهمهم ويتسخروهم في أغناهم حتى يتمايشوا ويتفادوا ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا إلى مرافقهم ولو وكلهم إلى أنفسهم ولولاهم تدبير أسرهم لصاعروا وهلكوا وإذا كانوا في تدبير المعيشة الدينية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورافقه العظمى وهو الطريق إلى حياة حظوظ الآخرة والسلام إلى حلول دار السلام ثم قال (ورحمت ربك) يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يقبضه من القوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فإن قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فإذا قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكفاه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً وسماها رزق الله وإذا لم يسلكها تناولها حراماً وليس له أن يسمها رزق الله فأنه تعالى قسم المعاش والمنافع ولك العبادم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله إلى ما لم شرعه (ليوثهم) بدل اشتغال من قولهم يكفر ويجوز أن يكوناً بمنزلة اللاميين في قولك وهبت له ثوباً لقميصه • وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ودرهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحين كأنه لفة في سقف وسقفا • ومعارج ومعارج والمعارج جمع مرجع أواسم جمع لمراج وهي المصاعد إلى العال (عليها يظهرون) أي على المعارج يظهرون السطوح يطؤونها فما استطاعوا أن يظهروه • وسراً بفتح الراء لاستتفال الضممين مع حرفي التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هي الفارقة بين إن الخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أي الذي هو متاع الحياة كقوله تعالى متاعاً مابعوضة ولما بالتشديد بمعنى إلا وإن

• نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا (قال فيه فإن قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد قد تقدم أن الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالاً كان أو حراماً وهذه الآية معضدة والزعشري بنى على أصله وقد تقدم • قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم الآية (قال فيه مناه لولا كراهية أن يجمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوا من فضة أي لو سنعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه) قال أحمد لولاهناخت لولا في قوله ولولا أن نصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهية ذلك بأن لا تقدر محذوفاً قدمت فيكون وجه الكلام مهناً أن إجماعهم الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد أن ما بعد ما أبداً مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجوداً تحقيقاً فيمتنع الجواب بلا إشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الأكثر وقد يكون وجوده تقديراً معه وعلى ذلك الآية أي لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدراً لوجد ما منه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدراً معه وكل ما أدى وجوده إلى وجود ما منه

(قوله وليس له أن يسمي رزق الله) هذا على مذهب المعتزلة وأما عند أهل السنة فالرزق ما ينفع به ولو حراماً والمصنف يريد أن الله لا ييسر الحرام لأنه لا يفضل التبعج عن المعتزلة ومذهب أهل السنة أن فاعل الكائنات كلها هو الله تعالى

نافية وقرئ إلا وقرئ وما كل ذلك إلا . لما قال خير ما يجمعون قتل أمر الدنيا وصغر ما يقره ما يقره الدنيا
عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى ولولا كراهة أن يجمعوا على الكفر ويعطوا عليه لعلنا لحفارة
زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوطاً ومصادماً وأبواباً وسراً كلها من فضة وجعلناهم زخرفاً أى زينة من كل شيء
والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الأصل سقفاً من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب
فصب صطفاً على كل من فضة وفى معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ماسق
الكافر منها شربقناه (فإن قلت) لحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدى إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس
على الكفر لحجم الدنيا وبها الكفر عليها فعلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة
أيضاً لما تؤدى إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت
الحكمة فيها دبر حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الفنى . وقرئ ومن يشم بضم الشين وفتحها
والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل عشى وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره هرج لمن به
الآفة وهرج لمن مشى مشية المرجان من غير عرج قال الخطيب . متى تأته تشو إلى ضوء ناره .
أى تنظر إليها نظر العشى لما يصف بصره من عظم القوذة واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم

أعشو إذا ماجرتى برزت . حتى يوارى جارتى الحذر

وقرئ يشوا على أن من موصولة غير مضممة معنى الشرط وحتى هذا القارئ أن يرفع تقبض ومعنى القراءة بالفتح

لا يوجد ثم (قال) لحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدى إليها التوسعة من الإطباق على الكفر فهاوسع على المسلمين
ليطبق الناس على الإيمان وأجاب بأن التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما يؤدى إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا وذلك من
دين المنافقين اه كلامه (قال أحد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين قاعدتين إحداها تقليل أفعال الله تعالى والأخرى أن
الله تعالى أراد الإسلام من الخلق أجمعين أما الأولى فقد أخرج من السائل عنه بقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأما الثانية
فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً . قوله تعالى ومن يشم عن
ذكر الرحمن فيفرضه شيطاناً فهو له قرين وإنيهم ليصدونهم عن السبيل ويحسون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا الآية (قال
فيه يقال عشى بصره بكسر الشين إذا أصابه الآفة الخ) قال أحد في هذه الآية نكتتان بدعيتان . إحداها الدلالة على
أن النكرة الواقعة في سياق الشرط قيد العموم وهي مسئلة اضطرب فيها الأصوليون وإمام الحرمين من القائلين بإفادتها
العموم حتى استدركه على الأئمة إطلاقيهم القول بأن النكرة في سياق الإثبات تخص وقال أن الشرط يعم والنكرة في
سياقه تم وقد رده عليه النقيب أبو الحسن على الابنارى شارح كتابه رداً عافياً وفيه الآية للإمام ومن قال بقوله كفاية
وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكراً في سياق شرط ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحداً لوجهين أحدهما أنه
قد ثبت أن لكل أحد شيطاناً فكيف بالماشى عن ذكر الله والآخرة يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير مجموعاً
في قوله وأنهم فإنه عائد إلى الشيطان قولاً واحداً ولولا إفادته عموم الضمير لما جاز هود ضمير الجمع عليه بلاشكال
فهذه نكتة تجدد عند إسعادها لخالي هذا الرأي سكتة . النكتة الثانية أن في هذه الآية رداً على من زعم أن العود على
معنى من يمنع من العود على لفظها بمد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه إجمال بعد تفسير وهو خلاف اليهود من الفصاحة
وقد قضى الكندي هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها
أبداً قد أحسن الله له رزقاً وقضى غيره بقوله ومن الناس من بشرى هو الحديث ليعزل عن سبيل الله بتغير علم
ويتخذها هزواً أولئك لم عذاب مهين وإذا تبلى عليه الآية وكان جدى رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض
ذلك لأنه أعاد على اللفظ في قوله يشم وله مرتين ثم على المعنى في قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى إذا جاءنا
وقد قدمت أن الذى منع ذلك قد يكون اقتصر بمنه على مجيء ذلك في جملة واحدة وأما إذا تمددت الجمل واستقلت

فَقُولْهُ قَرِينٌ . وَلَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ . وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ . أَفَأَنْتُمْ تَسْمَعُ الصَّمَّةَ
أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . فَلِمَا نَذَرْهُمْ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ . أَوْ زُرْنِكَ الَّذِي

ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم هي وأما القراءة بالضم لفتحها ومن يتام عن ذكره
أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتنابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (تقيض له شيطانا) نخذه ونخل
بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقضنا لهم قرناء الم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقض أى يقض له
الرحمن ويقض له الشيطان . (فإن قلت) لم جمع ضمير من وصير الشيطان في قوله (ولهم ليصودوهم) (قلت) لأن من
مبهم في جنس الماشي وقد يقض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناول لإيهامها غير واحد من جاز أن يرجع
الضمير إليهما مجعوا (حتى إذا جاءنا) الماشي وقرئ جاءنا على أن الفضل له ولشيطانه (قال) لشيطانه (يأيت بيني وبينك
بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فقلب كاقبل الممران والقرمان (فإن قلت) فابعد المشرقين (قلت) تباعداهما الأصل
بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما (إنكم) في عمل الرفع
على الفاعلية يبنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقفين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في
تعمل أعباءه وتقسيم لشدة وعنايته وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتثنية
في قوله يأتيت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أتم فيه من معنى مباحة القرن وقوله إنكم في العذاب مشتركون
تعليل أى لن ينفعكم تنبكه لأن حقكم أن تشركوا أتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر
وقوته قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممتد بشدة من معنى يمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى
ذكرته الخنساء . أهزى النفس عنه بالتأسى . فهو لاء لا يؤسهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه (فإن قلت) ما معنى
قوله تعالى إذ ظلمت (قلت) معناه إذ صبح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا أحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من
اليوم ونظيره . إذا ما نسبنا لمنهذ في شئمة . أى تبين أى بوله كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجحد ويجهد ويكدر روحه
في دعاء قومه وهم لا يريدون على دعائه إلا نصصا على الكفر وتماديا في النفى فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم)
إنكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء القصر
كقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور . ما في قوله (فإما نذهبن بك) بمنزلة لام القسم في أنها إذا
دخلت دخلت معها التثنية المأكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن تنصرك عليهم ونضفى صدور المؤمنين منهم (فإننا منهم
منتقمون) أشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى أو توفيئك فإننا يرجعون وإن أردنا أن نتجز في حياتك ما وعدناهم
من العذاب التنازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتونا وصفهم بشدة الشكبة في الكفر والضلال
ثم أتبعه شدة العيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ زريك بالنون الخفيفة وقرئ بالذى أوحى إليك على البناء للفاعل وهو
الله هز وجل والمعنى وسواء عجبت لك الظفر والتلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل

كل بنفسها قد لا يمنع ذلك حتى رددت على العجشرى في قوله تعالى . لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ،
(قوله تقيض له شيطانا نخذه) تأويله بذلك مبنى على أنه تعالى لا يفعل التقيح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة
أنه فاعل الكائنات كلها فالآيات على ظاهرها (قوله إذا رأى الممتد بشدة) أى المبتلى ومنى أى ابتلى فأفاده الصحاح
(قوله أعزى النفس عنه) أوله . ولولا كثرة الباكين حولى . على إخوانهم لقتلت نفسى
ولا يكون مثل أخى ولكن . أهزى الخ

وَعَدْنَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقَدِّرُونَ ۖ فَاسْتَمْسَكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۚ وَسَلِّ مِنَّا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتِنَا إِذْأَمُّ مِنهَا يَضْحَكُونَ ۚ وَمَنْزِرِهِمْ مِّنْ آيَةِ الْإِلَهِ أَكْبَرُ مِن أَخْتِنَا وَآخِذْنَهُمْ بِالْعُقُبِّ لَمَّا هُمْ يَرْجِعُونَ ۚ وَقَالُوا

به فانه الصراط المستقيم الذي لا يجد عنه إلا ضلال شقي وزد كل يوم صلابه في المحاماه على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تهجيل ظفر ولا ينشطه تأخير (وإنه) وإن الذي أوحى إليك (الذكر) لشرف (لك ولقَوْمِكَ) لسوف (تُسْأَلُونَ) عنه يوم القيامة وعن قيامك بحقه وعن تعظيمك له وشكرهم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد يسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحاطه ولكنه مجاز عن النظر في أديابهم والفحص عن ملابهم هل جاءت عادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظر وأخصافه في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله به أنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لاجابة إلى غير ما السؤال الواقع مجازاً عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منته مسالة الشعراء البارو الرسوم والاطلال وقول من قال سل الأرض من شقي أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تحبك حواراً أبكتك اعتباراً وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الأنبياء ليلية الإسراء في بيت المقدس فأتهم وقيل له سلمهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل مناه سل أمهم أرسلنا وهم أهل الكتائبين التوراة والإنجيل وعن القراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سلم فكأنه سأل الأنبياء ما أجابوه به عند قوله إلى رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم بإياه يا حضار الدنيا على دعواه وإيراد الآية (إذا هم منها يضحكون) أي يسخرون منها يمزحون بها ويستهزأون بها وإذا المفاجأة (فإن قلت) كيف جاز أن يجاب لما إذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت محكمهم (فإن قلت) إذا جاءهم آية واحدة من جملة التسع فما اختار التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات (قلت) اختار التي هي آية مناه وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقرار واحدة بعد واحدة كأنه قيل وفصل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيته ثم إذ قروهم رجلا رجلا (فإن قلت) هو كلام متناقض لأن مناه ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر لا يكذب يتفاوتن فيه وكذلك المادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل

فإن الجملة واحدة فأنظره في موضعه ۚ قوله تعالى ۚ واسئل من أرسلا من قبلك من رسلنا ۚ (قال سؤال الرسل مجاز عن الفحص في شرايهم والنظر في ملابهم الخ) قال أحدو يشهد لإرادة سؤال الأمم فاسئل الذين يقرون الكتاب من قبلك والله أعلم ۚ قوله تعالى ۚ فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ۚ ومنزيرهم من آية الإله أكبر من اختار ۚ (قال جازت فيه إجابة لما إذا التي للمفاجأة لأن فعل المفاجأة مقدر معها وهو عامل فيها النصب الخ) قال أحد الظاهر في تسويغ هذا الإطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآي إذا أفردناها بالفسر استغرقت عظمتها العكر وجبرت حتى يحزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فإذا نقل الفكرة إلى اختار استوعبت أيضا ففكره بظلمه وذهل عن الأول في الحزم بأن هذه النهاية وإن كل آية دونها والحاصل أنها لا يقدر الفسر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفرد بالفسر حزم بأنه النهاية وعلى هذا

(قوله) ولكن كما يفعل الثابت لعله وكن أو لعله ولكن كن (قوله لم تحبك حواراً) أي غاطلة بالنطق في الصحاح استعاره أي استنطقه (قوله وإذا قروهم رجلا رجلا) أي تبجهم (قوله قليلة التفاوت ثكلتهم) في الصحاح الثكل تصدان المرأة ولدها

يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ • فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْكُتُونَ • وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِثْرَ هَذِهِ الْأَنْهَارِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ • أَمْ أَنَا

وتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجلا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فافترأ بفضل هذا ونارة بفضل ذاك ومنه بيت الحامسة :
من تلق منهم ثقل لاقت سديم • مثل النجوم التي يسرى بها السارى
وقد فاضلت الأنبارية بين الكلبة من بينها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت شكلتهم إن كنت أعلم بهم أفضل هم كالحلقة المفترقة لا يدري أين طرفها (لعلهم يرجعون) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان (فإن قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد والإدار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه • والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك • وقرئ يا أيها الساحر بضم الحاء وقد سبق وجهه (فإن قلت) كيف سمعه بالساحر مع قولهم (إننا لمهتدون) (قلت) قولهم إننا لمهتدون وعد منى إخلافه وعهدهم من رمل نكته معاق بشرط أن يدعولهم وينكشف عنهم العذاب الأخرى إلى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافاة لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحره بما عهد عندك بعهد عندك من أن دعوته مستجابة أو بعهد عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عبدك من كشف العذاب عن اهتدى (ونادى فرعون في قومه) جعلهم عملا لندائه وموصلا له والمضى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأما كنهم من نادى فيها بذلك فأستد التداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظامه القطع فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم بشر عنه في جوع القبط فكانه نودى به بينهم فقال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) يعني أنهار النيل ومعظمهما أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تيس قبل كانت تجري تحت قصره وقبل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جنائز وبساتين ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للبتداء وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الروبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمتهم وأمر فتودى بها في أسواق مصر وأزقتها لتلا تحفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير

التقدير يجرى جميع ما يرد من أمثاله والله أعلم • قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان الخ) قال أحمد تقدم في غير موضع أن لعل حينا وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى الخلقين أى ليكونوا بحيث يرجي منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأول سيويه ماورد وأما الزعشترى فيجعل لعل على الإرادة لأنه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئا ويريد العبد خلافة فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فما اشتمها زلة وأبشها خلة ولقد أساء الأدب في هذا الموضع حتى أنه لولا تعين الرد عليه لما جرى القلم بتقل ما هذى به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلق به وأن مراد العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه النوايا ربنا لا تخرق قلبنا بعد إذ هديتنا

(قوله ليس إلا أن يأمره به) هذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فأرادته غير الأمر سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره ولا يلزم تأويل الآية بالإرادة لجواز أن يكون معناها ليكون حاله عند الأخذ بالعذاب حال من يرجي رجوعهم (قوله لتلا تحفى تلك الأبهة والجلال) كسكرة كذا بهامش الصحاح وفي الصحاح وهما الناس جماعتهم

خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلو لا التي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فطاعوه . إنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما أسفونا اتقننا منهم فأغرقهم فجمعهم .

وحق يتربع في صدور الدمام مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأوليتها أحسن عبيد قولها الحبيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه ولما خرج إليها فلما شارفها وقع عليها بصره فأبى القربة التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لم أفل عندى من أن أدخلها حتى عثا (أم أنا خير) أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنه إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السب منزلة المسب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والمهمة للفرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الانهيار تحت وادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالي (من هذا الذي هو مهين) أى ضيف حقير وقرئ أما أنا خير (ولايكاد يبين) الكلام لما به من الرتبة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه محل بما ينبت به الرجال من السن والقصاح وكانت الأنبياء كلهم أيتام بلقاءه . وأراد بالقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سؤروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (مقترنين) إماما مقترنين به من قولك قرته فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقاتلوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الاعتداد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسؤره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره . وقرئ أساور جمع أسورة وأساور جمع إسوار وهو السوار وأساوره على تعويض التاء من ياء أساور . وقرئ التي عليه أسورة وأساور على البناء للمفعول وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استغفر من قولهم للتخفيف فر (أسفونا) منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت النجاة رحمة للؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه إنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نجل لهم عذابنا واتقنا وأن لا نلهم عنهم . وقرئ سلف جمع سالف كسدم وخدم وسالما بعضهم جمع سليف أى فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أى ثلاثة قد سلفت ومعناه لجملائهم بقوة الآخرين من الكفار يقصدون بهم في استحقاق مثل مقامهم ونزولهم لإيتائهم مثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائر أسير المثل يحذون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون . لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم متعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبير يا محمد أحاسنة لاؤا لاختتام جميع الأمم فقال عليه السلام هولكم ولا تخفكم وجميع الأمم فقال خصمك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتلى عليه خيرا وعلى أمه وقد عدت أن الصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلها معهم ففرحوا ونضحوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأذن الله تعالى إن الذين سبق لهم منا الحسن ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة الصارى إياه (إذا قومك) قريش من هذا المثل (يعبدون) ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجزلا ونضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمله كما يرتفع لفظ القوم ولجهم إذا تلبوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصتون بالضم فمن الصدود أى من أجل هذا المثل يصتون عن الحق ويمرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لثان نحو يكسف ويكسف ونظائر لهما

(قوله لما به من الرتبة) بالضم العجمة في الكلام كذا في الصحاح (قوله وكانت الأنبياء كلهم أيتام) في الصحاح إن الشيء يائنا الضع فهو بين والجمع أيتام مثل هين وأهيناء (قوله قرته فاقترن به) لعله قرته به فاقترن (قوله) متعضوا من ذلك (ذلك) غضبوا منه وحق عليهم كذا في الصحاح (قوله ترتفع لهم جلبة وضجيج) أى صياح وكذا اللجب أفاده الصحاح

سَلَامًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ . وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا ءَاهْتُنَا خَيْرَ أَمْ هُوَ مَاضِيُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصُمُونَ . إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ مَلَكًا فِي الْأَرْضِ يَخْلُوقُ . وَإِنَّهُ لَعَلِمُ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ

(وقالوا آلهتنا خير أم هو) يسنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حسب النار كان أمر آلهتنا (ماضيوه) أى ماضى بهذا المثل (لك إلا جدلا) إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميزين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لشداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله تعالى قوما لقد أوذلك أن قوله تعالى إنكم وما تبعدون من دون الله ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هولكم ولأنهمك وجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد به الآتياء والملائكة إلا أن ابن الزهري يخبر عن خداعه وخبت دخلته لما رأى كلام الله ورسوله بمختلفة لفظه وجه العموم مع عله بأن المراد أصنامهم لا غير وجد الحيلة مساعا فصرف معناه إلى الضمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكارة وتوقع في ذلك فتور رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنده إن الذين سبقتم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن الظاهر قوله وما تبعدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لأنهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وماضيوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدال . وقرئ آلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام ويستأطها لدلالة أم العندية عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أى جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصترون يصنعون ويضغرون والضغير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازاة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء . ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلا نكرا من العمل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإننا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسى فقبل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما اتصلكم بما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل يباطل وما عيسى (إلا عبد) كسائر العبد (أنعما عليه) حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالبوّة وصيرناه عبدة بحجة كالمثل السائر لبني إسرائيل (ولونفاه) لقد رتانا على عجائب الآل وودائع القطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال (ملائكة) يخلقونكم في الأرض كما يخلقكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أمي من غير غل لتعرفوا تميزنا بالبدرة الباهرة ولتعلوا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (ولنه) وإن عيسى عليه السلام (لعل الساعه) أى شرط من أشرافها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرنا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل على نية بالأرض المقدسة يقال لما أفق وعليه مصرتان وشعر رأسه دعين ويده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤتم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويعلى خلقه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الحنازير ويكسر الصليب ويحرق البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن

(قوله وخبت دخلته) بالضم باطن أمره أفاده الصحاح (قوله على طريقة المحك والجدال) أى اللجاج كما في الصحاح

(قوله ونحن أشف منهم) أى أرق أفاده الصحاح

مُسْتَقِيمٌ ۚ وَلَا يَصْنَعُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۚ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ قَابِدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۚ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۚ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۚ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۚ يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۚ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۚ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۚ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ

وأن القرآن به علم الساعة لأن فيه الإعلان بها (فلا تترن بها) من المرية وهي الشك (واتبعوا) واتبوا هداى وشرعى أورسولى وقيل هذا أمر لرسول الله أن يقول (هذه صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوك إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير فى وإنه للقرآن (عدو مبين) قد باتت عداوته لكم إذا أخرج باكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات) المعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) ببنى الإنجيل والشرائع (فإن قلت) هلا ين لم كل الذى يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون فى البيانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك عالم يتعدوا بمعرفة والسؤال عنه وإنما بحث ليبن لم ما اختلفوا فيه مما بينهم من أمر دينهم (الأحزاب) الفرق المتعزبة بعد عيسى وقيل اليهود والصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد للأحزاب (فإن قلت) من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه (قلت) إلى الذين خاطبهم عيسى فى قوله قد جئتمكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم (أن تأتيمهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة (فإن قلت) أما أدى قوله (بغتة) مؤدى قوله (وم لا يشعرون) فيستغنى عنه (قلت) لا لأن معنى قوله تعالى وم لا يشعرون وم غافلون لاشتغالهم بأمور دنيام كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيمهم بغتة وم فظنون (يومئذ) منصوب بعمد أى تنقطع فى ذلك اليوم كل صلة بين المتخالفين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة وقتاً لإخلاء المصادقين فى الله فإنها الحلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب فى الله تعالى والتباغض فى الله وقيل (إلا المتقين) إلا المجتنبين أخلاء سوء وقيل نزلت فى أبى بن خلف وعقبة ابن أبى معيط (بإعابدى) حكاية لما ينادى به الحقون المتحابون فى الله يومئذ (والذين آمنوا) منصوب محل صفة لمبادئ لأنه منادى مضاف أى الذين صدقوا (بآياتنا) وكانوا مسلمين) غلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد بإعابدى فيرجوها الناس كلهم ثم يقيها الذين آمنوا فيأى الناس منها غير المسلمين (وقرى ياعباد (تجبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف فيوجوههم فطرة النعم وقال الزجاج تكرمون إكراما يبالغ فيه والجرة المبالغة فيما وصف بجميل والكوب الكوز لاهروة له (وفيها) الضمير للجنة (وقرى نشئتي ونشئتي وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشبهة فى القلوب وإما مستلذة فى العيون (وتلك) إشارة إلى الجنة المذكورة وهى مبتدأ (والجنة) خبر (التي أورثتموها) صفة الجنة أو الجنة صفة للبتدأ

(قوله قد باتت عداوته لكم) فى الصحاح بان الشيء يانا اتضح فهو بين كذلك أبان فهو مبين

يُسَبِّحُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ • وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ • وَتَبَارَكَ

ولد الملك لتطعيم آية وهذا كلام وارد على سبيل القرض والتشليل لقرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطبات فيه وأن لا يترك الناطق به شبه الإلهام مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكيونة الولد وهي حال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة إثبات الكيونة والعبادة وفي معنى فقههما على أبلغ الوجوه وأقربها ونظيره أن يقول العدل للجبرين كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذاباً سرعداً فأنا أول من يقول هو شيطان وليس ياله فغنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر وتزويه من ذلك وتهديبه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وحلالة الذهاب إليه والشهادة القاطعة بإسائه والإضمار عن نفسه بالبراءة منه وغاية الفار والاشتماء من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للعجاج حين قال له أما والله لأبدلك ما بالدنيا نارا تلقى لوعرت أن ذلك اليك ما هبت إلما غيرك وقد تحمل الناس بما أخرجه به من هذا الأسلوب الشريف الملاء بالثبوت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في ذمهم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في ذمهم فأنا أول الآخزين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنه فهو عبد وعابده • وقراء بعضهم العبدان وقيل هي إن الثانية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووجد وروى أن النضر بن عبد البار بن قصي قال إن الملائكة باتت الله فزلت فقال النضر الآثرون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا لادله وقرئ ولد بضم الواو • ثم زه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسماً لم يقدر على خلق هذا العالم وتغيير أمره (فقد هم بغرضوا) في باطلهم (ويلبسوا) في دينهم (حتى يلا فوا يرمهم) وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخنوص والغب والاعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية

ذلك الولد وأسبغهم إلى طاعته والاعتقاد له إلى آخره) قال أحد لقد اجتأ عظماء واتجم مهلكة في تشبيه ذلك بقول من سبأ عذبا إن كان الله خالقاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين إنه شيطان وليس ياله فلينتقم عليه ذلك يقول القائل قد ثبت قطعا عقلا وشرعا أنه تعالى خالق لذلك في القلوب كخالق الإيمان وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على أن لا خالق إلا الله وتصديقا بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شيء وإذا ثبتت هذه المقدمة عقلا وتقالا لزمه فرك أنه • وغل غشه إذ يلحقه في الله إلحاداً لم يسبقه إليه أحد من عباده الكفرة ولا يجترأ عليه مارد من مردة العجوة ومن خالف في كفر القدسية قد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واتجم هذه الضلالة بلا حيلة فإنه قد صرح بكلمة الكفر على أفتح وجوهها وأشنع أنماها والله المستول أن يعصنا وهو حسنا ونعم الوكيل • قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله (قال فيه ضمن اسمه عز وجل معنى وصف خلقه الظرف وهو قوله في السماء الخ) قال أحد وبما سهل حذف الزاجع مضافاً إلى الطول الذي ذكره وقرح الموصول خبراً عن مضمر لظهور الزاجع لكن كالتكرار المستكره إذ كان أصل الكلام وهو الذي هو في السماء إله ولا ينكر أن الكلام مع المنحرف الزاجع أخف وأسبل وأن الزاجع إنما حذف على أنه حذف مثله لأمر متأكد فلم يرد في الكتاب العزيز إلا قوله تعالى فما على الذي أحسن ومع أي موضعين على رأي • عاد كلامه قال وتحتل الآية أن يكون في السماء صلة الذي على تأويل الإلهية الخ

(قوله ونظيره أن يقول العدل للجبر) يريد أحد المعتزلة لأحد أهل السنة وفي هذا التنظير من سوء الأدب في حق تعالى مالا يخفى (قوله قال له أما والله) في الصحاح أما مخفف تحقيق للكلام الذي يتلوهاه ولعل حذف الألف لغة فليحور

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شِئَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَسْمَعُونَ • وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ •
وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ • فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ قَسُوفَ يَسْمَعُونَ •

سورة الدخان مكية

وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • حم • وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ • فِيهَا يُفْرَقُ

بينهم وبين الشياطين كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وإيمان بالشفاعة ضمن اسمه تعالى معنى وصف لذلك
علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طى حاتم في قلب على تضمين معنى الجواد الذي
شهر به كأنك قلت هو جواد في طى جواد في قلب • وقرئ وهو الذى في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله تعالى
وهو الله في السموات وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف
لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى قاتل لك شيئا وزاده طولاً أن المخطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في
السماء صلة الذى وإله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لأعلى
معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة
وقرئ تحشرون بالياء • ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاءهم عند الله ولكن من
(شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء
منقطع ويجوز أن يكون متصلاً لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة • وقرئ تدعون بالياء وتدعون
بالتاء وتقيد بالمال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاختصاص أنه حمل على أم يحسبون أنا لانسمع
سرم ونحوهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرأ وحمل الجز
على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده
علم الساعة وعلم قيله والذى قاله ليس بقوى المعنى مع وقوع الفصل بين المخطوف والمخطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً مع
تأخر التظلم وأقرى من ذلك وأوجه أن يكون الجز والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم آمين الله
وأمانة الله وبين الله ولعمركه ويكون قوله (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو
وقيله يارب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم بإناس عن إيمانهم وودعهم وتاركهم
(وقل) لهم (سلام) أى تسلم منك ومتاركة (فسوف يسمعون) وعيد من ألقم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في قوله
لرسوله صلى الله عليه وسلم وإنسان الله بقيله رفع منه وتعميم لدعائه والتجاء إليه : عن التلى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الزخرف كان من يقال له يوم القيامة يا عبادي لا تخوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون داخلوا الجنة بغير حساب

(سورة الدخان مكية الا قوله إنا كاشفو المذاب قليلا الآية)

(وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) • الواو في (والكتاب) واو القسم إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة
مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسماً بها وقوله (إنا أنزلناه) جواب القسم • والكتاب

كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ

المبين القرآن ۝ واليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصلوة وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصلوة أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مخصصة بخمس خصال تفرق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يمشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وخمرة يدفعون عنه مكابد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يفرغ لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكان من أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الصفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير ومن عاد الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ما زمم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد باليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى «إنا أنزلناه في ليلة القدر» ولطابقة قوله «فيها يفرق كل أمر حكيم» لقوله «وتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر» وقوله تعالى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان (فإن قلت) مامعنى أنزال القرآن في هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بالتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (فإن قلت) (إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأثنتان ملفوفتان فسرهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إرثنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن أنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ۝ والمباركة الكثيرة الخير لما يتبع الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا أنزال القرآن وحده لكنني به رلة ومعنى يفرق بفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكايل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والحسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيبقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبة وقرئ فرق بالتنديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه تفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تفضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز (أمرنا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا غلما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه غلظة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلنا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علنا وتديبنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إمان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الماعل أي أنزلناه أمرا من أمرا أو من ضمير المفعول

(قوله يرحم أمتي في هذه الليلة) لعله من أمتي (قوله ملفوفتان) لعله من الف والفتح المقر في البيان وبيانه ما بعده (قوله لما يتبع الله فيها) أي يقدر

وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ عَابَتِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۚ بَلْ تُمْنُونَ
شَكَّ يَلْعَبُونَ ۚ فَأَرْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۚ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا

أى أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فإن قلت) (إنا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق
(قلت) يبرز أن يكون بدلا من قوله إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من
شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة
مفعولا به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها في قوله تعالى «وما يسلك فلا مرسل له من بعده» أى يفصل في هذه
الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها
من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعل لأن الفرض في تكليف العباد تمر بضمهم للنافع والأصل
إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيدانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد
ابن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تصرف انتصابه على الاختصاص وقرا الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى
تصرف انتصابها بأنها مفعولة (إنه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تتحق إلا لمن هذه أوصافه وقرئ رب
السماوات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك (فإن قلت) ما معنى الشرط الذى هو قوله (إن كُنتُمْ مُوقِنِينَ) (قلت) كانوا
يقرون بأن السماوات والأرض وما خالفها قيل لهم إن إرسال الرسل وإزالة الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو
السميع العليم الذى أنتم مقربون به ومعترفون بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيمان كما تقول
إن هذا إنعام زيد الذى تسمع الناس بكم هو أشهر وأصلوه إن بلغك حديثه وحدث بقتته ثم ردوا أن يكونوا موقنين بقوله
(بل هم في شك يلبسبون) وأن إقرارهم غير صادر من علم وتيقن ولا عن جِدِّ وحقيقة بل قول غلط جهز وولب (يوم تأتى السماء)
مفعول به مرتب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرتَه وانتظرته واختلف في الدخان فمن على بن أبى طالب رضى الله عنه
وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس
الحديد ويعتري المؤمن منه كهية الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبيض تسوق الناس إلا المحشر قال
حذيفة بارسول الله وما الدخان فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يعلاب ما بين المشرق والمغرب يمكك أربعين
يوما وليلة أما المؤمن فيصيه كهية الزكة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود
رضى الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبغشة والزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصدا عند أبواب
كنة يقول إنه دخان يأتي يوم القيامة فأخذ بأفئاس الحق فقال من علم علما قليلا به ومن لم يعلم قليلا الله أعلم فإن من
علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استصحت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف
والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فشئ إلى
أبرسفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم واعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى
شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو في عمل الجر صفة

(قوله كالرأس الحديد) أى المشوى كما في الصحاح (قوله ليس فيه خصاص) أى فرج أفاده الصحاح
(قوله أربعين) في الصحاح أربعين اسم رجل نسب إليه عدن (قوله حتى أكلوا الجيف والعلهز) في الصحاح بالهز بالكسر
طعام كانوا يتخفون من الهمودور البعير في زمن المجاعة (قوله وكان يحدث الرجل فيسمع) لعله يحدث الرجل الرجل
ويمكن أن يجعل الفاعل ضميرا يعود على الرجل السابق

الْعَذَابُ إِنَّا مُؤْمِنُونَ . أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِيمَانُ أَنْ يَتَّقِي مَا كُنَّ عَذَابُهُمْ كَافَّةً . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ بَجُونٌ . إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ . يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ . أَنْ أَدْرَأَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . وَأَنْ لَا تَتَّبِعُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ أَرَادْنَا أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ . وَإِنْ عُدْتُ رَبِّي رَبِّكُمْ أَنْ تُرْجَوْا . وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُوا . فَعَدَّ رَبُّهُ أَنْ

للدخان و (هذا عذاب) إلى قوله مؤمنون منصوب المحل فعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك (إنا مؤمنون) موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب (أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِيمَانُ) كيف يذكرون ويشظون ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم وأدخل في وجوب الإذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض تقيف هو الذي عليه ونسبه إلى الجنون ثم قال (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) أي ربنا نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لاتبثون غيب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهاج (فإن قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا (قلت) إذا أتت السماء بالدخان تصور المذنبون به من الكفار والمنافقين وغرثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون منيرون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فرينا يكشفه عنهم يردون لا يمتهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى (إنا منتقمون) أي ننقم منهم في ذلك اليوم (فإن قلت) بم انتصبت يوم نبطش (قلت) بما دل عليه إنا منتقمون وهو انتقم ولا يصح أن ينصب بمنتقمون لأن إن تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يحمل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقتراضهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختراروا الكفر على الإيمان أو سلهم ملكهم وأغرقهم (كرم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كرم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا لإيمان سرقة قومه وكرامهم (إن أدوا إلى) هي أن المفردة لأن مجيء الرسول بعث إليهم متضمن لمعنى القول لا يجيبهم إلا بشراً ونذيرا وداعيا إلى الله أو المنخفضة من التقلية ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلى (وعبد الله) مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوم إلى وأرسلهم متى كقوله تعالى أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون ندامهم على أدوا إلى يعابد الله ما هو واجب على عليهم من الإيمان بالله وقبول دعوى وإتباع سبيل وحمل ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد اتهمته الله على وجه رسالته (وأن لا تلتموا) أن هذه مثل الأولى في وجهها أي لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووجهه أو لا تستكبروا على بني الله (سلطان مين) بحجة واضحة (أن ترجون) أن تقتلون . وقرئ عت بالإدغام ومعناه أنه عائد بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلوا) يريد إن لم تؤمنوا لي فلاموالاة بيني وبين من لا يؤمنوا فتخروا عني واضلوا أسباب الوصله عني أي غلظوا كفافة لالي ولاعلى ولا تترحموا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك (أن هؤلاء) بأن هؤلاء أي دعا به بذلك قبل كانت دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه

(قوله فتصور المذنبون به) التصور الصياح والتارى عند الإلم أناده الصياح (قوله وتولوا عنه وبتوه) رموه بما ليس فيه والتموه وبت قولها واغوثاه كافي الصياح أيضا

هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ . فَاسْرِ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ . وَاتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّفْرَقُونَ . كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَوَيْعُونَ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَمَّاءٌ كَانُوا فِيهَا فُكْهِينَ . وَكَذَلِكَ وَوَرِّثَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . قَابَكْتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ . وَلَقَدْ بَعَثْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ . مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلَايًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ . وَلَقَدْ أَخْرَنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الصَّالِحِينَ . وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَبْلُو

بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ولما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (أسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادى وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر (بعبادى) يعنى فأسر بني إسرائيل فقد دراهه أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينبى المتقدمين ويفرق التائبين الزهوفيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى

يمشين وهو أظلا الإجماع غاذلة . ولا الصدور على الإجماع تشكى

أى مشياً ساكناً على هيئة أراد موسى لما تجاوز البحر أن يضربه بعصاه فيطبق كاضربه فانطق فأمر بأن يتركها ساكناً على هيئة قارأ على حاله من اتصاب الماء وكون الطريق يسب لا يضربه بعصاه ولا يغير مشيته ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثانى أن الزهوف القنوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملاً فالجأ فقال سبحان الله وهو بين سنامين أى الزمكة مفتوحاً على حاله متفرجاً (إنهم جند مفروقون) وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم . والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المناظر . والنممة بالفتح من التمتع والكسر من الإنعام . وقرئ فأكبر وفكبر (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجهما منها (وأورثناها) أو فى موضع الرفع على الأمر كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء . وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكتهم وديارهم . إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكة بكت عليه السماء والأرض وبكت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير . تبكى عليك نجوم الليل والقمر . وقالت الخاريجة أيا نجر الخابور مالك مورقا . كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه . وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الأرض ومساعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمشى ونفى ذلك عنهم فى قوله تعالى (فابكت عليهم السماء والأرض) فيه تهكمهم وبحالهم النافية لحال من يعظم فقدته فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض وعن الحسن فابكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا يهلكهم مسرورين يعنى فابكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى الوقت آخر ولم يجهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه فى نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه فى تعذيبهم وإعائتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظافة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم عرف حاله فى ذلك

(قوله أنه رأى جملاً فالجأ) فى الصحاح الفالج الضخم ذو السنامين

مِينَ ۚ إِنَّ هَؤُلَاءَ يَقُولُونَ ۚ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۚ فَآتُوا بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

بقوله (إنه كان عالياً من المشرفين) أى كبيراً رفيع الطبقة ومن بينهم فاقم لهم بليناً فى إسرائه أو عالياً متكبراً كقوله تعالى إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ وَمِنَ الْمُرْسِفِينَ خَبَرْنَا أَنَّ كَانَ قَبْلَ إِيَّاهُ كَانَ مُتَكَبِّراً مسرفاً الضمير فى (استترافهم) لبنى إسرائيل و(على علم) فى موضع الحال أى عالين بمكان الحيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منبأهم يريغون ويفرط منهم الطرقات فى بعض الأحوال (على العالمين) على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم (من الآيات) من تحوّل الجحيم وتظليل النعام وإزالة المن والسوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظفر الله فى غيرهم مثلاً (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يلوأ بالنعمة كايلاً بالمصيبة أو اختياراً لظاهر لتظهر كيف تعملون كقوله تعالى «وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم» (هؤلاء) إشارة إلى كفار قريش (فإن قلت) كان الكلام واقفاً فى الحياة الثانية لافى الموت فقلنا قلنا إن فى الإحياتنا الأولى وما نحن بمُنْشَرِينَ كما قيل إن فى الإحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (إن فى الإحياتنا الأولى) وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا مائة أخرى حتى تقوموا وجحدوها وأثبتوا الأولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم أنكم تموتون مائة متعها حياة كما تقدمتكم مائة تدفعها حياة وذلك قوله عز وجل «وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» فقالوا إن فى الإحياتنا الأولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا اللوثة الأولى خاصة فلا فرق إذا بين هاتين قولنا إن فى الإحياتنا الدنيا فى المعنى ۚ يقال أنشأ الله الموت ونشرهم إذا بعثهم (فاتوا بآياتنا) خطاب للذين كانوا يبدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى أن صدقتم فيما يقولون فمجدوا لنا إحياء من مات من آياتنا بؤس الكبريكم ذلك حتى يكون دليلاً على أن ما نؤمنونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يظنون أنهم أن يدعو الله فينشرهم قصى ابن كلاب ليسأرووه فإنه كان كبيرهم ومشاورهم فى التوازل ومعامل الشؤون ۚ هو تبع الجهمى كان مؤمناً وقومه كافرين وبذلك قدم الله قومه ولم يبدته وهو الذى سار بالجيش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل هدهما وكان إذا كتب قال بسم الله الذى ملك بزا وبجراً وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وسمع عليه الصلاة والسلام ما أدركه أكان تبع نبياً أو غير نبي وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبياً وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر ضوى وقبر حى بنت تبع لأنشأ الله شيتاً وقيل هو الذى كسا البيت وقيل للملك اليمن التابعة لأنهم يتبعون كاقيل الأقبال لأنهم يتقبلون وسمى الظل

(القول فى سورة الدخان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى «إِنَّ مَوْلَاهُ يَقُولُ إِنَّهُ لَمَوْلَانَا» (قال فيه فإن قلت) كان الكلام معهم واقفاً فى الحياة الثانية لافى الموت (الخ) قال أحد وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين الأولى منهما الموت والأخرى حياة البعث أثبتوا الحالة الأولى وهى الموت وتقوموا بعد ما دعوا وسعوا أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شئ بعدهم لأنهم نزلوا جحدهم على الإنبيات لمجدوا على ما ذكرتم وهذا أولى من حل الموتة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لو جهن أهدمها أن الاقتصار عليها لا يمتدونه لأنهم يثبتون الموت الذى يعقب حياة الدنيا وحل المحصر المباشر للموت فى كلامهم على صفة تذكر لاهل نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة الثانى أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة فإن الموتة قتلة فيها إشعار بالتجدد والطربان والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تقدمه حياة طراً عليها هذا مع أن فى بقية السورة قوله تعالى «لا يلقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» وإنما عني بالموتة الأولى ما الموت المنتقب للحياة الدنيا فقط فيه إرشاد لما ذكرته والله أعلم

(قوله واقفاً فى الحياة الثانية) أى التى ينكرونها (قوله لأنهم يتقبلون) فى الصحاح قبل شرب نصف النهار وقبل فلان أباء تبعه

أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا جُحُومِينَ • وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينِينَ • مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِنْهُمْ أَجْمِينَ • يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا يُنصَرُونَ • إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ • طَعَامُ الْآثِمِينَ • كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ • كَغَلِي الْحَمِيمِ • خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ • ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ

تبعالاته يتبع الشمس (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (أَمْ خَيْرٌ) ولا خير في الفريقين (قلت) معناه أَمْ خَيْرٌ فِي الْقُوَّةِ وَالْمُنَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَكْفَرَكُمْ خَيْرِينَ مِنْ أَوْلِيكُمْ بِهِدْ كَرَأْفَرُونَ فِي تَصْرِيفِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَمْ أَشَدَّ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ (وما بينهما يوما بين الجنسين) وقرأ عبيد بن عمير وما يبينهم وقرأ أحيقافهم بالنصب على أنه اسم لأن يوم الفصل خبرها أي إن مياد حسابه وجزائهم في يوم الفصل (لا يفتي مولى) أي مولى كان من قرابة أو غيرهما (عن مولى) عن أي مولى كان (شيئا) من إغناء أي قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للمولى لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإيهام والشاع كل مولى (لا من رحم الله) في عمل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحم الله يجوز أن ينصب على الاستثناء (لأنه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه قرئ إن شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروى أهلنا نزل ذلك خير نزلام شجرة الزقوم قال ابن الزبير إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والقر الزرق فذعا أبو جهم يثمرود بدقالت زرقا فإن هذا هو الذي يجوز فيه محمد فنزل إن شجرت الزقوم طعام الآثمين وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليميم فقال قل طعام الفاجر يا هذا ويهدا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشبهانها بإجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتصبر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبه في إنكار القراءة بالفارسية (كالهمل) قرئ يضم الميم وقصها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلي) وقرئ بالياء للشجرة وبالياء للطعام و(الحميم) الماء الحار الذي انتهى غليانه • يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) هقودوه بضف وغلظة وهو أن يأخذ بتلييب الرجل فيجره إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو التليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضما (إلى سواء الجحيم) إلى وسطها ومعظمها • (فإن قلت) هلا قيل صبا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لأن الحميم هو المصوب لا عذابه (قلت) إذا صب عليه الحميم قد صب عليه عذابه وشدته إلا أن صب العذاب طريقة الاستمارة كقوله • صبت عليه صروف الدهر من صيب • وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلما به الصب مستمارة ليكون أهول وأصيب • يقال (ذق إنك أنت العزيز الكريم) على سبيل المازع والتكلم

• قوله تعالى « إن شجرة الزقوم طعام الآثمين » الآية (قال في نفل أن أبا الدرداء أقرأها رجلا فلم يتم النطق بالآثمين وجعل يقول طعام اليميم الخ) قال أحد الأدليل فيه لذلك وقول أبي الدرداء محمول على إضمار المعنى ليكون وضوح المعنى عند التحمل عونا على أن يأتي بالفارسية كما أنزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار وهو الوجه والله أعلم

(قوله وهو دردى الزيت) لعله ردى الزيت كعبارة النسفي (قوله وهو أن يؤخذ بتلييب الرجل) الذي في الصحاح لبس الرجل تلييبا إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحوه في الخصومة ثم جرته اه ويجوز أنه أراد بتلييب الرجل ثيابه من عند صدره ونحوه

مِنْ عَذَابِ الْحَرِيمِ ۚ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۚ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۚ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ يَلْبَسُونَ مِنْ تَحْتِهَا أَسَدَاسٌ ۚ وَاسْتَبْرَقَ مُتَقَابِلِينَ ۚ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ مَحْجُورَاتٍ ۚ فِيهَا يَكُلُّ فَاكِهَةٌ ۚ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا مَوْتٌ إِلَّا مَوْتَةٌ أُولَىٰ ۚ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ۚ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ فَأَمَّا يَسْرُهُ ۖ فَلِلَّسَانِكِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۚ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْصِقُونَ ۚ

بمن كان يتعزذ ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبلينا أهر ولا أكرم مني فوافقه ما استطاع أنت ولا ربك أن تفعلا في شيئا وقرئ إنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأ به على المنبر (إن هذا) العذاب أو إن هذا الأمر هو (ما كنتم به تمترون) أي تشكون أو تثارون وتلججون ۚ قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى الصوم والضم وهو موضع الإقامة أو الأمين من قولك آمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان الخفيف كأنما يخون صاحبه بما يأتي فيه من المكاره قيل السندس مارق من الذهباج ۚ الاستبرق ما غلظ منه ۚ قوله يس استبر (فإن قلت) كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المدين لفظ نجعي (قلت) إذا عرب خرج من أن يكون نجعيا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن مناهجه وإجرائه على أوجه الإعراب (كذلك) الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أنبأهم (وزوجناهم) وقرأ عكرمة بجور عين على الإضافة والمعنى بالهجر من العين لأن العين إما أن تكون حورا أو غير حور ف هؤلاء من الهجر العين لأن شهبان مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء نعلوها حمرة وقرأ حيد بن عмир لا يذوقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت (فإن قلت) كيف استئثت الموت الأولى المنوقة قبل دخول الجنة من الموت المنى ذوقه فيها (قلت) أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموت الأولى موضع ذلك لأن الموت الماضية حال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليل بالمحال كأنه قيل إن كانت الموت الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فلأنهم يذوقونها وقرئ ۚ قام بالتشديد (فضلا من ربك) عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما أعطى المتقير من نعم الله ۚ الجاء من البار ۚ قرئ فضل أي ذلك فضل (فأما يسرناه بلسانك) فذلكم للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المين فأما يسرناه أي سهناه حيث أنزلناه هربيا بلسانك بلفتك إرادة أن يفهم قومك فيذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (أنهم مرتقبون) ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له

قوله تعالى ولا يذوقون فيها الموت إلا الموت الأولى ۚ (قال إنما استئثنت الموت الأولى المنوقة قبل دخول الجنة من الموت المنى ذوقه فيها الخ) قال أحد هذا الذي ذكره مبنى على أن الموت بدل على طريقة بني تميم المجوز فيها البدل من غير الجنس وأما على طريقة المحازيين ۚ فانتصبت الموت استثناء منقطعا وسر اللغة التيمية بناء النفي المراد على وجه لا يبق السامع معطما في الإثبات فيقولون ما فيها أحدا لا حمار على معنى إن كان الحمار من الأحدين فيها أحديفلتون الثبوت على أمر محال حتما بالتالي وعليه حل الزعمشري قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله أي إن كان الله ممن في السموات والأرض في السموات والأرض من يعلم الغيب فإذا نقر السامع من ثبوت الأول تعدت النفرة إلى ثبوت الثاني جزمت بالتالي والله أعلم

سورة الجاثية مكة

الإية ١٤ فذنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ هَمْ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَلْ لَكُمْ أَفَّاكٌ أَتَمُّ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ

(سورة الجاثية مكة وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) إن جعلتها اسما مبتدأ خيرا عنه (تنزيل الكتاب) لم يكن بدم حذف مضاف
تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و(من الله) صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف
خبرا (إن في السموات والأرض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله (وفي خلقكم)
(فإن قلت) علام عطف (وما يَبُثُّ) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه (قلت) بل على المضاف لأن
المضاف إليه ضمير متصل مجرور بفتح العطف عليه استبحروا أن يقال مرت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك
إن أكوده كرهوا أن يقولوا مرت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا
في الدار وعمرا في السوق أو عمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو
رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجرف في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات
وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجرف في اختلاف وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل
والنهار (فإن قلت) العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيويه فواجهه بخرج الآية
عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إختار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها وبعضه قراءة
ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد اقتضاء المجرور مطوفا على ما قبله على التكرير ورفعها بإختار
هي ۝ وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يَبُثُّ من دابة آية وقرئ وتصريف الرياح والماعنى
إن المتصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح حلوا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع
فأمنوا بالله وأتقوا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض
من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا واتقى عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت
كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا
عقلوا واستحكم عليهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لأنه سبب الرزق (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك
الآيات آيات الله و(تلوها) في عمل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الإشارة ونحوه
هذا بعل شيئا وقرئ يتلوها بإياه (بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم
زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه أو قرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث ۝ وقرئ (يؤمنون)

(قوله وأما قوله آيات لقوم) أي مع قوله واختلاف وقوله عملت أي الولو

اللَّهُ تَتْلُو عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ • مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَخْشَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • هَذَا هَدَى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتٍ رَّبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ • اللَّهُ الَّذِي
سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَى الْفُلُوكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ • وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَتَّه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

بالتاء والياء الأفاك الكذاب والائتم المتبالغ في اقراراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقم عليه وأصله من إصرار
الحمار على العاقبة هو أن يصر عليها صار أذنيه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحق من ذريالها معجبا بما
عنده قيل زلت في النظرين الحرتين كما كان يشترى من أساذيب الأعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآيات عامة في كل
ما كان هناك من آيات الله (فإن قلت) ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كما في قول القائل يصرى غرات الموت ثم يوردها
وذلك أن غرات الموت حقيقة بأن يصر رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فامر مستبعد
ففي ثم الإيدان بأن فعل المتقدم عليها بعد مآرأها وعائنها شيء يستبعد في المادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة
بالحق من تليت عليه وسميها كان مستعبدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها (كان)
عقفة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله • كأن غلبة تعطل إلى ناضر السلم • وعمل الجملة النسب
على الحال أي يصر مثل غير السامع (وإذا) بلفه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أي: ذا الآيات (هزوا) ولم يقل
اتخذها للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم
خاص في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلفه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث
به المماند ويجعله محلا يتسلى به على العلم والقيمة افترسه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراس ابن الزبيري
قوله هزوجل إنكم وما تعبسون من دون الله حسب جهن ومغالطه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمك ويجوز
أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسى بشيء من الدنيا معلقة • الله والقائم المهدى يكفها

حيث أراد عتبة وقرئ علم (أولئك) إشارة إلى كل أفاك أئيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التي يواربها الشخص
من خلف وأقدام قال أليس ورائي أن تراخت متقي • أدب مع الولدان أوحف كالنسر
ومنه قوله عز وجل (من ورأهم) أي من قدامهم (ما كسبوا) من الأموال في رحطهم ومتاجرهم (ولما اتخذوا من دون
الله) من الأوثان (هذا) إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله تعالى • والذين كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هي القرآن •
أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل كامل في الرجولية وأما رجل والرجز أشد العذاب وقرئ بجر أليم
ورفضه (ولتبغوا من فضله) بالتجارة أو بالنقص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع
البحر • (فإن قلت) ما معنى منه في قوله (جميما منه) وما موقعها من الإعراب (قلت) هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه
سخر هذه الأشياء كائنة من عنده يعني أنه مكنها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لحلقه ويجوز أن

(قوله من إصرار الحمار على العانة) جماعة حمر الوحش كما في الصحاح وفيه أيضا صر الفرس أذنيه ضمها إلى رأسه
فإذا لم يرفعوا أقاله أصر الفرس بالالف

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ •
وَلَقَدْ آتَيْنَا نَبِيَّ إِسْرَٰهِيلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ •
وَأَتَيْنَاهُم بِبَنَاتٍ مِّنَ الْأُمَمِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَدَاجِآءٍ ثُمَّ الْإِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِسْمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمَرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ • إِنَّهُمْ لَن يُثْنُوا عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ •
هَذَا بَصَرُ النَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ الْيُوقِنُونَ • أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعاً منه وأن يكون وسخر لكم تأكيذاً لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله
ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وأن يكون ما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منه
وقرأ سلة بن محارب منه على أن يكون منه قائل سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك
أوهو منه حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع
الله بأعدائه من قوهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الأوقات التي وقها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز
فيها قبل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل زولها في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفارهم أن يطيش
به وعن سعيد بن المسيب كتابين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما
صنع (لن يجزي) لتليل الأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا لما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ تَوْفِيقِهِمْ جَزَاءَ مَغْفِرَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
(فإن قلت) قوله (قوما) ماوجه تكثيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه
قيل ليجزي أيما قوم وقوماً مخصوصين لصبرهم وإغصائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم
من النقص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر
بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي يثقل بالحق لا ترى الغضب
في وجهي وقرئ ليجزي قوما أي الله عز وجل وليجزي قوم وليجزي قوما على معنى وليجزي الجزاء قوما (الكتاب)
الوراء (والحكم) الحكمة والفقهاء وأفضل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) بما أحل الله لهم وأطاب
من الأرزاق (وفضلائهم على العالمين) حيث لم تزل غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين فأوقع
بينهم الخلاف في الدين (إلا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لغير حدث بينهم ولعداوة
وحسد (على شريعة) على طريقه منهاج (من الأمر) من أمر الدين فاتبع شريعته الثابتة بالذات لا بالحجج ولا تتبع ما لاحظه عليه
من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهو رؤس سافرش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك • ولاتواهم إنما يوال الظالمين
من هو ظالم مثله • وأما الحقون فولهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولائتين (هنا) القرآن (بصائر للناس)
جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحاً وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من
العذاب لمن آمن وأبغى هذه بصائر أي هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمة فيها إنكار الحسان • والاجتراح
الاكتساب ومنه الجوارح وقلان جارية أهله أي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل التمدى إلى مفعولين

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ عِيَالُهُمْ أَمْ لَا عِيَالُهُمْ أَمْ يَمْلِكُونَ . وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلَيَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ . وَمَنْ لَا يُلْظَلُونَ . أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً فَن يَبْصِرُ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ

فأولها الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي (سواء عيالهم ومما لهم) بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت
في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء عيالهم ومما لهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ
سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع عيالهم ومما لهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومما لهم
بالنصب جعل عيالهم ومما لهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء في عيالهم وفي مماتهم والمضى إنكار أن يستوى
المسيئون والمحسنون عيا وأن يستويا مانا لا تفرق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على
ركوب المصائب ومما لهم حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من
رحمة الله والوصول إلى هول ما عاظمه وقيل معناه إنكار أن يستويا في الممات كما استويا في الحياة لأن المسيئين
والمحسنين مستو عيالهم في الرزق والصحة وإنما يفرقون في الممات وقيل سواء عيالهم ومما لهم كلام مستأنف على معنى أن
عيا المسيئين ومما لهم سواء وكذلك عيا المحسنين ومما لهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله
عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح ساء ما يحكون وعن الفضيل أنه بلغها
فجعل يردد ما يبكي ويقول يا فضيل ليت شمرى من أى الفريقين أنت (وليجزى) مفعول على بالحق لأن فيه معنى
التعليل أو على مغلل عنفون تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل به على قدرته وليجزى كل نفس هـ أى هو مطواع
لهوى النفس يتبع ما تدعو إليه فكانه يبعده كما يبعد الرجل إله وقرئ آله هو اله لأنه كان يستحسن الحجر فيبعده فإذا
رأى ما هو أحسن رفضه إليه فكانه اتخذ هو اله شق يبعد كل وقت واحدا منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية
واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه من لا لطف له أو مع عليه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع
اللطائف المحصنة والمقزية (فن يهديه من بعد) إضلال (الله) وقرئ غشاوة بالحرركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح
وقرئ تذكروا (نموت ونحى) نموت نحن ونحيا أولادنا أو نموت بعض ونحيا بعض أو نكون موثا نطقا في الأصلاب
ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا لأمران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ
نحيا بضم النون وقرئ إلا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن ونحنم كانوا يزعمون أن مرور الأيام
والآلئ هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث
إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسروا الدهر فإن الله هو الدهر أى
فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر وقرئ حجبتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وأخبره (فإن قلت) لم سعى
قولهم حجبوا ليس بحجة (قلت) لأنهم أدلوا به كأيدل المحتج بحجته وسأله مسأله فاستجبت حجة على سبيل التكم أولانه في حسابهم
وتقديرهم حجة أولانه في أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجبتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون لهم
حجة البتة (فإن قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحكم) جوابا لقولهم اثوابا بآياتنا إن كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث

(قوله وتركه عن الهداية) تأويل الآية بذلك لتوافق مذهب المعتزلة أنه لا يريد الله ولا يفضله وعند أهل السنة لا يقع في
ماله إلا ما يريد والله خالق كل شيء فلا إضلال خلقه الضلال في القلب (قوله المحصنة والمقزية) يعنى الهداية

رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

سورة الأحقاف مكية

إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمْدَهُ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونَا مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَئِنْ يَأْتِيَهُمْ الْيَوْمَ الْقِيَمَةُ وَمَنْ عَنِ

يعتبر أنهم أي رضوه (فقال الحمد) فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحدوث على كل مر يوب وكبر وقد ظهرت آثار كبرياته وعظمته (في السموات والارض) وحق مثله أن يتكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية سترافه عورته وسكن روحه يوم الحساب

(سورة الأحقاف مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (إلا بالحق) لإخلاقا ملتبسا بالحكمة والفرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهي إليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أُنذروا) من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إندارهم ذلك اليوم (بكتابتهم من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب باق بالثوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتابتهم أحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أتته عليه من عبادة غيره الله (أو إثارة من علم) أوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمعت الناقة على إثارة من شحم أي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ إثارة أي من شيء أو أثرهم به وخصصهم من علم لإحاطة به لتفكيرهم وقرئ إثارة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكن التاء فالإثارة بالكسر بمعنى الإثارة وأما الإثارة فالثمة من مصدر أثر الحديث إذا رواه وأما الإثارة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به (ومن أضل) معنى الاستهتام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء المسيح

(القول في سورة الأحقاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ومن أضل عن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استهتام معناه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام الخ) قال أحمد وفي قوله إلى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المعنى عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لأنهم في القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم أنها من النيات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالتالي حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كالشيء وحده وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالمداوة بالكفر بعبادتهم إياهم فهو من وادى ما تقدمت آنفا في سورة الزخرف في قوله بل تمتعت هؤلاء وآباؤهم حتى جاءهم الحق ورسول

دَعَا نِهِمْ غُفْلُونَ ۖ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ۖ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۖ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَابِتُنَا يَبَيَّنَتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۖ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ إِن أَفَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا

المحب القادر على تحصيل كل نية وسمام وبدون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم حشداً فليسوا في الفارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديتهم وتبعد عبادتهم وإيماناً من وم لأنه أسند إليهم ما يند إلى أول العلم من الاستجابة والغلبة ولأنهم كانوا يصفونهم بالقيز جهلاً وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دونه الله من الجن والإنس والأوثان فطلب غير الأوثان عليها ۖ فري لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغلبة طريق التهمك بها ويعيدتها ونحو قوله تعالى إن تدعوه لاسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات بينات ۖ واللام في (للحق) مثله في قوله وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر والنفق بالحق (لما جاءهم) أي بأدعاهم بالجحود ساعة أنام وأول ما سمعوه من غير إجابة فكر ولإعادة نظر ۖ ومن عنادهم وظلمهم أنهم سمعوا سحراً مبيئاً ظاهراً أمره في البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراء) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى ذكر قولهم إن محمداً افتراء ومعنى الحمزة في أم الإنكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقول ويعتريه على الله ولو قدر عليه دون آفة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخزفها المادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً ولا الضمير للحق والمراد به الآيات (قل إن افتريته) على سبيل الفرض عاجلي الله تعالى لا محالة بمقولة الافتراء عليه فلا تقدرن على كفه عن ما جئني ولا تقبلون دفع شيء من عقابه عني فكيف أقتربه وأتمرض لعقابه يقال فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك غناه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يملك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئاً ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيئاً ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفون فيه من القدح في وحى الله تعالى والطمع في آياته ونسبته سحراً نارة وفرية أخرى (كفى به شهيداً بيني وبينكم) يشهد بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة ويعيد جزمه إفاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فإن قلت) فاسمى إسد الفعل إليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي (قلت) كان فيا أنام به الصيغة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكأنه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك التصح لك

مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنابه كافرون ۖ وقوله تعالى ۖ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراء ۖ الآية (قال في اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا الخ) قال أحد هذا الإضراب في باب مثل الثانية التي قدتها آتفاً في بابها فإنه انتقل إلى موافق لكنه أزيد من الأول فزل بزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص من زلة الثانية كانني والإينات الذين يضرب عن أحدهما الآخر وذلك أن نسبتهم للإيات إلى أنها مفريات أخذ وأبعد من نسبته إلى أنها سحر فأضرب من ذلك الأول إلى ذكر ما هو أغرب منه ۖ قوله تعالى ۖ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ۖ (قال فإن قلت ما معنى إسد الفعل إليهم الخ) قال أحد فيه نظر من قيل أن الكلام جرى فرضاً وتقديراً ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره

مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِكَ وَلَا يَبْكِ أَنْ تَتَّبِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ - إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فأتفنون عن أيها المنصوحون إن أخذني الله بقبولة الأفراد عليه . البدع بمعنى البدع كالخلف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أي ذابح ويجوز أن يكون صفة على فعل كقول من قيم ولم يزم كانوا يفتخرون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فأنيك بكل ما تفتخرون به وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المخفيات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما أتاهم الله من آياته لا يخبرون إلا بما أوحى إليهم وقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون قال بال القرون الأولى بقوله عليها عندني (وما أدري) لأنه لا علم بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فبما يستقبل من الزمان من أمثاله ويقتدر لي ولكم من ضماياه (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمرى وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والغلوب وعن الكلبي قاله أصحابه وقد حضروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلا أنكم أتوا بالخرق إلى أرض قد رفعت في ورايتها في تمامه ذات غيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله وليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وما يجوز أن يكون نفيًا للدرية المفصلة فترى ما يفعل بفتح الياء أي فعل الله عز وجل (فإن قلت) إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم (قلت) أجل ولكن النبي في ما أدري لما كان مشتملا عليه لتأوله ما موافق حيزه صح ذلك وحسن الاترى إلى قوله . أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يبي خلقهن بقادره كيف دخلت الياء في حيزه وذلك لتناول النبي إياها مع حيز جهادها وما في ما يفعل ويجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة . وقرئ يوحى أي الله عز وجل . جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله كترجمه بالسلم الظالم ويدل هذا المحذوف قوله تعالى . إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، والشاهد من بني إسرائيل عبادة بن سلام لما قدم رسول صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فلم أنه ليس بوجه كذاب وأتته فصحق أنه هو النبي المنتظر وقال له إنى سأتلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراف الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وبال الولد ينزع إلى أيه أو إلى أنه قال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراف الساعة فأن تحشم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد

فصح فإن التصح عبارة عن الدماء إلى ما فيه تقع ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن إلا أن يكون مأمورا به من الله تعالى ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير فإذا لا يتصور نصح مع الإقرار وإنما يتم هذا الذي قرره على قاعدة المعذلة للقاتل بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى لأنه إذا أمر بإطاعة من الطاعات كالترديد مثلا وقال إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأمر رسول الله إليكم ولم يكن متوقفاً عنه في الأمر بالتوحيد لأن العقل دل على وجوبه وعدم وإن كان مغفياً في دعوى كونه رسولاً من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدتها الأدلة القاطمة فحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد العقل لم على معنى التنبيه بالشئ على مقابلة بطريق المفهوم فالعقل إذا إن كنت مغفياً بالقبولة واقعة في لادخولها عن فهمه وإن كنت مغفياً وأتم مفترقون بالقبولة واقعة بكم لا أدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى . قل إن أفترت فقل لي إجماعي وأنابري عما تهمرون ، وأمثلة كثيرة والله أعلم . قوله تعالى . وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، (قال أجود ما ذكره في حمله على الدرية المفصلة يربذلك أن تفصيل ما يصير إليه من خير ويصيرون إليه من شر إلى آخره) قال أحمد بن علي أن الجور معطوف على مثله وأنهما جئما في صلة موصول واحد ولو قيل إن الجور الثاني من صلة موصول معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم لكانت لا واقعة بمكانة غير مفترقة إلى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفاصيله كثير قومه فن هجر رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء . يريده حسن رضي الله عنه أفن هجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء (قوله ولحم زيم) في الصحاح اللحم الزيم المتفرق ليس مجتمع في مكان فيدنف وفيه أيضاً بدن الرجل يبدن إذا ضخم ومن

كَانَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَائِمٌ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِلَهُكَ

فإذا سبق ماء الرجل زرعه وإن سبق ماء المرأة زرعته فقال شهادتك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله إني أريد أن أهدى القوم وإن علموا إلى سلاحي قبل أن تسألم عني بهتوني عندك فجات اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرايتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذة الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه زول (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو مافى التوراة من المماثلة المطابقة في القرآن من التوحيد والوحد والوحيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وإنه لفي ذر الأثرين إن هذا لفي الصحف الأولى كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتهم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله (فإن قلت) أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الأولى عاطفة لكفرتهم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتهم به وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفك جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قَائِمٌ واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتهم به ونظيره قولك إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عني لم تنفق في أنك أخذت ضيقتين فطعنتهما على مثلهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على زول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألسن أهل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان في قوله قَائِمٌ مسيئاً عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد علته واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك (الذين آمنوا) لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عاقبة من يتبع محمد السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيراً ما سبنا إليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهنة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأنجم لو كان خيراً ما سبنا إليه رعاء الله وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفرتم يقول لو أني قترت لردتكم ضرباً وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعوا إليه محمد حقاً ما سبنا إليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه ۝ (فإن قلت) لابد من عامل في الظرف في قوله (وإذا لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فيقولون) وغير مستقيم أن يكون فيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلتا المعنى والاستقبال فصار وجه هذا الكلام (قلت) العامل في (وإذا لم يهتدوا به) دليل على الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حيث الآن وتقديره وإذا لم يهتدوا به ظهر عندهم فيقولون هذا إلهك قديم فهذا

هو قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتهم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قَائِمٌ واستكبرتم (قال) فيه إن قلت أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم (الخ) قال أحد إن ما لم يوجه المعطوف إلى جهة واحدة لأن التفصيل قد يكون عطف بمجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك في الآيتين لمجد به عبداً هو قوله تعالى وإذا لم يهتدوا به فيقولون هذا إلهك قديم (قال) فيه لابد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه (الخ) قال أحد إن لم يكن مانع من عمل فيقولون في الظرف إلا تأنق دلتا

(قوله بهتوني عندك) ترموني بما ليس بي

قَدِيمٌ هـ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا عَرِيَّا لِنَبِيِّ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَى
لِلْمُحْسِنِينَ هـ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ هـ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هـ وَوَعَيْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرهًا وَوَضَعَتْهُ كَرهًا

المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فيقولون مسياً عنه كما صح بإظهار أن قوله حتى يقول
الرسول لمصادقة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (إفك قديم) كقولهم أساطير الأولين (كتاب موسى) مبتدأ
ومن قبله ظرف واقم خبراً مقدماً عليه وهو ناصب (إماماً) على الحال كقولك في الدار زيد قائماً وقرئ ومن قبله
كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماماً قدوة يؤتم به في دين الله وشراؤه كما يؤتم بالإمام (ورحمة)
لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب
وقرئ مصداقاً لما بين يديه (ولساناً عربياً) حال من ضمير الكتاب في مصدق والمعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب
عن كتاب لتخصيصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة ويجوز أن يكون مفعولاً لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو
الرسول هـ وقرئ ولينذر بالياء والثاء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر (ويشري) في محل التنبه معطوف على محل لينذر
لأنه مفعول له هـ قرئ حسناً بضم الحاء وسكون السين وبعضهما وبضمهما وإحساناً وكراً بالفتح والعزم وهما لفتان
في معنى المشقة كالفرق والمقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملاً ذا كره (ورحملة وفصالة)
ومدة حملة وفصالة (ثلاثون شهراً) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز
وجعل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت الحمل ستة أشهر هـ وقرئ وفصله والفصل والمصال كالقطع والقطام
بناء ومعنى (فإن قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا الطعام فكيف عبر عنه بالفصل (قلت) لما كان الرضاع بابه الفصل
ولا يلبس لأنه ينتهى به ويتم سعى فصلاً كما سعى المدة بالأمد من قال

كل حى مستكمل مدة الممر ومود إذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلغ الأشد أن
يكتمل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وصفه وتميزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة
ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغاية الأربعين وقيل لم يعش نبى قط إلا بعد أربعين سنة هـ

المضى والاستقبال فهذا غير مانع فإن الاستقبال هنا إنما خرج عجز الإشعار بدوام ما وقع ومعنى لأن القوم قد حرموا
الهداية وقالوا هذا إفك قديم وأساطير الأولين وغير ذلك فمضى الآية إذا وقالوا إذا لم يتدبره هذا إفك قديم ودأبوا
على ذلك وأصرروا عليه فبهر عن وقوعه ثم دأبوا بصيغة الاستقبال كما قال إبراهيم إلا الذى فطرنى فإنه سيدى وقد
كانت الهداية واقفوا مضاهية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دأبوا فبهر بصيغة الاستقبال وهذا طريق الجمع بين قوله سيدى
وقوله فى الأخرى فهو يهين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذى ذكرته هو الوجه ولكن الفاء المسبية دلت
بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقدير
عاملاً أمران مصادقة الظرف للعامل والفعل المحلل لملته فتمين ما ذكره الزحشرى لأجل الفاء لالتفاف الدلائل والله
أعلم هـ قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً (أجاز في نصبه أن يكون حالاً عن كتاب لتخصيصه بالصفة قال أحد وجهان
حسنان أعزهما بآلئك هو التنبه على الاختصاص وهذه الوجوه فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا وإنا علم

(قوله وآتينا الذين من قبله) لعله الذين قبله (قوله كالفرق والفرق وانتصابه) فى الصحاح والفرق لغة فى العفر كالضعف
والضعف (قوله ومود إذا انتهى أمده) أى هالك أقاده الصحاح

وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ اأَشَدَّهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اأَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ هـ
أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَعْمُولًا وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ هـ وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ اأَعْدَاتِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِئَانِ

والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليها نعمة عليه هـ وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الحسنة هـ (فإن قلت) مامعنى قوله (وأصلح لي في ذريتي) (قلت) معانان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظلة له كأنه قال مهبل الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه هـ يجرح في عراقهنا فصل (من المسلمين) من المخلصين هـ وقرئ يقبل ويتجاوز بفتح الياء الضمير فيما والله عز وجل وقرئ بالبون (فإن قلت) مامعنى قوله (في أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه يريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمي في عدادهم وعله انصب على الحال على معنى كاتنين من أصحاب الجنة ومدودين فيهم (وعد الصادق) مصدر مؤكد لأن قوله يقبل ويتجاوز وعدمن الله لم يقبل والتجاوز وقيل زلت في أبي بكر رضى الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأَنْصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناؤه غير أبي بكر (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال المجلس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجوعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبيت وعن قتادة هو نعمت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل زلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأقب بهما وقال ابشوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهدوا بإطلاقه أن المراد بالذي قال جنس القائنين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضى الله عنها إنكار نزولها فيه وسين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بآهرة فقله تبايعون لأبائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكافسعت عائشة فضضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميته

هـ قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي (قال فيه فإن قلت مامعنى في هنا وأجاب بأن المراد جعل ذريته الخ) قال أحد ومثله قوله تعالى إلا المرتدة في القربي عولا عن قوله إلا مودة القربي أو المودة للقربي والله أعلم هـ قوله تعالى والذي قال لوالديه إلى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم أن المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبي بكر الخ) قال أحد ونحن نختر أن المراد المجلس لا عبد الرحمن بن أبي بكر ولكننا لا نختر الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فإن له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمه ومثله ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا إنه من كيد كنان كيد كنان عظيم غاطها وخاطب أمتها والمقصودة هي وقد عاد إلى خطابها خصوصا بقوله واستغفر لي ذنبي إنك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ما ذكره العنقري ثانيا فقال إن الذين حق عليهم القول هم المخلصون في النار في علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفضل المسلمين وسرواتهم ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بآهرة فقله تبايعون لأبائكم فقال مروان أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فضضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في

أَللهُ وَيَبْلُغُ آمَنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ • أَوَلَيْسَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ • وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَعْمَعُلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ • وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ • وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَلْيَومِ

ولكن الله لمن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لمة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأنيف لكما خاصة ولا جلكا دون غيركما وقرئ أتمداتي بنونين وأتمداتي بأحدهما وأتمداتي بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتمداتي بفتح النون كأنه استقل اجتماع التنوين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريفاً للتخفيف كتحراء من أذغم ومن أطرأ أحدهما (أن أخرج) أن أيسأ وأخرج من الأرض وقرئ أخرج (وقد دخلت القرون من قبل) يعني ولم يبعث منهم أحد (يستثيان الله) يقولان القياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (وبلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتعريض على الإيمان لاحقيقة المهلاك (في أم) نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات معامعوا) أي منازل ومراتب من جزاء معامعوا من الخير أو الشر ومن أجل معامعوا منهما (فإن قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار درجات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتغال كل على الفريقين (وليوفهم) وقرئ بالنون لتعليل معمله بخنوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم لجعل الثواب درجات والمعقاب درجات ناسب الطرف هو القول المضمر قبل (أذنبتم) وعرضهم على النار لتذبيهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها وقبلوا عليها وتسلم ابن عباس رضى الله عنه بجاههم اليها فيكشف لهم عنها (أذنبتم طياتكم) أي ما كتب لكم حظ من الطيات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبت به وأخذتموه فلهي لمكم بعد استيفاء حطكم شيء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لدعوت بصلاتك وصناب وكرأكر وأسمنة ولكني رأيت الله تعالى نبي على قوم طياتهم فقال أذنبتم طياتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكتبت أطيكم طما وما أحسنكم لباساً ولكني استيق طياتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغترو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويفدى عليه بجنفة ويروح عليه

صلبه فأنت فضض من لمة الله اه كلامه (قلت) وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنس لا يعصم لانه لا يعامل معاملة الجمع لاقى الصفة ولا في الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذي الواقع جنساً جاء على نعمت خبر المجموع كما رأيت والله أعلم • قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذنبتم طياتكم في حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار) آمن قولهم عرض بنو فلان على السيف (الخ) قال أحمد بن كان قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوباً فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوباً لأن الملقب ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جراد لا إدراك له والناقة هي المدركة فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فتدردت التصوص بأنها حيث تدرك إدراك الحيوانات بل إدراك أولى العلم فالأمر في الآية على ظاهره كقولك عرضت الأسرى على الأمير والله أعلم

(قوله فأنت فضض من لمة الله) في الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض وفي الحديث أنت فضض من لمة الله يعني ما انفص من لفظة الرجل وتردد في صلبه (قوله) ومن أجل معامعوا منها) لعله أومن أجل (قوله بصلاتك وصناب) في الصحاح الصلاتك الخبز الرقيق والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب والكركرة رحي زور البعير والزور أعلى الصدر اه أخذنا من مواضع

يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۚ وَإِذْ كُنَّا أَعْدَادُ
إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۚ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
عِنْدَ اللَّهِ وَابْلَغْكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ۚ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا
عَارِضٌ مُعْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ

بأخرى ويستريح يده كأنه استريح الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمة الاستفهام وأذهبتم
بألف بين همزتين ه الهون والهوان وقرئ عذاب الهوان ه وقرئ يفسقون بضم السين وكسرهما الأحقاف جمع حقف
وهو رمل مستطيل من ارتفاع فيه أعنابه من أحقوق الشيء إذا أعوج وكانت عاد أصحاب عديسكون بين رمال مشرفين
على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (والنذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار
(من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هوداً عليه السلام قد أنذرهم
فقال لهم لا تعبدوا إلا الله إلى أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم
منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه يبنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين يبعثون في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا
التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلعت النذر بقوله إنه ذوقوه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلعت النذر من بين يديه ومن
خلفه اعتراضاً بين أنذرهم وبين (الأتعبوا) ويكون المعنى وإذا كرر إنذاره ذوقوه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذرهم
تقدمه من الرسل ومن تأخره مثل ذلك فإذا ذكر الإفك الصرف يقال أفكك عن رأيه (عن آل هنتا) عن عبادتنا (بما تعدنا)
من معالجة العذاب على الشرك (إن كنت) صادقاً وعدك (فإن قلت) من أن يوافق قوله تعالى (إنما العلم عند الله) جواباً لقوله
فأتيناكم تعدنا (قلت) من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال
لهم لا علم عندى بالوقت الذى يكون فيه تمذيبكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه
في وقت عاجل فتقرحونه أنتم ومعنى (وابلغكم ما أُرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذى هو شأني وشرطي أن أبلغكم
ما أُرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لخطأ الله بجهدى ولكنكم جاهلون ولا تعلمون أن الرسل
لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أنزلهم فيه (فلما رآوه) في الضمير وجهان أن يرجع إلى تعدنا وأن
يكون مبهماً قد وضع أمره بقوله (عارضاً) إما تمييزاً وإما حالاً وهذا الوجه أعرب وأفصح والمراد بالعارض السحاب الذى
يعرض في أفق السماء ومثله الحى والغمان من جبال إذا عرض وإضافة مستقبل ومطر مجازية غير معرفة بتدليل وقوعهما
وما مضافان إلى معرفتين وصفاً للتكرار (بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من
قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هو ربح أى قال الله تعالى قل (تدمر كل شيء) تهلك من قوس عاد
وأموالهم الجمل الكثير فغير عن الكثرة بالكيفية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا هلك (لا ترى) الخطاب للراى
من كان وقرئ لا يرى على البناء للفعل بآلاء والهاء وتأويل القرأة بالهاء وهى من الحسن رضى الله عنه لا ترى بقايا ولا
أشياء منهم إلا ما سكنهم ومنه بيت ذى الرقة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليس بالقوية وقرئ ألا ترى إلا
مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم وروى أن الربيع كانت تحمل القسطاط والطنية ترففها في الجوف حتى ترى كأنها جردة
وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كسبب النار وروى أول ما عرفوا به أنه هذاب أنهم
رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواسمهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم

إِلَّا مَسْكَنُهُمْ كَذَلِكَ يَجْزَى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ • وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ مَمَازِيْرًا
وَأَقْنَدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَسْكَنُهمْ وَلَا أَمْشِرُهُمْ وَلَا أَمْشِرُهُمْ وَلَا أَمْشِرُهُمْ • إِذْ كَانُوا يَمْجِدُونَ بِتَأْيِتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا يَسْتَهْزِءُونَ • وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حولَكُم مِّن الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • فَلَوْلَا نَصْرُ

فعلت الريح الأرباب وصرعهم وأمال الله عليهم الأحاف فكانوا تحتها سبع لال وثمانية أيام لم أنين ثم كشفت
الريح عنهم فاحتلمتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هوداً لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب
عين تبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود
وتلذذ الأتس وأنها تمر من عاد بالظن بين السماء والأرض وتدمتهم بالحجارة وصرأني صلى الله عليه وسلم أنه كان
إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إلى أسألك خيراً وخيراً ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا
رأى غيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد
حيث قالوا هذا عارض مطرنا (فإن قلت) ما فائدة إضافة الرب إلى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أفعاليها
يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكبر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعصد ذلك ويقويه
(أن) نافية أي فيما مكنناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما فيه جماسة مأمثلة من التكرير المستبشع ومثله تجنب الأتري
أن الأصل فيهما ما غلبشاه التكرير قبلوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله • لعمرك ما مابان منك لضارب • وما
ضربه لو اتقى يعذوبة لفظ التنزيل ضال لعمرك ما إن بان منك لضارب وقد جعلت أن صلة مثلاً فيها أنشد الأخص
يرجى المرء ما إن لا يراه • وتعرض دون أدناه الخطوب • وتقول بأننا مكنناكم في مثل ما مكنناكم فيه والوجه هو الأول
ولقد جاء عليه غير آية في القرآن أحسن أنا ورتنا كانوا أكثر منهم واشد قوة وأثاراً وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث
على الاعتبار (من شيء) أي من شيء من الأغاء وهو القليل منه • (فإن قلت) بم انتصب (إذ كانوا يمجدون) (قلت) بقوله
تعالى فما أغنى (فإن قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربه لإسأته وضربه
إذا أسأله إذا ضربه في رفقت إسأته فإما ضربه فيه لوجود إسأته فيه إلا أن إذ وحيث غلبت دون سائر الظروف في ذلك
(ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجير ثمود وقرية سدوم وغيرهما المراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون)

• قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكنناكم فيه الخ (قال أحمد بيت المتن ليس كما أنشده وإنما هو كما يروى :

لعمرك أن ما بان منك لضارب • بأقتل مما بان منك لغائب

ولا يستقيم إلا كذلك لأن قبله • هو ابن رسول الله وابن صفيه • وشبههما شهيت بعد التجارب

من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي ولو أنى أبو الطيب عوض ما بان لجاء البيت

يرى أن إن ما بان منك لضارب • وهذا التكرار اتفق من تكرر ما يلا مراد وإنما فائدة الزخشي وأزومه استعمال

أن عوض ما لا اعتقاد أن البيت كما أنشده • لعمرك ما ما بان منك لضارب • بأقتل مما بان منك لغائب

ولو عوض إن عوض ما كما أصلحه الزخشي لم دخول الباء في خبرها وإنما تدخل الباء في خبر ما بالحجازية العاملة وإن

لا تعمل عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء في خبرها فما عدل المتن عن ذلك إلا لتفرد عليه من كل وجه

على أن لا يرى المني من التجرف فإنه كان مغرى به مغرماً بالغريب من النظم وتقل الزخشي في الآية وجهاً آخر

وهو جعلها صلة مثلاً في قوله • يرجى المرء ما إن لا يراه • وتعرض دون أدناه الخطوب • قال ويكون معناه على هذا

مكنناهم في مثل ما مكنناكم الخ (قلت) واختص بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد قوة أولم يروا أن الله الذي

(قوله ولقد أغث أبو الطيب) في الصحاح أغث أي ردو وقد قول أغث الرجل في منطقة

الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ • وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ • قَالُوا يَتَّبِعُونَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ •

القرآن ما يقرب به إلى الله تعالى أى اتخذهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الرجاء إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلانته لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى هؤلاء منهم من الملاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أى غابوا عن نصرتهم (وذلك) إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وطلابهم وطلابهم عنهم أى بذلك أثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياها آلهة ثمرة شرهم وافتراءهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والإفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك إفكهم أى وذلك الاتحاد الذى هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ إفكهم على التشديد للبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أى قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الإفك (صرفنا إليك نفرا) أمتلأهم إليك وأقبلناهم نحوك وقرئ صرفا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة وجمعهم أنفارا وفى حديث ابن ذر رضى الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارتنا (فلا حضروه) الضمير (للقرآن) أى فلما كان يسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمضد قراءة من قرأ فلما قضى أى أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) استكنوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستصت له وروى أن الجن كانت تسمع تسرق السمع فلما حست السماء ورجوا بالثب قالوا ما هذا إلا لئلا يحدث فضض سبعة نفر أو تسعة من أشرف جن نصيين أو ينوي منهم زبوة فضربو حتى بلغوا تهامة ثم اندفدوا إلى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أوفى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستصرم فلم يجيبوه إلى طلبه وأغروا به سفها وقيف وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ماقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا آرام وإنما كان ينلوا فى صلاته فروا به فوقوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فن يبعثنى فلما ثلاثا فأطرقوا لإعبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فأنطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون غلطى لى خطأ وقال لا تخرج منى حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لفظا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيت أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انطلقوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستغرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة

خلطهم هو أشد منهم قوة وقوله مكانهم فى الأرض مالم تمكن لكم • قوله تعالى فلولا نصرم الذين اتخذوا من دونه الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولى اتخذ الرجاء إلى الموصول محذوف الخ) قال أحد لم يبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب ونحن ننبه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى إلى أنهم وبجوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لأن السيد إذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيدي دونى فأبنا معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره وليس هذا المقصد فإن الله تعالى يقرب إليه ولا يتقرب به لغيره فأبنا وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى فكان حتى

(قوله اتخذ الرجاء إلى الذين المحذوف) هو الذى أبرزه فى قوله أى اتخذهم (قوله وذلك مما كانوا يفترون) لعله ما كانوا (قوله فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعله فوافرا (قوله مستغرى ثياب بيض) قوله مستغرى الخ فى القاموس الاستتار أن يدخل إزاره بين غلظه ملوبا وإدخال الكلب ذنبه بين غلظه حتى يلزقه بطنه اه

سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : مدنية

إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بَأَنَّ

التبليغ قراءة من قرأ بلغ قول يهلك وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وقصها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين هن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بمد كل رملة في الدنيا

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية وقيل ثمان (بسم الله الرحمن الرحيم) وصنوا وأعرضوا وامتنوا عن الدخول في الإسلام أو صنوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنه هم المطمعون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصنون الناس عن الإسلام وبأمر ونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصنوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصن (أضل أعمالمهم) أبطلها وأحطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي مضيئة لارب لها يحفظها وبعثي مأمرا أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوقة بها كما يضل الماء في اللين وأعمالمهم ماعلوه في كفرهم كما كانوا سموه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرئ الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ماعلوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصدع سبيل الله بأن نصره عليه أو أظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قرش وقل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام (وآمنا) بما نزل على محمد) اختصاص الإيمان بالذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الإيمان تعظيما لشأنه وتعليلاً لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى سالمهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسلط على الدنيا بما أعطاهم من القوة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو لا الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كاذب بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوباً على هذا مرفوعاً على الأول

(القول في سورة محمد عليه الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى الذين كفروا وصنوا عن سبيل الله أضل أعمالمهم ، (قال معناه جعلها كالضالة من الإبل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثاني حسن متضمن لما في مقابلة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات تمثال كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم وتغدير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي حتى صار صالحهم مستهلكاً في غمار سيئهم ومقابلة المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفراً محضاً في جنب صالح أعمالهم وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيئهم أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى كذا يكسر يضرب الله الناس أمتهم ، والله أعلم

الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ .
فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ قَائِمًا مَنًّا بَدْوًا وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ

(والباطل) ما لا يتبع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (وكذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (فإن قلت) أين ضرب الأمثال (قلت) في أن جعل اتباع الباطل مثالا لعمل الكفار واتباع الحق مثالا لعمل المؤمنين أوفى أن جعل الإضلال مثالا لحية الكفار وتكفير السيئات مثالا لفوز المؤمنين (لقيم) من القاء وهو الحرب (ضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا لخفف الفعل وقدم المصدر فأنبأنا مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالصيغة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأجزاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير ربة فلان وضرب عقبة وعلوانه وضرب ما فيه هيناء إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر مما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كاذكرنا في قوله بما كبست أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حنق العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه وتقدرا في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الأكتاف واضربوا منهم كل بنان (أنتحتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أنتحتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبت عنهم النبوض (فشدوا الوتاق) فأسروهم والفتح الكسر اسم ما يوثق به من أوثاقه منصوبان بفعلهما مضمرين أي فأتاحتهم منا وإما فتقون فداء والمفعول التخيير بعد الأسر بين أن يتنصروا لهم فيقتلهم وبين أن يفادوهم (فإن قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أنا عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم إسماعيل رأى الإمام ويقولون في المنة والقداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وإنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمنة أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادي بأسارى المشركين فقد روى الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لأعمال ولا بغير خيفة أن يعودوا حربا للسلبيين وأنا الشافعي يقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للسلبيين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمنه ويحجج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبي عروة المجبى وعلى بن أمثال الحنفي وقادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء أوزار الحرب آلتها وأقوالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع قال الأعشى :

وأعدت الحرب أوزارها • وما عا طولا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جزائها فكأها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأها وضعتها قبل أوزارها آلتها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلبوا (فإن قلت) حتى يم تملقت (قلت) لا تخفوا إيمانكم بالضرب والشذو بالمنة والفداء فالمنة على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة وقيل إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشدة فالمنة أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين وإذا علق بالمنة والفداء فالمنة أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدو أوزارها

(قوله وضرب ما فيه هيناء) له كناية عن رأسه أو عن وجهه (قوله لما فيه من تصوير القتل) له لما فيها

(قوله وهو القتل والاسترقاق) له وهو

الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ • سَيُجْزِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ • وَيدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ • يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَصَرَّوْا اللَّهُ يَنْصُرَكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَا هُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ • ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْجَبَ أَعْمَالَهُمْ • أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ • إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَأَنَّهُمْ لَا تَنْتَهَى النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ •

إلا أن تأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أى الأمر ذلك أو أفعلا ذلك (لا تاتصر منهم) لا تاتمر منهم بعض أسباب الهلاك من خفف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليلو المؤمنين بالكافرين بأن مجاهدوا ويصبروا حتى يستوجوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يماجلهم على أيديهم بعض ماوجب لهم من العذاب • وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا • وقرئ قتل بضم القاف وتضل أعمالهم على البناء للفعول وبضم القاف وتضل أعمالهم • (عرفها) علمها • (أعلمها) علمها • وبينما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يندى أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطون كأهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل إن الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيفره كل شئ أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفى كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كنوح القمارى أو حدها لهم الجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرضها والعرف والأرف الحدود (إن تصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوك ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على حجة الإسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابداء والنصب بما يفسره (تتسالم) كأنه قال أتمس الذين كفروا • (فإن قلت) هلام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذى نصب نعتا لأن المعنى فقال تتسالم أو تقضى تتسالم وتتسالمه تقضى لعله قال الأعمش • بالتمس أولى لها من أن أقول لها • يريد فالتمس والاضططاد أقرب لها من الالتماس والثبوت وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردد فى النار (كروا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكليف والأحكام لأنهم قد اتوا الإهمال وإطلاق التمان فى الشهوات والملاذفت عليهم ذلك وتماطلهم • دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يخص به المعنى دمر الله عليهم ما يخص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو لسنه لقوله عز • وعلا سنة الله فى الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرم وفى قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أهل هبل فنادى المسلمون الله أهلى وأجل فنادى المشركون يوم يوم والحرب بهمال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتل مختلفه أما قتلنا فأجاء برزقون وأما قتلكم فى النار فيذبون (فإن قلت) قوله تعالى وردوا إلى الله مولا هم الحق ناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) يتفنون بمتاع الحياة الدنيا أيا ما قاتل (ويأكلون) غافلين

(قوله عزف كنوح القمارى) العزف الغناء والقمارى جمع قمرى اسم طيور العود والقمارى منسوب إلى موضع يلاذ المند فاده الصحاح

وَكَانَ مِنْ قَرِيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيَّتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَمْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِّن رَّبِّهِ كَذَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ

غير مفكرين في العاقبة (كما تأكل الأنعام) في مسارحها ومعافها غافلة عما هي يصده من النحر والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام ۖ وقرئ وكان بوزن كاعن ۖ وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أملككم) كأنه قال لو كن من قومهم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلككم ۖ ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك ۖ (فإن قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وإنما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلككم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا) للحمل على لفظ من ومناه ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالده في النار (قلت) هو كلام في صورة الإثبات ومعنى الثبوت والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله تعالى أفن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالده في النار أى كمثل جزاء من هو خالده في النار (فإن قلت) فلم عرى من حرف الإنكار وما فائدة التورية (قلت) تورية من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكبرة من يستوى بين المتمسك بالبينية والتابع لهواه وأنه بمنزلة من ثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل أفرح أن أرزأ الكرام وأن ۖ أورت خودا شصا صبا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام وورائة الذود مع تورية عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أنفرح بموت أخيك وبورائة إليه والذي طرح لاجله حرف الإنكار إرادة أن يصور فيج ما أزن فكأنه قال له نعم مثل يفرح بمزاة الكرام وبأن يستبدل منهم خودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار ومثل الجنة صفة الجنة الجميلة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالده فيها أنهار داخل في حكم العلة كال تكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلنا قال وما مثلها قتل فيها أنهار وأن يسكون

ۖ قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام في صورة الإثبات ومعناه الثبوت الخ) قال أحمد كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية فلم أر أظلي ولا أحلى من هذه التثنية التي ذكرها لا يعوزها إلا التثنية على أن في الكلام محذوف لا بد من تقديره لأنه لامعادلة بين الجنة وبين الخالدين في النار إلا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كنهاته ۖ ومن هذا النقط قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فإنه لا بد من تقدير محذوف مع الأول أو الثاني ليتعادل القسيان وهذا الذي قدرته في الآية بنطق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسبئية والراكب للهوى بعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين وهو من وادى تنظير السوء بنفسه باعتبار حالتيه إحداهما أوضح في البيان من الأخرى فإن المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة بالمنع للهوى هو المعذب في النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولا وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

(قوله وكان بوزن كاعن) في الصحاح كأن معناها معنى كفي الخبر والاستفهام وفيها لغتان كأن مثال كمين وكان مثال كاعن اه (قوله ما أزن به) أى أنهم آفاده الصحاح (قوله خودا يقل طائله) لأن الشصا صص قليلات اللين والليل الكبار من الإبل والصغار منها أيضا فهو من الإضداد آفاده الصحاح (قوله هي فيها) لعله أى هي فيها

وَأَنْهَرُ مَنْ لَيْنَ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مَنْ خَرَّ لَذَّةُ اللَّشَرِّينَ وَأَنْهَرُ مَنْ عَسَلَ مُصْقَى وَلَمْ يَهْمُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى
إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنَذَا أَوَلَسَّكَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا
أَمْرَ آدَمَ • وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَهَاطَهُمْ قُلُوبُهُمْ • فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ
أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ • فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

في موضع الحال أى مستغزة فيها أنهاروى قراءة على رضى الله عنه أمثال الجنة أى ماصفاتا كهفت النار • وقرئ أسن
يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه ورجحه وأنشد يزيد بن معاوية

لقد سقنى رصابا غير ذى أسن • كالسك فت على ماء الناقية

(من لين لم يتغير طعمه) كما تغير ألوان الدنيا فلا يمود قارصا ولا حاذرا ولا مايكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذة
وهو اللذيد أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الحر والرفع على صفة الأنهار والنصب على الملة
أى لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا اللذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات
الحر (مصقى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميا) قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وإنما زت
فروة رؤسهم فإذا شربوه قطع أمعائهم • هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون
كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالأهانا ومنهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة
الاستهزاء وقيل كانت يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للسبأ وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن
ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (أنا) وقرئ أنا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت
الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال فى أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وأنهم قوام) أعانهم عليها
أو أنهم جزء قوامهم وعن السدى بين لهم ما يتقون وقرئ وأعظام وقيل الضمير هم زادهم لقول الرسول أو الاستهزاء
المنافقين (أن تأنيهم يدل اشتغال من الساعة نحو أن تطوم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأنيهم
بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهى فى مصاحف أهل مكة كذلك (فإن قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله
فأنى لهم ومعناه أن تأنيهم الساعة فكيف لهم ذكرهم أى تذكرهم وأما طعومهم إذا جاءتهم الساعة يعنى لا تنفعهم الذكر
حيث كقولهم تعالى يومئذ ينذكر الإنسان وأنى له الذكرى (فإن قلت) بهم يتصل قوله (فقد جاء أشرطها)
على التمراتين (قلت) بآيات الساعة اتصال الملة بالمعول كقولك إن أكرمى زيد فأنا تحقيق بالأكرام أكرموا الأشرط
العلامات قال أبو الأسود فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيتنا • فقد جعلت أشرط أوله تدور

وقيل بمبت محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها واشتقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال
والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللثام • وقرئ بئنة بوزن جربة وهى غريبة لم ترد فى المصادر
أخنها وهى مروية عن أبى عمرو وما أخوفى أن تكون غلطة من الراوى على أبى عمرو وأن يكون الصواب بئنة بفتح
النين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم • لم يذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا حلت أن الأمر كما

(قوله ولا حاذرا ولا مايكره) لعله محذوف وأصله حاذر بالزاي وفى الصحاح الحاذر اللبن الحامض (قوله وقرئ
أنا على فعل نصب على الظرف) لعله بالضم (قوله بئنة بوزن جربة وهى غريبة) فى القاموس الجربة حركة مشددة جماعه
الحراء وفى الصحاح الجربة بالفتح بئنة وتشديد الباء العامة من الحير وفيه أيضا العامة القطيع من حر الإحش

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَوَلُّكُمْ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ قَالُوا لَهُمْ . طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ قُلُوا صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ . فَعَلَّ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ . أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

ذكر من سادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء ثابت على ما أنت عليه من السلم بوحانية الله وعلى التواضع وبعض النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على ذنبك . والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معاشكم ومتاجرهم ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم وموتاكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم وموتاكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويستغفر وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل السلم قال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإلى قوله ما بقوا إلى مغفرة من ربكم وقال واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فإنه لله خمسة ثم أمر بالعمل بعد . كانوا يدعون الحرس على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) في معنى الجهاد (فإذا أنزلت) وأمرها فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مينة غير متعاطية لا تخجل وجهها إلا لاجوب القتال وهن قادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المتأقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثه لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم نسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين في قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أي شخص أبصارهم جينا وهلما وغيظا كما ينظر من أصابه الغشية عند الموت (قأول لهم) وعيد بمعنى قول لهم وهو أفضل من الول وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يلهمهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف (فإذا عزم الأمر) أي جد والعزم والجهد لأصحاب الأمر وإنما يستندان إلى الأمر إسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور (قلوا صدقوا الله) فيما زعموا من الحرس على الجهاد أو قلوا صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه السنتهم . عسيت وعسيت لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من النبية إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد (فإن قلت) ما معنى قول عسيت أن تفسدوا في الأرض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الإفساد (فإن قلت) فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنك لما عهدتمكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرفتمريضكم وروخاة عذكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتهم بلهم لما تبين منكم من الشواهد ولا ح من الخيال (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهاك على الدنيا وقيل إن أعرستم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسسته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتناور

(قوله وحرصوا عليه كاعوا) في الصحاح كاع الكلب يكرع أي مشى على كوعه في الرمل من شدة الحر

قُلُوبَ أَقْفَالُهَا ۖ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَأْزِلَ اللَّهِ سَنُعْطِيكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيِّفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمُشْرِكِينَ بِضُرِّبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْطَبُوا عَمَلَهُمْ ۚ

والتأهب وقطع الأرحام بمقابلة بعض الأقارب بعضا وواد النبات وقرئ وليتم وفي قراءة على بن أبي طالب رضي الله عنه توليت أي إن تولاكم ولاية غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم ۚ وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطع والتقطع (أولئك) إشارة إلى المذكورين (لنهم الله) لإفسادهم وقطعهم الأرحام ففهمه الطائفه وخذلم حتى صموا عن استماع الموعدة وعصوا عن إبطار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين المخلصين الثابتين وأنهم يتشرفون إلى الوسى إذا أبطلوا عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيأبى بينهم بضربهم منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويصنعونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم معنى بل ومهزلة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قتادة إذا والله يجودى في القرآن زاجرا عن معصية الله لئلا يذنبوه ولكنهم أخذوا بالتمسك به فلهذا (فإن قلت) لم نكرت القلوب وأضيفت الأفعال إليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية منهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأفعال فلا نه يريد بالأفعال المختصة بها وهي أفعال الكفر التي استغفلت فلا تفتح وقرئ أقفالها على المصدر (الشیطان سؤل لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقت خبر لأن كقولك إن زيدا عمرو مره به . سؤل لهم سهل لهم ركوب المغالمة من السؤل وهو الاسترخاء . وقد اشتقه من السؤل من لاعله بالصریف والاشتقاق جيما (وأم لهم) ومقدم في الآمال والأمانى وقرئ وأم لهم يعني إن الشيطان يغويهم وأما أنظرهم كقوله تعالى إنما على لم يقرئ وأم لهم على البناء للمفعول أي أهملوا ومدّ في عمرهم وقرئ سؤل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فإن قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو فتنة في التوراة وقيل هم المنافقون ۚ الذين قالوا اليهود ۚ والذين كرهوا مآزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقرينة والضمير لئن أخرجهن لخرجن مكن ۚ وقيل بعض الأمر التنكيز برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للشركيين سنطيمكم في التظاهر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (في بعض الأمر) في بعض ما تأمرون به أو في بعض الأمر الذي يهكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ إسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرافيا بينهم فأضاه الله عليهم ۚ فكيف يعملون وما حيلتهم حيث ذ قرئ توفاهم ويحتمل أن يكون مضيا ومضارعا قد حذف إحدى تاءه كقوله تعالى إن الذي توفاهم الملائكة وهن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة في وجهه وديره (ذلك) إشارة إلى التوفى الموصوف (ما أحبط) الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رضوانه) الإيمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم

ۚ قوله تعالى الشيطان سؤل لهم (قال فيه هو مشتق من السؤل وهو الاسترخاء أي سهل لهم ركوب المغالمة قال وقد اشتقه من السؤل من لاعله بالصریف والاشتقاق جيما) قلت لأن السؤل مهموز وسؤل معتل ۚ قوله تعالى

(قوله وقرئ وليتم) لعله بالبناء للجهول وكذا توليت في قراءة على (قوله وقد اشتقه من السؤل) لعله هنا بالهمز (قوله وقرئ سؤل لهم) لعله بالبناء للجهول (قوله وقيل المانقون الذين قالوا) الثلاثة ذلك بأنهم قالوا ولعل عبارة المفسر الذين قالوا اليهود الخ فلفظ القائلون من زيادة الناسخ سهوا

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ • وَلَوْ تَقَاعَا لَأَرَيْنَكُم مَقَرَهُم بِسِمْهِمْ
وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ • وَلِتَبْلُوَنَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصُورُوا اللَّهُ شَيْئًا
وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْغُلُوا أَعْمَالَكُمْ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وإخراجها لإرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللؤمنين وإظهارهم على فاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم نفل
نفا عليهم (لأدنيا بهم) لعرفنا بهم ودلتناك عليهم حتى تعرفهم بأهانتهم لا يخفون عليك (بسيام) بعلامتهم وهوان
يسمهم الله تعالى بلاملة تملون بها وعن أنس رضي الله عنه ماخى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد هذه الآية
شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيام ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوكهم الناس فناموا ذات
ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا مناق (فإن قلت) أى فريق بين اللامعين في فلعرفتهم ولتعرفهم
(قلت) الأولى هي المناخلة في جواب لو كالتى في لأدنيا بهم كررت في المطفوف وأما اللام في ولتعرفهم فوافقة مع
التون في جواب قسم محذوف (في لمن القول) في نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا إن أطينا من الثواب
ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب وقيل الحسن أن تلحن بكلامك أى تميله إلى نحو من الانحاء ليفضل له صاحبك
كالتبريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكسبا فقها . واللحن يصرفه ذور الألاب

وقيل للخطي لاحق لأنه يبدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكي عنكم وما يخرجه عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب الخبر عنه إن حسنا لحسن وإن قبيحا قبيح • وقرئ يقبوه ونبو يسكون الواو على معنى ونحن نبو أخباركم • وقرئ وليلوكنكم ويعلم ويبلو بالياء وعن التفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبنا فأنك إن بلوتنا فضحتنا وهكت أسناننا وعذبنا (وسيجط أعمالهم) التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لأنهم كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سيجط أعمالهم التي عملوها والمكابد التي نصبوها في مشاقة الرسول أي سيططها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستصرون بها ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطمعون يوم بدر (ولا تبطلوا أعمالكم) أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقولهم تعالى لا ترفضوا أصواتكم فرق صوت النبي إلى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبي المألية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا يضر مع الشرك حمل حزنك ولا تبطلوا أعمالكم فكأنوا يخافون الكبائر على أعمالهم

ولا تبتلوا أعمالكم (قال فيه مناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر مادنون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لأن انقلابها مقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤثر من لده أجر أعظمها نعم يقولون إن الحسنات يذهبن السيئات كما وعد به الكريم جلّ وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ماقتها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لأنهم يقطعون بخلود الفاسق في النار وسلب سمّة الإيمان عنه ومضى خلد في النار لم تنفع طاعاته ولا إيمانه فلي هذا بنى الزغشري كلامه وجلب الآثار التي بعضها موافقة في الظاهر لمعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لأن القاعدة المتقدمة ثابتة قطعاً بأدلة اقتضت ذلك بمشاي كل معتبر في الحل والعقد من مخالفتها فهم اورد من ظاهر مخالفتها وجب رده إليها بوجه من التأويل فإن كان فصلاً لا يقبل التأويل فالطريق في ذلك تحسين الظن بالمقول عنه والتوريك بالنقط على الثقة على أن الآثار المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل ظاهره لأهل السنة فأتاه وأما محل الآية عند أهل الحق فلي أن انتهى عن الإخلال بشرط من شروط العمل وبرك مقتضى بطلانه من أصله لأنه يطل بعد استجماع شرائط الصحة والقول

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ . فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ لَا عَلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَ أَعْمَالَكُمْ . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوَ وَإِنْ تَوَمَّنَا وَتَقَوَّا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ . إِنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ بَيْعِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخْرَجَ أَصْفَانَكُمْ . هَلَا تَمَّ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ كُنْتُمْ مِنْ يَبَخِّلٍ وَمَنْ يَبَخِّلْ فَأَيُّمَا يَبَخِّلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ .

وعن حذيفة ظافروا أن تحيط الكبار أفعالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا قلنا الكبار الموجبات والقواش حتى نزل إن الله لا يغير أن يشرك به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء فكفنا عن القول في ذلك فكننا نخاف على من أصاب الكبار وزجر لمن يصبا وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحط عمله الصالح بعلمه السي وقيل لا تبطلوها بمصبتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالزنا والسمة وعنه بالشك والفاق وقيل بالمعجب فإن المعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القليب والظاهر المومنون (فلا تنهوا) ولا تصفوا ولا تذللوا للموت (و) لا (تدعو إلى السلم) وقرئ السلم وهما المسألة (وأنتم الأهلون) أي الأغلبون الأثرون (والله معكم) أي ناصرهم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتدعوا إذا دعوا نحو قولك ارتبوا العبد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم الهوى أو منصوب لإخمار إن ونحو قوله تعالى وأنتم الأهلون قوله تعالى إنك أنت الأعلى (ولن يترككم) من ورتت الرجل إذا قتلت قتيلًا من ولده أو أخ أو جميع وأحربه وحقيقته أفرده من قريبه أو ماله من الوزر وهو الفرد فشيء إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه يوزر الوزر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرده عنها قلا ونهيا (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم) أي ولا يسألكم جميعا إنما يقتصر منكم على ربع المشركم قال (إن يسألكم فاحكم) أي يجهدكم ويطلب كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الناية في كل شيء يقال أخفاء في المسئلة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحق شاربه إذا استأصله (تبخلوا وبخج أصفانكم) أي تصطفون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديق صلواتكم لذلك وأظهرتم كراهتكم لمقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله هو وجل أي بضعفكم يطلب أموالكم أو البخل لأنه سبب الاضطغان وقرئ تخرج بالنون ويخرج بالياء والثاء مع تصحها ورفع أصفانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا قليل تدعون (لتنفقوا في سبيل الله) قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحكام لبخلتم وكرهتم العطاء وضطفتكم أنكم تدعون إلى أداء ربع المشركم ناسن يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء القرى فلا يتداه ضرر بخله وإنما (يخجل عن نفسه) يقال بخلت عليه وهو وكذلك ضنت عليه وهو ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه فهو التي الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وقرركم إلى الثواب (وإن تولوا) معطوف على وإن تومنون وتقفوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين ههنا كقوله تعالى « ويات بخلق جديد » وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار

(قوله قلنا الكبار الموجبات) عبارة لحاؤون الكبار والقواش (قوله أي تصطفون على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصالح الضمن الحقد وقضاغن القوم واضطفون انطوا على الأحقاد

سورة الفتح مدنية

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَفْرِ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأْخُرُ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ

وعن ابن عباس كسدة والتخع وهن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والرم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سدان إلى جنبه فضرب على نغفه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثياب لالتوا له رجال من فارس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح : مدنية : وهي تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وحجى به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لأنها في تحقيقها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من القنعة والدلالة على علو شأن الخبر ما لا ينبغي (فإن قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدا من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والعصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرتك على هدوك لتجمع لك بين هذين العارفين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد للمعنوسين للفران والثواب والفتح الظفر بالبدنوة أو صلحاً بحرباً وبغير حرب لأنه متعلق بالظفر به فإذا ظفرت به حصل في اليد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهم وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما المشركين حتى أدخلوا في ديارهم وعن الكلبي ظفروا عليهم حتى سألوهم الصلح (فإن قلت) كيف يكون فتحاً وقد أحصروا وفحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحاً مينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية فاجتمع له رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدقوا ناعن البيت وصدهدنا فبلغ التي صلى الله عليه وسلم فقال بسم الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوك عن بلادهم بالراح ويسألوك القنصة وبرغوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة مالم يصب في غزوة أصاب أن يوبع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى عله وأطمعوا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى

القول في سورة الفتح

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَفْرِ لَكَ اللَّهُ » الآية (قال فيه جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضي وإن لم يقع بعد لأن المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح وذلك على عادة رب العزة في أخباره لأنها لما كانت محققة نزلت بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من القنعة والدلالة على علو شأن الخبر ما لا ينبغي (قلت) ومن القنعة الالتفات من التكلم إلى القية ۝ عاد كلامه (قال) فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة وأجاب بأن ذلك علة لاجتماع ما عدا من الأمور الأربعة المغفرة وإتمام النعمة والهداية والصراط المستقيم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرتك على هدوك لتجمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ۝ قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهاداً وعبادة سيلاً للفران

(قوله علو شأن الخبر) لعله الخبر به وبجارة النسب الخبر عنه (قوله عن بلادهم بالراح) في الصحاح الراح الخمر والراح جمع راحة وهي الكف والراح الريح والظاهر هنا الثالث

عَلَيْكَ وَبِدَيْكَ صَرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَبَنَصْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ . وَفَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا . وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ . وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا . وَيُعَذِّبُ الْمُتْلِفِينَ وَالْمُتْلِفَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ . وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . وَفَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَلَعَزَّوهُ وَتُوقِرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

لم يبق فيها قطرة . فتمضض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمجه فيها . فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل لجاش بالماء حتى امتلأت . ولم يندم ماؤا بعد قيل هو وضع خير وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له الإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح آيين منو أعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا هو فتحته ومنشعب منو قيل معناه قضينا لك قضاء بيننا على أهل مكة أن تدخلوها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاح وهي الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذلك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث هاربة وما تأخر من امرأة زيد (نصرأ عزربأ) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور إسناده مجازيا أو عزربأ أصحابه (السكينة) السكون كالبينة للبهتان أي أنزله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والمهدة غب القتال فيزدادوا يقينا إلى يقينهم وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا إيمانا) بالشرائع مقررونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فإزدادوا إيمانا إلى إيمانهم أو أنزل فيها الوفاق والعظمة لله عز وجل ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليراحوا فيزداد إيمانهم (وفه جنود السموات والأرض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين يصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيو يشكروها فيستحقوا الثواب فيذهبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما ظاهروا من ذلك وكروهه . وقع السوء عبارة عن رداء الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه قتل في المرضى الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فضل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحها عنوة ونهرا (عليهم دائرة السوء) أي ما يظنونهم ويقربونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويستحلونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فلان قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالسكر والسكر والضعف والضعف من ساء إلا لأن الفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد دمه من كل شيء . وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو تقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى الفتوح لكونه مدعوما وكانت الدائرة عمودة فكان حقها أن لا تصاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عزّ وعلا إن أراد بكم سوا أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أتتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (ليؤمنوا) الضمير للناس

(قوله وقرئ دائرة السوء بالفتح) يفيد أن القراءة المشهودة دائرة السوء بالضم

وَأَصِيلًا هَ إِنَّ الَّذِينَ يَإَيُّوْنَكَ إِنَّمَا يَإَيُّوْنَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ هَمَّنْ نَكَتَ فَلَمَّا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْقَى بِمَا عَهْدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ه سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْتِهِ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ

(ويعزروه) ويقوه بالنصرة (ويوقوه) (ويسبحوه) (ويستسبحوه) أو من السجدة والصنائر لله عز وجل والمراد بتزير الله تزيير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الصنائر قد أبعد ه وقرئ لتؤمنوا وتزروه وتوقروه وتسبحوه والثناء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأئمة وقرئ وتزروه بضم الزاي وكسرها وتزروه بضم الزاي الله عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة التجر وصلاة الظهر والعصر ه لما قال (إنما ياييئون الله) أكدته تأكيداً على طريق التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله الذي تعلموا أيدي الماييئين هي يداؤه والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كمقدمه مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيمينه الرضوان (فإنما يملكك على نفسه) فلا يعود ضرر نكته إلا لعله قال جابر ابن عبد الله رضى الله عنه ياينا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا تفز فإ نكته أحد منا اليمينه إلا جدر بن قيس وكان منافقاً اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم ه وقرئ وإنما ياييئون الله أى لأجل الله ولوجهه ه وقرئ ينكته بضم الكاف وكسرها ويماعده وعهد (فسقونهم) بالنون وإليه يقال فويت بالهد وأوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون يهدمهم الذين خلفوا عن الهدية وهم أعراب غفار ومزينة وجهية وأشجع وأسلم والذليل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الهدية معتمراً استغفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يمرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حرباً فتأفل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فبقائهم وظلوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهلهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد (يقولون بالسيتهم مالميس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذى خلقهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك في الله والتفاق وظلمهم للاستغفار أيضاً ليس بصادر من حقيقة (فإن يملك لكم) فمن يملككم من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعاً) من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم . الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كأرض

ه قوله تعالى وإن الذين ياييئونك إنما ياييئون الله يد الله فوق أيديهم ه (قال فيه لما قال إنما ياييئون الله أكدته تأكيداً على طريق التخييل الخ) قال أحد كلام حسن بعد إسقاط لفظ التخييل وإبداله بالتخييل وقد تقدمت أمثاله ه قوله تعالى قل فم من يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً (قال أى قتلاً وهزيمة أو أراد بكم نفعاً أى ظفراً وغنيمة انتهى كلامه) قال أحد لا تخلو الآية من الفتن المعروف عند علماء البيان والفن وكان الأصل والله أعلم فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ومن يجرمكم النفع إن أراد بكم ضراً لأن مثل هذا التظلم يستعمل في الضرر وكذلك يورد في الكتاب العزيز مطرداً كقوله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنة فلن يملك له من الله شيئاً فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في بعض الحديث إننى لأملك شيئاً

(قوله وقرئ لتؤمنوا وتزروه) يفيد أن قراءة الياء هي المشهورة وقد تشيد إلى تفريق الصنائر فقرأت وتسبحوا الله الآية (قوله قد غزوه في عقر داره) في المصباح عقر النار أصلها وهو محلة القوم وأهل المدينة يقولون عقر البار بالضم

كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۖ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَبَدًا ۖ وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا يَوْرَاءَ ۚ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۖ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۚ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لَتَاْخُذُوهَا ذُرُوءًا نَّقِيعًا يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَىٰ

وأرضات وقد جاء أهله وأنا أهال فاسم جمع كليل وقرئ إلى أهلهم وزين على الباء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم ، واليور من بار كالمهلك من ملك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كمائذ وهوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ويناتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجين لسلطه وعقاب (الكافرين) مقام مقامهم للإيدان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ، ونكر (سعيরা) لأنها نار مخصوصة كائنات نار اناطل (وقه ملك السموات والأرض) بذكره تدبير قادر حكيم يغفر ويعذب ويحيي ويميت تابع لحكمته وحكمته المغفرة للثائب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا راحيا) رحمة سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باحتجاب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم إلى مغائيم) إلى غنائم خير (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدم أن يعوضهم من مغائيم مكة مغائيم خيرا إذا قتلوا هوا عدين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا مني أبدا (تحسدونا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها (لا يفقهون) لا يفهمون إلا فهما (قليل) قلة وهو غفلتهم لأمر الدنيا دون أمور الدين كقولهم تعالى يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا (فإن قلت) ما الفرق بين حرفي الإضراب (قلت) الأول إضراب مناه ردة أن يكون حكم الله أن لا يتبعوه

يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة وسر اختصاصه بدفع المضرة أن الملك مضاف في هذه المواضع باللام ودفع المضرة تقع يضاف للدفع عنه وليس كذلك حرمان النعمة فإنه ضرر عائد عليه لاله فإذا ظهر ذلك فإنما انتظمت الآية على هذا الوجه لأن القسمين يشتركان في أن كل واحد منهما نفي لدفع المقدّر من خير وشر فلما تباريا أدرجتهما في عبارة واحدة وخص عبارة دفع الضرر لأنه هو المتوقع لهؤلاء إذ الآية في سياق التهديد أو الوعيد الشديد وهي نظير قوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة فإن العصمة إنما تكون من سوء لا من الرحمة فهاتان الآيتان يرمان في التقرير الذي ذكرته والله أعلم به قوله تعالى وقه ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال فيه يغفر ويعذب بمشيئته الخ) قال أحمد قد تقدمت أمثاله والقول بأن موجب الحكمة ما ذكر تحمك هذا وأدلة الشرع القاطعة تأتي على ما يستفاد فلا تبقى ولا تنزفكم من دليل على أن المغفرة لا تحفل بالتوبة وكم يروم اتباع القرآن للرأي الفاسد فيقيد مطلقا ويجرح واسما والله الحق ۚ قوله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغائيم لتأخذوها ذرؤنا تتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدونا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (قال المراد بكلام اقترعه أهل الحديبية بغنائم خيبر عوضا عما يفوتهم من غنائم مكة الخ) قال أحد فالإضراب الأول إذا هو المعروف والثاني هو المستغرب المستعجب الذي ليس فيه مبالغة بين الأول والثاني بل زيادة بيته ومبالغة متمسكة وإنما كان المنسوب إليهم ثانيا أشد من المنسوب إليهم أولا لأن الأول نسبة إلى جهل في شيء مخصوص وهو نسبهم الحسداني المؤمنين والثاني يعتبر بجهل على الإطلاق وقلة فهم على الاسترسال

قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَوْنَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَذَّابٌ تَوَلَّيْتُ مِنْ قَبْلِ يَعْذِبُكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ جَعْنِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عِبِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۚ وَمَعَاقِمٌ كَثِيرَةٌ

وإثبات الحمد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحمد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (إلى قوم أولى بأس شديد) يعني بنى حنيفة قوم مسيلة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب المرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العمم وأهل الكتاب والمجوس قبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العمم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدهوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوم تملى قتل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلون) يتقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية (فإن قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) إن صح ذلك فالمنى لن تخرجوا معي أبداً مادمت على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو قل قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لمتطهرين لانصيب لم في المنع (كما تولى من قبل) يريد في غزوة الحديبية أو يسلون مطوف على قاتلهم أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لثالث لها وفي قراءة أبي أو يسلبوا بمعنى إلى أن يسلبوا * نفي الحرج عن هؤلاء من ذوى السماوات في تخلف عن النزول * وقرئ يدخله ونعذبه بالنون * هي ريمة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بمكة جئوا من أمة الخزاعي رسولاً إلى أهل مكة فبعوا به فتمنع الأحابيش فلما رجع دعا بمهر رضي الله عنه ليتم فقال إني أعافهم على نفسي لما عرف من عداوتهم وإياهم وما بمكة عدوي بمنعني ولكني أدلك على رجل هو أحر بها مني وأحب إليهم مثيان بن عفان فبمته تخبرهم أنه لم يأت بحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فرفروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن تطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عنهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرجح حتى نأجر القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأرىكم مكابها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبادة بن الصفيان وكنت قائما على رأسه ويدي غصن من الشجرة أذب عنه فرضت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفاً وخمسة وأربعة وعشرين وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة (فلم ما في قلوبهم) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم فتحاً قريباً) وقرئ وأثابهم وهو فتح خير غلب الصرافهم من مكة وعن الحسن فتح معروها أجل فتح أسوأ بشرها زماناً (ومعاقم كثيرة ياخفونها) هي معاقم خير وكانت أرضاً ذات عفار

(قوله جئوا) قوله جئوا الذي في أبي السعود وفي الشهاب خراش بالخاء والراء والشين اهـ ملخصاً من هامش وكذا في النسق والخازن (قوله ذات عفار) في الصحاح العفار بالفتح الأرض والضياع والنخل

يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغْنَمًا كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَآخَرُهَا لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا . وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرُ ثُمَّ لَا جَدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ يَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا . وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَغْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوا أَنْ تَطْوَؤُهُمْ فَصَيَّبَكُمْ مِنْهُمْ

وأموال قسمها رسول الله صلى الله تعالى عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق (وعدكم الله مغنم كثيرة) وهي ما بقى على المؤمنين إلى يوم القيامة (فجعل لكم هذه) المغنم يعني مغنم خير (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أيدي أهل خير وحلفائهم من أسد وغطفان حين جأوا لنصرتهم فقتل الله في قلوبهم الرعب ففكسوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم وفتح عليهم وقبل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحى فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خير علامة وعنوانا لفتح مكة (وبهديكم صراطا مستقيما) وبهديكم بصيرة وقيما وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على هذه أي فجعل لكم هذه المغنم ومغناهم أخرى (لم تقدروا عليها) وهي مغنم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضى يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة لم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ والجزء بإشمار رب (فإن قلت) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه (قلت) هو كلام مترص ومناه وتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغنم فجعل هذه النسيمة وكف الأعداء لينفكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية وبهديكم بذلك هداية وإيمانا (ولوقالتكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصلحوا وقيل من حلفاء أهل خير فغلبوا وانتهزوا (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لا غلبن أنا ورسل (أيديهم) أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافاة والمجازاة بعد ما حولكم الظفر عليهم والتبلة وذلك يوم الفتح به استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت هوة لاصلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسينات فبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزموه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلهم البيوت وقرئ تملكون بالياء والياء . قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما بهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى (معكوكا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ والرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذي يصل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لآبي حنيفة على أن المحصر على هديه الحرم (فإن قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومضلا في الحرم (فإن قلت) فإذا نذر في الحرم لم يقل معكوكا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المهود وهو منى (لم تملوهم) صفة للرجال والنساء جميعا (وأن تطوؤهم) بدل اشتغالهم

مَرَّةً يَغِيرُ عِلْمَ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَيَةَ الْحَيَلِيَّةَ فَاَتَزَلَّ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّاهِمِينَ كَلِمَةَ التَّقْوَى

أو من الضمير المنصوب في تملوهم والمرة مفعلة من هره بمعنى عراه إذا دعاه مايكره ويشق عليه و(يغير علم) متعلق بأن تظوم بمعنى أن تظوم غير عالينهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال ووطئنا ووطأ هل حق . ووطأ المتعبد ثابت الحرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن آخر وطأة ووطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين غتلطون بالمشركون غير متميزين منهم ولا معروفين إلا ما كن قليل ولولا كراهة أن نهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرائهم المشركون وأتم غير عارفين بهم فيصيحكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا دلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لوتزيلوا كالتكرير للرجال مؤمنون لمرجعها إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فإن قلت) أي مرة تصيهم إذا قتلهم ولا يعلون (قلت) يصيهم وجوب الدية والكفارة وسوءة المشركون أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير (فإن قلت) قوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) لتليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسبقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صرنا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف والمنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي توفيقه لزيادة الخير والطاعة . مؤمنهم أوليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركهم (لوتزيلوا) لوتفزلوا وتبين بعضهم من بعض من زاله بزيه وقرئ لوتزايوا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صومهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينصب بإختيار أذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكنة المؤمنين والحية الأفع والسكنة القار ماروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحدبية بثت قريش سبيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبدالمزى ومكرز بن حصن بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخل لقرش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا قال عليه الصلاة والسلام لم يرض الله عنه أ كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سبيل وأصحابه ما نرف هذا ولكن كتب باسمك اللهم ثم قال أ كتب هذا أصالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتناك ولكن أ كتب هذا أصالح عليه محمد بن عبادة أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام أ كتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبادة فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأرسل الله على رسول الله السكينة فتوفروا وحلوا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقه ومنهم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضي الله عنه كلمة التقوى هي الوفاء بالعهود ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى . وفي مصنف الحرث بن سويد صاحب

قوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تملوهم إلى قوله لوتزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال) فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوف الخ قال أحمد وإنما كان مرجعها ههنا واحدا وإن كانت لولاندل على امتناع لوجود ولوتدل على امتناع لامتناع وبين هذين تناقض ظاهر لأن لولا ههنا دخلت على وجود ولودخلت على قوله تزلوا وهو راجع إلى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فأ لا إلى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدى رحمه الله يختار هذا الوجه الثاني ويسميه تطرية وأكثر ما تكون إذا تناول الكلام ويعد عهدا له واجتنب إلى رد الآخر على الأول فرة يطرى بلفظه مرة بلفظ آخر يؤدي مؤداة وقد تقدمت لها أمثال والله أعلم وهو الحق

(قوله بمعنى عراه إذا دعاه) عبارة الصحاح بلفظها هو يرمقه أى يدخل عليهم مكروها يطلتهمهم والمرة الإثم (قوله) وطأ المتعبد ثابت الحرم) له نابت بالنون والمهم بالتسكين نبت وهو ضرب من الحصن ترطه الإبل كما في الصحاح

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ خُمَلَيْنِ رَهْوَ سَكْمٍ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا لِحُجَلٍّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَا قَرِيْبًا ۚ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمًا بَيْنَهُمْ رَهْمًا بِكُمْ مَتَّبِعُوا فَتَتَّبِعُوا فَتَنْتَفِعُوا فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج ۖ وأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا وقص الرُّبَا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم دخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلبا تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي عبد الله ابن نقيل ورافعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فزلت ومعنى (صدقه الله رسول الله) صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا لحذف الجواز وأوصل الفعل كقولته تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه ۖ (فإن قلت) بهم تعلق (بالحق) قلت) إنما يصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالفرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتبيين بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا ملتبسا بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إنما بالحق الذي هو قبض الباطل أو بالذي هو من أسمائه و(لتدخلن) جوابه على الأول هو جواب قسم محذوف ۖ (فإن قلت) ما وجه دخول (إن شاء الله) في أخبار الله عز وجل قلت) فيه وجوه أن يتعلق هذمه بالمشيئة تعلما لبعاده أن يقولوا في عداهم مثل ذلك متأذين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا إن شأ الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شأ الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمين (فلم لم تعلموا) من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل (لحجل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحاً قريبا) وهو فتح خيبر لتسروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن ييسر الفتح الموعود (الهدى ودين الحق) بدين الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى ديناً قط إلا وللإسلام دونه العز والقبلة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطئتين لنفس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقبض لهم من القبلة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة (وكنى بالله شيدا) على أن ما وعده كائن عن الحسن رضى الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) إما خبر مبتدأ أي هو محمد لقد تم قوله تعالى هو الذي أرسل رسول الله ولما مبتدأ رسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحما بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلب عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن رضى الله عنه بلغ من تشددكم على الكفار وأنهم كانوا يتحززون من ثيابهم أن تلاق بياهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من رحمتهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنة إلا صلح وعاقته والمصالحة لم تختلف فيها الفقهاء أما المماقة فقد صكرها أبو خنيفة رحمه الله وكذلك التقييل قال لأحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص أبو يوسف في المماقة من حق المسلمين في كل زمان أن يراعى هذا التشدد وهذا التلطيف فيشتدوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه

(قوله أي صدقه الرؤيا ملتبسا) لعله ملتبسا (قوله إنه سيظهر دينك) لعله دينه كعبادة النطق

سَيَأْتِي فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزُرْجٍ أَخْرَجَ شَعْلَهُ فَأَزَارَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِثَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتياط والأخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداه ورحما بالنصب أن يصبها على الملح أو على الحال بالمقدر في مئة ويجعل تزام الخبر (سيام) علامتهم وقرئ سبأهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسياء والمراد بها السمة التي تحدث في جهة السجود من كثرة السجود وقوله تعالى (من أثر السجود) يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من الملبين على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس أبي الأملك يقال له ذوالثغنت لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثغنت البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير في السمة في الوجه (فإن قلت) قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تغلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود فقال إن صورة وجهك أخذك فلا تغلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك إذا اعتد بجهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة وذلك بقاء ونفاق يستأذى بالله منه ونحن في أحدث في جهة السجود التي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كان أفضل فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدا الآن يصل فيرى بين عينيه ركة البعير فإني أفتك الأرواس أم خشت الأرض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل موصوفة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالنسب في الوجه ولكنه صفة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء رحمة استارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثرة صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أي وصفهم العجيب الشأن في الكنايين جميعا ثم ابتداء فقال (كزرج) يريد كزرج وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدئ مثلهم في الإنجيل كزرج ويجوز أن يكون ذلك إشارة مهمة أوجحت بقوله كزرج أخرج شطاه كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وقرئ الإنجيل بفتح الهمة (شطاه) فراخه يقال أسطا الزرع إذا فرخ وقرئ شطاه بفتح الطاء وشطاه بتشخيف الهمة وشطاه بالموشطه بخف الهمة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلها وقرأ (فأزره) من الموازنة وهي المعاونة وعن الأخفش أنه أفضل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أي فقد أزره وقواه ومن جعل أزره فهو بمعنى القراءتين (فاستغظ) فصار من الده إلى الغظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم يبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن حمزة أخرج شطاه بآب بكر فأزره بمرر فاستغظ بعميان فاستوى على سوقه بمل وهذا مثل ضربه الله لبله أمر الإسلام وترفيه في الزيادة إلى أن قرئ واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم أقام الله بن آمن معه كأيض الطاعة الأولى من الزرع ما يخفف بها عما يتولد عنها حتى يعجب الزرع (فإن قلت) قوله (لينيظ بهم الكفار) لتليل لماذا (قلت) لمادل عليه تشبيههم بالزرع من نعامهم وترقيهم في الزيادة والثروة ويجوز أن يملأ به (وعده الله الذين آمنوا) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يرمز به في الدنيا غافلون ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان بمن شهد مع محمد فتح مكة

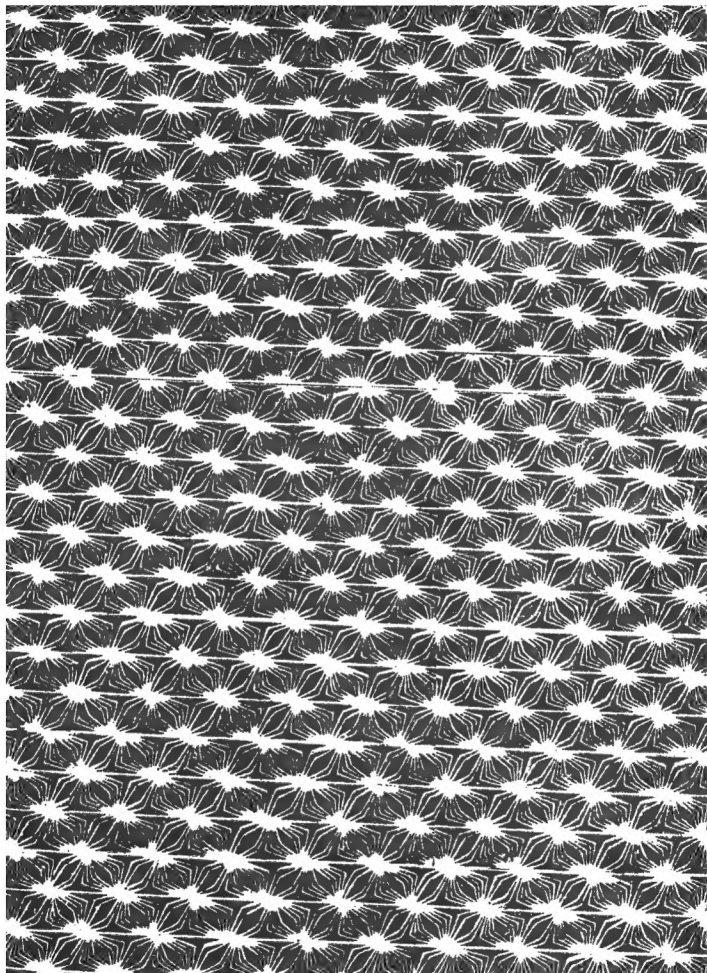
(قوله والأخلاق السجيحة) أي السمة أفاده الصحاح (قوله في مواقعه منها أشباه ثغنت) في الصحاح هي ما يقع على الأرض من أعينها إذا استباح (قوله لا تغلبوا صوركم) في الصحاح غلبه أغلبه بالضم إذا وسعته أو خدشته أو أثرت فيه (قوله ليس بالنسب في الوجه) في الصحاح التدبأ الجرع إذا لم يرتفع عن الجلد

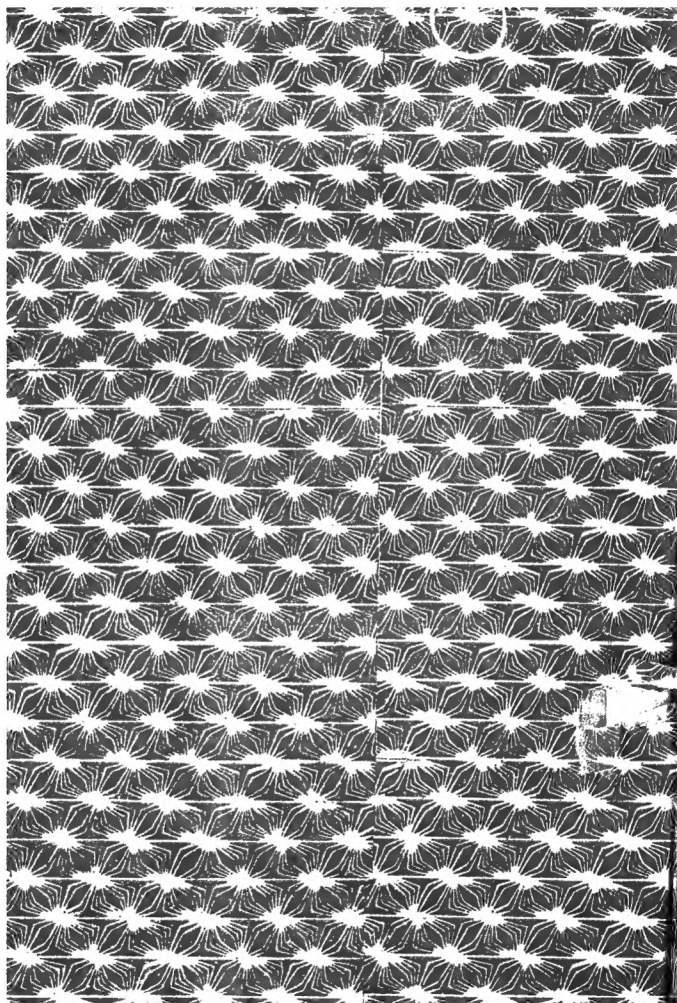
فهرس

الجزء الثالث من تفسير الكشاف

ص السورة	ص السورة
٢٦٦ فاطر	٢ الانبياء
٢٧٩ يس	٢٤ الحج
٢٩٥ الصافات	٤٢ المؤمنون
٣١٥ ص	٥٩ النور
٣٣٧ الزمر	٨٧ الفرقان
٣٥٩ غافر	١٠٧ الشعراء
٣٨١ فصلت	١٣٢ النمل
٣٩٦ الشورى	١٥٦ القصص
٤١٠ الزخرف	١٨٢ العنكبوت
٤٢٨ الدخان	١٩٧ الروم
٤٣٦ الجاثية	٢٠٩ لقمان
٤٤١ الاحقاف	٢١٨ السجدة
٤٥٢ محمد عليه السلام	٢٢٥ الاحزاب
٤٦٠ الفتح	٢٥٠ سبأ

(تم الجزء الثالث من تفسير الكشاف)
(وبليه الجزء الرابع واوله سورة الحجرات)





Bibliotheca Alexandrina



0428198